

العَبَقَاتُ الْعَنْبَرِيَّةُ  
فِي

الطَّبَقَاتُ الْجَعْفَرِيَّةُ

تَارِيخُ الْمَرْجَعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْقُرْبَيْنِ الثَّامِنِ عَشَرَ وَالنَّاسِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيَّيْنِ

تَأَلِيفُ

الْعَلَّامَةُ الْكَبِيرُ الْأَمَامُ الشَّيْخُ

مُحَمَّدُ الْحَسَنِ كَاتِبُ الْفُطَا

الْمُتَوَفَى سَنَةِ ١٣٧٢هـ / ١٩٥٤م

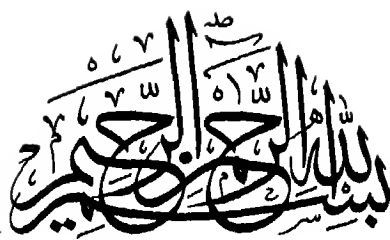
تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ جُودُوتُ الْفَرْوُفِي





العَبَقَاتُ الْعَنْدَرِيَّةُ  
فِي  
الطَّبَقَاتِ الْجَعْفَرِيَّةِ  
لِلرَّبِّعِ الرَّجْنِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ الثَّامِنِ عَشَرَ النَّاسِيعِ عَشَرَ الْمِلَادِيَّةِ





العَبَقَاتُ الْعَنْبَرِيَّةُ  
فِي  
الطَّبَقَاتِ الْجَعْفَرِيَّةِ

لَارْبَعِ الْمَرْجَعِيَّةِ الدِّينِيَّةِ فِي الْقَرْنَيْنِ الثَّامِنِ وَعَشَرَ وَالنَّاسِعِ عَشَرَ الْمِيلَادِيَّيْنِ

تَأَلَّفَ  
الْعَلَّامَةُ الْكَبِيرُ الْإِمَامُ الشَّيْخُ  
مُحَمَّدُ الْحُسَيْنُ كَافِي الْفَطَاوِ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م

تَحْقِيقُ  
الدُّكْتُورُ جُودَتُ الْفَرْوِي

جميع الحقوق محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

توزيع : بيسان للنشر والتوزيع

---

ص.ب. / ٥٢٦١ - ١٣ بيروت لبنان  
هاتف / ٣٥١٢٩١ \* فاكس: ٧٤٧٠٨٩ - ١ - ٩٦١

# المحتويات

٩	مقدمة المحقق
١٢	ترجمة الأمام محمد الحسين كاشف الغطاء بقلمه
٢٣	العبارات العنبرية في الطبقات الجعفرية
٢٥	مقدمة المؤلف
٣٠	المقدمة : في نسب آل كاشف الغطاء

## الباب الأول

### في ذكر أحوال الشيخ جعفر و اخوانه وأبيه

٣٧	أبوه
٤٠	إخوانه
٤٣	في أحوال الشيخ جعفر كاشف الغطاء
٤٥	الفصل الأول : في كراماته
٤٧	سيرة الشيخ
٥٠	استسقاء الشيخ للأعراب ونزول الغيث
٥٥	الفصل الثاني : في مكارم أخلاقه ومحاسن صفاته
٦٣	كلام صاحب «روضات الجنات» في حق الشيخ الكبير
٦٤	كلام الشيخ أسد الله في حق الشيخ الكبير
٧٦	الفصل الثالث : في أسفاره وما وقع له فيها
٧٦	سفره الى بيت الله الحرام
٧٨	قصة (عقيل) ، وقتل الشيخ لهم
٨٢	سفره الى طهران

ذكر وقائع الشيخ مع ميرزا مُحمَّد الأخباري ، وسرَّ عداوتها ومنشئها	٨٦
قصة مباحلة الشيخ مع ميرزا محمد الأخباري	٩١
بين الشيخ وفتح علي شاه	١٠٤
الفصل الرابع : في الحوادث التي وقعت في أيامه	١٠٨
الحادثة الأولى : حادثة الوهابي ، وغزواته للنجف	١٠٨
رسالة الشيخ الكبير في ردِّ الوهابية	١١٧
الحادثة الثانية : واقعة الزقرت والشمرت	١٢٨
الفصل الخامس : فيما قاله من الأشعار ، وما قيل فيه من تهانيه ومراثيه	١٣٥
قصيدة للشيخ الكبير في رثاء العلامة الطباطبائي	١٣٦
معركة الخميس	١٣٨
ما قيل في الشيخ جعفر من الشعر	١٤٦
القسم الأول : في تهانيه	١٤٦
القسم الثاني : في وفاته ومراثيه	١٥٩
(بند) للشيخ علي الطَّبَّاح الحلي	١٦٨
«يتيمة الدهر في ذكر علماء العصر» للسيد محمد علي العاملي	١٧٠

## الباب الثاني

### في الطبقة الثانية من الطائفة (الجعفرية)

ترجمة الشيخ موسى كاشف الغطاء	١٨١
تفصيل قتل ميرزا محمد الأخباري	١٨٣
فتوى الشيخ موسى في قتل الميرزا الأخباري	١٨٥
أخبار مُلَّا محمد (حاكم النجف) ، ووقائعه مع الشيخ موسى	١٨٨
ذكر سبب تسمية الشيخ موسى بـ «المصلح بين الدولتين»	١٩١
محاربة البغداديين لعسكر العجم	١٩١
آثار الشيخ موسى	٢٠١
رسالة الشيخ موسى الى فتح علي شاه	٢٠٤

٢٠٧	جواب فتح علي شاه علي رسالة الشيخ موسى
٢٠٨	ما قيل في الشيخ موسى وأولاده من الشعر
٢٢٠	(بند) في رثاء الشيخ أسد الله ، ومدح الشيخ موسى
٢٣٠	وفاة الشيخ موسى ومرآثي الشعراء له
٢٣٣	ترجمة الشيخ موسى في «يتيمة الدهر»
٢٣٧	(بند) للشيخ ابراهيم القفطان في رثاء الشيخ موسى
٢٣٨	ابتداء تفصيل أحوال الشيخ علي بن الشيخ الكبير
٢٤٠	أحوال الشيخ محمد بن الشيخ الكبير
٢٤٧	وفاته ومرآثيه
٢٥١	باقي أحوال الشيخ علي نجل الشيخ الكبير
٢٥٧	شعره وشاعريته
٢٨٤	ظهور الفرقة الشيخية (الكشفية)
٢٨٧	تنبؤ الشيخ علي بالفتنة البابية
٢٨٨	المزايا الثلاثة
٢٩٠	في أحوال الشيخ محمد بن الشيخ الكبير
٢٩١	في أحوال الشيخ حسن بن الشيخ جعفر
٢٩٣	«نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري» للشيخ عباس كاشف الغطاء
٢٩٦	أجوبة المسائل الاعتقادية
٢٩٧	في أحوال الشيخ أحمد الأحسائي
٣٠٠	في كراماته
٣٠٦	واقعة نجيب پاشا في كربلاء
٣١١	توجه نجيب پاشا الى النجف
٣١٦	مناظرة الشيخ حسن مع السيد أبي الثناء الألوسي حول البابية
٣٤٣	وفاة الشيخ حسن
٣٤٩	فصل : فيما قال وما قيل فيه من الشعر

ترجمة الشيخ عيسى بن الشيخ الكبير ..... ٣٥٨

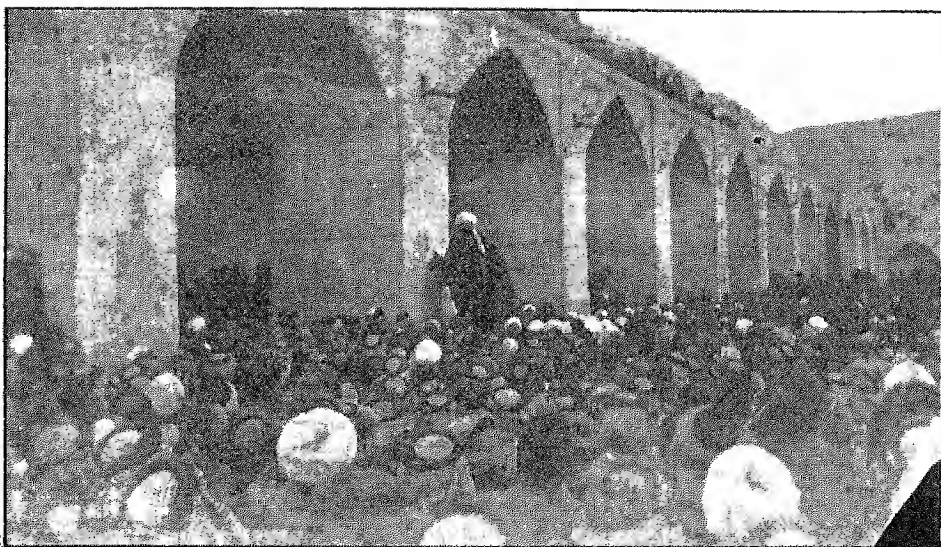
## الباب الثالث

### في الطبقة الثالثة من هذه الطائفة

- ترجمة الشيخ محمد بن الشيخ علي ..... ٣٦٠
- الفصل الأول : في مدائحه وتهانيه ..... ٣٦٣
- الفصل الثاني : في مراثيه وما قيل في تعزية إخوانه وبنيه ..... ٣٧٤
- من وقائع فرقتي الزقرت والشمرت ..... ٣٩٤
- هجوم العسكر على دار الشيخ محمد ..... ٣٩٤
- ترجمة الشيخ مهدي بن الشيخ علي ..... ٣٩٨
- شعره وشاعريته ..... ٤٠٠
- ما قيل في الشيخ مهدي من التهاني والمدائح ..... ٤٠٣
- ترجمة الشيخ مهدي في «يتيمة الدهر» ..... ٤١٨
- كراماته ..... ٤٢٥
- مراثيه ..... ٤٢٨
- ترجمة الشيخ جعفر بن الشيخ علي ..... ٤٤٧
- نادرة غريبة ..... ٤٥٧
- مراثيه ..... ٤٥٩
- ترجمة الشيخ محمد رضا ..... ٤٦٥
- مدائحه وتهانيه ..... ٤٦٦
- ترجمة الشيخ محمد رضا في «يتيمة الدهر» ..... ٤٩٠
- وفاته ومراثيه ..... ٤٩٣
- منهج الرشاد لمن أراد السداد
- (رسالة الإمام الشيخ جعفر كاشف الغطاء الى الأمير عبد العزيز بن سعود) ..... ٥٠٣



محمد الحسين كاشف الغطاء في شبابه



الأمام محمد الحسين كاشف الغطاء يُلقى خطاباً تاريخياً في «مسجد الكوفة»  
هـ أذار سنة ١٩٣٢م

«لتقط هذه الصورة النادرة الأستاذ الكبير صالح كبة - حفظه الله -»



يُعدُّ كتاب (العقبات العنبرية في الطبقات الجعفرية) من الكتب التاريخية النادرة التي تناولت تسجيل فترة زمنية مجهولة في تأريخ المرجعية الدينية العليا ، وما يحيط بها من وقائع وأحداث خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين . وهو أول تأليفات الإمام الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م . . كان قد بدأ بجمعه وهو ابن الخامسة عشرة ، وانتهى من كتابته وهو في سنه العشرين كما يظهر ذلك من تأريخ النسخة المخطوطة .

وقد تضمّن الكتاب تسجيل تراجم «الطبقات الجعفرية» من علماء أسرة الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، الجَدُّ الأعلى لأسرة آل كاشف الغطاء ، المتوفى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، تبعاً للفترات الزمنية ، وأهمية الشخصيات المترجم لها .

وبالرغم من أنَّ الكتاب تخصص بتسجيل تاريخ (أسرة) ، إلّا أنَّه تعدّى إلى تسجيل تأريخ (عصر) كان لهذه الأسرة تأثير كبير في أحداثه الدينية ، والسياسية ، والاجتماعية ، ولفترة زادت على نصف قرن من الزمن .

ويُعتبر الكتاب الحلقة المفقودة في تأريخ المرجعية الدينية خلال هذين القرنين حيث تناول تسليط الأضواء على الوقائع التاريخية المتصلة بالنشاط الديني للفقهاء ، وأهمها يكمن بما يلي :

١ - أرّخ للصراع الوهابي - الشيعي في عهده الأول ، وما وصلت إليه العلاقة الوهابية - الأثنا عشرية منذ قيام الحركة الوهابية . وقد انفرد من بين المصادر بالإشارة إلى علاقة الصداقة بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء (زعيم الأمامية) ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب (زعيم الوهابية) .

٢ - أرّخ للصراع الأخباري - الأصولي (في مرحلته الثانية) ، من خلال الحديث عن المحاججة بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والميرزا محمد الأخباري المقتول سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م .

وبالرغم من انحياز المؤلف في عرض الوقائع التاريخية ، وتسجيل هذا الصراع لصالحه ، إلّا أنَّه وفّر مادة غزيرة يمكن الاستلهاً منها في معرفة بعض أسرار المرحلة ، والأهداف

الناجمة عن ذلك الاختلاف .

٣ - يُعدُّ الكتاب من المصادر الأولى ، إن لم يكن المصدر الأول الذي دوّن قصة نشوء طائفتي (الزقوت) و(الشمرت) في مدينة النجف ، والحوادث الدامية التي لحقت عنهما .

٤ - عرض المؤلف شيئاً من تأريخ ظهور الفرقة (الشيخية) الكشفية التي قادت لظهور الحركة (البابية) فيما بعد ، ومواقف المرجعية الدينية من هذه الفرقة .

٥ - يعتبر كتاب (العبقات) ملفاً تاريخياً ضخماً للشعر العراقي في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين مع الإشارة إلى أسماء شعراء مجهولين ، وبعض الفقهاء المنسبين ، وإثبات نماذج شعرية لهم .

وقد أصبح مصدراً لجملة من المؤلفات مثل البابليات للشيخ محمد علي اليعقوبي ، وماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر محبوبة ، وغيرهما . أمّا الأستاذ علي الخاقاني فقد كانت «العبقات العنبرية» مادته الأصلية في كتابيه (شعراء الحلة) و(شعراء الغري) بعدما فرّق محتواه على الشعراء الذين ترجم لهم .

٦ - أورد الكتاب بعض الاقتباسات عن مصادر خطيّة أصبح بعضها في عداد المفقودات ككتاب «معدن الشرف في أحوال المشاهير من علماء النجف» للمؤرخ السيد حسون البراقبي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م ، ولا يزال بعضها الآخر مخطوطاً مثل «يتيمة الدهر» للسيد محمد علي العاملي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

٧ - إشتمل الكتاب على رسالة خطيّة بعنوان «نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري» كتبها الشيخ عباس كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م في ترجمة حياة أبيه الشيخ حسن كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م ، وفيها شيء من فتاواه ، وأجوبته على بعض المسائل السائدة في عصره . وأهم ما تتضمنه هذه «النبذة» المناظرة التي دارت بين الشيخ حسن ، ومفتي بغداد أبي الشناء الألوسي حول الحركة «البابية» بمحضر الوالي نجيب پاشا المتوفى سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م .

٨ - ألحقتُ بهذه (العبقات) رسالة الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى الأمير عبد العزيز ابن سعود بعنوان «منهج الرشاد لمن أراد السداد» ، - وتعتبر إحدى مظاهر الفكر السياسي الشيعي في أوائل القرن الثالث عشر الهجري - ، مُحَقَّقَةً على نسخة كُتبت في حياة مؤلفها سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م ، وقد وردت غير تامة في (العبقات) ، وأذن المؤلف اضافتها إلى الكتاب في حالة توفر نسختها الكاملة .

هذا ما يخص مادة الكتاب .

أما المنهج الذي نهجه المؤلف في كتابه فإنه رتبته ترتيباً تاريخياً ، وفنياً مُعْتَمِداً ، وأشبعه بكثير من الفوائد التي تفرّد بها .

والكتاب - كما يبدو للمتخصصين - مدعمٌ بالشواهد التاريخية الحيّة ، والوثائق النادرة ، والمنقولات عن طبقة من رجال السند الذين اعتمد على نقلهم المؤلف ، بيد أن المؤلف استكمل بعض الصور الوصفية للأحداث بواسطة السرد القصصي ، كما حدث ذلك في سياق الحديث عن بعض أوصاف الميرزا محمد الأخباري ، أو الحديث عن بني (عقيل) في قصة تاريخية غير محققة .

ويظهر أن المؤلف كان في بعض الأحيان يُبصرُ الحقائق على نحو ذاتي ، فبالرغم من موضوعية الحقائق المسجّلة إلا أن بعضها لا يخلو من (التحيّز) ، والرغبة في اثبات ما يتعلّق به من أحداث ، والتقليل من واقعيتها لدى الأطراف الأخرى . وهذه صفة رُبّما يشترك بها أغلب المؤرخين ، أن لم يكونوا جميعهم .

كما إتبع المؤلف الأسلوب المُسجّع الذي كان متعارفاً في تلك الأيام إلا أنه في مؤلفاته التي كُتبت بعد هذا التاريخ ترك هذه «الصنعة» واعتمد على أساليب الكتابة الحديثة .

وقد ظهرت صفة المبالغة في وصف الأعلام الذي ترجم لهم تبعاً لمتطلبات هذه الطريقة السائدة في التعبير ، والتي كانت تُعدّ من شواهد الكمال ، وإتقان فنّ التأليف والكتابة .

أما الكتاب فإنه بشكل عام يكشف عن طبيعة العلاقة الترابطية بين طبقة الفقهاء ، وبين أتباعهم من جهة ، وتأثير هذه الطبقة على المجتمع الشيعي تبعاً للظروف السياسية . وهذا لا يعني خضوع القطاع الشيعي دائماً لطبقة علماء الدين ، كما يظهر ذلك في المجتمع العراقي من خلال الصراعات الدائرة بين فرقتي (الزقري) و(الشمري) ، وتأثيرهما السلبي في المواجهة مع الفقهاء أنفسهم .

# ترجمة

## الأمام محمد الحسين كاشف الغطاء

بقلمه (\*)

هو الشيخ محمد حسين بن علي بن الرضا بن موسى بن جعفر كاشف الغطاء .

ينتسب الى عائلة عربية صميمة ، وعريقة في الشرف . هاجر جدّها الأعلى الى النجف منذ ثلاثمائة سنة من (جنازة) - بلدة جنوب الحلة - وولد هو في النجف عام ١٢٩٤هـ ، الموافق ١٨٧٧م ، وتعلّم أيام صباه القراءة والكتابة والحساب ، ودرس أيام شبابه النحو والمنطق والبيان والآداب ثم تخرّج في الحديث على العلامة المحدث ميرزا حسين النوري ، وفي علم الكلام على الاستاذ الشيخ ملا رضا الهمداني ، وفي الأصول على حجة الاسلام الشيخ محمد كاظم الخراساني ، وفي الفقه على حجة الاسلام السيد كاظم اليزدي ، ودرس علم التفسير ، والتاريخ ، والفلك ، على غيرهم من رجال العلم .

سافر عام ١٣٢٩هـ / ١٩١١م من النجف الى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج ، ومن مكة توجه إلى دمشق ، ومنها الى بيروت ، ومكث في ربوع سوريا ، ومصر ثلاث سنوات ، واشترك في الحركات الوطنية مع أحرار سوريا كالشيخ أحمد طيارة ، وعبد الكريم الخليل ، وعبد الغني العريسي ، وبارترو باولي ، وطبع هناك عدّة كتب . ونشر في أمهات صحف سوريا مقالات نفيسة . وفي عام ١٩١٤م قبل اعلان الحرب العالمية الأولى بشهر ونصف قفل الى العراق عن طريق حلب ، ودير الزور ، وصار من خواص حجة الاسلام السيد كاظم اليزدي (أكبر مجتهد في ذلك الحين) . وفي عام ١٩١٧م ذهب مع السيد محمد نجل السيد كاظم المذكور ، وجماعة من العلماء الى (الكوت) للجهاد أمام قوات (الأنكليز) .

وبعد وفاة أخيه الشيخ أحمد عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م أصبح من المراجع العامة للتقليد والفتوى في النجف الأشرف .

وفي عام ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م عُقد المؤتمر الاسلامي العام في القدس الشريف وبعد دعوات متكررة من لجنة المؤتمر توجه في كانون الأول الى القدس ، وأتمّ به في الصلاة جميع أعضاء المؤتمر البالغ عددهم (١٥٠) عضواً من شتى الفرق الاسلامية ، وخلفهم نحو (٢٥) ألف

(\*) إعتُمدت في ترجمة الأمام كاشف الغطاء ترجمتان كتبهما بقلمه ؛ الأولى عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥م ، والثانية عام ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م . وقد أرجئ نشر القسم الآخر من الترجمة الأولى الى مناسبة أخرى .

نسمة من أهالي فلسطين ، وذلك ليلة المعراج ٢٧ رجب (٦ كانون الأول) في المسجد الأقصى . وكان لذلك أهمية كبيرة حيث كان بذرة للاتحاد الاسلامي ، ورمزاً للأخاء والتساهل الديني .

وفي عام ١٩٣٣م (٢٥ تموز) - أول ربيع الثاني ١٣٥٢هـ توجه إلى إيران عن طريق كرمنشاه ، ورجع عن طريق البصرة ، ومكث هناك نحو ثمانية أشهر متجولاً في المدن المهمة يدعو الإيرانيين إلى التمسك بالدين الاسلامي ، وإلى ضرورة التفاهم مع الأقطار الاسلامية والشرقية والاتحاد معها . وكان موضع الحفاوة والتبجيل في كل مدينة يحل بها . وقد خطب في كل من المدن الآتية باللغة الفارسية : كرمنشاه ، همدان ، طهران ، شاهرود ، خراسان ، شيراز ، المحمرة ، عبادان .

ولما حدث الهياج في قبائل الفرات منذ أوائل هذه السنة (١٩٣٥م) ، واستمر الاضطراب عدّة شهور كانت له المساعي المشكورة في إلزامهم بحفظ الأمن ، وتأمين الطرق ، وحقن الدماء ، وسلامة الأموال ، وعدم العبث والافساد ولم يزل طيلة ستة أشهر ساهراً ليله ، كادحاً نهاره على بث تلك الدعوة ، وقبض الزمام ، وكانت القبائل متقادة لأمره ، خاضعة لتعاليمه وإرشاداته ، ولولا ذلك لانفلت حبل الأمن ، وساءت الأحوال إلى درجة لا تتدارك .

### مؤلفاته

- الدين والاسلام (جزءان) - طبع ١٩١٢م في صيدا .
- المراجعات الريحانية (جزءان) - طبع بيروت ١٩١٣ .
- التوضيح (جزءان) .
- الآيات البيّنات - طبع النجف ١٩٢٧م .
- أصل الشيعة وأصولها - طبع صيدا ١٩٣٢م .
- خطبته في المؤتمر - طبع القدس ١٩٣٢ .
- خطبته في مسجد الكوفة (الاتحاد والاقتصاد) .
- خطبه الأربع عند رجوعه من إيران .
- نبذة من سياسة الحسين - طبع النجف ١٩٣٠ .

### كتبه المخطوطة

- رحلته في سوريا ومصر .

- ملخص الأغاني .
- نقد كتاب ملوك العرب .
- شرح كتاب العروة الوثقى في الفقه .
- النفحات<sup>(١)</sup> العنبرية (في تاريخ عائلته) .
- الجزء الثالث من (الدين والاسلام) .
- مجموعة مراسلاته العلمية .
- ديوان شعره

وهو الآن يقيم في النجف الأشرف ، ويقوم بأداء صلاة الجماعة في الحرم الشريف ويدرس الفقه الاسلامي لطلبة العلم الروحانيين . ولديه مكتبة نفيسة يستفيد منها المؤلفون ، والطلبة في النجف ، ويتبعه في التقليد والفتوى ملايين من المسلمين في العراق ، وايران ، والأفغان ، والهند ، وسورية ، والبحرين ، والاحساء ، وعمان ، واليمن ، وشرق أفريقية .

## تكملة

### ترجمة الأمام كاشف الغطاء بقلمه<sup>(٢)</sup>

ما انتهى العقد الأول من أعوامي إلا وقد شرعتُ أو كرعتُ من مناهل العلوم العربية والأدب ومبادئ الفقه وأصوله .

وأول تأليف برز لي في هذه البرهة كتاب (العبقات العنبرية في طبقات الجعفرية) - مجلدان - كله أدب وتاريخ ونوادر برزت نسخة واحدة منه الى المبيضة أرسلناها في ذلك العصر الى (عمّ) لنا كان في (إصفهان) كي يمثله للطبع فعاجله الأجل قبل انجاز العمل ، ومات وماتت تلك النسخة النفيسة معه . وقد علمنا أنّها ما نُشرت ، ولكن لا نعلم أين قُبرت ، وليس عندنا منه سوى مسودة الجزء الأول بخطنا (قبل ستين سنة) ، وقد إنتهل من مشاريع هذه النسخة جملة من أدباء العصر ، ونقلوا الكثير من فرائدها الى مؤلفاتهم مع حفظ أمانة النقل ، وبدونها .

ثم لم تنطو صحيفة العقد الثاني من حياتنا إلا ونحنُ منهمكون في طلب دائب ،

(١) هكذا وردت في الأصل .

(\*) من هنا تبدأ الترجمة الثانية التي كتبها كاشف الغطاء سنة ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م .

وحركة سافرة بالأشتغال في علوم الحكمة والفلسفة والكلام عند أساطينها الذين هاجروا إلى النجف الأشرف لتحصيل العلوم الشرعية عند مراجع الشيعة الأعظم في أوائل القرن الرابع عشر ، مضافاً إلى إشتغالنا في علوم البلاغة كالمعاني والبيان والبديع والرياضيات من الحساب والهيئة وأضرابها من الفقه وأصوله ، والحضور في حوزة درس الطبقة العليا من الأساطين كالكاظمين (صاحب العروة) ، و(صاحب الكفاية) - رضوان الله عليهما - فقد لازمْتُ الحضور عليهما من سنة الثانية عشر هجرية الى حين وفاة الأول سنة ١٣٣٧هـ ، والثاني سنة ١٣٢٩هـ ، وعلى الشيخ الفقيه الهمداني صاحب «مصباح الفقيه» ، المتوفى سنة ١٣٢٢هـ ، وغير هؤلاء من الأعظم (قدس الله أسرارهم) .

وفي حين الوقت الذي أحضرُ عند هؤلاء الأساتذة الأعلام كانت لي حوزة درس من الأفاضل المهاجرين لطلب العلم فكنتُ أكتبُ ما أتلّقه من أساتذتي في الفقه وأصوله وأحرر ما ألقى من الدروس على تلاميذي .

وفي هذه الآونة وأنا في وسط العقد الثالث ألفتُ شرح العروة (في مجلدين كبيرين لم يطبع شيء منهما الى الآن) . ومع استفراغ الوسع وبذل الجهود البليغة في علمي الفقه وأصوله والحديث والتفسير ونحوها وصرف أكثر ساعات يومي وليليتي فيها أجداً في فؤادي شعلة متوقدة وعطشاً ملتهباً يحفزني الى الانتهاال ، والأشتغال بالعلوم الألهية ، والمعارف العليا ، والحكمة المتعالية ، فكنتُ أدرس في عين ذلك الوقت كتب صدر المتألهين قدس الله سره من مختصراته (كالمشاعر ، والعرشية ، وشرح الهداية) ، ومطولاته (كالأسفار ، وشرح أصول الكافي) .

ثم ألحَّ بي العطش والظمأ إلى التماس جرعة من كتب العرفاء الشامخين (كالفصوص ، والنصوص ، والفكوك ، وكثير من مثنويات ملا جلال الدين الرومي ، والجامي ، وشمس التبريزي ، والشبستري) ، وغيرهم ممن نهج على مناهجهم ، وعرج في معراجهم فكنتُ لا أجداً راحةً وروحاً لروحي من عناء الحياة ، ومتاعب الكفاح إلا بمزاولة الأدب العربي ، والتلذذ بمطالعة كتب القوم والأنس بأشعارهم ومعارفهم حتى بلغتُ من ذلك على مثل ما قيل (كنتُ أشرب ولا أرتوي ، فصرتُ أرتوي ولا أشرب) . وعلى كلِّ فلا أريد بكلمتي هذه أن أترجم لنفسي شؤون حياتي ، وكيف انقضت ساعات أيامي وليلاتي ، فإنَّ هذا يحتاج إلى مؤلف ضخم كله عجائب وغرائب ، ودروس ، وحوادث ، وكوارث ، وعبر ، ولعلَّ التاريخ يحتفظ بشيء منه - إن كان لا يستطيع الاحتفاظ ب كله .

نعم جلُّ القصد من هذه الومضة إنارة زاوية واحدة من هذا العمر الحافل بالزوايا والمزايا ،





استاذنا السيد الأمام الكاظم إلى جوار ربه ، وتحملنا أعباء وصيته مع الأخ المرحوم (أعلى الله مقامه) الذي إجتهدنا معه في تنقيح تأليف «العروة الوثقى» ، وطبعها مرتين في حياته ، وكانت مرجعية الأمامية في عموم الأقطار قد انتهت إليه (رضوان الله عليه) ، وعليها كان يعول في جميع مهماته ولا يضع ثقته عند غيرنا ، وإلينا يرجع كل مرافعة تنشر عنده فيحكم بحكمنا ، ويقضي بقضائنا ، ولا تزال وصاياه بنخطه عندنا .

ومذ اتسعت دائرة المرجعية إلينا بعد وفاته اضطررنا الظروف الى نشر الرسائل العملية المتنوعة ، فأصدرنا عدّة رسائل كالوجيزتين الصغرى والكبرى (فارسية ، وعربية) ، وقد طُبعت عدّة طبعات ، وكالسؤال والجواب العربي الذي طبع تكراراً ، وكزاد المقلدين (الفارسي) الذي تكرر أيضاً طبعه في النجف الأشرف ، وفي خراسان ، وكحاشية التبصرة ، وحاشية العروة ، وفيه أنفس التحقيقات في المدارك الفقهية ، وكذلك التعليقات على سفينة النجاة أربع مجلدات ، والأصل مجلدان للأخ المرحوم طبع ونفذ في حياته ، فعلقنا عليه حتى بلغ أربعة أجزاء ، وطبعناه ثانياً .

وألّفنا (الآيات البينات) أربع رسائل مهمة في رد الأموية ، والبهائية ، والوهابية ، والطبيعية .

وقبل الحرب العالمية الثانية ألّفنا «تحرير المجلة» في خمسة أجزاء ، ويعرفُ قدر هذا الكتاب ، وعظيم وقعه وعلو مقامه مَنْ يطالعه - إن كان من أهل ذلك - .

وأعظم من كُلِّ هذا أثراً ، وأعظم نفعا ، وأصدق خبراً وخبراً كتاب «أصل الشيعة» الذي تُرجم إلى عدّة لغات ، وطبع إثني عشر مرة . ويتلوه «الأرض والتربة الحسينية» ترجم إلى الفارسية ، (وطبع فارسياً وعربياً) . والمترجم لها هو العالم المتبحر البر التقي الشاهزاده خسرواني أطال الله عمره ، وأجزل أجره .

وكان البريد وغيره يوصل الى مكتبتي سحابة عمري كتباً من الأقطار البعيدة والقريبة من العراق ، وخارجه تشتمل على أسئلة في مسائل عويصة ، ومشاكل غامضة في أصول الدين وفروعه ، وأسرار التشريع والحكمة في الاحكام ، مضافاً إلى الاستفتاء في الفروع الفقهية والقضايا العملية فكان الجواب عنها يذهب مع السؤال ، ولم نحتفظ إلا بالنزير اليسير مما ذهب ، وقد جمعنا من هذا اليسير مجلداً كبيراً وسمناه «بدائرة المعارف العليا» يصح أن يُعدّ ثروة علمية من أنفس الذخائر . وقد بقي من هذا النوع أوراق مبعثرة في حقائبنا ومجاميعنا فيها أنكثير من الخطب والكلمات والمقالات التي تتعلق بأهل البيت (سلام الله عليهم) باختلاف المناسبات من أيام شهادتهم ، ووفياتهم ، ومواليدهم ، وأسرار شهادتهم ،

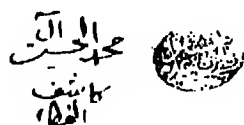
وما إلى ذلك مما يُناط بهم ، ويعود إليهم بما نشر بعضه في بعض الصحف والمجلات ، وما لم يُنشر .

وكنْتُ طالما أحدثتُ نفسي بجمع تلك المتفرقات في كتاب عسى أن يكون كعقد ثمين ينتظم في سلك تلك العقود من المؤلفات التي وفقنا الله جلُّ شأنه لنشرها ولخدمة العلم والفضيلة ، ونفع الانسانية ، وهداية البشر بها التي تجاوزت الثمانين ، والكثير أو الأكثر منها لم يطبع .

ثم رأيتُ أن أفرد المسائل العلمية والمباحث النظرية في كتاب ، وما يتعلق بالنبيِّ ، وأهل بيته الطاهرين (ع) في كتاب آخر ينتفع به أهل المنابر والخطباء مستقلاً على الأكثر ، وإن كان هذا المنهل العذب للجميع شرعاً سواء ، وأجعل هذين المؤلفين أو الثلاثة مسك الختام ، أو ختامه مسك لحياتي التي أوشكت على الزوال - وهي في آخر مراحلها - وقد ذرفتُ على السبعين ، وأخذتُ بعنقي ، أو أخذتُ بعنق الثمانين .

قالوا أنينُكَ طولَ الليل يُزعجُنَا فما الذي تشتكي قلتُ: (الثمانينا)

ثم هذه (السبعون) أو (الثمانون) مع تفاقم العلل والأسقام ، وضعف الحال وتراكم الأشغال ، وتوالي الأحن والمحن ، وسوء الزمن وأهل الزمن ، هو الذي كان يحول بيني وبين إنجاز تلك الرغبة ، وجعلها في حيز العمل ، وإن فسح الله تعالى في الأجل ، ووفّقنا ، فتلك زيادة فضلٍ منه تعالى الذي عودنا على ألطافه منذ أوجدنا ، وأسعد جدنا<sup>(١)</sup> .



### العبارات العنبرية (النسخة المخطوطة)

أول شهادة في أهميّة هذا الكتاب ذكرها الشيخ جواد الشبيبي المتوفى سنة ١٣٦٣هـ / ١٩٤٤م في الكلمة التي ألحقتُ بكتاب «الدعوة الاسلامية» للمؤلف ، قال الشبيبي :

له من المصنّفات كتاب أنيق ألفه قبل أن يألف العذار عارضيه ، ويجري قلم التكليف عليه ، أخلصه لتراجم طبقات أسلافه الأكارم ، وأسرّه الأعظم وعدّ مساعي آبائه وأجداده ، ومآثرهم الجميلة في الدين ، وغرّ خدماتهم في الاسلام ، ووسمه بـ «العبارات العنبرية في

(١) توفي الإمام كاشف الغطاء في (١٨) ذي القعدة سنة ١٣٧٣هـ ، الموافق ليوم ١٨ تموز ١٩٥٤م .

الطبقات الجعفرية» ، وهو مشروع توج فيه مياه الآداب من مساجلات ، ومراسلات ، وتواريخ ، وتراجم ، ومسائل فقهية ، ومباحث علمية ، ونثر فائق ، وشعر رائع مما قالوه ، أو قيل في مدائحهم ، ومراثيهم ، وتهاديههم ، وتهانيهم . ويحتوي على بعض وقائع العراق ، وأحواله وعلى الخصوص المشهد الكريم ، والزاوية المقدسة منه «النصف الأشرف» .

ووصف الشيخ كاشف الغطاء كتابه هذا بأنه «أحسن مجموع في التاريخ والأدب إلا أنه يحتاج إلى بعض الإصلاح والتهديب لأنه كان قد جمعه قبل الخامسة عشر من عمره»<sup>(١)</sup> . والنسخة التي اعتمد تحقيقها كتبها حسن بن السيد جاسم الفحام في (٢٥) من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٦هـ / ١٨٩٨م . وكان المؤلف قد فرغ من كتابة الجزء الأول في اليوم العاشر من شهر رمضان سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، ويبدو أن تأليف القسمين الآخرين كان في السنة نفسها .

ورتب المؤلف كتابه على مقدمة ، وثلاثة أبواب ، وخاتمة . وقد وجدت في النسخة المخطوطة كلمة (الجزء) بدل (الباب) في القسمين الثاني والثالث ، وعدلت ذلك حسب تقسيم المؤلف . إمّا الخاتمة فغير موجودة في هذه النسخة .

قدّم المؤلف هذه (العبارات) هدية إلى (عمّ) له كان يقيم في مدينة «إصفهان» الإيرانية لغرض نشرها ، وعلى الصفحة الأولى من النسخة المخطوطة كتب هذان البيتان :

إني نظرتُ فما وجدتُ هديةً      تُهدى إليك سوى الدعاءِ الصالحِ  
فرعتهُ لك بعد كُلِّ فريضة      وقرنتُهُ لك بالثناءِ الراجحِ

إلا أن النسخة لم تُنشر بسبب وفاة (العمّ) سنة ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م ، ولم يُعرف مصيرها بعد ذلك .

وفي عام ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م وقفتُ على نسخة مصورة من ممتلكات مكتبة العلامة الشيخ علي كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٤١١هـ / ١٩٩١م ، فحصلتُ على مصورة عنها ، وعكفتُ على نسخها وتحقيقها إلا أن العمل لم يكتمل ، وبقيت هذه النسخة تنتظر ضبط نصوصها ، وتكملة تعليقاتها منذ تلك الفترة الزمنية الممتدة إلى أكثر من عشرين عاماً . وكان مصدر هذه النسخة العلامة المحقق السيد عبد العزيز الطباطبائي المتوفى سنة ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م . والنسخة الأصلية محفوظة اليوم في مكتبة مجلس الشورى بتهران .

(١) تعليقة كاشف الغطاء على ديوان السيد جعفر الحلي «سحر بابل وسجع البابل» ، ص ١٣١ .

ولا يسعني ، وقد فرغتُ من إنجاز هذا الكتاب تحقيقاً وتعليقاً ، وضبطاً وتصحيحاً خلال فترة زمنية متواصلة ، قاربت العامين إلا أن أجدّ ذكرى خاتمة طبقة المحققين العلامة السيد عبد العزيز الطباطبائي الذي رحل قبل أن يرى ثمرة هذا الجهد . فإليه أرفع ثواب هذا العمل ، وفاء له ، ولروحه المعطاء ، وهو يرفلُ بأبراد النور في عالمه البعيد .

مورس الكروبي

لندن

٢٠ رجب ١٤١٨ هـ

٢٠/١١/١٩٩٧ م

إِنِّي نَظَرْتُ مَا وَجَدْتُ قَدِيمَةً  
شَهِدْتُ إِلَيْكَ بِكَ الْإِصْلَاحَ  
وَفَرَّقْتُكَ لَكَ بِكَ الْإِصْلَاحَ  
وَفَرَّقْتُكَ لَكَ بِكَ الْإِصْلَاحَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ  
الحمد لله الذي يَصْطَفِي مِنْ عِبَادِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَخَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ  
وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّهِ وَخَاتَمِ رُسُلِهِ سَيِّدِ الْأَنْبِيَاءِ، هَذَا الْمُخْتَارُ  
وَاللهُ أَلَمُ الْبَرِّ الْخَيْرُ وَبَعْدَ فَيَقُولُ الْخَفِيرُ الْخَفِيرُ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ وَشَفَاعَةِ نَبِيِّهِ  
الْقَبِيلِ النَّذِيرِ الْعَبْدِ هَذَا الْمَدْعُو بِالْحَيِّينَ كَانَ اللَّهُ لَهُ فِي الْأَزَارِ، وَجَاءَ  
بِمَا نَقَرَهُ الْعَيْنُ، ابْنُ عَلَى خَلَقَ هَذَا الْمَدْعُو بِالرَّضَا بَقِيَّةَ مُوسَى ابْنِ جِبْرِائِيلَ  
الْعِشَاءُ، أَمَّا اللَّهُ لِلْأَجَاءِ بِجِبْرِائِيلَ، وَصَعْدَ إِلَيْهِ بِأَرْحَاحِ أُمُورِهِمْ أَلَمْ يَخْلُقْ  
عَلَى مِنْ مَلَائِكَةٍ بَعْدَ الْأَنْصَافِ، وَجَاءَ بِسَبَابِ الظُّلَمِ وَالْإِعْتِصَافِ، وَ  
جَوْنِ سَارِ الْأَصْدَقِ لِهَيْبَتِهِ، وَالْحَقِّ بِحُجَّةِ جَنَانِهِ، فَلَمْ يَجِدْ أَرِيكَ الْقَفَا  
فِي رَوْضَةِ قَلْبِهِ مَعْقِلًا، وَمُ تَرَى حَسْبَكَ الْخَفْدَ وَالشَّقَافَ، إِلَى هَيْبَةِ سَبِيلِ  
فَهُوَ يُنْظَرُ مَجِيئًا لِرَيْسِ عَلَيْهِمَا مِنْ ظِلْمِ الظُّلَمِ مَا يَوْجِبُ تَعْبَاؤَهُ، وَبِوَأَمْرِ مَا  
وَرَثَتْهَا عَامِي الْغَيْمِ شَيْئًا مِنْ النِّجْمِ وَالْعِشَاءِ، عَمَّ صَادِقُكَ لَنَا

۱۰ مبتدای التبیان ما ۱۰ ساحدا ولا فراق ۱۰  
 ۱۱ و غریب علم دانه ۱۱ وایه نه چش فایه ۱۱  
 ۱۲ نعم المجد و جبره ۱۲ و نعم مخیر و نافع ۱۲  
 ۱۳ ما عندک بلهم عباد ۱۳ من و انما الخواص ۱۳  
 ۱۴ و سوف یصعق بالهمد ۱۴ و اعی به بالحق صاع ۱۴  
 ۱۵ و یقیم ما عندی یکر ۱۵ بمد الهمد بنه جبرافع ۱۵

و سقى العجايد لورقا  
ومضا جبهه لى اخراج

و مضاجبه لدى خضاج  
 انما كانت رجة جدينا انما علم الشيخ محمد ضا در سر الزاوية  
 انما رجة باق هذا فقه وعلم الشيخ محمد شجاع حبيب الله  
 الشيخ عباس شجاع انما رجة در سر محمد حبيب الله رجة الشيخ عباس  
 انما رجة در سر محمد يكون ختام الطبقة الثالثة وشرع انما رجة  
 و توبة في الطبقة الرابعة وهم اولاد الزاوية في الطبقة الثانية  
 و محمد الله و الله

# العقبات العنبرية في الطبقات الجعفرية





## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي يصطفي من عباده ما يشاء ويختار ما كان لهم الخير ، والصلاة والسلام على نبيه ، وخاتم رسله سيد الأنبياء محمد المختار ، وآله البررة الخيرة .

وبعد :

فيقول الحقير الفقير الى رحمة ربه ، وشفاعة نبيه البشير النذير (محمد) المدعو بالحسين - كان الله له في الدارين ، وحباه بما تقر به العين - ابن (علي) خلف (محمد) المدعو بالرضا بقية (موسى) بن (جعفر) كاشف الغطاء (أمد الله للأحياء بحياتهم ، وصعد إليه بأرواح أمواتهم) :-

إنه لا يخفى على من تمسك بعرى الإنصاف ، وجانب أسباب الظلم والاعتساف ، حتى صار الصدق لهجة لسانه ، والحق بهجة جنانه ، فلم تجد أريكة النفاق في روضة قلبه مقبلاً ، ولم تُرَ حسيكة<sup>(١)</sup> الحقد والشقاق الى مهجته سبيلاً ، فهو ينظر ببصائر ليس عليها من ظلم الظلم ما يوجب الغباوة ، وبواصر عما ورثتها غمائم الغمة شيئاً من العمى والغشاوة ، حتى صار يهتدي بسنا الحق حيثما سار ، ويرجع الى هادي الصدق كلما احتار :-

أن الاعتراف بما للأشراف من أكمل الأوصاف ، وأداء حقوق العلماء من أوجب الأشياء ، والثناء على ذوي الفضل بما هم فيه لا يكون إلا من ذويه ، والاطراء في محاسن الشرفا ومناقبهم ، لا يوجد إلا عند أولي الوفا من أصحابهم ، حيث أن الشريف للشريف نسيب ، فالواجب عليه أن لا يُضَيَّع أنسابه ، والكريم من الكرم قريب فاللازم على كل منهما رعي الذم لتلك القرابة ، إلا أن الناس قد صرمت حبال تلك النسبة وخضرت عهود تلك القرابة ، فنبنوها وراءهم ظهرياً ، وانتبذ بها فريق منهم مكاناً قصياً ، فكان يتقيض فيما مضى من القرون وغبر ، من ينشر على جهات الاوراق من محاسن أبناء عصره ما ينتظم به سلك درر ، ويجلو من أخبارهم على جيد الزمان ، ما يزري بقلائد العقيان ، على أنه كم لأيماننا من محاسن لأولي الكمال باهرة ، وأنفاس لهم عاطرة ، ومزايا تهزأ بالدراري والدرر ،

(١) الحسيكة والحسك بمعنى الحقد والعداوة .

وتصلح أن تكون في دهم الليالي أوضاع وغرر ، ليس لها بالنقل والصون كفيل ، ولا في موسم الفضل مثيل ، فهي يتيمة دهرها ، على أنها حين تُتلى على الاسماع تُسَكِّرُ الباب أولي النهى فتغتدي سلافة عصرها ، يفوز تاليها بخلاصة عين الفضل لا خلاصة الأثر ، ويحظى مستملها بغرر الكمالات لا غرر الدرر ، وحيث أن الله عز وجل من علي بنة كثر بها شرفي وفخري ، فقل عندها حمدي وشكري :

ولو أن لي في كل جارحة فماً      وكل به للحمد والشكر ألسن  
ورمت بأن أحصي بها شكر فضله      علي لعادت وهي بالعجز تُعلن

كيف لا ، وقد جعلني :

من معشرهم للعلی قلائد      والناس فيها النعل والخلاخل  
إذا بدوا كانوا شموساً في الضحی      لكنهم إن نُسبوا أصائل

وتدراكني ، وكنت كالشيء الملقى :

فصرتُ امرأً أنمى الى أفضل الوری      عديداً ، وأوفاهم غلاً ومكارما  
بهاليل من سود الختوف على العدى      لقاءً ، ومن بيض السيوف عُرائما<sup>(١)</sup>  
ترى للهدى منهم نجوماً وللعدى      رجوماً ، وفي يوم العطاء خضارما<sup>(٢)</sup>  
(بكشف الغطا) للدين شادوا (قواعداً)      وأحيوا له بعد (الدروس) (معالما)

فكم لهم من مزايا ومناقب ، تلوح في سماء المجد كواكب ، وكم أبقوا من الآثار والسير ما هو في جبهة الندهر أوضاع وغرر ، بهم استقام عمود الدين ، ورُغم أنف المنافقين .

والحاصل أن إحصاء مجدهم ، وحصر شرفهم وسؤددهم ، مما يضيق عنه نطاق البيان ، ويكل عنه لساني بل لسان كل إنسان ، وحيث أن شكر المنعم على الحر ضربة لازم ، ونهوض العبد بما يستحقه مولاه من أسنى المغائم ، وجب علي أن أذكر ما منحني الله تعالى من شرف الآباء والأجداد ، وما منحهم من النجدة والسداد ، حامداً شاكرأ له ، مدعناً أني لذلك لم أكن أهله ، بل هو محض تفضل منه وإحسان ، وتكرم وامتنان ، فلذلك بادرت الى حفظ ما أنعم به عليهم وعلي لكيلا تذهب وسيلة الحمد من لدي ، فأكون من ضيع كرم مولاه واسدائه وقابل إحسانه بالإساءة ، فجمعت في هذه الرسالة بعض أخبارهم التي

(١) غرام الجيش كثرته .

(٢) الخضارم : هم الرجال الكرماء .



أجهد نفسه في طلب العلوم حتى كاد أن يبعث الفنا لها ، ورأى أن العود في أرضه حطب ،  
وأن الرماح الخطية في بلادها قصب ، وأن المرء لا يبين قدره إلا إذا طال سيره ، كما قيل :  
سافر إذا حاولت قدرا سار الهلال فصار بدرا  
ولغيره :

لولا التنقل ما ارتقت درر النجوم إلى النحور  
على أن قدره أجل من أن يضيع ولا يضر ، ولكن طيبه بعد الاحتراق أكثر شيوع ،  
فلأقضى عصى التسيار في أم بلاد «إيران» ، دار العلم والشرف «أصبهان» ، فكانت له خير  
موطن ، وكان بها خير مستوطن ، فما زال فيها قبل عشرين سنة الى هذه الأيام ، وشرفه  
وعزه يتصاعد ويتزايد على الدوام ، حتى بلغه الله من العلياء كلما كان تمنى ورام ، فاتخذها  
داراً ، وألبسها من يمينه شعراً .

وكنت أسمع به ولا أراه ، ولكن الدر لا يخفى سناه ، ولم أزل أتمنى التشرف ببقياه ،  
والخضرة بطلعة محياته ، والأيام لا تساعدني بل تباعدني ، وأطاردها عما أروم وتطاردني ،  
فلما آيست من ذلك قلت في نفسي أن الميسور ، لا يسقط بالمعسور والمراسلة نصف  
المواصلة ، فجعلت أكتبه ، فكانت أجوبته خير عائد وصلة ، وقد عرفتنى أنه واحد زمانه ،  
وميل السمع والبصر في حالتي سماعه وعيانه .

وكان بعض أهل الدار يبعثون له بعض الهدايا والتحف ، من أرض النجف ، وأحببت أن  
أعقد له مني العبودية ، ومنه في حقي المحبة ، عسى أن يوليني إلتفاتة وقرية ، لقوله (ص) :  
«تهادوا تحابوا» . وحيث أنه أبقاها الله غني عن الدنيا وما فيها من المتاع الفاني ، مستغن بما  
حوّله الله عن كل قاصي وداني ، أردت أن أهدي له ما يخلد مع الزمان ، ويتجدد طيبه في  
كل آن :

إن إمرأ بقيت جميل صفاته من بعده فكأنه ما ماتا  
وسمعت أنه (دام ظله) كثيراً ما يتطلب أخبار آبائه وأجداده ، ويرغب في جمع ما كان  
لهم من طريف المجد وتلاذه ، فشرعت في جمع هذه الرسالة ، جارياً على ما كنت أظنه  
موافق مناه وأماله . فبينما أنا مشغول بها إذ ورد من جانبه إلى حضرة الوالد<sup>(١)</sup> الماجد (دام

(١) هو الشيخ علي كاشف الغطاء ، المؤرخ الكبير ، صاحب كتاب «الحصون المنيعه في طبقات الشيعة» . ولد سنة  
١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م ، وتوفي سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م . ولده هما : الشيخ أحمد المتوفى سنة ١٣٤٤هـ / ١٩٢٦م عن  
(٥٢) عاماً ، والشيخ محمد حسين (المؤلف) المولود سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م ، والمتوفى سنة ١٣٧٣هـ / ١٩٥٤م .

عزّه) مكتوب فيه ما حاصله : أني أرجوك أن تأمر أحد ولدك أن يجمع لي ما يتعلق بالشيخ الكبير من أخباره ، وأخبار أولاده وأصهاره ، وجميع ما يتعلق بهم . وقلتُ سبحان الله والحمد لله على الإيمان ، فإن المؤمن مَنْ ينظر بنور الله حدساً فيوافق العيان ، وعلمتُ أن قولَه (عليه السلام) : «الأرواح جندٌ مُجَنَّدَةٌ تتعارف في ظهر الغيب» حق بلا ريب .

وحيث أني رتبته على «الطبقات» - وذلك أني أذكر كل طبقة طبقة مبتدئاً بأكبرها على حسب أسنانهم ، ورئاستهم ، ورجوع الأمر إليهم - سميتُ بـ «العَبَقَات العنبرية في الطبقات الجعفرية» ليوافق اسمه مسمّاه ، ولفظه معناه ، وإن كان الأحرى أن أسميه (هدية الأقل إلى العمّ الأجلّ) ، وقد عرفت بعض ترجمته (أيدهُ الله) هنا ، وسيرد عليك الباقي إن شاء الله في محله ، والله الهادي إلى الرشاد ، والموفق للسداد ، وعليه التكلان ، وبه المستعان .

فأقول ومن الله أستمد التوفيق ، إنه خير رفيق ، أن هذه الرسالة مرتبة على مقدمة ، وثلاثة أبواب وخاتمة .

أمّا

## المقدمة

### في نسب آل كاشف الغطاء

فاعلم أنَّ شرف العرب بين سائر البرية من البديهيّات الأولى ، لا شك فيه ، ولا شبهة تعتريه . وسبب سيادتهم وشرفهم ، زيادة على كون الثقلين العظيمين منهم ، أمور ، كما استدل به (النعمان) (لكسرى) في الخبر المشهور ، وهي :

الفصاحة والبلاغة أولاً ، وحفظ أحسابهم وأنسابهم ثانياً ، والمحافظة على الوفاء ثالثاً . وإثبات كل واحد من هذه الأشياء على وجه التفصيل يطول به المقام ، ويستلزم الخروج عن المرام .

والمتتبع للتواريخ والسير ، المطلع منها على ما مضى وغبر ، يحصل له شاهد صدق على ما إدّعيناه ، وضمن حقاً بما ذكرناه . أمّا البلاغة والوفاء فكفاك شاهدُ الوجدان ، وإن أبيتَ فعلى الأول الفرقان ، وعلى الثاني قصة شريك وزير المنذر الذي جعل له يومين ، حيث كفل الإعرابي وعرض نفسه للحين<sup>(١)</sup> ، فما وجبت الشمس إلّا وبالإعرابي قد طلع من التلاع والثنايا ، وشريك معلق بأظفار المنايا ، فتعجب المنذر من أقدام الرجلين ، ورفع عن الناس دينك اليومين المشؤمين ، وسألهما عن ذلك ، فقال شريك : «خفتُ أن يقال ذهب الكرم من الوزراء» ، وقال الإعرابي : «خفتُ أن يقال ذهب من العرب الوفاء» . وإن كنتَ للزيادة طالب ، فانظر إلى قضية قوس حاجب ، فسترى ثمة العجائب .

وأما الثالثة فقد كانت المحافظة على الأجداد والآباء من أوجب الأشياء ، بل عندهم حفظ الانساب والاعراض سواء ، فلائذ الظاهر منهم أن حفظ الانساب للمحافظة على الأحساب ، وطلب الأصول لمن قعد بفرعه الخمول ، طلباً لشرف السابق ، كي يفتخر به اللاحق ، ودفعاً لعُهر الأمّهات المستلزم لخبائث الأحوال والصفات ، وتنزهاً عن مظنة تعدد الآباء والفجور ، الداعي لسقوط النسل إلى حضيض أقبح الأمور . وإلّا فَمَنْ قام به شرفُ الأحساب قعد عن التفكير بشرف الأنساب ، ومن ساعدته الجدود ، استغنى عن الآباء والجدود ، لأن طيب الحسب أدلّ دليل على طيب النسب ، وعَلِقَ<sup>(٢)</sup> النفوس إذا كان ما بين

(١) الحين : المنيّة .

(٢) العلق : النفيس من كلّ شيء ، وجمعه أعلق ، وسُمّي بذلك لأن القلب يتعلّق به .

نفيس وأنفس ، دل على نفاسة المغرس ، وطهارة الذات ، وحسن السيرة ، شاهدنا عدل على طهارة الآباء ، وكرم العشيرة . إلا أن اجتماع هذه الأمور ، نور على نور ، والفوز بطيب النجار<sup>(١)</sup> ، مع حسن الآثار ، أجمع لأطراف الفخار .

وحيث أن الله ضمّ لنا مع طيب الأخلاق طيب الأعراق ، ومع زكاوة النفس نقاوة الغرس ، ومع حسن السيرة كرم العشيرة ، ومع شواهد الآثار طهارة النجار ، أحببت أن أصدر هذه الرسالة بهذه المقدمة ذاكراً انتهاء (نسبنا) ، ومن ننسب إليه من مرضي أصحابنا ، لا مفتخراً بذكر قبيلته وذكره ، وإن كانوا :

بهايل في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أول

ولا متبجحاً بانتساب آبائي الى (فلان) و(فلان) ، وما شيدوا وأبانوا ، على أنه :

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى نوراً ، ومن فلق الصباح عموداً

لعلمي أن كل واحد من آبائي وأجدادي يُنشد وهو في قبره :

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسي فخرت لا بجودودي

كيف لا وأنت تعلم :

إنّ الذي سمك السماء بني لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول  
بيتاً به (موسى بن جعفر) مُحْتَبَى وأبو الفوارس (جعفر) لا (نهشل)

بل لأن حفظ شجرة الجرثومة ، عادة للغرب قديمة ، ولأن بعض الكفرة السحرة المقتولين على أيدينا بسيف الشريعة المُطَهَّرة<sup>(٢)</sup> ، قذفوا كل عالم في زمانهم من علماء الحق بنقيصة هي بهم أظهر وفيهم أليق ، (كاللواط) بالنسبة الى قوم ، و(الزندقة) الى آخرين من حجج الله على الخلق ، وحيث لم يجدوا فيمن عاصروه من (طائفتنا) إلا المتحلّي بكل فضيلة ، المنزّه عن كل رذيلة ، ألجأتهم الحيلة الى الخدش في نسبهم ورميهم بما هم أولى به ، حتى أراد الله أن يريح الخلق منه على يدي (حجته) ، وأحسن (الملعون) بإقبال منيته ، الحائلة بينه

(١) النجار : الأصل .

(٢) يقصد المؤلف بهذه العبارة الميرزا محمد بن عبد النبي الأخباري المولود سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٤م ، والمقتول في مدينة الكاظمية سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م . وهو جد أسرة آل جمال الدين العراقية . وكانت بينه وبين الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م خصومة اتخذت من الواجهة العقائدية مبرراً لها . وقد ظهر ذلك في تيار الحركة الاخبارية المناوئة لمؤسسة الفقهاء الاجتهادية (الأصولية) . أما مقتل الميرزا محمد الاخباري فقد كان خاضعاً لظروف سياسية مضطربة (ستأتي الإشارة إليها) .

وبين أمنيته ، من إضلال الناس وغوايتهم ، وإخفاض راية حزب الرحمن ، ورفع لواء حزب الشيطان ورايتهم ، فأخذ يستعمل شعبذته وسحره ، أخذاً لدفع النسبة بهذه الخرافات حذرّه ، فأبى الله إلا أن يُريّه حقيقة قول الشاعر :

إذا جاء (موسى) وألقى العصا . فقد بطلَ السحرُ والساحرُ

لا بل (الكفر) وال(كافر) ؛ فوقع القول على الذين ظلموا ، وخسر هنالك المبطلون ، وقُطع دابر القوم الذين كفروا والحمد لله رب العالمين .

ولكن حيث كان داء الحسد كداء الجرب في السريان ، إلا أن الأول مختص بوقوعه من (الأندال) على (الأعيان) ، طلباً لتلك المنزلة وهي بعيدة المرمى ، وسموياً بأنفس تهوي في حضيض الخمول مراتباً من (السماك)<sup>(١)</sup> أسمى ، انتدب فريق من أهل الحقد والضغائن ، التي كانت في قبور قلوبهم دفائن ، فتحاملوا على تلك السبيكة المصفاة ، وحاولوا أن تصدأ بنخبث تزويراتهم مرأة نورها ، وهيئات :

فَغَرَ الْعَدُوُّ يَرِيدُ ذِمَّ فَضَائِلِي هِيَهَاتَ أَلْجَمُ فَاكْ بِالْجَلْمُودِ

هذا مع سفور الحق وتبلجه ، وظهور الواقع وانكشاف مدرجه فما هم إلا :

كَضْرَائِرِ الْحَسَنَاءِ قُلْنَ لَوْجِهِيهَا حَسَدًا وَبَغِيًّا إِنَّهُ لَذَمِيمٌ

ما أمكنتهم فرصة إلا إنتهزوها ، ولا وثبة إلا اختلسوها ، ناكبين عن منهج الحق ، مائلين عن مدرج الصدق ، آخذين بقول مَنْ لم تكشف ذيلها عنه (حرّة) ولا (حرّ) ، والجامع بينهم وبينه الحسد والنفاق إن لم أقل العناد والكفر ، كل ذلك طلباً لغسل عارهم ، بقذف خيارهم ، ودفعاً لمقابحهم ووصماتهم ، برمي الغير بعاهاتهم ، إذ لم يجدوا ما يَغْطِيْ خمولهم سوى انتقاص الأشراف ، ولا ما يستر معاييبهم سوى إعابة محاسن الأوصاف ، ولا يُعْلي الزمان أشباههم ونظراءهم ، إلا أن يبخسوا الناس أشياءهم . ولعل الذي قتل أسلاف هذه الفرقة بسيف الشريعة الغراء أن يلحق بهم أجلاف الشيطان خلفهم تارة أخرى ، وإن كفاهم قاتلاً أن تضییع عَرَف<sup>(٢)</sup> فخرنا لا يزيده إلا نشرأ وإضاعة ، وتكسيد تجارة مجدنا لا تكسبها إلا ربحاً وبضاعة :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودٍ

(١) السماكان : نجمان نيران يُضْرَبُ بهما المثلُّ على الرفعة والسمو . وهما السماك الرامح في الشمال ، والسماك الأعزل في الجنوب .  
(٢) العَرَف : الطيب والعطر .



كَالْعُودِ تُحْرَقُهُ لِتُخْفِيَ طَيْبَهُ فَيَزِيدُ بِالْأَحْرَاقِ طَيْبُ الْعُودِ

فكم سعوا في هدم ما بناه لنا الغرّ وأبى الله تعالى إلا أن تشاد منه (القلاع) و(الحصون) ، وأرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يُتِمَّ نوره ولو كره المشركون<sup>(١)</sup> .

على أنه لا لوم على من نجم به جدّه ، وأطلعه في فلك العلياء سعده ، وسارت مع الركبان مآثره ، واشتهرت كالشمس في رابعة النهار نوادره وسرائره :

لا لومَ لي كم رمتَ كتمَ فضائلي فكأنما برّقتَ وجهَ نهارٍ  
ولنشرع في المقصود فإن هذه الفقرات والسطور ، كلها نفثة مصدور ، خارجة عن الغرض الأصلي ، وإنما الغرض أنني سمعت مراراً من شاهدته من مشايخنا عن مشايخهم من الطبقة الثانية (كمحمد) و(المهدي) عن مشايخهم من الطبقة الأولى (كعلي) و(الحسن) ابني (جعفر) كاشف الغطاء ، وسمعت كثيراً من شعبة (الحلّة) و(العدار) الثقات الأبرار ، وسمعت أيضاً من مشايخ آل (قاطع) الساكنين في (جناحية)<sup>(٢)</sup> الجديدة ، وهذا أمر بديهي لشيوعه وتواتره بين الناس من أهل ذلك الطرف وهو أن الشيخ (خضر) من العشيرة المعروفة بآل (علي) وهي طائفة كبيرة بعضهم الآن في نواحي (الشاميّة) ، وبعضهم في نواحي (الحلّة) من (المالك) وهم طوائف من سكان البوادي يرجعون إلى مالك الأشتر<sup>(٣)</sup> (رضوان الله عليه) بالنسب وهو شعارهم عند العرب ، وكان مبدؤهم من (الحلّة) والعدار لأن (مالكاً) و(إبراهيم) من (نخع) الكوفة ، وهما من مشاهير فرسانها وأعظم سكانها .

وكانت جبّانات (النخع) بالكوفة أعظم الجبانات واسعة كبيرة تتصل بسواد العراق المنتهي إلى (بابل) ، فبهذا التقريب تكون محال (النخع) حوالِي (الحلّة) وهي المنازل المعروفة اليوم (بالعدار) التي منها (جناحية) .

والحاصل أن سلسلة (مالك) و(إبراهيم) ما زالت في (الكوفة) ونواحيها حتى اليوم ، فإن

(١) نص الآية (٣٢) من سورة التوبة : «يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نَورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» .

(٢) جناحية : إحدى القرى الصغيرة الواقعة في ضواحي مدينة الحلّة . وكانت لأسلاف الشيخ خضر أراضٍ زراعية فيها .

(٣) مالك بن الحارث التّخعي الأشتر من أمراء العرب الشجعان ، سكن الكوفة ، وله نسل فيها . شهد يوم الجمل . و(صفين) مع الإمام علي (ع) وولاه عليّ مصر ، وكتب له (عهده) المشهور ، توفي عام ٣٧هـ / ٦٥٧م في مصر ودُفن في منطقة تسمى (بالألج) . وولده إبراهيم كان من أصحاب مصعب بن الزبير ، وقد وجهه لحرب عبد الملك بن مروان فقتل إبراهيم سنة ٧١هـ / ٦٩٠م ، ودُفن قرب مدينة سامراء ، وقبره مشيد عامر .

(إبراهيم) لما قُتِل تحت راية مصعب بن الزبير ، جلس بمكانه ولده (خولان) وتقلد أمر النخع ومن ينضم إليها ، ثم تقلدها بعده (حمدان) ولد (خولان) ، ثم تغيرت الأمور وصارت (الكوفة) تضمحل شيئاً فشيئاً وتفنئ يوماً فيوماً ، وجُعِلَتْ قبائلها تنتقل من منزل الى منزل ، وتحل بمكان دون مكان ؛ فلحق قوم (باليمن) وآخرون (بالحجاز) وبقيت في أطراف (الكوفة) شردمة يسيرة ومن جمعتها رجالٌ من (النخع) من أولاد مالك ؛ منهم أبو النجم الذي هو ابن حمدان بن خولان بن إبراهيم ، ومنه تشعبت قبائل (الموالك) ، وتسموا بهذا الاسم لاضمحلال (النخع) ، وتفرقهم .

وفي الأثناء جاء المزيدي<sup>(١)</sup> فعمّر (الحلة) وجهد في تحسينها وتحسينها حتى صارت من الأمصار العظيمة . ولم يمض عليها إلا يسير زمان حتى عادت معدن العلم ، والعلماء ، لا يصدرون إلا عنها ولا يردّ غيرهم إلا منها ، فكان بمن انتقل إليها الشيخ ورام<sup>(٢)</sup> الزاهد العابد المعروف ، وهو من آل (مالك) أيضاً ، فإنه ابن أبي فرّاس بن عيسى بن أبي النجم المتقدم .

ولم يزل الشيخ خضر معروفاً عند أعراب الحلة ونواحيها بأنه من آل مالك حتى ظهر ولده كاشف الغطاء ، واشتهر أمره وذاع ، وملاً البقاع والأصقاع ، فاشتهر بسعيه و(جده) ، وأنسى ذكر (أبيه) و(جده) ، واستغنى بشرفه ومجده ، بعدما كان ذاك مشهوراً عندهم متواتراً لديهم . وكانت الشعراء تذكر ذلك في مدائحه ومدائح بنيهِ ؛ فمن ذلك ما قاله الشيخ صالح التميمي<sup>(٣)</sup> (من أهل الحلة) يهنئ الشيخ محمد بن الشيخ الأكبر بزواجه بإمرأة من شيوخ آل (مالك) ورؤسائهم الذين كانوا في (الدغارة) ، وستأتي القصيدة في محلها ، ومحل الشاهد منها قوله :

رأى درّةً بيضاءً من آل (مالك) تضيئُ لغوّاص البحار ركوبِ

(١) هو سيف الدولة صدقة ابن بهاء الدولة المزيدي (٤٧٩ - ٥٠١ هـ / ١٠٨٧ - ١١٠٧ م) ، وقد شيد مدينة الحلة عام ٤٩٥ هـ / ١١٠٢ م . (ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٢٧) . وهو أحد أمراء (الأمارّة المزيديّة) التي تأسست نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على يد (المزيديين) الذين هم من القبائل العربية الشيعية التي حكمت المنطقة خلال سنة ٣٨٧ هـ / ٩٩٧ م حتى سنة ٥٥٨ هـ / ١١٦٢ م . وكان آخر من حكم من أمرائها علي بن ديس بن صدقة ، وبوفاته عام ٥٤٥ هـ / ١١٥٠ م انقضت الأمارّة المزيديّة في الحلة ، وأصبحت الحلة تابعة للحكم العباسي . وقد تزامنت هذه الأمارّة في نشأتها مع الحكم البويهي ، والحكم السلجوقي .

(٢) الأمير ورام من كبار الزهاد توفي سنة ٦٠٥ هـ / ١٢٠٦ م وله مزار معروف . قيل أنّه من الأكراد الجوانيين النازلين في الحلة مع بني أسد .

(٣) من كبار شعراء العراق في عصره ، له علاقة مع ولاية بغداد خصوصاً مع الوالي داود باشا الذي كان حكمه نهاية عصر المماليك في العراق سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م . ولد سنة ١١٩٠ هـ / ١٧٧٦ م ، وتوفي ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م .

ثم قال بعد أبيات كثيرة :

رأى أَنَّهُ أُولَىٰ بِهَا لِقَرَابَةٍ تَضَمُّهُمَا أَصْلًا لِّخَيْرِ نَجِيبٍ

وقال السيد النحرير ، والعالم البصير السيد صادق الفحام<sup>(١)</sup> ، الذي كان من العلماء الأعلام والشعراء العظام ، وهو من أساتيد الشيخ الأكبر كما في روضات الجنّات<sup>(٢)</sup> ، وله مِدْحٌ كثيرة ، ومراثٌ عديدة في هذه (الطائفة) ؛ فمن ذلك قصيدته التي يرثي بها الشيخ (حسين)<sup>(٣)</sup> بن الشيخ خضر - وكان أكبر من أخيه الشيخ (جعفر) وتُوفِي في زمانه (كما سيأتي قريباً إن شاء الله مع القصيدة بتمامها) - ومحل الشاهد منها قوله يخاطب الشيخ حسين ، ويندبه :

يا منتمي فخرًا الى (مالك) ما مالكي إلّاكَ في المعين

وأظنّكَ بعد هذا لا تحتاج إلى شاهد ، لما تعلم من عظمة هذا السيد الماجد ، فكلامه يكفيك في هذا المقام .

والحاصل أن تحقيق ذلك يطول ، وله بينات وبراهين مسلمة ، وقد أعرضنا عن ذكرها لكونها خارجة عن الغرض من هذه (الرسالة) ، ولكون الأمر أوضح وأجلى من أن يؤتى له بشاهد وبرهان :

وليسَ يَصِحُّ في الآفاق شيءٌ إذا احتاجَ النهارُ الى دليلٍ

فأما سالم العقيدة من داء النفاق والحسد ، فغير محتاج الى شاهد ومستند ، وأما من تمكّن مرض النفاق والحقّد من قلبه ، حتى حال بينه وبين ربه فلا يؤمن ولو جاءه (جبرئيل) بألف برهان ودليل . على أن أمر الانتساب قد ترك وهجر في هذا الزمان لأن الناس ترى أن من ينتسب الى أشرف الكونين محمد (ص) إذا لم تكن له مساع تقوم به مع نسبه لا يُرى له مزيد احتشام وارتفاع فكان الأصل هو الأول لأنهم يرون أيضاً من لا يعرف من أين ، وإلى أين ، وكان ذا جدّ على النّيرين ، فصارت الناس تجهد في تحسين مساعيها لتعلو فيها لعدم أثر لما عداها ؛ فمن ساعده الحظ والتوفيق نالت نفسه منها وإلا بقي في حضيض الخمول لا بهذا فاز ، ولا لهذا حاز ، فلا تقل إن كان الأمر كذلك من الانتساب الى (مالك) فلمَ لمْ

(١) فقيه ، مؤرخ ، شاعر ، وآل الفحام هم أحد فروع السادة (الأعرجية) . وُلِدَ سنة ١١٢٥هـ / ١٧٣٢م ، وتُوفِي سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٩١م .

(٢) الخوانساري ، محمد باقر ، روضات الجنّات في أحوال العلماء والسادات ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٣) تُوفِي الشيخ حسين بن الشيخ خضر عام ١١٩٣هـ / ١٧٧٩م .

يذكره الشيخ<sup>(١)</sup> في كتبه ورسائله خصوصاً في (رسالته) التي ردّ فيها على الأخباري، وكفره بها، فإننا سنذكر لك فيما سيأتي أن نسبتها إلى الشيخ غلط ووهم وهي مجموعة من كلام (الشيخ) على ذلك الأخباري، وليست من تأليفه، وأن (الملعون) لم يستند بدعواه إلى دليل، ولا تمسك بحجة، لا قوية ولا واهية، ولا صنع بذلك رسالة ولا جاء بينة وبرهان، والدعي كذاب، والكذاب لا يجاب. وحاشا، ثم كلاً أن يُدّنس الشيخ (جوهر) كلامه الطاهر، (بعرض) ذلك الخبيث الفاجر.

وبالجملة فحيث كان حساد المرء على قدر شرفه وكان (الشيخ) قد بلغ من الشرف محلاً يحسر الفكر عنه، كثر حاسدوه ومعاندوه ولم يجدوا سبيلاً إلى قذفه بشيء من الأحوال والصفات لتخليه بأحسنها وأعلاها، وتخليه عن أرذالها وأدناها، فجعلوا يرمونه بالأشياء البعيدة عن أذهان العوام لتكون سبباً إلى توهينه، فقال الأخباري إن الشيخ (أموي)، وقال ملا محمد<sup>(٢)</sup> - حاكم النجف سابقاً - (إن الوهابي أخوه)<sup>(٣)</sup>. وقد قتلها الله على أيدينا وهذا من أعجب الأشياء وأعظم الكرامات التي لا تكون إلا للأنبياء والأئمّة<sup>(٤)</sup>.

وسنذكر تفاصيل هذه الأمور، وعاقبة هؤلاء القوم، وسبب عداوتهم لهذه الطائفة المصفاة فيما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) يعني به الشيخ جعفر الكبير.

(٢) ملا محمد بن الملا محمود من أسرة (الملالي). قُتل سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م.

(٣) الوهابي يُقصد به الشيخ محمد بن عبد الوهاب مؤسس (الوهابية)، لما شاع من وجود علاقة بين الشيخ جعفر كاشف الغطاء، وبينه، فأنها كانت سبباً في الطعن على كاشف الغطاء من قبل بعض المناوئين له.

(٤) آل كاشف الغطاء بيت من بيوت آل علي من بني مالك، إحدى عشائر المنتفق الذين يرجعون إلى عامر بن صعصعة، وهم من العرب المضربة العدنانية وليس مالك الأشتر منهم، فهو نخعي يمانى من القبائل القحطانية. ذكر ذلك الاستاذ عباس العزاوي في «عشائر العراق»، ج٤، ص ١٤١، والسيد عبد الستار درويش الحسني فيما كتبه في «تصحيح الأوهام في أنساب الأعلام».

## الباب الأول

في ذكر أحوال الشيخ جعفر وأخوانه وأبيه ومن يمت إليه

أما :

أبوه :

فهو الشيخ خضر بن الشيخ يحيى : كان فقيهاً متبتلاً ، وزاهداً لا منحرفاً إلى الدنيا ولا في شهوتها منتقلاً ، هجرها هجر الجافي الملول ، وسلك فيها طريقة آل (الرسول) ، من الذل فيها لله والخمول ، لعلمه بارتحاله عنها ، وتعويضة وإبدالها منها ، فنظر لها بقلبه لا بعينه ، وانتظر يوم فراقه وبَّينه ، فلم يكن له بعد ذلك في نزعتها اشتغال ، ولا في شعاب مسالك التروُّسِ إيغال ، على أن أباه كان في بلدهم بدر فلکها ، وواسطة القلادة في سلكها ، وصدر المجلس من ملكها ، تُحلُّ في حرم بيته نجائب لرجاء حملها ، وتضع في رحب فنائه مطلقاً الآمال حملها ، فقذف الله نور المعرفة بقلبه ، حتى تغرب عن قشيب ربه وشعبه ، وعاف العز والشرف ، وألقى عصا التسيار في بعض زوايا (النجف) ، واشتغل في تحصيل العلوم اشتغال من أنهكتُه علة التقى ، وأهلكته الرغبة في الفناء ، والزهادة في البقاء ، فلم يكن له جهد بسوى الزهد ، ولا عادة إلاَّ العبادة ، ولا وظيفة غير الخيفة ، فلذلك لم يتضلع في العلوم ، تضلعاً معلوم .

والأصحُّ فيه عدم إستقامته في النجف مدة شاسعة ، حتى انتقل أبوه إلى رحمة الله الواسعة ، فأكثر الالتماس منه بعض أعيان أقاربه وذويه ، أن ينتقل إليهم فيجلس مجلس (أبيه) ، فلم يكن له بُدٌّ من الأجابة ، لمسيس الرحم والقراية ، فكان يقضي أيامه وأعوامه نصفها يتشرف بها في (النجف) ، ونصفها يُشرف بها محله ومقامه ، حتى أربى عمره على الستين سنة ، فتجرد لله كليةً ، وخلى وطنه ، فأغراه الشوق ، وحرَّكه إلى (الغري) تُقاه ، فسكن إليه وألقى به عصاه ، وعاد إلى ما كان عليه من التقديس ، حين قالت له النفس بالتفرُّس :

أَكْمَلْتُ فِي ذَا الْعَامِ سِتِينَ سَنَةً      مَرَّتْ وَمَا كَانَتْهَا إِلَّا سَنَةً  
لَمْ تَدْخَرْ فِيهَا سِوَى تَوْحِيدِهِ      وَغَيْرَ حُسْنِ الظَّنِّ فِيهِ حَسَنَةً  
مَا حَالُ مَنْ لَمْ يَتَعَصَّ بِزَاجِرٍ      وَفِي مِرَاعِي اللَّهْوِ أَرْخَى رَسَنَةً  
وَإِنْ شَرَّ النَّاسِ مَنْ طَالَتْ بِهِ      حَيَاتُهُ وَفَعَلَهُ مَا أَحْسَنَةً  
وَإِنَّمَا النَّاسُ نِيَامٌ مَنْ يَمُتْ      مِنْهُمْ أَزَالَ الْمَوْتُ عَنْهُ وَسَنَةً

فجعل يتصلع بعبادة ربه ، ويشتاق السكون إلى رحمته وقربه ، ويبرى قلبه من الذنوب ،  
ويمحو عن صحيفة نفسه درن العيوب ، مشتاقاً إلى رحمة مولاه ، طالباً الفوز برضاه ، قائلاً :

طُوبَى لِمَنْ طَيَّبَ أَوْقَاتَهُ      إِذَا نَأَى عَنْكُمْ بِمَعْنَاكُمْ  
وَإِنْ نَأَتْ عَنْ دَارِكُمْ دَارُهُ      دَاوَى الْحَشَى مِنْكُمْ بِذِكْرَاكُمْ  
وَإِنْ دَنَا عَطَّرَ أَرْدَانُهُ      بِمَا يَغْفِيظُ الْمِسْكَ رِيَاكُمْ  
كُلُّ فَوَادٍ بِكُمْ مُغْرَمٌ      وَكُلُّ مَنْ فِي الْكُونِ يَهْوَاكُمْ  
إِذَا حَبَبْتَهُمْ فِدَعُونِي أَمْتُ      فَإِنَّمَا مَحْيَايَ مَحْيَاكُمْ  
طُوبَى لِمَنْ أَنْسَتُمُوهُ بِكُمْ      فَهُوَ بَغِيبٌ يَتَرَاءَاكُمْ  
وَقَدْ سَكَنْتُمْ بِسُودَائِهِ      فَأَيْنَمَا وَجَّهَ يَلْقَاكُمْ  
رَفَقاً بِنِ صَارَ أَسِيراً لَكُمْ      أَمَّا تَرْقُونَ لِأَسْرَاكُمْ  
أَمَّا لَكُمْ فِي حَقِّهِ رَحْمَةٌ      يَرْحَمُنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ

وكان معظماً في نفس العلماء ، كبيراً في أعين العُظماء . وكان في أيام تروده إلى بلده  
إذا جاء إلى النجف يهدي إلى كُلِّ عالمٍ مكنسة ، وعُدَّة (بئر) ، فلما هجر وطنه بالكُتْلِيَّة أُخْبِرَ  
الشيخ حسين نجف بأنَّ الشيخ خضر هاجر إلى هذه البلدة . فقال : إِنَّا لِلَّهِ ، قد انقطعت  
(العُدَّة) .

ولقد نسب إليه ولده الصادق (جعفر) في رسالته الأيرانية المنسوبة له ؛ من الكرامات ما  
لا تكون إلا من الأولياء ، أو من هو أكبر ، كمُلاقاة صاحب الأمر (ع) ، والخضر (ع) ،  
وانفتاح بابي الحرمين ؛ حرم علي (ع) ، والحسين (ع) ، وكثيراً من أمثالها . وذكر أنَّ الناس  
كانت تزدهم على الصلاة خلفه وأن علماء ذلك العصر كالسيد العابد الزاهد العالم المشهور  
سيد هاشم الفحام<sup>(١)</sup> كانوا يقولون : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى وَجْهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى وَجْهِ

(١) هاشم الفحام الخطّاب : من كبار علماء عصره الزُّهَّاد : كان يحتطب من صحراء النجف ويبيع خطبه في

الشيخ (خضر). وعبارة الشيخ في (كشف الغطاء) في بحث التشهد بما يدل على عظمة قدره (رحمهما الله).

فما زال على تلك الطريقة من التهجّد ، وعلى ذلك المنوال من التعبّد ، حتى اشتاق ربه وجواره ، فقضى نحبّه بعدما قضى من الباقيات الصالحات أوطاره ، وانقلب إلى رحمة ربه وهو أصفى من سبائك الذهب ، وذلك في سنة الألف والمائة والثمانين تقريباً في رجب ، ودفن بالرواق المنور في الحجرة التي تحاذي الحجرة التي فيها قبر العلامة الأردبيلي<sup>(١)</sup> ، وهي اليوم خزانة الكتب و(القرائين) ، الموقوفة على حرم أمير المؤمنين ، وهذا بما يدل على حسن نية الرجل وصفاء سريرته . حدثني بهذا عمي العباس بن العلامة الحسن بن جعفر ، قال : «كنت أدخل مع أبي للزيارة وأنا صغير فإذا خرجنا عكف أبي على المكان الذي هو خلف قبر الأردبيلي فوقف هناك وقرأ الفاتحة وأمرني بذلك ، فسألته يوماً : لمن تقرأ يا أبا؟ فقال لجذك : فقلت : أو ليس قبر جدي بإزاء دارنا؟ فقال : نعم ، هذا جذك الخضر ، وذاك جذك جعفر» .

وكان الشيخ خضر محبوب الجانب ، كثير الأصدقاء في الله ، فلما توفي كثر الصراخ والعيول عليه لكثرة أحبائه وأولاده وأقربائه . فقال السيد صادق الفخام (رحمه الله) يرثيه بيتين أنشأهما في الحال ، وقيل كتبهما على الصخرة التي هي على القبر ، وهما :

يا قَبْرُ هَلْ أَنْتَ دَارَ مَنْ حَوَيْتَ وَمَنْ  
أُضْحَى بِكَ (الخضر) مَرْمُوساً وَمَنْ عَجَبٍ  
عليه حولك ضَجَّ البدو والخضر  
يموت قبل قيام القائم (الخضر)

وما قضى إلا وهو :

أبو النفر الغرّ الألى تركت لهم  
إذا ظمئت بيض الضبا في أكفهم  
لقد قرنوا بالنجدة العلم والتقى  
ففي الجدب يستسقى بفضلهم الحيا  
وما برحوا يحمون عن بيضة الهدى  
يردون جيش الشرك عنها بعزمهم  
عزائمهم في عزّة الدهر مبسما  
تحاشوا لها ورداً سوى مصدر الظما  
فأبدوا لهم طعمين شهداً وعلقما  
وفي الروع يستسقى ببيضهم الدما  
ويبنون من أركانها ما تهدما  
فيرجع مكسور اللواء مُحطّما

(البلد) ليستعين به على معيشتة حتى أصبحت هذه المهنة لقباً له . توفي سنة ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م . (معارف الرجال ، ج٣ ، ص ٢٥٤) .  
(١) هو الشيخ أحمد الأردبيلي المعروف بالمقدس الأردبيلي المتوفى سنة ٩٩٢هـ / ١٥٨٤م ، كان من أكابر فقهاء النجف في القرن العاشر الميلادي .

إذا عُرِضَتْ فِي جَانِبِ الدِّينِ زِيغَةٌ      أروها قذَى الأَجْفَانِ أَوْ تَتَقَوَّمَا  
إِلَى أَنْ أَعَادُوا الْأَرْضَ بِالْأَمْنِ كَعَبَّةً      حَرَاماً وَكُلَّ الدَّهْرِ شَهْراً مُحَرَّمَا

## إِخْوَانُهُ

وأما إخوانه الذين هم أولاد الشيخ (خضر) فالمعروفون المجتهدون أربعة أكبرهم :

الشيخ حسين : عالم مجتهد ، وفقه متفرد ، محبوب الحاشية والأطراف ، منقاد له الأعيان والأشراف ، ذو شرف عظيم ، وفضل جسيم ، وزهد رزين ، وعلم مبين ، وقد ذكره الشيخ عبد الرحيم البادكوبي في «نقد العلماء» بعنوان مستقل أطنب به غاية الأطناب ، وأعجب بتقاه غاية الأعجاب . وتوفي سنة ١١٩٦ هـ ، فقال السيد صادق الفحام رحمه الله يرثيه ، ويؤرخ عام وفاته ، ويعزي أخويه الشيخ محسن ، والشيخ جعفر بقصيدة غراء وهي :

يَا أَيُّهَا الزَّائِرُ قَبْراً حَوَى      مَنْ كَانَ لِلْعَلِيَاءِ إِنْسَانٌ عَيْنُ  
قَفٍّ نَاشِداً إِنْ كَانَ يُطْفِي الْجَوَى      نَشْدَانُ أَحْجَارِ هُنَاكَ انْطَوَيْنُ  
يَا قَبْرُ هَلْ تَدْرِي وَمَنْ لِي بَأْنُ      تَدْرِي وَلَكِنَّ الْمَعَالِي دَرَيْنُ  
مَنْ فِي ثَرَى رَمْسِكَ مِنْهُ انْطَوْتُ      مُحَاسِنُ تُشْرِنُ فِي الْخَافِقَيْنُ  
وَمَنْ عَلَيْهِ الْيَوْمَ لَمَّا قَضَى      نَحْباً جَلِيدَاتِ نَفُوسٍ قَضَيْنُ  
وَأَيُّ آيَاتِ مِنَ الْفَضْلِ فِي      تُرْبِكَ مِنْ بَعْدِ الْوُضُوحِ انْمَحَيْنُ  
وَأَيُّ أَفْنَانٍ مِنَ الْعِلْمِ مِنْ      بَعْدِ بَسُوقٍ وَاخْضِرَارِ دَوَيْنُ  
قَدْ طَالَمَا أَجْنَيْتَنَا يَا نَعَاً      لَذُنَا وَالْيَوْمَ لَا يُجْتَنَيْنُ  
وَهَلْ تَبَيَّنْتَ وَمَا أَنْ أَرَى      عِنْدَكَ تَبْيَانُ أُمُورِ جَرَيْنُ  
أَيُّ جُيُوبٍ بِالْأَسَى مُزَقَّتْ      فَوْقَكَ أَمْ أَيْ جَفُونِ دَرَيْنُ  
وَأَيُّ رِبَاتٍ خُودُورٍ مِنَ الـ      حُجْبِ عَلَى أَعْجَالِ الْهَنْ إِنْكَفَيْنُ  
خَوَاسِراً بُحّاً مِنَ النَّدْبِ يَبِ      كَيْنَ لَنْدَبِ فَقْدُهُ غَيْرَ هَيْنُ  
نَشْرِنُ مِنْهُمْ شَعُوراً عَلَى      غَيْرِ شَعُورِ لُصَابِ (الْحُسَيْنِ)  
وَأَدْمَعاً حُمَراً يَصْعَدْنَهَا      مِنْ دَمِ أَفْلَادِ كُيُودِ فَرَيْنُ  
يَا قَبْرُ، مَا بِكَ لَمْ تَسْتَنْرُ      أَرْجَاؤُكَ الْجَوْنُ لَذِي نَاطِرَيْنُ



حتى افتقدنا أحدَ النيرانِ  
 خصب مراداً مرمع الجانبين  
 أصبحت لا تلوي على الرائد  
 تعجبي من الليالي قضين  
 جنباك جنبي (يدبل) أو (خنين)  
 عم ضياه الغرب والمشرقين  
 كان بعيد القعر والساحلين  
 للقدر المنزل معطى اليدين  
 في رمسك الدائر مستوطنين  
 خد بكاه الخد والوجنتين  
 ما مالكي إلاك في المعنيين  
 يقول في حقك من غير مين  
 غرو فأنني أحد الوالدين  
 فلم تغب عن خاطري لحظ عين  
 ذكراً وفكراً فيك لي مؤنس  
 يرجع عنك الوفد بالجدوين  
 قد عرفوا عادوا (بخفي حنين)  
 لولا التعزي عنك (بالجعفرين)  
 بدرين في أفق العلى طالعين  
 فإن تشأ فادعهما (المحسنين)  
 قبلك بدرأ يعقب الفرقدين  
 يغنيك عن نوء من المزمين  
 فابتدر الدمع من المقلتين  
 (تنسى الرزايا دون رزء الحسين)

أليس قد أوطنت بدر الهدى  
 يا قبر ، ما بالك لم تضحى لل  
 أليس فيك الغيث أرسى فلم  
 لا ينتهي اليوم إلى غاية  
 كيف على ضيق المجال احتوى  
 وكيف وارت الهلال الذي  
 وكيف غيبت الخضم الذي  
 أصبح فيك العز مستسلماً  
 والشرف السامي ومحض الثقى  
 يا صاحب القبر دُعَا ثاكل  
 يا مُنتمى فخراً إلى (مالك)  
 يا ساكن الرمس دُعَا صادق  
 قد كنت لي برأ رؤوفاً ولا  
 إن كنت قد غيبت تحت الثرى  
 أوحشتني مرأى ولكن لي  
 أبكيك للجدوى وبذل القرى  
 واليوم إن أموا حماك الذي  
 أحرى بأن أقضي نحبي أسي  
 خلفت يا بدر لنا سلوة  
 ذا (جعفر) فينا وذا (محسن)  
 وفرقدي مجد ، وما خلت من  
 سقاك من صوب الرضا هاطل  
 نعاك ناعيك بفيه الثرى  
 فقلت لما أن نعى أرخوا

وهذه القصيدة تكفيك في بيان عظمة هذا الرجل وشرفه خصوصاً كونها من مثل السيد  
 (صادق) ، العظيم القدر ، القديم الفخر .

وله أولاد كثيرون ، والعقبُ من الشيخ (عيسى) الذي هو أب الشيخ مُحَمَّد الذي هو أب الشيخ محسن<sup>(١)</sup> الشاعر المُفَلِّق ، وصاحب الشرف المُحَلَّق ، كان معظماً عند الأعيان ، جليساً للأشراف ، للطافة طبعه ورقة حواشيه التي تُغني عن السَّلاف ، تُوفيَ قبل خمس سنين أو سبع فجأةً وهو يمشي في الطريق في تشييع (جنازة) بلا سبب سوى أنه كان يُماشي في الطريق بعض الأجلاء ، وينقل له لطائف ونوادر ويضحك ضحكاً كثيراً فسقط في الأثناء .

وسمعتُ من كان يماشيه أنه قال له خَفِّظْ عليك فقد أفرطتَ ، وهذه أماننا جنازة ولا نعلم ما يؤول إليه حالنا ؛ فلم ينفع واستمر على ضحكته حتى وقع من بين أيدينا ، وهو على تلك الحالة . فسبحان الله ما أبهر قدرته ، وأعظم حكمته . وكان الشيخ محسن هذا مختصاً ببني عمِّه آل الشيخ جعفر قاصراً أغلب أشعاره مدائحاً ومراثياً عليهم وعلى من يتعلق بهم . وسيأتي عليك من غرره ما يبهر الأسماع ، ويسحر الطباع . فيا رحمة الله تغمديه ، ويا رضوانه راوح جسده الطيب وغاديه .

والجماعة (الملقبون) كلهم من الشيخ عيسى . ومن ولده الشيخ مهدي نوَيْر ، ومن ولده أيضاً الشيخ مُحَمَّد آل الشيخ محمود (الموجود في زماننا هذا) ، وله ولدان ظريفان .

الثاني من أولاد الشيخ خضر ، الشيخ المحقق المجتهد المتبحر ، الشيخ محسن كان من تلامذة أخيه الشيخ (جعفر) وتُوفيَ بعده فرثاه السيد صادق الفحام (رحمه الله) - الراثي أخيه المتقدم - بقصيدة غراء رائية أولها :

هي لوعةٌ تحتَ الضلوعِ زفيرُها      هل كيفَ يُطْفئُ بالدموعِ سعيَها  
إلى أن يقول :

ظعنْتُ (بُحسِنها) المِطلَّ على الورى      إحسانه فتطوَّقْتُهُ نُحورُها

وهي طويلة حسنة التأليف والأسلوب جداً ، وتنبئ عن عظمة مرثيها ، وقد أتينا على جميعها في ترجمة الشيخ (موسى) لتضمنها أخيراً ، مدحاً له كثيراً ، ويعزِّيه فيها هو وابنه الشيخ (مُحَمَّد) الذي هو أب الشيخ النحرير ، والمحقق الذي لم يأت الدهر له بنظير ، المحيط غاية الأحاطة بالفروع والأصول ، والجامع بين المعقول والمنقول ، الشيخ راضي<sup>(٢)</sup> المشهور ، وهو

(١) الشيخ محسن الحضري بن الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ موسى بن الشيخ عيسى بن الشيخ حسين من كبار شعراء عصره ، ولد سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وتُوفيَ أوائل شهر صفر سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م . ونشر ديوانه الشيخ عبد الغني الحضري سنة ١٩٤٥م .

(٢) الشيخ راضي بن الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ محسن (هو جد الأسرة المعروفة بآل الشيخ راضي) من الفقهاء المتميزين بالعلم ، تُوفيَ سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٥م وأعقبَ سبعة أولاد .

ابن بنت الشيخ الكبير ، وكان كُلّ تلمّذه على خاله الشيخ حسن بن الشيخ الكبير ، وتُوفي هو والشيخ مهدي في سنة واحدة وكانا بمنزلة الأخوين ، بلّ أشدّ إلفة وإخاء (رحمهما الله جميعاً) . وسيأتي في باب (الأصهار) باقي أخباره .

وعقبه الثالث من أولاد الشيخ خضر الشيخ مُحمّد ، تُوفي عن الشيخ عليوي وله ولدان الشيخ (محسن) والشيخ (مُحمّد) ، ومنه الشيخ (حسن) الذي كان في طهران ، والآن في نواحي (الحلة) ، وله عدة أولاد<sup>(١)</sup> حفظه الله وإياهم .

والحاصل أن ذرية الشيخ خضر لا تُحصى ولا تُستقصى<sup>(٢)</sup> ، قدّ ملأوا البقاع والأصقاع ، فطرف منهم في (النجف) وآخر في الدهلة ، ومثله في (العذار) و(الحلة) ، أمّد الله بسلسلتهم مدى الأبد .

### في أحوال الشيخ جعفر كاشف الغطاء

الرابع من أولاده الأكسير الأكبر ، والكبريت الأحمر ، والسرّ المضمّر ، شيخ المشايخ وأستاذ الكل الشيخ جعفر الأكبر .

كُلّ فكر قاصر عن إدراك كنهه وذاته ، وكلّ طالب خاسر من احصاء بعض سجاياء وصفاته ، فكم استنهضتُ (فارس) القريحة في حلبة الطروس ، واستطردتُ (جواد) القلم ، للاقدام على أداء ما يجب من بيان علو قدره ، فاسترجع كُلّ منهما وأحجم ، وكم أجريتُ طرف الفكرة ، لاقتناص بعض الشوارد الغرر مما استجمعتُ تلك (الحضرة) ، فاستوقف دون الوصول وكبا ، واستعملت سيف البلاغة والبيان للافصاح عن بعض تلك السجاياء الحسان فتكهّم<sup>(٣)</sup> دون الحصول ونبا ، فوقفتُ وقوف العيّ الشحيح ، وأنا والحمد لله نجّله الفصيح ، نعم ومن لي بإدراك كنه (حُجّة) من حجج الله ، وآية من آياته ، وخزانة من خزائن علمه أودع فيها خفائا أسرارهِ ومكنوناتهِ ، وحمّله ثقل شرائع أنبيائه ، فخف به ناهضاً بأعبائه ، حتى رفع ما انطمس ، وجدد منها ما درس ، فأصبحت به وهي مشيدة البناء ، مأهولة

(١) منهم الشيخ جواد بن الشيخ حسن آل شيخ عليوي ، وكان قدّ أقام في النجف فترة ثم رجع إلى منطقة (جناحة) ، تُوفي في شهر صفر عام ١٣٧٢هـ / ١٩٥٣م .

(٢) تشكّلت من أولاد الشيخ (خضر) عوائل مهمة غلبَ على رجالها محافظتهم على الخط الروحاني ، حيث أصبح الشيخ جعفر جدّاً لأسرة آل كاشف الغطاء ، والشيخ محسن جدّاً لأسرة آل الشيخ راضي ، والشيخ حسين جدّاً لأسرة آل (الخضري) ، والشيخ مُحمّد جدّاً لأسرة الشيخ عليوي .

(٣) يُقال كَهَمَّتُهُ الشدائد أي جَبَنَتْهُ عن الاقدام .

الفناء ، عبقة الأرجاء ، ظليلة الأفياء ، محكمة المباني ، غضة المجاني ، يطيش سهم راميتها ، ويهتدي إلى أوضح السبل من أخذ بها وسلك ما فيها ، بعد ما بذل مهجته في ذلك ، وسلك بها في جميع شعوب الأرض والمسالك ، لينتشر الحق والعدل ، في كل حزن وسهل :

بعيدُ مناط العزم فالغربُ مشرقُ      إذا ما سعى في الله والشرقُ مغربُ

إلى أن انتشر في جميع فجاج الأرض والسماء صيته بالفخار وذكره ، وعبق كل الآفاق طاوياً فضيلة سائر أولي الفضل نشره ، فماذا عسى أن يبلغ (المطري) فيه ، وبماذا يأتي من مكارمه ومسايعه ، فنحن أخرى بنا وأجدر ، أن نقول في ترصيف ذلك الجوهر :

قُدسي ذاتك ما إليه سبيلُ      وصفاتُ مجدك ما لهنَّ وصولُ  
وبلغت غايات العلوم علماً فما      يدري بليغ فيك كيف يقولُ  
لكنَّ مجدك قال للمطري به      قولاً جميلاً فيك وهو جليلُ  
عظمُ وبجلُّ ما استطعت ليكتسي      شرفاً به التعظيمُ والتبجيلُ

وحيث أن فضله وشرفه كالشمس في رابعة النهار ، وما رزقه الله من الذكر الجميل في سائر الأقطار ، كما هو أهله (كأنه علّم في رأسه نار) ، وإنما قول القائل فيه عيلم علامة :

ضربُ الزجاج لنور الله في المثلِ

إذ حاشى مساعيه أن تكتسب بزرج الألفاظ حشمة وفخامة :

والشمسُ تكبرُ عن حلي وعن حللِ

فلننتقل الى ما يجب علينا ذكره من كراماته ، وحكاياته في أسفاره وأحضاره ، وما قال ، وما قيل فيه من تهانيه ومراثيه .

والسلام في استيفاء هذا المقام يقع في فصول .

## الفصل الأول

### في كراماته

ما خفي منها وصح، وما اشتهر، وحكاياته الظريفة سفرأ وحضر، مقتصرأ فيه على ما ذكر ما هو كالتواتر صحة وشهرة، أو كالمقطوع به لصدوره من ذوي الاطلاع وأهل الخبرة، كمشايننا سلفأ وخلف، أو بعض المختصين ممن بهم يعرف، لحصول الوثوق والاطمئنان بل اليقين بعدم الافتراء، وكيف لا يحصل ذلك وصاحب الدار أدري بالذي فيها .

ولكن حيث ان كراماته كثرت فاشتهرت، وسعدت فبعدت، وتداولتها ألسن الصغار والكبار، في جميع الأقطار فربما يوجد فيها ما ليس له أصل، أو يخلط معها ما لم تكن له، اشتباهاً أو تعمدأ، ولكنني بحمد الله قد انتقدتها ولا انتقاء الصيرف، وأتيتك بخالصها وقذفت المزيف، وأخذت اللب والصفو، ورميت الحشو واللغو .

وقد التزمت أن لا أذكر في هذه الرسالة شيئاً إلا عن مستند قوي، وهو إمأ كتاب معروف، مطبوع أو مألوف، وأمأ رجل موثوق به أرى كل من رآه أو عرفه .

وأنا أذكر لك كلا منهما أولاً ثم أرمز لكل واحد برمز أكتفي به عند الحاجة .

أمأ الكتب فمنها تأليف العالم المجتهد المحقق المنفرد، صاحب التصانيف الكثيرة، والأجازات الخطيرة، الشيخ ميرزا محمد التنكابني<sup>(١)</sup> وهو رجل من الطاعنين في السن توفي قريباً من عصرنا، وله من العمر ما ينيف على التسعين، وقد حضر درس الشيخ حسن، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، والسيد إبراهيم القزويني صاحب الضوابط وغيرهم من العلماء، وهو مجاز من أغلبهم كما في ترجمته . وذكر أن له ثلاثمائة تصنيف، وقد رأيت بعضها فكانت تدل على سعة اطلاعه، وطول بابه في المعقول والمنقول بقدر ما أميز، وان كانت (سألة بانتقاء الموضوع) .

فمن تصانيفه كتابه المسمى بـ (قصص العلماء)، وهو جيد في بسط أحوالهم جداً، وإن

(١) الميرزا محمد بن الشيخ سليمان توفي سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م .

كان فيه خلطٌ عند بعض المقامات ، فلذا يسمّيه بعض فضلاء العصر (فضائح العلماء) ، ولكنه قد بسط القول في أحوال الشيخ الكبير وكراماته بمقدار كراسين ، وأطنب في فضله وعظمته غايةً ونهايةً ، (وسنذكر نصّ ذلك في محله) ، وهو مطبوع بطبعين ؛ هندي وإيراني ، ونرمز عنه (قص) .

ومنها كتاب (معدن الشرف في أحوال المشاهير من علماء النجف) ، وهو للسيد التحرير والمطلع الخبير ، والمؤرخ البصير ، السيد حسّون البراقي<sup>(١)</sup> (سَلَّمه الله وأبقاه) ، وهو من المعاصرين ، وله شوق ورغبة شديدة في هذا الفن خصوصاً في أحوال العلماء وكراماتهم ولا أظنّ أنّ له نظيراً في العرب بهذا العلم ، فيا وفقه الله لذلك وأدامه ، جامعاً شتات هاتيك المفاخر السوامك ، وأرمز عن كتابه (مع) ، وربما أذكر نص عبارته لأنّي ظفرتُ بمسودة كتابه ، ولم تكن مهذّبة بل أخذتُ المعنى ، وأكسوه ألفاظاً رشيقة ، ومباني هي به حقيقة .

ومنها : كتاب (روضات الجنّات) للسيد محمد باقر الأصفهاني<sup>(٢)</sup> تأليف عظيم ، غنيّ عن التعريض والتفخيم ، وإن كانت سقطاته لا تخصي كما لا تخفى على من نظر فيه ، ولولا خوف الاسهاب لأشرنا على جملة منها ، ولكن (جلّ من لا عيب فيه وعلا) ، ونرمز عن كتابه (رو) .

ومنها : كتاب (نقد العلماء) للشيخ عبد الرحيم البادكوبي ، ونرمز عنه (نق) . وهناك كتب أخر لم نجعل لها رمزاً لعدم تكرار النقل عنها .

وأما الرجال الذين أروي عنهم بلا واسطة فهم عدة ، ولكن أكثر ما أروي عن عمّي وسيدي العالمين العاملين الجليلين العظيمين الغنيين عن التعريف ، والرفيعين عن الترصيف والتوصيف ، علّمني المجد وعلامتي الزمن ، العباسين نجلي علي<sup>(٣)</sup> والحسن<sup>(٤)</sup> قدّس الله أرواح آبائهم ، وأدام حياة آبائهم ببقائهم ، أمين عن محمد<sup>(٥)</sup> وأخيه المهدي<sup>(٦)</sup> ، عن عمّهما

(١) سيد حسّون البراقي ولد سنة ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م ، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٤م . له مؤلفات تاريخية غزيرة ، لم يطبع منها إلا النزر القليل . وكتابه (معدن الشرف في أحوال المشاهير من علماء النجف) في عداد المفقودات .

(٢) السيد محمد باقر الأصفهاني الخوانساري ولد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وتوفي سنة ١٣١٣هـ / ١٨٩٥م .  
(٣) الشيخ عباس بن الشيخ علي كاشف الغطاء ، ولد سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م ، وتوفي سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م .  
(٤) الشيخ عباس بن الشيخ حسن كاشف الغطاء ، ولد سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وتوفي سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م .  
(٥) الشيخ محمد بن الشيخ علي كاشف الغطاء ، توفي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م .  
(٦) الشيخ مهدي بن الشيخ علي كاشف الغطاء ، ولد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وتوفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .

الحسن<sup>(١)</sup> عن أبيهما علي<sup>(٢)</sup> عن أخيهما موسى<sup>(٣)</sup> بن جعفر، وأبيهما الشيخ الأكبر، وأعبر عن هذا بالسند العالي لعلو درجته بارتفاع قدر سلسلته .

وربما يُحدثاني بوقائع هم شاهدوها ، وقد أنافا اليوم على الستين .

ثم عن التقي الزاهد العابد الشيخ مناع النجفي ، وكان من عباد الله الصالحين الملازمين لخدمة العلماء والسعي في مصالحهم ، وكان طاعناً في السن ، وتوفي قبل هذا بسنة ، وهو مناهز المائة . وقد تشرف بصحبة أغلب مشايخنا . ومن من الله عليه لحسن نيته وصحبته لأوليائه أنه مدة عمره لم يسقط له ضرر ، ولم تعم له عين ، ولم يُحن له ظهر ولم تُصبه عاهة ولا آفة بجميع أنواعها حتى قبضه الله إليه . وكثيراً ما أروي عنه مُرسلاً أو مُسنداً لشدة الاطمئنان به خصوصاً في آخر أمره ، وعند انقضاء عمره . وكثيراً ما أسمع الواقعة عن كثيرين فأسندها الى الشهرة ، وإذا نسبت شيئاً إلى (القليل) أو (يقال) فهو علامة عدم الثبوت والاطمئنان بالصحة .

والحاصل إننا لم نأل جهداً في نقل الصحيح المُتيقن بوثوقه ، ونحن نسأل الله التوفيق والعفو عن الزلل والخطأ ، ومن الناظر الغض عن الخطل والكبوة .

### سيرة الشيخ

ولنذكر أولاً هنا سيرة الشيخ في ليله ونهاره ، ليقتمدى بها مَنْ أراد الوصول الى تلك المراتب مع اخلاص النية ، وإصلاح السريرة ، (وعند الله غيب السماوات والأرض) .

كان قدس الله نفسه ، وطيب رमسه يأتي بعد صلاة المغربين الى داره العامرة فيقرب له العشاء مع أولاده وعائلته فيتناولون منه قدر الكفاية حتى إذا فرغوا جلسوا ريثما يحل العاقد حبوته ثم يقوم كل منهم فيدخل حجرته فيشتغلون بالمطالعة حتى يمضي من الليل ثلثه ، ثم يقوم كل فيأخذ مضجعه ، والتقوى معه حتى إذا ولّى الليل بثلثيه ، وهذأت الأصوات ، وهجعت العيون انتبه الشيخ ، وكأنما نشط من عقال :

وإذا حلت الهداية قلباً نشطت للعبادة الأعضاء

ثم أسبغ الوضوء ، واشتغل بصلاة الليل ، ثم ناجى فأطال ، وبكى واستقال ، حتى بدت

(١) الشيخ حسر: بن الشيخ جعفر الكبير ، ولد سنة ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م ، وتوفي سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م .

(٢) الشيخ علي بن الشيخ الكبير ، توفي سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م .

(٣) الشيخ موسى بن الشيخ الكبير ، توفي سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م .

طلّائع الفجر وراياته ، وذهبت بالليل إلا كحلبة شاة ساعاته ، قام الشيخ فأيقظ كل واحد من بنيّه لأداء صلاة الليل والتهجد فيه ، حتى اذا أكملوها أحاطوا بعميدهم وأبيهم ، فجعل يوعظهم ويذكرهم حسن صنيع الله فيه وفيهم ، فمن بعض ما كان يقول الكلمات المشهورة : «كنت جعيفاً ثم جعفرأ ثم شيخ جعفر ، ثم الشيخ ، ثم رئيس الأسلام» .

حتى اذا استطرد الصبح جيش الدجى وأذهب ، وألقى الفجر في الأفق ترسه المذهب ، خرج الشيخ الى حجرة درسه الكبيرة الواقعة في الدار الخارجة والجماعة قد استكملت صفوفهم فوق هنالك ورفع صوته الجمهوري فكبر الله سبحانه وتعالى حتى خشعت القلوب وذرفت العيون .

يقول الراوي : أما وأيم الله الجليل لقد كانت قلوبنا تنشق حتى تمتلئ بالهداية . ثم اذا أكمل صلاته سنة وفرضاً جلس للتعقيب ريثما تطلع الشمس وتنتشر في الجوّ وحينئذ تأتي الطلبة أفواجاً أفواجاً ، وجماعةً جماعةً من مبتدئ محصل ، وعالم الى غايتها متوصل ، وآخر بينهما مراهق حتى اذا استكمل جمعهم ، واجتمع جمهم ، رقى منبر التدريس ، ونثر عليهم لآلى ألفاظ تحتها من خزائن علم الله كل معنى نفيس :

وما خلقت إلا لجلود أكفهم وأرجلهم إلا لأعواد منبر

حتى اذا كمل واستوفى ، خرج وصحبه حاقون به :

كأنهم نجوم حول بدر تكمل في الأناة واستدارا

قاصداً زيارة موله ، حتى اذا تشرف بأعباه أطال العكوف على مثواه ، وقبل الظهر بقليل بادر الى المسجد الهندي ، (وهو جامع البلد) ، فصلّى جامعة ، ثم أتى داره للعداء حتى اذا فرغ راجع بعض ما ينبغي مراجعته من الكتب والأقوال ، وانتهاز من النوم قليلاً كلوث خمراً ، أو كحل عقال ، حتى اذا صار العصر تقدّم بأولاده خارجاً الى فضاء كان أمام المسجد الهندي يسمّى الآن به (الطمة) ولم يكن فيه تعمير كالיום ، ثم اذا جلس حفّت به قومه وأولاده ، (كبدر هدى حفّت به الأنجم الزهر) ، أتت الوفاة والزائرون من كل فج ، وهم بين مقبل يديه ، وآخر واقع على قدميه :

لولا ندى كفه قلنا لكثرة ما يقبل الناس منها انها (الحجر)

وكانت تسمّى تلك البقعة به (دكة القضاء) ، لأن الشيخ كان اذا جلس بها عصراً أتى كل متداعين فيقضيهما ، وهو جالس هناك حتى اذا جاءت الفحمة من المغرب دخل



المسجد المذكور للصلاة . هذا ديدنه عامّة أيامه .

وكان الشيخ حسين نجف يصليّ في داره ، وقيل في الحرم ، والسيد الطباطبائي في مسجد الطوسي ، ولم تكن الصلاة في الصحن معروفة قبل ، وما أدري ما الذي صيّرهما بحيث يمتنع الاستطراق فيه مغرباً لكثرة (الجمائع) .

ثم توجه الشيخ الى الحجّ فجعل الشيخ حسين يصليّ بمكانه فلماً رجع إلى محله أجمع العلماء كالسيد الطباطبائي ، والشيخ حسين نجف ، والشيخ جعفر ، وأمثال هؤلاء على أن يوزّعوا أمر التدريس والفتوى والجماعة على المبرزين من علماء ذلك العصر . فجعلوا المنبر لنائب إمام العصر حجّة الله المهدي ، عليه رحمة المعيد المبدي ، لكونه الأهم ، فأعطي للأعظم ، فلم يكن يرقى منبراً في زمانه سواه ، وجعلوا أمر التقليد في سائر الأمصار الى وكيل الامام الأكبر الصادق جعفر لعلمهم بأنّه :

عليم بغيب الوحي حتى كأنّه      بمختلسات الظنّ يسمع أو يرى  
إذا أخذ القرطاس خلت يمينه      تُصحح نوراً أو تُنظّم جوهرأ

فلم يكن عالمٌ مُقلداً في الفرقة المحقة غيره (قدّس سرّه) ، وجعل الأئتمام بالناس لزين العابدين في زمانه ، وقدوة الساجدين من أقرانه الشيخ حسين نجف . فلم يكن سواه إماماً في جميع تلك البلد ، وكان العلماء جميعاً حتى السيد والشيخ يصلّيان خلفه أغلب الأوقات . ثمّ لما تُوفي السيد صار المنبر منحصراً للشيخ ، كذا في (معدن الشرف) ، وأزاد أنّ السيد كان يأمر أهله وعياله بتقليد الشيخ الأكبر .

وأما كراماته فهي أكثر من أن تُحصّر ، وأقصى من أن تُحصى . منها : ما أرويه بالسند العالي عن المرأة الصالحة والدة محمّد والمهدي أنّها كانت تقول إنّ عبادة الشيخ على قسمين ؛ تارة فعلاً ، وأخرى قولاً ، فطوراً يناجي ويدعو ويصليّ ، ومرة يجول بنفسه على الأرض ويبكي ويتضرّع . وكنتُ في بعض ليالي الصيف نائمة في السطح ، والى جنبي محمّد (وكان رضيعاً) ، وكان الشيخ في الطرف الآخر من السطح وبينه خمسة عشر ذراع أو أزيد ، وكان يُحيي أغلب ليالي الصيف لقصورها عن مطالعته ، وتمام أوراده فلماً كان الثلث الأخير من الليل أخذ في البكاء والمناجاة سرّاً وجهراً وتضرّعاً وخيفة ، وهو يعفّر جسده الشريف في تراب السطح ويكرّر قوله : «يا جعفر ، يا جعفر ، يا قليل الحياء ، يا كثير الشقاء» ، وأمثال ذلك حتى انتبهتُ عليه من بكائه وصوته وهو على تلك الحال . فبقيتُ في فراشي مستلقية فبينما أنا كذلك إذ سمعته يقول ، وهو يتقلّب على الأرض بنفسه

بصوت ضعيف : «من يأتيني بماء ، مَنْ يسقيني شربة ماء - كررها مراراً - ، وكان على شرافات السطح أكواز ماء ، فقامتُ لأناوله بعضها ، فلم يُعد الشيخ كلامه بل انكفاً على وجهه يسبح الله ويقدّسه فقلتُ في نفسي ، لعلمنا وهمني سمعي ، وأكذبني حسبي فلاقطعنُ الشك باليقين أو لأعودنُ ببرهانٍ مُبين ، فتقدّمتُ قريباً منه ، ومنعتني هيئته عن الأقدام عليه :

وَمَنْ ذَا يَرِدُّ السيف وهو مهتدٌ وَمَنْ ذَا يثير اللّيث ، واللّيث ملبدٌ

فوقفتُ ببني وبينه خطوات فقلتُ يا أبا موسى أتيتك بالماء؟ فرفع رأسه فزعاً مرعوباً وقال ما الذي أيقضك في هذا الليل وعلامٌ أتيت ، ارجعي فاهجعي ولا تعودني لمثلها . تقول : قضيتُ وعلمتُ أنّه سرّ رباني ، ومعنى عرفاني ، بين محبٍّ وحبيب ، كرها أن يظهر عليه واشٍ ورقيب :

إذا أنتَ أخلصتَ المحبّة والهوى تملكُ سرّ الكائنات بأسرها

ومنها : ما في (قصص العلماء) ، ونصُّ ترجمته : أنّه نقل لي بعض أصدقائي الذين أعتمد عليهم غاية الأعماد في الوثاقة أنّه قال : كان لي عمٌّ كثير المال والثروة فابتلي بمرض (العين) عدّة سنين ، وكلّما ازداد في مباشرة الأطباء والجراحين لم تزد إلاّ نزولاً ، حتى بذل عليها مالاً جزيلاً ، وكان يجلس في مجالس الطلبة من مشغلي بلده فسمع ذكر الشيخ الكبير بينهم ، فسألهم أين هو الآن فقالوا في (لاهبان) فشدّ الرحل والاقتاب ، حتى تشرّف بأعتاب ذلك الجنب فمثل بين يديه وهو على متن راحلته عازم على الرحيل من تلك البلد فقبل يديه ، وعرض له أمر عينيه ، فادعو الله أن يردّ عليّ النور ، فمسح الشيخ بكفه المباركة من ماء فمه على عيني ذلك الضير ، ورفع يديه بالدعاء وما ردّهما حتى ارتدّ الرجل بصيراً .

### استسقاء الشيخ للأعراب ونزول الغيث

ومن كراماته المعجزات التي كادت أن تكون لنبوّة علومه آيات ، القصة المشهورة التي جازت حدّ التواتر والشهرة وهي مستفيضة على ألسن الناس ، ورواها في (معدن الشرف) عن عدّة من رجاله الثقات ، ورويتها أيضاً بالسند العالي ، وهي : ان الشيخ عزم في بعض السنوات على زيارة الكاظمين ، وكانت سنة قحط كثيرة الضر قليلة الخير ، قد حبست الأرض ماءها ، ومنعت السماء أنواءها ، فبينا الشيخ في أثناء الطريق ، تهافت عليه أعراب

البوادي من كل ناحية وجهة وتعلقت بركابه ، وعقلت آمالها لدى أعتابه قائلين : أيها الشيخ قد برّتنا سنون وتغير وانتقاص فما تركت لنا هبعاً ولا ربعا ، وما أبقيت فينا ثاغية ولا راغية ، أماتت الزرع ، وقتلت الضرع ، فنحن أنضاء بؤس ، وصرعى جذب ، تغيرت النعم ، وأهلكت السوارح والنعم ، فأكلنا ما بقي من جلود فوق عظام ، وبقينا نعلل أنفسنا بالغيث فلم نجد إلا الخلب والجهم ، حتى عاد أشراقنا ظلام ، وهتك الحجاب ، وبرزت الكعاب ، وحملتنا نكبات الدهر على المركب الوعر ، وكنا ذوي ثروة من المال ، وغبطة من الحال ، واليوم لا ثاغية يجتدى ضرعها ولا راغية يرتجى نفعها ، حتى ضاق بنا البر الواسع ، بعد الأهل والمراضع ، فسألنا أحياء العرب عمّن له بين السماء والأرض أقوى سلّم وسبب ، فما أرشدنا الى سواك ، أدام الله علاك ، فجئناك من بلد شاسعة ، تهيضنا هائضة ، وترفعنا رافعة ، ومشينا حتى انتعلنا الدماء ، وجعنا حتى أكلنا الثرى على بواير برين اللحم ، وهفين العظم ، من سنة جردت ، وحال اجتهدت ، وأيد جمّدت ، فارفع ما بنا من الضر ، بما بينك وبين الله من السر ، فقال الشيخ لهم : لا بأس عليكم ولا ضر ، فأني سأفعل ذلك عند أول تشرفي بأعتاب الأمامين (ع) ، والتمسك بذاك القبر ، فإن الدعاء هنالك أوقع ، وأسمع ، فأبوا وقالوا لا ندعك تفلت من أيدينا ، حتى تدعولنا فأننا نرجو بدعائك نزول الفرج علينا . فاستمهلهم الى وصول الخان ، وأعطاهم على ذلك العهود والأيمان ، وقال مكانكم فانتظروا الغيث ، فإنه سيأتيكم عند أول وصولي بلا ريث .

ثم انّ الشيخ مضى ، وأسبغ الوضوء وأمر بعض خدمه أن يصعد السطح فينظر هل بقي في تلك الفيافي والقفار أحد من الزوّار ، فنظر فلم يجد أحداً فأخبر الشيخ بذلك ، فقام عن أولئك الأقوام ، وقال لهم يا قوم ان أمتعتكم سيغمرها الماء ، ويذهب بها السيل جفاء ، فادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان الودق وجنوده ، وتحطف أبصاركم بوارق السحاب ورعوده ، فأخلي له إيوان في المنزل ، وشرع في الصلاة ، فارتفعت في الجو ألوية الرياح ، وتسابت مذاكي الشمال ، وقدمت بالنصر طلائع جيش الودق ، وهجمت بالبشر لوامع أسنّه البرق ، وأقبلت كل سحّاء ووظفاء ، وكان هواديها الدلاء ، فلا ترى غير مرجحة النواحي موصولة بالآكام ، متدلّية العزالي تكاد تمسّ من الرجال الهام ، كثير زجلها ، قاصف رعدا ، خاطف برقها ، حثيث ودقها ، بطيء سيرها ، متدفق قطرها ، مظلم نوّوها ، هداة فؤارة ، خواضة مؤارة ، مظلمة مشعلة ، شاهقة مسدلة :

ولها ربابٌ هيدبٌ لزفيره      قبل الهدير سحابةٌ وطفاءٌ  
مستضحكٌ مستعبرٌ بدوامع      لم تُجرها بعيونه الأقداءُ

فله بلا حزن ولا بمسرة  
نُعمتُ كلاه فاثقلت أصلابه  
غُرَّ محجَّلة دوالح ضُمَّنتُ  
سحْمُ فهنَّ إذا عبسن فواحمُ  
لو كان من لجج السواحل ماؤه  
لم يبقَ في لجج السواحل ماءُ  
ضحك يؤلف بينه وبكاءُ  
وتشققتُ عن مائه الأحشاءُ  
حمل اللقاح ، وكلَّها عذراءُ  
سودُّ وهنَّ إذا ضحكْنَ وضاءُ

فأرخت هواديها ، وحلَّت عزاليها ، وقيل يا أرض فوري ، ويا بحار موري ، ويا جبال غوري ، ويا سماء انفتقي ، ويا بروق صدقي ، وجاءهم السيل من كلِّ مكان ، وكان ما كان ، وانقلب الجو من عنان السماء الى تخوم الأرض بحراً ، واطلمت الدنيا فصارت ليلاً والبروق فجراً ، كلُّ ذلك والشيخ في صلاته ، مشغول بمناجاته .

ثم انجلى السحاب وثة شُع ، وظهرت زجاجة السماء مُرصَّعة بالكنى النجوم تشعشع ، وجاء القوم وهم يقولون : ليس عجباً من وعدك بالاستسقاء ، فإنها سنة الأنبياء وسيرة الصلحاء . ولكن من قولك أخشى أن يغمر الزوَّار الماء ، فقال لهم : يا ضعفاء اليقين لنا خمسون سنة نشغل بعبادة الله وطاعته ، وتنقيح أحكامه وشريعته ، وعرفنا ما قدر جوده وكرمه ، ومننه ونعمه ، فنحن نرجو أن يرجينا في مواهب جزيلة ، فكيف لا نرجو هذه القليلة .

ومنها : ما في (معدن الشرف) عن عدَّة من ثقات رجاله ، (وسمعتها من جماعة كذلك) : أن الشيخ لما كان في طهران بعث إليه حاكم (لنجة) ، وهي من الأمصار العظام (وكانت من توابع العجم) ، ملتمساً من الشيخ القدوم عليه وتشريفه ذلك المكان ، على أن يدفع له من الذهب الأحمر عشرة آلاف تومان ، على أن يصوم هنالك شهر رمضان . فتوجَّه الشيخ نحوه ، وخرج جميع أهل (لنجة) من حكام وأمرأ ورعية للاستقبال فجاءوا به ، وأنزله الحاكم أحسن عماراته فلما بقى يوماً أو يمين قال لأصحابه استأجروا لنا دواباً ومراحل فاني عزمت على الرحيل ، فعلم بذلك حاكم البلد فوقع على أقدام الشيخ وقال ما السبب لعنَّا قصرنا في خدمتك ، فقال الشيخ حاشا لله ما صدر إلا الجميل ولكن أمر لا بدَّ منه ، فأصرَّ الحاكم على عدول الشيخ وقال للألف ألف أخرى ، فأبى وخرج الحاكم غضباناً وهو يتكلم بالكلمات المنافية في حق الشيخ ، ويقول : كنَّا نسمعُ به فنستعظمه ونقول ليس فوقه فوق ، وهذه الأفعال لا تصدر إلا عمَّن لا عقل له ولا دراية .

وأما الشيخ فأثَّه لما صار على مراحل من البلد نزلوا فباتوا تلك الليلة فما أصبحوا إلا

والعسكر محيط بهم إلا أن هياتهم غير هيئة عسكر العجم ، فبعث الشيخ الى رئيسهم أن ما تريدون منا؟ فقال الترجمان : يقول الأمير من أين أنتم وإلى أين ، فقالوا نحن من العراق ، وإليه ، فقال امضوا على شأنكم فلا حاجة لنا بكم فرحلوا ، وارتحل الشيخ فسألوا عنهم في المراكب ، فقيل : هؤلاء عسكر (الأرس) أتوا من أماكنهم بالمراكب البحرية ، وتوجهوا لأخذ (النجة) لأن سلطان العجم أخذ منهم بعض البلدان التي كانت تحت تصرفهم ، وجاؤا الآن لمقابلته بمثل ذلك ، ثم جاء الخبر أن بني الأصفر نصبوا المدافع والأطواب والمجانيق وقلعوا (النجة) ، وقتلوا حاكمها وأسروا جميع من فيها ونجى الشيخ من القوم الظالمين ، ولولم يخرج ذلك اليوم لكان في الهالكين ، ولكن وقعت الحيرة من أصحابه في سبب علم الشيخ بذلك :

وما علموا أن المطيع لرّبّه كما يرتضى يُلقى له كلّ أقليد

وفيه أيضاً : أن الشيخ كان جالساً بعض الأيام بين أصحابه في داره ، فدخل عليه سيّد رث الثياب والأطمار عليه آثار الفاقة والاعسار فسأل من الشيخ أن يعطيه شيئاً من المال فاعتذره الشيخ ، وخرج السيّد ، ودخل على أثره سيّد آخر عليه سمات الوقار ، وأثار الجلالة والاعتبار ، حسن الثياب جميل الهيئة وخلفه خادم له حامل لمولاه (شطب) وعليه امامة مثمّنة من كهرّب فأكرمه الشيخ واستقبله وجعل يلاطفه ويسأله فجلس السيّد ريثما شرب الشطب وخرج فأمر الشيخ أن يُحمل إليه مقدار غزير من المال ، فتعجّب الحاضرون وقالوا للشيخ أتعرف كلاً منهما ، وكيفيّة حالهما فقال أعرفهما بوجه من الوجوه ، وهذه أول رؤياي لهما فقالوا فلم أعطيت هذا ولم يسألك ، وحرمت ذاك وقد سألك؟! فقال : قوموا بنا نسأل عن دارهما وأريكم السبب ، فسألوا حتى وقعوا على دار السيّد الأول الفقير فاستأذنوا ودخلوا فوجدوها مملوءة بالفرش والبسط والأقمشة وفيها من جميع (الحبوبات) ما يكفيه وعياله سنين ، ثم خرجوا وأتوا دار السيّد الثاني فوجدوا عياله عليهم أرث الثياب وأطفاله غرة يتصارخون من الجوع ، وليس في داره شيء من الفرش والقماش سوى حصير خلق .

فقال انظروا هؤلاء الذين قال الله تعالى عنهم «يحسبهم الجاهل أغنياء من التعقّف» ، هذا رجل توسّمت فيه أنه عزيز نفس من قوم أعزاء وضعهم الدهر ولم يبق عنده سوى هذه الملابس التي عليه يتجمل بها لثلا يشمت عدوّه به ، وهو كما قال عزّ من قائل «يسألون الناس الحافاً» .

فلنختم هذا الفصل بحكاية أظنّها عندك أعجب من جميع ذلك قد حدّثني بها عمّي العباس بن علي بن جعفر عمّن كان مع الشيخ ، وشهد الواقعة - وذكرها في (معادن الشرف)

أيضاً - وحاصلها : أنَّ الشيخ توجَّه في بعض السنين الى نواحي البصرة فأتوا على خيولهم الى غياض ملتفة بالقصب والبردي ، وكان ذلك المكان يُعرف بكثرة السباع والأغوال فلم يمكن المبيت به وقد هجم الليل ولا بيت ولا خباء حتى ينزلوا فيه وبينهم وبين البيوت الشط العظيم المعروف بـ (شط العرب) ، وهو في الحقيقة بحر لا شط لأنَّ فيه يجتمع الفرات ودجلة ، وشط العجم ، ولم تكن على ساحله سفن فوقفنا متحيرين ، فجاء الشيخ ووقف على الساحل ودخل بفرسه في الشط وهو عليها ، وتبعناه نحن ، وإذا نحن على الساحل المقابل .

ولما وصلنا البصرة وأقمنا فيها مدة رجعنا على طريق بغداد فلما صرنا على ليلتين منه بتنا ليلة هناك وكانت الأرض ذات شوك وقَتَاد فكان الشيخ يكرّر قوله سبحانه الله المدمّر المدمّر ، فسألناه عن السبب لهذه الكلمات بالخصوص فقال ستكون هذه الأرض بلدة عظيمة ذات قصور وجنان وبساتين وغير ذلك .

يقول الراوي : فما مرّت الأيام والسنون حتى أدرك أغلب مَنْ كان معنا تلك البلدة ، وهي كوت العمارة المعروفة الآن بالكوت :

«عطر اللهم مرقده الكريم ، بعرفٍ شذيٍّ من رحمةٍ وتسليمٍ»

## الفصل الثاني

### في مكارم أخلاقه ومحاسن صفاته

أمّا علمه وسعة باعه في الفقه فما ظنك بمن باحث دورة (الشرائع) ثلاثمائة مرة بأدلتها تفصيلاً على وجه الاحكام والاتقان كما ذكرَ هذا في قصص العلماء . وذكر أيضاً أن الشيخ كان يقول : «لو مُحِيتْ جميع كتب (الفقه) من أولها إلى آخرها لأمليتها للناس على خاطري بلا زيادة ولا نقيصة» من شدة الممارسة والضبط .

يقول الناقل (رحمه الله) : الأنصاف أن الشيخ كان كذلك كما يظهر من تأليفاته لا سيّما كتاب «كشف الغطاء» وبه يعلم ما قدر إحاطة الشيخ بالفقه بل تبين لك أن جميع المسائل من (الطهارة) إلى (الديّات) كالخاتم في يده يديره كيفما شاء وحيثما أراد . وكان إذا ذكر قاعدة فقهية في كتاب «الطهارة» أو في غيره فرّع جميع أبواب الفقه إلى (الديّات) ، ومن هذا يعلم أن جميع مسائل الفقه محفوظة لديه بالفعل حاضرة عنده كلّ وقت ، فكلمها دعاها أجابت ، (إنتهى ترجمة)<sup>(١)</sup> .

وأقول : بما يدلّك على ما يقوله هذا (الفاضل) بلّ يزيد ، ويشهد لك أن الشيخ ما بين جميع الفقهاء فريد ، أن «كشف الغطاء» صنّفه عليّ ظهر (الدابة) وهو في الطريق ، ولم يكن معه من الكتب سوى «قواعد» العلامة - رحمه الله - وجعله كالرسالة العملية ، ليرسله إلى فتح عليّ شاه بعنوان (الهدية) ، فبرز كما ترى هديةً للدين ، لا للسلطين ، ومنةً على سائر المؤمنين ، لا المتولين ، وهذا الأمر مشهور .

ومما ذكر السيد مُحَمَّد باقر في «روضات الجنّات» قال ما نصه : من جملة مصنفاته كتابه «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء» خرج منه أبواب (الأصولين) ، ومن الفقه (العبادات) إلى آخر الجهاد ، ثم ألحق به كتاب (الوقف) وتوابعه ، ولم يكتب أحد مثله ، وينيف ما خرج منه على أربعين ألف بيتاً ، إلّا أنه فائق على كلّ من تقدمه من كتب (الفن) مع أنه إنما صنّفه في بعض الأسفار ولم يكن عنده من الكتب سوى «قواعد»

(١) التتكايني ، الميرزا محمد بن سليمان ، قصص العلماء ، (باللغة الفارسيّة) ، ص ١٨٨ .

العلامة - كما نقله الثقات<sup>(١)</sup> - (إنتهى) .

ثم قال صاحب «القصص» : ومجماً أن الشيخ جعفر النجفي في (التفريع) و(الفقاهة) وتطبيق فهم ألفاظ الكتاب والسنة على طريقة الفهم العربي المستقيم كان بلا نظير وهو من الأئمة ما بين فقهاءنا كما يستنبط من كتبهم ، وأنه إلى الآن لم يأت فقيه (مثله) ومثل الشيخ ، والشهيد الأول<sup>(٢)</sup> .

والتبحر في الفقه على ثلاثة أقسام :

الأول : تأسيس المسائل الفقهية والاستدلال عليها مع إحكام واتقان قواعدها ، وهذا منحصراً بالشيخ علي<sup>(٣)</sup> ، وأستاذ المؤلف ملاً أحمد النراقي<sup>(٤)</sup> .

الثاني : التفريع والأحاطة بمسائل الفقه وتطبيق الفروع بالأصول ؛ وفي هذا المقام لم يكن أحد غير الشيخ جعفر ، والشهيد الأول .

الثالث : تحقيق المسائل والفتوى وتكثير الأدلة ، وتبديدها وهذا للمؤسس البهبهاني<sup>(٥)</sup> ، (إنتهى)<sup>(٦)</sup> .

هكذا النسخة التي رأيتها وما أدري من المراد (بالشيخ) الواقع بين الشيخ (جعفر) و(الشهيد) . ويقتضي أن يكون المراد به الشيخ (موسى) لما هو مشهور عن (الشيخ) من قوله : لا فقيه إلا أنا ، وولدي (موسى) ، و(الشهيد) ، وقد ذكرها أولاً وسيأتي نصها قريباً . ولعل (موسى) سقط من قلم الناسخ في الطبع . ويحتمل أن يراد به الشيخ الطوسي<sup>(٧)</sup> وهو

(١) روضات الجنات ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .

(٢) الشهيد الأول هو محمد بن مكّي العاملي المولود سنة ٧٣٤ هـ / ١٣٣٣ م ، والمقتول على يد مالك الشام سنة ٧٨٦ هـ / ١٣٨٤ م .

(٣) الشيخ علي بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء اشتهر بدروسه الفقهية العالية ، توفي سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م .

(٤) الشيخ أحمد النراقي مجتهد كبير اشتهر بكتابه «عوائد الأيام من مهمات أدلة الأحكام» ، المطبوع على الحجر سنة ١٨٤٩ م . وقد أعيد طبعه في قم عام ١٩٨٢ م . توفي النراقي سنة ١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م .

(٥) الشيخ محمد باقر البهبهاني الملقب (بالأغا) و(بالوحيد) ، ولد في اصفهان سنة ١١١٧ هـ / ١٧٠٥ م ، وهاجر إلى مدينة (كربلاء) حيث قضى معظم حياته فيها ، وأغلب الفقهاء الذين تولوا الزعامة الدينية بعده هم من تلامذته ، توفي سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢ م ، ودُفن في الحائر الحسيني .

(٦) قصص العلماء ، ص ١٨٨ .

(٧) محمد بن الحسن المعروف بشيخ الطائفة الطوسي ، هاجر من مدينة طوس وهو ابن ٢٣ سنة إلى بغداد ، وحضر على يد الشيخ المفيد ، ولازم الشريف المرتضى وأصبح الزعيم الامامي غير المنازع . قدّم موسوعات في الفقه والحديث والرجال والتفسير أصبحت من المصادر الأساسية للمذهب الاثنا عشري .

وبعد سيطرة السلاجقة علي الحكم وسقوط البويهيين عام ٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م ، رحل إلى النجف ، وأقام بها حتى وفاته عام ٤٦٠ هـ / ١٠٦٧ م . ونظراً لجهوده الكثيرة في مجال الدراسات الشرعية ، وتأسيسه لقواعدها على طريقتي العقل



وإن كان يعبر عنه عند الفقهاء (بالشيخ على الأطلاق) إلا أنه هنا محتاج إلى قرينة وهي على خلافه . ويحتمل أن يكون المراد به الشيخ (علي) بمقتضى التقسيم الذي بعده .

والحاصل أن بلوغ (الشيخ) إلى غاية الأعجاز في (الفقه) صار من البديهيات التي لا تحتاج إلى بيان ، وكذلك يده الطولى في سائر العلوم خصوصاً الحكمة والكلام . وبذلك على ذلك ما صدر به كتابه «كشف الغطاء» و«البُغية» ، وغير ذلك وذكر في «قصص العلماء» أن (الشيخ) لما تشرَّفَ بمطالعه (أصفهان) جاء إلى خدمته بعض تلامذة الحكيم المتكلم المشهور الملا علي النوري وسأل الشيخ بمسألة عويصة من مشكلات فن الحكمة وكان قد استفادها من ذلك الأستاذ الماهر ، وعرضها بخدمة (الشيخ) مكتوبة في ورقة ، وكان قد حضر وقت نوم (الشيخ) ، فقال : بكر غداً وخذ الجواب ، فأخبر الشيخ ملا علي بسؤال تلميذه (للشيخ) فتغير وتكدر على تلميذه وقال له : إن (الشيخ) رجل فقيه فلماذا أخجلته بمسألة من مشكلات (الحكمة) وليس له يد بها؟ فأياك أن تعود الصبح لمطالبتها . فلما فرغ (الشيخ) من صلاة الصبح بعث على السائل ، وأعطاه جواب المسألة . فعرضها السائل على أستاذه المذكور ، فتعجب غاية العجب لموافقتها تمام قواعد ذلك الفن . فلما إلتقى الآخوند بالشيخ قال له : يا مولانا من أين جئت بجواب هذه المسألة العويصة الصعبة التي عجزت عنها الفحول مع أنك لا تشتغل بفن (المعقول)؟ فقال الشيخ : هذه من واضحات إفادات الأخبار الواردة عن الأئمة الأطهار (ع) (١) .

وكان (قُدس سره) يحفظ على خاطره جميع الكتب السماوية من «إنجيل» و«زبور» ، و«توراة» ، وغير ذلك بجميع آياتها وفصولها ، وينبئك على ذلك ما ذكره في «كشف الغطاء» . ومن تلك الكتب في مقام الاستدلال على نبوة نبينا (عليه الصلاة والسلام) فقد سرد منها هناك ثلاث أوراق ، أو أكثر من عباراتها باللسان التي أنزلت به ، ثم ترجمها إلى العربية ، وبين تناقض بعضها مع بعض ، وأنها مُحَرَّفة عما أنزلت به ، ويذكرهم الأصل .

والحاصل أنك إذا راجعت آخر كتاب «الجهاد» فسترَ ثمة من هذه المقامات ما لا تصوره

---

والنقل أصبحت مؤلفاته متحركة بالدراسات الشرعية . كما أن هجرته إلى النجف واستقراره فيها ١٢ عاماً ، واستحداث مركز دراسي فيها جعل اسم جامعة النجف الدينية مرتبطاً باسمه .

وتعتبر (مدرسة بغداد) في المرحلة البوئية والتي مثلها الشيخ المفيد ، الشريف المرتضى ، والشيخ الطوسي هي مرحلة تأسيس المؤسسة الدينية الشيعية التي يُطلق عليها الآن اسم (الحوزة العلمية) . وقد ناقشت مؤلفات هذه المرحلة التيارات الفكرية السائدة يومذاك كتيار المعتزلة ، والغلاة ، والزيدية ، والتيارات السنية بشكل عام .

(١) قصص العلماء ، ص ١٩٣ .

في حق بشر فإنه رجل من أعراب البوادي الذين لا يعقلون شيئاً ، وهاجر إلى (النجف) مع أبيه ، وهو قريب البلوغ ولم يكن يقرأ القرآن ، وكانت (النجف) من أصغر القرى ، وأقلها سكاناً ، وأضعفها آثاراً وكتباً فمن أين تعلم هذه العلوم؟ ومن أخذ تلك الأشياء العجيبة من اللغة اليونانية ، والعبرانية وأمثالهما؟ حتى أنه حدثني عمي العَلَم (العباس) - لا زال ظله منشوراً - عن ثقات (الشَّيْبَة) الذين أدركهم أن جماعة من (الطلبة) الذين كانوا من أهالي (البحرين) أخبروا (الشيخ) أن في البصرة جماعة من أبحار اليهود ، ورهبان النصارى وقسيسيهم يجلسون في الطرق والأسواق ، ويُفسدون مذاهب الإسلام ، ويُطعنون فيها عند العوام ، حتى (تهوّد) خلق كثير من المسلمين ، و(تنصّر) آخر . فشد (الشيخ) الرحال بجماعة من أصحابه حتى أتى البصرة ، وصار يُجالس أبحار اليهود ، والنصارى ويحدثهم شيئاً فشيئاً بالسنتهم وكتبهم ويؤيد تارة ويهدم أخرى حتى عرفوا أنه من الخاوين لكل العلوم فسألوه أن يباحثهم في علم الأديان ، وغيرها فأجابهم إلى ذلك . وجعل بحثاً للنصارى وبحثاً لليهود عصرًا وصباحًا ، ثم صار يذكر مفاصد كلِّ مذهب ، وبالاخصوص مذاهبهم والاختلاف الكثير في أناجيلهم كأنجيل (مرقس) و(يوحنا) ، وغيرها . والحاصل ما انجلت الغُبرة إلّا وقدر مائة (حبر) و(قسيس) قد أسلم من كان يجلس في الأسواق لإفساد مذاهب الإسلام ، ثم توجهوا إلى البلدان النائية الخالصة يهوداً ونصارى ليهذوهم بالمسالك اللطيفة الخفية إلى سواء السبيل ، ورجع (الشيخ) إلى محله .

فهل هذا إلّا من تأييدات الأئمة (ع) له ، وأخذه عنهم وقراءته عليهم بالطريق الذي هم أعرفُ به حيث رأوه قابلاً لاكتساب الفيوضات الألّهيّة ، والمعارف الروحانية (قدس الله روحه ، ونور ضريحه) .

وأما زهده وتقّدّسه وما التزمت به نفسه فقد جاوز الحد والنهاية ، وفات الحصر والغاية ، حتى كاد أن يُنسى علمه على ما عرفت من عظمتة وشهرته ، في جنب عبادته :

شِيْمَةُ مَنْ أَبِيهِ شَبَّ عَلَيْهَا      وكذا شِيْمَةُ الْهَزْبِ لِشَبْلِهِ

وقد سمعتُ من الثقات أن (الشيخ) رأى رسول الله (ص) في المنام فقال له : «يا جعفر ، أو يا شيخ إنني أحبك حباً شديداً» فقال له : سيدي وما ذلك حتى أداوم عليه؟ قال : «لتدومنّ عليه صوم الدهر ، وصلاة الليل ، والكون على الطهارة» .

وسمعتُ من الشيخ الأجل قدوة الوعّاظ وعمدة الحفاظ ، العابد الزاهد الشيخ علي

اليزدي<sup>(١)</sup>، وكان وحيد زمانه في العبادة، وفريد أوانه في العلم والأخبار والوعظ، وقد تشرفتُ برؤيا مُحيّاه الأ نور، وجلستُ تحت منبر وعظه أياماً وليالي، فما أظن أن الدهر سمح بمثله واعظاً. وكان لكلامه تأثير في النفوس عجيب، وكان ملازماً للخمول والضعة كسراً لنفسه، وأصابه في آخر عمره عرض (السوداء) فاختلَّ عقله، وأشار عليه الأطباء بالرواح إلى بلاد (العجم) فإنه أنفع لمزاجه؛ فانتقل إلى (خراسان)، وتوفي هنالك (طيب الله مضجعه). فمما ذكر على المنبر في شهر رمضان بالصحن الشريف، وهو غاصص بالمستمعين، وكان يتكلم في مقام تغير الزمان والأيام وترك عبادة الرحمان، والسعي بمراضي الشيطان إلى أن قال: وحدثني بعض الثقات من شعبة أهل (النجف) أول مجيئي من (يزد) أنه سمع في بعض ليالي شهر رمضان في زمان العلامة الطباطبائي، والشيخ (جعفر) بكاءً ونحيباً في زوايا الصحن الشريف فتأملته وإذا هو في الحجرة الفوقانية فصعد إليها وجعل ينظر (حِجْرَةً) (حِجْرَةً) حتى وصل إلى (حِجْرَةٍ) في الزاوية بعيدة عن المستطرفين والنظار، فوقف وراء الباب، ونظر من شقوقها، فرأى جماعة سادة، وعلماء قد افترشوا التراب يقرأون دعاء (أبي حمزة الكبير) وهم ساجدون يبكون، فبقي حتى فرغوا من أدعيتهم، وصلواتهم وخرجوا بأجمعهم، فرأهم جماعة من العلماء في ذلك العصر يعرفهم بأشخاصهم، واستفسر عن الكيفية، فكانت هذه عادتهم كُلَّ ليلة (جمعة)، وسائر ليالي شهر رمضان.

ثم قال: وحدثني جماعة منهم أيضاً أنهم وجدوا الشيخ (جعفر) في بعض الأيام وهو يعدو وأمامه صبيٌّ قارب (العشرين) هو يركض بسرعة وشدة و(الشيخ) خلفه يطلبه إلى أن وصل (الصبي) إلى (الصحن) فالتجأ إليه، فنادى الشيخ أن اقبضوا عليه، فقبضوا عليه، وجعل الشيخ يوجعه ضرباً تارةً بعصاه، وأخرى بيديه، والصبي يبكي ويلوذ بالناس، فخلَّصوه من يدي الشيخ. ولما سكن روعه سألوه عن ذنب (الصبي)، فقال لهم: منذ ثلاث ليالٍ لم يقيم إلى (صلاة الليل) وكلما أيقظناه لم يستيقظ، وجميع إخوانه وأهليه قاموا فأتوا بها على الوجه.

هذا وقد كان (رحمه الله) تعود من المأكَل على ما جشن، ومن الملابس على ما خشن، فإنه كان يلبس من (الخام) الغليظ الذي يصنع (شرعاً) للسفن ثياباً، ومن (كرباس) الصوف الخشن قباءً ورداءً، وعلى هذا أصحابه، وتلاميذه، وأهل بيته، وأولاده حتى يقال

(١) كان من تلامذة الميرزا مُحَمَّد حسن الشيرازي، بقي في العراق حتى سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م حيث سافر إلى (خراسان)، وتوفي فيها حدود سنة ١٣١١ هـ / ١٨٩٣ م. له «منظومة في أصول الفقه». الطهراني، نقيب البشر، ج١، ص ١٣٢٢.

إنه رأى يوماً في درسه رجلاً من أهل (القطيف) وهو ملتحف بعباءة (ماهود) بعثها إليه أهله ، ولم يكن يُعرف ذلك في (النجف) وكانت مطرزةً بشيء من (الأبريسم) ومثيله المسمّى اليوم (بالكلبدون) ، فرمقه (الشيخ) شزراً ، فلما حقق أنه لبسٌ جديدٌ ناداه ، فجاء الرجل ووقف حذاء المنبر فقال : أيها (القطيفي) ما هذه السيرة المخترعة ، والسنة المبتدعة ، والتماثيل التي أنتم لها عاكفون؟

فقال : يا مولاي ليس هذا من اختراعي ، ولا بهواي وإنما بعثوه لي أهلي .

فقال (الشيخ) : نعمَ الجواب أجبتَ «بسم الله الرحمن الرحيم ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ . قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين»<sup>(١)</sup> ، ثم قال له : أعلم يا (شيخ) أن أهلك إن رغبوا في لباسك لهذا ، وأمثاله فليأخذوك إلى بلدكم فإنهم أرسلوك مسترشداً لا مستغويّاً ولا يحل لك البقاء في (النجف) ، وأنت على هذا ؛ فخرج منها قبل أن تُخرجَ ، واصنع ما شئت فلا جناح عليك بعدها ، ولا حرج .

فقال : إنَّ (الرجل) تناول سكيناً وأراد أن يخرق (العباءة) ، فقال له (الشيخ) : لا تُقطع الشيطان بشيء ، وتعصيه بأخر (إنَّ المبذرين كانوا إخوان الشياطين) ، ولكن أرجعها إلى محلها . فبعثها (الرجل) إلى أهله ، وجلس خجلاً ، فأخذ (الشيخ) يرفع عنه خجله ، فقال له : يا ولدي بارك الله بك ، وأني لأتوسم الخير فيك ، وإنما قلتُ ما قلتُ لأنَّ النفوس أمارَةٌ بالسوء ، ميالة إلى التصنُّع ، والشيطان باسطٌ للغواية بابه ، وفارش للوثبة ذراعه ، فإذا نظر (الطلبة) المشتغلون ما أنت عليه مالت نفوسهم إلى ذلك اللباس ، وهم ذوو فاقة وإفلاس ، فيلتزمون بالأسفار ، وركوب الأخطار ، لتحصيل أثمانها ، فتركَّنف النفوس إلى شيطانها ، فيضيع العلم ، ولا يبقى منه لدى مُدعيه سوى الاسم ، ويتزيَّ الناس بزيّ عبدة الأوثان ، وأمناء الشيطان ، ولا يبقى من الأيمان سوى رسمه ، ولا من الحق غير اسمه ، ولم يزل يُبينُ له المغيبات التي نراها اليوم رؤى العين ، والمفاسد الشائعة في البين ، حتى ذهب خجل (الرجل) ، وعاد الشيخ إلى درسه .

وكان يعول بما ينيف على (الخمسين) من إخوته ، وعياله ، وأولاده إلى غير ذلك من المتعلقين ، والخدام فكانوا يضعون في (قدر) كبير سحيق (الأرز) ، وشيئاً من (اللحم) مع بعض الحموضات ، فإذا طبخ جيءَ بأنيتين كبيرتين من الكاشي الأخضر<sup>(٢)</sup> فتملاً واحدة للنساء ، وأخرى للرجال ، فيجتمع عليها مقدار عشرين رجلاً كلهم بين (مجتهد) ومنازه ،

(١) سورة الأنبياء ٥٢/٢١ - ٥٤ .

(٢) يبدو أنَّ مثل هذه الأواني كانت مشهورة في ذلك العصر ، وقد ندرَ وجودها اليوم .

وعلى باقي الخدم والمتعلقين ، وكانوا إذا أرادوا إكرام (الشيخ) صنعوا له مقداراً من (الأرز) مع (الماش) ، وأتوا له منه على مقداره ، وعليه (البصل) قطعاً قطعاً .

فمن ذلك ما ذكره في «معدن الشرف»<sup>(١)</sup> أنه دخل عليه (سيد) - يقول البراقي وهو معروف الاسم واللقب ولكن ذهب عني اسمه - والقصة مشهورة ، فلما رآه (الشيخ) رحّب به وأكرمه ثم قال له : ما الذي جاء بك في هذا الوقت؟ فقال : جئتُك لأنك المطلّع على أحوالي وإلى الآن لم أتزوج ، وأريد منك (المهر) ، فقال (الشيخ) : حباً وكرامة وعلى العين والراس ، لكن لا يترك الميسور بالعسور ، ونرجوك المسامحة وقبول ما عندنا ، ولك العهد عليّ أن أول شيء يأتييني أبعثه إليك ، فاستقرض ما يكفيك مع ما نعطيك ، وأنا أؤدّي عنك .

فتشكر (السيد) ، وذهب ليقوم فقال له (الشيخ) : إجلس فتعشّ معي فأنا (عشائي) اليوم نفيسٌ على الأرادة ، قال (السيد) : فجلستُ وحسبتُ أن (الشيخ) سيعطيني خمسين أو ستين شامياً وقيمتُهُ (قرانين) من أول عصرنا ، فجاءوا بالعشاء فوضعه بين أيدينا ، فالتفت (الشيخ) إليّ وقال : يا (فلان) هذا رزقٌ عليّ عينك ومن بركات قدومك ، تقدّم فكلّ هذا العشاء الحسن ، فتقدمتُ وإذا هو طبيخ (ماش) ومعه (بصل) . وجعل يضربُ عليّ منكبي ويقول : كُلْ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ التَّامَةِ الَّتِي لَا تَقُومُ بِشُكْرِهَا ؛ (تَمَن) و(ماش) و(ماء) و(ملح) ومع هذا كله (إدام) ، و(الأدام) بصلٌ ونعم الأدام البصل .

يقول (السيد) : بينما نحن كذلك وإذا بعشاء يفوح منه (الزعفران) وفوقه (دجاج) ، وكأنما بعض (العجم) أهداه إلى (الشيخ) ، فلما نظره (الشيخ) قال لي : قُمْ فَكُلْهُ ، قال : فاختصصتُ به دونه ، و(الشيخ) حسر عن ذراعيه ، وجعل يكسر البصل ، ويجعله على طعامه وهو يحمد الله ويشكره ويقول : إِيْهِ يَا (جُعَيْفِر) وكيف لا تحمد الله الذي سخّر لك حرّاث الأرض وزرّاعها والحاصدين ، والدائسين ثم جلب إليك ثمره ، وأنت في مكانك فطبخ ، وقُدّم بين يديك من غير كدّ وتعب ، فأني شكرٌ يؤدي حق نعم هذا (المنعم) .

قال : ولم يأكل من (طعامي) لقمة واحدة . فلما فرغنا قال : قُمْ إِلَى تِلْكَ (الحِجْرَةِ) فافتحها وخُذْ مَا فِيهَا ؛ فقمْتُ إلى (حِجْرَةٍ) صغيرة في زاوية (الطَنِيَّة) - وهي إلى الآن موجودة - ففتحتُها فوجدتُ فيها (كَيْساً) مملوء فأخذته وودعتُ (الشيخ) وإذا فيه (خمسائة) شامي ، (إنتهى) .

وكان مع عدم ترتيب مأكله ، وانضباطه ذا قوة ، ونشاط على العبادة ، وكان لصوته

(١) «معدن الشرف في أحوال المشاهير من علماء النجف» للمؤرخ السيد حسون البراقي .

ومناجاته تأثير عظيم في القلوب ، وكان مدمناً على المناجاة والأبتهاال ، ملازماً لأحياء الليالي الطوال ، ولتضرعه خاصية معروفة وهي أن كل من سمعه حلت الهداية بقلبه ، ونشطت جوارحه لعبادة ربه .

فمن ذلك ما في «قصص العلماء» عن بعض أكابر الأفاضل عن الشهيد الثالث العالم الرباني الشيخ مُحَمَّد تقي البرغاني<sup>(١)</sup> المقتول بسيف الفرقة (البابية) بأمر رئيسها مُحَمَّد علي<sup>(٢)</sup> ، وقربة المقتول المعروفة الخبيثة (قرة العين)<sup>(٣)</sup> وسنذكر نبذة من أحواله ، لأنه من استجاز (الشيخ) قال : إنه لما تشرفت بجهة (قزوين) بأقدام (الشيخ) حط الرحال عند الأخ الحاج مُحَمَّد صالح البرغاني ، وهو أيضاً من كبراء العلماء ، وكانت داره تشتمل على بستان كبيرة ، فلما هجم الليل نام كل منا بمكانه في البستان ، ونمت أنا في طرف منها ، وكانت للشيخ عناية في حظي ، فلما انتصف الليل جعل الشيخ يوقظني وهو يقول لي قم لصلاة الليل فقلت سأقوم ، فتركني ومضى ، وأخذني النعاس فذهبت أعوم في تياره فتغيرت أحوالي في الأثناء ، وأنا نائم ، وتألم فؤادي ، وأوجع قلبي ، فانتبهت من شدة الوجع فبان لي أن ذلك من جهة سماع صوت وبكاء أسمع صداه ، ولا أرى شخص بكاه ، إلا أنه أخذ بمجامع قلبي ، واستولت رفته على عقلي فأدهشت لبي ، فقممت أتمشي وأطلبه ، وأنا بلا شعور حتى قريت منه وتأملتة فإذا هو (الشيخ) قد افترش التراب وهو يتململ ويتضرع ، ويكي بكاء الشاكل الموجه ، ويناجي ربه مناجاة الحبيب لحبيه ، ويأن أنين الفاقد صحبيه ، فأثرت تلك الأحوال الغربية من الرقة والخشوع في أثراً ؛ أنا منه إلى الآن من خمسة وعشرين سنة أقوم في ذلك الوقت من هيبة تلك الليلة ، وأثرها في روحي ، وأشتغل حتى الصباح بمناجاة قاضي الحاجات ، وأداء النوافل والمستحبات .

أقول : وهذا دليل على بلوغ (الشيخ) مبلغاً من التعبد والزهد يقصر عن إدراكه الفكر الوقاد ، ويحسر دون تصوره تصور جهابذة الزهاد ، لأن هذا (الرجل) كان وحيداً في الطاعات ، وفريداً في الملازمة على الزهد ، والمستحبات ، فكلامه في هذا المقام له خصوصية إعظام واحترام .

(١) كان فقيهاً كبيراً تصدى للحركة البائية ، وقتل على يد أتباعها عام ١٢٦٤هـ / ١٨٤٨م . ويُلقب بالقزويني لسكنائه هذه المدينة ، وكان معاصراً للشاه فتح علي القاجاري المتوفى سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م .  
(٢) الصواب أن اسمه علي مُحَمَّد الشيروزي . وقد قُتلَ رمياً بالرصاص سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م في تبريز ، وتحول معظم أتباعه إلى المذهب (البهائي) .  
(٣) قُرّة العين هي بنت الشيخ مُحَمَّد صالح البرغاني ، وهي من دُعاة البابية وقادتهم ، قُتلت سنة ١٢٦٩هـ / ١٨٥٢م .

ولنختم هذا المقام بكلام لصاحب «قصص العلماء» أثنى فيه على (الشيخ) وبيّن مقدار رفعتة ، وعلو درجته في العلوم والطاعات وإن كانت غنية عن البيان ، ولكن ذكرناها أداء لحق الرجل ، وقد ذكرنا عبارته بنصّها لأنّ (للعجمية) لطف في عالمها كما (للعربية) ذلك . قال : (رحمه الله وجزاه خير الجزاء) : «الشيخ جعفر النجفي العالم الزخّار ، والاستاذ الأكبر ، قمر سماء الفقه والجلالة ، ومتاع فلك الزهادة والثّقى والنقاء ، زعيم أرباب العبادة وفذلّة أصحاب الكرامة ، نادرة الزمان ، وأعجوبة العصر ، وفلته الدهر .

والأنصاف لا يوجد مثله في الأحاطة بالتفريعات الفقهية من أولها إلى آخرها منذ زمان الغيبة حتى عصرنا هذا ؛ فهو في التفرّيع وفهم الأحكام كالشهيد الأول كما قال عن نفسه «الفقه باق على بكارته لم يمسه إلّا أنا ، وولدي موسى ، والشهيد الأول» . ومن أراد أن يتبيّن له ذلك فليرجع إلى كتاب «كشف الغطاء» للشيخ وتأليفاته الأخرى . أمّا من أراد التصديق لهذه المقولة بالنسبة إلى الشهيد الأول فليرجع إلى كتابه «القواعد»<sup>(١)</sup> .

وأقول : ومن أراد تصديق ذلك في شيخ (موسى) فليرجع إلى شرح (رسالة) أبيه ، فأثّرها على صغر حجمها كافية في بيان فضله على أنه كتبها أول اجتهداه وهو صغير في زمان أبيه كما سيأتي ذلك .

### كلام صاحب روضات الجنّات في حق الشيخ الكبير

وأما مطاعيته وعظمته عند كلّ الأمم ، ورئاسته على جميع العرب والعجم ، وامتنال أوامره ونواهيّه عند سائر الأمراء والسلاطين ، فهي غنية عن البيان والتبيين . وإن أبيت فيكفيك ما ذكره في «روضات الجنّات» ، ونصّه : «كان رحمه الله من أساتذة الفقه والكلام ، وجهابذة المعرفة بالأحكام ، معروف بالنبالة والأحكام ، منقحاً لدروس شرائع الإسلام ، مُفرّغاً لرؤوس مسائل الحلال والحرام ، مروجاً لمذهب الحق الأثني عشري كما هو حقه ، ومفرّجاً عن كلّ ما أشكل في الأدراك البشري وبيده رتقه وفتقه ، مُقدّماً لدى الخاص والعام ، مُعظّماً في عيون الأعاضم والحكام ، غيوراً في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقوراً عند هزاهز الدهر وهجوم أنحاء الغيّر ، مطاعاً للعرب والعجم في زمانه ، مفوقاً في الدين والدنيا على سائر أمثاله وأقرانه ، ظهر من غير بيت العلم فصار في بيضاء حكومته علماً مشهوراً ، ومهرّ في نشر زيت الفقه إذ أتى عليه حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً . . الخ»<sup>(٢)</sup> ، (إنتهى) .

(١) نقل المؤلف النصّ بالفارسيّة عن قصص العلماء ، ص ١٨٣ .

(٢) روضات الجنّات ، ج ١ ، ص ٢٠٠ .

وهذه الكلمات جيدات بل فائقات خصوصاً من أنها من (أعجمي) اللسان ، ولكنها منحة ربانية . وإساءة الأدب في قوله «وغير بيت العلم» مغفورة له ؛ فأناً مراده بالنسبة إلى ما صار (الشيخ) إليه من التفوق في العلوم حتى صار بيته كأن لم يكن بيت علم لا على ظاهره ، وإلا فهو قد نقل في كتابه : فقرات الرسالة المنسوبة إلى (الشيخ) في حق والده ، وقد تقدّم بعض ذلك ، وقد عرفت جلالته بيته سابقاً .

وإن إستزدتني فيما نحن فيه أزدتكَ بما ذكره السيد شفيح البروجردى المعاصر لشيخنا (قدس سره) في كتابه الذي صنّفه في علماء إجازته<sup>(١)</sup> ، فقال بعد ذكر العلامة الطباطبائي<sup>(٢)</sup> ما هذا نصه : «ورابعهم : الشيخ المكرم المعظم ، ملجأ العرب والعجم ، ملاذ كافة الأمم ، منبع الفضائل الجليلة ، ومعدن السجايا الجميلة ، ناهج المناهج السوية ، بالغ المقاصد العلية ، مهذب المعالم الدينية ، المشتهر في جميع الأمصار والآفاق ، شيخنا ، وعمادنا الشيخ (جعفر) النجفي (قدس الله روحه الزكية) ، وهذا الشيخ أفضل أهل زمانه بالفقه لم ير مثله مبسوط اليد في الفروع الفقهية والقواعد الكلية ، قوي غاية القوة ، مقبول القول عند (السلطان) و(الرعية) ، كان من العرب بحيث يطيعونه غاية الأ طاعة ويمتثل السلطان فتح علي شاه أوامره ، وكذا أكابر دولته وأمنائه غاية الأمتثال ، ويأخذ من السلاطين وأكابر العجم وأرباب الثروة والغنى مالاً كثيراً ، ويعطيه بتمامه في مجلس الأخذ وفي يومه» . ثم أخذ في تفصيل أولاده واحداً واحداً على الأجمال .

### كلام الشيخ أسد الله في حق الشيخ الكبير

ولعلك أيها الناظر لا تكتفي بهؤلاء وتقول ننظر في هذا المقام «إلى من قال لا إلى ما قيل» ، وهؤلاء وإن كانوا من أجلة الفضلاء إلا أنهم ليسوا من المشاهير ، ولا الجماهير ، حتى يعتقد بأن (الشيخ) جمع الرئاستين من ليس بها خبير ، فلنذكر لك ما يكفيك من كلام من لا تخفى عليك جلالة قدره ، وعظم منزلته ، العلامة الفهامة ، مالك أزمة التحقيق والتدقيق ، الشيخ أسد الله<sup>(٣)</sup> في (المقابيس) ، عطر الله مرقده النفيس ، ونصّه : «ومنها

(١) ذكر التنكابني في مقدمة كتابه «قصص العلماء» أن هذه الإجازة لا تفتقر عن كتاب «لؤلؤة البحرين في الإجازة لقري العين» للشيخ يوسف البحراني المتوفى سنة ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م . وكان السيد شفيح البروجردى قد كتبها إلى ولده السيد علي أكبر ، وهي بعنوان «الروضة البهية» .

(٢) هو السيد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م .

(٣) الشيخ أسد الله التستري الكاظمي كان فقيهاً من مشاهير المحققين ، وهو صهر الشيخ جعفر كاشف الغطاء على بنته . توفي سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م ، ومن أشهر مؤلفاته «مقابس الأنوار في أحكام النبي المختار» وعُرف أحفاده بال (أسد الله) نسبة إليه .



الأستاذ السعيد الشيخ الأعظم الأعلام قرّة الأنام ، وسيف الإسلام ، علم الأعلام ، علامة العلماء الكرام ، خريّت طريق التحقيق والتدقيق ، مهذب مسائل الدين الوثيق ، مالك تقريب مقاصد الشريعة من كلّ فج عميق ، وحيد العصر ، وفريد الدهر ، ومدار الفصل والوصل ، ومنار الفخر والفضل ، خاتمة المجتهدين ، وإسوة الأفاضل المعتمدين ، وحامي بيضة الدين ، وماحي آثار المفسدين ، بدر النجوم ، وبحر العلوم ، المؤيد المسدد من الحي القيوم ، شياخي وأستاذه ومعتمدي واستنادي ، وجدّ أولادي ، الأجل الأكمل الأفضل ، الأورع الأجل ، الألمي اللوذعي ، التقى النقي الرضي المرضي ، الزكي الذكي ، الوفي الصفي ، الخائض المغمر في عواطف بحار لطف الله الجلي والخفي ، الشيخ جعفر بن المرحوم المبرور شيخ خضر النجفي (أدام الله ظلاله) على رؤوس العالمين ، وزين به كراسي العلم للعالمين ، وجزاه الله عني خير جزاء المحسنين ، المعلمين يوم الدين ، وهو صاحب كتاب «كشف الغطاء» ، الباسط العطاء ، على أولي الذكاء ، وعلى غيرهم في غاية الغموض والخفاء» ، (أنتهى موضع الحاجة) <sup>(١)</sup> .

هذا والحالة أن الشيخ أسد الله كما ينقل عنه وهو مشهور غير بعيد قد فرغ من المعقول والمنقول ، وجميع العلوم قبل العشرين .

وقال السيد الهمام ، والعليل العلامة إمام المحدثين السيد عبد الله شبر ، وهو من تلامذة الشيخ الأكبر في كتابه المعروف بـ «كشف الأنوار في حلّ مشكلات الأخبار» <sup>(٢)</sup> وهو من أحسن ما صُنّف في هذا الباب . قال في أوله : «الحديث الأول ما رويته بأسانيد عديدة ، وطرق سديدة عن جملة من مشايخي الكرام ، وأساتيذي العظام ، ومنهم : - وهو أعظمهم شأنًا ، وأرفعهم مكانًا ، وأقومهم برهانًا - قدوة الأنام ، وعلم الأعلام ، وناموس العصر ، وعظيم القدر ، صدر صدور الأفاضل ، وبدر بدور المحافل ، جامع أشتات الفضائل ، ووارث علوم الأواخر والأوائل ، ورافع المشكلات عن معضلات المسائل ، بحكمات الدلائل ، مهذب مسائل الدين الوثيق ، ومُقرّب مقاصد الشريعة من كلّ فج عميق ، مقيم شعائر الإسلام والدين ، وحجّة الله على العالمين ، المؤيد من الله بلطفه الجلي والخفي ، شيخنا ومولانا الشيخ جعفر النجفي ، مدّ الله ظلّه على العالمين ، وأدام فضله على سائر المسلمين . ثم ذكر

(١) طُبِعَ كتاب (المقابس) طباعة حجرية نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، والكلام المنقول في (المتن) مذكور في صفحة (١٩) من هذه الطبعة . وجاء في عنوان الكتاب من النسخة المطبوعة (مقابس الأنوار ونفائس الأسرار المقتبسة من مشكاة آل محمد المختار) .

(٢) ورد في النسخة المطبوعة لإسم الكتاب بعنوان «مصابيح الأنوار» .

بعده السيد العلامة الطبطبائي ، والمُرَّجَّ البهبهاني ، وأمثالهما ، رحمهم الله أجمعين<sup>(١)</sup> .

وإنما أورد لك أيها الناظر في هذه (الرسالة) هذه الأشياء كيلا تقول في حقي هذا رجل مغال بأجداده وأبائه ، وتعلم أن هذا أمر مغروس في نفوس أهل العلم وكبرائه ، وأما أنا فلم يزدني ذكر هؤلاء العلماء في حقه من المدح والثناء ، شيئاً من الأشياء ، بل ازدادوا عندي بمعرفة من (الشيخ) رفعة وفضلاً ، وبأنوا عندي أنهم كانوا للكمال أهلاً . وما هذا إلا كما يحكى عن أبان بن تغلب (رحمه الله) أنه كان يأتي مسجد المدينة فتخلى له سارية النبي (ص) ، ويجلس ويحدث الناس فجاء يوماً شاب من أهل المدينة وقال له : يا أبان كم كان مع (علي) في حروبه من أصحاب النبي (ص)؟ فقال : يا ضعيف اليقين أظنك تريد أن تعرف فضل الأمير (ع) باتباع أصحاب النبي (ص) له ، وأنا ما عرفت فضل (عمّار) و(فلان) و(فلان) إلا بخروجهم معه ، واتباعهم قوله .

ومثله ما يحكى عن بعض (الصوفية) من ذوي الاعتبار ، أنه قال لما رأى كلام بعض المتكلمين أنه تعالى تدل عليه (الخلق) و(الآثار) : «إني ما عرفت الدنيا وما فيها ، إلا بمعرفة منشيها» .

والحديث شجون ، فلنختتم هذا المقام بحكاية في «معدن الشرف» هنا محلها . رؤيَ عن عدة من الثقات أن السيد مير علي<sup>(٢)</sup> صاحب «الرياض» اجتمع مع السيد جواد<sup>(٣)</sup> صاحب «مفتاح الكرامة» ومعه جماعة ، وكان في (كربلاء) ، فأخذ القوم في الثناء على (الشيخ) الأكبر . وأن ليس له شريك في فضله وسجاياه خصوصاً في العبادات ، والالتزام بالنوافل والأوراد من المستحبات ، فضلاً عن الواجبات ، فقال المير : ما قلتموه حق إلا أن هذا عمل العجائز وحرفة عاجز ، فقد ترك أبحاثه ودروسه وعلمه ، وصار ملازماً للأسفار ، والسياسة ولم يبق عنده سوى ما قلتم مما هو بالنساء أخرى .

فانتدب السيد جواد فقال : يا لله للعجب العجيب ، أتقول هذا في حق رئيس المسلمين ، وحجة الله على الخلق أجمعين ، كهف الأنام ، ومرجع الخصاص والعام ، وأبي الأرامل والأيتام ، صاحب العلوم العجيبة ، والكرامات الباهرة الغربية ، من لم تسمح بمثله الأيام ،

(١) مصابيح الأنوار في حل مشكلات الأخبار ، ج ١ ، ص ٤ . وفي (العقبات) وردت السطور الثلاثة الأخيرة زيادة عما وجد في النسخة المطبوعة .

(٢) السيد علي الطبطبائي (هو ابن أخت الوحيد البهبهاني) من مشاهير مجتهد عصره ، ولد سنة ١١٦١ هـ / ١٧٤٨ م ، وتوفي سنة ١٢٣١ هـ / ١٨١٦ م .

(٣) مُحَمَّد جواد العاملي من أعظم فقهاء ذلك العصر ، اشتهر بكتابه «مفتاح الكرامة» المطبوع في الفقه الاستدلالي ، وهو من تلامذة الشيخ كاشف الغطاء ، توفي سنة ١٢٢٦ هـ / ١٨١١ م .

وتعجز عن انتاج شكله الأعوام ، فلا يضاهيه إنسان ، ولا احتوت على مثله الأزمان ، ولا يحيط بكنهه الواصفون ، ولا يعلم أقل مزاياه العالمون . (ثم أطال في الأطراء والثناء بما لا مزيد عليه) ، حتى قال ، وتحسب أيها (السيد) أن كثرة الأسفار ، بما يمت إلى ذلك الهيكل القدسي بالعار ، وأنتك بجلوسك هذا تقاربه أو تدانيه ، أو أنك بقدحك هذا فيه تساويه ، كلا ثم كلا ، وهل قام عمود الدين إلا في أسفاره ، وفيه ، وهل هذا إلا سيرة ساداته ومواليه ، أليس النبي (ص) خرج إلى (الطائف) ، وهاجر إلى (المدينة) لإحياء هذا الدين ، وتبعه على هذا وصيه أمير المؤمنين (ع) ، فقد هاجر من (المدينة) إلى (البصرة) ثم إلى (الكوفة) ثم إلى (النهروان) و(الشام) كله محافظة على الشريعة . كما تُنبئ عنه الرواية أنه (عليه السلام) لما حمل على أهل (الشام) ، وخفى صوته ، وحمل أولاده وأصحابه فوجده (مالك) يُصلي فقال : يا سيدي أبعث هذا المكان تصلي؟ فقال (ع) : «يا مالك وهل قتالي إلا للصلاة» . وكذا سيرة ولديه المظلومين الحسن والحسين (ع) ، وكذا سائر الأنبياء والأوصياء (ع) .

وقد أنزل الله تعالى ذلك في محكم كتابه كقوله تعالى : «إنما أنت منذر ولكل قوم هاد»<sup>(١)</sup> ، وأمثال هذا كثير ، فقد حذا (أيده الله) حذو المتقدمين من الأنبياء ، والوصيين ، وعباد الله الصالحين ، حتى قام عمود الدين بعدما مال ، وأرشد إلى سبيل الهدى جماعة من أولي الضلال . ولم يزل (السيد) يزأر ، ويهدر بهذا ، وأمثاله حتى سكنت فورته ، وقرت شققته .

وبلغ الخبر إلى السيد الحسيب المحقق المدقق السيد محسن الكاظمي<sup>(٢)</sup> وهو في (بلده) ، فشد الرحال حتى اجتمع بالسيد المير وقال له : أنت القائل على رئيس مذهبنا وإمام ملتنا ، قد ضييع علمه ، وصار من أهل الأسفار؟ فقال له (السيد) : وما الذي جاء بك؟ فقال : سمعت مقالتك ، وجئت لمعاقبتك ، وتأنيك ، (إنتهى) .

ورواها بطريق آخر عن حجة الإسلام الشيخ العلامة الشيخ مُحَمَّد طه نجف<sup>(٣)</sup> (حفظه الله وأيده) ، ومولى المسلمين الشيخ عباس (أدام الباري وجوده) أن السيد مير علي كان مشغولاً بالتأليف ، والتصنيف ، ومولعاً بكتابه المعروف (بالرياض) مفتخرأ به ، ولم تكن له يد

(١) سورة الرعد ١٣/٧ .

(٢) السيد محسن الأعرجي الكاظمي ولد سنة ١١٣٠هـ / ١٧١٨م ، وتوفي سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م ، وهو من تلامذة البهبهاني ، والسيد مهدي بحر العلوم ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء . له مؤلفات أهمها كتابه «المحصل في علم الأصول» الذي اشتهر به .

(٣) من كبار مجتهدى النجف توفي سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م .

بالعبادة ، فلا يزيد في صلاته على غير الطريقة المعروفة من نوافل وتعقيبات وغير ذلك . وكان (الشيخ) محافظاً على تلك الأشياء خصوصاً النوافل المرتبة ، فاتفق أن اجتمعا يوماً فقال (الشيخ) للسيد : إنك من العلماء المشهورين فلم لا (تتنفل) بصلاتك وهو نقص بمثلك ، فكيف إذا اقتدت (عوام) الناس بك؟ فقال (السيد) معرضاً بالشيخ : النوافل سيرة العجائز ، لكن أنت لم تركت العلم وصرت من أهل الأسفار ، وحُرمت لذة التصنيف؟ فسكت الشيخ عنه .

وبلغت هذه إلى السيد محسن الكاظمي فأتى إلى (كربلاء) ، واجتمع (بالمير) وقال له : أنت العاتب على شيخ الطائفة ، ورئيس الفرقة الحقة بذلك الكلام؟ فقال له (السيد) : ما أنت وهذا نحن علماء يتكلم بعضنا مع بعض فما أنت والدخول في البين ، (انتهى) . مع التهذيب والأختصار الكثير بما ذُكر من التطويل الذي لا طائل تحته ، فإن نقل مثل هذا عن العلماء في غير محله إلا مع حمل كلامهم على خلاف ظاهره ، وتوجيهه بغير مؤداه ، فإنه قد قيل :

إذا صدرت من صاحب لك زلة فكن أنت مُحْتالاً لزلته عذرا

فكيف إذا صدر من العالم الواجب الأتباع ما هو بنظر العامي زلة ، وإلا فحاشا أن يقع منهم مثل ذلك ، مع أننا لا نعتقد العصمة فيهم .

فممن ذكر شيئاً من ذلك فما أجاد ، ولا وافق السداد ، صاحب «قصص العلماء» فإنه نقل عن (الشيخ) أنه كان يقول : «إن كان (العلامة) و(الشهيد) مجتهدين ، فأنا لست بمجتهد ، وإن كان السيد (مير علي) مجتهداً فأنا ثمانية مجتهدين»<sup>(١)</sup> ، وهذا من الخلط الذي لا ينبغي . وأنت على فرض صحتها لا تخفى عليك الأوجه والمعاذير مع علمك بأن الحق مع كل منهما ، وأنه عليه يسير .

وأنا أظن ظناً قوياً أن كل هذا لا أصل له ، كيف وقد رأيت من تعظيم (الشيخ) لهذا (السيد) العظيم ما يبعد معه صدور هذا الأمر الذميمة . قال الشيخ في «الحق المبين» ما هذا نصه : «واجتمعت مع أعظم علمائهم فقال لي رأيت في (رسالتك) ، و(رسالة) السيد علي - يعني زبدة المجتهدين وأفضل العلماء العاملين ، مولانا ومقتدانا سيد مير علي دام ظله السامي - » ، (إنتهى محل الحاجة) .

وإن شئت قلت وما أنا والدخول بين هؤلاء الأولياء المقربين ، ومثل السيد (محسن) مُنَع

(١) قصص العلماء ، ص ١٩٤ .

عن ذلك فكيف بمثلي ، وهاهم قد وفدوا على رب كريم ، فأحلهم دار المقامة لا يمسهم فيها نصب ولا لغوب يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين ، ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين . ونحن نسأل الله أن يدخلنا في زميرهم ، ويرزقنا شفاعته حجيجه ، وشفاعتهم .

وهذا القدر كان في الأنباء عن ضمّ (الشيخ) الرئاستين ، وجمعه لأقصى ما يتصور من هاتيك المنزلتين .

وأما تواضعه للشریف والوضيع مع هيبته وصولة تريعان قلب البطل المريع ، اللتان أعرب عنهما في «روضات الجنات» حيث قال ما نصه : ومن صفاته المرضية ، أنه كان (رحمه الله) شديد التواضع والخفض واللين ، فاقد التجبر ، والكبر على المؤمنين مع ما فيه من الاقتدار ، والهيبة ، والوقار ، والصولة ، فلم يكن يمتاز في ظاهر هيأته عن واحد من الأعراب ، وترتعد من كمال هيبته فرائض أولي الألباب ، وكان أبيض الرأس واللحية في أزمنة مشيبة ، كبير الجثة ، رفيع الهمة ، سمحاً شجاعاً ، قوياً في دينه بصيراً في أمره ، كثير التشوق إلى الأنكحة والطعام ، والتعلق بأبواب الملوك والخدام لأجل ما في ذلك من المنافع اليقينية ، والمصالح الدينية<sup>(١)</sup> ، (إنتهى) .

فقد كان (رحمه الله) إلى بلد أو مصر التمسوه على الصلاة في مسجد الكبير فيجيبهم ثم يخرج فيصلي أولي الفريضتين ويقدم في الثانية صاحب المسجد الذي يصلي فيه إماماً سائر الأيام . فاتفق لما كان (بإصفهان) أنه وصل إلى محلة (بيداداماد) فدخل المغرب وكانت عادته في (إصفهان) أنه أينما دخل عليه الوقت صلى في المسجد الذي هو قريب فدخل إلى مسجد تلك المحلة ، وكان يصلي فيه حجة الإسلام السيد مُحَمَّد باقر<sup>(٢)</sup> ، فلما رأى (الشيخ) قدّمه ، وكان أستاذه ، وتنحى عن (المحراب) ، فصلّى (الشيخ) المغرب بالناس ، ثم إلتفت إلى الصفوف فرأى قريباً منه ملا علي النوري فقال له : قم فصل بنا (العشاء) ، فامتنع (الأخوند) ، وأصرّ على الأباء ، فأخذ (الشيخ) بكفه فقال له (الأخوند) ، أقسمت عليك إلا كففت عني لأن شرائط الإمامة غير مجتمعة فيّ ، فقال : أمّا يقبح بالرجل أن يبلغ هذا القدر من العمر ولم يك صالحاً لئن يكون إماماً ، ثم أمر حجة الإسلام فصلّى بالناس ، ووصلّى (الشيخ) خلفه ، كذا في «قصص العلماء»<sup>(٣)</sup> .

(١) الخوانساري ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٢) السيد مُحَمَّد باقر الرشتي لُقّب بلقب (حجة الاسلام) لغزارة علمه ، وزعامته الروحية . توفي سنة ١٢٦٠ هـ

/ ١٨٤٤ م .

(٣) قصص العلماء ، ص ١٩١ .

وهذا وإن كان غاية في التواضع ، وحسن الأخلاق إلا أن الأعجب منه ما ذكره أيضاً في ذلك الكتاب من أن (الشيخ) وصل إليه (حق) ففرقه بين الصلاتين على المستحقين ، فلما نفذ أتى إليه (سيد) فقير رث الثياب ، الحماسة تلوح على شمائله ، فقال للشيخ : إعطني حق (جدي) ، فقال (الشيخ) : قد نفذ ولم يبق شيء فلم تجئ أولاً حتى تأخذ نصيبك منه ، فجمع (السيد) ماء فمه ، وبصق على كريمة (الشيخ) المباركة . ورمته الناس بأبصارهم شزراً ، وأرادوا أن يقطعوه بأضراسهم ، وجعلوا ينتظرون صنع (الشيخ) فيه ، فقال الشيخ له : إجلس يا سيدي مكانك وأنا أتيك الآن بما تريد ، فأخذ الشيخ طرفي ثوبه بيده وجعل يدور بنفسه بين الصفوف وهو قابض بيده الأخرى على كريمة قائلاً : من كانت لحية شيخه عزيزة عليه ، فليمدد لإعانة هذا (السيد) المبارك يديه ، فتعجب الحاضرون ، وما كان إلا يسير حتى امتلأ رداء (الشيخ) بالدراهم والدنانير ، فجاء بها إلى (السيد) وقال له : نرجوك العفو يا سيدنا ، والشفاعة عند (جذك) ، ولم يزل يعتذر إليه ، ويتضرع بين يديه حتى قال (السيد) : عفوتُ عنك ، وأخذ المال ومضى ، ورجع (الشيخ) إلى صلاته<sup>(١)</sup> .

وأنا بعد هذا لا أذكر لك في تواضعه شيئاً ، فأنت خبير أن هذه ليست إلا ملكة نبي مكرم ، وإمام مُعظَّم ، وما هي إلا العصمة المقتبسة من الأئمة (عليهم السلام) ، إذ لو تكلم (الشيخ) بحرف واحد أو أظهر (الكلورة) ، و(الأنزعاج) لصار (السيد) هباء ، ولعاد وجوده وعدمه سواء .

وأما جوده وكرمه على المساكين ، وسعيه لفقراء المؤمنين ، فقد سمعت كثيراً من (الشَّيْبَةِ) الصالحين ، كما هو في «قصص العلماء» أيضاً أن (الشيخ) في أغلب الأعوام والسنين (يرهن) داره وينفق الأموال على الفقراء والمساكين ، من الطلبة والمشتغلين ، ثم يسافر إلى (العجم) ، ويأتي بمال جم ، فيسترجع داره ، ويصرف الباقي في الوجوه<sup>(٢)</sup> .

وفي «روضات الجنات» أنه كان يؤجر نفسه للعبادة ثلاثين سنة ، ويصرف ذلك على متعلقه<sup>(٣)</sup> .

وقال عمي العباس بن الحسن ، (لا زالت مناهل فيوضاته مترعة للواردين) ، في (نبذته)<sup>(٤)</sup> التي جمع فيها أحوال أبيه (الحسن بن جعفر) ؛ فمما ذكر في مقام أن الأمام (ع)

(١) قصص العلماء ، ص ١٩٣ .

(٢) قصص العلماء ، ص ١٨٨ .

(٣) روضات الجنات ، ج ٣ ، ص ٢٠١ .

(٤) سمّاها (نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري) ، فرغ من تأليفها سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٦ م ، وقد أوردها المؤلف ضمن هذه (العبارات) .

لم يزل يمد العلماء الذين يرى منهم القابلية ، ويؤيدهم بالتأييدات الربانية ، ومنهم والده المطهر حيث رزقه الله الهيبة والعظمة في نفوس الأمراء والسلاطين حتى دفع عن أهل (النجف) بواقعة نجيب باشا (الآتية تفصيلاً) . ولم يزل في ذلك حتى قال : وكيف لا ، وهذا جدنا (كاشف الغطاء) بلغ في بدء أمره من الحاجة ، والفقر ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت حتى أنه كان يتربص الفرص في (المال) الذي أعرض عنه صاحبه من الطعام وغيره فيجتزئ منه بمعاشه ، وهو مكبٌ على التحصيل إلى أن وصل أمره إلى جلوسه ليلاً بين مواضع (النجو)<sup>(١)</sup> المعدة في الصحن الشريف كي يستضيئ بسراجها الموقوف لها في المطالعة من حيث عجزه عن قيمته . وهو مع هذه الحاجة شكى إليه بعض إخوانه العزوبة لعدم تمكنه من الزواج فأجّر (الشيخ) نفسه نيابة عن (ميّت) مقداراً من السنين صوماً وصلاةً ، ودفع مال الأجارة إلى أخيه المؤمن فتزوج بها<sup>(٢)</sup> .

ولما عرف الله منه صدق النية، وأن لا قصد له في طلب العلم إلا التقرب إليه أمده  
بأكسير ألطافه حتى بلغ مرتبة تيسر فيها كلما يريد، وصار من الجلالة وعلو القدر بمقام لا  
يمكن وصفه، وطاف أغلب البلاد، وهدى الله به خلقاً كثيراً، وانتشر صيته في الآفاق.

فراجع ما رسمه بعض العلماء من أوصافه لتقف على العجب العجائب الذي يستكشف فيه أنه منظور من إمامه ؛ فكم فرج كربةً ، وأزاح علةً ، وكم حرس (النجم الأشرف) من كيد (سعود) وشرةً ، وصار سبباً لبناء (السور) الموجود ، ودفع عن أهاليها الضيم مراراً ، وقتل (المارقين) من فرقة (عقيل) في الفيحاء ، وأحمد نار بعض الفرق المشبهة ، وشتت شمل أهل التصوف بمساعدة الملك المؤيد الساري بسيرة العدل في الرعية سلطان إيران فتح علي شاه قاجار<sup>(٣)</sup> .

وما اختص به دون غيره من مشاهير العلماء أن حباه الله بصحة المزاج ، وأنعم عليه بأن تمكن من السفر والعبادة ، وخصه بأن أبقى بعده من بنيه علماء راشدين مسلم لهم بالفضيلة ، ولم يُخلِ داره من (عالم) يدعو إلى الخير ، وتجري على يده الخيرات ، وينفّس عن المكروب .

(١) موضع (النجو) هو موضع الغائط . ويُطلق عليه اليوم (المرافق الصحيّة) .

(٢) وكتب المؤلف تعليقة على هذا الموضوع حيث قال : « سَمِعْتُ مِنْهُ أَقْنِي مِنْ جَنَابِ الشَّيْخِ عَبَّاسٍ (سَلَّمَ اللَّهُ) ، وَمِنْ جَمَاعَةٍ مِنَ (الشَّيْبَةِ) الصَّالِحِينَ أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مَعَ الشَّيْخِ حَسَنِ نَحْفِ الْعَابِدِ الزَّاهِدِ الْفَقِيهِ الْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنَّهُ شَكَى الْعِزْوَةَ إِلَى (الشَّيْخِ) وَكَانَا خَلِيلَيْنِ ، وَأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ عَلَى (الْمَهْرِ) ؛ فَأَجْرَ (الشَّيْخِ) نَفْسَهُ لِلْعِبَادَةِ بِمَقْدَارِ كَثِيرٍ مِنَ الْمَالِ ، وَبِذَلِكَ لِلشَّيْخِ حَسَنِ ، وَلَمْ يُخْبِرْهُ بِذَلِكَ . وَهَذَا مَا لَا يَلِمُ بِفِكْرٍ أَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ فِي بُلُوغِ الشَّيْخِ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ » .

(٣) الشاه فتح علي القاجاري حكم من سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م ، حتى وفاته عام ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م .

وروى لي جماعة ممن يوثق بهم أنه سأل الله تعالى في المقام تحت (الميزاب) عام حجّه بأن لا يخلّي بيته من العلم ، وأن يجعل في ذريته من يُقتدى به إلى ظهور الحجة (ع) ، فنسأل الله ذلك ، وأن يستجيب دعاءه .

وأعجب ما اختص به أن جعل الله (أسباطه) من (بناته) ، كلهم أيضاً علماء يُقتدى بهم ببركته مثل أولاد الشيخ أسد الله<sup>(١)</sup> ، وأولاد الشيخ مُحَمَّد تقي<sup>(٢)</sup> ، وأولاد الشيخ مُحَمَّد آل الشيخ خضر ، فإنه أعقب من بنته الشيخ (راضي) العالم الفاضل المعروف . ولو شئنا أن نذكر ما وقفنا عليه من صفاته وحالاته وما منحه الله للأناطروس ، ولكن حيث تعرض لبعض ذلك غيرنا طويلاً عنه كشحاً . فاعتبر آثاره فهذا يكفي في جلاله وقدره وعظم مرتبته . فخرجوا أن يقيض لنا الله في هذا العصر علماً للشرعة الغراء منظوراً من إمامه (ع) ، (إنتهى) .

وسنذكر جميع آثاره ، ومساعدته في الدين التي أشار إليها العم (سَلَّمه الله) .

وفي «قصص العلماء» شواهد كثيرة لما نحن فيه ، من جود (الشيخ) وأياديه ، منها : أنه كان ما بين الصلاتين يأخذ بكفيه طرف رداءه ويتردد بين الصفوف ، ويلتمس من أهل الجماعة ، الأموال للفقراء حتى يجتمع فيه مقدار غزير فيناديهم ويفرقه فيهم ، ويعود لصلاته .

ومنها أن (الشيخ) كان من عوائده إذا دعاه (حاكم) ، أو (ظالم) ، أو أحد (التجار) ليُشرف داره ، ويتناول من طعامه أجابه لذلك ، فإذا مُدَّ الخوان ، وحضرت الأطعمة والألوان ، قومها (الشيخ) مع الحاضرين بقيمتها الواقعية ، ثم قال لصاحب الدار : أنا لا أكل شيئاً منها ، ولا أذن لأحد بذلك حتى تبتاعها مني ، وتعطيني (الثلث) ، فيحضر صاحب المكان ثمنها للشيخ فيأذن للحاضرين ، ويأكل هو منها . حتى أنه حضر عند بعضهم بعض الأيام فقوم ما أحضر من الطعام ، وكان وليمة عظيمة يبلغ مصرفها ثلاثمائة دينار ، أو أزيد ، فلم يأذن لأحد بالتناول حتى حضر (المبلغ) لديه ، فكان ناقصاً ديناراً واحداً ، فقال صاحب المكان : يا مولانا نخشى أن يبرد الزاد فكل ، ولا تخرج من الدار حتى تأخذ (الدينار) ، فأبى وامتنع عن الأكل حتى أحضر لديه ، فأكل وأذن للحاضرين . حتى إذا فرغ بعث رسوله إلى أهل المدارس ، وفقراء البلد فأحضرهم بخدمة (الشيخ) ، وفرق المال عليهم ، وقام وليس معه

(١) هو الشيخ أسد الله التستري ، المتوفى سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م .

(٢) الشيخ مُحَمَّد تقي بن محمد رحيم الأصفهاني صاحب الحاشية على (المعالم) في علم الأصول . توفى سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م .



من المال شيء .

ومنها : أنَّ (الشيخ) لما عزم على الرحيل من (إصفهان) ، وركب (راحلته) خارجاً من داره ؛ أتاه سيّد فأخذ بلجام (دابته) وقال له : أنا (سيّد) محتاج مضطر إلى قدر مائة تومان ، وأريدها الآن منك ، وكان (أمين الدولة) يومئذ حاكم (إصفهان) ، فقال (الشيخ) للسيّد : إمض إلى (أمين الدولة) وقلّ له يقول (الشيخ) اعطني المقدار المذكور ، فقال السيد : فإن ردّني فمن لي بك وأنت راحل ؟ فقال الشيخ : لا بلّ أنا في مكاني حتى تأتني . فأوقف (دابته) وهو عليها ، ومضى (السيّد) إلى (أمين الدولة) وقصّ عليه الخبر ، وقال له : تركتُ (الشيخ) منتظراً لي وهو على راحلته في أثناء الطريق ، فانزعج (أمين الدولة) لذلك ، وأمر ملازميه بإحضار (المقدار) عاجلاً فجأؤوه (بكيس) فيه ما يزيد على ذلك القدر فجلسوا يعدون منه للسيد فقال : اعطوه (الكيس) بما فيه ، فقبل له فيه ما يزيد على مائتي ألف فقال ولو بعشرة فإنني أخشى أن يطول انتظار (الشيخ) فيأتي ، ويقع البلاء علينا بواسطة تعطيله ، فأخذ (السيد) الكيس ، وأتى (الشيخ) فوجده على (دابته) ينتظره ، وخلفه خلق كثير فأخذ الكيس من السيد وعدّ له طلبته وقال له : أعلم فقراء (البلد) فليأتوا ، ووقف حتى اجتمعوا وفرّق المال الباقي فيهم أجمع ، ثم حرّك راحلته وتوجّه إلى قصده .

ومنها : لما شرفَ (قزوين) ، وحطّ رحله في دار (ملاً عبد الوهاب) اجتمعت عليه حكام سراي الشاه ، وأعيان التجار ، وطلبوا منه أن يُشرف منازلهم على مقتضى العادة من (البازيد) المعروف في زماننا ، فالتمسوا من (ملا عبد الوهاب) ذلك فرجّح للشيخ هذا الأمر فأجاب إليه ، وخرج مع أصحابه الأطياب ، ويخدمتهم ملا عبد الوهاب . فلما وصلوا إلى السوق أقبل التجار ، وولاة سراي الشاه وحكام البلد مسرعين فاستقبلوا (الشيخ) وقبلوا يديه ، واصطفوا خلفه ، ووقع بينهم النزاع والجدال وكلّ يروم أن يشرف (الشيخ) داره أولاً ، فعرض عبد الوهاب مشاجرة القوم بخدمة (الشيخ) فجلس (الشيخ) في وسط السوق وقال : مَنْ أهدى للشيخ هديةً أنفس من هدية أصحابه شرفَ (الشيخ) داره قبل أصحابه . فكلّ أتى بشيء تناوله من السوق عجلًا من (شالة) نفيسة ، أو (عباءة) مثمّنة وغير ذلك ، حتى جاء بعضهم (بطشت) كبير ملوّء بالدراهم والدنانير فقال (الشيخ) : أنت أول من أدخل داره ، ثم أمر بعض صحبه فجمع له الفقراء ، والمساكين ففرّق تلك الأموال بينهم ، وقام إلى الدار ، وليس معه درهم ولا دينار .

ولعلك لا ترى بهذا الفعل حسناً كثيراً ، وتسأل عن وجهه وسببه ، ولكن قال في «قصص العلماء» ما هذا نصه : يقول مؤلف الكتاب : ولا تحسب أن بهذا المال شبهة أو

إشكالاً ، فإنّ (الشيخ) كان يعلم أنّ ذم هؤلاء مشغولة بأغلب الحقوق من زكوات وأخماس ، ومراد مظالم ، وغير ذلك ويرى أن استيفاء حقوق الله واجبة بأي طريق كان خصوصاً بالنسبة إلى مثله ، نظراً إلى عموم (الولاية) ومراعاة حق الفقراء<sup>(١)</sup> ، (إنتهى) .

ويؤيده قول (السيد) في «روضات الجنات» ونصّه : كان الشيخ (ره) يرى إستيفاء حقوق الله تعالى على سبيل القهر ، والخرق من الخلق وياشر ذلك أيضاً بنفسه ويصرفه بمحض القبض إلى مستحقّيه الحاضرين من أهل الفاقة والفقر ، ونقل أنه في مبادئ أمره كان ذا عيلة شديدة في مسغبة ، ومسكنة ذات متربة ، فرأى أن يؤجّر نفسه من بعضهم لإتمام ثلاثين سنة من العبادة يستغني بأجرتها عن مؤونة زمان التحصيل<sup>(٢)</sup> ، (إنتهى) .

ولم تزل هذه عادته ، وعلى هذا المتوال سيرته ، فكان إذا قبض الحق لا يستقر عنده دقيقة ، ولا يقوم من مكانه إلا وقد أوصله إلى مستحقّيه . وكان إذا أتاها (حق) وإلى جنبه (سيد) أو (مستحق) أعطاه الحق ولو كان ألفاً ، ويقول : «خيرُ العطاء ما أثرى منه العديم وفكُّ به الغريم ، وأشيعَ جائعاً ، وكسا عارياً . وأحسنُ النوال ما إذا قام عنك السيد مسروراً وانقلب إلى أهله بالخير والحبور» . وكان (ره) طالما يؤثر الفقراء (والسادات) على نفسه ، وأنفس أهله ، وأولاده وإن كان به وبهم خصاصة .

فمنه ما في «معدن الشرف» أنّ ولده المحقق الشيخ (علي) تراكت عليه الديون وأقلقت الحاجة ، وأزعجته الفاقة فجاء لأبيه (حق) غزير ، وكان قد شكّا إليه أحواله وأنه عن ينطبق عليه (حق) الفقراء ، فحمل له من ذلك المال مقداراً مُعيناً فأخذها الشيخ (علي) ، ولم يعلم به أحداً من أهله وعياله وجعلها في صرة وأخفاها بين كتبه ليفي بها دينه ويصلح حاله . فاتفق مجيء مُستعط من الشيخ الكبير بعد نفاذ ذلك الحق الغزير ، فشكا إلى الشيخ الحاجة وضيق المعاش فأقسم الشيخ بعدم وجود شيء عنده ولا تحت يديه فهمّ السيد بالخروج فقال له : عزيز عليّ أن يدخل إليّ طالب ، فينقلب خائب ، فقف مكانك عسى أن يهيئ الله لك شيئاً عند أهلي وأولادي . فتركه ودخل على ولده الشيخ (علي) وقال : يا ولدي ما تقول فيمن قدّ أذخر مالاً له ، وبات مكتفياً شابعاً ، وبات أخوه المؤمن محتاجاً جائعاً ، فقال : بش الرجل ذاك يا أبتّي ، فقال له : فاملدُ يدك وأعطني (الصرة) التي بين كتبك لأفرّج بها عن أخيك المؤمن كربته ، وأبرد غلته ، ولا تكن أنت ذلك الرجل الذي أعبته . فعندها لم يستطع (علي) مخالفته ، فدفع له صرّته ، ودفعها (الشيخ) إلى ذلك المحتاج وردت الفاقة إلى

(١) قصص العلماء ، ص ١٩٢ .

(٢) روضات الجنات ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ .

(عليّ) كما كانت .

ولك بهذا المقدار من سجايا (الشيخ) ، وصفاته كفاية ، فأنّ مآثره ، ومكارمه ليس لها حدّ ولا غاية ، فأنتى ومن منحه هذه المكارم الجليلة ، طالما سمعتُ من (الشَّيْبَةِ) الصالحين أمثال ما ذكرته بما ينيف على الألوف من الصنائع الجميلة ، خصوصاً في أهل (النجف) ، وأنه كان يشتري لهم الدور والمساكن ويبذل لهم مصارف الأعراس ، وغير ذلك من اللوازم ، والضروريات . ولكننا ذكرنا لك في كلّ مقام نبذة من مآثره يسيرة ، تدلك على منزلة عند الله كبيرة .

فلننتقل إلى ذكر أسفاره ، وما إتفق فيها ، وفي أحضاره ، من الحوادث العظيمة ، والوقائع المشهورة ، والنكات المُستَحْسَنة ، والتخلصات اللطيفة ، وهذا هو الفصل الثالث .

## الفصل الثالث

### في أسفاره وما وقع له فيها

أمّا أسفاره فكثيرة لا تحصى ، ونحن نذكر المشهور منها :

#### سفره إلى بيت الله الحرام

فمن ذلك حجّته الأولى سنة ١١٨٦<sup>(١)</sup> المؤرخة بقصيدة للسيد صادق الفحام يهنئ (الشيخ) فيها بقدمه ، ويؤرّخ ذلك العام بقوله .

وبذلت أقصى الجهد في تأريخه (نلت المني بمنى ، وجئت حميدا)

وكان الطريق على البر يومئذ مخوف ، ودون التشرف بتلك البقعة المقدسة خوض الحتوف ، ولم يكن على ذمة قوم تلتزم به كالיום ، فلذا كان طعمة للغائر ، وفريسة للوارد والصادر ، وكانت الناس تذهب على طريق البحر ، فتجد البؤس الشديد والضرب ، وربما يحول عليهم عام كامل ، ولا يقع السير بهم على حاصل .

فجهز (الشيخ) جماعة من أهل (النجف) من المعروفين بالشجاعة ، وأمرهم بالسير معه ، وهياً لكل واحد عُدّة من السلاح مجتمعة ، فمما يقال أن والدته الشاه المعظم فتح علي شاه كانت في (النجف) فرغبت في (الحج) ، ولم يكن رجل من ذويها وأهلها ليسير بها ، فأرسلت إلى (الشيخ) تسأله أن تسير بخدمته على أن يعقد عليها (منقطعا) فأجاب إلى ذلك ، وقفل بها معرساً برحله خارج البلد ، وباتوا الليل حتى إذا سلّ الفجر من غمد الدجى عضبه ، أخذ الحادي في البيداء ركبته ، فلم يبق في (النجف) شريف ولا وضيع ، إلّا خرج للتوديع ، وأوصلوا (الشيخ) إلى عين (الرحبة) حفاة ، وراكبين ، ثم رجع المشيعون ، وبقي زهاء مائتي فارس خلفه مدلّجين ، خوفاً عليه من غارة الأعراب ، والسلب والانتهاب . فلما علم (الشيخ) بأمرهم أمرهم بالرجوع ، وقال لهم : إن معنا من جند الله ما هو أشد حولاً وقوة ، فرجعوا إلّا ثلاثين من خدمه الذين استصحبهم ، وباقي الفقراء والمؤمنين .

(١) ١١٨٦ هـ / ١٧٧٢ م . أمّا حجّته الثانية فقد كانت سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٥ م .

فقيل كانت الأعراب تأتي لنهبهم فعندما يقع نظرهم على (الشيخ) ينزلون عن خيولهم ، ويقعون على قدميه خاشعين خاضعين . ولم تمض ليلة إلا وفي خيام (الشيخ) منهم أربعون ، أو خمسون ضعيفاً .

وكانوا يتناقلون أخباره وسجايه بينهم حتى صارت تتقاصده (الأعراب) التي ليست على الطريق حتى تتشرف برؤياه .

فلما قضى مناسكه ورجع ، التمسوا منه المقام عندهم أياماً فأجابهم إلى ذلك ، فتوقف في (لجد) بمنازل (حرب) أربعة أشهر ، وكانوا كل يوم يزدادون عجباً ، وشغفاً حتى استشيع كثير منهم على يديه ، وهم إلى الآن من مخلصي (الشيعة) المؤدين للحقوق .

وحدثني بعضهم من يعتمد عليه أن (الشيخ) هو الذي عرفهم (التشيع) ، ولم يكونوا من ذلك قبله بشئ ، ثم ارتحل (الشيخ) عنهم ونصب لهم من أصحابه (علماً) يرجعون إليه في الأحكام ، وقفل ضاعناً عنهم ، وذكر مفارجه وشرفه عندهم :

وابن الأكارم ما ترحل عن حمى إلا أقام به العلى والسوددا

وظلت الألسن تلهج بذكره ، وتحدث بمزايه وفخره ، وتسأل عنه الرائج والغادي ، من الحواضر والبوادي ، وكانت كيفية سؤالهم كيف حال نزيلنا الشيخ (جعفر) . فلهذا توههم ، أو تعمد بعض المبغضين الحسد ، لذلك الشرف المخلد ، فأوهم على بعض الأوهام من العوام ، أن الشيخ (جعفر) من أهل (لجد) ، وأن الوهابي<sup>(١)</sup> المشهور من عشيرته ، بل عند بعضهم أنه من (اخوته) . ولما رأى أن ذلك لم يتم له ، بل جلب عليه الفضيحة والخزي والخجلة :

ومن يدعي شيئاً بغير دليله فلا بُدَّ يوماً أن يكذبه الحق

إدعى أن الوهابي من أهل (جناجية) ، و(الشيخ) منها ، فهم أقرباء . (وسيأتي تفصيل هذا قريباً) . والحمد لله الذي قتلهم على أيدينا بما يؤفكون ، وأزاد أوليائه شرفاً يهلك به الحاسدون .

ولما وصل الشيخ من (النجف) على أميال ، خرج الناس للاستقبال ، قائلين :

بمقدمك الميمون قد قدم البشر لأهل الحمى فالحمد لله والشكر

(١) هو محمد بن عبد الوهاب مؤسس الحركة الوهابية المولود سنة ١١١٥هـ / ١٧٠٣م والمتوفي سنة ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م ، كانت بينه وبين الشيخ جعفر كاشف الغطاء - كما ينقل المؤلف - علاقة صداقة . ومن هنا إنهم كاشف الغطاء بما نقله المؤلف في المتن باتهامات تناقلها بعض مناوئيه من أصحاب القوى المتنازعة على النفوذ في النجف .

## قصة «عقيل» وقتل الشيخ لهم<sup>(\*)</sup>

ولما أشرق بدرٌ مُحْيَاهُ في فلكِ سعده ، صدحتْ بلابلُ التهاني معلنة بشكر الله وحمده .  
ثم أن الشيخ لما استوفى الراحة من جلوسه ، وقلم أظفار تلبيسه ، بلغه أن فرقةً من (النواصب) في الحلة قد تجاهروا بسبِّ الأئمة والطعن فيهم وكانوا يعرفون بعقيل (بكسر العين والقاف) ، فتوجّه إلى الفيحاء وكان فيها بعض أولاده وأقربائه ، فبقي مدة ثم ليطلع على حقيقة الأمر ، فوجدهم كما بلغه وزيادة . وكان كلما نهاهم ووعظهم لم ينتهوا بل يزدادون غيًّا وعتوًّا ، حتى أنهم جعلوا يضربون الدفوف والطبول في (عاشوراء) ، وكان أعظم أعيادهم يوم العاشر من المحرم .

فلما رأى الشيخ ذلك لم يطق صبراً عليه ، فأمر مناديه فجمع له رؤساء الشيعة فقال لهم : إني عازم على قتال هؤلاء والجهاد معهم ، فماذا تقولون؟ فقالوا كلهم : نحن نقوم لك بهذا الأمر ؛ فمرنا نمتثل ، فقال : أرى أن تهجموا عليهم ليلاً إذا جلسوا في مجالس لهوهم وضربوا طبولهم ، وتغمدون سيوفكم في رقابهم ، فيما عليكم وإما لكم ، فقالوا : سمعاً وطاعة . وخرجوا حتى إذا هجم الليل أقبلوا بأجمعهم إلى الشيخ ، ومثلوا بين يديه ، وكل منهم قد استكمل لآمة حربه ، فهم الشيخ بأن يمضي معهم ، فأبوا وأصرروا عليه وقالوا : أنت جامع شمل الدين وسلك نظام المؤمنين ، ونخشى أن يصيبك شيء فلا يبقى الأيمان ، لا خبر ولا عيان ، فأمددنا بدعائك فسنكفيك أمرهم ، ونقيك شرهم :

فأنا كالسهام إذا أصابت مراميها ، فراميها أصابا

فقال : إن كان كلا ، ولا بُدَّ فامض معهم يا (عيسى) ، يا (مُحمَّد) يا (فلان) ويا

(\*) نقل المؤلف هذه القصة كما سمعها من عاصريه . ولم تكن الحوادث المنقولة محققة بشكها التاريخي الصحيح ؛ كما لم تكن أسباب هذه الواقعة مذهبية بحتة - كما ورد في النص - وإنما كانت أوسع من ذلك . ومن خلال النص المنقول أن تاريخ هذه الواقعة حصل حدود عام ١٢١٢هـ / ١٧٩٨م واقترب بسفر الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى إيران ، وهي السنة التي تولى الشاه فتح علي القاجاري الحكم فيها . كما ذكر أنها حدثت في عهد سلاطنة (والى بغداد) الذي تولى الحكم عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م ، وتوفي عام ١٢١٧هـ / ١٨٠٣م . إلا أن شيئاً من هذه الحوادث لم يقع في هذه المرحلة الزمنية بالذات ، بل المنقول أنها حدثت في زمن والي داود باشا الذي تولى الحكم عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م ، وتوفي سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م . ففي عهده أنشئ أحد قواته وهو (محمد أغا الكهية) عليه وذلك سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ، واستولى على مدينة الحلة بمساندة بعض العشائر المناوئة لحكم داود باشا ، وأعلن ولايته على العراق . إلا أن انتصاره لم يطل بعدما اندحر على يد قوات داود باشا . وكانت عمدة هذه القوات من بني (عقيل) ، وهم قوات من البدو السنة . وبعد انسحاب قوات الدولة تركت فرقة من العقيليين لحماية البلدة إلا أن (الحامية) مارست نفوذها ضد الأهالي مما سبب حركة تمرد ضد هذه القوات أدّى إلى ضرب مقرهم ، والفتك بهم . وقد قمع داود باشا هذا التمرد ، وأصلح سياسته في المنطقة .

(فلان) ، وجعل يخاطب أولاده ، فقاموا وتقلدوا سيوفهم واصطفوا مع القوم . حتى إذا اشتغلت تلك الفرقة الملعونة بلهوهم وضرب طبولهم قام أنصار الله فودعهم الشيخ ، وعوذهم بالتعاون الواردة ، ثم رجع الشيخ .

وذهب أصحابه حتى أتوا منازل (عقيل) ، فتسوروا (السطح) الذي فيه رؤسائهم فدخلوا عليهم ، وحكموا السيوف فيهم . وكانت كؤوس الخمر تدار بينهم فقتل منهم عشرون ، وأفلت الباقيون . فدخلوا على (بيك) الحلة صارخين باكين ، ونقلوا له القصة ، فقال لهم لا طاقة لي على محاربة الشيخ ، وهو إمام العراق ، ولكن امضوا الى الوزير ، وكان يومئذ في بغداد سليمان باشا<sup>(١)</sup> وألياً وهو من طائفة (الكولات) من أهالي بغداد ، فتوجهوا بعيالهم وأطفالهم .

وحدثني بغير هذا عمي العباس بن الحسن بن جعفر عن شهد الواقعة أن الشيخ الكبير (ره) توجه الى الحلة ، وكان فيها بعض أولاده وأقربائه فنزل في دار قريبة الى (الخان) الكبير المحاذ لشط الفرات ، وكان ذلك الخان كالقلعة للعسكر ، وكان عسكر الدولة من الطائفة العظيمة الكبيرة المعروفة بعقيل ، وفي ذلك الخان منهم أربعمائة ، أو خمسمائة ، وحذاؤه (خان) أصغر منه وهو بمكان القلعة اليوم ، وفيه ثلاثمائة ، أو أربعمائة . فلما انتصف الليل جلس الشيخ على جاري عادته لصلاة الليل فسمع الطبول تضرب والمزامير تُدق ، وقوماً تُغني وآخرون ترقص ، فأصغى قليلاً فسمع بعضهم في حالة الطرب يسبّ الزهراء (صلوات الله على أبيها وعليها) ، فلم يتحقق الشيخ الخبر تلك الليلة حتى أصبح الصباح ، فسأل الشيخ عن القوم ، وفعلهم فقبل عسكر من (عقيل) نواصب ، وهم من أولاد الخوارج المارقين ، وهذه عادتهم أكثر الليالي أنهم إذا طربوا وضربوا وشربوا جعلوا يسبّون الزهراء (ع) وبعلاها (ع) وبنيتها (ع) .

فبعث الشيخ على رؤسائهم ووعظهم وحذرهم من سخط الباري ، ووقوع العذاب بهم ، فخرجوا من عنده وهم يضحكون ويتهكمون ، ولم يزدهم ذلك إلا كفرًا وطغيانًا .

ولما صار وقتهم مضوا على عادتهم من اللهو والسب ، بل ازدادوا وقية في الأئمة (ع) ، وطعنًا في الأولياء . كل ذلك والشيخ يسمع كفرهم وعتوهم وينتظر أمرهم . فلما لم يجد منهم إلا الصعود والترقي فيما هم فيه ، نزل من السطح ، وجمع أولاده وحفدته وألقى بينهم على الأرض عمامته ، وجعل يبكي ويقول : أتسبّ فاطمة ، وعليّ ،

(١) تولى سليمان باشا الحكم عام ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م ، وتوفي عام ١٢١٧هـ / ١٨٨٣م . ولم تحدث هذه الواقعة في عهده .

وأولادهما (ع) على رؤوس الأشهاد ، وفيما رمق الحياة؟! إذن ثكلت جعفرًا وبنيه أمه ، ثم ركب بغلته ، وجعل يطوف في شوارع الحلة وهو ينادي :الجهاد الجهاد عباد الله . فلم يبق رجل ولا امرأة ولا صبي ولا صبية. إلا أخرج وبيده شئ من السلاح . فلم يمض إلا يسير من الليل حتى انضم إليه من أهل الحلة إثنا عشر ألف فارساً غير الصبيان والأطفال .

فتقدمهم الشيخ ، وساروا خلفه والأطفال تصرخ ، والنساء تهلهل حتى جاء بهم الى الخان الكبير فوجدوا أبوابه مغلقة والعسكر مشغول بلهوه ولعبه وكفروه وسبه ، وكانوا قد غلب السكر عليهم فلم يلتفتوا الى هذا كله . فأمر الشيخ بأن توضع السلالم ، فعرج الشيخ مع جماعة الى السطح وجعلوا يقربون أصحابه إليه منهم واحداً واحداً وهو يضرب عنقه ، ويكبر الله حتى أفناهم عن آخرهم . ثم أمر الشيخ أن تطرح أجسادهم للكلاب في الطرق والأزقة ، وأن يخرب (الخان) ، ويهدم سوره ، ففعلوا ذلك كله .

يقول العم ، (أدام الله تأييده) ، إن الخان الى هذا الزمان خربة معروفة بالحلة ، ولعل هذه السنة ، أو قبلها قد عمّوه جديداً .

ثم عرج الشيخ الى الخان المحاذي له فوجدوا أبوابه أيضاً مغلقة ، فأمر الشيخ أن يوضع النفط والنار عليها فأحرقت الأبواب ، ودخل الشيخ وأصحابه . وكان أهل ذلك الخان صيحة وقد أحسوا بنزول العذاب عليهم فكانوا مشغولين بالاستعداد ، فهجم الشيخ عليهم قبل أن يكملوا عدتهم ، ولكن جعلوا يقاتلون أصحاب الشيخ بما قدروا عليه من التفك والسيوف والخناجر حتى قتلوا من أهل الحلة تسعة ، و(صوبوا) تسعين ، منهم الشيخ فإنه أصيب بجرحين .

ثم إن أهل الحلة تدافعوا على الخان بأجمعهم فقتلوا العسكر بأجمعه إلا تسعة فإنهم فرّوا أول الأمر . فما طلعت الشمس إلا والقوم بين صريع ومجدل وهارب ، والشيخ يكبر الله ويقدرسه وهو يقول : الحمد لله وقعت أخت وقعة (النهران) ، فقيل وكيف ذلك؟ فقال : خرجوا على الأمير (ع) تسعمائة أو سبعمائة مرقوا من الدين ، وهؤلاء قوم مارقون عددهم ذلك العدد ، وقد قتلوا أولئك من أصحاب الأمير (ع) تسعة ، وفرّ منهم تسعة ، وهؤلاء أولادهم قتلوا تسعة منا ، وفرّ تسعة منهم ، فالحمد لله الذي جعلنا من المتأسين بأوليائه الصالحين .

ثم أمر الشيخ صبيحة اليوم الثاني أن تدفن أجساد ذلك المعشر اللعين ، بلا غسل ولا تكفين .

ثم إن أهل الحلة اجتمعوا عند الشيخ وقالوا له : لا نأمن أن يدهمنا سليمان باشا



بجنود لا قبلَ لنا بها ، ولا نستطيع الدفاع عنك ، فلو رحلتَ لكان أولى لأنك ركن الدين ، فأن سلمت سلم ، وإلا هدم ، وأما نحن فأن قُتلنا فتلك الشهادة العظمى ، والسعادة الكبرى ، وإن بقينا فلا تجدنا لك إلا ذخراً .

فقال الشيخ : نعم ما نصحتكم به ، وقد كان عزمي عليه . ثم بعث بأهله وأولاده جميعاً الذين في الحلة والنجف الى (الحسجة) ، وسار هو مع ثلاثة من خواصه على البصرة الى (العجم) .

وأما سليمان باشا فجاء بجند عظيم من (عقيل) ليأخذوا ثأرهم من الشيخ وأولاده فلم يجدوه هنالك ، ولم يمكنهم قتل جميع أهل الحلة لأنهم لم يظهروا العصيان ، فجمعوا رؤساءهم ، وأرادوا قتلهم فقالوا : إن الذي قتل العسكر رجلاً من أهل النجف جاء مع جماعة من قومه ، وقتل منا جماعة ومن العسكر جماعة ، وقد انهزم وما شهدنا إلا بما علمنا . ثم دفعوا الأموال والهدايا الى الوزير وكُتِّبَ به حتى خلصوا من شره ، وأطلقهم من أسره ، ثم بنى قلاعاً وحصوناً مشيدة ، وجعل فيها ألف نفر من طائفة (عقيل) ، لأن عسكر الدولة كان قبل تشكيل (القرعة) منحصراً في ثلاث طوائف : الينكچرية<sup>(١)</sup> ، وعقيل ، والهايتية ، وهو الملقب الذي لا يعلم له عشيرة خاصة ، وكان أكثر عسكر العراق عقيل ، وهم الى الآن كثيرون .

ثم رجع الوزير الى دار السلام ، وبقي العسكر في الحلة ، ولكنهم جعلوا يؤذون أهل الحلة ، ويأخذون أموالهم ظلماً وعدواناً لما حملوا لهم من الحقد بقتلهم تلك الفرقة من عشيرتهم . فما زالوا بهم على هذا حتى جعلوا يشتكون منهم الى الوزير الشرير فلا يشكيهم فالتجأوا الى العصيان فعصوا ، وطردهوا العسكر من الحلة وقُتل بعضهم . فتجهز سليمان باشا (أو سعيد باشا<sup>(٢)</sup>) أخوه أو ابن عمه ، وجاء بالمدافع والمجانيق فقلع الحلة ، وفعل بأهلها أفعالاً عجيبة ، وبنسأتهم الأمور الشنيعة ، فكانت واقعة نجيب باشا رديفة لها . وليس الغرض بيانها لأنها مشهورة معروفة ، وفرّ فيها كثير من أهل الحلة ، ولاذوا بالشيخ موسى ، وكان قد جاء الى محله وأخذ الأمان من الوزير .

لما فتحت الحلة ، وقتل أهلها ، وجلس بها الوزير والعسكر ، أرجع الشيخ موسى المنهزمين ، وأخذ لهم الأمان من السلطان ، وأرجع إليهم أموالهم ، وجلسوا أمنيين في

(١) الينكچري : كلمة تركية معناها العسكر الجديد .

(٢) سعيد باشا تولّى الحكم سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، وقُتل سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م . ولم تقع هذه الحادثة في عهده .

مساكنهم .

## سفره إلى طهران

وأما (الشيخ) الكبير فإنه لما سار إلى بلاد (العجم) توجه إلى الدستور الكبير ، والوزير الخطير ، مُحَمَّد علي ميرزا بن السلطان فتح علي شاه ، فخرج لاستقباله وكان حاكماً في بعض البلدان العظيمة ، فأنزله عنده . وعرفه الشيخ بالكيفية ، فجعل الميرزا يُراجع السلطان العثماني في ذلك الوقت حتى بعث له بأمان فيه مزيد إعظام واحترام للشيخ الكبير ، وأن لا يتعرض له بسوء من الناس أحد خصوصاً الوزير ، فبعثه مُحَمَّد علي ميرزا إلى وزير بغداد .

ثم توجه الشيخ بعده إلى دار السلام بحشمة وإعظام ، ودخل على وآليها فأكرمه غاية الأكرام .

والظاهر أن الشيخ لم يسافر إلى (العجم)<sup>(١)</sup> غير تلك المرة ولكن بقي في تلك الأقطار يتردد في هاتيك الأقطار ثلاث سنين ، وسعدت بتشريفه أغلب بلاد (الري) و(خراسان) و(أذربيجان) . وله في كل بلد ومصر منها حكايات ظريفة ، ومواعظ شريفة ، أهملنا أغلبها خوف الأسهاب . وقد أتى على شيء منها في «قصص العلماء» ، ونحن نذكر بعض ما يلزم ذكره من ذلك .

فمنه : ما يقال من أن فتح علي شاه تغير على (الشيخ) لما علم بعقده على والدته

(١) يظهر من خلال ضبط التاريخ الشعري أن للشيخ جعفر كاشف الغطاء سفرتين إلى إيران :

- الأولى ، عام ١٢١٢ هـ / ١٧٩٧ م .

- والثانية ، عام ١٢٢٠ هـ / ١٨٠٥ م .

وقد أُرُخ الشيخ مُحَمَّد علي الأعمش هاتين الرحلتين معاً . فقال مؤرخاً الرحلة الأولى (وبعثها إلى الشيخ جعفر عندما كان مقيماً في مدينة شيراز ، وأول القصيدة هو :

رَأَيْتَ إِسْمَاءَ لَأَسْمِي قَدْ تَصَدَّرَهَا	هِيَ الْمَحَبَّةُ لَوْ شَاهَدْتَ دَفَنَهَا
مِنْ (العراق) إِلَى (إيران) سَيَّرَهَا	خَذَهَا عَرُوساً أَبَا (موسى) لَذِي مَقَّة
(شيراز من وصب الأرجاس طهرها)	وَحِينَ حَلَّ بِهَا ، نَادَى مَوْزُونَهَا

إِنَّمَا الرحلة الثانية فقد أُرُخها بقوله :

فِيمَا اخْتَلَفْتُ لَمْ تَخْتَلَفْ	لَوْ تَسْمَعُ مَذْهَبَكَ الْعُلَمَاءُ
(قَدْ عَادَ الشَّيْخُ إِلَى النَجَفِ)	بَلْ أَلْقِ عَصَصَكَ ، وَقُمْ أُرُخْ

وكان الشيخ كاشف الغطاء قد عادَ إلى النجف عام ١٢٢١ هـ / ١٨٠٦ م . وقد أوردَ القصائد كاملة الخاقاني في شعراء الغري ، ج ١٠ ، ص ١٩ - ٢٢ .

منقطعاً . فلما سمع بقدوم (الشيخ) أمر جنده وعسكره أن لا يعتنوا به ، ولا يلتفتوا إليه . وكان الشاه مع جنده في خيام ضربت لهم خارج البلد فجاء (الشيخ) إلى (خيم) الشاه ، وكان العسكر قد اصطفوا صفين عن باب خيمة الشاه إلى قريب الميلىن وصار ما بين الصفين كالزقاق . فلما حلّ في أوساطهم وأحسن بقصدهم التفت إلى الشمس فوجدها قد زالت ؛ فاستقبل القبله ونادى الله أكبر ، فألقى السلاح جميع ذلك العسكر واصطفوا خلفه للصلاة جميعاً حتى أن الشاه نادى على (قليانته) فلم يجبه أحد . فلما (أحرم) الشيخ سكنت الهواجس حتى كأن الله لم يخلق نفساً ولا نفس ، فلما (بسمّل) رفع صوته بها حتى سمعه الشاه فلم يتمالك إلا أن خرج عجباً ووقف يصلي خلف (الشيخ) . فلما فرغ من صلاته جعل يقلّب كفيه ويعتذر إليه عن تقاعده ذلك بأني كنت مشغولاً بأمر أراجعه ، فقال الشيخ له : عفا الله عنا وعنك .

أقول : لم يثبت لي هذا بطريق قطعي ، لا هو ، ولا أصله (أعني زواج الشيخ بوالدة الشاه) ، وإن كان معروفاً على الألسن . ومثل هذه المعرفة لا يُعتمد عليها بحيث يرسم معروفها في الكتب ، لكن التسامح في أمر التواريخ كالتسامح في أدلة السنن ، خصوصاً في فضائل العلماء الأعلام الذين هم أوصياء الأئمة عليهم السلام ، فالاعتبار مساعد على صدور ما هو أعظم من هذا ، وأمثاله بمراتب ، لأن كراماتهم لا تنكر ، وفضائلهم أعلى من أن تُحصّر .

نعم ذكر في «قصص العلماء» من كرامات الشيخ أن فتح علي شاه تغير بعض الأيام عليه لأمر ما ، فلما توجه الشيخ إلى طهران قال الشاه لوزيره أمين الدولة وكان من مخلصي الشيخ : أنا لا أمضي إلى رؤية الشيخ ولا أهنيه بقدومه ولا أعنتي به فأمر (عساكري) عني أن لا يأذنوا له بالدخول عليّ ، ولا يرفعوا له الحجب عني . فعزم الشيخ على مُلاقة الشاه ، فلما قرب من (صرايه) ، ووقع نظر الجند والعسكر على أنوار مطالعه مثلوا مكتفين أنفسهم بين يديه ، فدخل إلى فناء (الصراي) فنظره الشاه من مقصورته ، فتعجب غاية العجب ، وغضب على أمين الدولة أعظم الغضب ، ثم قال : لأزيدن في عدم الاعتناء به والتغافل عنه . فلما أراد الشيخ أن يصعد المرقاة التي هي طريق مقصورة الشاه قال الشيخ رافعاً صوته الجمهوري ضارباً بعصاه الأرض : «يا الله» . فلما سمع الشاه صوته الشريف قام من مكانه عجباً بلا اختيار ولا شعور ، فاستقبل الشيخ من أول المرقاة ثم قبل يديه وأخذ يسعده على النهوض والصعود ، فلما قضى الشيخ وطره من المجلس قام ، وقام الشاه معه فشيّعه إلى باب (الصراي) .

فلما رجع الشاه سأل أمين الدولة وقال : قد رأينا منك الساعة العجب ، فأنتك أمرتنا بعدم الاعتناء بالشيخ فكيف آل الأمر إلى عكسه؟ فقال السلطان : لا تلمني ، فأني لما سمعت صوت الشيخ ، فكأنما نُفِثَ في روعي أن لا منجى لك إلا به ، فقمْتُ بلا شعور ولا اختيار مستجيراً بتلك الأنوار<sup>(١)</sup> ، إنتهى ترجمة مع تغيير يسير ، في طريق التعبير .

ثم ذكر في مقام آخر أن والده فتح علي شاه لما تشرفت بالعتبات العليات<sup>(٢)</sup> ، التمسَتْ بِشُرُفَات (الشيخ) ، ودخلت حرم داره ، وطلبت المأمن به من عذاب ذلك اليوم وحراره ، وقالت له : حيث أن ابني سلطان ، ليس لي من عقوبة الظلم وكثرة الذنوب أمان ، فأرجو منك أن تدعو الله في حقي ، ليعتق من الآثام رقي ، ويحشرنني مع سيدتي ومولاتي فاطمة الزهراء (ع)<sup>(٣)</sup> .

وفيه أيضاً ما هذا نصه : (وقد أذن جناب الشيخ جعفر لفتح علي شاه بالسلطنة ، وجعله نائباً عنه بشرط أن يُعيّن لكل فوج عسكري مؤذناً ، وإماماً لصلاة الجماعة يقوم بمهمة الوعظ يوماً واحداً في كل أسبوع<sup>(٤)</sup> . وقد ذكر كيفية ذلك في كتاب «الجهاد» من كتابه «كشف الغطاء» . إنتهى محل الحاجة منه<sup>(٥)</sup> .

وسمعت من الثقات أن الشاه قال للشيخ بعد أن جلس معه على سرير ملكه ، وأخذ منه الأذن في التصرف والنيابة في السلطنة : ما تشتهي في دنياك وتتمنى بنفسك؟ فقال الشيخ : وما تريد بذلك؟ فقال له : حتى يقضى لك . فقال : لا تقدر على قضائه ولا القيام بعهدته . فأقسم أن يفعلنه ولو توقف على بذل ملكه أجمع . فقال الشيخ : نعم وكل ملكك لا يقوم به .

فتعجب الشاه وقال : يا سبحان الله ، وماذا يكون هذا؟ فقال الشيخ : لا تتعجب فوالله ما بنفسني مئنة ، ولا بأمالي حاجة سوى أن أغني كل فقير في الدنيا ، وهذا مما لا تقدر عليه أنت ولا ملكك .

وسمعت أيضاً كذلك أن الشاه بعث للشيخ قبل اليوم الذي عزم فيه على المسير من

(١) قصص العلماء ، ص ١٩٠ .

(٢) يعني بها مدينة (النجف) .

(٣) ورد في النص (الفارسي) أن والده فتح علي شاه قالت للشيخ الكبير : «إن ولدي سلطان ، واني لأخشى أن ينالني شيء من ظلمه ، وظلم عائلتنا للرعية ، فادع الله أن يغفر ذنوبي ، ويحشرنني مع الصديقة الكبرى» .

وقد نقل المؤلف في (المتن) نص العبارة بتصريف . قارن : قصص العلماء ، ص ١٩٠ .

(٤) قصص العلماء ، ص ١٩٠ .

(٥) كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء ، ص ٣٩٤ .

也

Λφ

طهران بثمانية آلاف تومان من الذهب ، فجاء الرسول وألقاها بين يدي الشيخ في المجلس وكان قد جاء بها عسكر الشاه المخصوص من (نواكره) وخدمه ، فجعل الشيخ يملأ كفيه من ذلك المال ، ويعطيهم حتى نفذ أكثره فأعطى الباقي للطلبة الذين كانوا في مجلس الشيخ من أهل طهران ، ثم قال : هذا من بعض عطائنا لرفقائنا .

## ذكر وقائع الشيخ مع ميرزا مُحَمَّد الأخباري،

### وسرُّ عداوتها ومنشئها

وما اتفق له في تلك الاقطار ، مناصبة الأخباري ميرزا مُحَمَّد حيث يتطلبه بالشار ، من نفي (الشيخ) له عن العراق ، وطرده له مع أهل الشقاق والنفاق <sup>(١)</sup> .

وبيان ذلك مع الكشف عن سره ، وذكر أصل الواقعة على سبيل الاجمال ؛ أن الشيخ كان شديد التعصب على جماعة الأخباريين ، خصوصاً المتأخرين ، تبعاً لأستاذه مروج الشرع ، ومُهمّد الشريعة الأغا البهبهاني . وقد كانت هذه (الفرقة) قبل ظهور (الأغا) ،

(١) لما كانت حياة الميرزا محمد الأخباري حافلة بالأحداث المثيرة ، التي ذهب هو ضحية لها ، فمن المفيد إثبات تسلسل سيرته الزمنية بما تيسر استنتاجه من الوقائع .

ولد الميرزا محمد الأخباري سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م في (٢١) من شهر ذي القعدة بالهند ، ثم سافر الى الحج عام ١١٩٨هـ / ١٧٨٤م وهو ابن العشرين عاماً . ثم استقر في مدينة النجف ومنها الى كربلاء .

بعد شهر صفر سنة ١٢١١هـ / ١٧٩٧م سافر الى ايران في عهد الشاه محمد خان القاجاري الذي قُتل في العام نفسه (٢١) من شهر ذي الحجة (١٢١١هـ) ، وتولى الحكم ابن أخيه علي شاه المولود سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١م والمتوفى في (١٩) جمادى الآخرة سنة ١٢٥٠هـ (٢٣ تشرين الأول سنة ١٨٣٤م) .

ويبدو أن الأعوام التالية (١٢١٦هـ ، ١٢١٧هـ ، ١٢١٨هـ) كان قد قضّاها في كربلاء حتى عام ١٢١٩هـ / ١٨٠٣م حيث سافر الى ايران ، واشتهرت صلته بالشاه فتح علي القاجاري بعدما تنبأ بمقتل الجنرال الروسي إشبوختر تسيستانوف عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م .

وفي أواخر عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م طُرد الى العراق بفعل الحملة المضادة التي قام بها العلماء الأصوليون ضده ، والتي تزعمها الشيخ جعفر كاشف الغطاء الذي كان موجوداً في ايران في العام نفسه .

وفي العراق ضيق العلماء الحملة عليه ، وأفتوا بقتله أو نفيه ، وحجاجة على الوضع العام فقد سُرّ الميرزا الأخباري الى ايران عام ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م . ويبدو أن بقاءه في ايران استمر حتى عام ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م حيث كان يُقيم في منطقة (الري) قرب مرقد الشاه عبد العظيم الحسيني .

ويبدو من خلال سيرة الأحداث أنه رجع الى العراق ، واستقر في مدينة (الكاظمية) عام ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وبقي فيها حتى أواخر عام ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م حيث سافر الى ايران .

وبعد وفاة الشيخ جعفر كاشف الغطاء سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، طُرد من ايران بعد الحملة التي قام بها مناوؤه ضده ، فجاء الى العراق في عهد الوالي الشاب سعيد باشا المولود سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م ، والمقتول سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م .

وبقي مقيماً في مدينة (الكاظمية) حتى مقتله عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م . وسيأتي التعليق على خبر مقتله .

وانتشار أمره قد ملأت الأقطار والأنحاء ، وكثر منهم بها النباح والعياء ، وجعلوا يسعون في الأرض الفساد ، ويحيدون عباد الله إلى طريق الضلال ناكبين عن طريق الرشاد ، فلم يأكلوا جهداً في هدم دعائم الحق حتى تهدم ، وصار دين (الأصولية) في جنبهم كالعدم .

فلما برز ذلك (الوحيد) وتفرد، صرف همته العالية في تشتيت ذلك الجمع حتى تبدد، وأقام عمود دين الحق بأصوله المحكمة العماد.

ولعلّه بلغك ما كان بينه وبين معاصره صاحب «الحدائق»<sup>(١)</sup> من المنافرة على أن الرجل لم يكن من متعصبي الأخباريين ، بل كان (تَبرِزخاً) بين الطرفين ، ولكنّ (الأغا) المُرُوج لما رأى أن الشريعة الغراء لا تستقيم إلّا بمحو إسم هذه الفرقة العمياء ، فإن المجتهدين منهم وأن كانوا معذورين ، إلّا أن (العوام) اتبعوهم فضلّوا وأضلّوا أجمعين . فلذا كان (رحمه الله) يَتَهَمُ عن الحضور بدرس ذلك المحقق الحقيق بذلك المنصب حتى كاد ابن أخته السيد علي صاحب «الرياض» يحب الحضور عليه لاستحسان مسلكه في التفقه ، ولكنه يخشى من غضب خاله (الأغا) عليه ، فكان يخفي نفسه في بعض الزوايا بدرسه ليلاً عن أعين الناظرين ، كيلا يظهر الأمر ويبين . فلما مضى الوحيد البهبهاني إلى سبيله تعصّب تلاميذه لطريقته ، وساروا على ذلك النهج من سيرته ، وكان شيخنا أشدهم ألماً على تلك الشرذمة ، وأحرصهم على نقض حبالهم المبرمة ، فلم يزل (رحمه الله) يستقصيهم ، فيفنيهم وينفيهم ، حتى اطلع الشيطان نبعته وكشف سوائه ، ونبش حتى أظهر في الكون سلحته ، فتعفن العالم من تنن أفعاله وخبث أقواله ، فجعل يرمي العلماء الأبرار ، بسماته سمات الكفرة الفجار ، ويؤنّب ويؤلّب على المجتهدين ، عداوةً للدين .

وسبب تلك العداوة أن هذا الرجس تولد في الهند<sup>(٣)</sup>، ونشأ بها وحصل ما حصل وهو بتلك الأقطار . ومن المعلوم أن أغلب أهل الهند على مذهب قدمائهم الفلاسفة المنكرين للمعاد ، الجاحدين لرب العباد ، فنشأ الرجل على تلك الطريقة وسلك بذلك المسلك ، وكان يظهر الاسلام بلسانه ، ويضمّر الكفر بجنانه .

فقدّم على أهل العراق مريداً إطفاء نور الله الذي بين أيديهم ، وإخماد نائرة الاجتهاد الشائعة في ناديهـم ، وقصده السلوك شيئاً فشيئاً إلى إتلاف الدين من أصله ، وقلع أساسه من محله . ولا تحسب قولـي هذا ضرباً من التغرُّض ، ونوعاً من التمحل ، فإنّ مَنْ راجع

(١) هو الشيخ يوسف البحراني، اشتهر بكتابه «الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة»، مطبوع في عشرين مجلداً. تُوُفِيَ البحراني عام ١١٨٦هـ / ١٧٧٢م.

(٢) ولد الميرزا محمد بن عبد النبي الأخباري سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م.

أحوال الرجل ، وأطلع عليها رأى الحق فيه حقيقة ما قلتُ ، ولو لم يكن إلا حكاية (اشبوختر) لكفى شاهداً على ما ادّعتُ .

وقد ذكر طرفاً منها في «قصص العلماء» ، وحاصلها : أن (المسقوف)<sup>(١)</sup> تحركت على الدولة المنصورة القاجارية ، في زمان فتح علي شاه فوجهوا بعض أمرائهم المشهورين بالنجدة والبأس وكان يعرف بـ (اشبوختر)<sup>(٢)</sup> مع جمع من الجند ، وبعث الشاه مع جنده من يُعتمد عليهم . فلما إلتقى الفريقان كانت الغلبة للمسقوف . وما انكشفت الغبرة إلا وعسكرهم قد دخل بلاد العجم المحاذة لهم ، وفعل مثل ذلك في القابل ، وجعل كلما تحرك على بلاد فتحها . فضاق السلطان به ذرعاً ، وأعيته الحيلة في أمره ، فجاء إليه ذلك الرجس الخبيث ، وكان يومئذ في طهران ، فقال للشاه إنه ضمنّت لي ما أرجوه منك التزمتُ لك بمجيء رأس ذلك الرئيس بعد أربعين يوماً ، فقال : ضامن لك فماذا تريد ، قال : ما أريد إلا إلتلاف المجتهدين وقتلهم ومحو هذه الطريقة من العالم بهلاك أهلها أجمعين ، فأنهم ألفوا آباءهم ضالين ، فهم على آثارهم يهرعون . فقال له : وما تدين الناس؟ قال : أنا أحملهم على الحق الذي لا يشوبه شك . فالتزم الشاه له بذلك . ومضى الرجل فاشتغل ببعض الأوراد و(التبخيرات) التي لها تأثير ذاتي في نفسها ، وكان ذا يد طويلة بهذه الأمور خصوصاً في السحريات ، والشعبدات ، والتبخيرات التي هي عقائد حكماء الهند من الفلاسفة حيث يبخرون لنجوم خاصة بأوقات خاصة لحوائجهم ، ويزعمون أنها هي المدبرة في العالم .

والحاصل هذه عادة كل من خرج من رتبة الأيمان ، ودخل في جند الشيطان . وهذا رئيسهم ، وعنده أصولهم وتأسيسهم ، فكان هو وحصول تلك الخواص المؤثرة لديه ، كالبول الصافي وارتسام الصورة الحسنة عليه . فما مضت المدة إلا ورأس ذلك الرئيس بين يدي السلطان ، فخر ساجداً لله شكراً .

وجاء الأخباري فطالبه بأنجاز وعده ، فاستمهل ، فلما خرج أحضر الشاه وزراءه وأمناءه ، فشاورهم فيما يريد ذلك اللعين ، من إمحاق هذا الدين ، وقتل المجتهدين . فقالوا : هذا أمر ممتنع مستحيل ، ولئن فعلته فليكثر عليك من الرعية والدول القال والقليل ، ويقع التشويش في المملكة ، ولعلّما يخلعون منك أمر السلطنة ، لأن هذا دين الناس القديم ، نشأت عليه

(١) المسقوف : من التعابير المستعملة للدلالة على الجنود (الروس) . ويبدو أن اشتقاقها مأخوذ من كلمة (موسكو) .

(٢) كلمة (اشبوختر) مأخوذة من كلمة Inspector الانكليزية ، وأصبحت علماً على الجنرال الروسي تسيتسانوف Tsitsianov الذي كان رئيساً للقوات الروسية في (القوقاز) . وهو من أصل گرجي ، ومن أسرة الأشراف شغل منصبه من سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م حتى مقتله عام ١٢٢٠هـ / ١٨٠٥م .



الآباء ، وورثتهُ الأبناء . هذا وكيف تترك الدولة القاجارية دينها التي نشأت عليه ، ودانت به من قديم الزمان لساحر كذاب ، أو كافر مرتاب .

فدخل هذا البيان في ذهن السلطان ، فقال : وما الرأي فيه ؟ فقالوا : إن بقاء هذا في دولتك غير مصلحة لك إذ لعلما تغير عليك وتكدّر فيصنع بك كما صنع بعدوك ، فالرأي أن تنفيه إلى العراق فتنجو من شره ، وتتخلص من مكروه . فقال : ذاك إليكم ..

فأرسلوا على الرجل وقالوا له : أن الشاه أمر لك (بكذا) مقدار من المال ، ويسألك الدعاء عند العتبات العليات ، وهو يقضي بعدك ما أردت ، ويسعى فيما أحببت ، قدر الجهد . فبهت الذي كفر وخاب ، ونكص ذليلاً على الأعقاب . ووكلوا به نفرين من الجند حتى أوصلوه إلى حكومة العراق ، وأوصوهم عن لسان الشاه بحفظه لديهم ، وعدم خروجه من تلك الآفاق<sup>(١)</sup> .

وقد أوردنا تلك الحكاية لتطلعك على غرضه ، وما يروم من هدم الدين ، وإذهاب شريعة سيد المرسلين ، وكفالك بها شاهداً ودليلاً . فلنعدّ إلى ما كنّا بصدد من سرّ عداوة هذا الرجس لخصوص شيخنا الأكبر .

وذلك أن الشيخ بلغ به الحال في أمرهم أنه إذا أجاز رجلاً من تلاميذه ونصبه علماً لقوم نائين ، جعل أهمّ وصاياهم له عدم المراودة مع هذه النبعة الخبيثة على الإطلاق ، وعدم التكلم معهم والجلوس بمجالسهم إلى غير ذلك من الانقطاع عنهم ، والتباغض معهم كي يذلوا ، وتكسر شوكتهم عند العوام ، الذين هم كالأنعام ، من تبعه تلك الأقوام .

فممن بعثه الشيخ مجازاً منه ، نائباً عنه ، الحاج ميرزا ابراهيم الكلباسي<sup>(٢)</sup> (رحمه الله) صاحب «الأشارات» ، وكان من تلاميذ الشيخ المبرزين ، فبعثه إلى (إصفهان) ، وأوصاه بتلك الوصايا وأمثالها . فلما استقر به المقام فيها دخل في الأثناء ذلك الأخباري المذموم فمكث مدة أيام ينتظر دخول العلماء إليه كما هي عادتهم في القادمين عليهم من أمثالهم . فلم يجد شيئاً من ذلك ، فبلغه توعد الكلباسي وعبادة الناس له ، فدخل عليه فيمن دخل . وكان فيمن حضر المجلس حجة الإسلام السيد محمد باقر الرشتي<sup>(٣)</sup> . فلما استقر به

(١) قصص العلماء ، ص ١٧٩ .

(٢) كان من كبار الزعماء الدينيين في مدينة إصفهان . ولد سنة ١١٨٠ هـ / ١٧٦٦ م ، وتوفي سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م . وكتابه «الأشارات» في علم الأصول أثنى عليه بعض المختصين من طلابه .

(٣) اشتهر بلقب حجة الاسلام عندما كانت الألقاب نادرة . ولد سنة ١١٧٥ هـ / ١٧٦٢ م ، وتوفي سنة ١٢٦٠ هـ / ١٨٤٤ م . وكانت بينه وبين زميله الكلباسي رابطة صداقة متينة وكانا الزعيمين الدينيين البارزين في مدينة (إصفهان) . له مؤلفات كثيرة ذكر قسماً منها الطهراني في «الكرام البررة» ، ج ١ ، ص ١٩٢ .

الجلوس جعل يعاتب الشيخ على عدم مجيئه حين قدومه على مقتضى العادة ، ويقول : إنَّ لي حقاً عليك قديماً لأنَّنا في أيام التحصيل كنا سواء ، وفي طلب العلوم أصدقاء ، وأراك لم تُراع تلك الحرمة ولا أدَّيت ما يُوجبُ الحق . فسكت الكلباسي وأعرض عنه ، فلما كثرَ لغطه أجابه السيد الرشتي بأن الحاج قد أمره (أستاده) ، ومن عليه بعد الله اعتماده ، برفض جماعتكم الأخباريين ، وعدم مراودتكم أجمعين ، وكان أستاذه يأمر تلاميذه ومن يحضر عليه بذلك ويقول : مَنْ خالطهم وجالسهم فهو عاق لأبوة الأستاذية ، التي هي أعظم من الأبوة الحقيقية ، فلماذا ترك الحاج القدوم عليك .

فقال ذلك المبغض : أمّا الآن فقد آل الأمر إلى معارضة (الحقوق) و(العقوق) ، فلننظرُ أيُّهُما المقدّم . فقال السيد الرشتي : لا إشكال في تقدّم (العقوق) على (الحقوق) . واستشهد على ذلك بأخبار كثيرة فجعل الأخباري يناقش أسانيدَها ، ويورد بعض الأيرادات الواهية في متنها وعربيّتها . وكان في الجدل لا يدانيه أحد ، فأثبت في ذلك المحفل تقديم (الحقوق) . كلّ ذلك ، والحاج ساكتٌ عنه .

فلما خرج خشي أن يقتله أهل (إصفهان) بإشارة من رئيسيها السيد والحاج رحمهما الله ، فتوجه إلى (طهران) . وقد بلغه أن الشيخ قد شرف تلك الأقطار وقد امتلأ قلبه غيضاً عليه وحقدًا له ، وسوَّغت له نفسه الخبيثة إفحام الشيخ بالمجالس المعظمة بمحضر (الخوانين) و(الأمناء) ليعيدوا عن تقليده وتأييده ، ليحصل لقلبه الشففي ، ولمرض خبثه الشفاء .

فلما دخلها ازداد حقه للشيخ لما رأى من عظمة قدره عند عظمتها ، وكبير حظه لدى كبرائها ، مضافاً إلى عدم اعتناء أحد من أهلها به ، وعدم الالتفاتهم إلى وفوده عليهم وقربه . فصار إذا سمع بوليمة للشيخ قصدها حتى يتيسر له الاجتماع بخدمة الشيخ فيظهر عند ذلك بمحضر الأعيان خبث نيته .

فاتفق له كثيراً من تلك المجالس فكان يلقي في البين بعض المسائل ، وينتصب موسم الجدل . ولكن الرجل كان من قواعده في المباحثة التحول من مقام إلى مقام ، ومن علم إلى آخر ليظهر عجز المقابل خصوصاً إذا حوَّصر في الجواب أو السؤال ، فأثَّه يُخلِّص نفسه بالفرار ، إلى غير ما هم فيه بأدنى مناسبة . وكان من عادة (الشيخ) في المباحثة التحقيق والتنقيير ، وعدم الخروج من مسألة إلّا بعد إستيفاء جميع فروعها وشُعْبها . فلما تجادلا في ميدان المباحثة جعل الرجل ينتقل من مكان إلى مكان كعادته و(الشيخ) يقول : قف حتى نفرغ مما بأيدينا ، ثم ننتقل إلى ما تقوله ، فيقول الرجل : « لا بلَّ عجزت ووقفَ حمارك »!

فلم يزل هذا دأبه مع الشيخ حتى أنه بعض الأحيان ينادي : عجز الرجل ، عجز الرجل ،

حتى ألبس على الناس الأمر ، ودلّس الحق فاستمال بعضهم بزبرجه وتزويره ، وغضب (الشيخ) غضباً شديداً ، وتغيّر خوفاً من إضلال العوام تغيّراً مفرطاً ، حتى قال له يوماً بمحضر الشاه وأمين الدولة : قَدْ زَيَّنْتَ كلامك الباطل بزينة الحق ، وأبرزتَ عقائدك المستهجنة بصورة حسنة ، فضلتَ وأضلتَ ، وتبعك بعضٌ من ظنك على هدى ، وأنت منه ومن الدين سدى ، ولئن بقيتَ على هذا فليذهبن الدين ، وتمحق الشريعة ، ولا حاسمٌ لهذه المشاجرة إلاّ (المباهلة) ، فليُعيّن (الشاه) لنا يوماً نتباهل فيه ونرى الحق لمن ، وعلى مَنْ ، والفلج من وفي مَنْ ، وإلاّ فإنك زيادة على ضلالك في نفسك قَدْ أضلتَ كثيراً من الناس فالواجب عليّ ردعك وزجرك ، وإنقاذ الناس من غوايتك ، وتبصيرهم من عمايتك ، وخيث أن لا قادر عليّ وعليك ، ولا عليم بأمرى وأمرك إلاّ علام الغيوب ، فاللازم علينا التحاكم إليه فهو أحكم الحاكمين .

### قصة مباهلة الشيخ مع ميرزا محمد الأخباري

فاستحسن الحاضرون كلام (الشيخ) وقالوا للأخباري : إن كان الحق معك فأجب الشيخ إلى ما يقول لتقطع المشاجرة ، ويمتاز الخبيث من الطيب ، «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ»<sup>(١)</sup> .

فأجاب إلى ذلك وقبل ، وعينوا للخروج إلى الصحراء اليومَ المستقبل ؛ فجمعَ الوزير بأمر السلطان أركان الدولة وذكر لهم الواقعة ، وأمره بالخروج ليكون يوماً مشهوداً . فخرج السلطان والوزراء وجميع الأعيان وضربوا الأخبية والخيام خارج البلد ، ولم يتخلف منهم أحد .

فلما كانت فريضة الظهر أو الصبح ، خرج الشيخ من خبائه ، متعمماً على هيئة عمائم الملائكة النازلين يوم بدر ، وقد أرخى حنكاً ، وأسدل الآخر ، والتفُّ ببُرْدَةٍ يمانية ، وتأزَّرَ بأخرى ، وفي رجله نعلان شراكهما ليف ، وفي يمينه كتاب الله العزيز ، وفي يساره مسبحة حسينية وهو يهلل ويكبر ، حتى وقف قبال القبلة فرفع صوته بالتكبير ، حتى خشع قلب كُلِّ جبار له ، وصغر قدر كُلِّ كبير . ثم تجمع خلفه من الصفوف ، ما يزيد على الألوف ، فصلّى بهم جماعة .

وما كان إلاّ ساعة ، حتى خرج (المذم) متعمماً بعمامة صغيرة هندية على هيئة العمائم (الكابلية) ، رجوعاً بذلك إلى أصله ، لكنها مع صغر حجمها طويلة كما هو اليوم دأب الأفغانيين ، فهي على هيئة غريبة كأنها رؤوس الشياطين . وقد تحلل بحُلل الماهود ، ولفَّ

(١) سورة الأنفال ٤٢/٨ .

رقبته ببعض الشُّول ، وشدَّ على وسطه البنود ، كما هي اليوم عادة النصارى واليهود ، وبكفه قضيب خيزران ، وهو يلعب به ويختال عجباً بنفسه كالنشوان . فوقف للجماعة هو وصحبه الغاوون ، وجنود إبليس أجمعون<sup>(١)</sup> .

فلما رأى من الشيخ ما رآه ، من الخضوع والخشوع علم من المحق الأواء ، فخشيَ نزول العذاب عليه ، فيكون قد بحث على حتفه بيديه ، فعزم على الهزيمة والفرار ، وارتكاب العار من النار . فخفف من صلاته حتى فرغ قبل الشيخ ودخل تلك البلد المعظمة ، هو وصحبه وهم أذل من قوم الأمة ، ولم يقف للمباهلة ، ودُحِضت حجته الباطلة ، ورجع الحق مستقلاً به أهله وعرف طالبه ، وفشل الباطل وراكبه . كذا رواها في «قصص العلماء» مجمل<sup>(٢)</sup> .  
وبهذا التفصيل سمعتها من كثير .

وحدثني كثيرٌ ممن أعتد عليه عن بعض فحول العلماء ممن هو في عصرنا ، وعن غيرهم من السابقين ، (رحمهم الله أجمعين) ، أن الشاه وجنده والشيخ والأخباري لما خرجوا إلى الصحراء ونزلوا ضربوا أخبيتهم وخيامهم ، جنَّهم الليل فاجتمعوا في خيمة الشاه ، ووقع القزار على أن تقع (المباهلة) بعد فريضة الفجر فتفرق الجماعة ولم يبق في خيمة الشاه إلا هو والوزير الكبير .

أمّا أمين الدولة ، وأبوه حسين ، (وكلاهما كانا من مخلصي الشيخ) ، وكان قد أخذ الوزير القلق والأرق والأضطراب والخوف من وقوع هذا الأمر لما علم من سحر ذلك الفاجر وشعبذته ، فخشي أن يسحر أعين الناس بما ظاهره الغلبة على الشيخ فيتضعض ركن الملة والدين بالسحر المبين . فلم يزل يفكر في نفسه بطلب الحيلة في تدبير الأمر حتى عزم على نقض ما أبرم من قضية المباهلة خوفاً من تزويرات الرجل الباطلة ، وبقي يتأمل في الطريق إلى ذلك . وخشي أن ينام الشاه ويصبح الصباح ويقع المحذور فأخذ يلهيه بذكر سياسات المملكة وتدبيرها في بعض أمورها حتى انتصف الليل وهجعت العيون ، وهدأت الهواجس وركدت الأوهام والظنون . فجّر الوزير الكلام إلى كثرة الجند والعسكر والقوة والشوكة لعلمه أن السلطان لا يسهره ويؤنسه إلا مثل هذه الأمور حتى قال : الحمد لله بهمة مولانا الملك قد اشتد بأس المملكة وكثر الجند وانتشرت الرعية . وبما يدل على ذلك أن الخارجين معنا من طهران ليس إلا ربع من فيها ، وها هم لا يُحصَوْنَ ، فأُنْ شئت أن تصدّق ذلك فقم بنا

(١) يُلاحظ في وصف هيئة الملابس العامة أن المؤلف أراد إضفاء القدسيّة على الشيخ كاشف الغطاء ، وسلخها عن الميرزا الأخباري ، ولم يرد شيء من هذا الوصف في (قصص العلماء) .  
(٢) قصص العلماء ، ص ١٧٨ .

ننظرهم وتتفرج مع ذلك على ترتيب العساكر وكيفية منامهم . فرغب وقام الوزير وبيده المصباح ، وجعل يمشي بالشاه بين الخيم ، فأوا خيمة صغيرة محقرة نائبة عن خيم الناس ، فقال الوزير : دعنا نمض ونرَ أمر هذه الخيمة ومن فيها . حتى إذا وصلوا قريباً منها سمعوا بكاءً ونحيباً وشكوى محب إلى حبيب ، فتأملوا وإذا بالشيخ واضعاً خده على التراب وهو يتملل على الأرض تملل السليم ، ويأن أنين الفاقد كفيله والحميم ، ويناجي ربه مناجاة الحزين الواله ، ويتوسل بالنبي (ص) وآله (ع) . فوقفوا هنيئة حتى فرغ من أطيب مناجاته ، وقام إلى تكميل صلاته ، انصرفوا وقد أخذتهم حالة الخشوع والخضوع وانسكبت على غير اختيار منهم الدموع ، وصاروا يتذكرون بتلك الحالة العجيبة ، ويتحدثون أمر هاتيك الأمور الغريبة . فحمد الله الوزير في نفسه وشكره ، على حسن ذلك الاتفاق الذي لم يكن أمله ولا تصوّره ، وقال هذا نعم المفتاح لما أريد ، ولكن لا يتم إلا برؤيا حالة ذلك الجبار العنيد ؛ فجعل يساير الشاه حتى أتى به إلى خيمة ذلك (المذم) وهما في حديث الشيخ وتقاه ، فقال الوزير : أيها الملك هذا خباء ميرزا مُحَمَّد فلننظر بماذا هو مشغول وكيف مشواه ، حتى نميّز نحن أولاً بينه وبين ذلك الشيخ الأواه . فنظروا في الخيمة من بين الستائر وإذا بولد أرمرد ، ورجلاً ميرزا مُحَمَّد في حضن الولد ، وهو يرمّ عنهما والرجل نائم . فازداد تعجب الشاه واستأنس الوزير بذلك ، فقال : يا أيها الملك ، أنت أجلّ من أن يخفى عليك هذا الأمر ويشتبّه ، فإن كنّا نائمين فلننتبه ، هذه آيات الله ظاهرة ، وحجج الحق باهرة ، وبيّنات الصدق قاهرة ، ونهج الهدى مستقيم ، وطود الباطل رميم ، فعلى ما وما المباهلة وهي لا تكون إلا لأمر مشكل قد أوقع في الحيرة ، وعمي لعدم التمييز فيه أولو البصيرة ، وهذا الأمر واضح المناهج بين المسالك ، ونحن لو تأملنا في عقولنا وراجعنا إدراكنا عرفنا أي هاتين الحالتين سيرة الأنبياء والأولياء ، وأيهما حلية الأشقياء . فقال الشاه : هذا برهان قاطع ودليل ساطع ، على حقيقة الواقع . فقال له الوزير : فعَلَامَ جعجعت بهذا الرجل وهو شيخ كبير ، وأزعجت مع هذا الجمل الغفير ، فإن تبين لديك الحق فمُرّ مناديك ينادي في الناس أن الحق تبين عند الشاه لِمَنْ ، والفَلَجُ في مَنْ ، فليرجع كلّ منكم إلى محله .

فما تجلّت الشمس للعيون ، حتى انحلت عن تلك الساحة كلّ هاتيك الطعون . وأرسل الشاه إلى ذلك الأخباري أن يرتد عن غيّه من معارضة الشيخ ومناصبته ، وإلا أخذ بأمّ ناصيته . فبقي الشيخ ثمّ أياماً قلائل ، ثم ارتحل إلى زيارة الأمام الرضا (ع) فأقام بها قريب الحول ، ثم رجع من قابل .

وأما عدوّه الخبيث فاغتنم بعده الفرصة في الأهداء ببعض سلفه الماضين من الأخباريين الغاوين ، في الطعن على علماء الدين الراشدين ، وتضليل طريقة المجتهدين .

وحيث أن الكوز ينضج بما فيه ، والذي خبث لا يخرج إلا الخبيث من فيه ، جعل يرمي العلماء بالخصال الشنيعة ، وينسبهم إلى الأمور الوضيعة ، ويقبّح محاسن مآثرهم في الملة وأيادهم ، ويجعل معائبه ومعائب أصحابه فيهم :

فقلتُ لجاعلٍ عيبٍ بهم أضركُ وردٌ ذكيُّ يا (جُعَل)!

وهذا دأب الله من قديم الزمان في أنبيائه وأوليائه ، فأثَّه جلّ وعلا لم يزل يمتحن ويبتلي كلّ واحد منهم بعدو من أعدائه . ولو شئت أن أذكر لك حكايات الأمم السابقة واللاحقة ووقية العمى بالهدى ، والفضلال بالحق ، وامتحان أولي الرشد بأولي الفساد لطال المقام ، واستلزم الخروج عن المرام . ولكن الأنسب هنا ذكر نبذة سيرة من تشييع إمامي هذه الطائفة على علماء الدين الذي بهم اقتدى هذا الكافر المرتاب في توهين حجج الله النواب ، ولير الناظرُ هذا المقام أنه كان لهذا الخبيث اقتداء بقومه الغاوين ، فكذا للشيخ إسوة بالسلف الصالحين ، من حجج الله الماضين .

فمن بعض ذلك ما يقوله أخوه الخائن اللعين ، المدعو بمُحمَّد أمين<sup>(١)</sup> ، في حق حجج الله الأجلّة ، ورؤساء الدين والملة ، وأركان الشريعة ، ومؤسسي مذهب الشيعة ، الشيخين المفيد<sup>(٢)</sup> ، والطوسي<sup>(٣)</sup> (قدس سرّهما القدوس) ، وغيرهما من العلماء الأعلام ، الذين هم أول من اجتهد في الأحكام ، كالعُماني<sup>(٤)</sup> ، وابن الجنيد<sup>(٥)</sup> والعلمين ؛ علم الهدى<sup>(٦)</sup> ، والعلامة<sup>(٧)</sup> ، رفع الله لكل منهما مقامه .

(١) محمد أمين الأسترابادي مؤسس الحركة الأخبائية ، توفى سنة ١٣٦٧هـ / ١٦٢٧م . له مؤلفات عديدة اشتهر من بينها مؤلفه الذي هاجم فيه المجتهدين وهو بعنوان «الفوائد المدنية للردّ على الأصولية» .

(٢) الشيخ المفيد هو مُحمَّد بن النعمان المتوفى سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م ، وكان من كبار متكلمي الشيعة في العصر البويهي . وقد بدأ تشكيل المؤسسة الدينية الأثنا عشرية على يديه ، واستمرت على هيأتها المتوارثة حتى الآن .

(٣) مرّ التعريف بشيخ الطائفة الطوسي ، ووفاته كانت سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م .

(٤) العُماني هو الحسن بن علي بن أبي عقيل الذي كان معاصراً للشيخ الكليني المتوفى سنة ٣٢٨هـ / ٩٤١م أو سنة ٣٢٩هـ / ٩٤٢م . وهو أول من اعتمد على الاجتهاد في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها النقلية هو وابن الجنيد . وقد إنقدا من قبل بعض الفقهاء الذين جاؤوا بعدهما ، وعلى رأسهم الشيخ المفيد ؛ إلا أن اعتبارهما استُعيد على يد المحقق الحلّي في القرن السابع الهجري / الحادي عشر الميلادي .

(٥) مُحمَّد بن أحمد ابن الجنيد الأسكافي . توفى سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م . وقد إتهم هو والعُماني ابن أبي عقيل باستعمال مصادر التشريع السنية كالأخذ بالرأي ، والقياس في الاستنباط الشرعي .

(٦) علي بن الحسين الموسوي المتوفى عام ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ، الملقّب بعلم الهدى . كان والده الحسين الطاهر من كبار المتنفذين في البلاط البويهي ، وقد شغل الشرف المرتضى نقابة الطالبين ، وأمارة الحج ، وديوان المظالم . وتعتبر مؤلفاته المصادر الأولى التي أسست التفكير العقلي الاثنا عشري .

(٧) الحسن بن يوسف ابن المطهر الحلّي المولود سنة ٦٤٨هـ / ١٢٥٠م ، والمتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م ، وهو ابن أخت المحقق الحلّي ، وقد لعب دوراً أساسياً في نشر المذهب الشيعي تحت ظل المملكة المغولية ، كما كان موجّهاً لآثنين من الحكام المغول وهما غازان ، وأولجايتو المعروف بخُدايندة الذي أعلن المذهب الاثنا عشري مذهباً رسمياً

وأنا أقسم بالله قسم صدق ، وعين برّ أن دين الحق لولا هؤلاء الأئمة ، لَمَّا عرفه هذا الضالّ ولا غيره من الأمة ، وما كان جزاؤهم من هذا المدعي له إلّا قوله في تضاعيف كتابه المسمى (بالفوائد المدنية) من كلام طويل ملخصه : إنّ أول من غفل عن طريقة أصحاب الأئمة (ع) ، واعتمد على فن الكلام وأصول الفقه المبنيّين على الأفكار العقلية المتداولة بين العامة ابن الجنيد وابن عقيل والمفيد ، واقتدى به أصحابه كالمرتضى ، وشاعت بين المتأخرين قرناً قرناً حتى وصلت النبوة إلى (العلامة) فالتزم القواعد الأصولية من العامة ، ثم تبعه (الشهيدان)<sup>(١)</sup> ، والشيخ علي<sup>(٢)</sup> .

وهذا سهل بالنسبة إلى ما قاله بعد نقل كلام الشيخ البهائي من (مشرق الشمس) أنه ذهب أكثر علمائنا إلى أن العدل الواحد الأمامي كاف في تركية الراوي ، وأنه لا يحتاج إلى عدلين كما في الشهادة ، وذهب القليل منهم إلى خلافه . يقول هو : وأقول أنا أولاً في قوله : «ذهب أكثر علمائنا» تسامحٌ وغفلة وذلك لأنّ الأخباريين من أصحابنا هم أكثر علمائنا وعمدتهم ، وهم لا يعتمدون إلّا على حديث قطعوا به وبوروده . إلى أن قال بعد كلام طويل : وبالجملّة ما نسبته إلى أكثر علمائنا إنّما ذهب إليه العلامة الحليّ وجمع من مقلديه ، وهم جماعة كالشهيدين ، والشيخ عليّ ، ولم تكن لهم بضاعة في العلوم ، ولم يكونوا عارفين بمعاني الأحاديث الواردة في الأصول من أصحاب العصمة ، وغلبت على أنفسهم الألفة بما قرأوه في كتب العامة ، ولم يكن لهم نظر دقيق ، فاستحسنوا المألوف لموافقة كلام العامة .

ولم يزل يخبط في عشوائه ، ويجري في غلوائه ، بهذا وأمثاله في حق آية الله وإعجوبة

البلاد . وهو من تلامذة نصير الدين الطوسي في الفلسفة والكلام والجدل والرياضيات ، والذي كان من المتنفذين في الدولة المغولية ، ومن أصحاب المراكز الرسمية والعلمية . وكان فقيه الدولة المملوكية ابن تيمية الحرّاني قد رد على بعض مؤلفاته .

(١) الشهيدان هو لقب إثنين من كبار فقهاء الأمامية أولهما هو الشيخ مُحَمَّد بن مكيّ العاملي المعروف بالشهيد الأول حيث قُتل على يد ممالك الشام في سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م .  
أما الشهيد الثاني فهو زين الدين الجبعي المقتول غدرًا عام ٩٦٥هـ / ١٥٥٨م على يد العثمانيين . كانت له رحلات علمية إلى مصر وسوريا والحجاز والعراق ، كما سافر إلى عاصمة الدولة العثمانية (اسطنبول) في مهمة سياسية . وقد عينته الإدارة العثمانية مدرّساً في إحدى المدارس المهمة وهي المدرسة النورية في مدينة (بعلبك) حيث بقي فيها سنين عديدة . وقد اشتهر في شرحه لكتاب «اللمعة الدمشقية» الفقهية لسلفه الشهيد الأول المقتول على يد المماليك عام ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م ، وهو مطبوع في عشر مجلدات بعنوان «الروضة البهيّة في شرح اللمعة الدمشقية» ، ويُعتبر حتى اليوم من الكتب الدراسية المنهجية في المراكز الدينية .

(٢) علي بن الحسن بن عبد العالي الكركي الملقب بالحق الثاني المتوفى سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م . من أشهر العلماء الأمامية في أيام تأسيس الدولة الصفوية . وقد تولّى منصب (شيخ الاسلام) في عهد إسماعيل الصفوي (٩٠٥ - ٩٣٠هـ / ١٥٠٠ - ١٥٢٤م) ، وولده طهماسب (٩٣٠ - ٩٨٤هـ / ١٥٢٤ - ١٥٧٦م) . وأشهر مؤلفاته كتابه «جامع المقاصد» في الفقه ، ورسائله المطبوعة في مجلدين .

الدوران ، الذي يقصر عن أن يحيط ببعض صفاته نطاق البيان .

على أن هذا سهل أيضاً بما هو مشهور عنه من قوله : ما هدم الدين إلا مرتين ، يوم السقيفة ، ويوم مولدي المفيد والعلامة .

وليت شعري كيف يتكلم بهذا مَنْ شَمَّ أدنى رائحة من الإيمان على مثل المفيد الذي قال في رثائه صاحب العصر والزمان من الأبيات التي أولها :

لله يومك في الأنام فإنه يومٌ على آلِ النبيِّ عظيمٌ

مضافاً إلى التوقيعات الخارجة في حقه التي تدل عناوينها على غاية عظيم المنزلة ، فمناها قوله (ع) : «إلى الأخ السديد ، والولي الرشيد ، والشيخ المفيد ، أبي عبد الله مُحَمَّد بين مُحَمَّد الخ» ومنها : «من عبد الله الم رابط في سبيله ، إلى ملهم الحق ودليله ، أدام الله إعزازه ، سلام عليك أيها الناصر للحق ، الداعي إلى كلمة الصدق» . إلى غير ذلك من أمثال هذه الكلمات .

فانظر كيف يُقَوِّي الحجة (ع) أمر المفيد ويؤيد ، ويأتي هذا المدعي ولائه ، والاقتصار على ما ورد عنه فينقض ويبدد .

وأنا لا تختلج بي الأوهام والظنون ، بأن هذه الأمور قد خفيت على هذا المبغض الخؤون ، بل أظن وأستغفر الله أن العناد والشقاق مع من قال تلك الكلمات والعياذ بالله ، وإلا فليس الطعن في علماء الدين ، من شرائط الأخباريين . كيف وكثير منهم معدودون عند أصحابنا من العلماء المرضيين ، كالصدوق<sup>(١)</sup> وقومه من المتقدمين ، والحرّ العاملي<sup>(٢)</sup> ، والشيخ يوسف البحراني ، والسيد صدر الدين القمي<sup>(٣)</sup> ، من المتأخرين ، فقد كانوا هؤلاء إذا ذُكِرَ أحدُ أولئك العلماء الأعلام بالغوا بالثناء عليه والأعظام .

ولذا ترى (هذا) ، و(الميرزا) المذم السالك في طريقته الباطلة ؛ الذين ما عرفوا الحق طرفة عين ، غير مرضيين عند الطرفين . كيف وقد قال الشيخ يوسف في (لؤلؤته) عند ذكر هذا الخائن ما نصّه : «وهو أول من فتح باب الطعن على المجتهدين ، بل ربّما نسبهم إلى تخريب الدين ، وما

(١) هو مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي المعروف بالصدوق ، ولد بمدينة قم سنة ٣٠٦هـ / ٩١٨م ، وهاجر إلى بغداد سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦م ، وألف في علم الحديث كتابه «مَنْ لا يحضره الفقيه» الذي يُعدُّ أحد الكتب الأربعة في الحديث عند الإمامية . توفّي سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م في (الري) بأيران .

(٢) هو محمد بن الحسن الشهير بالحرّ العاملي المتوفّي سنة ١١٠٤هـ / ١٦٩٣م . وكتابه «وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة» (المطبوع عام ١٩٦٣م في عشرين مجلداً) يُعدُّ من مصادر الحديث الثانوية عند الإمامية .

(٣) صدر الدين مُحَمَّد ابن السيد باقر القمي ، توفّي حدود سنة ١١٦٦هـ / ١١٧٤م .



أحسن ولا أجاد ، ولا وافق الصواب والسداد ، لِمَا قَدْ تَرَبَّ على ذلك من عظيم الفساد»<sup>(١)</sup> .

وبمثل هذا أو أزيد منه تكلم في كتابيه «الحدائق»<sup>(٢)</sup> ، و«الدرر النجفية»<sup>(٣)</sup> . وأنت ترى الفرق بين كلامه وكلام مُحَمَّد أمين ، ورديفه اللعين ، وتميز بعقلك من المجترئ منهما والبريء ، وتعرف مَنْ المقتصد وغير المقتصد ، والمتعرض للتفرض ، وَمَنْ الصافي العقيدة والخالى الذهن ، من المتحمل الحقد على الدين وأهله ، والممتلئ فؤاده بالضغن . وإلا فكلاهما إخباريان ، فما الداعي لاختصاص هؤلاء بإظهار العداوة للمجتهدين والشنآن .

ولعلَّكَ أيُّها الناظر بهذه الرسالة في هذا المقام ، تفوق إليَّ سهام التأييب والملام ، بسبب بعض الكلمات التي أعبر عن هذين الرجلين الملعونين من طردهما ، ولعنهما ، ونسبة الباطل إليهما ، وتقول هما إماميان مواليان ، فلا ينبغي في حقهما هذا البيان والعنوان . ولكنك بملاحظة ما ذكره الشيخ يوسف البحراني - الذي هو منهم - تعذرني في ذلك ولا تؤنِّبني .

وأما لو ذكرتُ لك ما ذكره الشيخ علي<sup>(٤)</sup> بن الشيخ حسن بن الشهيد رحمهم الله في كتابه المُسمَّى بـ «السهام المارقة» ، في ردِّ أولئك الزنادقة ، لقلتُ لي أحسنت وأجدت ، ولقد مدحتهم لما أبنت وأفدت . وأنا أذكر لك بعض كلماته لا لذلك ، بل لتطلع على بُذنة من أحوال الرجل وتصدقني فيما نسبتُ له من الطعن في (حُجج) الله .

قال رحمه الله بعد كلام طويل في تضليل الغزالي<sup>(٥)</sup> ، ومُحيي الدين<sup>(٦)</sup> ، وإفساد طريقة هؤلاء المبتدعين من المتصوفين ، ويتخلص منه إلى مقصده ومرامه من إثبات ضلالة (الفيض)<sup>(٧)</sup> وأتباعه على تلك الطريقة الفاسدة ومقاتلتهم جميعاً بوحدة الوجود المستلزمة

(١) البحراني ، لؤلؤة البحرين في الإجازة لقرتي العين ، ص ١١٨ .

(٢) الحدائق الناضرة ، ج ١ ، ص ١٧٠ .

(٣) الدرر النجفية ، ص ٨٧ ، وما بعدها .

(٤) الشيخ علي بن الشيخ حسن من كبار علماء زمانه ، ولم أقف على سنة وفاته في المصادر التي ذكرته كروضات الجنَّات ، ج ٢ ، ص ٣٠٢ ، وطبقات أعلام الشيعة ، ج ٥ ، ص ٣٩٢ ، وتكملة أمل الأمل ، ص ٢٨٦ .

(٥) الغزالي هو أبو حامد مُحَمَّد بن مُحَمَّد تُوْفي سنة ٥٠٥هـ / ١١١١م . فقيه وفيلسوف إشراقي لُقِّبَ بـ (حُجَّة الاسلام) ، ولد في طوس وتنقل بين بغداد ودمشق والقُدس والقاهرة ومكة والمدينة . اشتهرت مؤلفاته إحياء علوم الدين ، المنقذ من الضلال ، تهافت الفلاسفة ، وغيرها إشتهاراً واسعاً .

(٦) محيي الدين ابن عربي المُلقَّب بالشيخ الأكبر ، مُحَمَّد بن علي الطائي صاحب كتاب «الفتوحات المكيَّة» ، من كبار فلاسفة الاسلام ، تُوْفي سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤١م ، وقبره بالشام .

(٧) الفيض هو مُحَمَّد بن المرتضى المعروف بالمولى محسن الكاشاني . له مؤلفات شهيرة منها «الوافي» في علم الحديث ، و«الحجة البيضاء في تهذيب الأحياء» ، تُوْفي سنة ١٠٩١هـ / ١٦٨٠م .

لتعدد المعبود ، أو إتحاد الموجود ، وغير ذلك من المفاسد ، والمقالات الكواسد ، التي هي إنكار أنه تعالى واحد . حتى قال (قُدَّسَ سرّه) : وقد قلَّد ، (يعني الفيض) ، في بعض تقليده بذلك رجلاً جاهلاً بمراد العلماء مغروراً لا اطلاع له على علوم الشريعة وضوابطها ، ولا خدم أهلها وحصل بما عندهم ، بل كان قصده الشهرة ، وتعريف نفسه بمعادة أولياء الله لما اشتهر من قولهم «إذا أردت أن تشتهر فقع في من هو أكبر منك وعاده» ، وهذا الرجل اسمه مُحَمَّد أمين ، من تسمية الشيء باسم ضده ، وكان في مكة وقت خلوها من الفضلاء :

وإذا ما خلا الجبانُ بأرضٍ طلبَ الطعنَ وحدهُ والنزلاً

وقد كان عنده بعض المعرفة فيما لا يُسمن ولا يُغني من جوع ، وكان يحضر أوقاتاً فيها درس ميرزا مُحَمَّد الأستربادي<sup>(١)</sup> ، ولم تطل مدة الرجل . فلما انتقل إلى ربه تصدَّى لقصد الشهرة عارياً من العلوم التي بها يشتهر المجاورون ؛ فشرع هناك بالتقبيح والتدليس ، وأخذ مسائل من كلامهم لم يفهم مغزاها ، ولا عنده خبرها ، وضمَّ إلى ذلك ادعاء منامات كثيرة وتخيلات إن صح شيء منها فممنشؤه ما كان يستعمله من (الافيون) ونحوه ، وموّه على ضعيفي العقول وقليلي البصيرة أشياء سخرهم بها ، وهي أوهى من بيت العنكبوت ، ولم يوافق فيما ادعاه ، ويظهر ذلك لمن عرفه حق المعرفة . ثم ادعى العصمة لنفسه فيما يقع الخطأ فيه عادة في آخر رسالته ، ونحو ذلك من الخرافات . فتبعه كل مريض القلب ، مقعد الهمة ، أكمه البصيرة ، قريح القريحة ، مغتر بخضراء الدمن ، متخيل بذيء ورم سمن ، ضعيف النقل ، صحفي التحصيل ، مائل إلى الراحة والتقبيح ، قاصد الطفرة إلى سمو الرتبة من غير تعب ومشقة :

تُرِيدِينَ إدراكَ المعالي رخيصةً ولا بُدَّ دونَ الشَّهْدِ من إبرِ النحلِ

مكتّف بما يسمى من كتب الحديث ، مما اشتمل على التحريف والتصحيف ، لعدم إعتبار النقل المقرر ، والأخذ عن أهله المحرّر ، وخيّل له حُبُّ الرئاسة بذلك القدر السخيف معرفة مراد الأمام (ع) كمتبوعه ، وإن كان لا يعرف سوى سواد الكتاب من بياضه ، وإذا سُئِلَ عن شيء فتح الكتاب وأجاب كلما يخطر بfikره لئلا ينسب إلى عدم المعرفة ، وموّه على العوام ، أني ألقي إليكم مراد الأمام (ع) ، والمجتهدون يلقون إليكم من مخترعاتهم . فصار الناس بمتابعته كإبل مائة لا ترى فيها راحلة ، وعز التوفيق والاخلاص لعدم أخذ العلم من وجوهه ، وكثر السواد ، وقلّ البياض وتقاعدت الهمم ميلاً إلى الراحة وانقبض العلم :

(١) الميرزا مُحَمَّد بن علي الأستربادي ، كان من كبار المحدثين الرجاليين ، وقد كتب ثلاثة كتب رجالية . توفي سنة ١٢٨٠هـ / ١٦٦٨م .

كَأَنَّ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحُجُونِ إِلَى الصِّفَا أَنِيسُ وَلَمْ يَسْمَرْ بِمَكَّةَ سَامِرُ

\*\*\*

وَكَأَنَّهُ بَرَقَ تَأَلَّقَ بِالْحِمَى ثُمَّ انْشَى وَكَأَنَّهُ لَمْ يَلْمَعْ

وقد تفحصت عن حقيقة هذا الرجل ، وأحواله من رآه وظهر ما لفقّه أنه ليس بشيء يُعْبَأُ به مع أنني لما سمعتُ ببعض تمويهاته حصل لي أدنى ريب فلما تفحصتُ عنه ، وطالعتُ (رسالته) ظهر لي تدليس ، وقصور يده وغواية مطلبه . ولتتمة الكلام معه والردّ عليه مقام آخر ، وإن كان الأنسب السكوت عنه من قبيل : «رائحة الماء المتعفن بتحريكه يزيد» ، ولكن رأيتُ شياع ذلك عند العوام كشياح غيره ممن يضاهيه ، وهذا تنبيهٌ للناقد البصير لئلا يغترّ به . إلى أن قال (رحمه الله) : وقد جعل علماء الأمامية - خصوصاً العرب منهم - ضالين مُضِلِّين مشركين استحبوا العمى على الهدى وهم عارفون أنه لأجل حب الرئاسة وجعل الشيخ المفيد أول مبتدع ، ومخرّب للدين . وذكر في حواشيه على أصول الكافي أن المشرك بمعنى أن يقول «أن الله له شريك» لم يوجد أصلاً ، وأن كلّ ما ورد من ذمّ المشركين ، فهو متوجه إلى المجتهدين . والرجل لم يكن عنده من متاعهم وبضاعتهم ما يحصل به شهرة فسلك هذا السبيل ، وفتح باب الطعن والتشنيع والتكفير ، فريح من في قلوبهم مرض زادهم الله مرضاً . ولما كان (زمزم) في مكة المشرفة وسمعَ بمثل : «البابل في زمزم» أراد أن يفعل ما يُضاهيه . ولنمسك بعنان القلم عنه إحالة على ما أوضحته من حاله في رسالة مفردة .

والمقصود هنا ذكر متابعة مَنْ قَلَّدَهُ<sup>(١)</sup> في ذلك ، كما قلّد غيره ، وزاد في الطنبور نغمة بتقليده الغزالي ، وصرف عمره في تتبع آثاره الشنيعة ، ومن جملتها تشنيعه في (الأحياء) وغيره على علماء الشريعة . وقد سلك سبيله المظلم وترك الاقتداء بمن يقتدى بهم ، ومن لم يصدّق فعله بمطالعة رسائله فأني رأيتها بعدما أرسلها إليّ ليهديني بها عن طريق الصواب ، فظهر لي منها العجب العجيب وكلامها مُنتهبٌ من غيره ومثّل به ؛ كما يعرفه الناقد البصير . (إنتهى كلامه رفع الله مقامه)<sup>(٢)</sup> .

وأقول : ليت الشيخ علي<sup>(٣)</sup> أدرك تابعهما المذمّم المتأخر الذي زاد في الطنبور نغمات من السياسة والتدليس ، أظنُّ أنه بما أوحاها إليه أخوه إبليس ، «وإنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم» ، فجعل يعبر عن الأغا البهبهاني بالبهتاني ، وتارة بالنهرواني مُدَّعياً أنه من

(١) يُقصدُ به الفيض الكاشاني (تعليقة المؤلف) .

(٢) النصّ منقول عن روضات الجنّات ، ج ١ ، ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٣) هو الشيخ علي بن الشيخ حسن بن الشهيد الثاني .

خوارج (النهروان) بتقريب أن الأباضية - وهي فرقة منهم - في نواحي (بهبهان) ، ويعبر عن شيخنا الكبير بفتية المروانيين مدّعياً أنه - والعياذ بالله - من بني أمية ، ويعبر عن السيد محسن الكاظمي بحلل اللواط مدّعياً أنه يرى حليته . وأنت خبر أن الأموية وحلية اللواط ونحوهما مهما بلغا من القبح لا يكونان بأعظم مما نسبته شريكه في الضلالة المذم الخزون ، مُحَمَّد أمين الملعون ، من الشرك في حق الشيخ المفيد ، والطوسي ، والمرتضى ، والعلامة ، وأمثالهم . كيف والأموية والنهروانية مع الأيمان ، غير مقتضيين النقصان ، ولا مانعتين عن دخول الجنان ، بخلاف الشرك فإن الله لا يغفر أن يُشرك به ويغفر ما دون ذلك .

ورأيتُ في كتب بعض المتأخرين أن (الشيخ) كتب في طهران رسالة لردّه بعث بها إلى فتح علي شاه ، ودلّ فيها على معائب الرجل وتدليساته وكفره ، وأتى بشواهد على عدم حياته وعدم دينه وعدم عقله . وقد ذكر منها نبذة لطيفة صاحب «روضات الجنات» .

وأما نحن فلم نذكر منها شيئاً لعدم ثبوت صدور (الرسالة) منه ، وصحة إنتسابها إليه (قدس سرّه) فيه (لعنه الله) ، ولم يعرفها أحد من مشايخنا أدام الله وجودهم ، وما سمعوا بها عن مشايخهم ، مع أن (صاحب الدار أدري بالذي فيها) ، بلّ ولا يعلم بها أغلب أهل النجف ، بلّ كلهم . وما يؤيد ذلك ، بلّ يكاد يورث الجزم بالعدم عدم تعرض الشيخ ميرزا عليّ في «قصص العلماء» لها بوجه من الوجوه لأنّ هذا الرجل قد استوفى في أحوال الشيخ ما لم يستوفه فيه أحد ، وأطنب بتفصيل أحواله ومصنّفاته وعلمه غاية الأطناب ، وليس فيه إشارة ولا تصريح بأن الشيخ قد ردّ عليه ، ولا ذكر ذلك في ترجمة ذاك الملعون فإن مجموع ما ذكر من تشاجر الهدى والضلال ما هذا نصه :

كان للميرزا مُحَمَّد إمام بالعلوم الغربية ، وكان يدّعي المهارة في معرفة أنساب العرب . وكان يقول - والعياذ بالله - إن الشيخ جعفر النجفي هو من نسل بني أمية . وبعد وفاة الشيخ جعفر قال هذا الملعون المطرود : «مات الخنزير بمرض الخنازير» حيث كان الشيخ جعفر قد أُصيب بمرض (الخننازير)<sup>(١)</sup> الذي يحصل من تورّم الرقبة .

وبسبب أفعاله الشنيعة ، وتضلّعه بالسحر فقد أصدر علماء العتبات المقدسة حُكماً بتكفيره وقتله . وعندما همّوا لاقتحام داره لم يجدوا لها (باباً) من تأثير سحره ، فكسروا الحائط ، ثم قتلوه<sup>(٢)</sup> .

(١) الخنازير : مُفردتها (خنزيرة) : غُدّة صُلْبَة تكون في العنق تظهر على سطحها أدران شبيهة بالعقد ، وهي ما تُسمى الآن (تورّم أو سرطان الغدد اللمفاوية) .  
(٢) قصص العلماء ، ص ١٧٩ .



الأضمار، وأنكر تجلداً سقوطه هو، وأصحابه عن درجة الاعتبار، ولزوم الذل والصغار، حتى جلّ الأمر عن الانكار، فرجع إلى الاقرار، فقال: «وصار المحدث الصارف عمره بـ» قال الله، و«قال الرسول»، أذلّ من اليهود والمجوس، وأصحاب الحلول».

نعم تالله لقد صدق الرجل، ولكن مشاركته مع هؤلاء ليست بالذلّ، بلّ بفساد العقيدة مع ذلك، والقول بالتناسخ والحلول وما أشبه من هذه المسالك، والناقد البصير، يعرف أن الرجل قد بلغ في الذلّ المبلغ الخطير، حتى صار يعبر عن حاله بهذا التعبير. ولو ذكرتُ كيفية تشريد الشيخ لهذا الملعون، وتشيتت شمله، ونفيه كلّ يوم عن العتبات لعذرت الرجل، بما قال في حق الشيخ إذ ليس له ما يدرك به الثأر منه والدحول، إلا التشنيع فيما يقول:

فما هو إلا كالعقاب سلاحها إذا صرّت الهيجاء ناباً سلاحها

ولما رجع الشيخ من خراسان إلى طهران نُقلت له كلمات الرجل ومطاعنه في العلماء، وانحياز فرقة إليه من الأشقياء، الذين استغواهم بزبرج لسانه، وسحره وبهتانه، وكان من تقنيعاته لهم أن الحق لم يزل مخدولاً، وما برح قليلاً، زاعماً أن الحق معه لأنه كان يختفي هو وصحبه عن السلطان وأمنائه، ويكتنم في الأول أمره عنهم.

واستمر الحال على هذه المشاجرة والتخاصم حتى وقعت قضية (أشبوختر) السابقة فنُفي الرجل إلى العراق<sup>(١)</sup>، واعتقد برأيه أن ذلك بواسطة إخلاص الوزير له، ثم توجه الشيخ بعده بأيام فوجد الرجل في النجف أو كربلاء، وعنده جماعة وحفدة، وهو يباحثهم، وقد جعل في بحثه (الأغا) المروج غرضاً لسهامه، وعرضاً لتشنيعه بكلامه، وقد صير الرد على مقالات (الأغا) عنواناً لبحثه. وقد انزعج لذلك أصحاب الأغا وأقرباؤه، كالسيد علي صاحب الرياض، وولده الأقا مُحَمَّد علي<sup>(٢)</sup> فعزموا على إخراجهم من العراق فكتبوا صورة استفتاء للشيخ الكبير لكون العوام أطوع له وأسمع منه، ومضمونه: «ما يقول شيخنا في مبتدع بالدين، يسعى بأتلاف شريعة سيد المرسلين، وما جزاء مَنْ سعى في الأرض الفساد، وحارب أولياء الله الأمجاد. فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، إنّما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يُقتلوا أو يُصلبوا أو تُقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، أو يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ، ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب

(١) وذلك أواخر عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م.

(٢) هو ابن الأغا مُحَمَّد باقر المعروف بالوحيد البهبهاني المولود سنة ١١٤٤هـ / ١٧٣١م، والمتوفى سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١م. له مؤلفات في الفقه والتاريخ والأدب.

عظيم»<sup>(١)</sup>، والقتل أرجح الأمرين، والنفي أحوط القولين، وخصوصاً مع العجز.

والى هذا يشير الملعون بقوله هناك: «وأفتى بنفسيهم بعد العجز عن قتلهم فقيه المروانيين».

ثم بعثوا (بحكم) الشيخ إلى حاكم البلد فقيل اخرج منها مذموماً مدحوراً من الصاغرين، وأن عليك اللعنة إلى يوم الدين، وتمزق قومه كل ممزق، ووقعت الصيحة عليه، وعلى كل ملحد تزندق. فدخل (طهران) متنكراً، ثم قدم الشفعاء، والكفلاء إلى السلطان، بأن يُعطى الأمان، حتى يجلس فيها ولا يخرج عن طاعة، ولا يشق عصا جماعة، ولا يأتي بمنكر أبداً، وإلا إستحقَّ القتل والعذاب. (وانتظر لتمام خبره، وكيفية قتله عند ترجمة موسى بن جعفر).

وهذا غيظ من فيض، وإن طلبت الرد عليهم فانظر (رسائل) الشيخ علي الشهيدي، و(الحق المبين) تصنيف الشيخ؛ ففيه من الحسن والبلاغة، والخروج عن العهدة ما ليس في غيره.

ولنكف عنان القلم فقد تلوث بأحوال هؤلاء، ولا يغسل درن ذلك إلا بالعود إلى باقي مكارم أخلاق الشيخ، وطيب أعراقه.

فأما علمه وتقواه وجوده، فقد مرّ عليك من كل واحد منها نبذة يسيرة تكفيك في بيان علو قدره، وأما فصاحته وبلاغته، وحسن مدخله في فنون الكلام فهذا أمر تعرفه بذوقك، وتميزه بذهنك، وتُصحّحه بقدر فهمك ومنزلتك من العلوم، فإن طلبت ذلك فعليك بمراجعة كتبه خصوصاً «كشف الغطاء» ثم «الحق المبين»، فإنه الضمين بما تهوى من تشجيع وتحسين وتزيين، من غير تكلف ولا جهد، ولا تعب ولا كد، بل عن صرف القريحة، وجري القلم، وبديهة الخاطر، مع بلاغة مبدعة، وفصاحة مقذعة، وجزالة ألفاظ برّقة، ومتانة معاني بدّقة. فما شئت هناك من مصقع:

إذا قال لم يترك مقالاً لقائل  
بملتقطات لا ترى بينها فصلاً  
كفى وشفى ما في النفوس ولم يدع  
لذي إربة بالقول جداً ولا هزلاً

(١) سورة المائدة ٣٣/٥.

## بين الشيخ وفتح علي شاه

ومن مختصاته اللطيفة ما حدثني به عمي العباس عن أبيه الشيخ الحسن بن جعفر ، عن الثقات من أصحاب الشيخ الكبير : أنه لما خرج الشيخ من خراسان ، متوجهاً إلى طهران ، بعد أن أكمل زيارته ، وقضى على الوجه الأتم نافلته ، فبينما نحن في متن الطريق ، وإذا بفارس يلوح أنه بشمائل الملك عريق ، وقد خرج علينا من ناحية البر ، التي ليس عليها لأحد عمر ، وهو علينا من جبال شواحق ، متقلد بمطابق المكاحل ، متوشح بالبندق ، فقبض راحلة الشيخ بيديه ، ثم وقع يقبل يديه ورجليه ، وهو يبكي بكاء الشاكل ، ودموعه تتحدر إنحدار ماء الغمام الهاطل . فقال الشيخ له : لا ويل عليك ولا خذلان ، فقد ظفرت فاحمد الله بالأمان ، فاقصص علي خبرك ، والله لو توقف خلاصك على نفسي لن أذك . فقال : يا مولاي أنا مصطفى علي خان ، من أهل خراسان ، كنت من الوزراء العظام ، ذي قوة وعشيرة مشيدة الدعام ، فأراد أن يعزلي فتج علي شاه أول سلطنته ، خوفاً من شدة بأسه وسطوته ، فعصيته وخرجت عليه ، وقتلت جملة من الجند والعسكر بين يديه ، فأقسم بالآيمان المغلظة ليقتلني أشر قتلة بيده ، وليفني في طلبني سائر عمره مع طريقه وتلد ، وأن لا يُشفع في أحد ، وله سبع سنين ، قد جعل علي المراسد والعيون ، وأنا مختف في هذه الجبال لا إلى الحياة ولا إلى المنون ، لا عشيرة تحميني ، ولا أرض تؤويني ، وقد جاءني بالأس بعض من غمرة نوالي بالأحسان ، يوم كنت حاكماً في خراسان ، فقال وهو يعرف خبري : هذا نائب إمام العصر زار وقفل إلى طهران ، وفتح علي شاه وكيل عنه ، ومنصوب منه ، لا يتخلف عن أمره ، ولا يحيد عن قوله ، فتمسك بأذياله ، وقد نفسك بأزمة الرجاء واعقلها برحاله ، وقد نذرت لك إن خلصتني من العطب ، خمسين ألف ذهب ، تصرفها فيما تشاء ، ومثلها على يدك للفقراء ، لعلنا تعمل حيلة وتدبير ، وتفك هذا العاني الأسير .

فقال الشيخ له : على العين والرأس ، فاذهب بلا ويل عليك ولا بأس ، وانتظر الأمان ، أول دخولي طهران . فودعه وسار الشيخ ، فلما صار عن تحت المملكة بأميال ، جاء أمين الدولة وباقي الوزراء للاستقبال ، فلما دخل الدار التي أعدت له ، خلى بأمين الدولة ، فقال له : أريد الدخول على الشاه ، فقال : على الرحب والسعة . ثم قال : وأريد أن أشفع عنده لمصطفى علي خان ، وأطلب منه له الأمان . فانزعج الوزير وتغير ، وقال : يا للعجب منك وأنت بهذه المرتبة لا تدرك استحالة هذا الأمر ولا تفيدك الممارسة مع العجم إلا تعرب ، ولا تزيدك الموالفة بقواعدهم إلا تعرب ، مع علمك بهذا الرجل وعصيانته ، وخروجه على الشاه وشق عصا سلطانه ، ولو لم يكن إلا أيماناه المغلظة على قتله ، لكفالك رادعاً عن التعرض



لثله ، فإن كنت تريد البلغة من المال ، فهذه أموال طهران بين يديك ، لا يمنعه مانعٌ عليك . فلم يزل به حتى قال الشيخ : حسبك فقد كففتنا عن هذا الأمر وصرفنا آمالنا منه . ثم قاما فدخلتا على الشاه وبعد أن تعانقا ملياً جعل الشاه يسأل الشيخ عن سفره وكيفيه أمره ، ويذكر له فقرة فقرة من راحة وتعب ، ومأكل ومشرب ، والشيخ يحمد الله ويشكره ، ويثني على الشاه ويشكره . ثم جعل يسأله عن خراسان وأهلها وكيفيه استقبالهم له ، وابتهاجهم به ، إلى أن قال له : مهالاً : وهل كانت صيغتهم على نظرك وإرادتك ، وكم متعبة منهم تشرفتُ بخدمتك . فقال الشيخ : أيها الملك ، مجمل الكلام أنني بحمد الله بوجودك الشريف ، ومن حسن التفاتك عليّ ، لم تبق لذة من ملاذ الدنيا لم يكن زمامها بيدي ، وقد تمتعت نفسي بكل شيء من ملابس ، ومناكح ، ومأكول ، ومراكب ومراحل ، إلا لذة واحدة لو نلتها لكان الموت هنيئاً بعدها .

فقال الشاه : وما هي ؟ فقال : ما أظنك تسمح بها ، وإن كانت عليك يسيرة ، فأقسم الشاه أن يمكن الشيخ منها ولو توقف على بذل حياته . فقال الشيخ : تلك لذة النهي والأمر ، فإني أرجوك أن تنصّبني في محلّك ربع ساعة ، على أن يكون لي لا لك السمع والطاعة ، فقال : أيسر ما طلبت وهذه أيضاً لا أبقياها بنفسك .

ثم قام وأجلس الشيخ على مُتْكته ، وجعل خاتم الملك يميناه ، ونادى العسكر أن يُجمع فجمعوه ، فقال لهم : هذا سلطانكم فخذوا له السلام الرسمي وأطيعوه ، ثم تمثّل الشاه بين يديه ، مثول أحد الرعية بين مَنْ له الأمر عليه ، كلّ ذلك والناس طامحة البصر ، تنتظر ما الخبر .

فقال : « بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي جعلنا خلفاء في أرضه وحججاً على بريّته ، وأمرنا بسيرة العدل ، وقول الفصل ، وبعد : فأنا الله أحبّ العفو وأمر به أوليائه ، فقال : « واعفوا واصفحوا » وأنا الآن الأمام الذي تجب طاعته ، ولا تجوز مخالفته ، فأشهدوا أيها الناس أنني قد عفوت عن ذنوب مصطفى علي خان ، وأرجعته حاكماً إلى خراسان » .

ثم نزل من السرير ، وأخذ بكف الشاه وأجلسه بمحلّه ، وقال له : قد وهبتك باقي المدة على أن لا تنقض حكمي .

فضحك الشاه حتى استلقى على قفاه ، وتعجب أمين الدولة من حسن مدخله ، ولطف مسلكه فأخبرت الرسالة البرقيّة مصطفى علي خان بالأمان ، وبعث بالأموال إلى الشيخ ففرقها جميعاً على الفقراء ، وكانت بكفه كالذرّ هبّت عليه الزعزع النكباء . وهكذا كانت عادته ، عطر الله قبره الكريم ، بعرفٍ شذيٍّ من رحمة وتسلیم .

ومنها ما في «معدن الشرف»: إنَّ الشيخ كان ذات يوم عند (الصدر)، وكان يخلي له من سريره الصدر، فيجلس الشيخ والوزير بين يديه، فبينما هم كذلك إذ دخل بعض الطلبة عليه، فجلس فوق يد الشيخ فنظره الصدر شزراً، وورق نحوه عيوناً خزراً، إذ لم يكن يجسر على ذلك أحد، لأنَّ الشيخ إذا احتبى بالدست، (قلت غابَّ به احتبى الأسد)، فقام المشتغل منكسراً، وأوماً له الوزير فجلس ناحية. فقال الشيخ: أيها الوزير اليوم أتت عليك شكاية، فاضطرب الوزير وقال: بمن؟ فقال: من (الكنيف) فإنها تقول أنا أفضل، وأظهر من الصدر، فقلت لها: هذه دعوى تحتاج إلى بيّنة، فقالت: نعم أنا وإياه مشتركان في حمل العذرة والبول إلا أن ما في بطني من ذلك منه ويسببه فأنه يأكل المأكّل الجيدة فتستحيل في بطنه فيلقّحها إليّ على تلك الصفة فأحملها لدفع الأذى عنه فلي المنّة عليه، ولو جُعِلت في بطني تلك المأكّل لما استحالت كما استحالت في بطني، وهو زيادة على ذلك يحمل الدم والمنى، وزيادة عليه يكذب ويغتاب ويظلم ويجور إلى غير ذلك من سببيّات الصفات بما أنا خالية منه؛ فمن أحقّ بالوزارة منّا؟ فقلت لها: صدقت فيما قلت إلا أنه هو أفضل منك بأمر بها استوجب هذه المنزلة، فأنه يقضي حاجة السائل، ويرحم اليتيم، ويعطف على الأرمال، ويتصدّق على المساكين، ويكرم القاصدين، وهو يعظّم العلم وأهله، ويعرف حق المعرفة شرفه وفضله، وأنت من كلّ ذلك خالية، فلذا استحق هذه المنزلة العالية.

فنهض الوزير وقبّل يد الشيخ واعتذر إليه، وأكرم المشتغل وقضى الأمر الذي جاء عليه. هذا ما اقتضى المقام نقله بما اتفق له في أسفاره. وهناك حكايات كثيرة قدّ ضربنا صفحاً عنها خوف الأسهاب والأطناب، وقد أتى على كثير منها في «قصص العلماء».

ولما رجع من سفره بعد أن استمر ثلاث سنين<sup>(١)</sup> مكث في النجف عدة سنوات، ثم عزم على الحج ثانياً<sup>(٢)</sup>، وكان قدّ ابتدأ أمر الوهابي وقطعه الطرق ونهيه للحاج، فتعذّر الرواح على (نجد) فمضى على الشام.

ولما نزل بها كان الشيخ إبراهيم العاملي يومئذ هناك، فمدحه بقصيدة غراء (ستأتي إن شاء الله). وكان الشيخ في رحله جماعة من الأساطين العلماء قدّ بذل لهم الزاد والراحلة

(١) يبدو أن تاريخ هذه السفارة هو عام تولّى فتح علي القاجاري الحكم سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م. وكان فتح علي شاه يومئذ في السادسة والعشرين من عمره.

(٢) من المؤكّد أن سفر الشيخ جعفر إلى الحج كان قبل سفره إلى إيران، حيث يدلّ تاريخ رحلته الثانية على عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م، أي قبل تولي فتح علي شاه الحكم بأكثر من عقد من الزمن.

فمنهم السيد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة ، وسيد محسن الكاظمي ، والشيخ  
مُحمَّد علي الأعمس<sup>(١)</sup> .

فلما رجعوا إلى النجف هنَّأهم السيّد أحمد بن السيد مُحمَّد البغدادي الشهير بالعطار  
بقصيدة غراء أولها :

أ سَنَا جَبِينَكَ أُم صَبَاحٍ مُسْفِرُ

(وستأتي في محلها إن شاء الله) ، ويقول في آخرها مؤرخاً ذلك العام :

بشري فقد حجَّ المسدَّدُ (جعفر)<sup>(٢)</sup>

والظاهر أنها آخر أسفاره عطر الله قبره المُصان ، بعرف<sup>(٣)</sup> شذِيٍّ من رحمة ورضوان .

---

(١) من تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، ومن المُقرِّين إليه ، تُوفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م .

(٢) حساب الجمل لهذا التاريخ يساوي سنة (١١٩٩هـ) .

(٣) العُرف هو الرائحة الطيبة .

## الفصل الرابع

### في الحوادث التي وقعت في أيامه

وهي كثيرة لكننا نذكر منها ما له شأن وعظمة ، وينحصر ذلك في حادثتين :

#### الحادثة الأولى: حادثة الوهابي، وغزواته للنجف

فنقول أن مبدأ هذه الطريقة الفاسدة ، الكاسدة من زعيمها الأول مُحَمَّد بن عبد الوهاب المتولد سنة ١١١٠هـ ، ولما شبَّ تفقه وحج ثم أظهر دعوته وهي إغفال جميع الكتب الإسلامية والأحاديث النبوية ، وسائر فروع الدين ، وقد ذكره بن دحلان<sup>(١)</sup> في كتابه المسمى بـ «الفتوحات الإسلامية» وبين عقائده وأدلته وما ردَّ به ، ونحن نذكر شيئاً يسيراً بما ذكره .

قال : ومؤسس مذهبهم مُحَمَّد بن عبد الوهاب ، وأصله من (المشرق) من بني تميم ؛ ويعني بالمشرق شرقي (مكة) كالدرعية وعسير وغير ذلك من قرى الأعراب الذين هم حول (المدينة) ومنها الصفر (الجديدة) . ولعل هذا أحد أسباب الأيهاام بأن شيخنا أخو الوهابي ، أو قرابته لأن (الجديدة) أيضاً إسم لقرية من قرى (العدار) قريبة من (جناحية) . وهذا التوهيم كما ترى . وقد قال الحموي في «مراصد الأطلاع» بعد أن ذكر قرى كثيرة اسمها (الجديدة) : منها إثنان في مصر ، وإثنان على شاطئ دجلة . قال : وهي كثيرة في البلدان لا تحصى .

ولنعُدُّ إلى ذكر ما أورده من (الفتوحات) فإنَّ التعرض لمثل هذه الخرافات وردّها تضييع للعمر ، وأنت تعرف بطلانها بما نذكره من كلام الدحلاني في أحوال هذا الرجل .

(١) هو مفتي الشافعية الشيخ أحمد بن زيني دحلان ، ولد في مكة عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م ، وتولَّى منصب الافتاء والتدريس فيها . توفى سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٦م وكتابه «الفتوحات الإسلامية» مطبوع في مجلدين . كما أنَّ له رسالة بعنوان «الدرر السنية في الرد على الوهابية» طبعت في القاهرة عام ١٣١٩هـ / ١٩٢١م . وقد كرر فيها الحديث عن تاريخ الحركة الوهابية . الدرر السنية ، ص ٤٢ وما بعدها .

قال : وكان من المُعَمَّرِينَ لأنه عاش قريب المائة سنة حتى انتشر عنه ضلالهم ، وكانت ولادته سنة ألف ومائة وأحد عشر ، وهلك سنة ألف ومائتين وستة . وأرخه بعضهم بقوله : «بدا هلاك الخبيث» .

وكان في ابتداء أمره من طلبة العلم بالمدينة المنورة ، وكان أبوه رجلاً صالحاً وكان أبوه وأخوه ومشايخه يتفرسون فيه أنه سيكون منه زيغ وضلال لما يشاهدونه من أقواله وأفعاله ونزعاته في كثير من المسائل . وكانوا يوبّخونه ويحذرون الناس منه فحقق الله فراستهم فيه لما ابتدئ ما ابتدئ من الزيغ والضلال الذي أغوى به الجاهلين ، وخالف فيه أئمة الدين ، وتوصل بذلك إلى تكفير المؤمنين . فزعم أن زيارة النبي (ص) والتوسل به وبالأَنْبياء والأولياء ، وزيارة قبورهم ، ونداءهم لأمر ، أو شفاعة شرك بالله ، وأن من أسند شيئاً لغير الله ولو على سبيل المجاز العقلي يكون مشركاً نحو (نفعي هذا الدواء) أو هذا الولي ، وتمسك بأدلة لا تنتج له شيئاً من مرامه وأتى بعبارات مزورة ولبس بها على العوام حتى اتبعوه . وألف لهم في ذلك رسائل حتى اعتقدوا كفر أكثر أهل التوحيد . واتصل بأمراء المشرق من أهل (الدرعية) ، ومكث عندهم حتى نصره و قاموا بدعوته وجعلوا ذلك وسيلة إلى تقوية ملكهم واتساعه ، وتسلطوا على الأعراب والبدو حتى تبعوهم ، وصاروا جُنُوداً لهم بلا عوض . وصاروا يعتقدون أن من لم يعتقد بما يقوله ابن عبد الوهاب كافر مشرك مُهْدَر الدم والمال .

فكان ابتداء ظهور أمره سنة ألف ومائة وثلاثة وأربعين ، وابتداء انتشاره من بعد الخمسين وألف ومائة .

وألف العلماء رسائل كثيرة للرد عليه حتى أخوه سليمان<sup>(١)</sup> ، وبقية مشايخه .

وكان ممن قام بنصرته وانتشار دعوته من أمراء المشرق مُحَمَّد بن سعود أمير (الدرعية) ، وكان من بني (خنيقة) قوم (مسيلمة الكذاب) . ولما مات مُحَمَّد<sup>(٢)</sup> قام بها ولده عبد العزيز<sup>(٣)</sup> ، ثم ولده سعود بن عبد العزيز<sup>(٤)</sup> .

وزعم ابن عبد الوهاب أن مراده بهذا المذهب الذي ابتدئ إخلاص التوحيد ، والتبري

(١) الشيخ سليمان بن عبد الوهاب هو أخ الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد عارضه في دعوته ، وكتب ردّاً عليه بعنوان (الرد على مَنْ كفر المسلمين بسبب النذر لغير الله) . توفي حدود عام ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م . ومعارضة الشيخ سليمان لأخيه الشيخ محمد مظهر من مظاهر الصراع البريطاني - العثماني في منطقة الشرق يومذاك .

(٢) مُحَمَّد بن سعود ، توفي سنة ١١٧٨هـ / ١٧٦٥م .

(٣) قُتِل عبد العزيز بن مُحَمَّد سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م .

(٤) توفي سعود بن عبد العزيز سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٤م .

من الشرك ، وأن الناس كانوا على شرك منذ ستمائة سنة ، وأنه جدّد للناس دينهم وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على أهل التوحيد كقوله تعالى : « وَمَنْ أَضَلُّ مِنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دَعَائِهِمْ غَافِلُونَ »<sup>(١)</sup> وأمثال ذلك . وقال بعد أن أتى بآيات من ذلك القبيل كثيرة : إن من توسل بغير الله مطلقاً داخل في عموم تلك الآيات . ثم قال : واعتذار المسلمين في ذلك كاعتذار المشركين في عبادتهم الأصنام حيث قالوا فيما حكى الله عنهم : « ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى »<sup>(٢)</sup> فإن المشركين ما اعتقدوا في الأصنام أنها تخلق شيئاً بلّ يعتقدون أنه الله تعالى بدليل قوله تعالى : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله »<sup>(٣)</sup> فما حكم الله عليهم بالكفر والأشراك إلّا لقولهم : « ليقربونا زلفى » . وهؤلاء مثلهم .

وما ردّوا به عليه : أن المؤمنين ما اتخذوا الأنبياء والأولياء آلهة ولم يجعلوهم شركاء لله بلّ يعتقدون أنهم عبيد مخلوقون لله ، ولا يعتقدون أنهم مستحقون شيئاً من العبادة ، والمشركون الذين نزلت فيهم الآيات كانوا يعتقدون استحقاق أصنامهم الألوهية ويعظمونها تعظيم الربوبية وإن كانت لا تخلق شيئاً . وأما المؤمنون فيعتقدون أن الأنبياء والأولياء عباد الله وأحبّاءه اصطفاهم واجتباهم فببركتهم رحم عباده ، ولذلك شواهد كثيرة .

ثم أخذ الدحلاني في ذكرها وتفصيل الرد عليهم بما لا مزيد عليه نقلاً عن العلماء .

ثم أردفه بتفصيل أحوالهم وانتهاء أمرهم بما حاصله أن ملّكهم إتسع حتى ملكوا اليمن والحرمين وقبائل الحجاز وبلغ ملكهم قريباً من الشام . ثم انتشب القتال بينهم وبين أمير مكة الشريف غالب ابن مساعد<sup>(٤)</sup> ووقعت بينهم وقائع كثيرة قتل فيها خلائق كثيرون . ولم يزل أمرهم يقوى ، وبُدّعَتهم تنتشر إلى أن دخلت تحت طاعتهم أكثر القبائل (والعربان) الذين كانوا تحت طاعة شريف (مكة) . ثم نازلوا (الطائف) وحاصروا أهله رجالاً فهزموهم ، ونساءً فأسروهم إلى أن فتحوا البلد ، ونهبوا الأموال ، وعزموا على التوجه إلى مكة فوقفوا حتى انقضت أشهر الحجّ وعلموا بخروج الحاج المصري ، والشامي فتوجهوا إلى مكة ، ففرّ الشريف

(١) سورة الأحقاف ٥/٤٦ .

(٢) سورة الزمر ٣/٣٩ .

(٣) سورة الزخرف ٨٧/٤٣ .

(٤) الشريف غالب بن مساعد الحسني قاتل الإمام سعود بن عبد العزيز لكنّه لم يصمد أمامه فأظهر الطاعة له . وعاد إلى مكة بعد فراره إلى (جدة) أميراً عليها مظهراً ولاءه للإمام سعود . ولما زحف مُحَمَّد علي باشا والي مصر ، قبض عليه وأرسله إلى مصر سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٤م ثم إلى الاستانة حيث نُفّي إلى جزيرة (سلانيك) فتوفي فيها عام ١٢٣١هـ / ١٨١٦م .

إلى (جدّة) لعلمه بعدم الطاقة لمحاربتهم فطلب الأمان منهم أهل (الحرم) خوفاً أن يصنعوا ما صنعوا في (الطائف) فأمنوهم ، ودخلوا البلد ، وحكموا بها على ما يريدون حتى توجه الشريف إليهم من (جدّة) مع عسكر سلطاني قائده والي جدّة شريف پاشا فدخلوا مكة وانهمزم الوهابيون . والحاصل أنهم لم يزالوا أياماً وأعواماً على هذا يغلبون (غالب) ويغلبهم ، وقد هدموا أكثر (القُبب) التي على قبور الأولياء والأنبياء لما يرون أنّها بدعة ، وحرّموا (التنباك) ، وجعلوا يقتلون من يستعمله .

وكانت الدولة العثمانية في ارتباك كثير ، وشدة قتال مع النصارى ، وفي اختلاف من خلع السلاطين وقتلهم ، إلى أن صدر الأمر السلطاني من ابن عبد الحميد الأول محمود الثاني إلى مُحمّد علي پاشا والي مصر ، فبعث ابنه (طوسون) مع جيش من العسكر ، وكان مشغولاً بقتل (المماليك) وهم طائفة من عسكر مصر تمرّدوا . ثم توجه مُحمّد علي بنفسه مع عساكر بتمام القوة والاستعداد ، وكان معهم ثمانية عشر مدفعاً وثلاثة (قنابر) ، فاستولى على ما كان بيد الوهابية وأخذوا (الصّفّر) و(الجديدة) بالخذاعة ومصانعة العرب ببذل الدراهم وكان هذا بتدبير الشريف غالب ، وهو في الظاهر تحت حكم الوهابية . فلم يزل پاشا يقبض على واحد بعد واحد من أمراء الوهابي وأعيانه وأعوانه الذين نصبهم وكلاء عنه في البلاد ، ويبعث بهم إلى (قسطنطينية) فيُصلّبون هناك .

وفي أثناء تلك الحروب مات مُحمّد بن عبد الوهاب حتف أنفه سنة ألف ومائتين وخمسة<sup>(١)</sup> ، وعمره خمس وتسعون فقام بالأمر بعده سعود وابنه مُحمّد ، واستمر على حاله من المحاربة والدعوة إلى ذلك المذهب حتى توجه مُحمّد علي پاشا إليه فجلاه عن الحرمين بعد أن انتهب ما فيهما من الخزائن ونفائس الجواهر ثم تحصّن بمسقط رأسه (الدرعية) . وبعد أن أمّن مُحمّد علي پاشا الحرمين وجلا ذلك الخبيث وأحزابه عنهما أبقى هنالك عدّة من العسكر ، ورجع إلى مصر .

ثم بعث ابنه إبراهيم پاشا لقتال عبد الله بن سعود ومن تحصّن من قومه بالدرعية خوفاً من أن يعود على سيرته الأولى . وكان قد هلك في الأثناء من أصحاب پاشا ابنه (طوسون) ، ومن أصحاب الوهابية أميرهم الأعظم سعود بعد زعيمهم الأول مُحمّد بن عبد الوهاب ، وكان قد تخلف بعدهما عبد الله بن سعود . وكان قد تكاتب مع طوسون پاشا ، وعقد صلحاً بينهما على بقاء إمارة عبد الله هذا ، وعدم خروجه بعد على الدولة ، فلم يقبل به مُحمّد علي پاشا وبعث مع ابنه إبراهيم عسكراً ذا عدة ، فنازلت جيوشهم عبد الله ،

(١) تُوفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ .

وكثرت الوقائع بينه وبين إبراهيم حتى كان آخر الأمر أن قبض إبراهيم على عبد الله سنة ثلاث وثلاثين بعد المائتين وألف ، وبعث به إلى (مصر) . فأدخلوه على هجين ، وازدحم الناس عليه للتفرّج حتى أدخل على مُحَمَّد علي پاشا فأكرمه وجعل يلاطفه وقال له : ما هذه المطاولة ؟ فقال : الحرب سجال . وكان معه صندوق صغير فقال له الپاشا : ما هذا ؟ فقال : هذا ما أخذه أبي من حجرة الحرم أصبحه معي للسلطان ، فأمر الپاشا بفتحه فوجدوا ثلاثة مصاحف من خزائن الملوك لم يَرِ الراؤون أحسن منها ، ومعها ثلاثمائة حبة من كبار اللؤلؤ ، وزمرّدة كبيرة ، وشريط من الذهب ، ثم بعث بعبد الله إلى (السلطان) فطافوا به في (قسطنطينية) ، وقُتِلَ عند باب (الهمايون) .

ورجع إبراهيم پاشا بعد أن خربَ الدرعية خراباً كلياً ولم يبق بها أحد .

هذا مجمل أحوالهم مع تمام الجهد في الاختصار لقصر المقام عن التفصيل . وعلى هذا فانتشار ملكهم ، وقوة شوكتهم استمرت ثمانين سنة .

وكان يمتني نفسه بأخذ (العراق) ولكن يمنعه علمه بأن فيها جنداً ذوي منعة وقوة لا طاقة له بهم . ولكن كان ينازل (النجف) و(كربلاء) كثيراً لعلمه بضعف من فيها من الأهالي ، وعدم مكث الجند والعسكر بها ، حتى أنه أرجف (النجف) خمس أو ست دفعات . وكان الله يكفيهم شره فيها ، ولكن بعد أن يقتلهم الخوف والاضطراب لأنه كان يأتي بجنده فإذا سمعوا به غلقوا الأبواب فيطوف حول (السور) فمهما وجد دابة على الأرض من حيوان أو إنسان ، رجلاً أو طفلاً ، ذكراً أو أنثى قتله ورمى برأسه داخل البلد . وكان يأتي من أصحابه العشرة ، والعشرون فيدخلون البلد على حين غفلة من أهلها فيقتلون وينهبون ثم ينهزمون بكل ذلك لقرب منازلهم وهي (نجد) و(القصيم) إلى العراق خصوصاً (النجف) منه .

وكانوا يأوون إلى السيد محمود الرحباوي<sup>(١)</sup> فيبيتون الرحبة ، ويصيحون بغاراتهم (النجف) ثم يُمسون في (الرحبة) . وكان الشيخ يومئذ هو المرجع والمآل في جميع الأحوال ، فنهى السيد محمود عن إيوائهم وإخباره أهل النجف بمجيئهم ، فأبى عن كل ذلك ، وهذه إحدى دواعي قتله كما سيأتي قريباً .

فالتجأ إلى تدارك الأمر من زعيمهم الأول لما أخبر به من عقله ووفور معرفته . فجعل يكتبه على البعد ، ويطلب الأمان منه بأنواع اللطائف والحيل حتى سمح له بذلك ، وأمر

(١) قُتِلَ السيد محمود الرحباوي في شهر ذي القعدة سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م . والسادة الذين سكنوا (الرحبة) هم بقية من السادة الصفويين الهاريين في عهد الغزو الأفغاني لبلاد فارس .



جندته بأن يكفوا شرهم عن (النجف) ففعلوا . فلم تأتِ غارة للنجف مدة بقاء مُحَمَّد الوهابي في قيد الحياة .

وحدثني بعضُ الثقات المطلعين من طاف في تلك الآفاق ، ورأى بعض أولئك القوم أنه قال بعض أولاد الوهابي : أصحيح ما يقال من قرابتكم للشيخ جعفر النجفي ، فقال : قَدْ سمعنا ذلك من أهل العراق وهو كذب لا أصل له لأنَّ (جدُّنا) رجل نجدي هاجر بأولاده إلى المدينة المنورة لطلب العلم فاخترع ولده (مُحَمَّد) هذا المذهب ، ومضى به إلى (مصر) يدعو أهله فطردوه ، ولم يقبلوا منه ، فجاء إلى (مكة) ثم رجع إلى (الشام) ، ثم إلى (المدينة) فلم يجد من يتبعه ويأخذ بيده ، حتى جاء إلى مسقط رأسه ، ومحل قومه وعشيرته وهي منازل (نجد) - وكان أميرها (سعود) - فتجلى الحق له فاتبعه ، وصار له ساعد يصول به ، ويبطش فيه . ولم يمض أحد منَّا إلى (العراق) لا مُحَمَّد ولا غيره من عشيرتنا . نعم ، قَدْ بعث جدُّنا أسرته لغزو (النجف) فنَهَبَتْ وقَتَلَتْ شيئاً يسيراً ، ثم جاء هو بنفسه إليها ليهدي أهلها إلى دعوته فأن قَبِلَتْ وإلا قُتِلَتْ ، وعزم على تخريب (النجف) وإفنائها إن لم يقبل أهلها بدينه ؛ فلما نزل بجيشه (الرحبة) عند السيد محمود ، بعث الشيخ بقرآن نفيس من هدايا سلاطين العجم إليه ، وبعث معه كتاباً يطلب الصلح والأمان من جدنا ، وأنه هو وأهل النجف جميعاً على دينه غير خارجين عن طاعته ، والتمس منه أن لا يدخل (النجف) هذه الدفعة لأن أهلها في خوف منه واضطراب ، فأجابه إلى ذلك مُحَمَّد .

وكان الشيخ جعفر قَدْ سألَهُ أن يُنصِّبَهُ حاكماً في النجف من قبله ، فبعث إلى أهل النجف كتاباً يأمرهم بطاعة الشيخ ، وأنه (وكيل) عنه عليهم .

ثم رجع مُحَمَّد بجيشه ، واشتغل بالوقائع والحروب التي بينه وبين طوسون باشا وشريف مكة فلم يمكنه العود إلى (النجف) .

قال الراوي : وقالوا إنَّ كُتِبَ الشيخ لجدُّنا ، وكُتِبَ جدُّنا إليه محفوظة عندنا ، وأطلعوني على بعضها فكان مضمونها كما قالوا ، فما أدري تلفيق منهم على الشيخ ، أم واقع الأمر كان كذلك ، لأنه رأى انحصار الدفع عن بيضة الدين بذلك إلى أن يستعد لدفاعهم ، والله وأولياؤه أعلم .

ثم بعد أن مات مُحَمَّد كثرت الحروب والوقائع بين خليفته (سعود) ، وبين أمراء الدولة ، وجلوهم عن الحرمين ، جعلوا يطلبون العُدَّةَ لهم والقوة من أموال ورجال ، فبعث ابنه عبد الله إلى (كربلاء) و(النجف) وقال له : إنَّ سَلَّمُوا لك وبعثوا معك عدة حسنة فاكف عنهم ، وإلا فأنزل بهم الفناء . فنازل (النجف) بجندته ، وكان الخبر قَدْ بلغ الشيخ وأصحابه وكان قَدْ

استعدَّ لهم بعض الاستعداد ونقل (خزنة) الأمير (ع) وبعث بها إلى (بغداد) مع مَنْ يُعْتَمَدُ عليه من أصحابه ، فقليل كانت الجواهر التي فيها مقدار حمل عشرين بغلاً ، وإنما نقلها الشيخ لثلاثين نهبوها كما نهبوا خزينة (الحرم) .

وحدثني بعض أعمامي عن بعض الشيعة أن الشيخ رأى في المنام قبل أن يأتي خبر عبد الله ومجيئه إلى (النجف) وقد حدثنا بها وأحس بالشر ، وهي أن رجلاً جاءه وقال له أجب أمير المؤمنين فإنه يدعوك ، فقممت معه حتى جئت (الصحف) الشريف ؛ فخلعتُ نعلي ، ودخلت إيوان الذهب فرأيت الأمير (ع) جالساً على كرسي له في صدر الأيوان وعن يمينه رجل ، وعن شماله آخر ، وبين يديه بطل ، قد اتكأ على الحائط المقابل له ؛ فوقفْتُ إلى جنب ذلك البطل وسلّمتُ فردوا عليّ السلام ، وكانوا مطرقين برؤوسهم إلى الأرض ، فرفع الأمير (ع) رأسه والتفت إلى الذي عن يمينه وقال : يا بُني يا (حسن) إصبر كما صبر أبوك من قبل ، فقال : يا أب صبرتُ وسأصبر ، ثم أطرق ورفع رأسه فقال : يا بُني يا (حسين) اصبر كما صبر أبوك وأخوك من قبل ، فقال : صبرتُ وسأصبر ، ثم أطرق ورفع رأسه وقال للذي بين يديه : يا بُني يا (عبّاس) اصبر كما صبر أبوك وأخوك من قبل ، فقال مع التغيّر والانزعاج : لا والله يا أب لا أعطي بمن يستحميني ويستجير بي ، ثم كرر الأمير (ع) كلامه والعباس يجيبه بذلك الجواب .

يقول الشيخ : ثم التفت إليّ وقال : يا شيخ يا شيخ ، احفظ (النجف) احفظ (النجف) ، فقلت : سمعاً وطاعة . ثم داخلني الرعب والرهب من هيئته فاستيقظتُ وفرائصي ترتعد وجوانحي تضطرب ، وبقيت أنتظر الشأن حتى جاء الخبر أن (سعود) فتح (المدينة) وهدم (البقيع) وقبور الأئمة (ع) وجعلها قاعاً صفصفاً وانتهبتُ خزائن (القبر) المطهر ، وما فيها من النفائس . فقلتُ هذه إحدى العلامات ، وبعثتُ بالخزينة إلى (بغداد) .

ثم أخذ (الشيخ) يستعد بتعبئة السلاح ، وجمع الدروع ، وجلب (التفك) إلى النجف . فما كانت إلا أيام حتى أتى عبد الله بجنود ، ونازلها ليلاً فبات تلك الليلة على أن يفتح (البلد) صباحاً ويوسعها قتلاً ونهباً . وكان (الشيخ) قد غلق أبواب البلد وجعل خلفها أحجاراً كباراً لأنها كانت محفّرة ، وعيّن لكل واحدة عدة من المقاتلين شاكين السلاح ، وأحاط باقي الناس بسور البلد من داخلها ، وكان يومئذ محفّراً واهي الدعائم ، وكان ما بين كلّ أربعين أو خمسين ذراعاً حجرة تسمى (قولة) ، كما هي الآن كذلك ، وكان قد وظّف في كلّ (قولة) جماعة من المؤمنين المسلحين .

وكان جميع مَنْ في البلد من المقاتلين لا يزيدون على المائتين لأن أغلب أهل (النجف)

خرجوا منها ، واستجاروا بأعراب العراق لما سمعوا من سيرة الوهابي بالقتل والنهب والسبي ، فلم يبق مع (الشيخ) إلا الصفوة من العلماء كالشيخ حسين نجف<sup>(١)</sup> ، والسيد جواد العاملي<sup>(٢)</sup> ، والشيخ خضر شلال<sup>(٣)</sup> ، والشيخ مهدي ملا كتاب<sup>(٤)</sup> ، وغيرهم من الشَّيْبَةِ الأَطْيَاب ، وبعض من العوام .

وكان قد وقع التشاجر بين العلماء في هذه المسألة ، فبعضهم أوجب الخروج من النجف تقدماً لأدلة حفظ النفس فخرجوا ومن اتبعهم ، وبعض كالشيخ ، والسيد جواد ، وباقي العلماء أوجبوا الجهاد تقدماً لأدلة حفظ بيضة الدين على المسلمين . وقد صنّف السيد جواد العاملي رسائل في الرد على من خالفهم في ذلك ، وشنّع بها على من خرج من (النجف) .

ثم أن الشيخ وأصحابه وطّنوا أنفسهم على الموت لقتلهم ، وكثرة عدد عدوهم ، وكان الشيخ قبل مجيء هذا الخبيث حفر في داره الكبيرة (سرداباً) ينزل في الأرض مقدار أربعين درجاً ، وهو من العجائب لأن الشيخ صنعه بهندسته ليخفي فيه أولاده وعياله خوفاً من السبي فجعله بحيث لا يهتدي إليه أحدٌ إلا من علم بكيفية طريقه ، وسلك فيه مراراً ، وهو موجود إلى الآن ، ويعرف بسرداب الوهابي . وهذه الدار من منن الله علينا ، ونحن نازلون بها ، وهي من مدة ثلاثين سنة في أيدينا . وستأتي كيفية بنائها ، وإتقانها ، وحسن ترتيبها ، وبنائها .

ثم أن (الشيخ) أخفى أولاده ونساءه في (السرداب) ، وجعل معهم من الطعام ما يكفيهم مقدار شهر كامل ، وودّعهم وداع مفارق وقال : إن هذا الملعون سيأتي إلى النجف ، فإن أظفرنا الله عليه فيها ، وإلا فسيفقتلنا ويدخل النجف فلا يرى شيئاً بها بما يريد من مال أو رجال فسيتركها ويرتحل ، وأما أنتم فاخرجوا بعد الشهر وكاتبوا الأطراف ، ومن خرج فليعد ، ولا تقصروا في السعي بتعميرها أبداً ، ولا تخرجوا منها ، ولو بقيت خالية . إلى غير ذلك من الوصايا والترتيبات لأحياء الملة والدين حياً وميتاً .

وأما ابن سعود فإنه بات بجنده تلك الليلة خارج البلد ، وما أصبح الصباح إلا وهم قدّ المجلوا عن تلك البقعة ولم يبق منهم بها أحد .

(١) توفى الشيخ حسين نجف سنة ١٢٥١هـ / ١٨٣٥م .

(٢) توفى سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م . وهو صاحب الكتاب الفقهي الشهير «مفتاح الكرامة» .

(٣) الشيخ خضر بن شلال كان من تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء . توفى عن ثمانين عاماً سنة ١٢٥٥هـ /

١٨٣٩م .

(٤) الشيخ مهدي ملا كتاب من زهاد زمانه ، كان موصوفاً بالفقاهة والعلم . وهو من معاصري هذه المرحلة .

ثم توجّه إلى (كربلاء) فقتل أهلها قتلاً ذريعاً حتى فاض الدم من الحرم الحسيني كالميازيب ولم ينجُ إلا مَنْ لاذ بالحرم العباسي حيث قال الملعون عبد الله : «خلّوا حرم العباس فأثّه ابن أختنا» . ودق القهوة على ضريح أبي عبد الله (ع) ، وأحرق قبر حبيب بن مظاهر ، إلى غير ذلك من الأفعال الشنيعة ، ثم ولى هزيماً ، لعنه الله وعذّبه عذاباً أليماً .

هذا مجمل أحوالهم ، وإن كان بالنسبة إلى رسالتنا المبنية على الاختصار تطويل ، لكن إنمّا ذكرنا لك النبذة الأولى من أحوالهم لتطلع على كذب أعداء الله على أوليائه ، وكيف يؤول الحسد والشنان بأصحابه وخلفائه ، والأولى الامساك عنهم ، والكف فإنهم أقل وأحق ، من أن يرد أحد بشيء أو يذكر :

وما أشكو تلون أهل دهري	ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويئست منهم	فما أرجوهم فيمن رجوت
إذا أدمت قوارضهم فؤادي	كظمت على أذاهم وانطويت
ورحت عليهم طلق المحيا	كأنني ما سمعت ولا رأيت
ويوم الحشر موقفنا وتبدو	صحيفة ما جنوه وما جنيت

ولمّا ألقنتني مراحل الأقلام ، في هذا المقام ، أعثرني التوفيق على لؤلؤة مكنونة ، وجوهرة مخزونة ، كانت مطروحة في زوايا الخمول ، على أنها عما يبهر العقول ، وهي (رسالة) لشيوخنا الأكبر ، علامة الدهر ، حجة الله الكبرى ، وآيته العظمى ، الشيخ جعفر ، أفاض الله روحه على روحه ، وأعلى على الضراح شامخ ضريحه ، (في ردّ الوهابية) ، وهي بدیعة في مقامها غاية الأبداع ، وقد سلك فيها مسلكاً لطيفاً ، وعمل بقوله تعالى فيما أمر به نبيّه موسى (ع) حيث قال له : «فقولا له قولاً ليّنّاً لعله يتذكر أو يخشى»<sup>(١)</sup> فإنّ الشيخ سلك مسلك اللين والانعطاف ، وتطلّب الأنصاف ، وتجنب العنف والاعتساف ، لما فيه من جذب القلوب إلى الحق ، واستجلابها باللين والصدق . حيث أنه يقول مخاطباً الشيخ عبد العزيز بن سعود : «يا أخي يا أخي» ، في أواخر الفصول ، وجعل نفسه من طلبة أهل (بغداد) مُكْنِياً بذلك عن كونه من أهل (السنة) والجماعة ليتوصل إلى الغرض شيئاً فشيئاً ، ويرتقي من مرتبة إلى أخرى ، على أنه ليس قصده إلا أن يُقْلَع الوهابي عما هو عليه من تكفير سائر المسلمين شيعة وسُنة ، (ولو على أن يكون هو منهم) فأثّهم لا يرون وجوب قتال من يشهد الشهادتين ، وهو يرى وجوب قتال من خالف طريقته ولو بيسير ، ولهذا كان أمره على

(١) سورة طه : ٤٤/٢٠ .

المسلمين عسير .

وحيث كان الوهابي لا يعتمد إلا على الصحاح الستة وأمثالها من متقدمي أهل السنة والجماعة مدّعياً أنهم على طريقتهم ، إلّٰم الشيخ في رده بأن لا يأتي له إلا بأحاديثهم المروية بطرقهم المسلمة عندهم ، وهذا أشد في الإبلاغ وأعذر ، وأكد في الأعذار وأنذر . ولكن ما أسفت على شيء من عمري ، ولا تلهفت على ما مضى من دهري ، كما أسفت على عدم ما فات مني من التوفيق والخطو بتمام (الرسالة) لأنني لم أعثر منها إلا على كراس واحد بخط عمي المرحوم المبرور الشيخ موسى<sup>(١)</sup> بن الشيخ مُحَمَّد رضا (تغمدهما الله بالغفران والرضا) . وكنت أرى هذه الوريقات في مجموع أوراقه (رحمه الله) فلا أعرف قضيته ، حتى أخبرني الوالد الماجد صاحب الشرف والفضيلة الشيخ عليّ (سلمه الله) أن أخاه الشيخ موسى أخبره بخبرها وأنه وجدها عند بعض الطلبة ، ولم يتمكن إلا من كتابة هذا المقدار منها ، وأنها كانت عنده تامة . وها أنا قد أثبت لك ما عثرت عليه من ذلك لأنها عزيزة النسخة ، بل معدومة الوجود . وقد أذنت لمن عثر على الباقي أن يدرجه في رسالتنا هذه طلباً لعموم المنفعة ولكثير الفائدة<sup>(٢)</sup> . وأنت بعد مراجعة تصانيف الشيخ ورسائله خصوصاً «الحق المبين» ، الذي ردّ به على الأخباريين ، وتراجع هذه النبذة اليسيرة التي نوردها لك ، منها تعرف أن هذا المنهج والترتيب ، وذلك الأسلوب الغريب ، من تقفية وتسجيع ، الذي هو على صبر القريحة ، وجري خاطر السريع ، بلا تكلف ولا كد ، ولا تعب ولا جهد ، كلاهما من واد واحد ، وقد أوردنا لك ما وجدناه بنصّه فخذله تجده على ما تهوى من بلاغة وفصاحة وردود كافية ، وتقنيات شافية وهي هذه :

### رسالة للشيخ الكبير في ردّ الوهابية

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي تفرد بالوحدانية والقدم ، واشتق نور الوجود من ظلمة العدم ، وأسس قواعد الشرع وفق المصالح والحكم ، وفضل أمة مُحَمَّد (ص) على سائر الأمم ، وأنزل القرآن فيه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وآخر متشابهات ، وحذر عن اتباع الملاذ والشهوات ، وأمر بالوقوف عند الشبهات ، وأنذر عن متابعة الآباء والأمهات . والصلاة والسلام على من قدّمه على جميع أنبيائه ، وفضله على كافة أصفياه ، مُحَمَّد

(١) الشيخ موسى بن الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر الكبير توفى سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م .

(٢) طبعت هذه الرسالة سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م بعنوان «منهج الرشاد لمن أراد السداد» ، وقد أثبت نصّها الكامل - ملحقاً بالعبارات - ، مُحَقَّقاً على نسخة فريدة كتبت في حياة المؤلف سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م .

المختار ، صلى الله عليه وآله ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد : فقد ورد - إلى المقصّر مع ربه ، التائب إليه من ذنبه ، الطالب من الله السداد ، (جعفر) أقل طلبه بغداد - ، كتاب كريم ، مشتمل على كلمات كالدّر النظيم ، من لم يزل بالمعروف أمراً وعن المنكر ناهياً زاجراً ، الأمر بعبادة المعبود ، الشيخ عبد العزيز بن سعود . فلما نظرتّه ، وتدبرته ، وتأمّلتّه ، وتصوّرتّه ، وخلوت في زاوية الدار ، وتصفّحته تصفّح الانصاف والاعتبار ، وقلتُ مُتَّهِماً لنفسي بالميل إلى العصبية والعناد ، والركون إلى ما عليه الآباء والأجداد ، يا نفس اعرفي قدر دنياك ، واحذري شرّ من أغوى أباك ، لقد تخلّيت عن نعيم الدنيا بحذافيرها ، وقنعت بقليلها ولو بقرص شعيرها ، وتجنّبت دار العزّة والوقار ، واخترت العزلة في هذه الدار ، فلو كنت في كبار البلدان ، من ممالك بني (عثمان) أو في بعض بلدان فارس وإيران ، لجاءت إليك الدنيا من كلّ جانب ومكان ، ونلت من النعيم ما لم ينلّه إنسان ، فاحذري أن تكوني مع الأعراض عن هذه النعم الفاخرة ، من قد خسّر الدنيا والآخرة .

فلما شملت منها رائحة التصفية ، ورأيت أن نسبة المذاهب لولا الله عندها على التسوية ، وجهتها إلى الكشف عن حقيقة الجواب ، عن الشبهة الموردة في ذلك الكتاب . ورأيت أن أشرح في الحال رسالة على وجه الاختصار مستمداً من فيض الواحد القهار ، وسميتها (منهج الرشاد لمن أراد السداد) .

فأقسم عليك بمن جعلك متبوعاً بعد أن كنت تابِعاً ، ومطاعاً بعد أن كنت لغيرك مطيعاً سامعاً ، وأعزك بعدما كنت ذليلاً ، وكثّر جمعك بعدما كنت نزرّاً قليلاً ، أن تنظر ما رسمته سطرّاً سطراً ، وتتمعن في تحقيق ما رقمته نظراً وفكراً ؛ متوحشاً من الناس وقت النظر ، متحذراً من النفس الأمارة كلّ الحذر ، طالباً من الله كشف الحقيقة ، سالكاً في المناظرة واضح الطريقة ، فلعله يظهر أنه ليس بيننا نزاع ، فنحمد الله على الاتفاق والأجتماع .

وقد رتبها على مقدمة ، ومقاصد ، وخاتمة .

أمّا المقدّمة فتشمل على ثلاثة فصول :



يعني (بلاّ)، رواه البخاري . وعن أبي بكر أنه قال : أتقولون هذا شيخ قریش وسيدهم ، وعن عائشة عنه (ص) أنه قال : «أنا سيد ولد آدم وعليّ سيد العرب» . ورؤي عنه (ص) أن : «سادات النساء أربعة : خديجة ، وفاطمة ، ومريم ، وآسية» . وعن عليّ (ع) : «أنا سيد البطحاء» . إلى غير ذلك مما يزيد على التواتر .

فالجمع بين هذا وبين ما روي في الكتب المعتبرة أنه جاء وفد إلى النبي (ص) فقالوا : أنت سيدنا فقال : «السيد الله» ، باختلاف القصد ، في معنى (السيد) . وكذا الاستغاثه بغير الله إن أريد بها الصورة أو من باب استغاثه العبد بقصد المعبود فلا بأس بها . وعلى ذلك قوله تعالى : «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه» ، وكذا قوله تعالى : «يستصرخه» ، وكذا إطلاق (الرب) في بعض المعاني على غير الله كفر مع أن الصديق يوسف (ع) قال : «أذكرني عند ربك» . وكذلك إسناد الرزق إلى غير الله تعالى على وجه الحقيقة كفر ، وقال تعالى : «فأرزقوهم منها واکسوهم وقولا لهم قولا معروفاً» ، وقال تعالى : «يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر» . ونحو «استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما» .

ومن ذلك قول القائل : لولا (فلان) لكان (كذا) ، فإن أراد أنه الفاعل المختار ، دخل في الكفار ، وإن أراد العلة الصورية ، بمجرد رابطة جزئية ، لم يكن عليه بأس بالكلية . ولذلك ورد عن سيد الأنام (ص) : «لولا قومي حديثو عهد بالأسلام لهدمت الكعبة» ، وعن الثوري أنه قال : لولا هذه الدنيا لكان الملوك (كذا) ، وعن عمر أنه قال لعليّ لما أشار عليه بعدم أخذ حليّ الكعبة : لولاك لافتضحنا ، وعن النبي (ص) أنه قال لعليّ (ع) : «لولا أن تقول الناس فيك ما قالت النصارى لقلت كذا وكذا» .

وورد في صحيح الأثر عن الفاروق عمر ، أنه قال : لولا عليّ لهلك عمر ، ولم يرد عليه أحد من الصحابة ؛ إلى غير ذلك من كلمات هذه العصابة .

وكذا الحلف بغير الله إن أريد الحلف على جهة إثبات الدعوى كان خارجاً عن الشريعة والألم لم يكن قسماً على الحقيقة . والحديث الذي فيه «من حلف بغير الله فقد أشرك» محمول على حقيقة الحلف . وسيجيء تفصيله في المقصد الخامس .

وكذلك إطلاق (اليَد) و(الرجل) و(القدم) ؛ وغير ذلك بالنسبة إلى الله تعالى على الحقيقة من غير تأويل ، لم يتوهمه سوى النزر القليل ، مع أنه روي عن أبي هريرة عن النبي (ص) أن النار لا تمتلئ حتى يضع قدمه فيها . ومن ذلك نسبة الضحك والعجب إلى الله تعالى فإن إرادة الحقيقة بعيدة عن الطريقة ، مع أن أبا هريرة روى عن النبي (ص) أنه قال : «لقد عجب الله وضحك من فلان وفلانة» ، ونقل قصته باختلاف المعاني ، التي بها



اختلفت المباني . وكذلك في مسألة الأفعال ، فإنها شبيهة بالأقوال ، فإن القيام للتواضع قد ورد النهي عنه . وروى أبو أسامة عن النبي (ص) أنه خرج متكئاً على عصا فقمنا له فقال : « لا تقوموا كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض » رواه أبو داود . وروى ابن عمر عنه (ص) أنه قال : « لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن توسعوا وتفسحوا » . وعن أنس أنه قال : لم يكن شخص أحب إليهم من النبي (ص) وكانوا إذا رأوه لم يقوموا لما يعلمون من كراهته لذلك ، رواه الترمذي وقال هو خير صحيح . فينبغي أن ينزل المنع على قيام خاص كأن يقوم منحنيًا كالراكم على نحو ما تصنعه الفرس القديمة قبل الإسلام ، أو على اختلاف الأغراض والمقاصد .

كما روي عن معاوية أن النبي (ص) قال : « من سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوء مقعده من النار » . وربما ينزل كراهية لذلك على نحو كراهته للملاذ الدنيا وزهده في القيام كزهده في مباحتها . فقد روى أبو سعيد الخدري أن سعداً جاء على حمار فلما دنا من المسجد قال النبي (ص) : « قوموا إلى سيدكم » .

وعن عائشة قالت : « كنت جالسة فجاء النبي (ص) فأردت القيام كما هي عادتي عند دخوله فمنعني » ، فأُن فيه دلالة على أن ذلك كان معتاداً . ولعل هذا المنع كان لسبب خاص أو للزهد وكسر النفس .

وروي عن النبي (ص) لما قدم جعفر ، مبشراً بفتح خبير ، قام فقال : « ما أدري أنا بأيهما أشد فرحاً بقدوم جعفر ، أم بفتح خبير » . مع ما ورد في الأخبار الكثيرة من استحباب التعظيم وأنه يدخل في تعظيم شعائر الله على نحو ما ورد في التفسيرات المعتمدة .

وعن أبي هريرة أن النبي (ص) كان يجلس معنا في المسجد فيحدثنا فإذا قام قمنا لقيامه حتى نراه دخل بيوت أزواجه . وعن وائلة قال : قال رسول الله (ص) : « إن للمسلم لحقاً فإذا رآه أخوه تزحزح له » رواه البيهقي في خصال الأيمان . ولعل هذا مبني على أن التواضع يختلف أقسامه باختلاف الأزمان .

فكيف كان فالذي يظهر بعد التأمل التام ، اختلاف الأقوال والأفعال ، باختلاف المقاصد والأحوال . ومن ذلك اختلاف أحوال الزهاد فبعض ترك المأكول ، والملابس ، والحسان ، واقتصر على الجشب والخشن ، وبعضهم يأكل من أطيب المأكول ويلبس من أنعم الملابس .

ثم أن الأفعال المختلفة بعضها لا ينسب إلى غير الله كأيجاد الكائنات وصنع المصنوعات ، وبعضها لا ينسب إلى الله تعالى كأفعال القبائح والمنفرات . وبعضها يختلف

معانيها ومقاصدها فينسب إلى الخالق مرة والمخلوق أخرى . وهذا القول متمش على قول من لم يثبت فاعلاً سوى الله . وعلى قول من أثبت . والمعيار أنه متى قام احتمال لإرادة وجه صحيح بني عليه لقوله (ص) : «إدروا الحدود بالشبهات ولا تقل في الناس إلا خيراً» . وما دل على النهي عن سوء الظن فكيف بالشك . وعن عائشة عن النبي (ص) : «إدروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم» .

فالناس إذن في أمثال هذه الأمور على أنحاء بين علماء عاملين مقاصدهم صحيحة فلا يتعمدون بالأقوال والأفعال إلا الوجوه السليمة من القيل والقال ، وبين أعوام جهال ، بنوا على ما بنى عليه علماؤهم على الأجمال ، وليس لهم قابلية التفتيش عن حقيقة الحال ، فهم أيضاً معذرون عند رب العزة والجلال ، وبين من بنوا على طريقة الضلال ، وعليهم المأخذة بضروب النكال .

والتحقيق أن تبدل الأحكام بتبدل الموضوعات ليس من باب التشريع والابداع ، مثلاً يستحب للنساء التزين للرجال ، فمنذ كان لبس السواد زينة استحب ، فأذا انعكس وصار الميل إلى الأحمر والأصفر انعكس الخطاب . وألوان اللباس تختلف باختلاف الناس ، ففي كل وقت يستحب لون ونوع فأنه قد يكون في مكان لباس شهرة وفي آخر بعكسه ، وفي موضع من لباس النساء وفي آخر بعكسه . وكذا كانت رغبة الناس في طيب الكافور فكثرة اليوم ، وكذلك إكرام الضيف بالمأكل ، وكذا المراكب فتختلف باختلاف الأحوال .

وكذا طريق التواضع وتعلية البناء ، ولباس الزهد ، والزهد في المأكل يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال والمقاصد ، وعلى ذلك مبني كثير من مختلفات الأخبار . وكذا يستحب التأهب بجهاد الكفار ، بأحسن السلاح ، وكان أطيبها السيوف والرماح ، وصار الأحسن في هذه الأيام ، (التفك)<sup>(١)</sup> المعروف بين الأنام . وكذا الوصول إلى بعض الأرضين ، لا يستحب حتى يجعل مقبرة للمسلمين . فاختلفت الأزمنة والأمكنة والجهات ، يبعث على اختلاف الأحكام لاختلاف الموضوعات ، وربما بُني على ذلك اختلاف كثير من الأخبار ، وطريق المسلمين على اختلاف الأعصار .

فلنسأل الله أخي أن يهدينا وإياكم لسلوك الجادة المستقيمة ، والأخذ بالطريقة المستقيمة ، وأن يردني إليك إن كنت على الحق ، ويردك إلي إن كان الحق معي ومع أكثر الخلق .

(١) التفك : البنادق .

## الفصل الثاني: في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات

وَأَنَّ لِكُلِّ مِنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ مَأْخِذًا ، كَمَا رُوِيَ أَنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً ، وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُورًا فَمَنْ أَرَادَ الْحَقَّ إِهْتَدَى إِلَيْهِ وَمَنْ أَرَادَ الْبَاطِلَ كَانَ لَهُ مِيدَانٌ فِي الْمَجَادِلَةِ عَلَيْهِ . فَمَنْ خَرَجَ عَنْ جَادَةِ الْأَنْصَافِ ، وَسَلَكَ طَرِيقَ الْغَيِّ وَالْأَعْتَسَافِ ، وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى سِيرَةِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، أَمْكَنَهُ أَنْ يَسْتَنْدَ إِلَى ظَاهِرِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ ، فِيمَا يَخْرُجُ عَنْ شَرِيعَةِ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ . فَأَنَّ الْوَعِيدِيَّةَ الْمُنْكَرِينَ الْعَفْوَ ، الْمَوْجِبِينَ لِلْمُؤَاخَذَةِ عَلَى الْمَعَاصِي يُمْكِنُهُمُ الْاسْتِدْلَالُ ، بِآيَةِ الزَّلْزَالِ ، «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ» الْآيَةِ ، وَالْوَعْدِيَّةَ الْقَائِلِينَ بِرَفْعِ الْمُؤَاخَذَةِ بِالْكُلِّيَّةِ وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يِعَاقِبُ عَلَى مَعْصِيَةٍ يَصْحَحُ لَهُمُ الْاسْتِنَادُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» وَوَعْدِهِ لَا خَلْفَ فِيهِ .

وَالْمُثَبِّتُونَ لِلرُّؤْيَةِ فِي الْآخِرَةِ يَسْتَنْدُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ» ، وَالنَّافُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ» .

وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ بِآيَةِ «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» ، وَالنَّافُونَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا» وَ «إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ» وَ «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ» .

وَالْقَائِلُونَ بِالتَّجْسِيمِ حَقِيقَةً يَسْتَنْدُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ» ، وَالنَّافُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» وَنَحْوَهَا .

وَالْقَائِلُونَ بِجَوَازِ الْمَعْصِيَةِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ يَسْتَنْدُونَ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى» ، وَالنَّافُونَ بِمِثْلِ قَوْلِهِ : «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ» .

وَالْقَائِلُونَ بِاسْتِنَادِ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : «خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» وَقَوْلِهِ : «كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» ، وَالْآخَرُونَ إِلَى قَوْلِهِ : «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ» .

وَالْقَائِلُونَ بِأَنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِالْفُرُوعِ بِعَمُومِ «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُم» ، وَالنَّافُونَ لِذَلِكَ بِخُطَابِ : «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ .

وَكَذَا فِي الْفُرُوعِ الْفَقْهِيَّةِ فَإِنَّ كُلًّا مِنَ الْفُقَهَاءِ لَهُ مَأْخِذٌ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَنِ مَغَايِرَ لِمَأْخِذِ

صاحبه كما لا يخفى على المتتبع . ولئن أراد أن يبيح جميع الأشياء ما عدا الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله من جميع ما خلق<sup>(١)</sup> .

والحاصل أن كل من أراد العناد والعصبية ، فله مدرك يثبت به من آية قرآنية ، وسنة محمدية ، ويكون صاحب مذهب ورأي ، وباحث العلماء والفضلاء ، وينظر أساطين العلماء ، ما لم يكن له حاجب من تقوى الله .

ولقد أجاد بعض القدماء من فحول العلماء حيث يقول : «إن المسائل الشرعية عندي بمنزلة الشمع اللين أصورها كيف أشاء لولا تقوى الله» .

ونقل أن بعض الفضلاء أخذ قطعة قرطاس في محفل من الناس فأورد عليهم براهين أنها قطعة من ذهب حتى أقروا بذلك .

ولكن من أراد رضا الجبار ، ورجا الفوز بالجنة والعق من النار ، ينظر إلى المعادلة في الدلالات ، ثم ينظر المرجحات الخارجيات ، وأولها التأمل في طريقة الصحابة وسيرتهم فأنها أعظم شاهد على ما حكم به الجبار ، وجرت عليه سنة النبي المختار ، فأن لكل ملة طريقة يرجعون إليها ، ويعولون عند الاشتباه عليها . وقد يحصل العلم بما عليه الأمراء من النظر إلى عمل أتباعهم وأشياءهم ورعاياهم وخدمهم وحشمهم لأن الأثر يدل على مؤثره ، والمنتهى يدل على مصدره ، والبعد بيننا وبين زمان الصدور ، ربما أخفى علينا كثيراً من الأمور ، فإذا حصل الأجماع والاتفاق ، ارتفع النزاع والشقاق ، وكذلك إذا اشتهر بين السلف وظهر ، فلا وجه للأنصراف عنه إلى ما شدّ وندر ، فقد علم أن الميزان الذي لا غبن فيه ، ولا نقص يعتريه ، هو الرجوع إلى كلام الصحابة والتابعين ، وتابعي التابعين ، لأنه موضح وكاشف لحكم سيد المرسلين .

ولما اختلفت الاخبار في بعض ما أوردناه وشرحناه لزم الرجوع إليهم ، والاعتماد في تنقيح الاخبار بعد الله عليهم . على أن الاخبار الدالة على جواز ما منعه المانعون أكثر مورداً ، وأوفر عدداً ، وأقرب إلى ظاهر الكتاب ، والسنة وكلام الأصحاب .

هدانا الله وإياك يا أخي لإدلال حقائق الأمور والتجنب عن الظنون ، ووفقنا للسعادة لديه يوم لا ينفع مال ولا بنون ، وجعلنا من المتمسكين بالعروة الوثقى ، والمتشوقين إلى الدار الآخرة التي هي خير وأبقى ، والله وليّ التوفيق ، ويديه أزيمة التحقيق .

(١) هكذا وردت العبارة في الأصل ، وفي نسخة «منهج الرشاد» المخطوطة : فلمن أراد أن يبيح جميع الأشياء قوله تعالى «خلق لكم ما في الأرض» ، ومن قصر التحريم على أربعة استند إلى ما دل على تحليل جميع الأشياء ما عدا الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل به لغير الله من جميع ما خلق الله .

### الفصل الثالث: في بيان الميزان الذي يرجع إليه عند اشتباه الأمور

وهو ما عليه الصحابة والتابعون ، وما أجمع عليه المسلمون . قال تعالى : «ومن يبتغ غير سبيل المؤمنين نوّله ما تولى» ، وقال : «إنما يريد الله أن يذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» . وعن ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال : «لا تجتمع أمتي أو أمة مُحَمَّد على ضلال» ، و«يد الله مع الجماعة» ، و«من شذَّ في النار» ، رواه الترمذي . وعن ابن عمر عنه (ص) أنه قال : «اتبعوا السواد الأعظم فأنه من شذَّ شذَّ في النار» ، وعن عمر عنه (ص) : «من سرّه بحبوبة الجنة فيلزم الجماعة فأنَّ الشيطان مع الواحد ، وهو مع الاثنين أبعد» . وعن أسامة ابن شريف عنه (ص) : «أما رجل يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه» ، رواه النسائي . وعن النبي (ص) : «إن الله أجاركم من خلال ثلاث ، وعدّ منها أن تجتمعوا على ضلال» . وعنه (ص) : «ما اجتمعت أمتي على خطأ» . وقال علي (ع) في خطبه : «عليكم بالسواد الأعظم وإن الشاذة للذئب» . وعن عمر عن النبي (ص) : «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» . وعن رزين عن عمر عن النبي (ص) قال : «سألت ربي عن اختلاف أصحابي فأومأ إليّ أن أصحابك كالنجوم بعضها أقوى من بعض ، ولكل نور فمن أخذ بما هم عليه فهو عندي على هدى» . وعنه (ص) : «مثل أهل بيتي كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك» . وعن أبي هريرة عنه (ص) : «لو سلك الناس وادياً وسلك الأنصار وادياً لسلك وادي الأنصار» . وعن زيد بن أرقم قال : قام النبي (ص) خطيباً فقال : «أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين كتاب الله فيه الهدى وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» ، رواه مسلم .

وعن جابر قال : رأيت النبي (ص) في حجته يخطب فسمعته يقول : «أيها الناس إنني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي» ، رواه الترمذي .

وقريب منه ما رواه زيد بن أرقم . عن حذيفة عنه (ص) : «إقتدوا بالذي من بعدي أبي بكر وعمر» . وعن جبير بن مطعم عن النبي (ص) إن امرأة قالت له : إن لم أجذك فإلى من أرجع قال : «إئت أبا بكر» . وعن ابن عمر عنه (ص) : «وضع الحق على لسان عمر يقول به» . وعن أبي ذر مثله . وعن عقبة بن عامر عنه (ص) أنه قال : «لو كان بعدي نبي لكان

عمر». وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي (ص) قال لعلي (ع) : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى». وعن عبد الله بن عمر عنه (ص) أنه قال : «ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» ، رواه الترمذي . وعن النبي (ص) أنه قال : «اللهم عدل الحق مع علي حيثما دار» ، رواه الترمذي . وعن عمار عن النبي (ص) قال له : «إذا سلك علي طريقاً وسلك الناس غيره فاسلك طريق علي» . وعن ابن مسعود عنه (ص) : «أصحابي كانوا أفضل هذه الأمة وأبرها قلوباً وأعمقها علماً» إلى أن قال : «فاعرفوا لهم الفضل واتبعوهم على آثارهم وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرتهم فأنهم كانوا على هدى مستقيم» رواه الرزين . وعن عرياض بن سارية قال : صلى بنا رسول الله (ص) ووعظ ثم قال : «إنه من يعيش بعدي منكم فيسرى اختلافاً كثيراً ، عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي ، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» ، رواه أحمد وغيره .

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» . وعن الحارث الأشعري عنه (ص) أنه قال : «من خرج من الجماعة بقدر شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه» . وعن ابن عباس عن النبي (ص) : «من فرق الجماعة بشبر مات ميتة جاهلية وخرج من الطاعة وفارق الجماعة» . وعن عبد الله بن عمر عنه (ص) : «إن أمتي تفترق على ثلاثة وسبعين فرقة وليس فيها ناج سوى فرقة واحدة» فسئل عنها فقال : «ما أنا عليه اليوم وأصحابي» ، إلى غير ذلك من الأخبار .

ومقتضى ذلك أنه من اللازم الرجوع إلى سيرة الصحابة وطريقتهم وأنها الميزان إذا أشكلت علينا الأمور ، وتعارضت الأدلة . وسيتضح أن جميع ما ينكر من هذه الأفعال الموردة صادرة عن الصحابة وطريقتهم مستمرة عليه مع أن في السنة ما يدل على جوازه . وما ورد عنه (ص) أن «الأسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً» فلا ينافي ما ذكرنا لأن فرق الأسلام بين طوائف الكفر كنقطة في بحر .

روى أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) : «ما أنتم في الناس إلا كشجرة بيضاء في جلد الثور الأسود» . وعوده غريباً في أيام الدجال ونحوه يكفي في صدق الخبر .

وروى عبد الله بن مسعود عنه (ص) قال : «لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق» ، رواه مسلم . عن أبي سعيد الخدري عن النبي (ص) أنه قال : «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله» .

وكل ما صدر في زمن الصحابة من الأعراب وكان بحضور منهم ولم ينكروه فهو موافق

لرضاهم وإلا لأنكروه . ولهذا أوردنا في هذه (الرسالة) كثيراً مما صدر في زمانهم منهم ومن غيرهم .

وعلى كلِّ حال فلا كلام في أن الأدلة فيها عام وخاص ، وفيها ناسخ ومنسوخ ، وفيها مجمل ومبين ، وفيها مطلق ومقيد ، ومنها قطعي السند وظني الدلالة ، ومنها ظني المصدر قطعي الدلالة ، ومنها ظنيهما ، ومنها قطعيهما . ومن جهة اختلاف السند منها صحيح ومنها ضعيف ومنها حسن ومنها موثق وقوي إلى غير ذلك . فإذا تعارضت الأدلة فلا بُدَّ من النظر إلى المرجّحات من جهة السند ، أو من جهة الدلالة ، أو من جهة السبب في العبارة ، أو من جهة كثرة الروايات ، أو من جهة شهرة الفتوى ، أو من جهة موافقة الأصول ومخالفتها ، أو من جهة موافقة العموم ومخالفتها ، أو من جهة موافقة الكتاب وعدمها ، إلى غير ذلك .

فإذا فقدت المرجّحات وقامت الخيرة فلا يبقى مدار إلا على خيرة الصحابة وطريقتهم والنظر إلى ما هم عليه صاغراً عن كابر ، وأولاً وآخر . وما نحن عليه اليوم ، من طريقة القوم ، أغلب الرويات موصلة إليه ، وطريقة الصحابة مستمرة عليه . وقد ذكرت منها قليلاً من كثير ، ليعلم حال السلف ويرتفع عن خلفهم النكير .

ويا أخي ، وحقّ من رفع السماء ، وبسط الأرض على الماء ، إنني لما أحببتك لمكارم أخلاقك ، وحسن سيرتك مع الناس وإرفاقك ، خشيتُ عليك من حمل راية القدح في المشايخ الكبار ، والعلماء الأبرار ، الذين هم للشارع نواب ، وللدائن الشرع أبواب . ونسأل الله أن يعصمنا وإياكم ، ويكفيينا شر الجهل ويكفيكم وكفاكم ، والله الموفق .

## وأما المقاصد فثمانية:

### الأول: في تحقيق ضروب الكفر

وأقسامه كثيرة :

أولها : كفر الإنكار ، وذلك فيما إذا أنكر وجود الآله وأثبت أن غير الله هو الله وأنكر المعاد ، أو نبوة نبينا أشرف العباد .

ثانيها : كفر الشرك ، كما لو أثبت الشريك للواحد القهار ، أو في نبوة النبي المختار .

ثالثها : كفر الشك ، فيما لو شك في إحدى الثلاثة التي هي أصول الإسلام ، في غير

محل النظر ولا عبء بالآوهام التي هي كخيالات المنام .

رابعها : كفر هتك حرمة الدين ، بالبول على المصحف أو في الكعبة ، أو سبّ خاتم النبيين .

خامسها : ( كذا ) ...

إنتهى ما ظفرتُ به من هذه الرسالة . وأنا أسأل الله أن يرزقنا هذا التوفيق تمامه وكماله ، ويعثرنا على باقي هذا الكتاب ، إنه هو الكريم الوهاب .

وأنا أرجو من إخواني المؤمنين أن يبذلوا ثمار الجهد في الفحص والاستفسار والتفتيش عن هذه الرسالة فأذا ظفروا بها فليحقوقوا الباقي بالماضي ، ولهم جزيل الحمد والثناء ، مني ومن مصنفها ( قدس الله روحه ) .

### الحادثة الثانية: واقعة الزقرت والشمريت

البلية التي هي حتى اليوم باقية ، واقعة الزقرت والشمريت التي فנית بها خلائق لا يُحصي عددهم إلا الله . وقد اختلف في سببها ، والأقرب إلى الاعتبار ما حدثني به شيخنا الأجل ، وعمادنا المجل ، عمي العباس ابن المحقق الشيخ علي ( رحمه الله ) أن الشيخ الكبير لما كثرت الغارات على النجف من أعراب البوادي خصوصاً من الوهابي وأصحابه ، فأنه غزاها مراراً كثيرة ، وفي كل مرة لا بُدَّ أن يقتل رجلين أو ثلاثة ممن يظفر به خارج البلد ، ثم يحول الله بينه وبين ما يروم من دخولها وإتلافها بشيء من تقديراته وأسبابه ، حتى آل الأمر أن المرأة الحامل إذا سمعت بمجيئ الوهابي تُلقِي ما في بطنها وتموت ، والرجل يبكي بكاء الشكلى .

وكان ( سعود ) هذا إذا جاء إلى ( النجف ) نزل في ( الرحبة ) عند السيد محمود الرحباوي فيكرمه غاية الأكرام ، ويحترمه نهاية الاحترام ، حتى قيل إن السيد محمود هو الذي كان قد دله على ( النجف ) وأرشده إلى طريق غزوها . فبعث الشيخ إلى السيد محمود أن هذا الرجل إذا جاء إليك عازماً على السوء ، فالذي ينبغي منك أن ترسل إلينا مُخبراً لنستعد له ، ولقتاله وحره ، ولا يدخل علينا غفلة فلا نطبق دفاعه ، هذا إذا لم تؤد ما يجب عليك من إمداد إخوانك أهل ( النجف ) والدفاع عنهم بنفسك وجندك . فما أجاب إلى شيء من ذلك ، وقال أنا رجل ذو مزارع وأراضٍ وأخشى على نفسي ومالي من هؤلاء لأنني طعمة بين أيديهم .



فالتجأ الشيخ إلى اختيار عدة من شبّان (النجف) وعيّن لهم وظائف من المال ، واشترى لهم أسلحة كاملة ، وجعلهم مرابطين في حدود النجف من جهاتها الستة على رأس أميال منها . وكان من جملةهم سواد العكايشي (جدّ العشيرة المعروفة اليوم بهذا الاسم) ، ومنهم عباس الحداد وكان أول أمره حداداً ثم انضم إليه بعض الصبيان من محلته ، فجعلوا يخرجون إلى خارج البلد ويتصيدون الطيور والضباء ويلعبون في الأباطح والأودية ، وهم يلهجون بقول (زقرت) أو (زقرتات) ، يعني نحن عدة بلا سلاح نتصيد ونستأنس . ومنه يقال (فلان) أو (أنا) زقرتي أي أنا بنفسني ليس لي شيء .

فلما عزم الشيخ على تهيئة المرابطين وجمع الصبيان جعل عباس الحداد وأصحابه منهم فكانت عدتهم مائة أو أقل . فكان إذا جاء الغزو حاربوهم حتى يدفعونهم . وكان ينضم إليهم مدد من (الملائية) و(المشتغلين) وكانوا ذوي أسلحة وعدة ، حتى قتلوا كثيراً من أصحاب (سعود) وابنه في أغلب الغزوات وأسروا بعضهم وبعثوهم إلى (الشيخ) .

فاستمر الحال على ذلك حتى انقطع الغزو عن أهل (النجف) وأمنوا الغارات يسيراً إلى أن تغير الشيخ على السيد محمود الرحباوي ، وكان من سادة يُعرفون ببيت (أغا جمال) ، هاجروا من (العجم) لطلب العلم وسكنوا (النجف) ، ولهم دور كثيرة فيها ؛ منها الدار المعروفة بدار الأرواني ، وجميع جوانبها لهم أيضاً .

وكان السيد محمود ذا ثروة وأموال فأخبره بدويّ أن في المكان (الفلاني) عين ماء تهيل عليها الرمل حتى أخفاها ، وهي عين عظيمة تكون عليها مزارع كثيرة فإذا بذلت عليها المصارف استخرجتها لك حتى تملكها . فبذل السيد وخرجت العين وبنى عليها قصراً عظيماً وسكن فيه . وما مضت الأيام والليالي إلّا و(الرحبة) كبغداد لكثرة ما فيها من البساتين المملوءة بالفواكه من عنب ورمّان وتين وغير ذلك من البقول كالبطيخ والرقى ؛ ثم من الحبوب الحنطة والشعير والأرز ، وصار يُجبى منها ذلك إلى (النجف) وسائر الأطراف ، حتى (يخيس) من كثرته .

وعظّم أمرُ السيد في الرئاسة والشهرة عند العرب والقبائل لأنه كان من الجود بالمرتبة القصوى . فمن ذلك أن له في قصره بركة في الأرض عميقة واسعة يضع فيها الطعام ليلاً ونهاراً ، وكان الفارس إذا مرّ بها يتناول منها حتى يشبع وهو على فرسه ، ويجتمع أعراب البوادي عليها ، وهكذا كان دأبه . ومنها أنه إذا صار وقت حاصل كلّ ثمرة ، أو حصاد المزارع خرج إليه أغلب أهل (النجف) فيعطي كلّ واحد منهم ما يكفيه سنته من الثمرات . وهكذا أغلب فقراء القبائل من أهل البوادي فملاً ذكره الأرض ، وتجاوز صيته (الحجاز) و(اليمن) ،

وصار يُقصد من أقاصي البلاد .

ولكن كان الشيطان قد وسوس له وحسنَ في عقله أن لا يجنيَ في داره وقصره شيئاً من الأنث بجميع أنواعها ، ويقول أنا لستُ (قواداً) حتى أوقع التناكح في منزلي ، ويرى أن تشبيته الفرس من الحصان ، وإرسال الفحل على النوق ، وإعطاء الأخت أو البنت للزواج من أشد العار بالرئيس . وكانت له أختان الأولى : أم السعد ، والثانية رخيته ، وقد بلغا مبلغاً من العمر وهو لا يرضى بزواجهن ، وأولاد عمهن يخطبونهن منه وهو يأبى ويمنع ويحيل ذلك . فبعثنا إلى (الشيخ) تشكيان أخاهن إليه ، وأنه قد أسرنا ومنع بني عمنا ، وهذا لا يجوز حتى عند الكفرة وعبداء الأصنام .

فبعث الشيخ ينهائهم عن ذلك فلم يعبأ به . فتكدر الشيخ زيادة على كدره أولاً منه ، وفي أمر الوهابي المنبئ عن تصحبه له ، فأعرض عنه (الشيخ) .

أمّا بنو عمه فحيث لم يزوجهم أخواته ، ويأسوا من ذلك غضبوا عليه وتكدروا منه ، وكانوا شركاءه في أملاك (الرحبة) ، فطلبوا منه (القسمه) فطردهم وأنكر ذلك ، فاشتكوا إلى (الشيخ) الكبير منه ، وطلبوا من الشيخ أن يدعوهم إليه حتى يتداعيان فيتبينَ ألهم حق أم لا . فامتنع الشيخ عن ذلك ، وقال : هذا رجل طاغ لا أدخل نفسي في أموره ، وأصر على الامتناع ، فكلموا باقي (العلماء) فأبوا وقالوا : إذا امتنع الشيخ فنحن بالطريق الأولى . فرجعوا إلى دار الشيخ وجلسوا ليكون ويقولون : إلى مَنْ نمضي ومن يستنقذ حق المظلوم من الظالم ، وهذا رئيس ممتنع عن ذلك .

فمضى الشيخ موسى وكلمَ أباه في ذلك وقال له : لعلما يكون في إمتناعك إشكال وحرمة لأنك رجل قادر مبسوط اليد وهذا أمر منكر ، وشأنك الأمر المعروف ، فما زال به حتى خرج الشيخ وأمر جماعة من المؤمنين المتسلحين الذين يسمون بـ (البواردية) وضم إليهم جماعة من أهل النجف فيهم عباس الحداد ، وكان قد درج حاله وظهر له اسم بالشجاعة . وقال له : إمض أنت وأصحابك إلى (محمود) فقل له : يدعوك (جعفر) للحضور مع بني عمك في مجلس الشرع . فلبس عباس لامته ودعا أصحابه فابتدر له سبعون كاملو العدة . وأتوا (الرحبة) ونزلوا القصر ، والسيد بأعلاه ، فأخبره حراسه أن هؤلاء قوم الشيخ يريدون الاجتماع معك ، فقال أخرجوهم ، وسدوا أبواب القصر وقولوا : السيد لا يريد مواجعتكم . فخرجوا وتفرقوا جماعة جماعة ، ونزلت كل واحدة عند من تعتاد النزول عنده ، ثم بعثوا أحدهم بالخبر إلى الشيخ ، فتكدر غاية الكدر وبقي يرتعش من انزعاجه ساعة . ثم قال له : قل لأصحابك لا ينبغي لأحد أن يتخلف عن دعوة الشرع ويتكبر عليه ،

جيئونني به ولو قهراً . فجاءهم وأخبرهم الخبر ، فبقوا تلك الليلة يتفكرون في تدبير الأمر . فلما أصبحوا سمعوا الناعية والواعية في قصر السيد ، وإذا بالسيد أصبح مقتولاً في قصره ، ولا يُعلم قاتله .

فرجع عباس بأصحابه ، وجاء الرحباويون بجنازة السيد ودفنوها في (النجف) . وتفاقم الأمر واعضوضل الخطب حيث أنه لم يكن يدور في خلد أحد أن السيد محموداً يقتل لعظمته وشدة بأسه وسطوته ؛ حتى أن عرب العراق ونجد والحجاز يرونه إماماً ويحلفون به ، ويتحاكمون في داره .

وكان المتهم بقتله بنو عمه وأصحاب الشيخ . فأما بنو عمه فتنصلوا من ذلك وتبرأوا من ذلك عند بني أخته المعروفين ببيت (الملّة) ، وكان رئيسهم حاكم النجف ملاً مُحَمَّد<sup>(١)</sup> ، وكان هو المطالب بثأره مع أخته المتقدمتين ، فأنحصر ثاره بأصحاب الشيخ . وحيث كانوا أشتاتاً ورئيسهم الشيخ جعلوا يرمونه بذلك ويطلبون الثأر منه ومن بنيه . فكان ملا مُحَمَّد يجلس في (باب الطوسي) على إحدى الدكّتين اللتين في (الصحن) على رأس دهليز الباب ، وعبيده مسلحون بين يديه ثم يأمر بعلقي أبواب (الصحن) ما عدا هذا الباب لينحصر الطريق عليه . فكان كلّ ما مرّ به رجل من المؤمنين أوطلبة العلم ممن يظن أنهم من أصحاب الشيخ وبطائه يقول له : «إيه يا ملعون يا زقرتي تمشي على الأرض بطولك أماناً وفي بطنك دم السيد محمود» لا يكون ذلك ، فكانوا يتضرعون بين يديه ويقولون : لا والله لسنا من الزقرت ولا من علم بالواقعة ، فينهرهم ويأمر عبيده فيضربونهم ، حتى جعلوا يقولون : «نعم نحن فعلنا ذلك وفي بطوننا دم خالك فافعل ما بدا لك» .

وبعد قتل السيد محمود بسبعة أشهر أو أكثر تُوفي (الشيخ) فجعل من يتعصّب للسيد من أقربائه وأصحابه يقولون هذه شارة من السيد بالشيخ حيث أمر بقتله ، وصاروا يتخاضون بهذا وأمثاله .

أمّا أخته أم السّعد التي كانت كزرقاء اليمامة في النظر فإنّها كانت تميز الفارس من الراجل من مسيرة عشرة فراسخ ، فتزوجت بشيخ (الخزاعل) على أن يأخذ بثأر أخيها . فلما أحلت به طلبت منه ذلك ، فقال : ممن أخذه؟ فقالت : من أولاد الشيخ ، فأبوهام أمر

(١) هو الملا مُحَمَّد طاهر بن الملا محمود تقلّد منصب السدانة في سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م وأسرته تُعرف بالملالي أنتجت الكثير من العلماء ، وقد لعبت هذه الأسرة دوراً في تاريخ النجف خلال هذه الفترة الزمنية المتشابكة الأحداث . وقد قتل بعض من تولّوا السدانة منهم ، وتعرّض آخرون للأبادة أيضاً . قُتل الملا مُحَمَّد سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م في رواق الحرم الحيدري بالرباط .

بقتله ، فقال : إذا كان الشيخ قتله فهو مقتول بسيف الشريعة ، والمقتول بسيف الشريعة لا تآثر له .

وأما مُلّا مُحَمَّد فاستمر على عمله وجعل يترقب الفرص بالشيخ موسى ، وباقي أولاد الشيخ جعفر ويسعى بهم إلى حكام بغداد ليقتلوهم كما سيأتي في أحوال الشيخ موسى . وجعل يطعن في بيت الشيخ فتارة يتمسك بقول سميّه الأخباري المتقدم ، وتارة يقول : الشيخ جعفر ابن عم الوهابي أو أخوه ، إلى غير ذلك من التشنيعات . واشتد أذاه وضربه على الناس حتى جعل يقتل أصحاب الشيخ ليلاً بالغيلة ، فخرج الشيخ موسى من النجف غَضَباً عليه كما سيأتي .

والحاصل كانت عاقبة أمره أنّ ضربه رجل من (الزقرت) هجم عليه وهو في رواق الحرم المطهر ، فوقعت الرصاصة في فمه فمات من ساعته . فقام أصحابه وقد تسمّوا مقابل الزقرت (بالشمردل) أو الشجاع ، ثم صارت (شمرت) ، وانضم إليهم كثير ممن يطلب بشار السيد محمود فتسلحوا ولزموا (الصنّاكر) ؛ وهي الحصون العالية من مساجد أو منائر أو دور كذلك . وجعلوا يضربون بالمكاحل إلى جهة الزقرت ، ففعلوا الزقرت مثلهم وانضم إليهم (الموامنة) و(الملائية) وكانوا طوائف وقبائل تتصل بأعراب العراق كالهلاللات والظوالم والخزاعل وغير ذلك . وكانوا كاملي العدة من السلاح . وما زالت الملائية ذوي أسلحة وسيوف و(ثفك) إلى زمان الشيخ مُحَمَّد ؛ فأن الرئيس من بيت الشيخ يشتري لهم عدة كاملة من السلاح لكل واحد من المؤمنين فيجعلها في (الطنبية) الكبيرة ، فإذا صار وقت الحاجة أتى كلّ واحد فلبس لامته وخرج إلى المحاربة أو المدافعة .

وسمعتُ من الشيخ الأجل الشيخ صالح<sup>(١)</sup> بن المرحوم الشيخ مهدي أنه ممن شهد في زمان الشيخ مُحَمَّد<sup>(٢)</sup> بن الشيخ علي في (الطنبية) مقدار سبعين لامة حرب كاملة للملائية . وسمعتُ من شيخنا الأجل عمي الشيخ عباس<sup>(٣)</sup> بن الشيخ علي (ره) أن أخاه الشيخ مهدي<sup>(٤)</sup> قبل أن يتوفى بأيام قال له : عندي شيثان من آثار آبائك وأجدادك أريد أن أظهرك عليهن :

الأولى : وقيّات هذه الدور التي هي نسخ الأصل ، (ثم أعطاه الأوراق) .

(١) الشيخ صالح بن الشيخ مهدي بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير . ولد سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، وتوفي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م .

(٢) الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ علي بن جعفر الكبير . توفي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م .

(٣) كان من كبار العلماء والأدباء ، وُلد سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م ، وتوفي سنة ١٣١٥هـ / ١٨٩٧م .

(٤) توفي الشيخ مهدي في شهر صفر سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .

والثانية :خزينة عظيمة في الأرض فيها من (التفك) ، والرصاص ، والبارود مقدار لا يحصى وهي في المكان (الفلاني) من الدار الكبيرة التي هي اليوم (برّاني) ، وقد إدخرتها المشايخ لحوادث النجف .

ثم ولي حكومة النجف ملا سليمان<sup>(١)</sup> بن ملا مُحَمَّد واستمرت الفتن والحروب بين الطرفين فعزل الشيخ موسى ملا سلمان بأمر داود پاشا ونَصَّب عباس الحداد على أن يقطع هذه الفتن ويخمد نارها . فترأس وعظم أمره وأخرج أغلب الشمرت ، وقتل أكثرهم ونفى بعضاً من أصحابه (الزقرت) تمويهاً ، فخدمت الفتنة أياماً . ثم استعرت وبقيت كذلك تخمد وتستعر ، واشتد حق (الشمرت) على عباس وصار أكبر همهم في قتله ، فعجزوا عنه إلا بالغيلة . فجاء إليه بعض المطرودين ممن كان لا يعرفه أو نساء فخدمه سنتين وصار من (نواكره) المقربين ، وأظهر له الصفاء والأخلاص حتى اطمأنّ منه ووثق به . وكان عباس لا يفارق السلاح دقيقة واحدة على كثرة من يحرسه . وكان سلاحه الخنجر يشده في وسطه . فقال له يوماً ذلك الخادم المخادع : أنت لا ينبغي أن تحمل السلاح إلا للزينة ، فيلزم أن تجعل على خنجرك قضبات وسلاسل من الفضة والذهب فأثَّه لك أهيب . فجعل له ست قضبات فصار يعسر استخراجها على السرعة .

ثم قال له بعد ذلك : لا بُدَّ للرئيس من مترجم ، وأحسن منه أن تتعلم بنفسك (العجمية) و(التركية) لتقضي مرادك مع حكام (العصملي) و(خوانين) العجم ، وهذا معلم لك فتعلم منه . ودلَّه على رجل قد تواعد معه على قتله وعلمه الطريق . فجاء الرجل وقال : ينبغي أن تجعل لتعليمك مجلس خلوة لا يأتيه الناس كيلا يستخف بك أحد ، فأجاب إلى ذلك ، وعيّن في (الصحن) حجرة خاصة يدخل هو والمعلم فيها وذلك الخادم . فلما كان اليوم الثاني أو الثالث قتلوه في ذلك المجلس ، فكان عباس كلما أراد أن يخرج خنجره من غمده لا يخرج لما التف عليه من السلاسل . فقطع الخادم رأسه وملاً من دمه طشتاً وجاء به هو وأصحابه وأتوا بخيار وخبز وجعلوا يأكلون ويغمسون الخيار والخبز بذلك الدم .

فلما قُتل جاءت (الماللي) إلى بيت الشيخ واعتذروا من إساءتهم ، وعاهدوهم ألا يعودوا في مكر ، ولا يثيروا فتنة . فعفت المشايخ عنهم وأرجعوا إليهم حكومة النجف فاستمرت بيدهم إلى مُلا يوسف<sup>(٢)</sup> .

(١) تولّى سدانة الروضة الحيدرية بعد مقتل أبيه المُلا مُحَمَّد طاهر سنة ١٢٤٢هـ ، وكان طرفاً في النزاع بين (الشمرت) و(الزقرت) . قُتل سنة ١٢٤٨هـ بيد عباس الحداد بن جواد العبودي الذي كان مدعوماً من السلطة التركية في العراق . وقد قُتل عباس الحداد أيضاً .  
(٢) مُلا يوسف بن مُلا سليمان توفى سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م . أصبح حاكماً على النجف ، ولمّا قويت شوكته ،

ثم تغيرت الأمور حتى صاروا عبرة في الأرض ، فسبحان الله المعمر المدبر وله الحمد أولاً  
وأخراً .

هذا مجمل ما حدثنا به (أدام الله بقاءه) من أمر هاتين الفرقتين ، وقد ذكر لنا في بعض  
الجالس إبتداءهم ، وتفصيل وقائعهم ، وما قتل منهم من الخلائق إلى اليوم . وقد ذكرنا لك  
هنا موضع الحاجة منها ، ولخروج الباقي عن مقصد الرسالة أعرضنا عنه .

---

→ واستتب له الأمر ، تنكر للزقوت ، واعتقل عدداً من رؤسائهم بخديعة (ذكرها المؤرخ مُحَمَّد حرز الدين في معارف  
الرجال ، ج ٣ ، ص ٣٠١) ، ثم ذبحهم ذبحاً في سرداب داره . إلا أن الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر  
كاشف الغطاء تمكن من عزله عن منصبه في حدود سنة ١٢٥٥هـ / ١٨٣٩م بتوسطه لدى والي بغداد علي رضا  
اللاز ، وعين السيد رضا الرفيعي لرئاسة (السدانة) ، ومفاتيح الخزانة العلوية . وقد قُتل السيد رضا الرفيعي سنة  
١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

## الفصل الخامس

### فيما قال من الأشعار وما قيل فيه من تهانيه ومراثيه

إعلم أن من منح الله الكريم ، لهذا الشيخ العظيم ، أنه على سعة علمه ، وكثرة اشتغاله في الفقه وشهرته ، له ملكة في النظم وقوة فيه كملكة الشاعر الذي صرف عمره في ذلك ، وتوغل في تلك الشعوب والمسالك . وهو لم يشتغل فيه ولا يوم واحد بل يجري على صرف بديهته ، وجودة فكرته ، وحسن سليقته .

وقد حدثنا شيخ الاسلام ، في هذه الأيام ، الشيخ مُحَمَّد طه نجف<sup>(١)</sup> (أدام الله وجوده) ، عن خاله الشيخ جواد نجف<sup>(٢)</sup> أن الشيخ الكبير كان جالساً في بعض الأيام بين أصحابه فجرى ذكر الشعر بينهم وأنه من أعظم الكمالات ، فجعل الشيخ يتأسف ويقول : أنا محروم من هذه الفضيلة . ثم قال : أريد أن أجرب نفسي هل لها قوة في النظم ولو بيتاً واحداً .

يقول الراوي : فتأمل الشيخ زماناً ثم قرأ بيتاً لنا في مدح الأئمة وإذا هو جيد النظم موزون ، حسن السبك ، فمدحنا نظم الشيخ له واستأنس هو بنفسه وقال : إني لشاعر ولا أعلم بذلك . ثم قال : إن الله قد ستر على الشعراء حيث لم يجعلني منهم وإلا فما كنت أبقى سوقاً لهم . فقام إليه رجل من تلاميذه فقال : يا مولانا ما كان ذنب العلماء حتى لم يستر الله عليهم فجعلك منهم . فضحك الشيخ والحاضرون .

وأنا مورد لك هنا نبذة من أشعاره لليمن والبركة ، ولتعلم أن الشيخ حقيق بأن يقول :

أنا أشعرُ الفقهاء غير مدافع	في الدهر بل أنا أفقه الشعراء
شعري إذا ما قلتُ دونه الوري	بالطبع لا بتكلف الألقاء
كالصوت في قُللِ الجبال إذا علا	للسمع هاجَ تجاوبُ الأصدا

(١) توفي سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وهو من كبار علماء عصره الفقهاء .

(٢) الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف . توفي سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م .

وكان أغلب شعره مدحاً وثناءً في السيد العلامة الطباطبائي (رحمهما الله) . فمنه ما أورده له فيه السيد محمود الطباطبائي في «المواهب السنية» ، وهو :

لساني عَنْ إحصاء فضلك قاصرُ      وفكري عَنْ إدراك كُنْهكَ حاسرُ  
جَمَعْتَ مِنَ الْإِفْضالِ كُلِّ فَضيلةٍ      فلا فَضْلَ إِلَّا عَنْ جَنابِكَ صادِرُ  
يُكَلِّفُنِي صَحْبِي نَشِيدَ مَدِيحِكُمْ      لَزَعِمُهُمْ أَنِي عَلَى ذاكِ قادِرُ  
فَقُلْتُ لَهُمْ هَيْهاتَ لَسْتُ بِقائِلٍ      لشمس الضُّحَى يا شمسُ نورُكَ ظاهِرُ  
وما كُنْتُ كالبدر المنيرِ بناعتٍ      له أبدأً بالنورِ والليلِ عاكِرُ  
ولا للسما بُشراكِ أَنْتِ رَفِيعَةٌ      ولا للنجومِ الزَّهْرِ أَنْتِ زَواهرُ  
ومنه ما أورده أيضاً له فيه (رحمهما الله جميعاً) :

إليك إِذا وَجَّهْتُ مَدْحِي وَجَدْتُهُ      مَعِيباً وَإِنْ كانَ السَّليمَ مِنَ الْعَيْبِ  
إِذِ الْمَدْحُ لا يَحِلُّ إِذا كانَ صادِقاً      وَمَدْحُكَ حاشاهُ مِنَ الْكُذْبِ وَالرِّيبِ  
وله أيضاً في مدح السيد (رحمه الله) من علة أصابته :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى عَافِيَةٍ      كَافِيَةٍ لَخَلْقِهِ شَافِيَتِكَ  
قَدْ ذابَ قَلْبُ الْوَجْدِ فِي تارِيخِها      (شَفاءُ داءِ النَّاسِ فِي عَافِيَتِكَ)

وأنت ترى أن قوة هذا الشعر ، وجودته خصوصاً إذا كان التاريخ يزيد على تلك السنة ثلاثة فأته يصير حينئذ في أعلى مراتب الحُسن ، لأن المراد بقلب الوجد هو (الدجو) ، يعني ذابت الظلمة كناية عن ذهاب الغم ببرئه ، وفيه تورية بإسقاط ثلاثة فأن (الجيم) هو القلب أي الوسط ، ويكاد أن يقال هذا الشعر ليس له لمزيد قوته وحسن صناعته ، وشعر العلماء ملازم للركبة والانحطاط . إلا أنك تعلم أن هؤلاء قوم حووا من كل مكرمة أدقها وأجلها ، ومن كل فضيلة أتمها وأجلها . وأحسن من هذا قوله يرثي ذلك العلامة (رحمه الله) بقصيدة بدیعة ، وهي :

### قصيدة للشيخ الكبير في رثاء العلامة الطباطبائي

إِنَّ قَلْبِي لا يَسْتَطِيعُ اصْطِباراً      وقراري أبى الغداة القَراراً  
غشيَ النَّاسَ حادثٌ فترى النَّاسَ      سُكارى ومأهَمٌ بسُكارى



غَشِيَتْهُمْ مِنَ الْهُمُومِ غَوَاشٌ  
لُصَابٌ قَدْ أَوْرَثَ النَّاسَ حُزْناً  
وَكَساً رَوْنَقَ النَّهَارِ ظَلاماً  
ثُلِمَ الدِّينُ ثَلْمَةً مَا لَهَا سُدٌّ  
لُصَابِ الْعِلْمَةِ الْعِلْمِ (المهدي)  
خَلَفَ الْأَنْبِيَاءَ زُبْدَةُ كُلِّ الْأَصْ  
وَاحِدِ الدَّهْرِ ، صَاحِبِ الْعَصْرِ مَاضِي  
كَيْفَ يَسْلُوهُ خَاطِرِي وَبِهِ قَمْتُ  
كَيْفَ يَنْفِكُ مَدْحُهُ عَنْ لِسَانِي  
وَارْتَضَانِي أَخَا لَهُ مَنَّةٌ ، وَالرَّ  
خَصَّنِي بِالْجَمِيلِ مِنْ بَعْدِ أَنْ عَمَّ الـ  
وَحِبَانِي عِزّاً بِهِ بَعْدَ ذَلِكَ  
مَا هَدَيْتُ الرِّشَادَ لَوْلَاهُ وَالـ  
مَنْ تُرَى يَدْفَعُ الْمِلَمَاتِ أَوْ يُصَرِّفُ  
سَيِّدِي مَاتَتِ الْعُلُومُ وَوَارَى  
مَنْ يَرُدُّ (الْيَهُودَ) إِنْ أْبْرَزُوهَا  
كُنْتَ تَتْلُو (تَوَارِثَهُمْ) فَيَرُدُّو  
مَنْ لَأَعْلَامِ (مَكَّة) وَجَمَاهِيرِ  
طَالِبِينَ الْحِجَاجِ وَالْكُلِّ قَدْ  
فَحَجَّجْتَ الْجَمِيعَ بِالْحَجِّجِ الْغُرِّ  
وَلَكُمْ مُعْجَزَ بَهْرَتَ بِهِ الْخَلْقُ  
صَدَّنِي أَنْ أَقُولَ أَنْتَ نَبِيٌّ  
إِنَّ رَبَّ الْعِبَادِ قَدْ خَتَمَ الرُّ  
سَيْدِي نَجْلَكَ (الرِّضَا) مُسْتَطَارُ الـ  
جَاءَ يَطْوِي الْفَلَإِ إِلَيْكَ مِنَ الْبُعْدِ  
قَارِبَ الدَّارِ رَاجِياً فَأَتَى النَّاسَ

هَشَمْتُ أَعْظَمَ وَقَدْتُ فَقَارَا  
وَصَغَاراً وَذَلَّةً وَانْكَسَارَا  
بَعْدَمَا كَانَتِ اللَّيَالِي نَهَارَا  
وَأُولَى الْعُلُومَ جُرْحاً جُبَارَا  
مَنْ (بَحْرُ عِلْمِهِ) لَا يُجَارَى  
غَفِيَاءِ الَّذِي سَمَّا أَنْ يُبَارَى  
الْأَمْرِ فِي كُنْهِ ذَاتِهِ الْفَكْرُ حَارَا  
مَقَامِي ، وَفِيهِ فِكْرِي طَارَا  
وَهُوَ لَوْلَاهُ فِي قَمِي مَا دَارَا  
قُ شَأْنِي إِذَا أَرَدْتُ اعْتَبَارَا  
بِـرَّيَا ، وَطَبَّقَ الْأَقْطَارَا  
وَكَسَانِي جَلَالَهُ وَوَقَارَا  
أَحْكَامُ لَمْ أَدْرِهَا وَلَا الْأَخْبَارَا  
صَرَفَ الزَّمَانَ إِنْ هُوَ جَارَا  
الَّذِينَ فِي الرَّمْسِ مَنْ لَكَ الْيَوْمَ وَآرَى  
مُشْكَلَاتِ بَرْدَهَا الْكُلُّ حَارَا  
نَ عَنْ الْغِيِّ لِلْهُدَى اسْتَبْصَارَا  
(الْحِجَازِ) انْتَحُوا إِلَيْكَ بَدَارَا  
ثَقَّفَ لِلْبَحْثِ أَمْلَدًا خَطَّارَا  
فَدَانَتْ لَكَ الْخُصُومُ صَغَارَا  
بِهِ حَالُكَ الظَّلَامُ أَنَارَا  
أَوْدَعَ اللَّهُ كُنْهَهُ الْأَسْرَارَا  
سَلَّ بَطَاهَا الْمُخْتَارَ جَلَّ اخْتِيَارَا  
قَلْبَ لَا يَسْتَطِيعُ قَطُّ قَرَارَا  
دَ وَيَفْرِي سَبَاسِباً وَقْفَارَا  
عِي إِلَيْهِ فَطَاشَ لُبّاً وَطَارَا

يأتي فيطغى كلُّ بكُلٍّ أوارا  
 من أذكت له المنازل نارا  
 عَجَّ ييكي سِرّاً ، وطوراً جهارا  
 كم طرففه إليك أدارا  
 فائن عوداً أو فُكَّ تلك الأسارى  
 وتراهم ملء العيون كبارا  
 نفض اليتم في الوجوه غبارا  
 كيف أزمعت غيبة قبل أن  
 كلما أبصر المنازل قد أوحش  
 أو رأى منك مجلس الدرس خلواً  
 صهرُك (المرتضى) إليك بربع الدار  
 وبنو (أحمد) بنوك أسارى  
 كيف أيتمتهم فأضحوا صغاراً  
 سيدي لا رأيتمهم وعليهم

وهي طويلة لم نعثر منها إلا بهذا المقدار وفيه الكفاية . ولعمري أنه (قدس سره) لكما قال في أبيات قالها في العالم الفاضل ، والأديب الكامل ، الشيخ مُحَمَّد رضا النحوي ، وهي :

يُكلّفني صَحبي القريض وإنما  
 ألم يعلموا أن الكمال بأسره  
 ألم تر مولانا (الرضا) نجل (أحمد)  
 على أنه للفضل قُطبٌ وللنهي  
 غدا في الورى رباً لكل فضيلة  
 وقال الشيخ (ره) فيه أيضاً :

مات الكمال بموت (أحمد) واعتدى  
 فاعجب لميت كيف يحيى ظاهرا  
 حياً بأبلج من بنيه زاهر  
 بين الورى من قبل يوم الآخر

## معركة الخميس

وما يندرج في هذا المقام معركة الخميس ، وهي ما اتفق من المداعبة بين الشيخ الكبير ، والسيد مُحَمَّد زين الدين<sup>(١)</sup> ، والشيخ مُحَمَّد آل الشيخ يوسف ، وأظنه صاحب

(١) هو السيد محمد بن السيد زين الدين أحمد بن السيد علي الحسيني العطّار البغدادي النجفي المتوفى سنة ١٢١٦ هـ . ١٨٠١/م



ويعرض به في آخرها ، وهي :

سلامٌ على (دار السلام) ومن بها  
نأيتُم فأفراحي نأت ومسرّتي  
أود بأن ألقاكم لمح ناظر  
خليلي قولاً للمؤيد (جعفر)  
(تبغددت) حتى قيل إنك قاطن  
فجد إلى المجد الذي أنت قاصد  
تحية داعيكم (محمد) مُعلنًا

وبالرغم مني أن أسلم من بُعد  
وأني وحق الودّ باق على الودّ  
لعلّ لقاءكم أن يُخفف من وجدي  
مقالة ذي نصح هُديت إلى الرشد  
وجانبت أهل العلم والنسك والزهد  
فليس لنيل المكرمات سوى الجدّ  
بمدحكُم ما زال جرياً على العهد

فأجابه الشيخ مُحَمَّد عن الأبيات الرائية بقوله :

ألا من لخل لا يزال مُشمرًا  
أحاط بودّ الأنس والجنّ وانشى  
ونال من الرحمان أسنى مودة  
يُجاذِبني ودّ الشريف ابن (أحمد)  
وهيهات أن يحظى بصفو وداده  
تروم محالاً في طلابك رتبة  
فمهلاً أبا (موسى) سيحكم لي (الرضا)  
ألا فاجتهد ما شئت في نقض خلتي  
فيا أيها المولى الخليط الذي جنى  
فقه سيدي للحكم إنك أهله

لجذب وداد الخلق سرّاً ومُجهرًا  
بأعلى ثنا الأملاك ودّاً وأبهرًا  
فيا لك ودّاً ما أجلّ وأكبرًا  
سُلالة (زين الدين) نادرة الورى  
وإن كان (بحراً) في العلوم و(جعفرًا)  
بما خصّني الباري وأكرم من برا  
وتكسب بالألحاح أنك لن ترى<sup>(١)</sup>  
فمُحكم إبراهيمي يُريك المُقصراً  
سينصفني (المهدي) منك فتُحصرا  
فديتك أنصفني فقد أحوج المرا

فقال العلامة الطباطبائي حاكماً :

أتاك كـوحي الله أزهر أنورا  
فتى لم يخف في الله لومة لائم  
يظهر مجنيّاً عليه إذ اشتكى

قضاء فتى باريه للحكم قد برا  
إذا ما رأى عُرفاً وأنكر مُنكرا  
وينصره في الله نصرًا مؤزرا

(١) علّق المؤلف على هذا الشطر بقوله : «لم يتضح معنى هذا الشطر» .

(محمّد) يا ذا المجد لا تكثرث ولا  
فما هي إلا من مكائده التي  
وإنك أولى الناس كهلاً ويافعاً  
كفى للخمس اليوم للودّ عاضداً  
وليس ببدع ذاك فالخطأ كم  
وما حكم (داود) بأن يترى به  
فخذها إليك اليوم مني حكومة  
فما هو إلا النفس مني وإنها  
أقمنا على النفس الشهادة حيثما  
يُرو عن منك العتب شيخ تدمراً<sup>(١)</sup>  
عرفن به مُدْ كان أصغر أكبرا  
بحبك نجل الطاهرين المطهّرا  
يردّ خميس الهجر أشعث أغبرا  
جرى بينهم في ودّهم مثل ما جرى  
وللنصّ حكم لا يُدافع بالمرأ  
شقائتها تحكي السحاب الكهنورا<sup>(٢)</sup>  
تُخالف إذ أبدت خلافاً بأن يرى  
أمرنا بها في الذكر نصّاً مُقررا

فقد جعل الشيخ جعفر نفسه وحكم عليها ، وأشار إلى قوله تعالى : «ولو على أنفسكم» . فأجابه الشيخ جعفر عن حكومة بقوله :

جرى الحكم من (مولاي) في حق (رقه)  
ولكنها في البين تُعرضُ شبهةً  
إذا كنتُ نفساً منك أدعى ومُهجةً  
وكيف تُدانيني الرجال لمفخر  
فلست أرى في البين عذراً مُوجهاً  
فدع سيدي فالحكم في مداعباً  
ولست لما أمضاه مولاي مُنكرا  
يزيد دقيق الفكر فيه تحييراً  
فكيف أداني الكيد أصغر أكبرا  
وقد نلت من عليك ما كان أفخرا  
سوى أن كسر النفس أمرٌ تقررا  
بل احكم بمُر الحق يا خيرة الوري

وكان الشيخ يريد أن يقول بجوابه هذا أن السيد إذا جعلني نفسه فكيف يجعلني كائداً ، والكائد خائن ، والخائن لا تنفذ حكومته . فينتج من هذا أن السيد لا تنفذ حكومته ، أو الشيخ غير كائد ؛ فأجابه الشيخ مُحمّد بقوله :

عذيري من (شيخ) ألح بي المرأ فعاد إلى ما ناب لا يَألفُ الكرى

(١) ورد في هامش المخطوطة «التدمير له معان أنسبها بالمقام الزئير» - منه - .  
(٢) الكهنور - على وزن (سَقَرَجَل) : هو السحاب المتراكم الكثيف ، وقد علّق ناظمها على هذه الكلمة : أنّه الشيخ (جعفر) . (كما ورد في النسخة المخطوطة) . وقد وردت القصيدة في مقدمة رجال بحر العلوم ، ج ١ ، ص ٨٣ ، وفيها بعض الاختلافات ، ولم أثبتها هنا لركّة هذه القصائد الداعية إلى السأم ، والتي تبرهن على أنها من شعر الفقهاء .

يُخَاصِمَنِي كُلَّ الْخِصَامِ فَأَرْتَنِي  
أَيَحْكُمَ لِي (المهدي) أَعْدَلُ مَنْ قَضَى  
يَحَاوِلُ نَقْضَ الْحُكْمِ بَعْدَ نَفْوْذِهِ  
وَيَلْهَجُ أَنَّ الْحُكْمَ كَانَ دُعَابَةً  
وَحُكْمُ (الرَّضَا) وَ(الصَّادِقِ) الْقَوْلُ قَبْلَهُ  
فَأَيُّهَا بُغَاةُ الْحَقِّ إِنِّي لِحَائِرٌ

وَأَثَبْتُ بَعْدَ الرَّأْيِ حُجَّةً مَا أَرَى  
فَيَثْقُلُ حُكْمَ الْحَقِّ فِيهِ وَيَكْبُرَا  
وَهَلْ يَنْقُضُ الْحُكْمَ الْمُسَجَّلُ إِنْ جَرَى  
وَلَكِنَّهُ الْجَدُّ الْمَصْمُومُ أَزْهَرَا  
صَرِيحٌ بِنَصْرِي لَوْ يَكُنْ مِنْصَفٌ ذَرَى  
لَمَّا قَدْ دَهَى الْأَنْصَافُ مِنْ حَادِثٍ عَرَا

يريد (بالرضا) حكم الشيخ مُحَمَّد رضا النحوي ، و(بالصادق) السيد صادق الفخام ،  
حيث قال :

جَرَى مَا جَرَى بَيْنَ الْخَلِيلَيْنِ وَانْتَهَى  
فَاَحْفَظْ مَوْلَى لَمْ يَزَلْ ذَا حَفِيظَةٍ  
وَأَغْرَى حَكِيمًا بَانْتِصَارِ فَائِبَا  
كَلَامٌ لَهُ بَطْنٌ وَظَهْرٌ وَلَمْ يَكُنْ  
مَدَاعِبَةُ الْأَخْوَانِ تُدْعَى عِبَادَةً  
فَلَا يَسْتَفْزُ الشَّيْخَ بَرْقُ غِمَامَةٍ  
وَلَا يَصْرِفُ (المهدي) عَنْ عَادِلِ الْقَضَا  
قَضَى فَتَعَاطَى مَذْهَبَ الشَّعْرِ مُدَّ قَضَى  
وَلَوْ يَتَعَاطَى مَذْهَبَ الشَّرْعِ لَمْ يَكُنْ

وَإِنْ كَانَ مَعْرُوفًا لَمَّا كَانَ مُنْكَرًا  
لَمْخْلِصِهِ عَنْ سَاعِدِ الْعَدْلِ شَمَّرَا  
عَلَيْهِ مِنَ التَّائِبِ وَاللُّومِ عَسْكَرَا  
سَوَى مُحَضَّرٍ وَدُّ بَطْنُ مَا كَانَ أَضْمَرَا  
لَعَمْرُكَ مَا هَذَا الْحَدِيثُ بِمُفْتَرَى  
بَدَا خُلْبًا فِي عَارِضٍ لَيْسَ مُطْرَا  
شَقَاشِقَ مَا كَانَتْ بِحَقٍّ لَتَهْدُرَا  
فَكَانَ قَضَاءُ عَادِلًا قَاطِعَ الْمَرَا  
لِيَقْضِي بَأَنَّ الصَّبِيحَ لَمْ يَكُنْ مُسْفِرَا

يريد بقوله «لا يستفز الشيخ»: الشيخ مُحَمَّد ، و«برق الغمامة» هو جذب الشيخ جعفر  
لود السيد مُحَمَّد ؛ أي أن هذا ليس له واقع .

وَأَنَّهُ ، خَبِيرٌ أَنَّ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ نَصٌّ فِي الْحُكْمِ عَلَى الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ ، فَمَا أُدْرِي كَيْفَ إِدْعَى  
أَنَّهُ لَهُ فِي أَبْيَاتِهِ السَّابِقَةِ مَعَ مَا صَرَّحَ بِهِ مِنْ حَمَلِ حُكْمِ السَّيِّدِ الطَّبْطَبَائِيِّ عَلَى أَنَّهُ فِي  
مَذْهَبِ الشَّعْرِ لَا مَذْهَبَ الشَّرْعِ ، وَأَنَّهُ عَلَى مَذْهَبِ الشَّرْعِ فَالْحَقُّ مَعَ الشَّيْخِ جَعْفَرٍ لِسُفُورِ  
الصَّبِيحِ . وَأَمَّا الشَّيْخُ مُحَمَّدٌ رَضَا فَقَالَ وَأَطَالَ :

لَعَمْرِي لَقَدْ ثَارَتْ إِلَى أَفْقِ السَّمَاءِ  
وَجَالَتْ بِمِيدَانِ الْجَدَالِ قَوَارِسُ

عُجَاجَةٌ حَرَبٌ حَوَّلَتْ نَحْوَهَا الثَّرَى  
تَمَارَوْا عَلَى أَمْرٍ وَلَيْسَ بِهِمِ مَرَا

وذلك أنَّ الشيخَ شيخَ زمانه  
فَرَدَهُ ولا تَعْدِلْ به رِيَّ غَيْرِهِ  
تَعَمَّدَ مِنْ (بَغْدَادَ) إِرسالَ رُقْعَةٍ  
بَنَظَمَ حَكَمِي الدَّرِّ النَظِيمَ مُفَصَّلًا  
وأَعْرَبَ عَن دَعْوَى وَدادِ (مُحَمَّدِ)  
ولا غَرَوَ فِي دَعْوَى وَدادِ هَوَى لَهُ  
ولَكِنَّهُ قَدْ قاربَ الحُورَ وادَّعى  
فَكَانَ عَظِيمًا ما ادَّعى سَيِّما على  
ولا سَيِّما الشيخَ الَّذي خَلَصَتْ لَهُ  
فَتَى أَشْرَقَتْ مِنْ وَجْهِهِ غُرَّةُ الهُدَى  
فَقَالَ إِلى كَمَ ذَا تُحاولُ رُتْبَةً  
كَبَرْتَ وَلَمْ تَقْنَعْ بما يَكْتَفِي بِهِ  
تُجاذِبُنِي الودَّ القَدِيمَ وَليسَ مَنْ  
فَقَالَ نَعَمْ لَكِنْ قَضَتْ لِي مودَتِي  
وَإِنِّي أُرَاعِي مِنْهُ لِلودِّ خِلَّةً  
وَإِنِّي أَمْتُ اليَوْمَ فِي صِدْقِ قولِهِ  
ولسْتُ كَمَنْ يَرمِيهِ بِالهِجَرِ حَقِيقَةً  
يَريهِ بِأَيامِ (الخَميسِ) مودَّةً  
فَطالَ نِزاعُ بَينَهُم وَتَشاجَرُ  
وَمُبْدُ سَيِّما طُولَ النِزاعِ تَرافِعا  
هُوَ السَّيِّدُ (المَهديُّ) عَن نَورِ حُكْمِهِ  
هُنالكَ قُصِّ ما عَلَيهِ تَنازَعًا  
وَكلُّ غَدَا يُدلي بِحُجَّتِهِ وَمَا  
وَأَجَلِبَ كُلُّ خَيلِهِ وَرِجالِهِ  
فَلَمَّا رَأَى (المَهديُّ) ذُو الهُدَى ما رَأَى  
دَرى أَنَّ ذَا لا عَن خِصامِ وَكَمْ وَكَمْ

عَنِتُّ بِهِ بِحَرَ المِكارِمِ (جَعْفَرا)  
تَرَدُّ مَورِدًا لا تَبْتَغِي عَنهُ مَصدَرا  
تَضَمَّنُ مَعْنى يُخجَلُ الرَوضَ مُزْهَرا  
وَنَثَرَ حَكَمِي الرَوضِ النَسِيمَ مُنَوَّرا  
سَلاَلَةُ (زَينِ الدِّينِ) نادرَةُ الوَرى  
فِيا لَكَ وَدًّا ما أَجَلُّ وَأَكْبَرا  
اِختِصاصَ هَوَى كُلِّ لَهُ قَدْ تَشَطَّرا  
ذَوِي وَدِّهِ مِنْ كُلِّ ذَمٍّ تَذمَّرا  
مَودَتُهُ مُذْ كانَ أَصْغَرَ أَكْبَرا  
وَمِنْ نَورِهِ صُبْحُ الحَقائِقِ أَسفَرا  
بِها خَصَّني الباري وَأَكْرَمُ مُذْ بَرا  
أَظُنُّكَ أَلْهَمْتَ الطَّماعَةَ أَصْغَرا  
تَقَدَّمَ فِي وَدِّ كَمَنْ قَدْ تَأَخَّرَ  
وَمَحْضِي لِلأَخْلاصِ سَرا وَمُجْهَرا  
فَلا تَحسَبَنَّ كُلَّ الأَخْلاءِ (جَعْفَرا)  
بِحَقِّي كُلَّ الصَيِّدِ فِي جَانِبِ الفِرا  
وَمَا كانَ ذُو وَدِّ بِحالٍ لِيُهِجَرا  
وَفِي سائِرِ الأَيامِ يَنْسَخُ ما أَرى  
مَعًا وَأَقْلا مِنْ نِزاعِ وَأَكْثَرا  
إِلى حَكَمِ بارِيهِ لِلحُكْمِ قَدْ بَرا  
أَتاكَ كَـوَحِيَّ اللَّهِ أَزْهَرَ أَنُورا  
عَلَيْهِ وَبُثَّا عِنْدَهُ كُلُّ ما جَرى  
وَنى فِي اِحتِجاجِ مِنْهُ جَهدًا وَقَصَرا  
عَلَى خِصَمِهِ وَالْكلُّ لِلْكلِّ شَمَرا  
وَأَبْصَرَ مِنْ ذِي الحالِ ما كانَ أَبْصَرا  
لَسَرُّ خَفِيٍّ مِثْلَ ذَا قَبْلُ ذَا ذَرى

وأيقن أن الشيخ زيد علاؤه  
ليظهر ما أخفاه من صفو وده  
وأيقن أن ليست لذاك حقيقة  
وقال هما خصمان في البغي أشبها  
جرى حكمه وفقاً لداود إذ جرى  
وما كان هذا الحكم إلا مشابهاً  
فلا الشيخ مقضي عليه حقيقة  
كفى شاهداً في الصدق لي قول (صادق)  
وأعلى له الرحمان فوق عباده  
مداعبة الأخوان تدعى عبادة  
وحررتها طوعاً لأمر أخيه علا  
وذي حلبة جلت جميع جياؤها

أراد اختبار الشيخ فيما له انبرى  
وما كان ذاك الود يخفى فيظهرها  
ولكن كلام واللسان به جرى  
خصيمين للمحارب قبل تسوراً  
وقرر ما قد كان (داود) قرراً  
لدعواهما عند امرئ قد تبصراً  
ولا الشيخ مقضي له لو تفكراً<sup>(١)</sup>  
فتى قد سما في مجده شامخ الذرى  
مقاماً يرد الحاسدين إلى ورا  
لعمرك ما هذا الحديث بمفتري  
لخدمته مذكنت كنت مُحَرِّراً<sup>(٢)</sup>  
ولكنني كنت الكميت المقصراً

وهذا ظاهر عدم الحكم للطرفين وإن كان فيه ميل إلى الحكم للشيخ محمد لأنه أشار إلى قصة داود حيث قال : «لقد ظلمك بسؤال نعتك إلى نعاجه» . إلا أن السيد محمد قد قطع لسان الخصمة ، وقضى بما عنده من المحاكمة ، وصار حكم السابقين إلى حكمه هباء إذ المرء على نفسه بصيرة فهو وما يشاء . فقال وهو أحسن من نظم منهم (تغمدهم الله برحمته) :

أتاني كتاب مستطاب بطيئه  
خطاب سرى في كل قلب سروره  
كتاب جناب الشيخ (جعفر) الذي  
تضمن نظماً يخجل العقدره  
فشاهدت (قساً) (باقلاً) عند نطقه  
يصرح تصريح الغمام بودقه  
وقد خصني بالود من دون غيره

خطاب كنشر المسك فاح معطراً  
خطاب بما تهوى الأمانى بشراً  
يود لديه البحر لو كان (جعفراً)  
ونشراً لديه أزهر الروض يزدري  
وإن نال حظاً في البلاغة أوفراً  
فروض عافي منزل القلب ممطراً  
وإن كان هذا الود قد شمل الورى

(١) ورد في هامش المخطوطة : أراد بالأول الشيخ جعفر ، والثاني الشيخ محمد كما لا يخفى .

(٢) علق المؤلف على هذا البيت بقوله : «أراد بهذا كله مدح السيد صادق الفحام» .



حميد السجايا أطيب الناس غنصرا  
كما هو بالمجد ارتدى وتأزرا  
فلا تحسبن كل الأخلاء (جعفرا)  
فكم من قديم سادته من تأخرا  
نراه بأن يعزى إلى الهجر أجدر  
وأحرز كل غاية السبق إذ جرى  
بنظم بديع يزدي الدر منظر  
قلباه ذو أمر من الله أمرا  
بعيد المدى داني الندى سامي الذرى  
بنور سناه يهتدي من تحيرا  
وناصره في الله نصرا مؤزرا  
تخال نشير النجم فيه تنشرا  
وقد سألوني عن حقيقة ما جرى  
وأحمد رب العالمين وأشكرا  
وحسبي عزاً في الأنام ومفخرا  
وطاعته فيما عن الله أخبرا  
تجفرت باسم الله فيمن تجعفرا  
سروراً وللايام دزعا ومغفرا  
وهذا سناني إذ أقابل عسكرا  
هما سيّدا مولى لهم قد تشظرا  
ومحضي للأخلاص سراً ومجهر  
فيا نعم ما بعنا ويا نعم من شرى  
وللناس طراً ما حديثهما طرا

وأنكر وُد الشيخ أعني (محمداً)  
يزر على حسن السجايا قميصه  
وقال رأيت الشيخ لم يرع خلة  
وما لقديم الودّ عندي مزية  
ومن خص في يوم (الخميس) وداده  
وكم جرياً في حلبة الشوق والهوى  
هناك استفز (الشيخ) حتى أجابه  
دعا شوقه يا ناصر الشوق دعوة  
مُجيب النداء مُردى العدى مُطعم القرى  
هو السيّد (المهدي) بورك هادياً  
فبادره بالحكم بل كان غوثه  
بنظم بحبات القلوب مفصل  
جريت على النهج القويم مجارياً  
فقلت أراني أن أزيد مسرة  
لي الفخر أني قد عززت عليهما  
ألا إنما الأسلام دين (محمداً)  
ولي مذهب ما زلت أبديه قائلاً  
تخذتُهما للعين نوراً وللحشا  
فهذا حُسامي حين أسطو على العدى  
فكانا وقد أصبحت أعزى إليهما  
فبعثتهما صفو المودة خالصاً  
فقلنا بسوق الشوق ربحاً معجلاً  
أدامهما الرحمان لي ولعشري

وهذا كما ترى ظاهره الحكم للشيخ جعفر وعدول السيد عن صاحبه الأول غير ملتفت إلى قول الشاعر: «ما الحب إلا للحبيب الأول» نظراً إلى قوله: «تنقل فلذات الهوى

بالتنقل» .

## ما قيل في الشيخ جعفر من الشعر

وأما ما قيل فيه فأكثر من أن يحصيه أحد فيمليه . لكننا نذكر بما تيسر لنا جمعه وهو على قسمين :

### القسم الأول: في تهانيه

قال السيد الأجلّ ، والسند المجلّ ، عميد العلماء الأعلام ، السيد صادق الفخّام ، وهذا السيد فضله وجلالة قدره في ذلك الزمان ، أعظم من أن تحتاج إلى بيان ، و(أثر النجابة ساطع البرهان) ، وكان من خواص العلامة الطباطبائي ، والشيخ الكبير . ثم بعد السيد انقطع إلى (الشيخ) واختصّ به . ثم عمّر بعد الشيخ زماناً طويلاً . وله أشعار كثيرة في هذه (الطائفة) ، وشعره كله في أعلى مراتب الحسن والجودة والبلاغة والفصاحة كما ستراه من مراجعة ما نورد لك منه .

فمنه قوله يهنئ الشيخ بقدمه من حجته الأولى ، ويؤرخ ذلك العام بقصيدة طويلة ، منها قوله :

لله درك من عميد لم تزل	بالصالحات متيماً معمودا
حَثَّ الركب يؤم بيتاً لم يزل	للناس من دون البيوت قصيدا
وأناخ يلتمس القرى من ربه	فقرأه ما لم يبغ معه فريدا
فضلاً وإحساناً ومغفرة لما	قد كان منه طارفاً وتليدا
وقضى مناسكه وعاد بغبطة	في الصالحات وفي العلى محسودا
يا أيها المولى الذي شاد العلى	وبنى المكارم ناشئاً ووليدا
أصبحت سيدها وليس بضائر	إن لم تكن من (هاشم) مولودا
زانت بمقدمك (الحجاز) كما زهت	فيك (الحجاز) تهائماً ونجودا
أزمنت قصد البيت لا تلوى على	شيء تزجّي اليعملات القودا
تقتاد حرب الله مجتهدا كما	قاد المليك عساكراً وجنودا
ثم انصرفت بسيرة محمودة	ولك المحاسن مبدءاً ومعيدا

وأقولُ إنَّكَ (جعفرُ) كلا ولا  
أحييتَ آثارَ السَّماحةِ والنَّدَى  
مُسْتَأْثَرًا بفضيلةِ العلمِ التي  
فَلَكَ العلومُ الباهراتُ سَبَقَتْ في  
وسلكتَ في الآدابِ أبعدَ منهجِ  
نَظْمٍ تَوَدُّ الخُودُ أنْ فَرِيدَهُ  
وبديعِ نَظْمٍ تستعيرُ الروضةُ الـ  
يا قبلةَ الفضلِ التي أربأهُ  
حَيَّيتَ من بدرِ تجلَّى فانجلى  
بَلْ عارضٌ متهلِّلٌ وافى وقَدْ  
جاءَ البَشِيرُ مُبَشِّرًا بقدمه  
وبذلتُ أَقصى الجُهدِ في تأريخه

بَلْ أَنْتَ بحرٌ بالنَدَى مورودا  
وأعدتَ دارسَ رَسمَهُنَّ جديدا  
أضحى عليكِ رواقُها ممدودا  
تحقيقَهُنَّ (مُحَقَّقًا) و(مُفيدا)  
أَتعبتَ فيه (جَرولاً) و(لبيدا)  
قَدْ نَظَّمْتَهُ قلائدًا وعقودا  
غَنَاءُ مِنْهُ زَهْرَةٌ وورودا  
مالوا إليها رُكْعًا وسجودا  
عَنَّا به ليلُ العنا وأبيدا  
مَلَأَ البلادَ بَوارقًا ورُعودا  
فَحَمَدتُ رَبًّا لَمْ يَزَلْ مَحْمودا  
(نَلتَ المُنَى بِمَنَى وَجئتَ حَميدا)

١١٨٦هـ

ولما حجَّ الحِجَّةَ الثانية كان طريقه على (الشام) ، نزل بها هو وصحبه الكرام ؛ السيد محسن صاحب «المحصل» ، والسيد جواد صاحب «مفتاح الكرامة» ، والشيخ مُحَمَّد علي الأعسم<sup>(١)</sup> صاحب «الشرح الكبير» في الفقه ، فقال الشيخ إبراهيم العاملي<sup>(٢)</sup> بمدحه ، وكان يومئذ في تلك النواحي ، وأجاد ، والقصيدة طويلة اقتصرنا منها على اليسير ، وهو قوله :

أَلَمْتُ بِنَا والليلُ تسطو كتائبُهُ  
قَضَى نَحْبَهُ جُنَحَ الظلامِ بنورها  
أَتَتْنَا على بأسِ الرجاءِ ورُبَّمَا  
وَلَاحَ مُحَيَّاهُ فَوَلَّتْ غِيَاهُ

وَقَامَتْ عَلَيْهِ فِي الغصونِ نوادِبُهُ  
أُتِيحَ لَكَ المَطْلُوبُ عَزَّتْ مَطَالِبُهُ

(١) من تلامذة الشيخ جعفر كاشف الغطاء الملازمين له . كان مرافقاً له في سفرته إلى الحج عام ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م . ولد سنة ١١٥٤هـ / ١٧٤١م ، وتوفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م . وستأتي ترجمة ولده الشيخ عبد الحسين الأعسم .  
(٢) إبراهيم صادق العاملي من تلامذة الشيخ موسى كاشف الغطاء ولد سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م ، وتوفي سنة ١٢٨٨هـ / ١٨٧١م .



وسارت مَسِيرَ النِّيرَاتِ مناقِبُهُ  
تَفَجَّرُ بالعلم الغزيرِ جوانِبُهُ  
تَحَدَّثُ عن مسِّ الترابِ تراثِبُهُ  
بيانٌ وهلْ يأتي على الرملِ حاسبُهُ  
عُلُوًّا وقد جاوزتَ ما أنتَ طالبُهُ  
وهلْ يُحرمُ المجدودُ واللَّهُ واهِبُهُ  
وهلْ ينمحي أمرٌ وذو العرشِ كاتبُهُ؟!

أقامَ إماماً بالعراقِ مُبَجَّلاً  
لَقَدْ ظفرتُ منه بطودٍ مفاخرِ  
أقامَ لواءَ الدينِ والدينِ غاربُ  
وشمَّ فِعْالٍ لا يُحيطُ بعِداها  
فيا (جعفر) العلياءِ حَتَّامٌ تَبْتَغِي  
يرومُ العدى حرماتِكَ المجد والعلی  
ويبغون محو الحقِّ مِنْ صُحفِ الهدى

إلى أن قال :

جوانِبُهُ والليلُ سودٌ ذوائِبُهُ  
لقاء (نجيب) شَرَفَتْها (نجائبُهُ)  
يُرى سابقاً مَنْ قَيَّدَتْهُ معائبُهُ  
تَشَدُّ على الفاني وتوكا حقائبُهُ  
إلى ربِّها تهدي الحَجيحَ رِكاثِبُهُ  
تَنالُ المُنَى والخيرُ خَيْرُ عواقِبُهُ  
وكلُّ امرئٍ يُهدى له ما يناسبُهُ  
فترجعُ في نُجحٍ ورجحٍ كِثائبُهُ  
كذا أكرمُ الدُّنيا كُرامُ صواحبِهِ

وفدتَ على قُطر (الشَّامِ) فأشرقَتْ  
ولو أنصَفَتْكَ (الشَّامُ) وأفتَكَ تَبْتَغِي  
ولكنَّها ما قَدْ عرفتَ وقَلَّما  
وما جئَتْها تَبْتَغِي تجارةَ تاجرٍ  
ولكنَّها كانتَ طريقاً إلى التي  
فَبَلَّغَكَ الباري مُناكَ وكيفَ لا  
ولا زالتِ الأقدارُ تهدي لك العُلَى  
تَقسودُ إلى الخيراتِ جيشَ هدايةٍ  
وتسحبُ للرحمانِ أكرمَ صُحبةٍ

ثم لما رجع من حجَّته هذه ، وأشرق بدرٍ محيَّاه في برجٍ محله وأفق شعبه ، مع أولئك  
البررة الهداة من صحبه ، قال السيد أحمد بن السيد مُحَمَّد الشهير بالعطار<sup>(١)</sup> ، مؤرخاً عام  
قدومه ومهنتاً له ولمن كان معه من أولئك العلماء ، بقصيدة غراء ، وهي :

أَسْنَى جبينَكَ أُمَ صباحٍ مُسْفِرُ      وشذى أريجِكَ أُمَ عَبيرٍ أَذْفَرُ  
أَهلاً بطلعتِكَ التي ما أسفرتُ      إلاَّ ليلُ الهَمِّ عَنَّا يُدْبِرُ

(١) شاعر ومؤرخ ، وفقهه له منظومة في علم الرجال ، توفي سنة ١٢١٦هـ / ١٨٠١م . ووالده السيد محمد العطار  
أحد شعراء زمانه توفي سنة ١١٧١هـ / ١٧٥٨م .

بِكَ عَادَ ذَابِلُ رَوْضِ آمَالِ الْوَرَى  
وَتَبَسَّمتْ أَرْضُ (الْغَرِيِّ) مَسْرَةً  
وَمَدَارِسُ الْعِلْمِ اسْتَنَارَتْ مُذْ بَدَا  
وَاسْتَبْشَرَتْ فَرَحاً بِكَ الْعُلَمَاءُ بَلْ  
كُنَّا بِفِرْقَتِهِ بِأَعْظَمِ وَحْشَةٍ  
فَكَأَنَّنا رَوْضُ تَجَانُّبِهِ الْحَيَا  
وَكَأَنَّهُ شَمْسٌ فِيغْشَى اللَّيْلُ إِنْ  
سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَا الْوَرَى بِمَعَادِ مَنْ  
هُوَ (جَعْفَرُ) لَا بَلْ هُوَ الْبَحْرُ الَّذِي  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَوْلَاهُ مَنْ  
وَدَعَاهُ فَضْلاً مَنْ لَدُنْهِ لَبِيتُهُ  
فَسَرَى مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي فِتْنَةٍ بِهِ  
أَكْرَمَ بِهِ وَبَصَحْبِهِ مِنْ سَادَةٍ  
لَا سِيَّماً صَدْرُ الْأَفْضَلِ (مُحْسِنُ)  
وَ(جَوَادُ) النَّدْبِ (الْجَوَادُ) جَلالُ  
وَسَمِيَّ حِجَّتِي الْعَلِيِّ مُحَمَّدٍ  
أَعْنِي سَلِيلَ (الْأَعْسَمِ) الْحَبْرَ الَّذِي  
وَسَلِيلَ (صَادِقِ) الصَّدُوقِ (مُحَمَّدُ)  
قَوْمَ تَرَدُّوا بِالْعُلَى وَتَقَمَّصُوا  
وَقَدْ اقْتَفَوْا مِنْهَا جَ مَنْ عَنْ فَضْلِهِ  
أَكْرَمَ بِهِ مِنْ مُقْتَضَى مَنْ يَهْتَدِي  
ذَاكَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا وَخَدْتُ إِلَى  
مَوْلَى بِهِ بِطَحَاءِ (مَكَّةَ) أَشْرَقَتْ  
بَهَجَتْ بِوِطَائِهِ الْمَوَاقِفُ وَاعْتَدَى  
وَلَقَدْ غَدَا الْحَرَمُ الشَّرِيفُ بِهِ عَلَى  
مُذْ طَافَ طَافَ بِهِ الْعِلَاءُ وَمُذْ سَعَى

غَضاً وَلَا عَجَبٌ فَأَنَّكَ (جَعْفَرُ)  
بِكَ بَعْدَمَا عِبَسْتُ فَكَادَتْ تَزْهَرُ  
فِيهَا مُحَيَّاكَ الْبَهِيحُ الْأَنْوَرُ  
كُلُّ الْأَنَامِ وَحُقَّ أَنْ يَسْتَبْشِرُوا  
وَبَعُودِهِ عَادَ السَّرُورُ الْأَكْبَرُ  
فَذَوَى وَعَاوَدَهُ فَأَصْبَحَ يَزْهَرُ  
غَابَتْ وَبِيدُو الصُّبْحِ مَهْمَا تُسْفَرُ  
بِنَوَالِهِ مَوْتَى الْخِصَاصَةِ تُنْشَرُ  
كَمْ فَاضَ بَحْرٌ مِنْ نَدَاهُ وَ(جَعْفَرُ)  
آلَاثُهُ مَا الشُّكْرُ عَنْهُ يَقْصَرُ  
وَقَرَأَهُ مِنْ جَدَّوَاهِ مَا لَا يُحْصَرُ  
حَفَّتْ كَأَمْثَالِ الْكَوَاكِبِ تَزْهَرُ  
كَرُمْتُ سَجَايَاهُمْ وَطَابَ الْعُنْصُرُ  
كَنَزُ الْعُلُومِ الْمُحْسِنِ الْمُتَبَحَّرُ  
أَرْبَابِ الْجَلَالِ وَعِزُّهُمْ وَالْمُفَخَّرُ  
وَعَلِيُّ الطَّهْرِ الزَّكِيِّ الْأَطْهَرُ  
هُوَ بَحْرُ عِلْمٍ مِثْلُهُ لَا يُجْزَرُ  
وَالنِّعْمَةُ الْكُبْرَى الَّتِي لَا تُنْكَرُ  
بِالْمَكْرَمَاتِ وَبِالْعَفَافِ تَأْزُرُوا  
أَقْلَامُ أَرْبَابِ الْبَلَاغَةِ تُحْصَرُ  
بِهْدَاهُ يَحْظَى بِالنَّجَاحِ وَيُظْفَرُ  
جَمْعَ بِهِمْ قَبَّ الْبَطُونِ الضُّمَرُ  
وَبِنُورِ غُرَّتِهِ أَضْءَاءُ الْمَشْعَرُ  
بَعْضُ يَهْنِي بَعْضَهَا وَيُبَشِّرُ  
مَا فِيهِ مِنْ فَخْرِ يَتِيهِ وَيَفْخَرُ  
سَعَتِ الْمَعَالِي نَحْوُهُ وَالْمُفَخَّرُ

وبلمسه الحجر السعيد يمينه  
 بل تم للحجر السعد وكاد أن  
 وعلا مقاماً في المقام كما اعتلى  
 وأفاض من (عرفات) بعد وقوفه  
 جمع الأله له جميع الخير في  
 نالت (منى) بمبيته فيه المنى  
 وسوقه للهدى سيق له الهدى  
 ورُمي - غداة رمى الجمار - غداته  
 وبأرض (طيبه) طاب مثواه فيا  
 وبزورة (المختار) نال الغاية الـ  
 وسما بزورة آل (أحمد) رتبة  
 فليحمد الله الذي في جنب ما  
 وليبتهج بشراً بما أرخته

ربحت وتم له السعد الأوفر  
 يبيض بشراً لونه المتغير  
 بمقامه فيه المقام الأنور  
 فأفيض رضوان عليه أكبر  
 جمع فيا لله جمع مبهـر  
 وصفا به عيش الصفا المتكدر  
 وينحره نحر الحسود الأبر  
 بعداً لهم فليخسوا وليذمروا  
 طوبى لها أضحت به تتعطر  
 قصوى التي عنها الكواكب تقصر  
 بصر البصيرة عن مداها يحسر  
 أولاه طولاً كل حمد يصغر  
 (بشرى) فقد حج المسدد جعفر

١١٩٩هـ

ولما قدم من (إيران) ، قال الشيخ إبراهيم قفطان<sup>(١)</sup> يهنئه ، ويذكر أصحابه من العلماء  
 الغرر ، الملازمين لخدمته سافراً وحضر ، وعرض بشكواه ، طيب الله مضجع كل منهم  
 ومثواه ، وهي :

قد أقبل (الشيخ) بالأقبال والنعم  
 وقد أحاطت به غر غطارفة  
 من كل ندب سري سيد سند  
 مدحون مصاليت تخالهم  
 وجاء بالسعد مخفوفاً وقد خفقت  
 فابتل منّا غليل لم يزل أبداً  
 وأصبح الكل إذ جاء البشير به

واليمن والبركات الغر والكرم  
 يبيض الوجوه حسان الخيم والشم  
 ولودعي ومفضال وكل كمي  
 حيث اشتباك القنا كالأسد في الأجم  
 أعلام إقباله بالفضل والنعم  
 إلى لقاء محياه الجميل ظمي  
 ما بين مبتهج منّا ومبتسم

(١) إبراهيم بن الشيخ حسن قفطان توفي سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م .





يا أسعد الله جدّ الحاكم الحكيم  
عليه للنصر يوم الروع من علم  
إلى المعالي ومن خبر ومن علم  
عقد الأمور ودأوى الكلام بالكلم  
ومن سخاء ومن بأس ومن شيم  
ما ليس يحصيه خط اللوح والقلم  
وصار بين عباد الله كالعلم  
هذا الذي الفضل فيه غير منقسم  
عقود دُرّ بسلك الحسّن منتظم  
وكان معترفاً في زلة القدم  
لكان كالسيل منحطاً عن الأكم  
نثر حكي أنجم الجوزاء في الظلم  
وإن يفة فاه بالأسرار والحكم  
إلى المكارم هز الغصن للنسم  
نوافحاً تنعش العافي من العدم  
وداس هام الثريا منه بالقدم  
ومن يدانيه في علم وفي كرم  
لجده من ملوك العرب والعجم  
إلا وجاء بوبل للندى سجم  
إلا وألفته فيها خير محترم  
مكرم للكرم المستطاب نمي  
ويا ملاذي ويا كهفي ومعتصمي  
حتى أمان بها عن مورد وخم  
إلى مرامي سهام الضيم والأظم  
في صفقة الغبن أو في حيرة الندم  
أين اتجهت وفي خير وفي نعم

والحاكم المرتضى دون الوري حكماً  
أكرم به من فتى كم راح منتشراً  
ندب وناهيك من ندب ومنتدب  
كم حلّ بالنظر العالي إذا اشتكلت  
ملء المفاضة من علم ومن عمل  
له من المجد حظ وافر وعلاً  
حاز المفاخر حتى جاز غايتها  
حوى المكارم حتى قال قائلها  
يُهنيك لو راح يلقي من بلاغته  
أبدى له العذر (قُس) لو يعاصره  
أو راح يملئ مقالا من يراعه  
يُنسيك (حسان) نظماً رائقاً وله  
من لم يجز قط يوماً في حكومته  
تلقاه يوم الندى يهتز من طرب  
لا زلت تنشق من رياء شمائله  
وفاق حتى سما النسر من منزلة  
فمن يضاهيه في عز وفي شرف  
مولي له مدت الأعناق خاضعة  
ما استمطرت سحبه الآمال في زمن  
ولا أناخت له الوقاد من حرم  
نماه (خضر) فيا طوبى لخير فتى  
يا بن الخصارمة الأمجاد يا أملي  
جد لي من الكرم الوافي بمونقة  
وحاشا لله إن أبقي (كذا) غرضاً  
أو أنثني اليوم عن ناديك منقلباً  
أبقاك ربك في عز وفي شرف

وقال أيضاً مؤرخاً بعض أعياد الشيخ ، ومهنتاً له بقدمه من سفر كان قد أسفر عنه .  
وهي تزيد على المائة قد اقتصرنا منها على هذا المقدار ، وهو :

جاء السُرورُ وجاد في نيل المني  
والسَّعد بالأقبال أقبلَ ناشراً  
والكونُ أصبح لا بساً خلجَ الهنا  
وقضيبُ بان الشوق لما أن سرى  
وليالي الأفراح أفجرَ صبحُها  
والكلُّ مغبوطٌ وفيما أنعم الـ  
مستبشرين وحقَّت البُشرى لنا  
بقدوم (جعفر) بحر علم الله قد  
يا روضة الرواد بلْ يا منهل الـ  
قد ودَّت السبع الطباق لو أنها  
ملكٌ تغضُّ له الملوك مهابةً  
لم استزد شرفاً له بمقالتني  
لكنني لما رأيتُ مديحَه  
بالخمسة الأشباح تم فأرخوا

وقال يهنيه :

ته سروراً فقد بلغت الأمانني  
وابتهج فرحةً ونافس عليها  
بسري تأرجت من شذاه  
(جعفر) يُفضلُ البحار وهيئات  
أسسَ المجد والعلی فاستقامت  
يُفخرُ الفخر حين يُعزى إليه  
شرف دونه (السماك) محلاً  
جلّ قدراً ومفخرأ فتعالی

بلقى شيخنا ونلت التَّهاني  
كلُّ قاص من الأنام ودان  
نفحة عطرت جميع المعاني  
تضاهي عُبابه أو تداني  
واستقلت أركانه والمباني  
وكفاه فخراً به وكفاني  
ومقام يعلو على (السرطان)  
عن بني عصره بأسنى مكان

وسماهم فأصبحوا من علاه  
فأتهم مفخرأ وإن كان منهم  
أبيض الوجه والفعال أخو حز  
ليس يستغرق المديح ثناه  
كيف يحصي المديح كنه معال  
فهو الشمس رفعة وسناء  
كنجوم السماء من كيوان  
والحصي في البحار غير الجمان  
م وعزم أمضى من (الهندواني)  
ولو أنني أثني بكل المثاني  
مُفرد ما له مدى الدهر ثان  
وكفى الشمس شهرة عن بيان

وهي أيضاً طويلة اقتصرنا منها على هذا . وأظن ظناً قوياً أن هذا الشعر الذي مرّ كله  
للشيخ حسن قفطان<sup>(١)</sup> أبي الشيخ إبراهيم وكان من العلماء المبرزين ، وهو من تلاميذ الشيخ  
الكبير ، لأن الشيخ إبراهيم من رأى الشيخ مُحَمَّد<sup>(٢)</sup> بن الشيخ علي وغيره من الطبقة  
الثانية ، كالشيخ مير أحمد<sup>(٣)</sup> بن الشيخ موسى كما سيأتي . وبين وفاة الشيخ الكبير والشيخ  
مُحَمَّد ستون سنة ، فيبعد أن يكون الشيخ إبراهيم عاش إلى ذلك الزمان . ثم أن (نفسه) في  
الشعر كما ستري غير هذا النفس ، اللهم إلا أن يكون قال هذا الشعر في أول أمره وهو  
صغير ، والله العالم .

وقال أديب عصره ، بل جميع الأعصار ، وليبيب مصره الذي طبق ذكره سائر الأمصار ،  
وأشتهر فضله ولا اشتهار الشمس في رابعة النهار ، ذو الشرف الشامخ والأدب القوي ،  
الشيخ مُحَمَّد رضا النحوي يهنئ الشيخ الكبير بقدمه من حجته الثانية ، ويمدحه ويمدح  
أصحابه الذين كانوا معه ، وقد مرّ تعدادهم ، ويؤرخ ذلك العام ، وهي من محاسن الشعر  
وأجوده ، وأقربه وأبعده ، وهي :

قَدِمَ (الحَجِيحُ) فمرحباً بقدمه  
هو (جعفر) مَنْ كان أحيا مُدْ نشأ  
مأموئه في سرّه وأمينه في شر  
وافوا كأنهم أسعد قد أحدقت  
لقدوم مَنْ شَرَعَ الهدى بعلومه  
من دين (جعفر) عافيات رسومه  
عه ورديفه في خيمه  
بالبدر أو كالزهر عند نجومه<sup>(٤)</sup>

(١) توفي الشيخ حسن قفطان سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م وقد قارب المائة عام ، وتوفي ولده إبراهيم بعده بعام واحد .

(٢) توفي الشيخ محمد بن الشيخ علي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م .

(٣) مير أحمد بن الشيخ موسى كان من الشعراء ، ومن نوابغ طلبة العلم ، توفي شاباً في منتصف العشرين من  
سنّيه .

(٤) أي ظهوره . (تعليقة المؤلف) .

بقدومهم إذ كان عند قدومه  
عن بدره ، ونجومها بنجومه  
ومغيب أنجمها خلال غيومه  
والله أمضى الأمر في تميمه  
مشتاقه لوجيفه ورسيمه<sup>(١)</sup>  
لغزير وابل وذقه وعميمه  
تحليله المعهود أو تحريمه  
وبحجره وحجونه وحطيمه  
وقليله وحديثه وقديمه  
فيه وقام مقام (إبراهيمه)  
أرجاء (مكة) من أريج نسيمه  
مُزجت لطيب الطعم من تسنيمه  
أن (النبى) بداه في تسليمه  
بشريف طبع من علاه كريمه  
من أم جدواه ولا محرومه  
والطبع ليس حميده كذميمه  
عن كنه معناه وفي منظومه  
بمدح خالقه وفي تعظيمه  
شرفاً وليس يزيد في تكريمه  
بنشير در صاغه ونظيمه  
ونجاة نفس المرء في تسليمه  
(قدم السخا والمجد عند قدومه)<sup>(٢)</sup>

وردوا (الغري) فطال إذ وردوا السما  
وتود أن لو أبدلت به بدرها  
علماً بنقص بدورها في أفقها  
وتيقناً أن ليس ينقص نورهم  
حث الرواسم للحجاز ولم تزل  
كالغيث كل تنوفة ظمآنه  
وسعى لحج البيت وهو الحج في  
وبمروتية وركنه ومقامه  
ودقيقه وجليله وكثيره  
رُفعت قواعد حجر (إسماعيله)  
وبه (الصفاء) لقي الصفاء وتأرجت  
وغدت ينباع (زمزم) وكأئما  
أهدى السلام إلى (النبى) وما درى  
جزل العطاء فمن ينخ أماله  
ينخ الرجاء بباب غير منهنه  
طبعت خلائقه على محمودها  
أما المقال ففرق في منشوره  
فليقتنع ذو اللب في تبجيله  
ليس المديح يزيد في تشريفه  
وإن ادعى أحداً بلوغ ثنائه  
فأنا الذي سلمت أنى عاجز  
لكن عام قدومه أرخته

وقد أرسل الشيخ الكبير بهدية إليه وكتب معها :

عذر الحقير إذا قلت هديته (إن الهدايا على مقدار مهديها)

(١) الرواسم : الأبل . الوجيف والرسيم : نوعان من السير تتصف بهما الأبل .

(٢) حساب الجمل يساوي (١١٩٩هـ) .

فكتب إليه الشيخ مُحَمَّد رضا (ره) مجيباً بهذه الأبيات ، وهي :

وافتْ هديتُكَ الغرَّاءَ حاملةً      شذا نسيمِكَ يذكو في مطاويها  
وأعربتْ عن صفايا الودِّ منك فيا      طوبى لنفس بصفو الودِّ تصفيها  
فَجَلَّ مُقدارها عند المُحبِّ كما      قدَّ جَلَّ بينَ البرايا قدَّرَ مُهديها  
وجاوزتْ قَدْرَ مَنْ وافَتْ وقد عدلت      إذ كنتَ مُهديها الدنيا وما فيها

وكتب الشيخ إبراهيم بن الشيخ يحيى العاملي من الشام إلى النجف يمدحه ، ويوصيه بولديه ، وكانا يشتغلان بالنجف ، وهي :

سلام كمنهل السحاب الكهَّورِ      على روضة الدين الحنيفي (جعفر)  
تحية مشتاق على القُرب والنوى      يرنُّ كما الحراء في أوبة وري  
أما وهواه وهي حلفة صادق      يرى الصدق في الدارين أربح متجر  
لقد حلَّ من قلبي محلاً حميته      من الناس حتى من قبلي ومعشري  
وبوأتُهُ الدارَ التي ما أبحثُها      لغير نبيٍّ أو إمامٍ مُطهرٍ  
ولا غرو أن يُمسي ويُصبحَ (جعفر)      ومنزلُهُ ما بين (طه) و(حيدر)  
أحنُّ إليه والحنينُ من الجوى      ولا عجبٌ إنَّ حنَّ صاد (لجعفر)  
وأهتزَّ إنَّ أطراه مُطرٌ كأنني      نزيفٌ وما حدثتُ نفسي بمسكِر  
هو العالمُ النحريرُ والجبلُ الذي      تفجَّر منه العلمُ أيَّ تفجَّر  
أقامَ لواءَ الدين شرقاً ومغرباً      وقد جاشت الدنيا بغاؤ ومُفتِر  
وأنقذه من قبضة الشرك بعدما      ألحَّ بأنياب عليه وأظفر  
وأجرى لطلاب العلوم جداولاً      من العلم بالأوهام لم تتكدر  
ولا أمترى أن الذين تقدَّموا      لهم مفخرٌ في العلم أعظم مفخر  
ولكنَّ له بين الجميع تقدُّمٌ      عليهم فكان السبق للمُتأخِر  
ولا عجبٌ فانظر إلى الدهر كم مضى      به قبل (طه) من رسول ومُنذر  
هو البحر للقاصي وجودٌ بوابل      وطلَّ وللداني وجودٌ بجوهر  
هو الصارمُ الماضي يروِّقُ منظرًا      ويُوليك أضعافَ المني بعد مخبر  
هو الغيثُ لا ينفكُ منهلٌ جوده      على مُعسِرٍ في الناس أو غير مُعسِرٍ

يدا مُعَسَّرَ فيمَا هَنَّاكُ وَمُوسِرِ  
نُؤُومُ الضُّحَى ، وَالْمَجْدُ حَظُّ الْمُبَكِّرِ  
بِعَزْمَةٍ مَضَاءٍ عَلَى الْهَوْلِ عَبْقَرِي  
وَفَرَضَ عَلَيْهِ غَيْرَ غَادٍ مَشْمَرِ  
وإِرْفَاقِ مَجْهُودٍ وَإِيوَاءٍ مَفْجَرِ  
إِذَا طَرَقَتْ فِي الدَّهْرِ أُمُّ حَبُوكِرِ<sup>(١)</sup>  
رَمَاهُ بِصَبْحٍ مِنْ مَحْيَاهُ مُسْفَرِ  
وَكَيْفَ يَخَافُ (الذَّنْبَ) جَارُ (الغُضُنْفَرِ)  
فِيْمَسُونُ أَصْنَافِ الرَّبِيعِ الْمُنَوَّرِ  
وَذَلِكَ شَأْنُ الْعَارِفِ الْمُتَدَبِّرِ  
مِنَ الذَّنْبِ لَمْ يَلْقَ وَلَا بِالتَّصَوُّرِ  
وَفِي رَاحَتِهَا مُلْكُ (كَسْرَى) وَ(قَيْصِرِ)  
عَلَى حُبِّهَا مِنْ ذِي عَمَاءٍ وَمُبْصِرِ  
مُخَالَفَةِ الْأَجْمَاعِ أَمْ أَنْتَ مُجْتَرِ  
فَطَابَ ، وَطِيبُ الْفَرْعِ مِنْ طِيبِ غُنْصَرِ  
بِرْغَمِ الْعَدَى فَوْقَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ  
لِتَحْفَلِ إِلَّا بِالْمَقَامِ الْمَطْهَرِ  
وَطَابَ لَكَ الْمَثْوَى فَخِيَّمْتَ بِالْعَرِي  
لَهَا مِنْ نَدَاكَ الْغَمْرِ أَفْضَلَ كَوْثَرِ  
وَمَالِكَ فِي الْأَمْوَالِ غَيْرُ مُوَفَّرِ  
بِفَرْعِ زَكِيِّ بِالْفَضَائِلِ مُثْمَرِ  
تَضَاقِقِ وَرْدِي فِي الْقَرِيضِ وَمُصْدِرِ  
فَأَصْبَحْتُ فِي رَوْضٍ مِنَ الْعَيْشِ أَخْضَرِ  
بَشْكْرِي وَمَنْ يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ يُشْكِرِ  
تَبَخَّرْتُ فِي ثَوْبِ الْبَدِيعِ الْمُحْبَرِ

إِذَا مَا ظَلَمَّا جُودَ الْجَوَادِ تَشَارَكَا  
يُغْلَسُ فِي كَسْبِ الْمَعَالِي وَغَيْرُهُ  
وَيَكْدَحُ فِي حَاجَاتِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ  
فَلَسْتُ تَرَى لَيْشاً يُفَزَعُ مِنْ نَدَى  
لِنَصْرَةِ مَظْلُومٍ وَأَمِنْ مَرْوَعٍ  
وَمَا طَرَقَ الْمَلْهُوفُ بَاباً كَبَابَهُ  
إِذَا جِيءَ فِي لَيْلٍ مِنَ الْخُطْبِ حَالِكُ  
وَيَصْبِحُ فِي أَمْنٍ مِنَ الدَّهْرِ جَارُهُ  
وَيَغْشَى حِمَاهُ الْمَجْدُبُونَ مِنَ الْوَرَى  
تَقِيَّ يَخَافُ اللَّهَ سِرّاً وَجَهْرَةً  
فَوَآءَ عَجَباً مِنْ خِيْفَةِ النَّاسِكِ الَّذِي  
عَزُوفٌ عَنِ الدُّنْيَا وَلَوْ بَرَزَتْ لَهُ  
فِيَا قَالِي الدُّنْيَا وَقَدْ أَجْمَعَ الْوَرَى  
بَعِيشُكَ خَبَّرَنِي أَلَسْتَ مُحَرِّمًا  
فِيَا (جَعْفَرُ) الْخَيْرِ الَّذِي طَابَ مَحْتَدًا  
لِيُهْنِكَ مَجْدًا أَنْتَ سَاحِبُ ذِيْلِهِ  
وَلَمَّا رَأَيْتَ الْأَرْضَ شَتَى وَلَمْ تَكُنْ  
تَخَيَّرْتَ قُرْبَ (الْمُرْتَضَى) عِلْمَ الْهَدَى  
فَصَادَفْتَ مِنْهُ يَا أَخَا الْفَضْلِ جَنَّةً  
وَحَسْبُكَ فَخْرًا أَنْ فَضْلَكَ وَافِرٌ  
وَأَنْتَ طَوْدُ زَادَةِ اللَّهِ رَفْعَةً  
وَكَمْ مِنْ يَدٍ عِنْدِي لَهُ لَوْ ذَكَرْتَهَا  
وَفَدْتُ عَلَى مَغْنَاهُ وَالْدَّهْرُ أَسْوَدُ  
سَأَشْكُرُهُ وَهُوَ الْجَدِيرُ مِنَ الْوَرَى  
إِلَيْكَ أَبَا (مُوسَى) زَفَفْتُ بَدِيعَةً

(١) الحبوكر: الداهية . وأم حبوكر: الداهية العظيمة .

هديتَ بمشغوف بمدحك مُولَع  
ولا أدعي أنني تطوَلْتُ بالثنا  
ولي بحماكم بضعةً وأخُ له  
فلا تَنسَهُ واعطفْ على الحائم الذي  
ولا تُخرِجْهُ من عموم فواضل  
وكيف يمسّ الجَدْبُ ربعَ مخيّم  
ولا زلت في عيش رغيد ونعمة  
بشكر جميل في مغيب ومحضرٍ  
ولكنني حاشاكُ عينُ المُقصرِ  
مقيمٌ على ربع من الخير مُقفرٍ  
يروحُ ويغدو ظامياً بين أبحرٍ  
تلفَ إذا جاشت مقللاً بمُكثِرٍ  
على باب هطال من الغيث بمطرٍ  
تكرُّ عليكم بالنعيم المكرّرِ

ولما توفي العلامة الطباطبائي جعلت الشعراء تتخلص في مرثيته بمدح الشيخ جعفر لأن  
الأمر انحصر به . فمن ذلك ما قال الشيخ إبراهيم العاملي يرثي السيد ، ويعزي ولده السيد  
رضا ، ويوصي الشيخ به ، حيث قال :

وله من الشيخ المعظم (جعفر)  
وهو الأب الثاني له وكفى به  
يا (جعفر) الخير الذي بزّ الحيا  
يا عالمَ العصر الذي لم يكتحل  
أوصيك بالخلف (الرضا) وأراك لا  
أنى يُضيّع واجبٌ مولى يرى  
علم الهدى جاراً عزيز الجار  
عن غيب كاف وعن حضار  
كرماً فأصبح كعبة الزوار  
بنظيره عصرٌ من الأعصار  
تحتاجُ في (المذكور) من تذكّار  
تضيّع ناقلةً من الأوزار

وقال بعض الشعراء ، يرثيه في سينية طويلة يتخلص بأخرها في مدح الشيخ الأكبر ،  
ويطيل في الثناء عليه . ولم يحضر في حفلي منها إلا بيت واحد ، وهو :

لئن غابَ (مهديُّ) الهدى فيه عنكمُ ففي (جعفر) بالعلم تحيا المدارسُ

### القسم الثاني: في وفاته وما وقع بيدي من مرثيه

إنَّ الشيخَ رحمه الله ، كما ذكرنا لك فيما سبق ، انحصرت به رئاسة الأمامية نهياً وأمرأً  
وتدريساً وفتوى ، حتى أن السيد الطباطبائي كان يأمر أهله بتقليد الشيخ في أغلب المسائل  
التي يحتاط فيها ، ويأمر الناس بتقليده في جميعها كما في «معدن الشرف» . هذا كله في  
زمان أستاذه : في التدريس المروّج البهبهاني وفي الأجازة العلامة الطباطبائي .

إلا أنه رحمه الله بعد أن فرغ من جميع العلوم على وجه الاستيفاء لم يكن ليستقر في بلد أو مكان إعتقاداً على وجود مثل هاتيك الأركان، والاستغناء عنه بهم في نشر القضايا والأحكام، إلى أن توفي الآقا (ره) سنة ثمان بعد المائتين وانحصر الأمر بالعلامة المتقدم والشيخ، فالتزم الشيخ بالأقامة، والنهوض بأعباء هاتيك المقامة، فألقى عصا التسيار، وقام بتشديد شريعة النبي المختار (ص)، فاستقلاً بالأمر جميعاً، وبزغا في أفق الهدى كالنيرين طلوعاً. وكانا متقاربين في السن، إلا أن (الشيخ) عمر بعد السيد بمقدار خمسة عشر أو ستة عشر سنة. وكانا متساويين الحضور على الأساتيد فلم يحضر السيد عند أستاذ إلا وكان الشيخ بخدمته وفي صحبتته، فلما آل الأمر إليهما حضر الشيخ بدرس (السيد) مقدار إسبوع أو اسبوعين ليُرجع الناس إليه كلهم، وطلبة العلم جلهم، وليبين فضله على جميع العلماء الأعيان، وإن كان غنياً عن البيان.

وأما السيد فإنه أرجع الناس إليه في التقليد، وألقى إليه من أغلب أمور الدين والدنيا الأقليم، ونصبه علماً للفتاوى والأحكام، وحكماً تصدر عنه الأقضية في ذوي الخصام. وجعل أمور الحقوق والأموال بيد العابد الزاهد الورع التقي المشهور الشيخ حسين نجف، فكان يضع ما يؤتى إليه من حق أو مال في صندوق في داره، فإذا احتاج السيد أو الشيخ شيئاً من المال لأعطاء تلميذ أو فقير أتيا إلى الصندوق فأخذوا منه قدر الكفاية، كذا في «معدن الشرف» وغيره. هذه سيرة أولياء الله الأبرار، فاعتبروا يا أولي الأبصار، وما كان حديثاً يفترى.

ثم أن السيد العلامة قبل وفاته بحولين إرتحل إلى مكة المشرفة حاجاً، فعين فيها الحدود والمواقيت وأظهر المقامات المشرفة. وكراماته هناك أشهر من أن تذكر. وبقي هناك سنتين، فانحصر أمر تدريس طلاب النجف وعلماهم في هذه المدة بالشيخ الأكبر، ورجع جميع أصحاب السيد إليه، للحضور والقراءة عليه، الاغتراف من بحره الطامي، والتشرف تحت منبره السامي. فكان على ما سمعت من الشيبة تحت منبره ما يزيد على المائة من العلماء الأشراف، الذين هم فوق رتبة الاجتهاد بالآلاف.

فمن (الجعافرة)<sup>(١)</sup> أولاده الخمسة، موسى، ومحمد، وعلي، والحسن، وعيسى، وإخوته محسن، ومحمد.

ومن (القزاونة)<sup>(٢)</sup> السيد باقر، والسيد علي، والسيد حسن - والد السيد الوحيد السيد

(١) هم أولاد الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

(٢) (القزاونة): هم أسرة السيد أحمد القزويني المولود سنة ١١٢٤هـ / ١٧١٢م والمتوفى سنة ١١٩٩هـ / ١٧٨٥م.



المهدي - رحمهم الله أجمعين .

ومن (البغاددة) السيد حسن الأصم<sup>(١)</sup> من بيت العطار المعروفين إلى الآن في بغداد ، وبيتهم من أعظم بيوت الشيعة هنالك اليوم ، ثم السيد محسن الأعرجي<sup>(٢)</sup> صاحب المحصول ، ثم السيد إبراهيم البغدادي<sup>(٣)</sup> عالم شاعر ، وسيأتي عليك من شعره ما يدل على ذلك ، وله ابن اسمه السيد باقر البغدادي<sup>(٤)</sup> وهو من شعراء الشيخ موسى وخواصه إلا أنه أقوى في هذه الصناعة من أبيه ، وسيرد عليك من ذلك ما ينبيك .

ومن (الأعاسمة) الشيخ مُحَمَّد علي<sup>(٥)</sup> ، والشيخ عبد الحسين<sup>(٦)</sup> ، وكان بيتهم بيت شرف وعلم ، ولهم تصانيف في الفقه عظيمة .

ومن (العوامل) السيد جواد<sup>(٧)</sup> صاحب «مفتاح الكرامة» ، والسيد علي أمين العاملي<sup>(٨)</sup>

والسيد أحمد هذا هو استاذ السيد مهدي بحر العلوم ، والشيخ جعفر كاشف الغطاء . وزوجته هي أخت السيد مهدي بحر العلوم . وله أولاد خمسة كلهم من كبار المجتهدين ، وهم : (السيد حسن ، السيد حسين ، السيد علي ، السيد محمد علي ، والسيد باقر) ، ومنهم تتفرع أسرة آل القزويني التي نسبت إلى (الحلة) .  
وأكبر أولاد السيد أحمد هو السيد حسن (والد السيد مهدي القزويني) ، وكان من علماء عصره الكبار ، ولد سنة ١١٥٢هـ / ١٧٣٩م . في النجف ، وسكن منطقة (الدغارة) فترة من الزمن ، وكان له إلمام بالعلوم الرياضية والهندسية وقد شارك عام ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م في هندسة مجرى نهر الهندية الذي أصبح من أعظم أنهار العراق في وقته . توفي سنة ١٢٢٣هـ / ١٨٠٨م .

السيد علي القزويني : من كبار المجتهدين ، وهو أستاذ السيد مهدي القزويني وقد أجازه بالاجتهاد . توفي بالنجف ، ودُفن بباب مسجد (الخضرة) كما ذكر ذلك السيد مهدي القزويني في كتابه «المنار» . ويمكن استظهار سنة وفاته حدود عام ١٢٣٧هـ / ١٨٢٢م .

السيد باقر القزويني المعروف (بصاحب الكرامات) والمتوفى في الطاعون سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م .  
وأُسرة آل القزويني اليوم تتفرع من (السيد حسن ، السيد علي ، والسيد محمد علي) . أمّا السيد حسين ، والسيد باقر فقد درجا . وقد اشتهر عقب هؤلاء الفقهاء الثلاثة في المناطق القرائية العراقية ، وامتلكوا فيها الأراضي الزراعية في مدينة الحلة ، طويريج (الهندية) ، الرغيلة ، الدغارة ، البزونية ، القزوينية ، الكفل ، العباسية ، وغيرها من المناطق الأخرى .

- (١) توفي السيد حسن الأصم البغدادي سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م .
- (٢) توفي السيد محسن الأعرجي سنة ١٢٢٧هـ / ١٨١٢م .
- (٣) السيد إبراهيم بن السيد محمد العطار البغدادي توفي سنة ١٢١٥هـ / ١٨٠١م .
- (٤) وفاة السيد باقر بن السيد إبراهيم العطار البغدادي سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢١م .
- (٥) الشيخ محمد علي الأعسم من خواص الشيخ جعفر كاشف الغطاء ، والمرافقين له في أسفاره توفي سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م .
- (٦) توفي الشيخ عبد الحسين الأعسم سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .
- (٧) توفي السيد جواد العاملي سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م .
- (٨) السيد علي أمين العاملي هو ابن عم السيد محمد جواد العاملي . وكان من الملازمين للسيد باقر القزويني ، وقد أعانته في تجهيز الموتى الذين راحوا ضحية وباء الطاعون سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م .

من العلماء الشعراء . إلى غير ذلك من أساطين العلماء (عرباً) ما مر عليك ، و(عجماً) كالشيخ أسد الله التستري ، والشيخ مُحَمَّد تقي صاحب الهداية والسيد مُحَمَّد باقر الرشتي المعروف بحجة الإسلام ، والحاج ميرزا ابراهيم الكلباسي ، إلى غير ذلك ممن يضيق نطاق البيان عن تعدادهم .

ولنا عزمٌ إن شاء الله بتوفيقه أن نضيف إلى (رسالتنا) هذه جملة من أخبار أساتيد الشيخ واحداً واحداً إجازة وحضوراً حتى تنتهي سلسلة أساتيده إلى المعصوم (ع) ، ثم نردف ذلك بأخبار تلاميذه وتفصيل أحوالهم جميعاً . وأرجو من الناظر في هذا المكان أن يدعو لي بالتوفيق لذلك ، والنهج على أحسن المسالك .

والحاصل أن هؤلاء وكثير من أمثالهم كالشيخ حسين نجف ، والشيخ قاسم محيي الدين رحمهم الله أجمعين ، إلى غير ذلك ممن يطول المقام بذكرهم ويقصر القلم عن حصرهم ، وكلهم أتوا إلى درس الشيخ وهم مجتهدون مسلمون الفضيلة ، ولكن علماء منهم أنهم وإن بلغوا مبلغاً من الفضل خطير ، فهم محتاجون إلى الاستمداد من ذلك البحر الغزير :

فَهَلْ بِفِرْعِ الدَوْحِ عَنْ أَصْلِهَا غَنَى      وهل بالسحاب الجون كفؤ عن البحر

ولما رجع السيد العلامة (ره) من الاتصال بجواربه في العالم الفاني ، لم يبق إلا أياماً يسيرة حتى دعاه مولاه فعرج إلى حظيرة القدس بمقدس ذلك الجسم الروحاني ، فاستقل الشيخ الأكبر بالأمر ، ونهض بأعباء الدين فساس ما شاء فيه وتدبر ، إلى أن دخل شهر رجب من سنة الثامنة والعشرين بعد الألف والمائتين ، فتوَعَّك الشيخ وشكى نفسه وأصابه في الأثناء برد فتورمت منه رقبته ووقع بالمرض المعروف (بالخنازير) . وجعل يشتد الورم حتى نُعِيَتْ إليه نفسه الشريفة ، فأوصى بنيه الثمانية بعد أن جمعهم بوصايا كثيرة من أمر الدنيا الفانية ، والآخره الباقية .

ثم قال لهم : وقد خلّفتُ عليكم مَنْ يرعاكم بعد خالقكم ولدي الطاهر المطهر موسى ابن جعفر ، فاسمعوا له وأطيعوا ، ولا تخالفوا له قولاً ، ولا تعصوا له أمراً ، وخوضوا دونه الحتوف ، وعانقوا لأجله السيوف ، فإنه خليفتي عليكم ، وأنا خليفة الله عليكم ، وإنكم لا تزالون بخير وعلى خير ما أطعتموه واتبعتموه . ثم التفت إليه وقال : يا بُنَيَّ هؤلاء قوة ساعدك ، فاستعن بهم على شدائدك ، واعظف عليهم فإنهم لِحُمَتِكَ ، وارب عدوك بمن شئت منهم فإنهم كُنَانَتِكَ ، وأحسن فيهم فإنهم منك وأنت منهم ، ولا تتمسك فيما في يديك من أثاث الدنيا الفانية عنهم ، فأَنْ ما أعطيته لك ، وما أمسكته عليك ، ولا تحملهم

على رقاب الناس فتزل قدم كما زلت بمن قبلك ، ولكن أمزج لهم رخاءً بشدة ، وشدة بعفة ، وعفةً بغنى ، وغنى بزهد ، وزهداً بصبر ، وصبراً بفقر .

ولم يزل يقول لهم : ولا ولا ، حتى ضعف عن الكلام فقال : اخرجوا عني وادخلوا عليّ بعد ساعة . وجعل يتلو الكتاب العزيز حتى ضعف نفسه ، وفارقتة نفسه ، فهو عمود الدين ، وطمست آيات الكتاب المستبين ، وكثر الصراخ والهلع ، وكادت السماء أن تقع .

فلما فرغوا من تجهيزه ودفنه في مدرسته رجعوا إلى داره الكبيرة فوضعوا الرؤوس بين الركب ، وأطالوا النشيج والبكاء هنالك ولا عجب ، لأنهم عيال على مكارمه الجزيلة ، فكأنما فقد كل واحد منهم أباه البرّ وكفيله ، وأنشد كل منهم لعظم ما داه من المصاب ، وقد سقته أكف الرزايا كؤوس الخنظل والصاب :

ظننا الذي نادى محققاً بموته	لعظم الذي أنجى من الرزء كاذبا
وخلنا الصباح الطلق ليلاً وإنما	خبطنا حذاريا من الحزن كاربا
وما ذهبت نفس تصفت من القذى	ولكنما الأسلام أدبر ذاهبا
ولما أبى إلا التحمل رأيها	منحناء أعناق الكرام ركائبها
يسير به النعش الأغر وحوله	أباعد راحوا للمصاب أقاربها
عليه حفيف للملائك أقبلت	تساير نعشاً زاحم العرش جانبها
تخال لفيف الناس حول ضريحه	خليط (قطا) وافى الشريعة هاربها
إذا ما امتروا سحب الدموع تفرعت	فروع البكا عن بارق الحزن لاهبا
فمن ذا لفصل القول يسطع نوره	إذا نحن ناولنا الألد المناوبا
ومن ذا ربيع المسلمين يقوئهم	إذا الناس شاموها بروقاً كواذبا
فيا لهف قلب الدين بعد (عميده)	وفارسه الدقاع عنه النوائبا
وكان عظيماً يطرق الجمع دونه	ويعنونه رب الكتائب هائبها
وذا مقول غضب الغرارين صارم	يروح به عن حومة الدين ضاربها
لئن أفلت شمس الهدى فيه عنهم	فقد أعقبت بدرأ لها وكواكبا

فقامت نواعي الهدى تنعاه ونواديه ، والنوح يجاذبها وتجاذبه ، فقال السيد إبراهيم البغدادى راثياً له ومعزياً ولده ، ومؤرخاً عام وفاته :

والأرضُ ترجفُ والجبالُ تُسيّرُ  
 نيرانٌ وجد لم تزلُ تتسعرُ  
 كسراً وأن طال المدى لا يجبرُ  
 و(الشيخ) والخبرُ المحققُ (جعفر)<sup>(١)</sup>  
 كانت بطلعته السنية تزهرُ  
 بالأمس أصبح وهو أشعثُ أغبرُ  
 منه الفروعُ وطاب منه العنصرُ  
 وعلى المحامد من تعودُ يشكرُ  
 راجيه إلا أب وهو مظفرُ  
 لكن على الأعداء موتُ أحمرُ  
 ما حاز كسرى مثلهن وقيصرُ  
 كانت بحسن الذكر فيه تعمرُ  
 من للأمور المصعبات يُدبرُ  
 تعيا عُقولُ ذوي العقول وتقصُرُ  
 أرحام من يرعى الذمام ويخفرُ  
 إن عن فخر في البرية نفخرُ  
 عنا أبو (موسى) الهمامُ القسورُ  
 أن الميأه بغسله تتطهرُ  
 أن الحنوط بنشره يتعطرُ  
 أن المفاخر والمكارم تُقبرُ  
 فلديه كل مصيبة تُستصغرُ  
 كادت لها شمس الضحى تتكورُ  
 لو كان يُجدي الواجدين تحسرُ  
 قد صيد من آجامهن غضنفرُ  
 أم المعالي حاسراً تحسرُ

خطبُ تكادُ له السما تتفطرُ  
 ومصيبة أذكتُ بكل حُشاشة  
 ورزية كسرت قلوب أولي النهى  
 اليوم مات (المرتضى) علم الهدى  
 اليوم أظلمت المشاهد بعد أن  
 اليوم وجه الكون بعد بهائه  
 ذهب الكريم الأريحي ومن زكت  
 شكرت عوائد بره كل الوري  
 ما أمه طلب اغتنام نواله  
 كلتا يديه حياة أبناء الرجا  
 بأبي أبي (موسى) أخا الهمم التي  
 من للمساجد والمحاريب التي  
 من للقضايا المشكلات يحلها  
 من للعويصات التي عن كنهها  
 من يكنف الأيتام من يتفقد الـ  
 فيمن وقد أودى الزمان وقد نأى  
 وبمن نصول على الزمان وقد نأى  
 ضل الألى قد غسلوه أما دروا  
 وغوى الألى قد حنطوه أما دروا  
 ما خلت قبل حلوله في رمسه  
 الله أكبر ما أجل مصابه  
 لله داجية من الأرزاء قد  
 ضاعفت من وجدي عليه تحسري  
 وأكلفتاه على شبول كربة  
 وأحسرتاه لقادح برزت له

(١) على هذا البيت علق المؤلف بقوله: «لا تفعل عن حسنه».

ما عذُرُ عيني بعد عينك (جعفرًا)      لو أنّها ترقى ولا تتفجرُ  
ومن العجائب أن يُسمّى (جعفرًا)      من مدّ بحرَ يمينه لا يجزُرُ  
أبنيه لا تأسوا على ما نابكم      وتحملّوا وتجلّدوا وتصبّروا  
ما مات مَنْ أبقى لنا من بعده      أسدًا تخاف الأسدُ منه وتحدّرُ  
فهو المُقدّم والمُشار إليه والد      حاوي من العرفان ما لا يُنكرُ  
حيّا الحيا أكنافَ ذِيكَ الحمي      حتى يعودَ ثراه وهو مُنورُ  
وقد اقتفاه العلمُ قلتُ مؤرخاً      (العلمُ ماتَ بيومَ فقدك جعفرًا)<sup>(١)</sup>

وهذا شعر عالم كما تراه . وقد التزمنا هنا ألاّ نأتي إلّا بمراثي العلماء للشيخ الكبير لأنّه أوقع ، وللعُدو أقمع ، إذ لا مزية بقول الشعراء ، فإنهم في كلّ واحدٍ يهيمنون .

فممن رثاه من العلماء الشيخ حمود بن الشيخ إسماعيل<sup>(٢)</sup> رحمهما الله وكانا من العلماء المبرزين في النجف وبيتهم من البيوت القديمة ، ويعرفون الآن ببيت الظالمى . والشيخ حمود هذا هو جد الشيخ جعفر الظالمى المتوفى في هذه الأيام<sup>(٣)</sup> ، وكان من ظرفاء المؤمنين ، رحمه الله وإياهم أجمعين .

قال الشيخ حمود يرثي شيخه الأكبر ، ويعزّي ولده الشيخ موسى ويمدح الشاه زاده مُحَمَّد علي مرزة لما أظهر من الاعتناء والاحترام للشيخ موسى رحمه الله ، ويعرّض بحسّاده والباغين عليه ، من قتلهم الله أخيراً على يديه :

لم يشجني ذكرُ جيرانِ بذي سَلَم      ولا جرى مدمعي شوقاً إلى أضْمِ  
ولا تجددَ لي وجدٌ بغانية      فبتُ أشكو أوامَ القلبِ من أَلَمِ  
ولا سألتُ الحيا سقي الربوع ولا      طربتُ شوقاً لذكرِ البان والعلمِ  
بلْ رُبُّ ناشدة الأترابِ من وله      لما رأتُ أدْمعي ممزوجةً بدمي  
قد كنتُ أعهدُهُ والدهرُ ذو غيرِ      يُنابذُ الدهرُ لم يخضعُ ولم يُضْمِ

(١) حساب الجمل يساوي (١٢٢٧هـ) .

(٢) الشيخ حمود بن الشيخ إسماعيل الظالمى اختصّ بملازمة شيخه كاشف الغطاء هو ، وأبناؤه . وهو جد أسرة آل الظالمى المعروفة بالنجف .

(٣) أي سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، لأن المؤلف بدأ بكتابة هذه الصفحات منتصف شبّان عام ١٣١٤هـ ، وانتهى منها في العاشر من شهر رمضان من العام نفسه .

لم تدر ما حلّ بالأسلام من خلل  
أودتْ بأمنع ماضي العزم ذي همم  
بجَدّه كان جدُّ الدين في صُعد  
ساسَ الأقاليم بالنطق الحكيم كما  
فراض معتاصها منه بقاحمة  
كانت ضغائنُ أهل الحقّ كامنة  
حتى قضى لا قضى فانهار كيدهم  
كذلك يوم قضى فيه النبيُّ بدتْ  
ضاهي النبين في علم وفي خلق  
ما مُيِّز الأنبياء الرُّسلُ عنه سوى  
لو أنَّ في الأُمِّ الماضي مـولـدُهُ  
تحيّرتْ فكرتي فيما يليقُ به  
أتى يفي بعُلاه واصفٌ ندس<sup>(١)</sup>  
كسأنَّ في العالم العلويّ نشأتهُ  
يا وحشةُ الدين والدنيا لغيبته  
لولا التعلُّلُ بالأمجاد عُثِرَتْهُ الـ  
لفارقتنا لعظم الرُزء أنفسنا  
كم أنقذوا الناسَ من ويل ومن حَرَب<sup>(٢)</sup>  
يقودهم للعلی حامي الحقيقة من  
موسى بن جعفر قل ما شئت من شرف  
أبا المكارم صبراً فهو أجمل بالـ  
إن رَوَّعتْ منك قلبَ الدين نائبةُ  
لأنّ أكرم من أن تُلف مضطهداً  
وكيف تخشى صُروف الدهر والملك الـ

باد وما صبَّت الأيام من نِقَم  
جلَّتْ عن الوصف والأحصاء بالكلم  
واليوم لما تولّى بالحضيض رُمي  
كان النبيُّ يسوسُ الناسَ بالحكم  
للجود أغنت من الفرسان والبهم  
وكاد منهنَّ أن يقضوا بغيضهم  
كالوَبَل غطى ذرى الأطواد والأكم  
أحقاد قوم وكانت في صدورهم  
وفي بلاء وفي عزم وفي همم  
هبوط وحي أتى من بارئ النسم  
لاختاره الله مبعوثاً إلى الأُم  
وكلُّ حيّاك نظم فيه منتظم  
والعقل عن وصفه فيما يليق عمي  
أو كان ذا عصمة حلّت بمعتصم  
يود أهلوهما لو يُفتدى بهم  
أطهار أهل الهدى مستودع الحكم  
وأسرعتْ للفنا شوقاً إلى العدم  
وأولوا البرّ من باد ومكتّم  
جلّتْ مزاياه أن يُخصّصَ بالقلم  
واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم  
حُرّ الكرم قضاء العزّ والكرم  
أودتْ بحدّ شباها كلُّ مُضطلم  
مما عرا من وقوع الحادث العمم  
منصور أولاك وداً غير مُنصرم

(١) الندس : كثير الفهم .

(٢) الحَرَب : السلب .

تاجُ السلاطين قطبُ الدين ناصرهُ  
(الشاه زاده) مَنْ ذَلْتُ لسطوتهِ  
المالكُ الأُم ابنُ المالكِ بنِ الما  
كم قَلْتُ للدهر هل أنجبتَ مثلهمُ  
همُ همُّوا فوقَ مَنْ تحتَ السما شرفاً  
ما (قيصرُ) الروم أو (سيف ابن ذي يزن)  
لو أنَّ (كسرى أنوشروان) شاهدَهُ  
خُذْها محبَّرةً تختالُ في مرج  
سمت بمدحكمُ هامَ السما شرفاً  
فلا برحتُ بأهلِ الدين في شغفٍ  
وهو وإن أجاد ما شاء إلا أن شعره شاهد على علمه بالقاعدة الأغلبية .

ثم جعلت الشعراء تسلي الناس عن كفيها وأبيها ، بمثل موسى بن جعفر فيها ، وأنه إن ذهب أصل العلم وفصله ، فهذا ثمره وأثله ، وإن غابت شمس الهدى ، فدونكم البدور ، وإن نضب (جعفر) الفضل والندى ، فبين أيديكم البحور . فمن ضرب في ذلك الأمثال ، فأجاد فيما قال ، الشيخ حسن قفطان ، وهو من العلماء الأعيان ، من قصيدة طويلة ، منها :

فَقَدْنَا جَعْفراً والعلمَ حتى  
تري الصيدَ الكرام أولي المعالي  
تري بحلومهم لولا التسلي  
هنيئاً للذي حاز اعتقاداً  
كموسى بعد جعفر إذ تولى  
به دين الأله سما وطالا

وقال المرحوم السيد علي أمين العاملي راثياً شيخه وأستاذه المرحوم الشيخ (قده) :

أَتَطْلُبُ دنيا بعد فقدك (جعفرا)  
وتركنُ للدهر الخوون سفاهةً  
وترغبُ في الدنيا وتعلمُ حالها  
وتعذلُّني صحبي عن الوجد والبكا  
وتطمع فيها أن تكونَ مُعمراً  
وتغفلُ عما كنتَ تسمعُ أو تری  
وتزهدُ في أخراك سرّاً ومجهرًا  
وتعجب من مُحَمَّرٍ دمعي إذا جرى

وأصبح رُكنُ الدينِ منقسمُ العُرى  
 ووجهَ الندى من بعده قد تقفرا  
 ويسراً لمن قد كان في الناس مُعسراً  
 لكانت لنا شمساً من الناس أنورا  
 جميعاً وكلُّ الصيد في جانب الفِرا  
 هو البحرُ إلا أنه ما تكدرأ  
 هو الليثُ إلا أنه ليس أبخرا  
 هو الغيثُ إلا أنه العلمُ أمطرا  
 (عليّ) فيا لله من فادح عرى  
 فهلاً فديناهُ وكان المَعمرأ  
 أبى الله يوماً أن يكون مؤخرأ  
 وواً أسفاً للدر يغرب في الثرى  
 وروى ثراه زائحاً ومبكرأ  
 أفاض من العلم الألهي أبخرا  
 فيا لك بحرأ في العلوم وجعفرأ  
 بحور هدى من جانب الله في الورى

ألم تدر أن العلم مات بموته  
 وأن سنامَ المجد جُب لفقده  
 فتى كان عزاً للذليل وناصراً  
 له الشيم الغر التي لو تجسمت  
 وإن عُذَّ أهل الفضل كان إمامهم  
 هو الدهر إلا أنه غير خائن  
 هو الشمس لم تُكسف هو البدر لم يغب  
 هو الدين والدنيا ، هو العلم والتقى  
 فقدناه فقدان (النبي) وصنوه  
 فقدناه فقدان الوليد كفيله  
 ولكنه قد فاز بالسبق دوننا  
 فوا عجباً للبحر يحويه قبره  
 سقى هذه صوب من العهد هاطل  
 ولما مضى للخلد (جعفر) قاضياً  
 و(موسى) هو العلم المحيط بعلمه  
 حسودهم خفض عليك فأنهم

### (بند) للشيخ علي الطباخ الحلي<sup>(١)</sup>

ولنختم هذا المقام إذ لا تستطيع إستيفاء جميع ما قيل فيه من الأقلام ، بمكتوب كتبه  
 الشيخ علي من علماء الحلة إلى الشيخ موسى يتضمن (بنداً) يعزّيه فيه بأبيه وهو لطيف في  
 بابه . قال الشيخ علي ويلقب بالطباخ :

حنانك أقم صدر القلاص اليعملات الشعشعانات ، العياهم الخيسات ، الشغاميم  
 السديسات ، الهجان الشدقميات ، المهاري الشذنيات ، الحفاف الأرحبيات ، المراسيل  
 الشمالات ، التي تقصر عنها كل فتلاء أمون تشرب الخمس كهاة عيسجور ناعج عيرانة

(١) إستخدم الشيخ علي الطباخ في هذا (البند) بعض الكلمات المندثرة في وصف سير الأبل ، وغيرها مما حدا  
 بالمؤلف أن يُعلق على هذا (المكتوب) بقوله : ويصلح أن يُسمى «الذروق في أسماء النوق»!!



جلس ذمول جسرة خرق دلائل سلعد حرف دفاق أجدناب سناد عنتريس عرمس زبافة  
وجناء تطوي نشر تبار الفلا طياً بضبعيها أمام الركب ، تسري كهبوب الريح لو هب ، منى  
قلدتها كل بنان موحش من كل تيهاء أتت كالبرق في طرفة عين صحصحاً يمت ساحت  
مراميه كما شئت ، وأدركت قصارى غاية القصد كما كنت ، تأملت تراها ، كلما طال  
سراها ، تسرع الخطو بمسراها ، متى فيها حدا الحادي انبرت ترقل أغذاذاً وإيجافاً ولا تعلم أين  
الآين مثواه ، وإن شطت مداياه ، ولولوث خممار ، وتجمّل وتحمل من أخ الوجد ، قتيل الهجر  
والصد ، حليف السقم والسهد ، أليف الحزن والجهد ، كتاباً بشؤون الدمع ممدوداً ، وبالأوجال  
والأوجاع معقوداً ، بدت من نشر أنحاء طواياه الكتابات ، ولاحت من مثانيه أمارات  
الصّبابات ، بأقلام الأسى حرره العاني الكتيب المدنف المغرم ، من في قلبه المقرح نيران  
مصاب جلل تُضرم ، قد أسلمه صرف زمان السوء للأحزان والأهوال والأشجان ، قد واصله  
الضر ، وقد فارقه الصب ، يقاسي كربات بعضها يذبّل في أوصابها (يذبّل) لو ساور منها  
النز أركان (ثبير) هذ منه الركن وجداً وتداعى حيث إذ وفقت للخير وما مسك من ضمير ،  
إذا أدلجت في السير ، وقد جبت تنوف البيد تهجيراً وتأوياً على أسنمة العيس القناعيس ،  
وقد أرقلتها من دون تعريس ، وأوضعت القلاص الشدنيات المهارى ، في حثيث السير ليلاً  
ونهاراً ، ثم إن عجت وعرجت وقد بلغك الله إلى حيث تنقلت ، وقد شارفت أعلام (غري)  
النجف الأشرف حاوي روضة القدس التي شرفها الله على كل شريف فغدت مثوى لمولى  
الثقلين (المرتضى) الكرار صنو (المصطفى) الهادي الذي قد نور الدين عليه بعد خير الخلق  
(طه) صلواتي وسلامي أبد الدهر . ألا وامن بتبليغ ألوك المستهام المغرم العاني إلى حضرة  
ذي النسك العميد العالم العامل ، من حاز قصارى الفضل في العاجل والأجل ، شمس  
السعد ، بدر المجد ، بحر العلم ، طود الحلم ، ذو القدر الذي صبك علاه هامة النسر ، وقد فاق  
مدى الأيام بالفضل وبالفخر ، وقد شيد دين الله بالتأييد والنصر ، فكان ابن (جلاها) ، بل  
(طلاّع) ثنائها ، تخطى غاية المجد ، فأضحى في الورى كالعلم الفرد ، أخو الاجلال  
والفضل الذي ليس له حد ، وقد جلت مزايا كنه أوصاف معاليه عن العد ، ومن مثل أخي  
الحزن الذي ينسبك (يعقوب) نبي الله تعالى في مثل مصاب شف منه الجسم والضر ،  
الذي فات به (أيوب) لما عزّه السلوان والصبر ، ومنه القلب يطويه على جمر ، يقاسي من  
جوى الثكل كربواً ليس تنفك مدى العمر ، إلى المولى الكريم الشيخ (موسى) علم العصر ،  
الذي عزّ مثلاً شيد الرحمان أركان علاه ، وكفاه كل ضمير ووقاه . ثم إن شرفت في حضرة  
ذاك الأسد الماجد حامي حوزة الشريف الأمثل المولى الذي يأنس في لطافه وحش فلاة  
الأرض فأخضع صاغراً بين يديه ، بعد ما تشني بإكمال التحيات عليه ، شاكرًا لله فيما

كنت أدركت من الزلغى لديه . ثم سلّمه كتابي بعد أن تشرح في حضرته العلياء أحوال اكتسابي ، ثم قلّ يا عيّبة العلم ، وطود الفضل والحلم ، لقد خلّفت مُضْنَى شَفَه السقم ، يقاسي ما يقاسيه ، لداء عزّ أسيه ، لرزء نابكم في (الشيخ) والكهفي على الشيخ الأجلّ الأكرم المولى الذي فاقت مقامات علاه ذروة النجم ، بلا ريب ولا رجم . لعمرى كان للاسلام ركناً ، ولأهل الدين والأيمان حصناً ، وربيعاً مُمرِعاً يمرّ فيه كلّ أن ركب راجية ، متى ما أمّه ركب ، نبي الأمال قد أدرك ما أمل من فيض أياده ، التي تخجل في وكافها وبّل الحيا المنهل إذ عمّت هواميه ، فمن ذا بعده يصلح ما أفسده الدهر ، ومن يجبر منّا بعده الكسر ، ومن ترجو إذا اشتدّ بنا الأمر ، وقد كان لنا كهفاً يقينا صرف دهر خاننا فيه ، إلى من بعده نفرغ من عظم تحافيه ، فيا عظم ربي الله فيه لكم الأجر ، ويا ألبسكم أردية الصبر ، وأنّ الصبر في الجلى حميد ، وأخو السلوان في ذاك مجيد ، وأبوكم رحمة الله عليه ، سبق بالغفران والعفو إليه ، عاش والله حميداً ، ولقد مات سعيداً وفقيداً ، جاور الرحمان في جناته الخلد ، ولقد أدرك ما يرجو لديه حسب القصد ، وقد أخدمه الولدان والخور ، فأمسى وهو مغبوط ومسرور . فسبحان الذي قد خلق الخلق وأحيّاها ، إلى أن بلغت آجالها ثم توفّاها . وهل يبقى ابن أنثى خالداً في دار دنياه ، وأنّى وهو مرمي ليس ينفك إلى سهم منياه ، ومن تُحبى له الأثأر ما مات ، ومن أنتم له (الأولاد) ما فات ، فيا طاب ثرى مثوى جوى ذاك الجناب الأقدس النفس ، بلّ كيف توارى فيه ذاك الشرف السامي الذي نيّط به ، ولم يبلغ مداه الشمس والبدر ، حوى بحراً من العلم ، وطوداً شامخاً للفضل والحلم ، ولو كنتم علمتم ما أقاسيه لداء عزّ أسيه ، لفقد (الشيخ) يا طاب ثراه لبكيتم رحمة لي ولما قدّ مسّني فيه ، عليه رحمة الله تعالى وعلى الباقيين من أبنائه الغرّ سلامي ، وعلى سائر من حلّ بناديهم من الأخوان في الدين الألى فاقوا بني الأفاق عزاً وجلالاً .

### يتيمة الدهر في ذكر علماء العصر

ثم إن الله عزّ وجلّ بعدما ساق إلى التوفيق في جمع هذه الوريقات ، وانتهى بنا الكلام ، إلى قريب الفراغ من المرام ، والعزم على الختام ، بعث إليّ على يد الوالد الماجد (دام ظلّه) نسخة كتاب ، لا بلّ قلادة كعاب ، وأوراق مجموعة ، لا بلّ لثالى مصنوعة ، تتضمن ذكر أحوال مشايخنا الكرام ، مع بعض معاصريهم من الأعلام ، في مجلدين جيدين ، وهما بخط مصنفهما السيد الذي أصبح كلّ كامل مسوده ، والمولى الذي يحق لأولي الفضل والفضائل أن تمشي كسائر الأنام عبيده ، سيدنا ومولانا أبو المحاسن السيد مُحَمَّد علي بن

السيد أبي الحسن العاملي<sup>(١)</sup> الذي هو أخ السيد الصدر العلامة المشهور ، صهر الشيخ الكبير . وستأتي بعض ترجمته ، تغمدهم الله جميعاً بواسع رحمته .

وكان السيد مُحَمَّد علي هذا من أولي الفضل الذي لا يحد ، والكمال الذي لا يعد ، وكان يعد في حلبة الشعراء السابقين في عصره ، إلا أنه من الكثيرين غاية الأكتاف في شعره . فلهذا كان شعره يشتمل على الغث والسمين ، والركيك والمتين ، وكان من الملازمين لمن عاصره من مشايخنا الكرام ، متصلاً بهم ولا اتصال الأرحام ، خصوصاً لجدهنا الأكرم الشيخ مُحَمَّد رضا<sup>(٢)</sup> المعظم ، مخلصاً له غاية الأخلاص والارادة ، وله فيه مدائح كثيرة تجاوزت العادة . على أنه لم يدرك تمام أيام الشيخ المزبور ، بل توفي هو قبل الشيخ بأعوام وشهور ، كما ستعرف في ترجمة الشيخ (وه) . قد سمي كتابه هذا بـ «يتيمة الدهر في ذكر علماء العصر» ، وهو على نسق يتيمة الثعالبي ، ولو أن السيد سمّاه «يتيمة الدهر» لخلص من وصمة السرقة .

فلما نضرته على سبيل الأجمال ، وتصفحت منه بعض التراجم والأحوال ، أخذ بمجامع لبي ، ووقع بمكان من الاستحسان في قلبي ، فعزمت من حينئذ على رفض ما أنا مشغول بتأليفه وجمعه ، وحزمت في نفسي على (خفض) ما (نصبت) مدة في تشييده ورفع . وقلت جزى الوادي وعب البحر ، فطم على القرى وعف النهر .

ثم لما أجلت نظري فيه مرة أخرى ، أبدت عين التأمل والتحقيق أنه (بالرفض) أخرى ، فهو وإن أجاد فيما أفاد من تحريره وتعبيره ، وأحسن وأزاد في بيان المراد بنشره وتعبيره ، حتى رجع وهو السباق في هذا الرهان ، وعجز عن لحاقه فرسان ذاك الميدان ، وقد شرطنا أولاً أن نعطي كل ذي حق حقه بما هو فيه ، ولا نزيد ولا ننقص شيئاً من محاسنه أو مساويه ، فتلك الخصلة التي كان يفاضل السيد بها ، ويفوق على من عدها فيها . ولكنه يكون مفضولاً بخصال توجب النقص فيه ، وتكثر تعداد مساويه ، وهي عدة أمور :

منها : أنه يغرق في الثناء على الشخص الذي يذكره حتى يملّ التالي من تلاوته ، ويعجز لسانه عند قراءته ، فلا تحسبه إلا ديباجة مراسلة ، أو صدر مكتوب لواصلة .

ومنها : أنه مع هذا الأغراق والتطويل لا يذكر فيها ولادة من يترجمه ولا ما قال الشعر ولا ما قيل فيه سوى ما قاله هو فيمن عاصره ، ولا تاريخ وفاته ، ولا مدة عمره ، ولا تعداد

(١) السيد مُحَمَّد علي شرف الدين العاملي توفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عن اثنين وأربعين عاماً . ووالده السيد أبو الحسن العاملي المتوفى سنة ١٢٧٥هـ / ١٨٥٩م أخ السيد صدر الدين العاملي .

(٢) توفي الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى كاشف الغطاء سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م .

مصنفاته ، ولا بعض حكاياته أو كراماته أو تلاميذه أو أساتيده أو شيئاً من أحواله إلا بعض الأشارات الأجمالية ، في فقرات جزئية ، عن وقائع كلية ، فلا تفيد الناصر فيها إلا حيرةً وتيهاً .

ومنها : أنه رُبّما كرر الترجمة ، فذكر ترجمة شخص في ترجمة شخص آخر بعينها ، وينشأ من هاهنا ما يكمل هذه النقيصة وهي أنه لا يفاوت في الثناء على حسب مراتب العلماء ، فربما ساوى بين أجْلهم وأقلهم ، وأثنى على بعضهم بأزيد مما يثني به على أكملهم ، فلا يعرف لكل فاضل صفاته الجميلة ، ولا يعطيه بالنسبة إلى غيره ما ينبغي له . وهذه عندي ولا غضاضة فيها وعلى غيرى أعظم المعائب وأجلّها ، (ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها) .

ومنها : أنه غير منوط في ترتيبه برابطة ، ولا مغبوط بضابطة ، فلم يرتبه على حروف (الهجاء) كما هو شأن المؤرخين غالباً ، ولا على (الطبقات) كما صنعناه ، ولا على (الطوائف) كما صنعه بعض المعاصرين ، ولا على حسب (الزمان) من عصره فما فوق أو العكس ، بل افتتح كتابه بترجمة الشيخ مرتضى<sup>(١)</sup> ، ثم ذكر بعده أولاد الشيخ علي كالشيخ مهدي ، والشيخ جعفر ، والشيخ مُحَمَّد ، ثم بعدهم الشيخ الكبير (ره) ، وبعده أولاده ، من الصغير إلى فوق آخرهم الشيخ موسى . ثم بعده العلماء المتفرقون والمتقدمون كصاحب الرياض وأقرانه ، والمتأخرون كالأيرواني وأقرانه المعاصرون له ، وجعل بعض المتقدمين مع بعض المتأخرين . وهكذا عن غير ترتيب ونظام ، وهذه الأمور توجب تشويش الناظر فيه وملله منه ، وأظن ظناً قوياً أنه المسودة وأنه لم يخرج بعد إلى المبيضة ، والله أعلم .

فعنَّ عزُّمنا الأول بحاله علينا ، وعدنا على ما كنا عليه وقلنا هذه بضاعتنا ردت إلينا ، وسألنا الله تعالى أن يوفقنا للأتمام ، ويعصمنا من خطئ الرأي وخطأ الأقلام . ووقع الرأي أن نعقب ترجمة كلِّ واحد من مشايخنا بما ذكره السيد (ره) بكتابه هذا في خصوص ذلك الشخص بعينه وأن ننقل عين عبارته في كتابنا هذا بلا زيادة ولا نقيصة سوى ما يكرره من الفقرات التي يذكرها في الثناء فأننا نسقطها خوف الأطالة بما لا ثمرة فيه . فمن ذلك بعض الفصول التي يعبر عنها بالحديثيات . وذلك أنَّ له في الثناء على العلماء طريقاً جديداً ،

(١) هو الشيخ مرتضى الأنصاري الفقيه الشهير المولود سنة ١٢١٤هـ / ١٧٩٩م ، والمتوفى سنة ١٢٨١هـ / ١٨٦٤م . ومن طريق ما نُقل أنَّ السيد محمد علي العاملي عرض كتابه «يتيمة الدهر» على استاذة الشيخ الأنصاري فأراد الاستاذ مداعبته فكتب على غلافه هذا البيت البيتيم :  
 إن كنت ضيِّعتُ عُمرًا في كتابته فلا أضَيِّعُ عُمرًا في قراءته  
 حيث جرت العادة أنَّ الأنشغال بغير علمي الفقه والأصول من العلوم الأخرى مضیعةٌ للعُمر .

ونهجاً حديثاً وهو أنه بعد أن يثني على ذي الترجمة بأنه العالم الفاضل (الكذا) (الكذا) إلى آخر الخصال الجميلة يقول: وتام الكلام فيه يقع في حيثيات، الحيثية الأولى: أنه عالم فاضل (كذا) و(كذا) فيعيد ما ذكره في صدر الترجمة بالألفاظ عينها أو مضامينها، فلا ترى في تمام الحيثيات العشرة أو العشرين مثلاً إلا اثنين أو ثلاث فيها ما ليس في الأول. ولعلنا نذكر لك بعض التراجم بحالها لترى صدق ما نقول.

وكنا نظن قبل الاطلاع عليه أنه يزيح عنا كثيراً مما نحن في حيرة منه من الأمور التي خفيت عنا لبعد العهد وأنه يذكرها لقرب عهده من مشايخنا وعلمه بأحوالهم، فإذا ليس فيها شيء مما كنا نرجوه سوى الإشارة إلى بعض الأمور المشهورة. وعلى كل حال فجزاه الله عنا أحسن الجزاء، وأوفره العطاء، ونحن لا ننكر فضله وكماله ونعطيه حقه من الشرف والفضائل كما له. ونحن نذكر الآن بعون الله ترجمته للشيخ على مقتضى ترتيبنا والله الهادي للصواب.

قال (رحمه الله) وقد أجاد في ترجمة الشيخ وأولاده، وأشار إلى أغلب وقائعهم بعبارات وجيزة. وكانت عادته أن يفتح ترجمة كل واحد من يترجمه حتى الطلبة الأصاغر بقوله هذا: ونحمدك اللهم يا من تفضل علينا بالعلامة الأكبر، والأمام البر، شيخ المشايخ (جعفر)، مَنْ كان في عصره سلطان العلماء، وخاقان الفضلاء، وسراج الأولياء، وعميد الأتقياء، كهف الأيتام والأرامل، ملجأ الغني والسائل، بحر علم ماله ساحل، غيث فضائل وفواضل، رئيساً في الأمة، نائباً عن الأئمة، فريداً في الحكم والحكمة، متصبداً لدفع كل ملمة، حاكياً بالفضل في العلوم، فضل البدر على النجوم، وحيداً في الزمن، عابداً لله في السر والعلن، معروفاً في سائر الملل، مجيباً من سأل قبل أن يسأل، حليماً أوامه، خشناً في ذات الله، خبيراً بالعلم من المبدأ إلى الغاية، واقفاً على باديه وخافيه من البداية إلى النهاية، مرجعاً في الاسلام، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر بين الأنام، طوعه العلماء والكبراء، والأعلام الشرفاء، والحكام والأمراء، إماماً في البدو والحضر، مطاعاً ما نهى وما أمر، بعيد الجولة، عظيم الصولة، بحر زخاراً بالفضائل، مواجاً بالفواضل، به من نفسه على فضله دلائل، كان منية القصد، مقتدى العباد، معروفاً بالتقوى والفضل في كل بلاد، لا يستطيع الناظر ما رآه، أن يحقق معناه، لعظيم هيئته، ومزيد سطوته وسلطنته، جاز ذرى (العيوق) رفيع مكانه، وطال السبع الملوك بعظيم سلطانه، لا يناط غيره به بمشاكلة، ولا يقاس بمماثلة، ولا يُجارى في ميدان مجادلة، ومجال مناظرة، كان في عصر العلامة الأفضل، والأمام المفضل، والفهامة الأمل، ومن عليه المدار في العلم والعمل،

كان كعبةً للوفد ، سحابةً للرفد ، جوهر علم فرد ، يتحلّى بمفخره جيد المفاخر ، وتزهو بكوكب عنصره كواكب العناصر ، مأوى الناس شرقاً وغرباً ، محطّ ركب كلّ ذي كرب ، له العلوم خير بضاعة وكسب ، والمواظبة على الطاعات دأب ، ما أمّ مشكلة إلاّ وجلّى ديجورها ، ولا معظلة إلاّ وأبان مستورها ، جدّ في طلب العلم حتى ذوت قواه ، ونال الغاية القصوى بتقواه ، كشف العلوم بكشف (غطائه) ، وطوّق أجياد العفاة ببرّه وعطائه ، كانت الأيام أعياداً بوجوده ، وكان رياض الكرام تزهو بجوده ، كان مولى والأنام له عبيد ، وجواداً تقلّد في جوده كلّ جيد ، وأباً لبني العلياء من والد ووليد ، كان ذا مرايع بها مدير الكائنات بها يدير ، وذا معال بها طرف المعالي قدير ، كان له من الفتيا عرشها والسريير ، كان تتخضع الأسد لسلطوته ، والعلماء لسلطنته ، والأمراء والوزراء لرفعته ، كان الكبير في الرؤساء لديه صغير ، والعظيم في الدنيا حقير ، الحقير في الدين عظيم ، والصغير به كبير ، كم ألان قلب الجلمود ، في استجداء الجود لعفاة الوجود ، عالم آفاق العلماء بنعت غير معدود ، وفاضل لغيره حديث الفضل غير مردود ، طأطأت له الملوك والأشراف ، ولم يزل يمدّهم بالاسعاف ، كان معدن الحلم ، مصدر العلم ، ربّ الاصدار والايارد ، رئيس الكل في الكل ، واحد الأحاد ، كلّ يوم أياديه في تجديد ، وبه للورى غدا للدهر عيد ، نُشِرت له الراية البيضاء في الملل ، بأبلاغه كلّ أمل ما أمل ، صحّ عنه حديث العلم في جميع الأعصار والأمصار ، واشتهر بذلك اشتها الشمس في رابعة النهار ، وغدا بكل الأخبار ذا اختيار ، وأبدى لأهل البيت دارس الآثار ، وأوضح شبه المشكلات من الأخبار ، وجلّى ما على الدين من قتام وغبار . وكم حلّ بدين النبي بنوداً أبت الحل في بني الأمصار ، برموز غوامض الأسرار ، وأبان خفياه بكشف الغطاء والأستار ، وكم أسس أصلاً في قضايا الفروع أنتاج منها الحكم في بديع اختصار ، فلم تنج من فضله أنجاد ولا أغوار ، وكان لرحى الكون قطب مدار ، وعليه في المشكلات المدار ، كانت السبعة الأقاليم شاخصة إليه الأبصار ، راقية إليه ابتهاجاً بأعين الأفكار ، ولقد تحجب بهيبته عن أعين النظّار . وكان الهادي إلى سبيل الهدى جملة من الكثر ، والمنادي لجهاد الأعداء في حربهم بالبدار ، فكم من دم أراق لمعشر فجّار ، وكان طمعاً بدار القرار ، يسبّح الله في الأصال والأبكار ، ويتضرّع في أنات الأسفار ، وكانت هي أوقات تأليفه وتصنيفه لصفاء الأفكار ، وكان يتنفّل ويبتهل بها للواحد القهار . وكان ذا يراع لا يُشّاب بالأنكار ، يأتي من المعاني بالغواني الأبكار ، ومن جواهر الكلم بما يسمو النجوم في الأزهار ، بهن وحّد موجد الممكنات والأقدار ، وله الملائكة أعوان وأنصار ، وكم سطا على الكفار بفيلق جرّار ، وأذن لحربتهم بالبدار ، مرة وتكرار ، فألقاهم بالذلة والأنكسار ، والحنة والاحتقار ، فأدنى أولي الأقرار ، وعمّهم بحر جوده الزخار . وكم أقال لهم من عثار ،

وأبعد أولي الأستمرار في الإنكار ، إلى أقصى الديار ، بعدما أسقطهم عن ذروة الاعتبار ، ولم يذر منهم في مراع المسلمين ديار ، وكم بالصّارم البتار ، والقنا الخطار ، غادر جموعهم بدداً في القيافي والقفار ، وأعانه بيوم حربه حامي الجار ، غداة توجه إلى النجف (صفوق) وحاصر أهلها ، وقابله الشيخ الموما إليه بما ليس له في العديد من مقدار .

وكم شاد للعلماء من دار ، وكساهم جلابيب عزّة ووقار ، واختلج عنهم أبراد الخزي والعار ، وألبسهم أحسن شعار ، وكان يقضي الليل والنهار بالآذكار ، وكم من جميل باق إلى انقضاء الأعمار .

وكانت ألفاظه تنغرس في القلوب غرس الثمار ، في الأشجار ، فلله مساعيه ، في بادي الأمر وخافيه ، فكم من بيت للمسلمين أنشأ بنيانه ، وتمدّاع شيد أركانه ، وكم من مسلم بغير تأهل أهله ، وكم من أصل في الفروع أصّله ، وكم نهج للمفاخر سنّ بكل فن ، إمام تقيّ نقيّ ورع عابد لودعي ، أزهد ألمعي ، يحيي الدياجي في طاعات ربه ، مكرماً في سلمه وحرّبه ، عريض اصدر مربوع القامة أصبح الوجه أغرّ الجبين إذا سلك في الطريق لا يكاد أجلّ الناس أن يرنو إليه ، وإذا جلس تطرق الملوك الصيد إجلالاً لديه ، وإذا تبسّم زهت المحافل بابتسامه ، وإذا غضب لم تأمن (القروم) شر انتقامه ، وإذا تكلم فكالسيل المنحدر من الآكام والغلل ، بما يشفي العلل ويبل القلل ، وإذا تنحنح تكاد الجدران تهتز لهيبته ، والأرض تميد من خشيته ، وإذا مضى في مقصد لا يردّ من حرّ وعبد ، وإذا طُلب منه أنجز بلا وعد ، لا يعارض في حجة ، ولا ينازع في محجّة ، يثبت ما يبيديه من المقال ، بواضح الاستدلال .

وكان معظماً مبجلاً مكرماً محتشماً ، مهاباً جليلاً في جميع الملل حتى (اليهود) و(النصارى) و(المجوس) فإذا مضى إليهم بأمر ، أو راسلهم به فأثنى لقرومهم أن لا تنجزه . وكم أنتج منهم ، ومن غيرهم نتائجاً لعفاة المسلمين وفقراء المؤمنين .

وكان (ره) كعبة الوفاة ، من كلّ فج وواد ، منية القُصّاد ، عماد كلّ عماد ، بدرأ منيراً للعاكف والباد ، بحر علم ماله من نفاذ ، ذا مناقب لا تحصى بتعداد ، تخطب الناس بإسمه على الأعواد ، في كلّ بلاد ، وكان للمضلين أكرم هاد ، يردّ بحر علمه كلّ صاد ، وتهمي سحب نواله على الناس من غير إبراق وإرعاد . هُمام يرى المعروف ضربة لازب ، لم يعبأ في الله بعتب عائب ، ولم نظفر بفتى أمّه خاب من جدواه خائب ، شامخ المجد في السلاطين ، وأرباب المناصب ، لا خافض لمن هو ناصب ، وكم خفض بعوامل رفعه (النواصب) ، تنحوه الناس بالأحكام الدينية من كلّ جانب .

ولو أحطت خُبراً بما أبداه من العجائب ، يوم أمّ النجف (صفوق) بجيوش ملأت رحب

الفلاة عامداً اغتنام ما حوته حضرة سيّد البريّات ، فنادى الشيخ بالجهاد في الناس فغلّق أبواب النجف وأعدّ لمن فيه الأطعمة والأشربة ، وقام لحرب على ساق الشيخ من داخل ، واللعين من خارج شطراً من الأيام حتى بلغ الحال بالشيخ وصحبه أنهم لا يجدون الطعام ، ولا ما يعينهم على حرب هذه الطغام ، ومذ شاء الله نصره ، وأراد أن يكشف ضرّه ، رنا بطرفه وإذا أبواب الحرم المطهر قد فتحت قهراً ، وأبواب النجف كشفت جبراً ، وإذا بمجاهد مع الأعادي لا يرى غير بارق نصله ، وبرى الهام بحده ، فما انكشفت العبّرة إلّا وبحر دم الأعادي يجري على الصعيد مجرى البحور ، فكان بانكشافهم عن البلاد غاية السرور ، وعلم أن ذيك المجاهد كان حامى الجار ، حيدرة الكرّار (ع) .

وما أبداه من الغرائب مذ أمّه سيد من النجباء شكاه ضراً الفاقة ، والكلفة بما فوق الطاقة ، فارتحل معه إلى دار (يهودي) من ديار بغداد فأناخ ركبه في ربه معلناً أنه قصده يتوقع نفعه ، وأبدى له أنه ضيفه فاستبشر به غاية البشر ومذ رام أن يستعدّ لضيافة الشيخ مع صحبه دعاه الشيخ في زمرة من اليهود فصالحهم عنها بما يكشف ضرّ السيد ، فقبلوا ذلك ودفعوا له خمسة آلاف دينار ، فهل رأيت يهودياً رقى على مسلم بهذا المقدار . ولولا عظمة الشيخ وسلطنته وغرسه في قلوب المواليين والمعادين بتقواه لما وقع له وصدر .

مذ نوى السفر ، إلى بلدان إيران ، سقاها ملكُ العفو والغفران ، وكان فيها الشيخ الرئيس الميرزا المقرب عند الخاقان من كان يزعم أنه في العلوم الأوحّد ، الشهير بالأخباري الميرزا محمّد ، وكان يبغيض علماء الأصول ، وخصوصاً الفقهاء الفحول ، ومذ سمع بقدم الشيخ إلى هاتيك الصفحات ، صار يأمر الناس بعدم الركون له ، وإلغاء قوله وفعله وعدم الاعتناء به حتى غرس في ذهن (المليك) أن هذا العالم القادم متنح عن جادة الله ورسوله ، وتنال أعلى الدرجات بقتله . ولما كان الشيخ خبيراً بذلك ولكنه الجبل لا تحركه العواصف ، ترك صحبه وقت الظهيرة رقاداً وتوجه إلى ملاقة الخاقان ، وقد كمن له في باب (الملك) رصداً مأمورون بقتله . فلما دخل الباب ونادى «يا الله» من صميم قلبه تساقط السلاح من أيدي الرصّاد بغير شعور ، وهوا لتقبيل أيديه وأقدامه ، ولم ينفذوا أمر الخاقان بما أمرهم ، وارتقى الشيخ إلى مجلسه وسلّم بالشرعي عليه . وكان الأخباري جالساً متأدّباً بين يديه ، فتعجب الخاقان من ذلك وأطرق هنيئاً ، وبدأ الشيخ بالكلام في طلب المحاجة مع الأخباري فمن كان على الحق نجا ، ومن كان على الباطل هوى . فدعى الأخباري أن يضرّموا ناراً فيدخل كلّ منهما فيها ؛ فمن كانت برداً وسلاماً عليه فهو مع الحق ، ومن اصطلى بها فهو مع الباطل ، فقال الشيخ : ذاك من مكر أولي السحر ، وسحر أولي المكر ، فلا يصلح لأثبات



المطلوب ، فرام منه الجري في ميادين المسائل ، حيث تبين بها فضيلة أولي الفضائل . فقال له الأخباري : من غير (حكّم) ثالث بيننا لا يمكن ، وهو محال غير ممكن ، أمّا أدنى من الطرفين فلا يقبل منه ، أو مساوٍ فيتهم ، أو أعلى فلا يوجد ، فليس لك إلا أن تختار الخروج والصلاة بالناس جماعة ويأمر كل واحد منا بقتل الآخر فالذي ينقذ أمره الناس محقّ والآخر مبطل . (وقد عرفت أن الأخباري كان مبرزاً في تلك الأطراف) ، فلما كان الغروب برزوا إلى الصحراء وتراكمت الصفوف والألوف ، عقيب الأخباري ، حتى الخاقان ، وبقي الشيخ وحده فنادى «اللّه أكبر» برفيع صوته ، فلما سمعته الناس أوى إليه نصف ممن كان يروم الصلاة خلف الأخباري . ومذ أعادها ثانياً ، وثالثاً لم يبق معه سوى الخاقان بنفسه . فلما فرغ من صلاة المغرب أراد الشيخ أن يأمر الناس بقتل عدوه فأسرع نجل المليك الأكبر إلى أبيه وقال له : لئن أمرنا الشيخ بقتلك فضلاً عن قتله قتلناك . فهناك أمر الملك الأخباري بالركوب على فرسه ، والفرار ليلاً بنفسه ، فامتثل ، وسرى يجده الليل والنهار حتى نزل الكاظمين (عليهما السلام) ، وأقام فيها أحياناً .

وحيث طرقت أسماع الحكام من (الوزير) وأتباعه فعلته مع الشيخ ، وهو عربيّ كيفما يكون محسوباً من رعيّتهم أخذته الغيرة والحمية فجهزوا شزيمة من العسكر فطرقوا الباب عليه فلم يفتحها لهم فارتقوا من السطح المحاذي له وقتلوه ، إلى غير ذلك من عجائبه وقضاياه التي تُفضي إلى العجب .

وقد عرفت أنني لستُ له من المعاصرين فأطلع على بادي أحواله وخافيتها ، وفي أفق هذا الطرس أبديها ، وما ذكرتُ سوى الضروري المعلوم ، في حقه عند أرباب جميع العلوم ، من كلّ ما جاء به الخبر المتواتر ، ورواه وارد لصادر ، وصار بين الناس في الاشتهار ، كالشمس في رابعة النهار ، على أن الاطناب ينافي غرض الأتمام ، بيسير من الأيام ، ويوجب الملل ، والمقصود به أنس جميع الملل . نعم لا بُدّ قبل الشروع في بيان مفصل أحواله من تمهيد حيثيات :

الأولى : في أقواله ، وقد علمت أنه لم يقل إلا الحق ، ولم ينطق إلا الصدق .

يقول الناقل : «ثم أخذ السيد يعيد الفقرات السابقة إن لم يكن بأغلب الألفاظ فبكل المعاني» ، إلى أن قال فيها :

وكان مستجاب الدعوة عند ربه ، فمن ذلك أنه دعا لذريته بالاجتهاد فاستجاب الله منه وجعلهم كذلك .

«ثم رجع على ما كان عليه» إلى أن قال :

الثانية : في أفعاله .

الثالثة : في ورعه .

الرابعة : في فضله ؛ «ولم يذكر فيها سوى ما تقدم» ، ثم قال :

الخامسة : في اقتران مساعيه بالنجح ومنشؤها ما عرفت .

السادسة : في قضاياه وقد طرق سمعك شطر منها ، ولا يمكن الأحصاء لها .

السابعة : فيما قال من الشعر وما قيل فيه . أمّا الأول فلم أقف عليه ، وأمّا الثاني فلا يحضرني الآن .

الثامنة : في زهده ، وقد إتضح لديك .

التاسعة : في أصهاره وهم جدنا الشيخ أسد الله ، وعمنا الصدر ، ولم يذكر سواهم .

العاشرة : في أولاده ، وهم العلامة الشيخ موسى ، والشيخ علي ، والشيخ حسن ، والشيخ مُحَمَّد ، والشيخ حسين . وستأتي ترجمتهم ، وقد أعقب في النجف بيته الرفيع الشامخ محط ركائب الأمراء والوزراء والأغنياء والفقراء في الشدة والرخاء .

الحادية عشرة : في خصاله التي تفرّد بها .

الثانية عشرة : فيما كان عنه ومنه وله ، (ولم يذكر فيهما شيء) .

وأنت خير أن هذه (الحديثات) كلها عبثيات إذ لم يفدنا فيها بشيء زائد ، ولا أوصلنا بعائد ، وإنما ذكرنا أغلب هذا المقام ليعرف اللبيب مشربه وطريقته ، ويميّز سقمه وصحته ، ونحن بعد هذا بعون الله لا نذكر منه إلا ما يرتضيه الفهم السليم ، والطبع المستقيم .

وأما ما ذكره من وقوع بين الشيخ و(صفوق) فلم نسمع بها من غيره ، وأظنها إشتباهاً مع واقعة سعود الوهابي التي مرّ عليك تفصيل أمرها ، وليس المعروف بصفوق من الأشرار وأهل الغزوات إلاّ واحد وهو رئيس قبائل عديدة تُسمّى إلى اليوم بالخرزاعل ، وكان فتاكاً سفاكاً قطعاً للطرق خصوصاً في العراق . فلما كاد أن يهلك الحرث والنسل بعث إليه والي بغداد وكان يومئذ نجيب پاشا<sup>(١)</sup> ، (وستأتي عليك جملة من قضاياه مع الشيخ حسن بن الشيخ

(١) تولى نجيب پاشا ولاية بغداد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م ، وغزّل سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م . وتوفي بعد سنتين من عزله في استنبول .

(الكبير) - عسكرياً جرّاراً فقتلوه غيلة وجاؤا برأسه إلى بغداد . وفي تلك الأيام التي قتل  
الوالي بها (صفوق) عُزل مفتي بغداد<sup>(١)</sup> أيضاً فمدحه عبد الباقي المشهور بقصيدة منها قوله :

قَدْ أَرَحْتَ الدُّنْيَا بِقَتْلِ (صَفُوقٍ)      وَبِعِزْلِ (المُفْتِي) أَرَحْتَ الدِّينَا  
وسياتي تمام الحكاية إن شاء الله .

ولا يحتمل أن يكون (صفوق) هذا هو صاحب الوقعة التي ذكرها السيد كما لا يخفى  
والله أعلم .

وأما ما ذكره من أن حكومة بغداد قتلت الأخباري في زمان الشيخ فأنه اشتباه أيضاً  
بملاحظة ما ذكرناه من تاريخ وفاة الشيخ ، وقتل الأخباري ، وأن حكومة بغداد كانت مع  
الأخباري لا عليه ، وإن الرعية قتلتها بإجماع العلماء .

وليكن هذا آخر ما أردنا جمعه من أخبار الشيخ (رضي الله عنه وأرضاه) مع مجمل  
أخبار أبيه وأخوته . ولعلّما يأتي لهم زيادة تفصيل في مطاوي أخبار أولاده وأحفاده  
وأصهاره . واعلم أن هذا الذي ذكرناه من أخباره وأخبارهم وكراماته غيض من فيض وقطرة  
من بحر ، فإنّي ، ومن قبض روحه الطاهرة ، قد سمعتُ من أعظم علماء زماننا وأكبر نبلاء  
أواننا الحاج ميرزا حسين<sup>(٢)</sup> أدام الله ظلاله على العالمين ابن المرحوم ميرزا خليل<sup>(٣)</sup> رحمه الله  
فأنّه شرف منزلنا ليلة من ليالي شهر رمضان المبارك وجلس قريباً من (الساعة) وهو ينقل  
ويحدث بفضائل الشيخ وولده الشيخ موسى بما ذكرنا بعضه وذهب علينا الآخر لقصر الباع ،  
وعدم التوفيق .

والحاصل أني لم أرد برسالتي هذه بيان فضل الشيخ وتخليد ذكره فأنك خبير بأن :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ رَتْبُهُ      فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَضَعُ

ولكن الغرض من ذلك ما ذكرته في صدر الرسالة من أداء ما يجب من الحمد والشكر  
للّٰه على ما وفقني تعالى ورزقني من الفضل ، بشرف الآباء الذي لست له أهلاً ، ولما حطّت

(١) عُزل مفتي بغداد السيد أبو الثناء الآلوسي عن منصب الأفتاء في شهر رمضان سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م .

(٢) الميرزا حسين الميرزا خليل : انتهت إليه الرئاسة الدينية بعد وفاة الميرزا محمد حسن الشيرازي عام ١٣١٢هـ /  
١٨٩٤م . توفي سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

(٣) الميرزا خليل هو مؤسس أسرة آل الخليلي ، واليه ترجع بالتسمية . كان من المشتغلين في العلوم الطّبيّة ، حتى  
أصبح من أعظم أطباء عصره . كانت ولادته سنة ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م ، ووفاته سنة ١٢٨٠هـ / ١٨٦٣م . وقد توارث  
بعض أبنائه هذه المهنة عنه .

بي رواحلُ القلم ، في هذا المقام عرفت العجز والتقصير ، وأني بهذا ذو باع قصير ، وأن الأقرار بالعجز أحجى ، والسكون في هذا المقام أنجى ، فأمسكتُ عنان البيان وعزمتُ على الاختصار والاقتصار على قليل من أحوالهم ومكارمهم من الآن ، ملتمساً من الله السداد والهداية ، فإنه وليُّ التوفيق والعناية .

والى هنا تم الجزء الأول من هذه الرسالة المشتملة على الطبقة الأولى من هذه الطائفة ، أمدَّ الله بسلسلتهم مدى الدوران ، إنه وليُّ الأحسان والأمتنان .

إبتدأتُ في تأليفها نصف شعبان وختمتها عاشر شهر رمضان المبارك سنة ١٣١٤ .

قد وقع الفراغ من تسويد هذه الرسالة بقلم الحقيير الفقير ، صاحب الذنب والتقصير ، أقلَّ عباد الله عملاً ، وأكثرهم زللاً ، المحتاج إلى رحمة ربه العلام ، حسن نجل المرحوم السيد جاسم الفحام ، (يوم الخامس والعشرون<sup>(١)</sup> شهر جمادى الآخرة سنة ١٣١٦) .

إِنْ تَجَدَّ عَيْباً فَسَدَّ الْخُلَا      جَلَّ مَنْ لَا عَيْبَ فِيهِ وَعَلَا

---

(١) هكذا وردت في الأصل .

## الباب الثاني

### في الطبقة الثانية من الطائفة الجعفرية

وهو يشتمل على الطبقة الثانية ، من هذه النبعة الزاكية ، وأولهم الأكسير الأكبر ، والكبريت الأحمر ، الطاهر المطهر ، النور الأزهر ، عميد الطائفة الجعفرية ، ورئيس الملة الإسلامية ، الإمام الأكبر ، فريد الدهر ، ووحيد العصر ، إمام الفقهاء ، وفقه الأئمة موسى بن جعفر (قدس الله روحه الزاكية ، وأعلى لديه درجاته العالية) .

#### ترجمة الشيخ موسى كاشف الغطاء

ولما فرغوا من فاتحة الشيخ والجلوس للعزاء عليه ، أجمعت العلماء على تقديم ولده موسى وإنه أولى بالأمر فحضروا بأجمعهم في درسه تأييداً له ، فلم يشذ عنه شاذ ، ولم يختلف فيه اثنان ، وصاروا يكتبون بذلك الأمصار والبلدان ، ويأمرون الناس بالطاعة له والأذعان ، فلم يحل الحول إلا وهو مدار العالم ومن فيه ، وركن العلم ومعتمد بنييه ، على أن أباه لم يأمر الناس بالرجوع إليه ، ولم ينص بالأفضلية عليه ، سوى ما اشتهر من قوله فيه : « لا فقيه إلا أنا وولدي موسى والشهيد الأول » ، وهي وإن كانت كافية في المقام ، ووافية بالأعلام ، إلا أنه قبل وفاته ، وأيام حياته ، لم يتصد لرجوع الناس والأمر بتقليده ، والسعي في تشييد أمره وتأييده ، حتى رآه الله أهلاً لذلك فقدمه أمام الناس للهدى إمام ، وألقى ذلك في نفوس أوليائه فتطامننت له رقاب العلماء العظام ، فبزغ بينهم بزوغ البدر في السماء على سائر كواكبها ، وتقدمهم بالفضيلة تقدّم ليلة القدر على باقي الليالي الشريفة من صواحبتها ، على كثرة من كان في زمانه من العلماء المشاهير ، والأساطين الذين لم يسمح لهم الدهر بنظير ، كالشيخ أسد الله ، والسيد محسن (صاحب المحصول) ، والسيد باقر القزويني ، والميرزا القمي ، والسيد محمد باقر الرشتي حجة الإسلام ، والحاج الكلbasي ، والشيخ حسين نجف ، والشيخ محسن الأعسم ، والشيخ خضر شلال ، والآقا محمد علي ابن المروج البهبهاني ، وغيرهم من تلامذة ذلك (الآقا) المشهور ، والعلامة الطباطبائي ، وأبيه<sup>(١)</sup> تغمدهم

(١) هو السيد مرتضى الطباطبائي المتوفى عام ١٢٠٤هـ / ١٧٨٠م .

الله برحمته أجمعين . وكان كلَّ منهم يرى الفضل لنفسه وكان الأمر مردداً بين الشيخ موسى ، والميرزا القمي<sup>(١)</sup> وأغلب الناس من كان في (إيران) قلَّد الميرزا أول الأمر ، والعرب قلَّدت الشيخ موسى . وأمّا الفضلاء ، وطلبة العلم في النجف فأنهم عزموا على السؤال من الميرزا عمّن هو أولى بالتقليد منه ومن الشيخ موسى لكون الميرزا (ره) أكبر سنّاً ، وأقدم هجرةً ، وأشدّ تحصيلاً وأعظم شهرةً ، بل كان يُعدّ من طبقة الشيخ الكبير ، وإن كان في زيارته للعتبات حضر أياماً في درس الشيخ ، واستجازه في الرواية كما في «نقد العلماء» .

قال في «معدن الشرف» : وسمعتُه أنا من كثير أن الميرزا (ره) عزم في تلك السنة على الحج فجعل طريقه على النجف ليقرأ فاتحة للشيخ ويعزّي أولاده ، فلما حل هناك اجتمع عليه الفضلاء والناس ، وسألوه عن الشيخ موسى فقال : لا علم لي به ولكن أكتب لكم ثلاث مسائل من المشكلات فأنا أجابني نظرت في جوابه وميّزت مقدار فضله ، فكتب المسائل وبعثها إلى موسى وكان قد قرب الغروب . فقالوا له : الميرزا يقول ما رأيك فيها ، وقد أمهلك في الجواب عشرة أيام ، فقال : إني مشغول بأمور مهمة أفلقت فكري وشوشت بالي والوقت ضيقٌ ، فقالوا : ألم يهلك بتلك المهلة ، فقال : لا فرق عندي في ذلك بين الساعة والعشرة أيام ، ولكن قفوا فخذوا ما تيسر على العجلة . ونادى أخاه الشيخ علي وقال له : أنا أملي عليك الجواب وأنت اكتب ، فجعل موسى بن جعفر يملّي ، و(علي) يكتب ما يملّيه ، فما كان إلّا نصف ساعة حتى تمّ الجواب . وقيل إنّ المسائل وصلت إليه وهو مشغول بالوضوء فجعل يملّي علي (علي) وهو يكتب فما فرغ من الوضوء إلّا وقد تمت الأجوبة .

فجاؤا بها إلى الميرزا وهو بعد لم يقم من مكانه ، فقال الميرزا : ويحكم متى خرجتم ومتى راجعَ الشيخ المسائل ، ومتى كتب الأجوبة والوقت يضيق عن بعض هذا؟ فقالوا : هذه الأجوبة وهو يعتذر إليك من تشتت البال ، وضيق الأحوال ، فقال : إنّ هذا أمرٌ خطير ، لا يكون إلّا للقادر القدير ، فأمهّلوني أراجع جوابه الليلة ، وأعطيكم الجواب .

فلما بكَروا عليه قال لهم : إسألوا الشيخ موسى عن اجتهادي ، فقد شكّكتني في أمري ، ولا أرى أن أقُلّد مع وجود مثله .

فعند ذلك قلَّدتَه الناس ، ورجعت جميع الأطراف ، من الأذئاب والأشراف ، واشتهر أمره وذاع صيته ، وأطاعته العرب والعجم ، مشرقاً ومغرباً ، وصار مسموع الكلمة عند الشفيح

(١) الشيخ أبو القاسم القمي المعروف بالميرزا القمي من تلامذة البهبهاني . وُلِدَ سنة ١١٥١هـ / ١٧٣٨م ، وتوفي سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٦م . وقد اشتهر بكتابه «القوانين» في علم الأصول الذي أصبح مداراً للدراسة هذا العلم حتى عهد قريب في المراكز التعليمية العالية .

والوزير ، والسلطان والوزير ، وأذعن له الصغير والكبير . إنتهى ما ذكره مع تمام الأجمال والأختصار ، والقصة تجاوزت حدّ الاشتهار .

والحاصل أن أمره لم يزل ينمو ، ومعاليه ما برحت تسمو ، وذكره يضوع أرجه ، وفخره تتجلى حججه ، حتى أصبح وهو الحادي للرئاستين ، والمصلح بين الدولتين ، السامي مفخره علي النيرين ، وجعل يسلك مسلك أبيه ، وينهج على مساعيه :

فلم تكن لأبيه النذب مكرمة	يعيا الورى نيلها إلا لها انشدبا
فجازها واغتنى أعلى مراتبها	لو كان أبقي أبوه فوقها رتبا
فقل لمن راح للأيمان حين هوى	عموده باكي الأجفان منتحبا
هو عليك من الوجد الملق فذا	موسى بن جعفر ركنا للعلی نضبا
بدر ، فبدر الهدى في الدين ما غربا	بحر ، (فجعفر) علم الله ما نضبا

### تفصيل قتل ميرزا محمد الأخباري

فلما بلغ من الرفعة المبلغ المتناهي في العلو ، وتمهدت له الأمور تمهيداً أقر عين الحب ، وقصم ظهر العدو ، ثقل ذلك على أولي الشنآن من ناصبي العداوة لأبيه ، وجعلوا الذحول والأوتار منه فيه .

فمنهم رأس الحب والطاغوت من أولي الشقاء ، وإمام أهل الضلال والبدع والأهواء ، حامل لواء حزب الشيطان ، والساعي إلى تشتيت حزب الرحمن ، المبنض المشرد ، المدعو بميرزا محمد ، فإنه لما وصل إليه خبر وفاة الشيخ الكبير<sup>(١)</sup> ، جعل ذلك اليوم عيداً ، وأظهر من الفرح والسرور ما لم تتصور الأذهان عليه مزيداً ، وكان يومئذ في (طهران) ، فحركه الخبث والشنآن ، على إدراك ثاره من الشيخ في ولده ، فجاء حتى أتى الكاظمين (ع) فرأى أن أمر الشيخ موسى قد استوسق وتم ، وسؤدده كنار على علم ، فسوكت له نفسه بما يوحى أخوه الشيطان إليه ، وينزل عليه ، أن يتوصل بوادي العراق ويؤاده ، لينال بذلك مراده ، فجعل يستجلب مراضيه بمقدمات طويلة ، وإرسال هدايا من تحف العجم جزيلة ، فحظي الخبيث عند (الپاشا) ، وحاز من (داود)<sup>(٢)</sup> ما شا ، بعد أن استجلب طائفة من العوام بزبرج لسانه ،

(١) وذلك سنة ١٢٢٨ هـ .

(٢) كان داود پاشا في هذه الفترة بالذات (سنة ١٢٢٩ هـ) قائداً لجيش العراق في ولاية الوالي الشاب سعيد پاشا بن سليمان پاشا . وكان يسمى داود أفندي . وقد بقي في منصبه هذا حتى هربه من بغداد في (١٢) ربيع الأول سنة ١٢٣١ هـ بعدما عمل سعيد پاشا على التخلص منه .

وتزويره وبهتانته ، فصار يصعد المنبر ، ويطل الوقيعة بالشيخ الأكبر ، والنقيصة بولده البر ، ويفشي للناس غيّه وعتاته ، ويظهر بالشيخ الشماته ، ويتمثل ببعض الآيات كقوله تعالى : «فكان عاقبة من أساؤا السوء أن كذبوا بآياتنا» ، و «سيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون» ، الى غير ذلك من أمثالها التي أوقعه الله في آخر الأمر في وبالها ، وصيرته مثلاً من أمثالها .

وكان السيد مُحَمَّدُ المجاهد<sup>(١)</sup> مقبلاً من أصفهان إلى كربلاء للإقامة مقام أبيه، فيها بعد أن بلغه خبر وفاته<sup>(٢)</sup> ، فتوقف في الكاظمين (ع) أياماً للاستراحة والزيارة ، فكان ينكر على (الخبث) تلك الأفعال والأقوال أشدّ الانكار ، فتحمل (الملعون) له العداوة والبغضاء ، زيادة على أنه يطلب بأبيه النار ، وقد كان يسميه هو وخاله الأغا وأصحابهما بالأزارقة (فرقة من الخوارج) - لزرقه في عين السيد مير علي وأولاده - ، ويسمي الميرزا أبو القاسم القمي (اليقاسمة) - كما في «روضات الجنّات» .

والحاصل أن الأخباري جعل يؤذي السيد ويزعجه ، وبعث عليه في الليل من جنده الغاوين من يقلقه ويخيفه حتى ارتحل الى كربلاء . فكتب إلى الشيخ موسى بخبر ذلك الغاوي وسيرته ، وشمته للعلماء ، ونقل له كلماته التي يقولها على المنبر في أبيه ، والشماته فيه ، فغضب الشيخ موسى وجاشت نفسه ، وارتحل بعدة من أصحابه حتى كربلاء وسار هو والسيد مُحَمَّدُ المتقدم إلى الكاظمين .

فلما سمع السيد عبد الله شبر<sup>(٣)</sup> بن السيد رضا شبر - وكان من العلماء المشهورين المبرزين ، والزهاد المقدسين ، وكان مطاعاً جليلاً خصوصاً عند أهل (الكاظم) التي هي مسقط رأسه ، إلا أنه كان من أهل العزلة والانزواء لشدة زهده ، وكان من تلاميذ الشيخ الكبير ، ويرى له عليه الحق الكثير ، وكان الشيخ موسى روى بالأجازة عنه - خرج السيد لاستقباله مع جميع أهل البلد ، وعظم الشيخ وأكرمه غاية الأكرام ، وترجل له من مسافة بعيدة ، فعظم في عيون الناس زيادة على ما كان فيه وأنزله داره ، وعقد له على أخته ، (وقيل بنته) ، وكانت تحت ابن عم لها من العلماء يعرف بمير أحمد ، فهنأه الشيخ صالح التميمي بأبيات ستأتي إن شاء الله . وإنما رغب الشيخ في ذلك لتجلب له قلوب الناس ، فيستعين بهم على قتل عدوه .

(١) السيد محمد المجاهد هو ابن السيد علي الطباطبائي ، لُقّب بالمجاهد لقيادته فصائل المجاهدين في مواجهة الغزو الروسي لايران في عصر الشاه فتح علي القاجاري . وقد تُوفي سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م .

(٢) تُوفي السيد علي الطباطبائي سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٥م .

(٣) تُوفي السيد عبد الله شبر سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م .



وأما الأخباري فأثَّه مَضَى إلى مَدَّ يده للوالي سعيد پاشا<sup>(١)</sup>، وأخبره بدخول الشيخ، وقال: إن هذا الرجل قد ترأس على فرقة الأمامية، وهي رعيته لا رعية الدولة العلية، فأن بقي في بغداد يومين أفسد عليك أمر المملكة، وأوقعك مع جندك في المهلكة، فأن لم تقتله قتلك، وإن لم تُعجل عليه عجل عليك. وهو رجل سبَّاب (رافضي) يرى أوجب الأشياء وأحبها إلى الله قتل (السني).

ولم يزل يذكر له المنفرات والمزعجات حتى استشاط الوالي غضباً، وامتلأ غيظاً، وحلف بالطلاق ليقتلن كلَّ شيعي، ولا يدع على ظهر الأرض منهم أحداً. ثم قال: ولا بُدَّ من قتل رئيسهم أولاً بطريق حسن كيلا تهيج علينا الرعية، وتسير من الدولة تحت المسؤولية، حيث أن هذا رجل عظيم، فقتله لا بُدَّ أن يقع فيه محذور جسيم، والرأي أن تدعوه يوماً إلى وليمة نصنعها له، ونعمل التديبير إذا جاءنا حتى نقتله، ثم نأمر العسكر بالهجوم على ديار الشيعة ورحالهم، وسبي نسائهم وأطفالهم. فشكر له، وخرج مسروراً من ذلك (الملعون).

### فتوى الشيخ موسى في قتل الميرزا الأخباري

وأما موسى بن جعفر ومحمد المجاهد، فبقي كلُّ منهما يسعى في تهية أسباب قتل عدوه ويجاهد. فكتب السيد صورة استفتاء من الشيخ حاصله: ما رأي حجة الله علي خلقه، وأمينه في أرضه، في رجل يؤلب على العلماء الصالحين، ويسعى في قتلهم إطفاءً لنور الدين، فوقع تحت: «يجب على كلِّ محبِّ وموال، أن يبذل في قتله النفس والمال، وإلا فلا صلاة ولا صيام له، وليتبوأ من جهنم منزله».

فأخذ السيد (حكم) الشيخ وأمضاه، وبعثه إلى السيد عبد الله شبر فحكم بوجوب إتباع حكم الشيخ، وكذلك فعل باقي العلماء المعروفين هنالك كالسيد محسن صاحب المحصول، والشيخ أسد الله.

فلما تم الحكم على أحسن هيئة نُشر لدى العوام، وقرأ على الخاص والعام. وكان بيد رسول السيد عبد الله شبر يدعو الناس إلى امتثاله، وإنَّ حكم الشيخ نافذ على كلِّ مَنْ في دائرة الوجود.

وكان السيد عبد الله كما عرفت أولاً عند أهل (الكاظم) بمنزلة الأمام، فعزموا على أن

(١) تولى سعيد پاشا الحكم عام ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م، وقُتل في (١٠) ربيع الآخر سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م. وهو من مواليد سنة ١٢٠٥هـ / ١٧٩١م.

يهجموا على دار (الأخباري) ليلاً ، ويريحوا منه الناس .

فاجتمع ثلاثة أنفار منهم من المعروفين بالأقدام والبأس فتسوّروا الدار عليه نصف الليل لأنهم أتوا إلى باب داره فلم يجدوها لأنه أعشاهم بسحره . ثم أتوا إلى (الحِجْرَة) التي هو فيها ، وقلعوا الباب فوجدوا عفاريت وحيات فاعرة تريد أن تبتلعهم فتوقفوا يسيراً ثم هجموا ثانية . فوجدوا ليثاً بالباب يريد أن يفترسهم فارتدّوا متجبرين ، ولم يزالوا يهجمون على الباب فيرون ما يهولهم من شعبذاته وسحره ، فصعدوا السطح وحفروا فيه على الحجرة فخرجت إليهم نيران ملتهبة . فقال واحد منهم : يا قوم إني سمعتُ من الشيخ موسى يقول : أنا ضامنٌ على الله الجنة لمن يقتل هذا - بحضور الشُّبري - ، (وقد صدّقه السيد) ، وأنا صاحب ذنوب كثيرة ، وقد عزمتُ على الخوض في هذه النار ، فلعلي أحظى بعدها بجنات تجري من تحتها الأنهار ، فأنا أحرقتني فالحجوا بأنفسكم ولا (تُيتموا) أطفالكم ، وإن تبين أنها شعبذة وبهتان فسأنبئكم بذلك فادخلوا عليّ ، وشاركوا بالفوز فيما لديّ .

فاقتحم النار وتقدمهم إماماً ، فقيل يا نار كوني برداً وسلاماً ، فنادى أصحابه فدخلوا عليه ، فوجدوا الخبيث وتبخّراته بين يديه ، فقال لهم : خلّوا سبيلي ولكم عشرون ألف ذهب ، فلم يقبلوا ، ولم يزل يترقى لهم في ذلك حتى قال لهم : أنظروا الحجرة ، فنظروها وإذا هي وجميع ما فيها من بسط وجران وفرش تلالاً ذهباً أحمر ، فقال : خذوها أجمع ودعوني أجيؤ بنفسي ، ولكم العهد عليّ أن لا أرجع بعد إلى بلادكم ، فقالوا : هيهات هيهات ، على غيرنا موّه هذه الكذبيات والشعبذات ، وأمّا نحن فقد ضُمنتُ لنا على الله الجنان ، والفوز بالرضوان . «فوقع الحق وقطع دابر القوم الذين ظلموا قيل الحمد لله رب العالمين ، وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين ، أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين» .

وكان ذلك يوم الأحد سنة ١٢٣٣<sup>(١)</sup> ، ودُفِنَ في مقابر قريش ، كما وجدته بخط بعض تلاميذه ومريديه على كتاب من مصنفات أستاذه هذا وهو كتاب «ذخيرة الألباب» ، فيه لكل علم باب ، وهو كتابٌ فيه جداول العلوم خصوصاً الرياضية منها كعلم الحروف والجفر والرمل وما أشبهها . ونصّ ما وجدته مكتوباً في ظهري : «من هبة الله العارية لعبده الأقل أضعف خدام المحدثين العاملين بسنة الطاهرين مُحَمَّدٍ المدعو بالجواد<sup>(٢)</sup> بن مُحَمَّد بن زين

(١) هكذا ورد التاريخ في الأصل . وطبقاً لمصادر أسرة آل جمال الدين فإن مقتل الميرزا محمد الأخباري كان يوم (٢٨) ربيع الأول سنة ١٢٣٢ هـ .

(٢) السيد مُحَمَّد جواد بن السيد مُحَمَّد زيني تُوفي سنة ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م . ويُعرف بلقب (سياه پوش) .

الدين الحسيني الحسيني كتبه بخطه لنفسه ، وهو من مصنفات العلامة الجامع لجميع العلوم الجلية والخفية مُحَمَّد بن عبد النبي بن عبد الصانع النيشابوري ، وقد قرأه عليه ، وصححه ، وقابله معه ، وأخذ منه إجازته ، وأدرك شهادته على يد (الجهلة) من أمة التظني والتخمين ، في يوم الأحد سنة ١٢٣٣ ، وكان ذلك في مقابر قريش حرر سنة ١٢٣٧ ، إنتهى .

ويعني بأمة التظني والتخمين هم الأصوليين والمجتهدين . وأظن أنه هذا هو ابن السيد مُحَمَّد الذي مر ذكره وشعره ومطايباته مع الشيخ الكبير في معركة الخميس .

فلعله كان ممن استغواه الرجل بتزويراته وأشراكه ، وسعى حتى ظفر بهلاكه . ولا لوم على هذا السيد فأنت لو رأيت كتابه هذا أعني «ذخيرة الألباب» ، أو غيره من تأليفات ذاك الكذاب ، وما فيها من الجداول والرسوم ، ودوائر العلوم ، والهيكل الغربية ، والأشياء العجيبة ، لطاش لبك ، وذهل عقلك ، وقلت هذا خارج عن طاقة البشر ونوع الإنسان ، وإنما هو من صنائع الشياطين والجنان ، وهو يشتمل على أربع مجلدات عندنا اليوم منه الجلد الأول . وأنت بعد اطلاعك على قوة هذا الرجل في هذه الأشياء ، وقدرته على مثل هذا الأيهام والأفتراء ، تعلم أن قتله إنما كان بتأييد رباني للدين ، وتسديد إلهي حفظاً لشرعية سيد المرسلين ، وإلا فهو خارج عن حيّز الأماكن ، وهو ما اجتمعت عليه الثقلان . ولكن قال عز وجل : «إنا نحن نرُكنا الذكر وإنا له لحافظون» فكان العمدة بقتله بعد الله الشيخ موسى ، ولكن بإعانة السيد مُحَمَّد المجاهد ، والسيد محسن الكاظمي ، وكلهم بقوة السيد عبد الله شبر ، لا الشيخ موسى وحده كما هو مشهور على الألسن ، ولا السيد عبد الله وحده كما سمعته من بعض أهل (الكاظم) ، ولا السيد المجاهد كما في «روضات الجنّات»<sup>(١)</sup> .

هذا ما استفدناه من التتبع التام والتفحص مع إستفراغ الوسع في الجمع بين أقوال المؤرخين والمُطَّلعين ، والله أعلم بحقيقة الحال<sup>(٢)</sup> .

(١) روضات الجنّات ، ج ٧ ، ص ١٢٩ .

(٢) مقتل الميرزا الأخباري حدث في أوج الصراع الدموي الذي دار بين الوالي سعيد باشا ، وقائد الجيش داود أفندي ، والذي استمرّ عاماً كاملاً انتهى بمقتل سعيد باشا سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م ، وتولّى داود السلطة في العراق . ففي ١٢ ربيع الأول خرج داود باشا من بغداد هارباً بعد أن عمل الوالي سعيد باشا على التخلص منه لقوة نفوذه . وقد أجرى سعيد باشا تعديلات في مناصب الدولة ، كما أسنده أحد كبار زعماء العشائر وهو حمود الثامر بألف وخمسمائة من العساكر لحمايته وذلك في ٢٣ ذي الحجة سنة ١٢٣١هـ .

سيطر داود باشا على بعض المدن مثل كركوك ، والسليمانية ، وبقي مُحصناً فيها . ونظراً لقوته وسطوته فقد وجهت إليه الوزارة في (١) محرم سنة ١٢٣٢هـ ، إلا أن سعيد باشا تمرد عليه ، ولم يرضخ له ، وفي هذه الفترة الحرجة أصاب بغداد القحط ، وتدمر الأهالي من جراء ذلك ، ورجع الشيخ حمود الثامر إلى دياره . كما سادت الفوضى أغلب المدن العراقية واشتد القتال بين الطائفتين (الزقرت) و(الشمرت) في النجف للسيطرة على المدينة الأمر الذي سبّب تدمير الأهالي ، والتطلع إلى التخلص من هذا الحكم الضعيف .

ثم اتصلت البشائر والتهاني من شعراء بغداد ، والحلة ، والنجف للشيخ موسى بقتل عدوه ، وسيأتي عليك كثير في شعر السيد باقر بن السيد إبراهيم البغدادي والشيخ صالح التميمي وغيرهما من المفلقين .

### أخبار ملا مُحَمَّد حاكم النجف، ووقائعهُ مع الشيخ موسى

ومنهم : معينه على الضلالة وخدينه في الجهالة ، حاكم النجف السابق ملا مُحَمَّد المتقدم ذكره . وهذه طائفةُ الملالي على ما سمعت من بعض (الخَدَمَة) ينتمون الى ملا عبد الله ، صاحب «الحاشية على تهذيب المنطق» ، وجاؤا من (العجم) مع نادر شاه ، أو غيره من السلاطين وبقوا في النجف مدةً ثم حكموا بها عدة سنين حتى انتهت حكومتهم بملا يوسف وانقطعت . فأما ملا مُحَمَّد هذا فإنه نصب العداوة للشيخ موسى بعد أبيه طلباً لثأر خاله السيد محمود الرحبائي ، وحيث لم يكن متمكناً من إيذائه بنفسه جعل يشي به إلى الولاة ، ويحضهم على القبض عليه .

فمن ذلك ما بعث به الى سعيد باشا وكان هو الوالي يومئذ ببغداد ، وكان من (الكولات)<sup>(١)</sup> وهي طائفة بغدادية عظيمة تجتمع فتنصب منها والياً ، وتكتب بذلك إلى

وفي هذه الأثناء قُتل الميرزا محمد الأخباري ، وكان يوم مقتله هو اليوم الثامن والعشرون من شهر ربيع الأول سنة ١٢٣٢ هـ . ولم تُشر المصادر المطبوعة إلا إلى سنة مقتله فقط ، وأغفلت اليوم الذي قُتل فيه ، والشهر . واعتماداً على مجموعة خطية (محفوفة لدى أحفاد الميرزا الأخباري) فقد أُشير إلى أن وفاته كانت في اليوم الثامن والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة . وهذه المجموعة تحتوي على رسالة من الشيخ أحمد الأحساني إلى الميرزا الأخباري يحثه فيها من القتل . ويبدو أن الميرزا الأخباري كان قد أحس بالخطر على حياته فأرخ سنة وفاته بقوله «صدوق غلب» ، والذي يساوي في حساب الجمل سنة ١٢٣٢ هـ . وفي عبارة التاريخ أكثر من مغزى يُعبر عن مظلومية الرجل ، ومحاولة الترنس به .

وفي (٥) ربيع الآخر سنة ١٢٣٢ هـ دخل داود باشا بغداد .

وفي (١٠) ربيع الآخر سنة ١٢٣٢ هـ قُتل سعيد باشا قتلًا شنيعة .

وقد ذكر الدكتور حميد الكار H. Algar أن الميرزا الأخباري عندما جاء إلى العراق ، واستقر في مدينة الكاظمية أخذ يتدخل في أمر الصراع الدائر بين سعيد باشا ، وداود باشا . وعلى ما يبدو ففي هذه الفترة أخذ بعرض قواه الروحية لمساندة سعيد باشا . وخوفاً من تكرار ما نُقل عن الخطة التي أعدّها لمقتل القائد الروسي (اشبوختر) فقد وجّه داود باشا قواته للهجوم على بيت الميرزا الأخباري ، وقتله . وقد إحتمل الدكتور الكار أن استياء العلماء الأصوليين من تصرفات الميرزا الأخباري جعل لهم يد في هذه القضية .

يُنظر بهذا الصدد مقالة الدكتور Algar في موسوعة IRANICA المجلد الأول ، ص ٧١٦ (لندن ١٩٨٥ م) ، تحت عنوان (Akhbari) .

(٢) الكولات : مفردا (كوله) وهي كلمة تركية تعني العبد المملوك . وقد ابتدأ حكم المماليك في العراق منذ عهد حسن باشا ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م ، وانتهى بعهد داود باشا عام ١٢٤٧ هـ / ١٨٣١ م .

(إسلامبول) فيأتي إمضاء لفعلهم . وكان أعظمهم سليمان باشا<sup>(١)</sup> الذي عصى آخر الأمر على الدولة العلية ، فبعثوا إليه خالد باشا من رجال الدولة مع جند عظيم فنازله في بغداد وحاصره أياماً ، حتى قبض عليه ، وقتله أشرقتة<sup>(٢)</sup> .

ثم ولي بعده عبد الله باشا<sup>(٣)</sup> فبقي أشهراً وتغير عليه باقي (الكولات) ، فقتلوه مع عضده طاهر كخوه ، ونصبوا سعيد باشا هذا وزيراً فقبلته الدولة . وكان ذلك في سنة الألف والمائتي والثمان والعشرين كما ذكره في (تأريخه الكبير) خالنا الثقة الذي كان يسمى سلمان زمانه - لطيف رآه فيه بعض علماء بيت نجف - ، وأظنه الشيخ جواد ، وهو أنه سأل الأمير (ع) في المنام أن يريه سلمان الفارسي فقال له انظر إلى الشيخ محمد بن الحاج عيسى كبه . وهي السنة التي توفي (الشيخ)<sup>(٤)</sup> في أولها .

فلما استقر أمر ذلك الوزير جعل يراجعه ملا محمد المذكور ، ويخبره أن الوالي في العراق موسى بن جعفر لا أنت ، ولا تتم ولايتك إلا بقتله ، وأن هذه الفسادات من (الزقرت) و(الشمريت) وعصيان أهل (الدغارة) ، وباقي العراق كلها بسببه . فبعث إليه يستشير في قتله ، فقال له : إبعث إلي بعض الجند وأنا ضامن لك أنني أقبضه وأبعثه إليك مكبلاً .

فوصل تفصيل الخبر إلى الشيخ فبعث بأهله وعياله وجميع من في داره إلى (إستار) شيخ الموالك ، وكان رئيس (الدغارة) ، فأخلى لهم منازل على الفرات فنزلوها ، ولحق بهم الشيخ مع إخوته وعمومته والخواص من بطانته . ولم يبق في النجف أحد من يتعلق به ، فأصبحت ديارهم خالية ، وربوعهم موحشة ، فضجت الناس والعلماء ، ووقع الهرج والمرج ، ولحق أغلب طلبة العلم بأهلهم وتركوا العلم والتحصيل ، وارتحل الباقي خلف الشيخ ، وبقيت النجف خالية حتى من الكسبة لعدم السكان ، وصارت حكومة المثلث على نفسه وأهله واشتد الأمر عليه ، وأوقع في يديه ، حتى وقع على بعض العلماء وعلى أن يشفعوا له عند الشيخ فيرجع إلى محله ومكانه ، على أن لا يعود (الملا) في شيء من زوره وبهتانه ، فأخذوا عمته في رقبته ، فعفى الشيخ عن سيئته . ورجع إلى محله بأهله ، وبقي يظهر الود له ، ويسعى باطناً بالأذى إليه ، لكن حوالياً لا عليه ، حتى قتله بعض من أصابه أذاه ، فنجى الله الشيخ من شره وكفاه .

(١) سليمان باشا حكم من سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م إلى سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م .

(٢) إلجاً سليمان باشا إلى شيخ المنتفق الشيخ حمود ، ولما وصل إلى عشيرة الدفاعة قتلوه ، وقطعوا رأسه ، وذلك في (١٠) شوال سنة ١٢٢٥هـ .

(٣) عبد الله باشا حكم من سنة ١٢٢٥هـ / ١٨١٠م حتى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م .

(٤) هو الشيخ جعفر كاشف الغطاء .

وأما الوزير فبقي ذلك الأمر في نفسه وجعل يشتدّ، ويتأكد لما يرى من مطاعية الشيخ وعظمته في نفوس العظماء من الرعية، بل وسائر البرية، حتى أتى الأخباري من طهران الى بغداد، فأكد ذلك، واتصل به لنيل غرضه - كما عرفت -، إلى أن ارتحل (موسى) عازماً على قتل (فرعون) الدين، وإهلاك هاروت السحرة الكاذبين، فلما أحسّ بذلك أخبر الوزير بدخول موسى في بغداد، وأنه قد حصل المراد، فتوعدا على أن يصنع الوزير وليمة له، وهنالك يبلغ الكتاب أجله. وفي الأثناء قُتل الأخباري.

ودعا الوزير كاتبه، وكان ممن يُبطن الودّ للشيخ موسى فأمره بكتابة رقعة تتضمن استدعاء الشيخ له. فكتبها بحضور الوالي، وختمها بيده، ولم يجد الكاتب بُدّاً من الإشارة للشيخ لعلمه بمراهم. ولكنه لم يتمكن من ذلك فجعل في التاريخ ألفاً زائدة بعد أن نظرها الوزير، ثم بعثوا بها إلى الشيخ. فلما نظر الألف عرف أنها لنكتة، وأن الكاتب في مثل هذا المقام لا يشتبه فأصاب بقوة حدسه أنها إشارة لقوله تعالى: «إن الملائكة يأتون بك فاخرج منها». فأمر خادمه الشيخ (محمّد ويسين) فاستكرى له دواباً، وقال للمكاري سرّ بنا على غير الجادة المعتادة لئلا يدركهم مدد الوالي، فخرج موسى منها خائفاً يترقب:

وهو لو شاء محو دائرة الأرض ومن في طباقها لحاها!

فساروا ليلاً حتى أتوا الحلة فنزل موسى ففدته بالنفوس والأهلين، وأمن من كيد (فرعون) و(هامان)، وجنودهما الظالمين.

فلما علم الوزير بخروجه تفحص عن مقرّه فعلم أنّه في الحلة، فبعث إلى (بيكها) يأمره بإرسال الشيخ إلى بغداد، فكتب (البيك) أن هذا رجل مطاع خصوصاً بالحلة، وأهلها يرونه إماماً واجب الطاعة، وإن دنوت إليه بمكره لا بُدّ وأن تثار الفتنة ويقع القتل في البين، ولا جند عندنا يقوم بدفاعهم. فجهّز الوالي جنداً إلى البيك، فاستمهله الشيخ وقال لأهل الحلة: لا تقاتلوهم فإن الفرج قريب. فما مرّت الأيام والليالي حتى قُتل الوالي سنة ١٢٣٢هـ<sup>(١)</sup>، ونصب داود پاشا، كما ذكره الخال الشيخ محمّد كبة في «تأريخه»<sup>(٢)</sup>.

وكان داود پاشا مخلصاً للشيخ قبل ذلك حيث أن الشيخ موسى أطلقه من أسر العجم.

(١) قُتل سعيد پاشا في اليوم العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ١٢٣٢هـ.

(٢) زوجة الشيخ علي كاشف الغطاء هي الحاجة (هدية) كبة، وهي من أسرة آل كبة البغداديين. وهي أم أولاده الشيخ أحمد والشيخ محمد الحسين، ولها بنت واحدة تزوّجها الشيخ كاظم كاشف الغطاء، (هذا ما أخبرني به حفيده الأستاذ عباس بن العلامة الشيخ أحمد بن الشيخ علي كاشف الغطاء).

## ذكر سبب تسمية الشيخ موسى بـ «المصلح بين الدولتين»

وبيانه على سبيل الأجمال ومنه تعرف سبب تلقبه بأنه المصلح بين الدولتين كما هو مشهور ، وفي «معدن الشرف» ما حاصله : أن فتح علي شاه كان يحب ولديه عباس مرزه ومحمد علي مرزه حباً شديداً ، لما علم فيهما من البأس ، وشدة المراس ، والهمة العالية ، والسمو إلى المراتب السامية ، فجعل ولاية العهد لعباس مرزه ، وأمضت الوزراء والأمرء ذلك . فتغير مُحَمَّد علي مرزه ، وخشي أبوهما الفتنة فجعل عباساً في حدود (الأرس) في أذربيجان وما أشبهها ، ومحمد علي في حدود الدولة العثمانية من كرمانشاه ولواحقها ، تفريقاً بينهم وتبعيداً .

فكانت همة مُحَمَّد علي تسمو إلى أخذ العراق من الدولة . فبينما هو كذلك إذ جاءت قافلة من زوّار العجم إلى مُحَمَّد مرزه فوقفوا على باب (صرايه) ليكون ، وقد توزّروا على أوساطهم ، ونشروا شعور نسائهم ، فسألوهم عن أمرهم فقالوا : نحن زوّار وقد سلّبتنا عسكر العراق ، ونهبوا أموالنا وقتلوا عدة من رجالنا وتركونا كما ترون . فاستشاط الميرزا غضباً ، وازداد تعجباً ، وقال : يا لله لهؤلاء القوم ، كفيناهم شرّاً فلم يكفوا ، وتركناهم فلم يعفوا ، ونحن أجدر بالبدة ، وأحرى بالسوء ، فليذوقنّ عما قريب طعم عاقبة الظلم ، وليتجرعنّ غداً بأسيا فانا مضاضة السم :

أرى خلف الرمادِ وميضَ جَمَرٍ      ويوشكُ أنْ يشبَّ لها ضرامُ

\*\*\*

وهم بدؤونا بالأساءةِ أولاً      فنحن بها أحرى الغداةِ وأجدرُ

فجهّز من حينه عشرين ألف فارساً من كرمانشاه ، وعراق العجم ، ومثلهم من الأكراد وعربستان ، واستنجد بحسن خان رئيس الفيلية ، فأُنْجده بأثني عشر ألفاً وجاء بهم إليه ، فأمر على سائر جنده ، وكان من المعروفين بالنجدة والسداد بالحرب والتدبير والخديعة في المواقف .

## محاربة البغداديين لعسكر العجم

وجّهز الوالي سعيد پاشا من بغداد عشرين ألفاً ، وجمع شيوخ العشائر ورؤساء القبائل (كالمنتفج) و(جليحة) و(الخرّاعل) ، ووعدهم بأعطاء الرُتب والمناصب ، على أن يسيروا معه تحت الكتائب ، فجاءوه بما يقرب من المائة ألف فارس .

فالتقى الفريقان قريباً من (خانقين) ، فلما وضعت الحرب أوزارها أظهر حسن خان أنه قد غَضِبَ وتنافر مع رئيس عسكر العجم فسار عنه بعشرين ألفاً من المقاتلين ، وبقي أمير العجم منكسراً مع شردمة قليلة . فطمع بهم أصحاب الهاشا وكان يقرب ذلك المكان كالوادي وقد أحاطت به الجبال من كل جانب . فانكسرت العجم ودخلت فيه ولحقتهم الأعراب وعسكر بغداد فيه . فما التفتوا إلا والمدافع تصب من فوق رؤوسهم ، والبنادق تنتثر من أعلاهم وكانوا عرباً لا يعرفون تلك الشعوب والمسالك من الأرض . فما قدر على الخروج والهزيمة من ذلك المكان إلا القليل منهم ، وما كان إلا كحلبة شاة حتى تفرق شمل الأعراب ، وعادوا بين قتيل وأسير ومنهزم والمدافع تضرب من فوقهم ومن مقابل وجوههم ومن خلفهم إلى أن تفانوا عن آخرهم .

وأسرت العجم منهم خلقاً كثيراً ، منهم حمود السعدون (شيخ المنتفج) ، وجماعة من رؤساء الخزاعل ، ومحمد پاشا ، وعلي بك أبو يحيى بك (الذي صار في أيامنا متصرفاً في الحلة) ، ومنهم داود پاشا وهو من طائفة (الكولات) التي منهم (پشوات) بغداد كما عرفت ، وكان يسمى داود أفندي .

فسير العجم بالأسرى إلى مُحَمَّد علي مرزوه وهو في كرمانشاه ، فجعل بعضهم (طبايخ) ، وبعضهم (كوانيس) ، وبقي عسكر العجم قريباً من بغداد ينتظرون أمر مُحَمَّد علي مرزوه في فتح البلد ، وقتل من فيها . وبقيت بغداد في شدة الحصار ، وأعظم الضيق والاضطرار ، فاستجار أهلها شيعةً وسنةً بالشيخ موسى وكتبوا إليه : إن لم تُدركنا عاجلاً أخذتنا المدافع ، وقُلعنا مع البلد ، وما فيها من الدور والجوامع .

فبعث موسى بن جعفر ابن عمه الشيخ موسى بن الشيخ عيسى بن الشيخ حسين بن الشيخ خضر<sup>(١)</sup> رحمهم الله أجمعين ، وكان حازماً سديداً .

حدثني عمي الأجل العباس بن علي عن موسى بن عيسى هذا أنه قال : أمرني مولانا وإمامنا موسى بن جعفر أن أسير بكتبه إلى مُحَمَّد علي مرزوه ثم منه إلى فتح علي شاه . فسرت حتى جئت بغداد فاستغاث بي أهلها ، والتمسوني السير سريعاً لرفع الضر عنهم ، فبعث معي سعيد پاشا كنخوته أحمد المعروف بأحمد أبو عقلي ، فسرت معه على طريق السليمانية لأحاطة العجم بطريق خانقين ، فكان (الكنخوة) لا يعتني بي ولا يراني شيئاً ، ورُبما نام في الأثناء فمدّ رجله علي ، وإذا دخلت لا يقوم . فلما جئنا السليمانية نزلنا في

(١) توفي الشيخ موسى الخضري سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .



دار محقرة . فلما سمع عبد الرحمان پاشا وكان ملكاً عظيماً يحكم على ثلاثمائة ألف من العسكر الذين هم تحت السلاح ، وكان والي بغداد لا ينصب إلا برأيه ورأي رئيس (المنتفج) ، وكان يُمنّي نفسه بالسلطنة في تلك الأقطار . فلما سمع بقدمي بعث عليّ ، واستقبلني من الباب وقبّلني وجعل يسألني عن الشيخ موسى وأحواله وأهله ، ثم جعل يعاتبني على عدم نزولي عنده ، ثم بعث على راحلتي وعُدّة سفري . ثم جاء (الكخوة) وهوى إلى الأرض تعظيماً ثم وقف والپاشا لم يتحرك من مكانه فسأله عن أحوال سعيد پاشا وهو يجيبه بتمام الخضوع . ثم بقينا ثلاث أيام أتعشى معه وأتغدى معه و(الكخوة) مع الخدمة في كلّ أوقاته .

وفي اليوم الثالث ودّعنا الپاشا وسرنا إلى كرمانشاه والكخوة على حاله من عدم الاعتناء بي . فلما قاربنا كرمانشاه أتتنا رسل الشيخ عبد الرحيم وكان المُبرّز فيها فنزلنا داره ، ووصل الخبر إلى مُحمّد علي ميرزا ، فبعث إليّ أن لا تبتدئي بالجمي وإذا جئته فلا يعتني بي ، ولا يقوم لي إجلالاً فأَنْ فعل شيئاً من ذلك فلا نجاح لحوائجه عندي .

يقول موسى : فما كان إلا يسيراً حتى سمعتُ أصوات الطبول ونغمات المزامير وهمهمة الخيول ، وإذا بحلقة تناهز المائة من (الرجالة) على نسق واحد من الأشكال والأسلحة واللباس ومثلها من (الخيالة) . ولم تزل تدخل علينا المائة بعد المائة حتى إمتلأت الدار ، وهناك جاء الميرزا ، ودخل عليّ فسلم وجلس بين يدي ، وجعل يسألني عن كلّ جزئية وكلية ، ثم عطف يسألني عن باقي العلماء في النجف فرداً فرداً ، وطائفة طائفة وأنا أجيبه حتى قال لي : وكيف حكام بغداد معكم واعتناؤهم بكم ولا أظنهم يوفون حق (الشيخ) وما يجب عليهم من مراعاته ، ثم التفت إلى أحمد كخوة وكان متمثلاً مع الخدم في طرف المجلس فقال : يا أحمد كيف سعيد ، أما والله لقد غرّه حلمنا عنه حتى أصبح شقياً وليعلمنّ نبأه بعد حين .

يقول موسى : بدت لوائح الغضب عليه ، فقلتُ : يا أمير جئتُك شافعاً من لسان الشيخ وهذه مكاتيبه بعثها إليك ، فأخذها وقبّلها وقام على قدميه إجلالاً فقرأها وقال : حباً وكرامة ، أما أنا فقد عفوت ولكن ينبغي مراجعة والدي فتح علي شاه . فكتب معي مكاتيب وقال : اعطها لوالدي مع مكاتيب الشيخ ، ثم ودّعني .

وأردت أن أقوم تعظيماً فنظرني شزراً ، فعرفتُ أنّه يشير إلى الوصية التي أرسلها إليّ أولاً فجلستُ وفرائصي ترتعد من هيبتة . وأما الكخوة فأثّه استقبله من شارع الطريق وودّعهُ كذلك والميرزا لم يعتنِ به في كلّ ذلك .

ثم ارتحلنا فجننا طهران وكان الشاه مخيماً خارج البلد فأمر بنخيم ضربت لنا وأنزلنا على الرحب والسعة ، وكان مع الكخوة هدايا للشاه من الباشا ومثلها محمد علي مرزه لم يقبلها ، وقبلها أبوه ؛ منها ثلاث شَمَامات عنبر ، وثلاث سبج من كهرَب ، وكوهر ، وجوهر ، فبعثها إليه .

وجاء الشاه إلى خيمتي فأمر بأحضار الكخوة فكساه كسوة فاخرة ، وأمر بأحسن منها وقال خذها معك للباشا . وأمر لي بمال غزير فاستطعت من ذلك الحين لأنه كان يقوم بمؤن عشرين حجة ، ثم أمر بإطلاق الأسرى التي في كرمانشاه ، وانصراف العسكر عن بغداد . ثم مُهدت لنا الرواحل فارتحلنا راجعين إلى أوطاننا .

فلما صرنا في الطريق رجع الكخوة إلى ما كان عليه من عدم الاعتناء بي ولم يزدني تعظيم السلاطين والأمراء عنده إلا ضعة وخمولاً ، وكنتُ أتأمل في وجه تسميته «بأبي عقيلين» فعرفتها ، وعرفتُ أن الذي أرسله «أبو ثلاث عقول» .

وفي الأثناء جاءني كتاب من الشيخ يأمرني بعدم المرور ببغداد والنزول في الكاظمين (ع) ، فامتثلت . ولما سمع الباشا جاء لزيارتي هو ، وعساكره وجعل يتشكر للشيخ ولي علي دفع هذه النائبة العظيمة عنهم ، وبعث معي مكاتيب تشكر للشيخ ، فأخذتها وجئت النجف وتجهّزت من حينئذ إلى الحج .

ثم قال العم أيده الله : وأنا شاهدتُ يوسف بيك لما جاء في آخر عمره قائمقاماً للنجف وكان يومئذ طاعناً في السن فكان يقول للشيخ مُحَمَّد رضا بن الشيخ موسى : «أنا من كولاتكم ، أي عبيدكم ، لأنني كنت في أسر العجم أتوقع القتل ساعة بعد ساعة وأنا كنت قد قتل جملة من عسكرهم فلم أكن أشك في هلاكي حتى أدركني الفرج بموسى غن موسى» . إنتهى حديث الشيخ سلمه الله .

وكانت هذه الواقعة بعد أيام من نصب سعيد باشا والياً<sup>(١)</sup> .

وسعى ملا مُحَمَّد حاكم النجف بالشيخ موسى إلى الوالي ثم ندم الرجل لعدم تمامية الأمر له . وفي الأثناء صدرت هذه الواقعة فتحكم لدى الباشا ما أخبره به ملا مُحَمَّد من جلالة الشيخ وعظمته وأنه هو المطاع ، في هذه الأصقاع ، فتقل عليه الأمر كثيراً ، ولكنه لم يجد سبيلاً على الشيخ . وبقي ذلك في نفسه حتى جاء الأخباري وفعل ما فعل ، وقُتل في الأثناء . ثم اعتصم الشيخ بأهل الحلة إلى أن قُتل الوالي بعد أيام وأشهر .

(١) وُجهت وزارة بغداد ، والبصرة ، وشهرزور (السليمانية) إلى سعيد باشا غرة جمادى الآخرة سنة ١٢٢٨هـ .

وقيل إنَّ الشيخ لما غضب على ملا مُحَمَّد ، وخرج إلى (إستار) رئيس (الدَّعَاة) وبقي هنالك يراجع الأستانة ، واشتكى على سعيد باشا ولم يرجع إلى النجف حتى أتى الأمر بالعزل عليه ، فرجع الشيخ إلى محله وقد حظى بأوليه .

والحاصل ما انقضت تلك السنة وأيامها إلاَّ وسعيد باشا معزولاً ، أو مقتولاً في بغداد ، وملا مُحَمَّد في النجف ، «فمكروا ومكر الله والله خير الماكرين» .

ثم تزوج ببنت السيد رضا شبر في الكاظمية جذباً لقلوب أهلها - كما عرفت - بعد أن اتفق هو والعلماء المبرزون ، على قتل ذلك المذموم الملعون ، فوقع الحق وخسر هنالك المبطلون .

وبقي الشيخ قاطناً في الكاظمين عند زوجته (الشَّبرية) ما يقرب من سنتين حتى توجه مُحَمَّد علي ميرزا إلى بغداد ثانية ، وقد جاء بجميع جنده غازياً ؛ لكلام بلغه من حاكمها يتضمن التهديد والوعيد للعجم وأنه سيأخذ الثأر منهم ، فجاءهم على غفلة من أهلها فحاصر بغداد أشدَّ الحصار ، فاستغاثوا بموسى بن جعفر فأتى مُحَمَّد علي مرزه ، وكان مُخَيِّماً في سامراء لطيب هوائها . فقال له : إن إمامك موسى بن جعفر يقول لك إرجع ، وإلاَّ أرجعتك بعصا موسى هذه ، (وهزَّ عصا كانت بيده) فارتعدت فرائصه على عظمتة وقال : سمعاً وطاعة .

وبعث الشيخ على داود باشا فأصلحه مع مُحَمَّد علي مرزه بعد أن جرى بينهما عتب طويل ، ثم تحكَّم في ذهن داود باشا أن مُحَمَّد علي مرزه لا يترك العراق ما دام حياً إلاَّ أن يأخذها ؛ فقبل أعطى مالاً غزيراً لميرزا هادي الجواهري (وكان يومئذ وكيلاً للميرزا وأمينه) فسمه ، ولم يخبر الجند والعسكر خوف أن يتفرقوا حتى جاء به إلى كرمانشاه فأظهر أنَّه مات حتف أنفه . وقيل أنَّه واقعاً كذلك ، والله أعلم .

هذا ما انتهى إلينا من هذه الوقائع مع غاية الضبط والجهد في الاختصار والتلخيص . وقد خلط بعض المؤرخين من المتأخرين خلطاً كثيراً ، عصمنا الله وإياهم من الزلل ، واتِّباع الخطل ، إنه أرحم الراحمين .

ثم رجع الشيخ إلى بلده بزوجه مؤيداً منصوراً ، وعدوه مهوراً ، ونهض مستقلاً بأعباء الرئاسة ، ومستمراً لإعطاء طلبه العلم حقهم من الدراسة ، وتمهّدت له الأمور ، وأذعن له الجمهور ، وبلغ أقصى ما يُتصوّر ، من مراتب العلم والرئاسة ؛ حتى حدثني بعض الشيبة الكبار ، من العلماء الأبرار ، أن جماعة في زمان الشيخ تخاضوا الحديث في جلاله قدر الشيخ موسى وعظمته ، فقال رئيسهم : أني قد تفحصت وتتبع العلماء من أول صدر

الأمة إلى اليوم فلم أجد رجلاً ضمَّ إلى أقصى ما يُتصور من العلم ، أقصى ما يتصور من الرئاسة حتى الخواجة نصير الدين<sup>(١)</sup> فإنه لم يبلغ تلك الدرجة عند (هولاكو) التتار إلا بعد أن حُبس مراراً ، وموسى بن جعفر كلٌّ من هم بقتله وآذاه ، عَجَّلَ الله عليه فأرداه ، كما عرفت .

وكان رحمه الله كما هو مشهور عنه في زمانه الى اليوم أنه ليس بينه وبين الحق سوى القبض على لحيته المباركة ، ولذلك حكايات تشهد بذلك له .

منها : قضية مسائل الميرزا القمي ، فإنه لما قال لأخيه : أكتب وأنا أملي عليك ، حتى وصل الى المسألة الثالثة وكانت معركاً لأنظار العلماء لغموضها فقبض الشيخ موسى على كريمته الشريفة يسيراً ثم أجاب بما أبهر الميرزا وأعجبه .

ومنها : ما سمعته من جماعة من الثقات عن الشيخ العالم النحرير الشيخ مُحَمَّد حسن الشروقي<sup>(٢)</sup> وهو من تلامذة موسى وأبيه قال : كان لي صديق من فضلاء ذلك العصر ، وكنا نحضر عند الشيخ موسى معاً ، فلما توالى المزعجات عليه من أعداء أبيه التي أوجبت عدم استقراره في البلد جمع الفاضل شردمة قليلة من الطلبة وصار يباحثهم حتى أتى يوماً يتبجح ويفتخر بمسألة يدعي ابتكار تحقيقها ، والتفرد بأخذ أدلتها وطريقها ، وبعد أن أملاها على الطلبة ، وأزاد بها عَجَبَةً وَعَجَبَةً ، قال : أين الملوك وأبناء الملوك عن هذه اللذات ، مُعَرِّضاً بأستاذيه . فلما رجع الشيخ إلى وطنه ، وبلغه الله بعد هلاك أعدائه الى مأمنه ، وأزدحمت الناس والعلماء على بابه للتشرف برؤياه والمثول على أعتابه ، جاءني ذلك الشيخ وقال لي : قُمْ فمضِ إلى الشيخ موسى فهذا يوم المباهلة ، وسترى من أولى بالتقديم ، وأحق بالتسليم .

فجئنا دار الشيخ الكبيرة الداخلة فوجدناه في الأيوان الكبير والعلماء حافون به وهو متكئ على وسادة وُضِعَتْ له وكان يستلقي عليها ويضع إحدى رجليه على الأخرى ، كُلَّ ذلك (لبواسير) كانت لا يقدر أن يجلس منها على المعتاد .

فلما جلسنا قال له تلميذه الذي معي بعد التحية والسؤال عن أحواله : إننا بحمد الله بعدك لم نفتّر عن التحصيل ، والمحاشاة عن التعطيل ، وقد حققنا كثيراً من الفروع الغامضة وقد أشكل علينا فرع منها لم نصل الى حقيقة واقعه ودليله . ثم ذكر الفرع والشيخ منصت له

(١) نصير الدين الطوسي من أعظم فلاسفة الاسلام . ولد سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠٠م ، وتوفي سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٣م ، عيّنه هولاكو وزيراً للأوقاف . وكان شخصية علمية مبرزة ، لم يشتهر أنه حُبس أو نُكِّلَ به في عهد المغول ، وإنما أصابه شيء من ذلك قبل هذه الفترة عند إقامته تحت ظل حكم الأسماعيين في قلاع (الموت) .  
(٢) الشيخ مُحَمَّد حسن الشروقي (هو جد أسرة آل الشروقي) ، توفي سنة ١٢٧٧هـ / ١٨٦٠م .

وهو على حاله ، فنأدى أن يُملَى له (الشطب) ، فملئ وجئ به فشرب منه (نفسين) ثم رماه وقد احترق وصار كالفحمة ، ثم استوى جالساً وقبض على لحيته الشريفة يسيراً ثم رفع رأسه وأخذ يفرع المسألة ويذكر شقوقها ومحملاتها ويسرد أدلتها ويملي كلمات القوم فيها ، ويتلو بعض ما أجيب به عن إيراداتها ، فذكر في ضمن ذلك ما حققه ذلك الفاضل لتلاميذه ، وأخذ يرد كل ما أوردوا وما أجيب ، فأقسم بالله الراوي أن الشيخ بقي ساعة وهو كالسيل المنحدر من أعلى الروابي والجبال وتلميذه ، وجميع من في المجلس من العلماء كالشيخ أسد الله ، والسيد عبد الله شبر منصفون له طائفة ألبابهم ، ذاهلة عقولهم من تلك القوة الخارجة عن حدّ الأعجاز . ثم قال : هذه رشة ما ينبغي في المقام ، وهناك تحقيق فوق هذا يضيق عنه الوقت ، فانتهاز فرصة من أيامنا ، واستفده منا .

ثم خرج الفاضل من عنده يجرّرجليه ، وخرجت معه وأنا أضحك عليه . ثم قلت له : يا شيخ ما صنعت اليوم بنفسك ، فقال : لا تلمني فوالله ما كنت أدري أن ليس بين الحق وبين الشيخ سوى القبض على لحيته . ثم استمر على الحضور تحت منبره ، والأقتباس من إفادته ، إلى حين وفاته .

ورواها السيد البراقي في «معدن الشرف» عن عدّة من رجاله كحجة الإسلام ، في هذه الأيام ، الشيخ مُحَمَّد طه نجف ، والشيخ حسين نجف<sup>(١)</sup> ، وغيرهم من العلماء الأعلام أن بعض تلاميذ الشيخ موسى (وقد سمّاه في كتابه) جعل يباحث في أواخر أيام الشيخ جماعة من الطلبة حتى انتهى إلى مسألة اختار بها خلاف المشهور ، وبرهن على ما أفتي فيه من مخالفة لإجماع الجمهور ، وأثبتها بزعمه ، وقطع من نازعه فيها بدرسه ، ثم قام مع حفدة من أصحابه ، ودخل على الشيخ موسى وهو مبتهج بتنقيح المسألة والفراغ منها والاستدلال بقال المشهور فيها ، فقال للشيخ موسى : ما رأي شيخنا في المسألة الفلانية ، فأجابه على ما عليه الشهرة ، فقال ذلك الفاضل : إنّنا قد شهرناهم واخترنا خلافهم وأثبتنا ذلك بالأدلة المعتبرة . ثم أراد أن يذكر دليله فأشار الشيخ عليه بالسكوت ، فسكت . ثم قبض على لحيته وأطرق برأسه مقداراً يسيراً ، ثم رفع رأسه وقال : أظنك تمسكت (بكذا) و(كذا) وأخذ يذكر مستند تلميذه ثم دفعه بأمر ، وأخذ يؤيد حجج الجمهور ، ويأتي عليها بالشواهد والبراهين ، حتى أثبت أنها الحق على اليقين ، واندفع كالسيل المنحدر من الجبال إلى منخفض البقاع ، كلّ ذلك وتلميذه ساكت إلى أن فرغ الشيخ . فقام الرجل يجرّرجليه فدنا إليه بعض أصحابه ، وقال له : (بنيناها) وهي كلمة ردية تقال لمن أراد أن يفهم فأفهم .

(١) الشيخ حسين بن الشيخ يعقوب بن جواد بن الشيخ حسين نجف الكبير . توفي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م .

فقال : ويحك والله ما كنت أدري أن ليس بين هذا الشيخ وبين اللوح المحفوظ سوى القبض على لحيته . إنتهى .

وهذه القصة متواترة معنا وهو أول من قالها في حق الشيخ موسى . ثم استمر به .

وقد سمعتُ القصة أيضاً من حجة الأسلام والمسلمين ، وعمود الملة والدين ، الحاج ميرزا حسين ابن الحاج ميرزا خليل رحمه الله . وصاحب السؤال أيضاً هو من أساطين العلماء المصنّفين ، ومن أجلاء مشايخ المسلمين ، عطر الله مراقدهم أجمعين .

وفي ضمن هذه الوقائع تبين لك شيئاً من كرامات الشيخ وجلالته وعظمته . على أنه قد كفاك في ذلك كلمات أبيه فيه قال في «روضات الجنّات» بعد الثناء على الشيخ الأكبر ، وكذا أبنائه الأجلّة الكرام ، ومشايخ الأسلام ، والفقهاء الأعلام ، وهم الشيخ الأكبر الأفخر ، موسى بن جعفر ، وكان خلاقاً للفقهاء بصيراً بقوانينه ، لم تُبصر بنظيره الأيام ، وكان أبوه يقدّمه في الفقه على مَنْ عدا المحقق والشهيد (ره) ، إنتهى <sup>(١)</sup> .

وفي «نقد العلماء» بعد أن قال : وللشيخ الكبير (ره) ثمانية أولاد كلهم علماء فضلاء ، وساق الكلام الى أن قال : منهم : ابنه الشيخ الجليل موسى عالم فاضل ، عامل كامل ، علامة عصره ، وفريد دهره ، فقيه مجتهد ، سأل بعضهم من أبيه : مَنْ أفاقه الناس على الأطلاق ، فأجابه : أنا ولدي موسى والشهيد الأول ، إنتهى .

وهذا يكاد أن يكون فوق التواتر بمراتب ، ولو لم يكن ما قاله الشيخ في ولده حق لما ألقيتُ مقاليد الأمور إليه ، وعكفتُ همم طلاب العلم والعلماء عليه ، على كثرة من كان في زمانه من العلماء الجماهير ، والفقهاء المشاهير ، ممن لم تسمح الأيام لهم بنظير ، وكيف لا وفيهم مثل الخبر النحرير ، الشيخ أسد الله التستري ، والمقدّس السيد محسن ، والسيد السند حجة الأسلام السيد مُحَمَّد باقر الرشتي ، والشيخ مُحَمَّد تقي ، والميرزا القمي ، والشيخ حسين نجف ، والسيد رضا الطبطبائي <sup>(٢)</sup> ، والسادة (القزاونة) السيد حسن ، والسيد باقر ، والسيد علي ، والشيخ محسن الأعسم وبني عمّه ، والشيخ خضر شلال ، والشيخ مهدي ملا كتاب ، والشيخ قاسم محيي الدين ، وأمثال هؤلاء من الجهابذة الأساطين .

وأما جوده وكرمه فمما يضيق عنه نطاق البيان ، وتحسر عن الوصول إلى إدراك حدّه

(١) روضات الجنّات ، ج ٢ ، ص ٢٠١ .

(٢) السيد رضا بن السيد مهدي بحر العلوم . وُلِدَ سنة ١١٨٩ هـ / ١٧٧٥ م ، وتوفي سنة ١٢٥٣ هـ / ١٨٣٧ م . هو جدُّ السادة آل بحر العلوم ، وآل الحكيم ، وآل الطباطبائي - أسرة السيد علي صاحب «الرياض» - .

الأذهان . وقد سمعتُ جماعةً من الشَّيْبَةِ الكبار أن الشيخ موسى كان يعول بثلاثي أهل النجف ، وكان يعيّن لكل بيت مقدار ما يكفيه كُلَّ يوم من المصارف ، ومنهم العلامة الشيخ مُحَمَّد حسن صاحب «الجواهر» وعائلته ، فأنّه كان يأخذ كُلَّ يوم من وكيل الشيخ موسى شاميين التي كانت مقدار أربع قرانات من نقد عصرنا . فمما ينقل عن الشيخ مُحَمَّد حسن (ره) أنّه كان يقول : «إني أرى الشيخ موسى في اليوم الذي يعطيني تعييني فوق ما هو فيه من العلم والتحقيق ، وفي اليوم الذي لا يعطيني أراه دون ذلك»!

وقد ذكر السيد البراقي في «معدن الشرف» حكايات باهرة في عطاياه وأياديه وقد تركناها على مقتضى ما شرطنا سابقاً . ولكننا نختمه بما حدثنا به السيد الزاهد العابد ، الراجح الساجد ، سيدنا المفضال السيد جعفر جلال ، أبقاه الله بركة في الأرض ، والدعاء له على كُلِّ ندب فرض ، وهو اليوم من المُعمرين في البلاد ، فإنه على ما سمعته منه وَلَدَ في سنة وفاة الشيخ الكبير ، فهو على هذا قَدْ أَناف اليوم على التسعين . ومن منن الله تعالى عليه أنّه على هذا السنّ لم تضعف قوته ، ولم ينقص بصره ولا بصيرته ، ولم يقع شيء من أسنانه ، ولم تنهدّ قوى أركانه . قال : سافر والدي الى زيارة مولانا الرضا (ع) ، وكانت سنة مجدبة ذات قحط شديد فخلّف لنا مقداراً من المال فصرفناه في أيام يسيرة ، وبقينا في حاجة وحيرة ، فقالت لي والدتي وكنتُ يومئذ صغيراً لم أبلغ الحلم : قَدْ أَصْرَتْ بنا الحاجة فمالك لا تأتي موسى بن جعفر وهو من صفاته كذا وكذا ، فذكرت له حالنا وعرفته بأبيك وسفره فعسى أن يرقّ لك فيعطيك نفحة من جوده تُحيي منّا من هلك . فشجّعْتُ نفسي ومضيتُ المغرب فصليتُها خلفه في المسجد الجامع ، فلما فرغ من أداء المكتوبة ونوافلها قمتُ إلى محرابه فأردتُ الوصول إليه فما أمكنتني ذلك لازحام الناس لديه ، وتهافتهم كالفرّاش عليه ، فسبقته ووقفت بباب دان . فلما دخل قبلت يديه ، وشرحت قصتي عليه ، فسألني عن أبي ، فعرفته به وبنسبي ، فقال سيصلك المقدور ، وعلى الله تيسير الأمور ، وبيعت لنا ولك من إحسانه ، فامضِ على أمانه . ثم ودّعني ودخل الحرم ، وقد أزاح عني جميع ما بقلبي من الغمّ .

فلما كان الصباح دخل علينا وكيله الحاج إبراهيم شريف ، ومعه خمسة (حماميل) إثنان يحملان وزنتين من الحنطة ، وإثنان يحملان وزنتين من الأرز ، والخامس يحمل دنأ كبيراً في منّان من السمن . فوضعوا الجميع في وسط الدار وناداني الحاج إبراهيم وقال لي : إن الشيخ يلتبس منك العذر وقد بعث معي هذه الشاميات ، ثم أخرج كيساً فيه مائة شامي ، ثم ودّعني ومضى . فناديتُ والدتي وأهلي فلمّا اطلعوا على نوال الشيخ شهقوا

شهقة صبعقوا فيها الى الله بالدعاء للشيخ موسى . فكان مجموع ما بعثه إليّ (قده) في تلك الدفعة على صغر سنّي وعظم قحط السنة مقدار ما يساوي ألفي قران في حساب هذا الزمان .

ثم تفرقت عيناه بالدموع وقال : هكذا أدركنا علماء وأئمة ، والآن دفعنا الدهر إلى قوم لا يعطفون على الصغير ، ولا يرحمون الفاني الكبير ، حتى آل الأمر إلى أنني سمعت عند بعض العلماء الرؤساء في هذه الأيام ، حقوقاً للسادة الكرام ، فمضيتُ إليه وأنا على ما ترى من الكبر والشيبة ، والوقار والهيبة ، وقد قاربت المائة فشرحت له حالي ، وما ركبني من الديون والبؤس وكثرة عيالي ، وكثرتُ لديه شكواي ومقالي ، فوعدني وودّعني فخرجت منه وجاءني بعد أيام خادم له مع (مُكَنَّتَيْنِ) عبارة عن شامين ، فقلت له : أرجع إليه وقل له فليسدّ خلّته ، فلا حاجة لي بعطائه ، فأخذها الخادم ، ولم يعتنِ بشيء أبداً .

ثم أخذ يشرح لي أحوال علماء ذلك الزمان وأياديهم ، وتغير هذا الزمان على الفقراء والسادة ، ووقعه فيهم ، وكيف أن الشيخ عليّ لجلّ الشيخ يعتني به ويشفق عليه ، وكيف تنكّر الدهر له بعدهم وجلب شره إليه . فما زال يذكر أحوالهم إلى أن امتلأت بالدموع عيناها ، وانعدمت قواي ، أجارنا الله من سوء الخاتمة ، وجعلنا في جنة عاصمة .

وأما جلالة قدره ورئاسته وفخره ، ونفوذ نهيه وأمره ، على جميع الأنام ، خصوصاً الأمراء والحكّام ، فيكيفك منها الحكايات المتقدمة ، المشهورة المُسلّمة ، فإنه ملك الدنيا غرباً وشرقاً ، واعتقد أهلها به أنّه الإمام حقاً ، حتى سمعت من جماعة منهم عمّي العباس (سَلّمه الله) أنّه (قده) كان يقول مراراً لأصحابه : قدّ قبضتُ على جميع دنياكم هذه بيدي اليسرى وقد بقيت اليمينى خالية ، فلو كانت دنيا أعظم من هذه لقبضتها بيميناي . فقيل له يوماً : وأين الآخرة؟

فقال : تلك قبضتُ عليّ!!

وسمعتُ كثيراً أن داود پاشا لما تمهّدت له الأمور ببغداد ادّعى السلطنة فيها ، وعصى على الدولة العثمانية ، وضرب السكّة باسمه ، وأطاعته أغلب الأمصار ، فملك من باب البحر إلى أواخر السليمانية والأكراد ، فكان يبعث إلى الأطراف ، ويأخذ ما شاء من أهلها ، ويجعلهم عسكرياً وجنداً له . فبعث مرات إلى النجف بعض قواده والشيخ يدفعهم عن ذلك . فدفع مرة بعض أقربائه المعروفين بالبأس والأقدام فأتى النجف ، وجعل يقبض على كلّ من وجده في الطرق ففزعته الناس إلى الشيخ فبعث إليه ؛ فجاءه مع ملا مُحمّد حاكم النجف ، فقال له : أما يخشى داود أن أخسف به بغداد داره ، وأرفعها عليه حجارة حجارة ،



فارتعش القائد وقال : نعوذ بالله من سخطك . ثم أمر بأطلاق من قبض عليه وخرج . فقال له ملا مُحَمَّد : مالك فزعتَ هذا الفزع من (طَلَبَة) فقير ليس له إلا نفسه ، فقال : صه ، والله أنا أعرفُ منك ببغداد وبه ، إنه والله لو شاء لفعل .

وكان داود پاشا على ما عرفت من سلطنته يكتب في مكاتيبه الى الشيخ موسى : «قبلتي ومُصلاي ، وقدوتي ومولاي ، أطال الله بقاءك ، وجعلني فداك» . كما وُجِدَ بخطه .

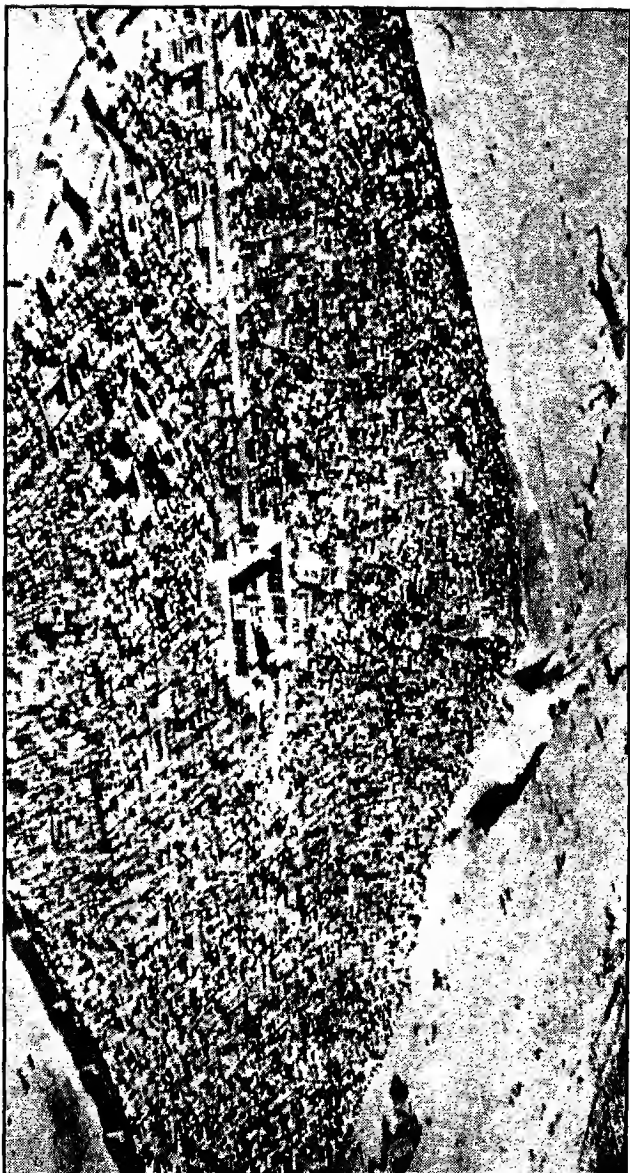
## آثار الشيخ موسى

وأما آثاره فكثيرة :

منها : سور النجف الموجود الى الآن فأثَّه أكمله بعد أن بنى منه جُملة أبوه . ولما توفى ، راجعَ الشيخ موسى (أمين الدولة) ، فحوَّلَ له مائة ألف تومان فصرف منها خمسين ، وبقي الباقي حتى جاء أمين الدولة بعد فتح علي شاه الى العتبات معزولاً محجَّراً على أمواله والقصة طويلة ، فأعطاه الشيخ تلك الأموال لحاجته إليها .

ومن آثاره : المسجد الكبير المحاذي لمقبرة الشيخ الكبير ومدرسته ، وهو اليوم من المساجد المعمورة المعروفة ، وقد أضاف إليه أخوه الشيخ علي داراً كبيرة .

ومن آثاره : الدور المشتملة على خمسة بيوت الواقعة قريباً من المسجد والمدرسة ، وذلك أن الشيخ جعفر بنى داراً صغيرة على شارع الطريق العام لبحثه وكتبه ومطالعه وعبادته ، وكان أولاده في دار خربة ضيقة ، ثم سار الشيخ في الأثناء إلى العجم فحوَّلَ لولده الأكبر أموالاً غزيرة فبنى بها الدار الكبيرة التي وراء الصغيرة التي بناها أبوه وجعلها داخلة لدار أبيه الصغيرة . فلما جاء الشيخ الكبير وعلم بما صنع ابنه جعل يعاتبه ويقول له : ألم يكن بذلك أولى وأبقى لك ، فقال له : يا أبة ألم تشهد باجتهادي ، فقال : نعم ، فقال : إنَّ اجتهادي أدَّى إلى هذا الآن ، عزَّنا اليوم عزَّ للشرعية ، فقال له الشيخ : إذن نعم ما صنعت ، ولكني لا أدخلها حتى تملكها . فملكها له ، فقال : لا أدخلها حتى أوقفها قربةً إلى الله تعالى ، ثم أوقفها على النهج الخاص المذكور في وقفته لها . ثم لما دخلها ابتهج بحسنها وتشبيدها لأن الشيخ موسى بعث على أساتيد العمال من العجم فعَمَّروها على هيئة عجيبة ، وترتيب غريب وجعلوا فيها حماماً كاملاً للوازم وداراً للطبخ ولوازمه ، وأخرى للخبز و(التنور) ومقدماته من المطاحن والمدار ، وداراً (برانية) بخذاء دار أبيه الصغيرة فيها (طنبية) كبيرة مرتفعة تشتمل على ثلاثين ذراعاً طويلاً وعشرة عرضاً ، وفي الدار الداخلية التي نحن اليوم



منظر لمدينة النجف في القرن التاسع عشر الميلادي ومحاطة بسورها الشهير

فيها من منن الله المنان ما يزيد على العشرين (حِجْرَة) كُلَّ (حِجْرَة) قدر دار من دور هذا الزمان ، وبناء (حِجْرِها) على هيئة بناء (حِجْر) الصحن الشريف في الارتفاع والعلو والأحكام والطول والعرض . وأما أساسها فمن بنائها إلى الآن لم يتضعع منها شيء . وقد مضى لها مائة وعشرون سنة لأن تاريخ الدار الصغيرة :

«لا زال بيتك جعفرٌ معموراً»<sup>(١)</sup>

وهي بعدها بسنتين . وفي هذه الدار من المكامن والخفايا فوقاً وتحتاً ما لا يهتدي الجن إليها .

فمن أسفلها سرداب الوهابي الذي مرت الإشارة إليه ، ومن أعلاها حجرتان كبيرتان في طرفيها ، وفي كُلِّ حِجْرَة حِجْرَة صغيرة تسمى اليوم (بالصُنْدُقْخانة) ، وفي أعلاها حِجْرَة كبيرة يُصعد إليها من سقف تلك (الصُنْدُقْخانة) بطريق خاص لا يعرفه إلا من يعلمه ، كُلُّ هذا لأجل ما كان في النجف من الخوف والغارات والنهب من الأعراب وغيرهم . وأما الآن فبحمد الله لا حاجة إلى هذه الأشياء وأشباهاها بواسطة الدولة العلية العثمانية ، والأيرانية .

ثم أن الشيخ الأكبر بعد أن دخلها وابتهج بها جعل يدور فيها ، ويكبرُ الله ويقدسه ويديه إناء فيه ماء وهو يقرأ عليه بعض الآيات والأدعية ويرشه على جدران الدار . فسئل عن ذلك فقال : أرجو بهذا أن لا تخلو دوري هذه من عالم يهدي إلى الحق .

أقول : وقد حقق الله رجاء الشيخ فأن هذه البقاع المقدسة والأمكنة ما خلّيت من علم يُرجعُ إليه منذ مائة سنة . ونحن نرجو أن يدوم ذلك مدى الأبد ، بحمد وآل مُحَمَّد (ص) .

وسمعتُ من مشايخنا (أدام الله وجودهم) أن الشيخ رأى في المنام وهو بمكة المشرفة أنه جالس تحت ميزاب الذهب يبول وتطير من بوله جذوات نور فتصعد وتعلو في السماء ، ثم تخمد وتهوي ، وتصعد قطرة أخرى فتستحيل جذوة نور مكانها ، وهكذا . فانتبه الشيخ مرعوباً وقصّ ، رؤياه على شريف مكة فقال : لا يزال من ذُرّيتك عَلمٌ يقوم مقامك .

وفي «قصص العلماء» ما هذا نصه : «ومن كرامات الشيخ أنه دعا الله أن يهبَ أولاده الفقهاء جيلاً بعد جيل . وقد مضى حتى الآن من يوم وفاته ستون عاماً وأولاده ، وأحفاده فقهاء بالفطرة مشغولين بالتدريس ، وكأنَّ الفقه متوارثٌ عندهم» .

(١) تاريخ بناء الدار الصغيرة هو سنة ١٢١١هـ / ١٨٠٧م . وبناء الدار الكبيرة سنة ١٢١٣هـ / ١٨٠٩م . فيكون تاريخ بناء الدار الكبيرة حتى زمن تأليف الكتاب يقارب القرن من الزمن .

ولما بنى الشيخ موسى هذه الدار اتصلت له المدائح والتهاني . وسيأتي كثير من ذلك في محله وقد أُرخت الشعراء ذلك البناء الذي بناه الشيخ . فمنه ما قاله السيد الشاعر ، الأديب الماهر ، المرحوم السيد باقر ابن المرحوم المبرور سيد إبراهيم الكاظمي ، وكان من فحول الشعراء في ذلك الزمان ، الحائز مضمار الآداب والعلوم وقصب الرهان . وستأتي نبذة من شعره .

فمن ذلك قوله مؤرخاً بناء دار الشيخ (ره) :

تهنُّ واسعدُ أبا موسى بدارِ عليٍّ      تحكي السما بمصاييح تزيئُها  
طابتُ مقاماً لناحيها فأرخَّها      (عمَّرت للمجدِ داراً طاب مسكنُها)  
وله فيها أيضاً :

قدَّ عمرُ الشيخِ المُقدَّسُ (جعفرٌ)      بيتاً به إزداد الوفودُ سرورا  
واستقبلوه بالدعاء ، وأرخوا      (لا زالَ بيتُك جعفرُ معمورا)

وهذا دعاء للبرية شامل ، (فليرحم الله عبداً قال آميناً) .

### رسالة الشيخ موسى إلى فتح علي شاه

وكان الشيخ موسى رحمه الله قد ضمَّ إلى نور علمه الساطع ، سنا أدب بارع ، وزين مشكاة فهمه الذكي ، بالآلئ آداب أزهار الروض الذكي<sup>(١)</sup> . فمن بعض ما عثرتُ عليه ما يدل على ذلك كتاب كتبه إلى الشاه فتح علي يعزِّيه بالشيخ الأكبر ، ويطعن في آخره بميرزا مُحَمَّد الأخباري لما أظهر من الشماتة ما أظهر ، وهو :

إنَّ غاية ما لهجتُ به ألسن الصحف والرسائل ، ونهاية ما تبجحتُ به خواطر أرباب الوسائل ، وأبهى ما ترقمه الأقلام بعنوان المعاني ، وأشهى ما يترجمه لسان الأملاء عن المعاني ، وأصدق ما حدثت به رواة آثار التسليمات السليمة ، وأوثق ما أعربت عنه دفاتر التحيات المستقيمة ، مقبول فقرات لا تمجُّها الأسماع ، ومملول عبارات لا تنبو منها الطباع ، وبلغ كلام تستنير نجوم الدعاء في سماء بلاغته ، وبديع سلام تستبين أنوار الشناء من مصباح براعته ، يسعد ذلك بالتوجُّه إلى حضرة الماجد الذائد ، عن بيت ذمار الشرف بلسانه وسنانه ، وهاتك أستار العلم بثاقب بنان فكره وبيانه ، الذي تسامت أبكار مكارمه على عود

(١) الروض الذكي : العاطر .

المكارم وأبكارها ، وتعاضمت عظام فواضله في عيون الأعظم وكبارها ، المتفرد بغزارة علمه ، وسعة حلمه ، وكمال زهده ، وورعه ورشده ، وجلال منزلته ، وجمال سيرته ، وطاعة أوامره ، وامتنال زواجه ، شعراً :

وتُغْنِيكَ عن مدحي شواهدُ فضلهِ      وَعَنْ ذِكْرِهِ آثارُ فضلٍ له تهدي

المولى الأعظم ، والعماد الأقوم ، لا زالت طلائع الأقبال عليه مقبله ، ومحاسن الأيام بوجوده متصله ، بمحمد (ص) الأمين ، وآله الميامين .

أما بعد ، فأتانا نحمد الله الأحد ، الذي تقصر الأوهام عن تصوّر ذاته الصمد ، الذي تعجز الأفهام دون تحديد صفاته ، حمد متلّيل لعظمته ، مفتقر إلى رحمته ، ونشكره شكر مفوّض إليه أمره ، مخلص له علانيته وسره ، على ما أبلانا وإياكم بحسن بلاته ، ومحتوم قضائه ، ونثني عليه بما أصابنا من دهشة هذه الداهية ، التي أصمّت كلّ أذن واعية ، وبغته هذه الرزية التي هانت لديها كلّ بليّة ، فأنّها التي تهزم مواكب الصبر ، وتلثم جوانب الصدر ، (وتلك بيت الله قاصمة الظهر) ، فتباً للدهر غادرنا فغادر منازل العلم موحشات وأجياهه عواطل ، ورمانا بسهم أرزائه فلم يخط المقاتل ، وأدمى بوفاة حجة الله جرحاً لا تلتحم فطوره ، وأمات بموته قلباً لا يرجى نشوره ، فإيا لها من رزية أوجبت على كلّ منتم للدين أن يبكيه ، بدموع ساجمة ، ويرثيه بنفس واجمة ، وشوهاً لها من قارعة فتحت للأحزان باباً ، وضربت دون السلوان حجاباً ، وعمت وخصّت ، فلذا كان جناب (الملك) المؤيد جديراً بالتعزية ، وحقيقاً بالتسلية ، حيث أنّه في هذا المصاب ، من التمييزين بشدة الوجد والأكتئاب ، لشدة اهتمامه بأمر الدين ، وإخلاصه لأركان شريعة سيد المرسلين ، فأحسن الله له العزاء ، وإن عزّ في هذا الخطب مطلبه ، وألهمه الصبر ، وإن انقطع في هذا الرزء سببه .

وحضرة (الملك) أولى من ينبذ الجزع وراء ظهره ، ويعتصم بعروة صبره ، ويستلزم محتوم قضاء الله وأمره ، لأنه الخبير بأن الانسان وإن تنهى بالوجد فمفرغه إلى الاستسلام والانقياد إلى ما تجري به حوادث الأيام ، وإن الجزع لا يعقب رشداً ، ولا يكسب حمداً ، لما أودعه الله من العلم المبين ، والرأي المتين ، ومعرفة مجاري الأقدار ، واختلاف أحوال الليل والنهار . رزقنا الله وإياكم لذة الشكر ، ووفّانا نصيبنا وإياكم من جميل الصبر .

هذا والله تعالى تطول وتفضل على مقتضى عادة إحسانه وامتنانه وأبى تعالى إلا أن يسبغ عليّ نعمه ، ولا يسلبني رحمته وكرمه ، ففضى على تلك الحن أن تهذا شقاشقها ،

وتفتت صواعقها ، وتخمد نيرانها ، وتنهّد أركانها ، فهيهات أن يفلّ (العدو) جانب صبري  
 بغيلته ، أو يذلّ عزّة نفسي بحيلته ، أو تزعزعي رياح سبابه وإن كانت قاصفة ، أو تفزعني  
 بروق شماتته وإن كانت خاطفة ، أو ينفر سرب عزمي بأيده ، أو ينغص عليّ عيشي بكيده ،  
 ولا والله لا أزال عن مقام الثبّت إنّ حالّ أمر ، أو أزول عن مقام التجلّد إذا غالّ دهر ، كلّ  
 ذلك بأقبال سعود من أن مسّ العود أوراق ذابله ، وإن لحظ النجم طلّع أفله ، قطب دائرة  
 الجلال ، وسمط قلادة الكمال ، من لو تجسّم العقل لقبّل قدمه ، ولو تكلم الفلك لمدح قلمه ،  
 المنشور عدله ، المشهور فضله ، معزّ الدين ، وأمان المسلمين ، الشاهنشاه ، المؤيد بالنصر فتح  
 علي شاه :

مَلِكٌ عَنَتُ صَيْدُ الْمُلُوكِ لِبَاسِهِ	وشأى به (كسرى) مفاخر (قيصر)
مَلِكُ الرِّعَايَا وَالْمُلُوكُ بَعْزَمِهِ	تنحطّ عنها عزيمة (الأسكندر)
وَلَدْتُ بِهِ أُمُّ الْمَهَابَةِ أَوْحَدًا	متضمناً معنى العديد الأكثر
فَإِذَا وَطَأَتْ جَنَابَهُ قَدَسَتِهِ	فكأنّما تمشي به في مشعر
وَأَغْرَأَرُوعَ مَلَأَ سَمْعَ الْمُنْتَقَى	حُرّ الكلام وملء عين المُبْصِرِ
صَفْ مَا تَشَاءُ مِنْهُ سِوَى عِزَمَاتِهِ	فهناك جذوة مارج متسعر
تَعْدَى عِلَاهُ دِيَارَهُ فَلَهَا بِهِ	في مرتقى (زحل) جمال (المُشتري)

لا زال مؤيداً منصوراً ، وعدوّه مدى الأبد مقهوراً ، ولا برح ناكباً عن الدنيا غرورها ، ومائلاً  
 الى تحصيل الفوز بنعيم الآخرة وقصورها ، باذلاً فيما عند الله رغبته ، عاقلاً على طلب  
 الخيرات همّته ، ناشراً ثوب العدل والأيمان في الرعية ، سائراً في الملّك بسيرة أولياء الله  
 المرضية ، عالماً أن الدنيا وإن امتد حبلها فهي فانية ، وأن الآخرة وإن بعد أجلها فهي آتية ،  
 بصيراً بأعقاب الأمور ، خبيراً بمآل الدهور ، فلا تغرّنه زهرة الحياة الدنيا ، علماً منه أن وراءه  
 موقفاً نه سؤال ، عن جوابه الفصيح يعيا ، فصار من يحاسب نفسه كلّ يوم بنفسه ، قبل نزول  
 رسمه ، ويفكر في عاقبة أمره ، قبل حلول قبره ، فاعتبروا يا أولي الأبصار ، قبل أن يعز  
 عليكم الاعتبار ، ولا تقارفوا الظلم فيما ملكت أيديكم من الأُم ، فأنها والله الذنوب التي  
 تُغيّر النعم ، وترفعوا القسم ، وجانبوا الشقاء ، ومجالسة الأصدقاء ، وتشديد أمر (السحرة)  
 أولي الافتراء ، فتلك والله الذنوب التي تحبس غيث السماء ، وتردّ الدعاء ، واعتصموا بحبل  
 من الله وعظّموا أوليائه ، ولا تتبعوا خطوات الشيطان وحزبه الغاوين الرافعين لواءه ، عصمنا

اللّٰهُ وإياكم من ذلك ، وأعاننا على التحرز من الوقوع بتلك المهالك .

ولا أدري الى أين إنتهى بالحدث النيشابوري الأمر ، وفي أيّ أصفّاع الأرض قدّ استقرّ ، فقد بلغتنا عنه حكايات وهنّات ، واللّٰهُ وليّ الغيب في الأرض والسموات . ولكنني بحمد اللّٰهُ وسلامة (الملك) لا يزعجني تنمّر كاشح ، ولا يجرح جانب شرفي قدح قادح ، لما عليه جناب (الشاه) من فرط قدّم الشفقة ، وكمال سابق المودّة والمحبة ، نسأل اللّٰهُ أن يقرن ذلك بدوام الدولة وتّام النعمة ، وأن يجعل دعائم الدين محروسة بنظره ، ومعالم الدنيا مسوسة بجميل خطره ، والسلام .

### جواب فتح علي شاه على رسالة الشيخ موسى

فأجابه الشاه بكتاب يقول فيه :

«بسم اللّٰهُ الرحمن الرحيم ، والحمد لله الملك العليم ، مالك الملوك ، علام الغيوب ، لا يقبض ملك إلاّ بسلطانه ، ولا ييسط علم إلاّ ببرهانه ، والسلام بكّماله ، على مُحَمَّد (ص) وآله ، وخلفائهم القائمين مقامهم ، سيما مالك ملوك الولاية والوصاية ، وعالم علوم البداية والنهاية ، (شيخنا) المنتقل إلى رحمة ربه ، المشتاق إلى جواره وقربه .

وبعد : فقد أتى أيّها الشيخ الجليل ، والخبر النبيل ، (متّع اللّٰهُ المسلمين ببقائك ، وشرّفنا بلقائك) ، منك كتابٌ كاشف حجاب الأرتياب ، عن وجوه الألباب ، حاوياً جملةً من الحكم والآداب ، وأتيت بما لديك ، وأدّيت ما عليك ، من المواعظ والنصيحة ، عن أخبار صحيحة بأثار صريحة ، وعلى اللّٰهُ أن يوفيك أجراً جميلاً ، ويزيدك فضلاً جزيلاً ، ونحن نرجو من اللّٰهُ المستعان أن يوفقنا لطاعته ، وقضاء ما يجب علينا من العمل بتلك النصائح والحكم ويقربنا إلى ما يحبّه ، ويبعدنا عما يبغضه ، ويعصمنا من الذنوب ، ويحفظنا من الخطوب ، ويغيّر ما تغيّر النعم ، ويرفع ما ترفع القسم ، ويقطع ما يقطع الرجاء ، ويردّ ما تردّ الدعاء ، ويحبس ما تحبس غيث السماء ، وينصرنا من السماء بنصرته ، ويُمكّننا في الأرض بقوته ، «ولينصرنّ اللّٰهُ من ينصره إن اللّٰهُ لقويّ عزيز» ، ونرجوه أن يبيّلك مناراً للدين ، وخلفاً للماضين ، ويحيي بك كما أحيا بأبيك شريعة سيد المرسلين ، ولك المنة علينا التي أصبحت علينا كالغواصي مفيضة ، وأمطار النصح منها مستفيضة ، تواترت منها ريح القدس ، وانتشرت بها فوائح الأنس ، ضربت بيدك ينابيع المطالب ، حتى صارت لها ملاعب . وتا اللّٰهُ لقد شوقتنا إليك شوق ظمآن أشرف على الماء الى الورد ، وشفيت غليلنا بأراقتك ريق الأغذاء في كأس العقود .

وأما العلامة الخبير ، والنحرير البصير ، محقق الدقائق ، مدقق الحقائق ، الحاج ميرزا مُحَمَّد (سَلَّمَهُ اللَّهُ) فهو ذاك نستفيض منه ، ونستعين به ، عَمَّنْ سواك .

وأما عنك ، فأَنْ كان فكأقتران الفرقدين ، وإفادة الخبر الواحد غير الأثنين ، والسلام .

وهذا يدلّ على مكانة الرجل عند السلطان وحظوته لديه ، ولكن الله أقوى بطشاً وأشد تنكيلاً ، فما أغنى عنه سلطانه ولا ماله ، يوم نزلت عليه آجاله ، وما لبث إلا أن قال ما أغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه . وليجدنّ وشيكاً قوله تعالى : «خذوه فغلّوه ، ثم الجحيم صلّوه» .

### ما قيل في الشيخ موسى، وأولاده من الشعر

وأما ما قيل في موسى بن جعفر من المدائح والتهاني فهي أكثر من أن تحصر ، ولكننا نذكر نبذة تشتمل على بابين :

الأول : في مدائحه وتهانيه في أعراسه وأعراس بنيه .

والثاني : في مراثي أولاده ومراثيه .

أما الأول فيستدعي نبذة وهي : أني سمعتُ جملة من الثقات أن الشيخ موسى لم يتزوج حتى ارتقى مراتب الاجتهاد ، وأقرّ له بذلك أغلب العلماء الأمجاد ، ممن كان يحضر عليهم كالعلامة الطبباطي وأبيه ، وغيرهم من معاصريه . فعلى هذا يكون الشيخ قد اجتهد وعمره سبعة عشر سنة لأن وفاته سنة ١٢٤١ وعمره قد ناهز الستين ، وكان أول زواجه ببنت (الوسواسي) وذلك في سنة ١١٩٧ كما تقدم في قصيدة النحوي وتاريخها ، وما سيأتي من غيرها .

فالحاصل من ملاحظة المجموع أن ولادته في الثمانين<sup>(١)</sup> ، واجتهاده وزواجه بعد سبعة عشر سنة<sup>(٢)</sup> ، ووفاته بعد أربعة وأربعين<sup>(٣)</sup> الموافقة لسنة الواحد والأربعين بعد الألف والمائتين كما سيأتي (في تواريخ وفاته) في رثائه .

وهذا أمر وإن كان الناظر إليه من أهل هذا الزمان يراه من أعجب الأشياء لضعف الهمم ، وقلة العزائم إلا أنه غير عجيب بالنسبة إلى أصفياء الله وخلصائه . فقد قال الفاضل

(١) ١١٨٠هـ / ١٧٦٦م .

(٢) أي سنة ١١٩٧هـ / ١٧٨٣م .

(٣) سنة ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م .



الهندي<sup>(١)</sup> في «كشف اللثام» عند شرح ديباجة القواعد بعد نقل كلام فخر المحققين<sup>(٢)</sup> مضمونه : أني لما اشتغلت على والدي بقراءة المعقول والمنقول إلتمستُ منه أن يصنع كتاباً جامعاً لقواعد الفقه وحقايقه ، فصنع القواعد . قال الفاضل : وقد يستبعد قراءته للمعقول والمنقول قبل تصنيف الكتاب فأنَّ عمره على ما يظهر من تاريخ ولادته وتصنيف الكتاب إكماله أحد عشر سنة ، ولكن الفضل بيد الله يؤتیه من يشاء ، وقد فرغت من المعقول والمنقول ولم أكمل ثلاثة عشر سنة ، (إنتهى ملخصاً) .

ومثل هذا ينقل عن الشيخ أسد الله أيضاً ، وأظن ذلك في «مقاييسه» ولكن هذا الأمر في زماننا كاد أن يكون محالاً فإن نقطة العلم وسَّعها الجاهلون حتى صار الرجل يشتغل حتى يبلغ الأربعين والخمسين ، ولم يبلغ تلك القوة .

وقد رأيتُ على قرآن من موقوفات الشيخ الكبير وهو من فتح علي شاه ، وقد قَوْمَ هامشة بما يزيد على ثلاثة آلاف (قرآن) مكتوباً على ظهره بخط الشيخ الكبير صورة وقفيته ، وهي : «الحمد لله الواقف على السرائر ، المطلع على الضمائر ، والصلاة على مُحَمَّد وآله ، أشرف الأوائل والأواخر ، وبعد قَدْ أوقفت هذا الكتاب (القرآن المجيد) على ولدي الطاهر المطهر ، والعلامة الأكبر ، موسى بن جعفر ، أطال الله بقاءه ، وجعلني فداؤه . . . الخ» ، وتأريخ الكتابة سنة ١١٩٩ . فهي تدل على أن في ذلك الوقت كان بالمرتبة القصوى من الفضيلة .

ولنرجع إلى ما كنَّا بصدده ، فنقول إنَّ الشيخ لما تزوج (بالوسواسية) - وهم عشيرة كانوا من مشتغلي أهل النجف ، ومن أعظم تجار بغداد - ، مدح بمدائح كثيرة منها ما تقدم . ومنها ما قاله بعض شعراء بني قفطان يهنئ الشيخ الأكبر أيضاً بذلك حيث قال :

سرورُ البرايا في سروركِ يا (موسى)	وأفراحهم ما دمتَ بالله محروسا
وعيشهم ما دمتَ بالعيش رافلاً	وصفوهم ما دمتَ بالصفو مغموسا
وسرَّ بالهنا حلو الجنى منجج المنى	محلل نعمى لم يشب صفوها بوسا
بدا طائر الأقبال من كلِّ وجهة	يُغرَّدُ تسبيحاً ويسجعُ تقديسا
أضاء لكم بدر السَّعود ببرجه	وذا طالعُ الحُساد أصبح منحوسا
تهنُّ بأفراح جَلبن لك الهنا	وصيرونَ وحشيَّ المنى بك مأنوسا

(١) الفاضل الهندي هو الشيخ مُحَمَّد بن الحسن الأصفهاني المتوفى سنة ١١٣٧هـ / ١٧٢٥م .  
(٢) فخر المحققين هو ابن العلامة الحلبي توفي سنة ٧٧١هـ / ١٣٧٠م ، قيل إنه إجتهد قبل بلوغه الحلم .

أعدّ لكم ما تشتهي النفسُ حاضراً  
تغذيتَ علماً وارتديتَ معارفاً  
أخالك يا (موسى) سليمانَ عصرنا  
عيونُ به تجلى وقلبُ له صحا  
بعثتَ لأمواتِ القلوبِ حياتها  
ومُذ أُطلقتُ فينا أعنةُ فضلكم  
إذا كنتَ تُدعى اليوم (موسى بن جعفر)  
لذا الشرفِ العاليِ أذاك مهنيّاً  
فيا لفتى قَدْ حَيَّرَ الفكرَ وصفهُ  
فَلَمْ أَرِ عَقْلاً لم يَهْمُ في وداده  
خدينُ العُلى زينُ الملا طاهرُ الألى  
رئيسُ منى ما وجّهَ اللطفَ لامرئٍ  
يفيدُ (صحاح) الدرّ (قاموس) علمه  
يسيرُ بتدريسِ العلومِ نهارةً  
أخو قوة لم يُعْطِها اللهَ غيرُهُ  
فكم مُشْكلٌ للمعلمِ جلّ بيانهُ  
بذاك شأى الأفلاكِ قدراً وقُدرةً  
إذا ما جرى في العلمِ فالبجرُ (جعفر)  
فيالكِ فضلاً آخرّاً وهو أولُ  
فيا أيّها الشيخُ المُقدّسُ خيمهُ  
فما هو إلّا فرحةُ الناسِ كُلّهمُ  
ومُذ جاء (فرداً) قلتُ فيه مؤرخاً

فأصبحتُ الدنيا لديكم فراديساً  
فطبُ فيه مطعوماً وطُلُ فيه ملبوساً  
وإنّ كان عرشاً خلتُ عرشك بليسيا  
وداءُ به يَبْرى وجرحُ به يُوسى  
كأنّك يا (موسى) بإحيائها (عيسى)  
جعلنا علينا شارحَ المدحِ محبوساً  
فحسبك يا (موسى) به اليوم ناموساً  
على قدر سنّ في العلى جئتَ يا (موسى)  
فلو كَرَّ فيه الفكرُ لانصاعَ منكوساً  
ولم أَرِ ودّاً لم يكنُ فيه مغروساً  
عظيمُ الرجا لا يرجعُ الضيفُ ميؤوساً  
تجده رئيساً بعدما كان مرؤوساً  
فينسيك هاتيك (الصحاح) القواميساً  
ويسرى دجاءُ بالتهجد تغليسا  
يداً ولساناً درّسَ الناسَ تدريسا  
وكم أسدُ إن صالَ تلقاهُ مفروساً  
ولم يتخذُ إلّا المجرةَ عريسا  
(وجعفر) قاموس يمدّ القواميساً  
وتُزجي إلى مغنى مغنمهِ العيسا  
تهنُّ بموسى زادك اللهَ تقديسا  
فلا زال محفوظاً وما انفكَّ مجروساً  
(بحسبك أن أوتيتَ سؤلَكَ يا موسى)

١١٩٧هـ

(يسقط واحد ويبقى الباقي هو التاريخ مع عدّ الواو في سؤلِكَ همزة كما لا يخفى).

وأعقبت له زوجته (الوسواسية) ولدين ، وبنناً .

الأول : الشيخ علي وكان على ما نُقِلَ من أعاجيب الزمان بالفهم والحفظ وشدة الذكاء مع صغره ، واجتهد في زمان أبيه وهو مراهق . وكان أبوه يُغالي فيه ، كما كان جده يُغالي بأبيه ، وزوجه في زمانه . فقال السيد البغدادي السيد حسن الأصم (جد السادة المشهورين ببيت العطار في بغداد ، مدّ الله بسلسلتهم إلى يوم التناد) ، مهنتاً جناب الشيخ ، ومؤرخاً عام تزويج ولده المذكور :

بشرى فربُع المعالي باتَ مأنوساً  
والسعدُ رأيتهُ في الجوق قد خفقتُ  
ودوحةُ المجد قد ماست غداة شدا  
وقينةُ الأنس قد أضحت لها نغمٌ  
وخندريسُ الهنا راقَتْ لشاربها  
(موسى بن جعفر) فرقانُ الهداية مَنْ  
(مصباح) (منهاج) (مفتاح الفلاح) وَمَنْ  
فتى سَما ذروة العلياء مُنذُ نشأ  
فكم أَماتَ من الجهلِ الفصيحِ وَكَمْ  
وكم بنى لبني الآمال بيتَ ندى  
ما أُمُّهُ أبداً راجِ يؤملُهُ  
غيبٌ ولكنْ بلا رعدِ أناملُهُ  
ليثٌ ولكنَّهُ لم يتخذْ أبداً  
لا يرهَبُ الشوس في يومِ الوغى أبداً

وكاد بالأنس أن يسمو الفراديسا  
وانجاب ما كان في الآفاق منحوسا  
طيرُ التهاني بها يحكي الطواويسا  
تطابق الناي فيها والنواقيسا  
في يوم عرس سليل المُجتبى (موسى)  
أضحى لعمر أبي بالفضل قاموسا  
بدُرِّ تحريره زان القراطيسا  
مؤسساً لبناء العلم تأسيسا  
أحيا من الفضل ما قد كان مرموسا  
يطاولُ القمرَ الأعلى و(برجيسا)<sup>(١)</sup>  
إلاَّ وأبَ بما يرجوه مأنوسا  
تهمى ولما يُعدُّ راجيه ميؤوسا  
غيرَ المحارب إن جنَّ الدُّجى خيسا<sup>(٢)</sup>  
والليثُ يومِ الوغى لا يرهَبُ الشوسا

الى أن قال :

(علي) ، إِرْقَ على عرش العلاء وطلُ  
من الألى جاء في القرآن مدحهم

فخراً بعُرسِ حكي بالحسن (بلقيسا)  
وقدسوا من مساوي الرجس تقديسا

(١) البرجيس : اسمٌ لأحد الكواكب .

(٢) الخيس : موضع الأسد .

واسحب ذبول التهاني ما حييت ولا  
ولتهن أعمامك الغر الألى أبدأ  
(محمّد) (وعليّ) الطهر، و(الحسن) الـ  
ناهيك عرساً به تمّ السرور لنا  
قد عانقت ظبية القناص ليث شري  
وقارن البدر شمس المجد يالك من  
لا زلت (موسى) لعمر لا نفاذ له  
فأسعد بعرس لك الأقبال أرّحه

١٢٣٤هـ

وقال المرحوم السيد باقر بن السيد إبراهيم الكاظمي يهنئ الشيخ بعرس ولده ، وقد أجاد  
كلّ الأجابة ، فقال :

بُشْرِ فَقَدْ عَمَّ الْأَنَامَ بِشَائِرًا  
وافتَرَّ ثَغْرُ الدَّهْرِ مَبْتَسِمًا وَقَدْ  
وَزَهَتْ مُحَافِلُ أَنْسِنَا حَتَّى غَدَتْ  
قَدْ قَدَّرَ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ مَنَازِلًا  
وَلَقَدْ غَدَا كَأْسُ الْمَسْرَةِ مُتْرَعًا  
بِبِنَاءِ ذِي الْقَدْرِ الْعَلِيِّ فَتَى النَّدَى  
هُوَ نَجَلُ صَدْرِ الْعِلْمِ تَاجُ جُؤْمَانِهِ  
هُوَ رَوْضَةُ الْأَدَبِ الَّتِي أَفْنَانُهَا  
قَامُوسُ فَضْلِ لَمْ يَزَلْ يَغْنِي الْوَرَى  
كَشَّافُ غَاشِيَةِ الْهَمُومِ بَوَاضِحِ  
مَصْبَاحِ مَشْكَاتِ الْعُلُومِ وَكَوْكَبِ الْـ  
مُقْبَاسِ أَنْوَارِ الْمَسَالِكِ مِنْ قَذَى  
(تَنْقِيحِ) أَحْكَامِ (الشَّرَائِعِ) (مَنْتَهَى)  
مَا عَالَمِ فَضْلًا وَإِنْ بَلَغَ الْمَدَى

تَغْرِيدُ طَائِرِ سَعْدِنَا الْمَيْمُونِ  
بَتْنَا بِعَيْشٍ بِالْهِنَا مَقْرُونِ  
تَحْكِي مُحَافِلَ جَنَّةِ وَعْيُونِ  
لِلسَّعْدِ لَكِنْ لَسْنَا كَالْعُرجُونِ  
يُغْنِي النَّدِيمُ عَنْ ابْنَةِ الزَّرْجُونِ  
مَنْ قَدْ غَدَا بِالْفَضْلِ خَيْرَ خَدِينِ  
مُؤَسَّاهُ مُظْهِرُ سِرِّهِ الْخَزُونِ  
غَنَّتْ حَمَائِمُ دَوْحِهَا بِفَنُونِ  
بَصْحَاحِ جَوْهَرِ دَرِّهِ الْمَكْنُونِ  
يَنْجَابُ عَنْهُ ظِلَامُ كُلِّ دُجُونِ  
رَشِدِ الذِّي أَغْنَى عَنِ التَّبْيِينِ  
تَحْرِيرِهِ مِنْهَا جُكُلُ يَقِينِ  
أَمَلِ الْوُصُولِ إِلَى أَصُولِ الدِّينِ  
فِي بَحْرِهِ إِلَّا كَنْقِطَةُ نُونِ

بدرٌ يوذُ البدرُ بُرجَ سَعُوده  
للهِ آيَةُ ظُبيّةٍ قَدْ عَانَقَتْ  
وَقِرَانُ سَعْدٍ قَدْ جَلَا لَيْلَ الْعَنَا  
فَتَهَنَّ وَاسْعَدْ يَا (عَلِيٌّ) بِدُرَّةٍ  
فَكَأَنَّمَا زُفْتُ بِيَانًا لِلَّذِي  
وَأَسْعَدُ بَمَا أَرَّحْتُهُ (أَعْلَى) قَدْ

لو سَاعَدْتُهُ أَزْمَةُ التَّكْوِينِ  
فِي أَجْمَةِ الْعِلْيَاءِ لَيْثَ عَرِينِ  
عَنَا بِنُورٍ مِنْ سَنَاهُ مُسْبِينِ  
مَكْنُونَةٍ مِنْ لَوْلُؤٍ مَكْنُونِ  
أَمْسَى لَهُ شَكٌّ بِحُورِ الْعَيْنِ  
سُرَّ الْعُلَى فِي عَرْسِكَ الْمَيْمُونِ

هـ ١٢٣٣

ثم أن الشيخ بقي بعد زواجه سنتين، وانتقل إلى رحمة الله الواسعة وهو أصفى من المدام، وأظهر من ماء الغمام، وهو بعد لم يبلغ الثلاثين. فقيل إن أباه إلى أن توفي كلما ذكره بكى وأغشى عليه لفرط حبه له. وكان إذا ذكره يكرر قوله: «يا علي يا علي»، ثم يتمثل بقول القائل:

قَدْ كُنْتُ أَرْجُوكَ لِلْجُلَى لَتَنْصُرَنِي      فَكَيْفَ تَخَذَلْنِي فِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ  
ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ .

وقال السيد باقر يؤرخ وفاته ويرثيه وهو في الكاظم (ع)، وكان له مع المرحوم الشيخ علي مودة أكيدة. (ودُفن مع جده الشيخ خضر في الحرم المطهر بوصية منه). فقال السيد:

مَا بَالُ دَمْعِي لَا تُطْفِئُ بِهِ غُلْمِي  
وَلِلنَوَائِبِ تَأْتِينَا عَلَيَّ عَجَلِ  
لِلَّهِ مَوْلَى خَلَا عَنْ كُلِّ مَثَلَةٍ  
لِلَّهِ بَدْرٌ عَلَى حَاوِ الْحَاقِ بِهِ  
أُودَى فَأَشْعَلَ فِي الْأَحْشَاءِ نَارَ جَوَى  
يَا عَاذِلِي لَا تَلْمَنِي فِي مَصِيبَتِهِ  
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى نَهْجِ السُّلُوكِ وَقَدْ  
رَضَا أَبَاهُ وَصَبْرًا فِي رَزِيَّتِهِ  
يَا رَاكِبًا قَاطِعًا لِلْبِيدِ مَهْمَهَا  
عَرَجٌ إِذَا جَزَتْ أَعْلَامُ (الْغُرَيِّ) عَلَى

وَمَا لِنَوْحِي لَا تَشْفَى بِهِ عَلْمِي  
كَالسَّيْلِ يَأْنِفُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ مَهَلِ  
سَارَتْ مَنَاقِبُهُ فِي النَّاسِ كَالْمَثَلِ  
قَدْ بَاتَ أَوْجُ الْمَعَانِي مِنْ سَنَاهُ خَلِي  
شَبَّتْ لَهَا شُعْلٌ تَعْلُو عَلَى شُعْلِ  
فَأَنْ سَمْعِي لَا يُصْغِي إِلَى عَذَلِ  
قُلِّ اصْطَبَارِي وَضَاقَتْ بَعْدَهُ سُبُلِي  
فَالصَّبْرُ عِنْدَ الرِّزَايَا سِنَّةُ الرُّسُلِ  
يَطْوِي الْفَدَافِدَ مِنْ سَهْلٍ إِلَى جَبَلِ  
قَبْرِ الْوَصِيِّ مَلَاذِ الْخَائِفِ الْوَجَلِ

وقف على مرقد قد ضم خير فتى به استجار وأعطى غاية السؤل  
واتل المثاني لديه والكتاب وسل له من الله نيل القصد والأمل  
وقل له فزت لما أرخوك (ألا جاورت باب أمير المؤمنين علي)

١٢٣٥هـ

ولم يعقب من الولد شيئاً .

والثاني : الشيخ محمد حسن عالم نبيل ، وفقه جليل ، كان من المبرزين بالفضيلة في أيام أبيه . ثم بعد أن توفي والده ارتحل إلى إصفهان ، لوفاء دين أبيه فعظم قدره ، وانتشر ذكره ، وكبر أمره ، فأقام بها مدرّساً معظماً ، وإماماً محرّكاً محترماً

وكل فتى يولي الجميل محبب وكل مكان ينبت العز طيب

وكان من المعروفين بالهمة العالية ، والسمو إلى المراتب السامية . فمما ينقل عن علو همته ، أن عمه الشيخ علي كان يقول إذا رآه لطفاً به وشفقة عليه : «أنا حامل همك» ، لأنه كان يعول بعد أبيه بجميع نساء أبيه وعياله ، وكانوا قريب الثلاثين نفساً ، وكان على أبيه دين عظيم فتحمله هو . هذا كله وهو شاب لم يتجاوز الخامسة والعشرين سنة ، فيقول لعمه مجيباً له عن كلامه : يا عم إن كنت حامل همي فأنا حامل همك ، وهم جميع العالم .

ثم عن عليه وطنه واشتاق إلى أهله فارتحل متوجهاً إليهم حتى وصل إلى كرمانشاه فأجاب داعية الحمام ، واستسلم للملك العلام ، فجاؤا بجنازته إلى النجف ، ودُفن مع أجداده وآبائه أولي الشرف .

ولم يعقب سوى بنت واحدة كانت تحت السيد راضي بن السيد حسن المايحجي ، فأعقبت منه ولداً تقياً ورعاً فاضلاً عالماً هو السيد عباس ، حفظه الله من كل سوء وبأس . ثم مات عنها السيد راضي ، وتزوجها الشيخ عبد الحسن ابن الشيخ راضي رحمه الله ، وسيأتي إن شاء الله تمام الخبر .

وأما البنت فهي (زخنة) ، وفي سنة ١٢٢٨ زوجها بالسيد الجليل ، العالم النبيل ، سيد حسن المايحجي بن السيد مهدي ، وأخذ أخته (زمزم) له ، فقال السيد حسن الأصم المتقدم يهنيه بعمره ، ويؤرخ ذاك العام المبارك ، حيث قال :

بُشرى فأن شمس أفق الجمال زُفت إلى بدر العلى والكمال  
وإن بكر المجد قد أقبلت من خدرها تختال أي اختيال

وقد أديرْتُ بين كُلِّ الوري  
ومنهل العيش صفا واغتدى  
وطائرُ السعدِ غدا شادياً  
وذاك في عرس فتى قد سما  
(موسى) حليف الفضل من قد غدا  
علامة العصر ومن قد حوى  
فارس ميدان المعالي الذي  
تلقاه مثل الليث ذعراً إذا  
هو الكريم الأريحي الذي  
له اليد البيضاء يوم الندى  
أعظم به مولى له عزمة  
وهمة عالية هاهنا  
من ذا يضاهيه ويا طالما  
تلقاه إن حفت به صحبه  
ناهيك عرساً فيه صحب الهنا  
قران سعد فيه عنا المجلى  
فيها لها من فرحة أصبحت  
يا طالب التاريخ أرّحه (يا

راحُ التهاني بكؤوس الوصال  
رُواه للناهل عذبا زلال  
وهزت الأغصان ريح الشمال  
بفخره أوج العُلا والجلال  
في العلم والحلم عديم المثال  
علوم آل المصطفى خير آل  
تخافه الأسد يوم الجدل  
ما دُعيت يوم نزال نزال  
طوق بالجود رقاب الرجال  
لكنه الليث بيوم النزال  
تبرى العوالي والسيوف الصقال  
نال من العلياء ما لا يُنال  
قد لثمت منه الملوك النعال  
كهالة حفت ببدر الكمال  
زار وركب الهَم والغم زال  
حيث تجلّى كُل خطب عضال  
تبسم عن ثغر الهنا والوصال  
بدر النهى زوجت شمس الجمال<sup>(١)</sup>

ثم تزوج أيام إقامته بالكاظمين (ع) بنت عالمها وعلمها أستاذة التحرير السيد عبد الله شبر تلميذ أبيه الشيخ الأكبر وذلك بعدما قتل الميرزا الأخباري ، وكان قد عقد عليها قبل قتله جذبا لقلوب الناس . وكانت تحت ابن عمها السيد مير أحمد فقال الأديب الماهر ، والتحرير الباهر ، الشيخ صالح التميمي الشاعر من قصيدة طويلة يشير فيها إلى قتل اللعين المذكور ، ويهنئ الشيخ بزواجه بالعلوية ، ويعرض ببعض الشعراء المقربين عند الشيخ ، ولم يقع من القصيدة بيدنا إلا قوله يخاطب الشيخ :

(١) حساب الجمل في هذا التاريخ تساوي (١٢٣٤هـ) .

ذوى روضه من حاصبات المهالك  
عليه مذاكي آخذ غير تارك  
فزدت على ما أملوا في المناسك  
تزف لملاك الثناء ومالك

مُعِيدَ الْهُدَى غَضًّا وَقَدْ كَانَ بُرْهَةً  
تَدَارَكَتْ دِينَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا عَدَتْ  
وَعَدَنَ بِحَمْدِ اللَّهِ لِلنَّاسِ مَنْسَكًا  
تَشَاغَلَ فِكْرِي فِي زَفَافِ خَرِيدَةٍ

الى أن قال :

وما سلكت أفكاره في مسالكي  
ويظهر أفعال اللعين ابن (شاهك)  
ولا في القوافي العرّ شخص مشاركي

ستزجرُ عمرًا يدعي النظم عائبًا  
وتخزي فتى يُبدي مودة صادق  
فليس لموسى في العلوم مشاركا

وقال السيد المتقدم يهنيه ، ويؤرخ عام زواجه :

وَدَيَّ إِنْ تَرَعَّ لِي الْوُدَّ  
نَلْنَا الْأَمَانِي الْيَوْمَ وَالْقَصْدَا  
تَشْمَلُ مِنَّا الْحُرَّ وَالْعَبْدَا  
أَنْسَ تَفُوقُ الْمَنِّ وَالشَّهْدَا  
نَشْرُ يُفُوقُ الْغَارَ وَالرَّندَا  
حَكَى الْقِيَانَ الْخُرْدَ الْمُلْدَا  
حَارَ الْعُلَى وَالْفَخْرَ وَالْمَجْدَا  
يَمْدُ أَبْنَاءَ الرَّجَا مَدَا  
قَدْرًا وَأَنْجَبَ الْوَرَى جَدَا  
يَطْلُبُ مِنْهُ الرِّفْدَ وَالرُّشْدَا  
فِي الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ غَدَا فَرْدَا  
يَوْمًا سَوَى ظَهَرَ الْعُلَى مَهْدَا  
بَلْ هِيَ مِنْ صَوْبِ الْحَيَا أُنْدَى  
لَمْ تَلَقْ فِيهِ أَبَدًا رَعْدَا  
نَكْبَاءُ مِنْ بَانَ النَّقَى قَدَا

قُمْ وَاتَّهْزِهَا فَرِصَةً يَا أَخَا  
وَاسْحَبْ جَدِيدَ الْبُرْدِ تَيْهًا فَقَدْ  
أَمَّا تَرَى الْأَفْرَاحَ قَدْ أَصْبَحَتْ  
وَقَدْ أُدِيرَتْ بَيْنَنَا خَمْرُهُ الـ  
وَفَاحَ مِنْ رَوْضِ التَّهَانِي لَنَا  
وِطَائِرُ الْأَفْرَاحِ فِي شِدْوِهِ  
وَذَاكَ فِي تَزْوِيجِ (مُوسَى) الَّذِي  
رَبُّ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ  
أُنْدَى الْوَرَى كَفًّا وَأَعْلَى الْوَرَى  
لَمْعَةُ أَهْلِ الْفَضْلِ كَافِي الَّذِي  
لَيْسَ بِهِ عِلْمٌ سِوَى أَنَّهُ  
مَهْدَبٌ لَمْ يَتَّخِذْ يَافِعًا  
ذُو رَاحَةٍ تُشَبِّهُ صَوْبَ الْحَيَا  
لِلْغَيْثِ رَعْدٌ وَنَدَى كَفِّهِ  
يَهْتَزُّ لِلْوَفْدِ كَمَا هَزَّتِ الـ



مَنْ ذَا يُدَانِيهِ وَيَوْمُ الْوَغَى  
 قَدْ شَدَّ فِي إِخْوَتِهِ أَزْرَهُ  
 هُمُ الْأَلَى يُجْلَى بِأَنْوَارِهِمْ  
 فَاحْمَدُ إِلَهَ الْعَرْشِ مَا زَلَّتْ يَا  
 وَاسْلَمْ وَدُمُ وَاسْعَدُ بِعَرْسِ لَهَا  
 مِنَ الْمِيَامِينَ الْأَلَى أَنْزَلَ الـ  
 نَاهِيكَ عَرْساً مُذْ تَبْدَى عَلَى  
 فَلَمْ أَخْلُ أَنْ طَبَّاءَ النَّقَى  
 قِرَانُ سَعْدٍ قَدْ تَحَلَّى وَقَدْ  
 أَلْقَى الْعَصَا (مُوسَى) فَقَدْ أَرَّخُوا  
 لَهُ الْمَعَالِي تَغْتَدِي جُنْدًا  
 وَاللَّهِ قَدْ شَدَّ لَهُ عُضْدًا  
 لَيْلُ الْعَنَا عَنَّا إِذَا اسْوَدَّا  
 (مُوسَى) عَلَى آلَائِهِ حَمْدًا  
 يَدُ التُّقَى قَدْ نَسَجَتْ بُرْدًا  
 رَحِمَانُ فِي مَدْحِهِمُ الْحَمْدَا  
 جِيدُ الزَّمَانِ خَلَّتْهُ عَقْدَا  
 قَدْ أَلْفَتْ مِنْ قَبْلِكَ الْأَسْدَا  
 أَذْهَبَ مِنَّا الْهَمُّ وَالْوَجْدَا  
 (قَارَنْتَ يَا بَدْرَ السَّمَاءِ سَعْدَا)

١٢٣٤هـ

ولم يكن للشيخ عقب من زوجته هذه ، وأعقب من تلك العلوية (المايحجية) ولدين  
 وهما : الشيخ مير أحمد ، والشيخ مُحَمَّد رضا ، وبنت ، وهي (بيبي) التي كانت تحت ابن  
 عمها شيخ مُحَمَّد بن الشيخ علي بن العلامة الأكبر ، وتُوفيت في زمانه عن عدة بنين  
 (سيأتي ذكرهم مفصلاً في محله) .

فأما الشيخ مُحَمَّد رضا فلطول المقام فيه لكون عقب الشيخ موسى ليس إلا منه أفردنا  
 باباً لذكره سيأتي في محله .

وأما الشيخ مير أحمد فتُوفِي في زمان عمه الشيخ حسن وهو شاب لم يبلغ الثلاثين ،  
 وكان فاضلاً عالماً نحريراً مراحقاً ، وقد رأيتُ له في كتبنا بعض الحواشي والتعليقات الدالة  
 على سعة بابه ، وغزارة علمه واطلاعه ، وأقرَحَ مصلبه الجفون ، وأبكى العيون ، لأنه كان قد  
 أشرف على الزواج ، وقد تهيأت له أسباب العرس والابتهاج ، فمات فجأة قبل ذلك . فقال  
 الشيخ إبراهيم قفطان يرثيه ، ويذكر رزايا آبائه وأهليه ، ويُعزِّي عمه الشيخ حسن ، والشيخ  
 مُحَمَّد رضا أخيه ، بقصيدة غراء ، وهي :

حيَّ المنازل بالدموع الذرفِ  
 وقفاً عليها صاحبي وإن عفت  
 واستنشد الأطلال عن سُكَّانِهَا  
 أفلا تحييها السحاب بأوطفِ  
 بعد الأحبة وقفة المتأسفِ  
 فعسى تجيبُ سؤال صبٍّ مُذْنَفِ

بين الجوانح شعلة لا تنطفي  
مَنْ جاء يستشفى السقام بها شُفي  
عُمر الزمان على رسومك لم يف  
وتسيل فيه عن الدموع الذرف  
كل بدوح علائه موف وفي  
نقدتهم الأيام نقد (الصيرفي)  
من دين أحمد كل طود مشرف  
مهما انبرى خطب براه برهف  
رب الثقي ، والمجد ركن المعتفي  
رشداً فبات الرشد حلف تلهف  
بالرغم منا بالتراب مكنف  
مَنْ لا يشق لك الحشا لم ينصف  
أو خد بالعبرات خدي لم أف  
والبدر قبل تمامه لم يخسف  
والورد قبل أوانه لم يُقطف  
لو كان يُجدي الوجد فرط تأسفي  
فالصبر أنت من الأنام به حفي  
رجل بكم يا بن الأكارم يقتفي  
وجه الثرى من ناعل أو مُحْتَفِ  
مولي بنيل ذرى المعالي مُشْغَفِ  
وبحسّن سيرته الخلائق تقتفي  
رضوان من باري الأنام بمُوكِفِ

أين استقلوا ضاعنين وخلفوا  
عَجَباً برّته النائبات وقبل ذا  
ربع الوفا لو سال طرفي عندهما  
حقاً تذوب على عراصك مهجتي  
يا ربع أين تحمّلوا عنك الألى  
عاشت بهم غير الزمان كأنما  
بدأت (بجعفر) قبل ذاك فهدمت  
وأنت على (موسى) وكان بعزمه  
وقضت على زاكي النجار (عليها)  
وتسّمت فرعاً لموسى مورقاً  
لهفي لغصن بعد بهجته ذوى  
يا تربة شقت فوارت (أحمداً)  
لوشق بالزفرات قلبي عندها  
عَجَباً عراه الخسف قبل تمامه  
عَجَباً لورد المجد يُقطف يانعاً  
أسفي عليك وقد طوتك يد الردى  
صبراً خدين المكرمات رضاً بها  
والصبر لا يستطيعه أحد سوى  
فلك العزاء بخير مَنْ يمشي على  
(حسن) الفعال إمام كل فضيلة  
فبقى بقاء الدهر كهفاً مانعاً  
وسقى ضريحاً ضم (أحمد) وابل الـ

ثم أهدى بعض وزراء العجم للشيخ جاريتين من جوارى الروم وكانتا في غاية الجمال ،  
وبقيتا بخدمته حتى توفي رحمه الله ، ولم يُعقب منهما إلا ولداً سمّاه إسماعيل توفي  
بحياة أبيه وهو صغير .

ولما توفي علم الأعلام ، وركن الأسلام ، العالم النبيل ، الشيخ أسد الله بن الحاج

إسماعيل<sup>(١)</sup>، جعلت الشعراء ترثيه، وتتلخص بمدح الشيخ موسى كما كانت في رثاء العلامة الطبطبائي تتلخص بأبيه. فممن رثى الشيخ المتقدم السيد باقر بن السيد إبراهيم الكاظمي بقصيدة غراء، وهي:

أَلَا تَسْأَلَانِ الصَّبَّ مَاذَا يُكَابِدُ  
أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَكْبَةً تَصْدَعُ الْحَشَا  
رِمَانِي زَمَانِي عَنْ قَسَى سَهَائِمِهَا  
إِلَى اللَّهِ أَشْكُو فَقَدْ أَكْرَمَ مَا جَدِ  
لَقَدْ بَكَرَ النَّاعِي بِهِ فَدَهَى الْوَرَى  
قَضَى الْعَالَمُ الْقُدْسِيَّ وَالْعَلَمُ الَّذِي  
قَضَى نَوْرَ مَشْكَاتِ الْعُلُومِ فَضْعُضَعَتْ  
قَضَى شَمْسُ أَحْكَامِ (الشَّرَائِعِ) فَاعْتَدَتْ  
قَضَى كَشَفَ مَكْنُونِ (السَّرَائِرِ) وَالَّذِي  
فَمَنْ مُبْلَغُ الْعِلْمِ أَنْ رَتَا جَهْ  
وَعَطَّلَ (مَنْهَاجُ) (الْهَدَايَةِ) بَعْدَهُ  
وَأُخْمَدَ (مَصْبَاحُ) الْهَدْيِ وَلَطَالَمَا  
فَمَنْ لَذَوِي الْعِلْمِ الْأَلْهِيِّ كَامِلِ  
إِمَامٍ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ مَنَاقِبُ  
فَلِلَّهِ مَيِّتٌ أَيْتَمَ النَّاسَ فَقَدَهُ  
فَمَنْ بَعْدَهُ مَنْ ذَا عَلَيْهِ وَرُودُهَا  
فَمَا خَلَّتْ بِدَرِ الثَّمِّ يَهْوِي إِلَى الثَّرَى  
فِيَا آلَ (إِسْمَاعِيلِ) صَبْرًا عَلَى الْأَسَى  
لَنْ غَابَ بِدَرُ الْعِلْمِ عَنْكُمْ فَأَنْتُمْ

وماذا يقاسيه جوى ويُجاهدُ  
فيشمتُ فيها حاسدٌ أو مكَايدُ  
فأصمتُ فؤادَ الدين، والدينُ حاشدُ  
نمتهُ إلى العلياء غرُّ أمَا جَدُ  
بقارعة تنهدُ منها الجلامدُ  
إليه المزايا تنتهي، والمحامدُ  
لذلك أركانُ الهدى والقواعدُ  
(مداركها) تنعى له (المشاهدُ)  
ضمائرُها بانتُ به (العوائدُ)  
قضى فبكاهُ (المنتهى) (القواعدُ)  
وأقوتُ من الدين القويم المحاشدُ  
بأنوارهِ قدماً تُضيءُ المشاهدُ<sup>(٢)</sup>  
وما هو إلّا فيه كفٌ وساعدُ  
تقضى عليها الدهر وهي خوالدُ  
ولا غرّو منه فهو للناسِ والدُ  
ويا طالما ساغت لديه المواردُ  
ويلحدّه في حوزة القبر لاحدُ  
فما أحدٌ في الكون باقٍ وخالدُ  
بدورٍ ترأى بينهنّ الفراقدُ

(١) هو صهر الشيخ جعفر الكبير على بنته، من كبار المجتهدين، كانت وفاته سنة ١٢٣٤هـ / ١٨١٩م. وقد سبق ذكره مرات عديدة.

(٢) الأسماء المشار إليها هي عناوين مشهورة لكتب أصبحت من مصادر الفقه الأمامي. وتضمنها في القصيدة يدل على مكانة الفقيه وشهرته في حقل الدراسات الفقهية.

لكم سلوة عنه بموسى بن جعفر  
فلو أن صرفَ البين يقنعه الفدى  
أصرفَ رداءه من هداك لنقده  
به استبشرت حور الجنان ومن بها  
بذا قضت الأيام ما بين أهلها  
ومذ حل (أقصى السوء) قلت مؤرخاً  
فتى العلم من تلقى إليه المقال  
فداه من الدنيا مسود وسائد  
فما أنت إلا صيرفي وناقذ  
ولاسيما الحور الحسان الخرائد  
(مصائب قوم عند قوم فوائد)  
(بكت أسد الله التقى المساجد)<sup>(١)</sup>

### (بند) في رثاء الشيخ أسد الله ومدح الشيخ موسى

وقال الشيخ إبراهيم قفطان يرثيه ويعزي الشيخ موسى وأخاه ، وولد (الميت) رحمه الله .  
هكذا وجدت بخط ناثره ببند ، وهو :

ليتني لا كنت إذ صار فؤادي غرضاً للدهر ، ترميه دواهيته ، بسهم الغدر حتى لست  
أصحو ، كلما داويت جرحاً سال جرح ، من مجيري من ليال قابلتني بزئير الأسد الغضبان ،  
يغتال متى صال ، نفوساً من سنا نور هداها أشرق الدهر ، وفي سُمك غلاها إبتهج الفخر .  
لَعَمْرِي ، لا رعى الله تعالى الله دهري ، فلقد فأجاني رب عواديته ، وقد أزعجني صوت  
نواعيه ، بخطب أوجر الصدر ، ورزء قصم الظهر ، فتوحاً يا خليلي ، على ما بي ، من عظم  
مصابي ، وارثاً العلم الألهي ، بل الدين الخنيفي ، فهاتيك ربوع العلم بعد الأنس ، قد  
عاجلها الطمس ، بفقدان كمي أسد الله ، أمين الله ، باب الله ، عين الله ، في الخلق ،  
ومبدي سنن الحق ، فأها ثم أها ، من ليال أترعت كأس جواها ، يا لحاها الله كم تجرح قلبي ،  
بمواض مزقت أحناء خلبي ، ورممتني بخطوب أورثتني كمداً فت بأعضائي ، وأودى لهب  
الوجد بأحشائي ، فذا جرح رزاياي فرته بصقيلات ضباها ، وشجون طحنتني برحاه ، من  
معيني ، في عويلي وحنيني ، من نعي قام ينعي صاحب الأمر ، وعين الدهر ، لا بكر ينعاها ،  
فقد طبق بيت المجد أعلاه بأدناه ، معاذ الله أن أنساه ، ما دمت ، وأن مت ، وأنى وبه قام  
عمود الدين ، وانحط من الغي معلاه ، فيا سوء رشادي لافتقادي ، سيد الحذث خط  
فؤادي ، غير أني أردع القلب وأنهاه ، بحامي بيضة الإسلام محيي الملة الغراء ، لا زال  
حليف المجد والحلم ، كليم العلم (مؤساه) ، هو الناشر فوق الدين ثوب العز والسّمك ، ومُردي

(١) حساب الجمل يساوي ١٢٣٣ هـ ، وقوله (حل أقصى السوء) إشارة إلى اضافة العدد (١) إلى مادة التاريخ .  
فيكون المجموع مساوياً لسنة ١٢٣٤ هـ ، وهي سنة الوفاة المطلوبة .

فيلقى الشرك مع الشك ، فأتى مَنْ يضاهيه ، بما فيه ، وقد طهره الله وأولاه ، من الحكمة والآيات ما يرهب أعداءه ، أبى الله تعالى إلا أن كساه بُردة العزة والجاه ، وأعلاه بديناه ، وأخراه ، ويتلوه حميد الفعل والحمد مسمّاه ، له السبقة والفضل ، على كلّ عليم أحرز الفضل ، وصبراً أيها (المهدي) فينا ، فلأنت الخلف الصالح ، سعد الشرف الواضح ، هل مثلك من يؤمر بالصبر ، على نائبة الدهر ، وقد ألهمك الله وأولاك ، أيا نقطة إدراك فلا أحرمنّا الله شذى طيب سجايك ، ولا زال على خطّة قبر الشيخ هطّال الرضا يهيم غدّواً ورواحا .

وسياتي له (بند) آخر أحسن من هذا على حسنه في رثاء الشيخ موسى (رحمه الله) .

ورأيت في مجموعة أوراق أظنّها للسيد صادق الفحام جمع فيها أشعاره التي قالها في بيت الشيخ ، وأشعار الشيخ إبراهيم قفطان فيهم أيضاً ما نصّه : وقد عزّيت جناب العلامة الشيخ موسى لنجل المرحوم الشيخ الكبير (رحمه الله) ، وأخاه الشيخ مُحَمَّدَ بعمّهما الشيخ محسن<sup>(١)</sup> بن الشيخ خضر (قدس الله سره) ، وولده الشيخ مُحَمَّدَ (رحمهم الله) . والقصيدة هذه ، وقد أجاد كلّ الأجاد :

هي لوعةٌ تحتَ الضلوعِ زفيرُها	هلّ كيفَ يطغى بالدموعِ سعيُها
من وقع حادثة أراعَ بها القضا	نفساً تمحلّ سرُّها وسرورُها
باتت على مضضِ الخطوبِ سليمةٌ	أمضى بها السُّمُّ النقيعِ صريرُها
عتبت على دهرِ دوائرِ صرفه	أبدأ على هامِ الهُمامِ يديرُها
يلقى العلى بكتائبِ منصورةٍ	ودلاصَ بينَ كالحبابِ قتيروها
ما ضرُّه لو كانَ منْ على العلى	بمجيروها إنْ كانَ عزٌّ مجيروها
ظفرت كتائبُهُ به فتضعُضتْ	في يومه العليا وهُدْمَ سورُها
نفسى الفدا ، و(أبي) لِمَنْ عبرتْ به	ركبٌ يعزّ على النفوسِ عبورُها
ضمنتْ (بُحسِنها) المُطلَّ على الورى	إحسانُهُ فتطوّقتَه نحوورُها
كشّافٌ معضليها وربُّ كمالِها	وجسورُها ووقورُها وفخورُها
يا ليتَ لا هدرَ الركابِ بنعيه	فقد استفزّ المكرماتِ هديرُها

(١) الشيخ محسن بن الشيخ خضر هو جدُّ أسرة (آل شيخ راضي) النجفية . والشيخ راضي هذا هو ابن الشيخ محمد بن الشيخ محسن . وقد توفي حدود سنة ١١٨٥هـ / ١٧٧١م .

جلبَ الهدى للمُهتدينَ نشورها  
 وأمَّيلَ قائمها وقرَّ ظفِيرها  
 مَنْ بعدهُ - مهما استعزَّ - نصيرها  
 من كفَّ عارضةً تُمَدُّ بحورها  
 أمسى يصِرُّ بجانبِيه صريرها  
 من كُلِّ ساحتِه الثناء ضميرها  
 لما سرى بسُراهُ عنها نورها  
 فوقَ الطباقِ السبعِ كان مسيرها  
 جَلَّتْ مزاراً حيثُ جلَّ مزورها  
 ثكلى تَنَشَّرُ شعرها وشعورها  
 ولدفع ريب الحادثات كبيرها  
 بحمَّاكِ يستامُ الرقاد قيرها  
 وكبت مفاخرُ لا يُقالُ عثورها  
 عبراته أسفاً عليك غزيرها  
 بزغتُ بأفلاكِ العلاء بدورها  
 إن زالَ عن أفقِ الهداية نورها  
 في الدهر غمَّاءُ الخطوبِ صبورها  
 ألفتُ شكائِمها وأوثقَ كورها  
 عنه ولا عيني ينام سَميرها  
 حامي الذمار لدى العثار (أميرها)  
 وسفيرها ونذيرها وبشيرها  
 فيه ، ولا (إنجيلها) و(زبورها)  
 تقديرها وبحكمه تكويرها  
 إن شَفَّ مريعها وجفَّ مطيرها  
 إسلام عزاً حيثُ عزَّ نصيرها  
 إكرومةً إلا ومنكَ ظهورها

هاتيك أعلام الشريعة بعدما  
 طُوِيَتْ على ساق الخمول لفقده  
 مَنْ للأرامل كافلٌ أو ناصرٌ  
 مَنْ للمؤمِّل بعد ضمِّ أناملٍ  
 ما للعلي والنائبات فطالما  
 يا غائباً عنا وخطَّةُ قبره  
 ومشيعاً تبكي الشريعة خلفه  
 أو ما درتُ أعوادُ نعشك أنَّها  
 لكنْ نزلتَ لكي تُشَرِّفَ تربةً  
 فحنتُ عليك أمائلٌ وأراملٌ  
 يبكي لثربة عليك صغيرها  
 سهدتُ أجفاناً ببينك طالما  
 وأغاضَ فقدك بحر علم زاحر  
 ورثي لك الشرفُ الرفيعُ وفاضٌ من  
 لكنْ تُهوِّنُ وجدها بأماجد  
 أقمارُ رُشدٍ يستضاء بنورها  
 أ(مُحمَّد) صبراً فمثلكَ إنْ دَهَتْ  
 قَسَماً بقود يَرْتَقِصْنَ الي (منى)  
 ما لاحَ في خلدي التجلُّدُ والعزا  
 لولا (الأمام) المستجار بعزه  
 (موسى بن جعفر) ربُّ كُلِّ فضيلةٍ  
 لولاهُ ما وضَحَ (الكتاب) لناصرٍ  
 ميزانُ أعمالِ العباد وعنده  
 ومغيثُها وريعُها ومريعُها  
 يا ناشِرَ الأحكام بل يا ناصرَ الـ  
 أصَلَّتْ أصلاً في علاكَ فما ترى

وَضَرَبْتَ فَوْقَ الْمَكْرَمَاتِ سَرَادِقًا  
وَسَمْتَ بِطَلْعَتِكَ الشَّرِيعَةَ وَارْتَدْتَ  
وَأَبَانَ عِلْمُكَ كُلَّ سِرٍّ غَامِضٍ  
وَأَمَطْتَ أَسْتَارَ الضَّلَالِ وَحُصِّنْتَ  
وَمَتَى اسْتِرَابَ عَلَى الْبَصَائِرِ مُعْضِلٌ  
لِلْمَجْدِ عَزَّ عَلَى الْمَلَائِكِ سَوْرُهَا  
حُلَلًا تَضَوُّعَ نَشْرِهَا وَعَبِيرُهَا  
فِيهَا وَأَرْسَى فِي عِلَاكَ سَرِيرُهَا  
بَسَدِيدٍ رَأَيْكَ فِي الْقَضَاءِ ثَغْوَرُهَا  
فَأَلَيْكَ دُونَ الْعَالَمِينَ مَصِيرُهَا

وهذا غاية ما يمكن أن تدركه الأوهام ، من عظم منزلة الشيخ ورفعة ذاك المقام ، لا لتلك المبالغات وإن أفرطت ، ولا لهاتيك الكلمات وإن عظمت ، إلا أن هذه عادة الشعراء في الممدوحين ، من قديم الزمان ، الى الآن . ولكن القائل يتفاوت حاله ، ويختلف مقاله ، فقول العظيم أعظم وأعلى ، من قول من لا تعرف له أصلاً ولا فصلاً ، ولا تقل هذا عكس ما قاله الأمير (ع) : « لا تنظروا إلى ما قال ، وانظروا إلى ما قيل » لظهور الفرق بين المقامين ، وتباين الورددين . وهذا السيد (قدس الله روحه الطاهرة) كما هو مشهور معلوم ، من أجلاء ذوي الشرف ، وأولي العلوم ، ومنزلته عند العلماء وغيرهم عظيمة ، ويبتهم من بيوت أشراف (النحف) القديمة ، وهو من طبقة العلامة الطبطبائي<sup>(١)</sup> ، والشيخ الكبير وشعرائهم ، فعلى هذا فهو في زمان الشيخ موسى طاعن في السن<sup>(٢)</sup> . وذكر في «روضات الجنات» ظاناً أن هذا السيد من أساتيد الشيخ الكبير وهو وهَم ، إن كان فبالأجازه وكفى به شرفاً ، لكن الله أعلم حيث يجعل رسالته ، والفضل بيد الله يؤتته من يشاء .

ولم يزل على هذه الطريقة ، مُطْلَقاً عنان القريحة ، فتصطاد له الشوارد ، وتقتاد له الأوابد ، حتى قال بعد أبيات كثيرة :

وَأَخْ غَضِبْتَ بِهِ عَلِيمَ أَرْوَعٍ  
مَصْبَاحُ شَرَعَتِهَا وَقِيمٌ أَمْرُهَا  
مَا خَفَقَتْ فِي الْخَافِقِينَ فَضِيلَةٌ  
يَا فِرْقَدِي شَرَفٌ وَمَجْدٌ شَامِخٌ  
سَقِيًّا (لِعَمَّكَمَا) سَحَائِبُ رَحْمَةٍ  
هُوَ دَرَعٌ سَاعِدُكَ الرَّحِيبِ وَزِيرُهَا  
وَعَمِيدُهَا وَخَبِيرُهَا وَبَصِيرُهَا  
إِلَّا وَأَصْبَحَ مِنْ عِلَاةِ صَدُورِهَا  
وَقَصَارَ مَرْمَى الْمَاجِدِينَ قَصُورِهَا  
يَجْرِي عَلَى جَدَثٍ حَوَاهُ عَمِيرُهَا

(١) هو السيد مهدي بحر العلوم ، يستخدم المؤلف لقب (الطبطبائي) مرةً ، و(الطباطبائي) مرةً أخرى . والثاني هو اللقب المتداول في الأوساط بشكل عام .

(٢) ولد السيد صادق الفخام سنة ١١٢٥هـ / ١٧١٣م ، وتوفي سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٩٠م .

ولو أردنا أن نذكر جميع مدائح هذا المولى الهمام ، لضاق العمر ونفذت القراطيس وفنيت الأقلام ، ولكننا نذكر منها نبذة يسيرة ، تدلّك على مفاخر كثيرة ، لتتحلّى هذه الرسالة بحليّ الآداب ، فعسى أن تقع بموقع القبول عند أولي الألباب .

فمن ذلك ما قاله السيد حسن البغدادي المتقدم يهنيّه ، في داره التي بناها في زمان أبيه :

<p>والهجر من ريم الكُناس براني أسد سطا بصوارم الأجفان أنّ الأسود فريسة الغزلان فتور لحظ الغيد سحر بيان سحراً كما يختال خوط البان من فوق قضبان على كُثبان قد ضمّه صدف من المرجان خمرأ كمثّل الأزّي للصدّيان<sup>(١)</sup> دبت مدبّ الروح في جُثماني منه تغار شقائق النعمان قد فاق (موسى) الناس بالأحسان تسطو به إن جار صرف زمان يسمو على كنز الثقي (سلمان) ما ميز بين الكُفر والأيمان كمحلّ بسم الله في القرآن والفخر أعلى رتبة الإنسان (ثلث) لهم وله به (ثلثان) يحتل في أعلى ذرى كيوان يلقى به نوعي منى وأمان</p>	<p>دعني فقد ملك الغرام عناني لله ساجي الطرف كم قبلي على لم أدر إلا مُذ بُليت بحبّه لا يخذعنكم فتور لحاظه لم أنسه يختال في سفح (اللولي) مع كل بدر تحت فرع دُجّة عذب اللمي فكان لؤلؤ ثغره فغدوت أرشف من كؤوس لثامه راح غداة شربت منها خلّتها وجنيت ورداً لاح في وجناته قد فاق بالحسن الطباء كمثلما فرد الزمان وحيد المولى الذي (عمار) هذا العصر من بصلاحه محيي علوم أئمة لولاهم مولى تسامى في الفخار محلّه الفخر من أدنى مراتب مجده والجحد قسّم في الأنام ثلاثة قد شاد مغنى للمصالح سامياً مغنى إذا ما أمّه باغي الندى</p>
---	--

(١) الأزّي : ماء السحاب .



يرتاحُ إنْ شامَ الوفودَ ببابه  
لا عيبَ فيه غير أنْ يمينه  
فسلِ الورى عن جُوده ويمينه  
يا (حافظ) الجهلِ الوضع، و(ناصب) الـ  
خذها إليك أبا المكارم غادةً  
حسنا تهزأ (بالفرزدق) إنْ بدتْ  
فتخاله غصناً من الرياحِ  
تسمو على الهطالِ والهتانِ  
فيمينه والجودُ مقترنانِ  
علمِ الرفيع و(رافع) الأيمانِ  
تلقى بجيد الشعرِ عقدَ جُمانِ  
وتجرُّ طمرِها على (حسانِ)

وقال الشيخ مُحَمَّد رضا النَّحوي مهنيًا أباه الشيخ الكبير في زواجه ومادحاً له ومؤرخاً  
ذلك العام :

سَرَتْ تخبطُ البداء بالوخذ تغليسا  
تقيس العُلا درعاً بأخفاف أذرع  
تلاعبُ بالألباب معنىً وصورةً  
تخوضُ عُبابَ الآلِ للقومس<sup>(١)</sup> الذي  
تجوب الموامي والمفاوز لا تني  
الى مَنْ غدا بعد النواميس من بني  
فتي يدفعُ الجُلَى وتدنو به المني  
ويرأبُ ما أثأتْ يدُ الدهر طُشه  
نُهنِيه بالعرس السعيد الذي به  
فيا لك بدرأ ضمَّ شمساً تبلَّجتْ  
ويا لك شمساً شعشتْ بُرجَ سعده  
ويا لك نجماً لابسَ الشمسِ فضله  
ويا لك عرشاً ضمَّ فضلَ علائه  
ويا لهما من مَحْتَدَيْنِ تَأَصَّلَا  
فقلْ في (سليمان) الزمانِ وقد بنى  
إلى مائها إنْ عرَّسَ الركبُ تعريسا  
إذا اختلفتْ أعلى مداها المقاييسا  
فطوراً بدتْ ورقاً وطوراً طواويسا  
أفاض نذاه للعُفاة قواميسا  
بمدح أبي (موسى) تُغني به العيسا  
(علي) على سرِّ المهيمن ناموسا  
ويسعدُ حظُّ كانْ مُذْ كان منكوسا  
ويُوسى به كَلَمْ على الدهر لا يُوسى  
بنى شبلة (موسى) لدى العرس عريسا  
فما تركتْ من حندس الهَمَّ حنديسا  
وشمعة أنس أسرجتْ منه فانوسا  
فألْبَسَها من فاخر المجد ملبوسا  
من المجد فرعاً بالعناية مغروسا  
علاء وكلُّ أسس المجد تأسيسا  
(ببليقيس) وانظمْ كُلُّ معنى ببليقيسا

(١) هو الحاذق المطلع على خفايا الأسرار، والمصيب بحديثه (منه) .

تَزَوَّجَ موسى من شُعَيْبَ زَمَانِهِ      عَقِيلَةً نَعْمَى عِنْدَكُمْ صَرَفْتُ بَوْسَا  
وَأَنَسَ مِنْ سَيْنَاءَ بِهَجَّتْهَا هَدَى      وَعَيْشاً بِالطَّافِ الْمُهَيْمِنِ مَأْنُوسَا  
وَنَالَ بِهَا سَوْليهِ حُسْنًا وَعَفَّةً      فَأَرَخُ (لَقَدْ أُوتِيَ سَوْلكَ يَا موسى)

ووجدت وريقات بخطط عمي المرحوم الشيخ موسى نقلها من مجموعة ألفها ابن الشيخ صالح التميمي الحلبي الشاعر التحرير وقد جمع ابنه هذا ما قاله له أبوه في الشيخ موسى ، وأخيه الشيخ محمد (قُدس سرهما) . ولم أظفر بسوى يسير من تلك المجموعة . ولو لم يوفقنا الله تعالى لبذل الهمة بجمع شتات هذه المفاخر ، ولم شعث هذه القصائد لذهبت من كل الدفاتر ، ولما رأيت لها ، ولهؤلاء الشعراء الفحول مدى الزمان ذاكر ، وهو خلاف الأنصاف ، من أهل الزمان ، ودون المروءة ، وإضاعة لصداقة الدين ومراعاة الأخوة . وأنا أسأل الله كما وفقني للأبتداء أن يوفقني للأختتام والانتها ، إنه حميد مجيد ، فعّال لما يريد .

فمما قاله الشيخ صالح من قصيدة يلمح فيها بالأخباري وسحره المتقدم ، ويمدح الشيخ موسى ويتنصل من شيء نُقِلَ إليه ، أوجب غضب الشيخ عليه ، فقال مخاطباً له ، رفع الله تعالى في الخلد محله :

أَكاسِي الْوَرَى ثَوْبَ الْهُدَى بَعْدَ سَلْبِهِمْ      ثِيَاباً تَحَلَّتْ بِالضَّلَالَةِ وَالْوَزْرِ  
عَجِبْتُ لِقَوْمِ حَارِبُوكَ بِسِحْرِهِمْ      نِفَاقاً وَهَلْ (مُوسَى) يُحَارِبُ بِالسَّحْرِ؟  
تُمَدُّ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ مِنْكَ وَقَدْ غَدْتُ      لِمُوسَى الْيَدُ الْبَيْضَاءُ فِي مُحْكَمِ الذِّكْرِ  
فَلَيْتَكَ مَذْمُومَةً حَقّاً وَبَاطِلاً      بِرَأْيِكَ مَيِّزَتَ الْبَرِيءِ مِنَ الْكُفْرِ  
وَلَيْتَكَ مَذْهَبَ حَزْزِ الْعُلُومِ جَمِيعِهَا      عَلِمْتَ فَقِيرَ الْقَوْمِ فِينَا مِنَ الْمُثْرَى

وقال يمدحه أيضاً ، وقد أحسن ما شاء ، بقصيدة غراء ، يهنيّه بمولودة هي :

أَشْقِيْقَةُ الْقَمْرَيْنِ عَذراً فَاسْمَعِي      لَوْلَا خِيَالُكَ مَا صَبَوْتُ لِمُضْجَعِ  
بَانَ الْمَزَارُ فَبَانَ طَيْفُكَ بَعْدَهُ      أَنَّى يَزُورُ الطَّيْفَ مَنْ لَمْ يَهْجِعْ  
أَمْنَانِزِلَ الْأَحْبَابِ لَا بَرَحَ الْهَوَى      يَسْقِيكَ مِنْ بَعْدِ السَّحَابِ بِأُدْمَعِي  
إِنْ أَقْلَعْتَ جُودَ السَّحَابِ إِنْ فِي      جَفْنِي طَخِيَا عِبْرَةً لَمْ تَقْلَعِ  
وَمَقْنَدٌ يَبْدِي نَصِيْحَةً مَشْفُوقِ      وَيَسِرُّ حَسُو مَلَامَةٍ لَمْ تُسْمَعِ

هيهات رام تجلداً من مُغرم  
 كم ليلة غفل الرقيبُ وورقها  
 زارت وقد ماست فأخجلَ قذها  
 فكأنها شمسٌ علاها بُرقعٌ  
 حتى إذا سفرت هناك تحجبتُ  
 كُنْ يا زمانُ وهجرها أني فتى  
 والدهرُ أمّا في غنى يرمي الفتى  
 كالعلم أمّا سنة من عالم  
 برزت قناه الأجتهد وباطل  
 لولاه ما ذكر الهدى في موطن  
 والصارخ الملهوف عاد الى الورى  
 رُفِعَتْ به أعلامُ آل (مُحَمَّد)  
 ومجدداً للخلق نهجاً واضحاً  
 بهرت سجاياه الربيع بلطفها  
 وخلائق لو حملوا نفس الصبّا  
 ومكارم قَدْ طَوَّقَتْ كُلَّ الورى  
 لو بث ما في صدره لرأى الورى  
 إن جثته تنظرُ كمياً ناسكاً  
 يوماه يومٌ للعلوم يبيثها  
 والعلم أودية نأت أقطارها  
 هيهات أطلب للنوائب مَفَزَعاً  
 مولاي قَدْ سطعت بكم شمسُ الهدى  
 هنيئاً في شمس أتنك وأن لي  
 بعقيلة قَدْ أشرقت في خدرها  
 شيدت يا (موسى بن جعفر) ما أتى  
 سَفَهَا وحاول سلوة من مُولع  
 خوف الخلي وسجعه لم تسجع  
 أغصان بانات (الغوير) و(العلم)  
 وعجبت من شمس بدت في بُرقع  
 ما بين أطراف القنا والأدرع  
 لولا الغرام لفادح لم أخضع  
 يا ليتته لي أو بفقر مُقذع  
 تهدي وأمّا بدعة من مبدع  
 أن يدعيها غير (موسى) مدع  
 كلا ولا نزل الثقى في مربع  
 مما يؤمله بأنف أجسّدع  
 حتى سمت أعلى محلّ أرفع  
 سلكوا عليه في طريق مهجع  
 إن الربيع كحُسنها لم يصنع  
 من نشرها لم تنقلب في زعزع  
 طبعَتْ على أجيادها لم تنزع  
 طوفان علم قال يا دنيا اقلعي  
 ورعاً تسربل في بسالة أروع  
 نفعاً ويوم كف خطب مفضع  
 منها تبوء في جناب مُمرع  
 وأبو (علي) في النوائب مفرعي  
 قسماً ولولا حكمكم لم تسطع  
 علماً بأن المجد هناكم معي  
 فكأنها طلعت وإن لم تطلع  
 عن (جعفر) ورفعت ما لم يُرفع

هيهات رام تجلداً من مُغرم  
 كم ليلة غفل الرقيبُ وورقها  
 زارت وقد ماست فأخجلَ قذها  
 فكأنها شمسٌ علاها بُرقعٌ  
 حتى إذا سفرت هناك تحجبتُ  
 كُنْ يا زمانُ وهجرها أني فتى  
 والدهرُ أمّا في غنى يرمي الفتى  
 كالعلم أمّا سنة من عالم  
 برزت قناه الأجتهد وباطل  
 لولاه ما ذكر الهدى في موطن  
 والصارخ الملهوف عاد الى الورى  
 رُفِعَتْ به أعلامُ آل (مُحَمَّد)  
 ومجدداً للخلق نهجاً واضحاً  
 بهرت سجاياه الربيع بلطفها  
 وخلائق لو حملوا نفس الصبّا  
 ومكارم قَدْ طَوَّقَتْ كُلَّ الورى  
 لو بث ما في صدره لرأى الورى  
 إن جثته تنظرُ كمياً ناسكاً  
 يوماه يومٌ للعلوم يبيثها  
 والعلم أودية نأت أقطارها  
 هيهات أطلب للنوائب مَفَزَعاً  
 مولاي قَدْ سطعت بكم شمسُ الهدى  
 هنيئاً في شمس أتنك وأن لي  
 بعقيلة قَدْ أشرقت في خدرها  
 شيدت يا (موسى بن جعفر) ما أتى

ويحتمل أن تكون هذه القصيدة تهنئةً بعرس . ولكن ابن الناظم يقول مدحه أبي بهذه القصيدة في الحلة أيام جلوس الشيخ بها ، والشيخ لم نجد أنه تزوج بالحلة ، فالأقرب أنها تهنئة بولادة بنت .

وقال يمدحه أيضاً أيام استقامته بالحلة ويلمح بدم شخصين من الرؤساء أحدهما (سرور) ، والآخر (مهدي) ، وهي :

<p>رويدك كيف المذاكي تجارى          بغلوائها قد بلوت العشارا          لأكل الفرائس والليث غارا ١٩          فلا عجب أن جهلت (النصارا)          عماداً إذا ما وردت البحارا          هنيئاً لهم حين ذاقوا الصغارا          يميني لما بت أشكو اليسارا          لقد أظهر الحقد فيهم شرارا          يُجير الأنام إذا الدهر جارا          أضاء سراج الهدى واستنارا          وكانت هشيماً تتم البوارا          وبالأمس قد كان يبدي لزورارا          لها جحفل قد أثار الغبارا          لوجد عيال تشم القتارا          بُلينا به سوف يُخلي الديارا          بها (يونس) قد تعيا مرارا          على حذر قد ضبطت العيارا          ألا يا لقوم الفرار الفرارا          فقير وعن قوتي (الدهن) طارا          أحقاً يبارى الرجال الكبارا          وشدت غرى المجد فيهم مرارا</p>	<p>ألا قل لمن رام سبقي جهارا          جريت فقصرت عن غاية          وهل تستطيع الذئاب الذهاب          لئن فاتك (الصفير) بالأتقاد          وليس من الحزم أن ترجي          وصغرني معشر باللسان          أما علموا أنني لو فقدت          لئن كنت أضمرت أفعالهم          كما أظهر الله فضل الذي          سمي الكليم بأسراره          وعادت أفانينه غضة          ووافى به سعادنا زائراً          أمولاي سمعاً فذي دعوة          (سرور) و(مهدي) في كربة          يقول لهم إن هذا الذي          من (الحم) رطل و(يقطينتان)          وسبعة أقراص في وزنها          و(من) من (الأرز) مع (حُمص)          ولا أدعي (الدهن) أني فتى          فمن كان همته هذه          رجال بهم حلت المشكلات</p>
--	---

وَإِخْوَانٌ صَدَقَ بِأَوْجِ الْوَفَا      نَجْمٌ لَّهُمْ أَبَدًا لَنْ تُبَارَى  
فَلَوْ أَحَدٌ زَارَ نَادِي صَفَا      لِحَقِّ لِنَادِيهِمْ أَنْ يُزَارَا  
فَلَا زِلْتَ تَسْمُو إِلَى سَوْدَد      وَمِنْ الْعَزِّ يَسْمُو لِفَكِّ الْأَسَارَى

قال ابن الشيخ صالح عن أبيه المرحوم أنه قال : لما سار المرحوم المبرور الشيخ (موسى) من  
الحلة إلى قصبة الكاظمين (ع) بقي أهلها بعد فقده في همٍّ مقيم ، وداء مستقيم ، من فعل  
الظلمة ، وكان لهم كالسور المانع ، فلذلك قلتُ بيتين في مدحه وهما :

بِمَنْ تَفْخَرُ الْفِيحَاءُ وَالْفَخْرُ دَأْبُهَا      قَدِيمًا وَعِنَهَا سَارَ (مُوسَى) بِأَهْلِهِ  
وَعَادَرَهَا مِنْ بَعْدِ عَزٍّ وَمَنْعَةٍ      تَحَاذَرُ كَيْدَ (السَّامِرِيِّ) وَ(عَجَلِهِ)

وكان الوالي على الحلة يومئذ سليمان أغا من أهل (أرويل) من قبل الوزير داود پاشا ،  
فنقل إليه بعض اللثام ما قلتُ ، فأرسل عليّ وقال : ما قلتُ يوم خروج الشيخ؟ فقلتُ له :  
خير مقال .

قال : فأنشدنيه .

فَعَكَسْتُ الْبَيْتَيْنِ إِرْتِجَالًا وَالْمَجْلِسَ غَاصًا بِأَهْلِهِ :

زَهَتْ بِأَبِي دَاوُدَ حَلَّةٌ بِأَبْلِ      وَأَلْبَسَهَا بِالْأَمْنِ بُرْدَةً عَدْلِهِ  
وَكَانَتْ قَدِيمًا قَبْلَ (مُوسَى) وَقَبْلَهُ      تَحَاذَرُ كَيْدَ (السَّامِرِيِّ) وَ(عَجَلِهِ)

وللسيد باقر الكاظمي المتقدم يستنجد في أداء مهر زواج وعده به ، ويشير إلى قتل  
لأخباري بأمره (قده) مادحاً له بذلك . وضمنها بعض إعجاز قصيدة ابن الفارض ، فقال :

يَا أَيُّهَا الشَّمْسُ الَّتِي قَدْ أَشْرَقَتْ      أَنْوَارُهَا فِي هَالَةِ الزُّورَاءِ  
مَا أَنْتَ إِلَّا سَيْفٌ عِلْمٌ قَاطِعٌ      يُبْرِئُ سَنَامَ الْجَهْلِ وَالْأَهْوَاءِ  
أَوْتَيْتَ يَا (مُوسَى) الشَّرِيعَةَ حَكْمَةً      لَمْ يَوْثِقْ أَحَدٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ  
وَتَلَوْتَ تَوْرَةَ الْفَقَاهَةِ فِي الْوَرَى      وَفَلَقْتَ يَمَّ الْعِلْمِ لِلْعُلَمَاءِ  
وَقَتَلْتَ (فِرْعَوْنَ) الْمَظَالِمَ مُذْ بَنَى      صَرَحًا مِنَ الطُّغْيَانِ وَالْأَغْوَاءِ  
وَقَذَفْتَ تَابُوتَ الْفَضَائِلِ وَالْهُدَى      فِي (قُلُومِ) الْفِرْقَانِ لِلْأَشْيَاءِ

وأبنتَ شرعةَ (جعفر) وعلومه  
ونصرتَ هارونَ الأمامةَ بعدما  
وحملتَ ألواحَ الشريعةِ في الورى  
خُذْهَا عروسَ الحمدِ إلاَّ أنَّها  
أطمعتَها بالمهرِ قبلَ زفافِها  
لا زلتَ تفخرُ في ثيابِ الفخرِ ما  
إذ جثتَ في قدرٍ على استحياءِ  
ناجيتَ ربِّكَ في طوى سيناءِ  
ونسختَ سفرَ الدينِ للخنفاءِ  
ترجو لديكَ المهرَ أيُّ رجاءِ  
فأتتكَ ماشيةً على استحياءِ  
أرجُ النسيمِ سرى من الزوراءِ

### وفاة الشيخ موسى ومراثي الشعراء له

ولما كانت سنة الواحد والأربعين بعد الألف والمائتين تزايد مرض الشيخ الذي تعلّق به قبل سنين من وفاته وهو مرض (البواسير) فصار يضعف يوماً فيوم لخروج الدم الكثير، وكان قد قارب عمره الستين، سأم الحياة الدنيا وزينتها من الأموال والبنين واستام جواربه واشتاق إلى لقاءه، فقربه إليه وأدناه، فسلم نفسه الزكية إلى بارئها، وهوت دعائم الشريعة وتهذمت مبانيها، ففطق الدين يندبه، والأرامل والعلماء تبكيه، وصعق الكتاب المبين ينشده، والشعراء والأدباء تنشد مراثيه.

فمن ذلك ما قاله الشيخ إبراهيم على ما أظن، أو السيد الفحام<sup>(١)</sup> رحمهما الله، وهي:

برغم المعالي أن يُجبَّ سنامُها  
نأى ونأى عنها حميُّ ذمارِها  
نعيٌّ نعيٌّ في العالمين فأخرست  
قفوا ليتنا نفديه موسى بن جعفر  
رمتُهُ المنايا ليتها طاشَ سهمُها  
تجافى عن الدنيا فراراً وطالما  
قضى فقضى حُكْمُ الشريعةِ بعدهُ  
وبجدب من نوء المكارم عامُها  
فطأطأ طوعاً للحوادثِ هامُها  
ذهولاً وأناى يُستطاعُ كلامُها  
فلا غرو أن يغشى النفوس حماُها  
وأنَّ المنايا لا تطيشُ سهامُها  
تصاغرُ في عينيه منها حطامُها  
هاقصرَ مغناها وفُلَّ حسامُها

(١) السيد صادق الفحام تُوفي سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٩٠م، ولم يُذكر وفاة الشيخ موسى عام ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م. والأقوى أن القصيدة للشيخ إبراهيم قفطان الذي تُوفي سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م. وقد أشار الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء أنه ينقل عن مجموعة أوراق ظن أنها للسيد صادق الفحام، وقد فاته أن وفاة الفحام كانت قبل وفاة الشيخ موسى بسبعة وثلاثين عاماً.

وزلزلتِ الأفلاكُ يومَ مماته  
 فيا بحرَ فضلٍ غاصَ هيهاتَ بعده  
 وغيثُ ندى لا يكذبُ الناسَ ودقُّه  
 أثمرَ عيوناً لم تكنْ بكِ يوماً  
 وغادرتُها من بعدِ عزٍّ ومنعة  
 أتعلّمُ يا حصنَ الشريعةِ أنّها  
 رويداً فمن خلّفتَ للدينِ حامياً  
 فتلكَ المعالي والمدارسُ بعدما  
 وأحكامُ دينِ الله بعدك عطلتُ  
 وتلكَ رياضُ العزِّ بعدك قد ذوتُ  
 سرى نعثُهُ في الناسِ مسرى نواله  
 ولم أرَ نعثاً قد تعلّقتِ الورى  
 وترفعُهُ الأملاكُ شوقاً ورغبةً

وعُطِّلَ مسراها وخرَّ دعائمُها  
 يَبِلُ من الورْدِ يوماً أوأمُّها  
 إذا أخلفَ العافين يوماً جهامُها  
 وسهّدتَ أجفاناً فعزَّ منامُها  
 يعزُّ عليها صوئُها واعتصامُها  
 أبيحتُ وسامتُها هواناً سوامُها  
 وللناسِ عزّاً حيثُ عزُّ احترامُها  
 نظمنَ عقوداً فيك سُلَّ نظامُها  
 وجللَ آفاقَ الرشادِ ظلامُها  
 نصارتُها وانجبابَ عنها غمامُها  
 كما دبَّ في سلبِ العقولِ مُدامُها  
 به ولدى جنبه طالَ ازدحامُها  
 إليه ومن جنبه طالَ استلامُها

إلى أن قال مادحاً الشيخَ مُحَمَّدَ ابنِ الشيخِ الكبير :

مصائبُ قضتْ منه النفوسُ فردّها  
 إذا لمحتْ عينُ المعالي (محمّداً)  
 لتبكِ له السبعُ الأقاليمُ أنّها

على الناسِ غوثُ العالمين همامُها  
 يهونُ عليها وجدُّها وغرامُها  
 أضيّعتْ وكانت في يديه زمامُها

إلى أن قال مادحاً أخاه الشيخَ عليّ وقد رجع أمرُ التقليدِ والرئاسة إليه :

ولولا (عليّ) بعد (موسى) يسوسُها  
 إمامٌ تولّتهُ العبادُ رضىً به  
 إليه انتهى أمرُ العبادِ وعندهُ  
 فها قد كسا اللهُ الشريعةَ عزّةً

لما صحَّ منها نسكُها وصيامُها  
 من الله لما غابَ عنها إمامُها  
 مُناها وعنه جُلُّها وحرامُها  
 بأيامه إذ كان فيه قوامُها

وللسيد حسن (المتقدم ذكره مراراً) راثياً له ، ومؤرخاً عام وفاته :

رزءُ ألمَّ فبات القلبُ مأنوساً  
قال السحابُ لطرفي حين سال دماً  
فقلتُ قد بَكَرَ النَّاعي وأسلمنا  
(موسى بن جعفر) روضُ المكرماتِ ومَنْ  
فأَيُّ قلبٍ عليه غيرُ منصدع  
في الدين قَدْ أحدثتُ كَلَمًا رزيتُهُ  
اليوم بيت الهدى مادتْ قواعدهُ  
اليوم أندية التدريس قَدْ دَرَسَتْ  
اليوم جُبَّ من العلياء غاربُها  
اليوم قَوْضَ من كانتْ له هممُ  
لهفي لليثِ الوغى من بعد صولته  
قَدْ كانَ بحر ندى ما جاء واردهُ  
مَنْ للحوائج يقضيها وطالبُها  
مَنْ لليتامى ومَنْ للمُعْتَفِينَ وقَدْ  
ومَنْ ترى لمحارب الصلاة ومَنْ  
طُوبَى لرمس ثوى فيه فأَنْ به  
سقى الأله مدى الأيام أعظمه  
يا ظاعناً لم يَخْبَ من نُبله أحدُ  
هل عودةً علَّ فيها نفسنا وعسى  
(فرعون) حزنك يا (موسى) طَغى وبَغى  
ليست وفاتك نُعمى مثلاً زعموا  
إِلَيَّةً بالعِناق القُود سائرة  
لولا الغطرفةُ الأمجادُ إخوتهُ الـ  
كذلك أبنائهُ الغرُّ الألى بهم

وحالفتْ مِنِّي النفسُ الوسواسا  
غادرتْ صَيِّبَ دمعِي ليس محسوسا  
إلى الرزايا بفقد المُجتبى (موسى)  
قَدْ كان معروفُهُ في الناس مغروسا  
وأَيُّ يومٍ علينا ليسَ منحوسا  
لم يندمل لو غدا آسِيهُ (عيسى)  
وقد غدا مربعُ الآيات مطموسا  
اليوم أمسى لواءُ العلم منكوسا  
اليوم لحيانها قَدْ عاد نَكِيسا  
شمُ تطاول كيواناً و(برجيسا)  
له المنايا جعلنَ اللحدَ عريسا  
إِلَّا وراحَ بلُجَّ الخير مغموسا  
قَدْ أبَ منقطعَ الآمال ميؤوسا  
أَمسى رَتاجُ الندى والجودِ مطموسا  
ترى ينورُ بالذكر الحناديسا  
أَمسى عموداً من الأصباح مرموسا  
وزادَ مثواه تطهيراً وتقديسا  
ولا كسا وجهه الوضاح تعبيسا  
ترى لصبح وصال منك تنفيسا  
على الأنام ، وسرَّ الرجس (إبليس)  
لكنْ على الناس أضحى يومها بوسا  
إلى (الغري) كراديساً كراديسا  
أطهار مَنْ أصبحوا للفضل قاموسا  
تُجلى الخطوب لمن قَدْ بات مخلصا



لو ردّ حتف امرء من قبله لَسَعَى  
بيض الجباه إذا هزّوا بمعركة  
لكنّ إذا حُمّ أمرُ الله لست ترى  
وليّهنه بات في الجثث مغتبطاً  
يا راكباً ظهر ناب سلعة أجد  
بلغ سلامي أمير المؤمنين إذا  
وعج على قبر (موسى) حيث جثت وقل  
وناد حيث العلى قالت مؤرخة  
في رده فتية لا تُرهبُ الشوسا  
رماحهم راح ليث الغاب مفروسا  
فتى من القدر المحتوم محروسا  
قد أنس الحورَ فيها والفراديسا  
تطوي إلى (النحف) البيد الأماليسا  
أنخت في بابهِ العيس القناعيسا  
لا زلت يا قبر (موسى) فيه مأنوسا  
(في جانب الطور ألقيت العصا موسى)

١٢٤١هـ

### ترجمة الشيخ موسى في «يتيمة الدهر»

وقال السيد في (يتيمته) :

ونحمدك يا من تفضل علينا وعلى جيلنا بالرئيس المطاع ، ومن خرق صيته الأسماع ،  
موسى ابن جعفر ، من قد طأطأت له العرب والعجم ، والكلام فيه يتم من جهات :

#### الأولى: في (أوصافه):

كان مهيباً جليلاً في الأنظار ، طويل القامة يرجع الطرف خاسئاً إذا رناه ، ولا يبلغ الناظر  
منه ما رناه ، في تحقيق معناه . وقور المسرى ، ثقیل وطى القدمين في الأرض ، بشوش  
الوجه ، يبسم عن درّ نظيم ، وتلوح بين عينيه سمات الكليم ، ولا يستطيع أحد النظر إليه  
لعظيم هيئته وسلطنته ، وليس في مجلسه غير الأمراء والوزراء وأساطين العلماء ، والكل  
مطرق مهابة لإجلاله ، منصت لمقاله .

#### الثانية في (صفاته):

وهو عالم علامة رئيس مطاع مقدّس أواه ، يقصر اللسان عن عدّ صفاته التي شاعت  
وذاعت في جميع الأقطار ، شيوع الشمس في رابعة النهار .

### الثالثة في (أقواله):

كان إذا جرى لسانه في البحث والتدريس نثر اللؤلؤ النفيس ، وإذا تنحج أزعج الجلاس هديل صوته . وكان إذا قال : يا الله ارتعدت فرص الجالسين ، وكادت الجمادات تهتز مخافة منه . وكان إذا أمر أطيع في سائر الأمصار ، وإذا نهى خيف من مخالفته حتى الفجرة الكفار ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يزن مثاقيل الأدلة بميزان اعتدال ذاكرته ، ويجمع فيها بين ما تعارض وتناقض بحس سليقته ، يبدي في مجال الدروس ، ما تبشر به الأرواح وتنتعش به النفوس ، وكفاك (رسالته) المشتملة على فتاواه الرائعة ، وتعبيراته الفائقة ، فأنها متى أمعن النظر إليها من له أدنى معرفة في العلم يعلم قدر ممليتها ومنشيتها . فلعمري أنها لرسالة ما قصد بكواكب سطورها غير الهدى لمن ضل من العباد ، سيان العاكف والباد . وطالما أتعب يراعه في المكاتبات والمراسلات ، للوزراء والحكام ، الذين كانوا في تلك الأيام ، كالممالك واقفة بين يديه ، مطيعة في الأمر والنهي قوليه ، بدفع المهمات ، ورفع الملمات .

وكان ذا أقوال تُصمى سهامها ، ويبعد مرامها ، إذا كتب أعجب ، وإذا قرّر أبهر وأغرب . وكان إذا سئل أجاب ، وإذا أجاب لم ينطق إلا بالصواب ، تنبت أقواله في فؤاد السامع ، كما ينبت الروض في المربع ، فلا ناصب لمن هو رافع ، ولا ضار بالخفض من هو نافع ، وكما أزال من مُلّمة ، عن علماء الأمة .

### الرابعة في (أفعاله):

كان يصلي بالناس جماعة في الأوقات الخمسة ، وكان مع جلالة قدره ، ومزيد فخره ، يتواضع للشريف والوضيع ، وهو كباييه ما كانت في أفعاله معاملات ، بل كلها عبادات ، مقرونة بالنيات . وكان يسمّى بمصلح الدولتين لما وقع له من الإصلاح بين دولتي الفرس والروم ، مذ جهّز الفرس عساكرهم على بغداد ، لما كان بينهم وبين الروم من النكاد ، فأصدر بالرد أجنادهم ، وأذلّ أسادهم .

ولو رأيت مذ نادى به منادي الرحيل إلى إيران ، ولما قاربها بنيف وسبعين نفر من صحبه وجّه إليه الخاقان وزيره الأعظم الحاج ميرزا أغاسي مختبراً أن الشيخ بأي درجة من العلم وقبل وصوله نظر الشيخ في دربين كان بيده فرأى غباراً في الأرض فأنبأ صحبه بذلك ، فاختلفوا فيه ، فقال (قده) بالحدس من غير اختبار وكان جالساً على سرير نصب له متكئاً على عصا بيده : كآتي بهذا الغبار رسول من الخاقان يختبر مبلغني من الفضل . فأقبل الوزير يمشي الهويّنا خاضعاً مطرقاً لهيبته ثم قبل يديه ووقف متكئاً على رأسه وهو يعن النظر

فيه ، فقال : لا تمنع النظر ولا تحجب الفكر أرسلك الخاقان بكيت وكيت ، فارجع إليه وقل له : ما وجدت موسى بل موسى وعصاه . فصدر على الأثر وأخبر الملك أنه لم يطرق بلدان إيران من قديم الزمان إلى الآن اسطوانة علامة كهذا العلم العيلم . فأمر أهل طهران بالخروج لاستقباله . حتى إذا كان وقت الصباح ، ونادى منادي الرحيل بالفلاح ، هرعته لتقبيل يديه الأصاغر ، وهوت تلثم أقدامه الأكابر ، وكان يناول الناس للتقبيل إصبعيه ، وبعضهم يأخذ رجله ، وأناخ ركابه في مرابع ذي البأس والصولة ، أمين الدولة . فجاء (المليك) إليه بعسكره وخدمه وحشمه من المغنى القريب وجرت بينهم الصحبة . فشكا الملك إليه عدم معرفة الناس بقدره ، فدعا الشيخ باستمرارهم على هذا ، فتعجب الملك ودعا الملك ليعرب عما قاله الشيخ . فأجابته أنه ناظر إلى قولهم «لا تعرف النعمة إلا بعد فقدانها» ومنى الشيخ دوام وجود الخاقان ، وإن كان مجهول القدر عند أبناء الزمان . فقال الشيخ رُفْعاً لخبيل الملك من عدم تنبهه لذلك ان الخاقان أراد اختبار الأمين وانه هل يصل فكره إلى هذه المطالب أم لا فوجده كذلك ، ولما كان اليوم الثاني جاء الملك اليه من المغنى البعيد ، وأعلم الشيخ بذلك فقال الشيخ نفعه لك فتحير أيضاً في معناها ودعا الأمين وسأله عنها فقال إنه ناظر إلى قوله تعالى «مَنْ عَمِلْ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» ، وأيضاً بادر الشيخ ليرفع الخجل عن الملك بما مر . ثم ان الملك سأل الشيخ عن دينه فقال إن كنت تريد وفاء فهو غير ممكن لك ولو بكل دولتك! فتعجب ، وسأل الأمين عن ذلك فقال له إن الشيخ ناظر إلى أن كل ديون مَنْ تحت الخضراء من الأرامل والفقراء ديونه ، ووافؤها غير ممكن لك فقال الشيخ لرفع خجل الملك أيضاً هذا من ذاك .

ثم قام الملك وأوصل إلى الشيخ مبلغاً ففرقه على فقراء إيران فلما كان اليوم الثالث جاء الملك إليه ويده (قرآن) خزنوي نفيس لا تُقدَّر قيمة له ، وعصى كذلك بعنوان الهدية فقبل الشيخ ذلك .

ثم لما رجع الشيخ إلى العتبات المشرفة أرسل الملك خلفه أموالاً كثيرة والتمسه أن ينفقها على نفسه فوصلته في الكاظمين (ع) وبغداد ففرقها على القاطنين ولم يُبقِ لنفسه منها شيئاً ، وقال : الفقراء نفسي .

ثم عاد إلى ما كان عليه من التدريس بالعلوم البديعة ، والاشتغال بما يستوجب به في الدارين نيل الرتب الرفيعة ، حتى مضى إلى رحمة ربه إمام الشيعة وركن الشريعة فنصبت له مآتم العزاء بكل بلد وتلاحم عليه بالنوح كل أحد .

إنتهى ما انتخبناه من ترجمة السيد (رحمه الله) وقد بلغتنا حكاية (الدين) التي

ذكرها انها من الشيخ الكبير فكتبناها سابقاً على ما سمعنا والسيد ذكرها عن الشيخ والله أعلم .

وقال الشيخ صالح التميمي كما نقل عن ولده أبي بعد وفاة المرحوم الشيخ موسى أنا لا ألتذ بطعام ، ولا أهجع بمنام من أليم المصاب ، وعظيم الحزن والاكتئاب لفقد تلك الأيادي الفضيلة ، والهمم الجزيلة ، فيا ويح نفسي لبقائها بعد وفاته ، وكيف لا تجزع عند فراق من عاشت على أقل هباته ، وأيم الله لقد صادفت في حياته المنزل الخصب ، والسلامة مع الأمن من كل خطب ، ولما استقر الأمر لشقيقه الجد التقى سمي ابن عم النبي (ص) ، الشيخ علي ، أرسل الي كتاباً مشتملاً على نوع سؤال وعتاب ، ويذكرني فيه ما مضى ، ويعرفني ما به الله قضى ، فكتبت له الجواب ، وسألته العفو من كل باب ، وكتبت في صدر الكتاب هذه الأبيات :

وهل يخضر عيش فتى ترامت	به أيدي النوى عن آل (خضر)
وددت لو أنني من قبل (موسى)	نقلت على رضى مني لقبري
ولم أك بعده حياً ولكن	برغم إرادتي ، الأقدار تجري!

وله أيضاً مؤرخاً عام وفاته (قده) من قصيدة :

هو الدهر قدماً سلمه مثل حربه	ومن أمنه تُنمى صوارم غربه
فأن كنت في شك من الدهر فاعتبر	بموسى وقبر قد كساه بثره
أضاء كبد التم فينا عشيّة	وبالصبح قد سار المنون بركبه
لكل امرئ حزب من الناس شائع	(وموسى) الندى والجود من بعض حزبه
تمسك بقلب الصبر ساعة أرخوا	(جهاراً سعى موسى لميقات ربه)

وقد حاول معنى جيداً فلم يساعده السبك .

وأحسن ما يعجبني في هذا المقام من التواريخ قول للشيخ محمد رضا النحوي مؤرخاً عام ختان الشيخ موسى وهو :

تطهر موسى بالختان وأنه	فتى طاهر من طاهر مُتَطَهَّر
وما كان محتاجاً لذلك إنما	جرت سنة الهادي النبي المُطَهَّر
هناك قد أنشدت فيه مؤرخاً	(لقد طهر الرحمن موسى بن جعفر) <sup>(١)</sup>

(١) وفي التاريخ إشارة إلى اسم الختان وهو عبد الرحمن . وذكر الشيخ يعقوبي في البابليات ، ج ٢ ، ص ١٣ ، أن

وللشيخ صالح هذا في بيت الشيخ أشعار كثيرة خصوصاً في الشيخ موسى فإنه كان قد استرقه بنوالة

ولا غرو: (فمن وجد الأحسان قيداً تقيداً)

فلإذا أعثرنا الله على شيء منها غير هذا أدرجناه إن شاء الله .

### (بند<sup>(١)</sup>) للشيخ إبراهيم قفطان في رثاء الشيخ موسى

ولنختم هذا المقام بالبند الذي وعدنا به ، وهو من أحسن ما رأيت في بابيه ، قال الشيخ إبراهيم (ره) :

أخرس الناعي لساني ، وشجاني ، فلعمري لست أدري ما مقالي ، والليالي ، قد أراعني بتخفيق لواها ، وعلتني بصقيلات ضباها<sup>(٢)</sup> ، فهي لا تصغي إلى طور عتابي ، وطوتني بالأسى طي جوابي ، يا لحا الله كم تجرح قلبي ، بمواضي مزقت أحناء لبّي ، ورمتني كمداً فت بأعضائي ، وأودى قبس الوجد بأحشائي ، فسحب العين تهمني فوق خذّي ، كلما أبرق وجدي ، من معيني في حنيني ، وسؤالي من ضلالي ، أربعاً حادثة العهد ، بها للمجد أطلال تداعين ، ونأي خطه البين ، فما أقصر ما أقفر ناديه ، وما أعجل ما أمحل واديه ، وعهدي بفنا الدار ، حمى كعبة زوّار ، ومن نور هداها ، ينجلي عن أعين العمي قذاها ، وبها مفعم جدوى ، ورياض أزهرت علماً وتقوى ، لمنى الأمل والعامل ، يا طول عنائي ، أي شيء أهتديه ، في رثائي لكليم الله ، عين الله ، باب الله ، جنب الله ، أذن الله ، علم الله ، أم الله ، استحقّر قولتي فيه ، بحر غاض ، سيل فاض ، مجد خرّ ، لطف فرّ ، شرع حال ، عرش زال ، ركن مال ، غوث شفّ ، غيث جفّ ، رضوى خفّ ، دين خاب ، بدر غاب ، عن أفق سما عليها ، كنا بحيّاه ، هداها ، وبيميناه غنانا ، وبمغنائه حمانا ، عجباً سرعان ما أضحي مناخاً لبنات الدهر ، حتى أعقب الآمال يأساً لا نجاحاً ، فعلى الدهر ، قناع الخسر ، أنى اختطفت طير منايه ، إماماً درس الأسلام لولاه ، وأطفى قبس الدين ، وأخفى قمر الحق عن العين . رويداً أيها الظاعن عنا ، واحبس الركب بمسراك ، لنهدي بسنا نير عليك ، فويلي ثم ويلي ، كيف لا يظلم يومي مثل ليلي ، أي عذر لي إذا لم أمس بالوجد حريقاً ، تحفز العين من الدمع

حساب التاريخ مطابق لعام ١١٩٨هـ ، وذلك أنه عدّ الألف المقصورة بالعدد (١٠) . أمّا إذا عدّت بالعدد (١) فإن التاريخ سيكون مساوياً لسنة ١١٨٩هـ ، وهو الأقرب إلى الصواب .  
(١) أطلقت تسمية (البند) على نوع من الأدب الذي يُعتبر حلقةً بين الشعر والنثر . وقد استوفى دراسة هذا الفن الأستاذ عبد الكريم الدجيلي في كتابه (البند في الأدب العربي) المطبوع ببغداد سنة ١٩٥٩م .  
(٢) وفي نسخة (نواها) .

عقيقاً ، وأنح نائحة (الخنساء) على (صخر) ، وما (صخر) و(خنساء) ، وفي عيني قذى عائر أجفاني ، وفي جفني سفا سنبل أحزاني ، معاذ الله أن أسلاه ما دمت ، وقد كنت ولا أعرف ما النكبة لولاه ، لي الله على ذاك لي الله ، ولكني وإن عز عزائي أردع القلب وأنهاه ، بأمجاد رقوا هام (السماكين) فخاراً ، وبنوا للمجد والعلم مناراً ، إخوة عُزْ ، وأقمار ندى زهر ، فمن تلقاه منهم يتلقاك ، بوجه يستر البدر ، وكف ينجل البحر ، وأنس يثلج الصدر ، وبأس يفلق الصخر ، وقد أودعها الله بلا ريب ، تعالى الله عن مكنون علم الغيب شطراً ، ومن الحكمة سترأ ، فهم أضحو لنا غيثاً مريعاً ، وربيعاً ، ولشرح المصطفى حصناً منيعاً ، فسئلوا واصطباراً يا حماة الدين .

### إبتداء تفصيل أحوال الشيخ علي بن الشيخ الكبير

ثم وقع الناس بالأضطراب الشديد ، في أمر التقليد ، وباؤا بالحيرة والخسران ، وجعل كل يختار شيئاً ويتفق عليه ثلاثة ثلاثة ، وإثنان إثنان ؛ حتى كثر الجدل ، وتزايد القيل والقال ، فاجتمع جماعة من العلماء الصالحين ، من الشَّيْبَةِ المُسْنِينَ ، وجعلوا يوماً للاختيار والتعيين ، وكان الأمر قريب الانحصار بالشيخ علي . ولكن كان بعض العلماء الأساطين من تلامذة أبيه وأخيه يجاذبه لها ، وينافسه عليها ، الى أن اجتمع العلماء في المسجد الهندي . وكان أغلب من حضر من المبرزين كالشيخ خضر شلال<sup>(١)</sup> ، والشيخ محسن خنفر<sup>(٢)</sup> ، وبعض السادة البقزوانة<sup>(٣)</sup> ، ومشايخ الأعاسمة ، وغيره من أمثالهم فوق اختيارهم على الشيخ علي بعد الترجيح وتمييز طرفي التردد ، وأن لا يقلد أحد غيره في جميع الآفاق فخرجوا وأعلنوا بذلك وأرجعوا جميع الأطراف إلى الشيخ علي فيقال إن بعض العلماء ممن لم يحضر المجلس ممن كان يتمناها لنفسه ، طيب الله ضريح رسمه ، خرج إلى الحرم الشريف للزيارة فرأى في الرواق المطهر بعض من يعلم أنه ممن كان في المجلس وقيل هو الشيخ محسن خنفر ، فقال : ما صنع أهل (السقيفة) منذ اليوم ، فقال له مسرعاً بالجواب : نصبوا (علياً)!!

ثم جعلت العلماء تختلف إلى درسه والحضور تحت منبره ، وتشديد أمره ومفخره ، لما رأوا

(١) الشيخ خضر شلال ، من كبار فقهاء عصره ، ولد حدود سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٣ م ، وتوفي سنة ١٢٥٥ هـ / ١٨٣٩ م .

(٢) الشيخ محسن خنفر ، فقيه اصولي ومحدث ، ولد سنة ١١٧٦ هـ / ١٧٦٣ م ، وتوفي سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م .  
(٣) وهم السيد باقر القزويني المتوفى في الطاعون سنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م ، وابن أخيه السيد مهدي القزويني (الذي أصبح زعيماً للطائفة فيما بعد) ، والمتوفى سنة ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٣ م .

من غزارة علمه وتبحّره ، وحسن هديه في الله والناس بسيرِه . فلم يزل يكشف لهم عن غامضات الأسرار ، والحجب والأستار ، وينثر من فوق أعواده على تلاميذه ما لم يعهد مثله بأساتيده ، من عويصات يدقّ دونها الفكر الدقيق ، وتحقيق مشكلات يعجز عن الوصول الى أدنى مراتبها أولو التحقيق ، حتى سمّي بالحقّق الثالث<sup>(١)</sup> كما ذكره في «قصص العلماء» وهو بها دونهما حقيق ، وصارت كلمته بالله هي العليا ، وكلمة أعدائه هي السفلى ، وانحصر أمر تقليد الإمامية به على الإطلاق ، خصوصاً العراق ، وصارت الأموال تجبى إليه من كلّ مكان ، وتتمنّى المثل بين يديه الوزراء والأعيان وجرى أمره عليهم ، ومضى حكمه فيهم .

ومجمل القول فيه ، أن الأمر رجع له كما كان لأبيه وأخيه ، ولم يضرّ بمعالیه بعض معارضيه في أمر ترقّيه ، ولكن قنعوا منها ، بالعزلة عنه وعنّها ، وترشيح النفس لها :

(إذا صادفتُ نفسٌ عليّ أجلاًها)

ولما كثر القول في المرجعية أولاً وعارض من عارض أخيراً أكثر الشعاء بنظم ما ورد في حق أمير المؤمنين (ع) ، وجعلوها من باب التطبيق في الشيخ عليّ وأنه هو المقدم . فبعضهم نظم الحديث المشهور «عليّ مع الحق ، والحق مع عليّ» ، وبعضهم شبه الواقعة بتلك (الواقعة) ، إلى غير ذلك . ولكنني أحسن ما رأيتُ في هذا الباب من الفذلّة الحسنة المبتكرة ، مع عدم التشنيع على أحد العلماء ، فأنا إنّما أعرضنا عن ذكر تلك الأشعار لما فيها من الهجو الصريح لبعض حجج الله الأبرار ، فما أحببنا تلويث كتابنا بها . ولكن السيد باقر بن السيد إبراهيم الكاظمي سلك مسلكاً لطيفاً عفيفاً حيث قال من مقطوعة لم نجد منها إلا قوله :

أقول لطامحين لها أفيقوا	فهذي (حبوة) الشيخ المطهّر
ولاها (جعفر) حتى إذا ما	قضى ، قصرت على (موسى بن جعفر)
وبعدهما تولاهما (عليّ) الـ	رضاً أكرم بهم قوماً ومعرّشاً

(١) لقب (الحقّق) أطلق لأول مرة على نجم الدين أبي القاسم جعفر بن الحسن الحلبي الذي اشتهر بلقب الحقّق الحلبي ، المتوفى سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م ، نتيجة لجهوده الفقهية المتميزة ، ومحاولة إعادة ترتيب مباحث الفقه ، وتبويبها على خلاف الطريقة السائدة من خلال كتابه «شرائع الاسلام في معرفة الحلال والحرام» والذي أصبح موسوعة فقهية لا زالت مدار الدراسة في المراكز الدينية الشيعية حتى اليوم .  
أما الحقّق الثاني فهو لقب لحق الشيخ نور الدين علي بن الحسين الكركي المتوفى سنة ٩٤٠هـ / ١٥٣٣م - ١٥٣٤م الذي كان من كبار فقهاء الدولة الصفوية ، واشتهر بمؤلفه الفقهي «جامع المقاصد» .

بِذَا التَّرْتِيبِ جَاءَ النَّصُّ فِيهِمْ وَأَمْرُ اللَّهِ كَانَ هُوَ الْمُقَدَّرُ

## أحوال الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ الكبير

والحاصل لم يحل عام وفاة (موسى) إلاّ وتمهدت (العليّ) أخيه الأمور، وأذعن له جميع الأعيان وسلّم به الجمهور، حتى أخوه الحزير النحرير، المتبحّر البصير، عديم المثيل والنظير، علم العلم المشهور، ولواء الشرف المنشور، الذي كان أكبر سنّاً من الشيخ عليّ، وأعظم قدراً عند الأعراب والعوام، وأطوع أمراً عند الملوك والحكام، وأبعد صيتاً في الأقطار، وأرسى قدماً لكبره في الفخار، وأكثر عطاء وبذلاً، وأغزر شهامة ونبلاً، ولكن هذا العلم العيلم، لم يبق له الآن اسم ولا رسم، قد خفي أمره، واندرس ذكره، فوّأ لهفة الدّين والأيام عليه. وسبب ذلك عدم (النسل) أولاً، فإنّه لم يُعقِب سوى بنت واحدة كانت تحت ابن عمها الشيخ جعفر بن الشيخ عليّ<sup>(١)</sup>، وسيأتي (إن شاء الله) باقي الخبر، وعدم (التصنيف) ثانياً.

ومجمل أحواله فأنني أعلم منك أيها الناظر في هذه الرسالة ، لا تحب التظويل في قضاياها ، وذكر محاسن سجايها ، لعدم معرفتك له ، وأنا ضربت عنها صفحاً لذلك . على أنها غرر وأوضاح ، وريحان وأرواح .

والحاصل أنَّه كان مجتهداً مبرزاً في أيام والده ، فلما توفي أبوه ، وانتقل إلى الخلة بأهله وقومه (موسى) أخوه ، ثم سار إلى الكاظمين (ع) . فلما قتل الله عدوه<sup>(٧)</sup> ، وكفاه شره ، رجع إلى النجف وبعث إلى أهله وكانوا بالخلة فرجعوا وبقي الشيخ مُحَمَّدُ هنالك بالتماس رؤسائها وأشرفها ، فأجابهم إلى ذلك لميل طبعه للبقاء ، وعلمه أنَّه لو رجع إلى النجف فأنما يكون تحت أوامر أخيه وهو يرى القابلية لنفسه استقلالاً ، وأنه مثل أخيه في الفضيلة ولا يمكنه الاستقلال بالنجف لوصية أبيه واشترائه على سائر أولاده طاعة ولده موسى كما رأيته صريحاً في (وَقَفِيَّة) الدور ، وأن الخارج من طاعة موسى خارج من الموقف عليهم .

فبقي الشيخ مُحَمَّدٌ بالحلة مطاعاً ناهياً أمراً عظيماً مقلداً ، فاستأنس بمقامه فيهم لكثرة إعزازهم له واحترامهم ، وكان يحب النوادر واللطائف المضحكة والأشعار والتواريخ . وكان كثيرٌ من هذا القبيل في بلد الحلة فانضموا بخدمته وعاشوا على نواله ونعمته .

فمن أصحابه ملا حسين صاحب النوادر والنكات الغريبة ، (وسياتي كثير منها في

(١) من فقهاء هذه الطائفة ، وأدبائها تُوفى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

(٢) يعني به الميرزا مُحَمَّد الاخباري الذي قُتل في بغداد (الكاظمية) عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م.



ترجمة الشيخ حسن) . ومنهم الشيخ صالح التميمي وله فيه أشعار كثيرة ، منها ما نقله ابن الشيخ صالح ونصّه :

قال يمدح العلامة الفاضل المرحوم الشيخ مُحَمَّد آل الشيخ الكبير ، ومقدمة ذلك عقد امرأة من آل مالك أقرائه ، وهي :

<p>بهذا غنى عن سائل ومجيب وميلات مهزول القوام رطيب بأصناف ألحان الهوى وضروب بغيض بعيد وابتهاج قريب ربيع اليتامى أنس كل غريب تضيء لغواص البحار ركوب فما كفه يوم العطا بنضوب تيقن شمساً حجبت بمغيب بكل ملب طاعة ومجيب تضمهما أصلاً لخير نجيب لأصلت من نار ذكت ولهيب ولا من مريب في ثياب قريب بديعاً له قد دان كل أديب سكنت بواد في الغناء رحيب بذلت كأن البذل كان نصيب</p>	<p>هوى بين مخط وعده ومصيب أما واللحاظ البابلية حلفة وتغريد سجع الحلي في ساق كاعب لقد فاز فيما يملأ العين قرّة أخو العزّات الغرّ أعني (محمداً) رأى درة بيضاء في آل (مالك) عقيلة زخاروان نضّب الحيا متى قاصرات الطرف أبصرن خدرها غزاها وأهل القريتين شواخص رأى أنه أولى بها لقراة فأصلت رأي ابن النبي وأنه وما خاف من واش يرتق ورده أخا المجد ، وابن المجد تعلم أن لي منحطك كنزاً لو أجود ببعضه وأني على بخلي بسوم بضاعتي</p>
--	---

إنتهى محل الحاجة منها .

ومنها : ما نقله ابنه أيضاً عن أبيه أنه قال : وشى بي قوم عند الشيخ مُحَمَّد ، وقالوا له :  
عرّض بدمك ، وحاشا وكلا أن يصدر ذلك مني وهيئات أن أسلك تلك المسالك ،  
وبالخصوص فضله علي لا يحصى ، وإحسانه لا يستقصى . فحين أخبرت بذلك أثبته  
معتزراً عما قيل ، واتفق ذلك اليوم يوم عيد الفطر . فأنشدته قصيدة غراء في حرف  
(الراء) . (ولم يجد المؤلف منها سوى هذه الأبيات وتعذر الباقي) ، وهي :

يا حصنَ مَنْ لا له حصنٌ ولا وِزْرُ  
ما للورى بهلالِ الفطر من إِرَبٍ  
نحرتَ بالعيد عَنِّي كُلَّ حادثةٍ  
لا ذنبَ لي عند حُسّادي سوى أدبٍ  
بلاغَةٌ طارَ في الأفاق طائرُها  
لم أكرث بل ولم أعبأ بكثرتهم  
إنتهى .

وقد رأيتُ أنا في ورقة من الأوراق التي جمعها والدي لما أراد جمع مآثر هذه الطائفة ، وأظنها للشيخ صالح التميمي بالنسبة إلى شيخ مُحَمَّد بن الشيخ ، ويحتمل أنها لغيرهما<sup>(١)</sup> ، وعلى كُلِّ حال تذكر الأبيات لحسنها .

قال الكاتب : وكان عمدة العلماء الأجلّة ، حين استقامته بالحلّة ، جالساً بين جماعة فأرادوا أن يحركوا سلسلة المداعبة ، لعلمهم بأكيدة المودّة والمصاحبة ، فنقلوا عن (الحقير)<sup>(٢)</sup> ، ما لا يليق بجناحه الخطير ، من ضروب الجفا والتقصير ، فجرى على ظاهر الحال ، وجرّد صارم المقال ، وأرسل (للحقير) بيتين ، وهما :

أرى كُلَّ ذي عزٍّ بعيني صاغراً      وأنتَ بها في كُلِّ أونة تسمو  
إذا بلّغوني أنّ مثلك ذاكري      كفاني به عزّاً ولو أنّه شتمُ  
فأجبتُه على الوزن والقافية ، ونلتُ بذلك منه المودّة الصافية :

فريدَ المعالي الغرّ بهجة أهلها      بيوم لها لم يبقَ لاسمٍ ولا رسمُ  
أفي الحق أن أعزى إلى الذمّ والذي      عليه انطوى سرّي لك الحمد لا الذمُ

(١) علّق المؤلف على هذا الموضع بقوله «وبعد ذلك أنكشف أنها للشيخ موسى شريف وهو من أعظم شعراء ذلك العصر وهو من الطائفة المعروفة ببيت محيي الدين» . والشيخ موسى هذا هو ابن الشيخ شريف آل محيي الدين المتوفى سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

(٢) كان استعمال كلمتي (الحقير) أو (الأحقر) شائعتين في وسط علماء الدين ، والأدباء على حدّ سواء في التعبير عن النفس إظهاراً للتواضع ، والزهادة ، وعدم التبعجّج . وهاتان المفردتان من مختصات القرن التاسع عشر الميلادي حتى منتصف القرن العشرين . وقد تضاعف استعمالهما بتطوّر وسائل التعبير والمخاطبة .

وكيف تراني أرمي عرضك جاهداً  
فهبني تعاطيتُ (المسبة) عامداً  
إذا كنتَ نفساً منك أدعى فما الذي  
أبا (قاسم) سمعاً لما أنا قائلُ  
ودونك قد أوتيتُ علماً وحكمةً  
فكم سالمَ الإنسان من هو حربهُ  
وما آفةُ الإنسان إلا لسانه  
وجور ذوي القربى هو الجور والعنا  
ولا خير فيمن لا يوقره التقي  
وأذكُ خَلَقٌ مَنْ يقدّم نفسه  
وأني امرؤ ما ضيّع الحزم ساعةً  
سموتُ بجدي بل بجدي وقلماً  
وما من فتى حاز السباق إذا جرى

وعرضك ما يوم أريش له سهم  
أليس الذي يُرجى بك الصفع والحلم؟  
يضر إذا يوماً أضرب بها الجسم  
وإن لم يف فيما أقول به نظم  
بعضهما تنقاد قسراً لك الشم  
وحارب من قد راح وهو له سلم  
وأفعاله أفعى له ، والهوى سم  
وظلم ذوي الودّ القديم هو الظلم  
ولا خير فيمن لا يصدره العلم  
وليس له في كل مكرمة قدم  
ولكن لعمر الله ضيّعني الحزم  
من الناس يوم السبق من بهما يسمو  
(بجدي) إلا والأنام له خصم

وكانت شعراء النجف تراسله الى الحلة وتستجديه ، فيبعث لهم بالأموال والهدايا . فمن ذلك ما بعثه الشيخ ابراهيم قفطان سنة ١٢٤٤ متعرضاً لمذح أبي حسن بيبك داود پاشا<sup>(١)</sup> وقد قتل بعض طوائف العرب ، معرضاً بأعدائه وحُسادَه ، وهي :

ربوع (الجامعين) استوقفيني  
أجدد للهوى عهداً وأقضي  
يحرّكني الهوى شوقاً إليها  
ألا من مبلغاً عني سلاماً  
أنستُ بأهله وأقمتُ فيه  
وأطمعني الهوى شهداً وغنتُ

سقاك مضاعف الغيث الهتون  
على رغم العذول بها شؤوني  
فيُمسي في معاهدها سكوني  
إلى حيّ بجانبها قطين  
زماناً أتقيّه ويتقيني  
به ورق<sup>(٢)</sup> السرور على الغصون

(١) الوالي داود پاشا من كبار ولاية بغداد حكم منذ عام ١٢٣٢هـ / ١٨١٦م حتى عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م ، وكان من العلماء الأدباء ، تولى أواخر حياته مشيخة الحرم النبوي ، وتوفي سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥١م في المدينة المنورة ، ودُفن بمقبرة (البقيع) . وبه انتهى الحكم المملوكي في العراق .  
(٢) الورق : الحمام .

إِلَيَّ فَأَبْلُغُوا لَيْلَى حَنِينِي  
تَحِيَّةَ مُوَلَّعٍ فِيهَا ظَنِينَ  
فَوَادٍ فِي مَنَازِلِهَا رَهِينِ  
وَأَطْبَقَ فِي الْهَوَى (لَيْلَى) جَنُونِي  
تَنَازَعْنَا بِهِ سَفْكَ الدُّنُونِ  
كَمَا دَبَّ الرِّقَادُ عَلَى جَفُونِي  
فَقَاقَعَهَا مِنَ الدُّرِّ الثَّمِينِ  
يَذُبُّ بِهِ ابْنُ (جَعْفَرٍ) عَنْ دِيُونِي  
وَأَرْشَدَهَا إِلَى نَهْجِ الْيَقِينِ  
وَأَنَادَاهَا بِكَالْحَيَّةِ السَّانِينِ  
تَعَالَى عَنْ نَظِيرٍ أَوْ قَرِينِ  
مُطَاعٍ فِي الْمَلَا مَلِكٍ مَكِينِ  
إِلَى نَفْثَاتِ (جَبْرِيلِ) الْأَمِينِ  
وَيَنْفِقُ مِنْهُ عَنْ كَنْزِ دَفِينِ  
تَكَلُّ لَدَيْهِ بِاصْرَةِ الْعُيُونِ  
حَسَامِ الدِّينِ وَالْعُضْبِ الْيَمِينِ  
مَعَاظِفُهَا عَلَى عِلْجِ خَوْوَنِ  
تَمَرُّ عَلَى الْمَسَامِعِ كَالطَّعِينِ  
يُثْجُّ صَوَاعِقُ الْحَرْبِ الزَّبُونِ<sup>(١)</sup>  
أَقْلَتْنَاهُ يَدَا لَيْثِ الْعَرِينِ  
عَلَى فُرْسَانِهَا «يَا نَارَ كُونِي»  
تُجْزَرُ فِي السَّهُولِ وَفِي الْحَزُونِ  
تُنَادِي أَيْنَ سَكَانُ الْحُصُونِ  
وَحَبَّرَهَا عَنِ الرَّسْمِ الْمُبِينِ

أَهْيَمُ إِذَا سَمِعْتُ حَنِينَ (لَيْلَى)  
وَحَيَّوَا حَيَّهَا عَنْ مُسْتَهَامِ  
وَرَدِّي يَا أَمِيمَةَ لِي بَقَايَا  
جَنُونُ (الْعَامِرِيِّ) يَدُورُ حِينًا  
أَمِيمَةُ عِنْدَ ذَاكَ الْحَيِّ رَّبِّعُ  
مُدَامًا دَبَّ فِي رَأْسِي هَوَاهَا  
تَذَكَّرْنِي فَقَاقَعَهَا أَكْفَا  
وَتَشْبَهُ فِي تَشَعُّعِهَا لُجَيْنًا  
(مَحْمَدُهَا) وَأَحْمَدُهَا صِفَاتِ  
وَأَمَجْدُهَا وَأَجْمَلُهَا ثَنَاءِ  
وَهَلْ عَذَّبَ الثَّنَا فِي كُلِّ فَرْدِ  
غَنِيٍّ فِي الْعُلَى عَنْ رَسْمِ حَدِّ  
عَلِيمٍ يَنْتَهِي فِي كُلِّ عِلْمِ  
يَفِيضُ الْعِلْمُ مِنْ بَحْرِ غَزِيرِ  
مَنَاقِبُ قَدْ عَقَدْنَ عَلَيْكَ عِزًّا  
سَمَتِ فِي دَوْلَةِ الْمَلِكِ الْمُفْدَى  
وَرُبَّ طَوَائِفَ مَالَتِ سَفَاهَا  
يَزْخَرُ مِنْ وَسَاوِسِهِ أَمَانِي  
فَعَالَجَهَا (أَبُو حَسَنِ) بِجَيْشِ  
وَأَغْمَدَ فِي جَمَاجِمِهَا حَسَامًا  
حُسَامًا فِي لُطَى الْهَيْجَاءِ يَتَلَوُ  
فَتَلِكُ رَجَالَهُمْ صَرَعَى وَأَسْرَى  
وَسَامَ حَصُونَهُمْ رَدْمًا فَأَمَسَتْ  
فِيَا مَنْ طَالَتِ الْأَفْلَاكُ فِيهِ

(١) يُثْجُّ: يُطْلَقُ عَلَيْهِمْ صَوَاعِقُ الْحَرْبِ .



إن كانَ (مُوسى) فيه قامتْ حِجَّةٌ      (بُحْمَدٍ) حججٌ بدتْ للنَّاظرِ  
والفرقدانِ كلاهُما في رُتْبَةٍ      ما فيهما حيثُ العُلَى مِنْ قاصرِ  
فاسلمَ ودُمَ حيثُ الأراملُ ما لها      مِنْ كافلٍ كلا ولا مِنْ ناصرِ  
وقال السيد في (يتيمته) :

ونحمدك يا من تفضل علينا بالبدر الأنور ، مُحَمَّد بن جعفر . والكلام فيه في مقامات .  
الأول في أقواله : كان لا يفوه إلاَّ حقاً ، ولا ينطق إلاَّ صدقاً ، الى غير ذلك من الصفات  
التي عرفتها بأبيه وأخيه ، إلاَّ أنَّه ينقص عنهما بدرجة وهو عدم إلزامه بحالتيهما من  
الضبط عن الملاطفة والمداعبة وإنشاء الشعر وإنشاده ، حيث كان ساكناً في الحلة الفيحاء  
ولازم ماءها وهواءها ذلك .

الثاني في أفعاله : وكان كثير المساعي في الخيرات ، والأعانة لأرباب الحاجات ، كثير  
السهر في الليال ، بعبادة ذي الجلال ، وكان أكثر أفعاله الواجبات والمندوبات .

الثالث في علمه : وكان مدرساً بشرزمة قليلة من صحبه ، مفتياً فيمن كان بين أظهرهم ،  
حاكماً بما أنزله الله عليهم ، ولكن لم يبلغ مراتب أبيه وأخوته على ما نقل . وما برزت له إلى  
الخارج مؤلفات معتنى بها ، ومسألة يُعَوَّل في التقليد عليها ، ولكن الاجتهاد فيه محقق  
ثابت ، بل هو قليل في حقه ، فقد وفى بإيجاز العلوم وتطويلها ، وأحاط خبراً بكثيرٍ وقليلها .

الرابع في حالاته وعزته وعلو قدره : وكان جليلاً في الأنظار ولاسيما في أنظار ذوي  
المناصب والحكام ، فكم من أسير أطلق ، وكم من مطلق أسر ، وكم من طريد أواه ، وعار  
كساه . وكان مهابة كآبيه تخشى سطوته ، وترجى نعمته ، ولا تؤمن نقمته ، وما انطوت على  
غير الارتباط مع جبار السماوات سريره ، ولا يفخر وإن فعل ما فيه الفخر ، ولا يأخذه  
العجب من نفسه فيما جلب من نفع أو دفع من ضرر . وكانت له هبة في القلوب ورهبة  
تخشى منها الأسود ، وسطوة تنجلي بها الكروب ، وكان ذا مزايا كأمثال الشهب ، يحق أن  
ترسم في صدر الكتب ، ولكن منع من ذكرها قصد الاختصار ، ومنافاة الغرض الذي  
عرفت ، وإننا لسنا بمن عاصره .

الخامس في مساعيه : أمّا في السرّ فأرضاء باربه ، وأمّا في العلن فقضاء أمور المسلمين  
والاهتمام بمطالبهم ، وإنجاز مآربهم ، وفك المسجونين ، ودفع مظالم الجائرين ، وتشديد أركان  
الشريعة ، وتأيد الشيعة ، كل ذلك ابتغاء مرضاة الله تعالى .

السادس في عقبه : ولم يعقب سوى بنت هي حليلة البرّ الشيخ جعفر ، ابن عمها الشيخ علي نجل الشيخ الأكبر .

واجتمع عليه عدة من المشتغلين من أهالي الحلة وغيرها ، فكان يباحثهم فقهاً وأصولاً . فمما يُنقل من نوادر ملا حسين أنّه قال للشيخ مُحَمَّد ، وكان الشيخ عازماً على المسير إلى النجف للزيارة : أعطني (كذا) مقداراً لأعطيه لعيالي مَصْرُفاً وامض للزيارة وإلاّ (خجلتُك) في النجف ، فأعطاه الشيخ نصف طلبته . فلما جاؤا إلى النجف نزلوا عند الشيخ علي ابن الشيخ الكبير ، فلما صار العصر واجتمع العلماء عند الشيخ مُحَمَّد ، (والشيخ عليّ حاضر) إلّفت ملا حسين وقال للشيخ عليّ : يا شيخنا إن الشيخ مُحَمَّد يباحث في الحلة ، فقال له : سمعتُ ذلك وفقكم الله ، فقال : ولكن ما أظنك سمعتَ بأنّه لم يُبق سوقاً لكم بكثرة التفريع والتشقيق والاستنباط حتى أنسى ذكر أبيه وأخيه . فتعجب الشيخ علي والعلماء وقالوا : كيف ذلك؟ فقال : إنه كان يباحثنا في كتاب الوقف فقال عند الشروع به بسم الله الرحمن الرحيم ، (بحماسة وصوت عال) : لو قال الواقفُ (قوق) لم ينعقد الوقف ولو قال (قيق) لم ينعقد ولو قال (قاق) لم ينعقد أيضاً . وكذا صنع في كتاب الطلاق فأنه قال بعد البسملة لو قال : (طيط) لا طلاق ، ولو قال : (طوط) أيضاً لا طلاق ، ولو قال (طط) أو (طاط) لا طلاق .

فلم يزل ملا حسين يحرك يده ويهزّ جسده ويده ويأتي بهذه المهملات وأمثالها حتى (أهلك) الحاضرين من (الضحك) حتى الشيخ مُحَمَّد . ثم إلّفت إليه وقال : هذا عوض المقدار الذي خلفته لك من طلبتي .

## وفاته ومراثيه

ولما تُوفيت زوجته بنت أزخار (رئيس عشيرة من الأعراب) إجتمع عليها ما يزيد على العشرة آلاف فارساً من الحلة ونواحيها وجاؤا بها إلى النجف ، وتوفي هو في الطاعون سنة الألف والمائتين والسبعة والثلاثين ، وذلك في الوباء الكبير الذي أفنى أهل العراق ، فجاء بجنائزه ثلاثة أنفار من خدمه فخرج الشيخ علي مع من بقي في النجف إلى خارج البلد واستقبلوه ، وجاؤا به إلى مقبرة أبيه فدفنوه . فرثته الشعراء بمراثٍ كثيرة ، وأحسنها ما قال الشيخ إبراهيم حيث قال يعزّي أخاه ويرثيه :

طالعتُ نعشك والقرينُ الفَرَقْدُ لا تعجبوا فالنعشُ فيه (محمد)

أَنْ فِي السَّمَاءِ لَهَا إِمَامٌ يُلْحَدُ  
لَكَ فِي صَفَائِهَا مَزَارٌ يُعْبَدُ  
أَسْفَاً عَلَيْكَ فَكُلُّ دَارٍ مَشْهُدُ  
- عَكَفَتْ مَلَائِكُ - رَكْعٌ أَوْ سُجْدُ  
وَنَدَى وَبَدْرٌ هُدًى وَفِيهَا السُّودُ  
فِيهَا خَضَمٌ بِالْفَضَائِلِ مُزِيدُ  
مَنْ دُونَ عُذَّتِهَا الرِّمَالُ تَعْدُدُ  
فِي قَلْبِ كُلِّ مُوَحِّدٍ تَتَوَقَّدُ  
مَنَا تَقَرُّ وَلَا عَيُونَ تَجْمَدُ<sup>(١)</sup>  
وَحِشَاءٌ مُؤَجَّجَةٌ وَعَيْشٌ أُنْكَدُ  
وَحِشَاءَةٌ طَاحَتْ ، وَوَجْدٌ سَرْمَدُ  
فِينَا يَغِيثُ الْمُسْتَغِيثِ وَيُنْجِدُ  
مَنْ لِلْأَرَامِلِ بَعْدَ يَوْمِكَ يَرْفِدُ  
فَأَغَارَ أَقْوَامٍ وَقَوْمٌ أَنْجَدُوا  
فِي الدِّينِ وَالْدُنْيَا وَأَنْتَ الْمُرْشِدُ  
مَنْ لِلْأَيَامِ مَسْعَفٌ أَوْ مَسْعَدُ  
مَنْ لِلْمَرْوَعِ مِنَ الْحَوَادِثِ مُنْجِدُ  
وَلَأَنْتَ طَالِعُهَا السَّعِيدُ الْأَسْعَدُ  
رَصْدًا وَأَنْتَ لَهَا الرِّصِيدُ الْمُرْصِدُ  
فَالشَّمْلُ مِنْهَا إِذْ نَعَتَكَ مَبْدَدُ  
مَتَبَتَّلًا فِي لَيْلِهَا تَتَهَجَّدُ  
وَالسَّيْفُ مِنْ بَعْدِ الضَّرْبَةِ يُغْمَدُ  
سَجْنٌ بِحَافَتِهِ الصَّوَاعِقُ تَرْعَدُ  
وَلَهُمْ حَجَى رَأْسِ غُلَاهُ وَمَحْتَدُ  
حَيٍّ وَإِنْ طَالَ الْبَقَاءُ يُخْلَدُ

رَفَعْتُهُ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ مُظَنَّةُ  
وَهَبْتُ فِي وَادِي الْغُرِيِّ لَتَرْبَةِ  
فِي مَشْهَدٍ ضَجَّتْ مَاتَمُ أَهْلِهِ  
لِلَّهِ تَرْبَتِكَ الزَّكِيَّةُ كَمْ بِهَا  
وَتَضَمَّنَتْ عِلْمًا وَحِلْمًا رَاسِخًا  
وَاسْتَنْزَلَتْ فَلَكَ الْمَكَارِمُ وَانْطَوَى  
عَجَبًا لَهَا ضَمَّتْ مَا تَرَكَ الَّتِي  
يَا ظَاعِنًا عَنَّا وَخَلَّفَ جَذْوَةً  
أَبَدًا فَلَا نَارَ تَبُوحُ وَلَا حَشَا  
كَبِيدُ مُقَرَّرَةٍ وَطَرْفُ أَرْمَدُ  
وَأَضَالَعُ مَسْجُورَةٍ بِلْظَى جَوَى  
أَ (مُحَمَّدٌ) وَمَنْ الَّذِي خَلَّفَتْهُ  
مَنْ لِلْأَمْثَالِ فِي شَوَاكِلِ دِينِهَا  
مَنْ لِلْسَّدَادِ وَقَدْ تَعَفَّى نَهْجُهُ  
مَنْ لِلْعِبَادِ وَقَدْ أَضَاعَتْ رَشْدَهَا  
مَنْ لِلْيَتَامَى كَالْيُ أَوْ كَافِلُ  
مَنْ لِلْأَنَامِ مِنَ الْمَهَالِكِ مَنْقَذُ  
مَنْ لِلْمَالِكِ سَاعِدٌ وَمُسَاعِدُ  
مَنْ فِي ثَغُورِ الْمُسْلِمِينَ مُرَابِطُ  
مَنْ لِلشَّرِيعَةِ جَامِعُ لَشَتَاتِهَا  
مَنْ لِلْمَحَارِبِ الَّتِي أَحْيَيْتَهَا  
أَقْبَرَتْ بَعْدَ مَفَاخِرِكَ قَدْ زَهَتْ  
وَمَرَحَتْ فِي سَعَةِ الْجَنَانِ ، وَمَضْنَا  
مَاذَا أَقُولُ مَعَزِيًّا إِخْوَانَهُ  
قُلْ يَا أَبَا (الْمُهْدِيِّ) لَا تَجْزَعُ فَمَا

(١) تَبُوحُ النَّارِ بِمَعْنَى يَنْطَفِي لَهَا .



في النشأتين على العواقب تُحمدُ  
وبغير شرعته الوري لم يقتدوا  
لولا سناه عليهم لم يهتدوا  
وعلى شمائله الخناصر تُعقدُ  
هو للعوالم في العلوم الموردُ  
أمنٌ وينجحُ في فناه المقصدُ  
فيهنَّ ألسنةُ الثناء تُغرّدُ  
طراً فنحنُ لكم جميعاً أعبدُ  
مللُ الضلال تنصّرُ وتهودُ  
(زحل) فأقلامُ القضا لي تشهدُ  
فيه شعارُ الدين ساعة يُولدُ  
وحديثُ فخركم (صحيح) مُسندُ  
فيها بأعباء الأمانة (سيدُ)  
(قضية) ملك مطاعٌ أصيدُ  
مستحقبُ نقل الشريعة سيدُ  
بالوحي في علم الكتاب مسددُ  
وكذاك من سكنَ المقابر مُفردُ  
لو كان يسمعُ مَيّتٌ من ينشدُ  
ومن المحيط بعد ما لا ينفدُ  
ذابتُ فيها هي لي قذى تتصعدُ  
في أجرعيه فمُبْرَقٌ أو مُرْعَدُ  
ما أن تزال بها الملائكُ تصعدُ

وهو العليمُ بأنَّ عاقبةَ الأسي  
وبعزه سلوانُ آل (محمّد)  
رمز الكتاب بأنَّه النجمُ الذي  
ضربَ الجلالُ عليه رائقَ روقه  
يا آل (جعفر) أنتمُ البحرُ الذي  
ولأنتمُ البيتُ الحرامُ لنا به  
لكم المساعي الغرُّ والمدحُ التي  
لكم الأيادي المالكات رقابنا  
شيدتمُ الأسلامَ وانتقضتُ بكم  
وإذا ادّعتِ لكم مقاماً دونه  
لا يستهلُّ وليدكمُ إلا بما  
أثرُ المفاخر في سواكم (مُرسلُ)  
إنْ غابَ منكم (سيدُ) عنا يَقمُ  
(أصلُ) لكلِّ فضيلة ، (فصلُ) بكلِّ  
فَرْعٍ قَومٍ ، بابُ علم جُنَّة  
بالرأي في فصل الخطاب مؤيدُ  
يا مُفرداً في حفرةٍ أنستَ به  
كم لي على مثواك وقفة ناشد  
أرثيك يا من لم أخطُ بثنائه  
في زفرة حنّت الضلوع على حشا  
أو حسرة تزجى سواجم عبرة  
مني إليك تحية موصولة

وكان رحمه الله على جلالة قدره وهيبته خفيف الأطراف حلو الشمائل يحب الهزل  
والمجون ، بالضد من أخيه الشيخ عليّ فإنه كان وقوراً جهماً شرساً قليل الضحك كثير  
التفكير ، فلذا كان رجوع الأمر إليه دون أخيه الأكبر زيادة على عدم جلوسه في النجف ،  
فكان مسلك الشيخ عليّ أدخل في العلم وأوقع في نفوس العلماء .



تؤمّل أن يبلغ سدره منتهاها ، ونعمة أدام الله أيام جمالها ، وأفاض عليها صافي سجالها ، والسلام .

## باقي أحوال الشيخ علي نجل الشيخ الكبير

ولنرجع إلى إتمام أحوال الشيخ علي فنقول :

هو أجلّ من أن يذكره الذاكر بأطراء ، وأعظم من أن يفرط فيه المادح بالثناء . أمّا جوده فقد كان (رحمه الله) له في كلّ قطر من الأقطار (وكيل) يقبض الأموال والحقوق ويقسمها في فقراء تلك البلد ، فأَنْ أعوز الوكيل ما في يديه ، بعث الشيخ بما عنده إليه ، لبذله على المساكين ، وأغنائهم أجمعين . حتى أنّه لما تُوفي كان عليه من الدّين ، ما يبلغ الخمسة آلاف تومان والمائتين ، فلم يوضع جسده الطاهر في حفرة ، حتي نقلها ولده الشيخ مُحَمَّد<sup>(١)</sup> برضاء الغرماء الى ذمته .

ولم يخرج لبنيه من التركة إلا شيء يسير لا يفي بمعيشة سنة . فقد حدثني خلفه عمي العباس أن حظه من تركة أبيه أربعمئة قران ، وهكذا باقي إخوته الأعيان .

ونقل السيد البراقي في «معدن الشرف» عن السيد حسين<sup>(٢)</sup> بن العلم المهدي عن أبيه هذا ، (وكان من أعيان أصحاب الشيخ وأجلاء تلامذته ، وهو مع ذلك زوج ابنته) ، أن الشيخ كان إذا هدأت العيون ، ونامت الهواجس والظنون ، جعل الشيخ يطوف بنفسه على دور الفقراء والمساكين ، خصوصاً العلويين ، ويدفع لهم (صُرر) الدراهم والدنانير ، فكانت (العلوية) تقول له إذا دفع لها نصيبها : من أنت؟ فيقول لها : «أنا بعض خدامكم الراجي شفاعتكم» .

ونقل أيضاً أن الحاج إبراهيم شريف (أبو حاج قنبر شريف) كان هو محل اعتماده ، وموضع أسواره ، ومدار جميع أموره ، وكان هو يقبض الحقوق والشيخ يحوّل مستحقيها عليه . فعجاء الحاج إلى الشيخ وقال : يا شيخنا جئت أشكو إليك ضيق أمورنا ، ونفاد ما عندنا ، لكثرة من تحمله حتى نفدت جميع الحقوق ، واستقرضت حتى خجلت ، وبعثت أسبابي وأغلب ما ملكت ، فقال الشيخ : إني البارحة عزمت على زيارة إمام خراسان ، فدبّر لنا ما يوصلنا الى كربلاء والله كريم ، فعسى الأمام الرضا ، أن يلحظنا بعين الرضا ، فيقضي

(١) الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ علي تُوفي سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م .

(٢) السيد حسين بن السيد مهدي القزويني تُوفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م ، وكان من كبار فقهاء الأسرة القزوينية الحليّة ، وأدبائها ، والشيخ علي كاشف الغطاء هو جدّه لأمه .

ديوننا . ففعلت ، وركبنا مع بعض الخواص حتى جئنا كربلاء فجاءتنا الأموال تترى ، فجعل الشيخ يحوّل عليها حتى نفذت ولم يبق للطريق كراء ، فمضيت الى بعض من لي معه معرفة فنقلت له توقّفنا وحيرتنا بأمر الكراء ، فبذل لنا ما يوصلنا إلى البلد التي نحن متوجهون إليها .

فلم يزل الشيخ على هذه الطريقة حتى صرتُ أَرُدُّ (الحوالة) فجعل يقبض الأموال بنفسه ويفرقها بيده ، وجعلت نفسي تتقطع من الأسى والوجد على الشيخ وفعله وعدم التفاته للحال الذي خرجنا به ، حتى صرنا في أمصار العجم فجعلوا يأتوننا بالأواني والأجن الكبار ، وهي مملوءة بالدرهم والدينار ، والشيخ يفعل بها فعله في سائر الأمصار . حتى جاؤنا بعض الأيام بستَ (صواني) مملوءة بالتوامين ، فدخلت على الشيخ وقد وضعت بين يديه وهو منفرد ، فقلت له بغضب : إنا والله أفقر الفقراء ، وأعدم المعدومين ، أفما أن أن تلتفت لحالنا مع المساكين؟! فقال لي بانخفاض : مهلاً يا إبراهيم ، الى أين ذهبت عن قوله تعالى : «وَمَنْ يَرْضَ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً يضاعفه له»؟ فقلت : وهلم جرا ، فمتى الاستيفاء؟ فقال : خذ نصفها ودع الباقي للفقراء وارفعها عاجلاً قبل أن يأتي بعض المستحقين ، فوالله لن ترى حينئذٍ لها أثراً .

وأما علمه وعلو درجته في مراتبه فما أدري ما أقول لك فيمن خرّج من تحت منبره مثل شريف العلماء<sup>(١)</sup> ، والسيد إبراهيم<sup>(٢)</sup> صاحب «الضوابط» ، والشيخ مرتضى<sup>(٣)</sup> ، والسيد مهدي القزويني<sup>(٤)</sup> ، ومير فتاح<sup>(٥)</sup> جامع «العناوين» ، وغير هؤلاء من العلماء الأساطين ، ممن لا يخفى عليك علو قدرهم ، وتناهي مفخرهم ، وكلهم يردون من غباب بحره ، ويصدرون عن نهيه في التدريس وأمره . وكان اشتهاه بالتحقيق والفضيلة والاجتهاد وعلو المنزلة في زمان أبيه ، وكان كلما ذكره أوسمع بذكره يقول : أطال الله بقاءه ، وجعلني فداءه . فمن ذلك ما في رسالته المسماة بـ «الحق المبين في ردّ الأخباريين وتصحيح عمل المجتهدين» ،

(١) شريف العلماء هو الشيخ مُحَمَّد شريف المازندراني الحائري كان من أكابر فقهاء زمانه ، تخرّج على يديه جيل كبير من المجتهدين . توفي سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م .  
(٢) هو السيد إبراهيم الموسوي القزويني الحائري المتوفى سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م . وقد اشتهر بكتابه «ضوابط الأصول» المطبوع طباعة حجرية ضمن مجلد كبير .  
(٣) هو الشيخ مرتضى الأنصاري فقيه الأمامية في عصره ، ومجدد مناهج الأصول ، المتوفى سنة ١٢٨٢هـ / ١٨٦٥م .

(٤) السيد مهدي القزويني زعيم الأمامية في عصره ، تولّى المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ الأنصاري ، وأصبح (المرجع) المطلق لطائفة الأمامية في السنين العشرة الأخيرة من القرن الثالث عشر الهجري . توفي عام ١٣١٠هـ / ١٨٨٢م .

(٥) المير فتاح بن السيد علي المراغي .

حيث قال في مقام سبب تصنيفها بعد كلام طويل ماهو هذا : لكن دعاني إليه ، وأوجب عليّ القدوم عليه ، إلتماس ولدي الطاهر المطهر ، علي بن جعفر ، أطل الله بقاءه ، وجعلني فداءه ، مع كثرة ما رأيت من طعن الجهلاء ، على ورثة علوم خاتم الأنبياء . (إنتهى محل الحاجة) .

ونقل البُرقي عن العلامة القزويني<sup>(١)</sup> أن درس الشيخ عليّ كان مشتملاً على ثمانمائة تلميذ كلهم ما بين مجتهد ومراهق ، وكل هذه التحقيقات والتدقيقات والأصول التي هي اليوم بين أيدي الناس هو أصلها ، وعنه مصدرها ، تداولتها تلاميذه فنشرت على جباه الأوراق ، ورتبتها حتى رقّ مشربها وراق ، كما يدل على هذا ما في «قصص العلماء» ، حيث قال (وهذا نص عبارته) :

وبعد وفاة الشيخ الكبير جلس ولده الأكبر الشيخ موسى مكانه للتدريس ، وكان فقيهاً وحيداً متفرداً بعد أبيه . ونُقلت عنه تحقيقات هي في غاية الدقة والمتانة . وعندما تُوفي الشيخ موسى حلّ الولد الثاني الشيخ علي محله ، وكان تلامذته الكثيرون قد أطلقوا عليه لقب (الحقق) الثالث نظراً لانفراده بتأسيس القواعد الكلية ، وتفرع الفروع في جميع الأعصار ، ويشهد على ذلك كتاب (العناوين) الذي ألّفه تلميذه (وتلميذ أخيه الشيخ موسى) السيد فتّاح بن السيد علي المراغي الذي اختصّ بالقواعد الفقهية الكلية مع أدلتها وتفرعاتها . ويُعتبر كتاب «العناوين» أفضل من كتاب «القواعد» للشهيد الأول ، لأنّ كتاب القواعد وإنّ وردت فيه القواعد الكلية والفروع إلّا أنّ الشهيد لم يذكر أدلتها بل اقتصر على إيراد المصالح والحكم .

كما يُعتبر كتاب «العناوين» أفضل من كتاب «عوائد الأيام» للملا أحمد النراقي . فبالرغم من أنّ كتاب «العوائد» فيه منافع عدّة إلّا أنّ :

١ - فروع هذا الكتاب قليلة .

٢ - لم يحو إلّا نصف القواعد التي حواها كتاب «العناوين» .

٣ - أورد مؤلفه الكثير من التحقيقات الفلسفية في المسائل الفقهية الموروثة عن الاسلاف من الفقهاء التي هي بعيدة عن مذاق الفقه ، والفهم العرفي .

وقد أدخل بعض الأصوليين كذلك في مباحث أصول الفقه (بالنسبة لأصل البراءة ، والاستصحاب ، وحجية الظن) مصطلحات فلسفية بعيداً عن مذاق فهم العرف . كما

(١) هو السيد مهدي القزويني المتوفي سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .

حدث ذلك في القواعد الفقهية .

إنَّ كتاب «العناوين» تميَّز عن هذه الكتب بتحقيقاته ومنهجه حيث ذُكرت فيه قواعدٌ كثيرةٌ مُحكمةٌ بالأدلة ، كما وردت فيه فروع كثيرة . مضافاً أنَّه لم يتعد عن ذوق الفقهية ، والفهم العرفي . وأكثر تحقيقات هذا الكتاب هي تحقيقات للشيخ عليّ ، (وبعضها للشيخ موسى) ، كما أقرّ بذلك مؤلف «العناوين» نفسه<sup>(١)</sup> .

وهذا التفصيل والأطناح يكفيك في هذا الباب .

وحُدثت عن بنته<sup>(٢)</sup> الحاجة (أم السَّادة العظام) ، وكانت المتولية لخدمات أبيها ، من دون أهليها ، أنها تقول : كان طريق مطالعة الشيخ أن يأتي بعد الصلاة إلى حجرته فتشعل له الشموع ، ويقرب له العشاء فيتناول منه أقل ما يكسر سورة الجوع ، حتى إذا فرغ أمرنا بالخروج وعدم الدخول عليه ، ثم أطفأ السراج وجعل رأسه بين ركبتيه .

وتقول الكوكبة الزهراء : فيمضي على هذا أكثر من نصف الليل ، وكنت أنام وأنتبه وأدنو من باب الحجرة ويبيدي السراج ، فلا يلتفت ، فأقول لي الويل ، قد أخذ الشيخ النعاس فراح على هذا الحال نائماً أو مهوِّم ، وأنا لا آمن هجوم البرد عليه بأَمِّ ملِّدم<sup>(٣)</sup> ، فأناديه : يا أبا مُحَمَّد ، قم وادخل تحت ملحفتك ، فقد أضر البرد والنعاس بمهجتك ، فيرفع رأسه ويقول : دعيني فوالله إنني لمنتبه عالم ، أن لا حظَّ في إقتناء المجد لنائم ، (ودون المذاق الخلو مرَّ العلاقم) .

فأرجع إلى حجرتي ، وأدخل تحت ملحفتي ، وقد أخذني الأرق ، وأزعجني القلق ، حتى إذا صار الثلث الأخير من الليل ، قام الشيخ وأسبغ الوضوء ووقف للمناجاة والدعاء على نفسه بالشبور والويل ، حتى يطلع الفجر فيؤدي الفريضة ، ويكمل نافلتيه . ثم يأوي إلى مضجعه وينزع رداءه لانغماره بأدمعه ، حتى أنام ريثما يحل العاقد حبوته ، وأرسل النور على بساط الأفق غزالته ، ونشرَ عَصْفَرُ<sup>(٤)</sup> الشعاع على رؤوس الحيطان أرديته ، فيقوم الشيخ عندها ويتطهَّر ، ويخرج إلى الدار الخارجة ويرقى المنبر ، ونحن نسمع همهمة الرجال ، وخفق

(١) قصص العلماء ، ص ١٨٤ . وقد نقل المؤلف النصَّ باللغة التي كُتِبَ بها ، وما ورد في (المتن) هو ترجمة للنصِّ الفارسي .

(٢) هي بنت الشيخ علي كاشف الغطاء ، وزوجة العلَّامة السيد مهدي القزويني . وقد أنجبت أربعة أولاد كلَّهم نالوا درجة علمية وأدبية واجتماعية سامية بين علماء عصرهم ، وأدبائه وهم : الميرزا جعفر القزويني ، المتوفى سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م ، والميرزا صالح القزويني المتوفى سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م ، والسيد مُحَمَّد القزويني المتوفى سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م ، والسيد حسين القزويني المتوفى سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

(٣) أمِّ ملِّدم : كناية عن الحمى .

(٤) العَصْفَر : اللون والضوء .

النعال ، وازدحام الأمثال ، حتى يمتلئ الدار والأيوان . ويجلس الباقون بعض الأيام في دهليز الباب وبعض في (الطويلة) ، فتتدافع الناس إلى سامي فناه أفواجاً أفواجاً ، وهو ينحدر كالسيل عباباً ثجاجاً ، بما يبهر الألباب ويحير العقول ، ويعود كل من أولئك الأساطين المحققين يقول : يا سبحان الله العلي العظيم ، ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم :

فهنالك ما شاء الهدى من مُبْهِرٍ      عين الحقيقة ملء سمع السامع  
كُشِفَ الغطاء له فحقَّقَ للورى      أن العليَّ (مُحَقَّقٌ) بشرائع

وكان يُصلي إماماً بالناس بمسجده الذي بناه أخوه الشيخ موسى وأكمّله هو بعده ، وهو من المساجد العظيمة الواسعة ، فكان (رحمه الله) إذا جاء ورآه غاصباً بالناس أجال طرفيه فيهم حتى يقع على بعض من يعتمد عليه فيقيمه إماماً للناس ويمضى هو إلى الحرم فيصلّي منفرداً ، ولم يعلم ما السبب .

ومثله ما حكى عن السيد مُحَمَّد<sup>(١)</sup> ابن صاحب الرياض أنّه لم يصل جماعةً بالناس مدى عمره .

ومن كراماته العجيبة ما نقله البراقى في كتابه عن تأريخ الشيخ عيسى المعروف بالأخرس ، وهو من مؤرخي المتأخرين ، وجمع في كتابه هذا جملة من كرامات العلماء ، وروىها السيد البراقى عن عدة من رجاله من الفضلاء الثقات ، وقد أشبع فيها الكلام وأطال بها التفصيل . ومجملها أن الشيخ كانت عادته الخروج كل ليلة (أربعاء) إلى مسجد (سهيل) للاستجارة ، فكان يدفع إلى بعض خدمه درهماً يبتاع له شيئاً من الخبز والتمر يأخذه أمام الشيخ عشاء له ، ويخرج إليه الشيخ بعد ذلك . فاتفق أن الشيخ خرج على جاري عادته فلم يُصب الذي بعثه أمامه ، وكان قد أصابه عارض منعه عن الخروج وبقي الشيخ وحده في المسجد . وكان يومئذ موحشاً ، عليه سور مهذوم فلا يسكنه أحد . فوقف الشيخ يصلي في بعض المقامات ، فبينما هو كذلك وإذا بهجس حافر الفرس خلفه . يقول : فلما فرغت فأذا بفارس وبيده رمح فألقاه وتقدّم أمامي فصلّى . فأخذني مثل الأفكل فأبهرني بحسن قراءته وخشوع هيأته وخضوع صوته ، فقلت في نفسي : إن كانت صلاة يقبلها الله فهي هذه!!

ثم قام فركب وقال : أتحبّ يا عليّ الرواح إلى الكوفة؟

(١) هو السيد مُحَمَّد بن السيد علي الطباطبائي ، الملقّب بالسيد المجاهد لتصديه قيادة الثوار في مواجهة الغزو الروسي لايران ، لكنّه فشل في هذه المواجهة ، وانسحب عن الحرب ، ومات سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م .

يقول : فسكتُ من هيبتِه ، وارتعدتُ فرائصي وقد أشرق المسجد بنوره ، فتناولني وأردفني خلفه ، فما ظننتُ أنا خرجنا من السَّهْلة حتى جئنا الكوفة فجعل يتقدم أمامي إلى كُلِّ محراب وإسطوانة ولم يقف إلى جنبي أو ورائي أبداً .

ثم بعد أن أكمل الأعمال قال : لنمضِ إلى زيارة الحسين (ع) ، فأردفني . وما كان غير كثير وإذا نحن في الحائر المشرف ، فطفنا وصلينا وأنا أرى بعض الطلبة وأعرفهم وهم يعرفوني ولكن لم يكن ليسلم أحد منهم عليّ .

ثم ركب وأردفني وقال : هلمَّ للإمامين الكاظمين الجوادين (ع) ، وإذا بالفرس تمشي في الصحن المنور وإلى أحد جوانبها حاج مُحمَّد صالح كَبَّة<sup>(١)</sup> ولكنه غير ملتفت إلينا كأنه لم يرنا ، فأدينا المسنون .

وركبنا وأردفني ، وإذا نحن بصحن العسكريين (ع) فدخلنا وزرنا .

ثم ركب وأردفني حتى وصلتُ مكاناً فيه على طرف اليمين بستان وعلى الشمال دار ، فسرنا على ذلك حتى دخلنا صحناً عظيماً ، فعرفتُ بالقرائن أنَّه حرم الإمام عليّ بن موسى الرضا (عليه السلام) . فلما فرغنا جعلتُ أنظر في كيفية بناء الصحن وتزيينه وحفظ بعض صفاته .

ثم أردفني ورجعنا على ما جئنا منه ، كُلُّ ذلك ونحن سكوت وأنا أسري على رسلي ، ولم أحدث نفسي بسيرنا هذا كله في ليلة واحدة ، ومن هذا الفارس .

حتى قال : إنزل فأنت قريب أهلك ، فتركني ومضى . والتفتُ وإذا أنا على جبل وادي السلام ، وشيخ فضل (وهو جدُّ بيت فضل المعروفين الآن) يمجّد ويهلل على (المنارة) ، وإذا الوقت قريب الفجر فندمتُ على إهمالي وإرسالني وعدم سُؤالي منه وهو أمامي وبقيت أبكي حيث لا يجدي .

وبعثتُ على السيد مهدي (أبي السيد شفيع) وكان (كالچاووش) للعرب يزور بهم الرضا (ع) كُلَّ سنة فسألته عما حفظته من العلام والأوصاف فقال : كلها موجودة بالمشهد الرضوي . فلما وفقني الله للتشرف به رأيت ذلك حقاً . (إنتهى مجملاً) .

فاعتبروا يا أولي الأبصار ، فهذه سير عباد الله الأبرار .

(١) محمد صالح كَبَّة : هو جدُّ أسرة آل كَبَّة البغدادية ، تُوفي سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م . وسيأتي التعريف به مرة أخرى .



وقد أهملنا جملة من مآثره ومناقبه اكتفاء عن ذكرها باشتهار أمرها . وهذا الذي ذكرناه بالنسبة إلى ما أهملناه غيض من فيض ، ولحمة من أنوار ، وقطرة من بحار .

### شعره وشاعريته

وكان له (رحمه الله) بكل علم يد طولى ، وكلمة عليا . ومن ذلك علم الأدب ، فإنه أخذ رؤوسه ، وترك لغيره الأذنان ، وقد أبدع فيه غاية الأبداع ، وجاء منه بما يسترق العقول ويسحر الطباع ، حتى أن من رأى أشعاره ، قال هذا شعر من عكف على تحصيل الأدب ليله ونهاره ، لقوته ومتانته ، مع رفته وجزالته . هذا على أن الشيخ إنما كان ينظمه أيام صباه على صِرْف القريحة ، وبديهة الخاطر ومقتضى الطبيعة ، من غير كد فيه ولا تعب بتحصيل قواعده ، ومبانيه ، وكان مكثراً مجيداً ، طويل الباع به ، كثير الاتساع والتصرف فيه ، ولم يأت في بيت الشيخ مجيد أكثر ، اللهم إلا ولده الشيخ جعفر (كما سيأتي) .

وأنا مورد لك هنا بعض قصائده لتكون شاهد صدق بما ادّعيته لك وتنبهك عليه وتدلّك . وكان أكثر شعره في الأئمة (ع) رثاء ومدحاً . فمما قاله يمدح الأمام سميّه (عليه السلام) بقصيدة وهي من الحسن بأعلى مكان ، وهي :

أهاجك برق في دجى الليل لامع	نعم واستخفتك الربوع البلاقع
أضاء فجلباب الظلام ممزق	كما مزق النقع السيوف القوارع
أما وامتطاء العيس في كل مهمه	مواضع كما شاء الهوى ورواجع
وركب تعاطوا في الدجى دلج السرى	يقودون داجي الليل والليل طالع
يحيدون عن طعم الكرى فجنوبهم	جنوب خيول ما لهن مطامع
لقد ذكرتني سالف العهد بالحمى	حمائم أيك في ذراه سواجع
ذكرتكم والخيل تعثر بالقنا	وبيض المواضي والرماح شوارع
فبت كأني ساورتني ضئيلة	(من الرقش في أنيابها السم نافع) <sup>(١)</sup>
وبين جفوني والسهاد تواصل	وبين ضلوعي والهموم تقارع
ولم يستطع كتم الهوى ذو صباية	له فيض دمع بالتباريح صاعد

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «هذا تضمين ، وهو للناطقة» .

وَإِنْ سَأَلُوا عَنْ وَجْدِهِ فَهُوَ ذَائِعُ  
 وَنَارُ جَوَى تُطَوَّى عَلَيْهَا الْأَضَالِعُ  
 إِلَى الْوَجْدِ وَجَدًا وَالْعَيُونُ هَوَاجِعُ  
 وَخَلٌّ لِأَهْدَاءِ التَّحِيَةِ مَانِعُ  
 لَنْ لَمْ تُتَمَّ فِي الْحُبِّ فَهِيَ تُنَازِعُ  
 وَأَنْ يَجْمَعَ الشَّمْلُ الْمُشْتَتَّ جَامِعُ  
 إِلَيْهِ رِقَابُ الْعَيْسِ وَهِيَ خَوَاشِعُ  
 فَفِي رُبْعِهِ مَنَا الْقُلُوبُ وَدَائِعُ  
 جَنِيَتْ بِهِ حَلَوَ الْجَنَّا وَهُوَ يَانِعُ  
 وَمَنْ عَجَبَ الْأَيَّامِ مِثْلِي يُخَادِعُ  
 وَهَلْ فِيهِ أَيَّامٌ مُضَيَّنَ رَوَاجِعُ  
 إِلَيْهَا وَلَا قَلْبِي مِنَ الْبَيْنِ جَارِعُ  
 سَحَائِبُ مِنْ دَمْعِي هَوَامُ هَوَامِعُ  
 وَكَيْفَ وَلِي قَلْبٌ إِلَيْهِ يَنَازِعُ  
 لِأَنَافِهِمْ لَمَّا يَرُونِي جَادِعُ  
 يِمَازِقُونِي فِي وَدَّهِ وَيَصْصَانِعُ  
 وَلَا حَتَّ عَلَيْهِ لِلْمُضْغُونِ طَلَائِعُ  
 وَيَهْجُرُهُ إِنْ جَانَبَتْهُ الْمَطَامِعُ  
 وَطَيْرُ الْجَوَى بَيْنَ الْجَوَانِحِ وَقَعُ  
 (أَشَارَتْ كَلِيبٌ بِالْأَكْفِ الْأَصَابِعُ)  
 شِعَاعُ مِنَ النُّورِ الْأَلْهِي سَاطِعُ  
 يَخْبِرُكَ ظَهَرَ الْغَيْبِ مَا أَنْتَ صَانِعُ  
 شَمَائِلُهُ فِيهَا النُّجُومُ الطَّوَالِعُ  
 لَتَقْصُرُ عَنْ إِدْرَاكِهِ فَهُوَ شَاسِعُ  
 صِفَاتٍ لِأَضْدَادِ الْمَعَالِي جَوَامِعُ  
 يَضِيقُ بِهَا رَحْبُ الْفَضَا وَهُوَ وَاسِعُ

إِذَا سَأَلُوا عَنْ سِرِّهِ فَهُوَ كَاتِمٌ  
 وَمَا الْحُبُّ إِلَّا عَبْرَةٌ مُسْتَهْلَةٌ  
 وَقَدْ زَارَنِي طَيْفُ الْخِيَالِ فَنَزَادَنِي  
 فَطَيْفٌ لِلذَّاتِ التَّوَاصِلِ مَانِحُ  
 أَكُنْ حَرَامًا لَوْ تَدَارَكَ مَهْجَةٌ  
 أَلَمْ يَأْنِ أَنْ تُرَوِّى قُلُوبٌ مِنَ الصَّدَى  
 حَلَفْتُ بِمَنْ وَارَى السُّتَارَ وَمَا هُوَ  
 لَنْ بَعْدَتْ مَنَا الْجَسُومُ عَنِ الْحَمَى  
 وَلَيْلٌ بِجَنْبِ الْحَيِّ لَا أَسْتَعِيدُهُ  
 يُخَادِعُنِي فِيهِ رَسِيسٌ مِنَ الْهَوَى  
 أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَرَى ذَلِكَ الْحَمَى  
 عَنِ الدَّارِ لَا شَوْقِي الْقَدِيمِ بِنَاقِصٍ  
 وَلَوْلَا احْمِرَارُ الدَّمْعِ لَانْبَعَثَتْ لَهَا  
 هَجَرْتُ الْحَمَى لَا أَنَّنِي قَدْ سَلَوْتُهُ  
 وَلَكِنَّمَا جَانَبْتُ قَوْمًا كَأَنَّنِي  
 أَقْلَبُ طَرْفِي لَا أَرَى غَيْرَ نَاكِثٍ  
 قَذَفْتُ إِخَاءَ كَدَّرَ الْمَذْقَ صَفْوَهُ  
 يُصَافِي أَخَاهُ إِنْ بَدَا مِنْهُ مَطْمَعُ  
 سَأَشْكُوهُمْ وَالْعَيْنُ يَسْفَحُ مَاؤَهَا  
 إِلَى مَنْ إِذَا مَا قِيلَ مِنْ نَفْسٍ (أَحْمَدُ)  
 وَرُوحٌ هَدَى فِي جِسْمٍ نُورٌ بِمَدَّةٍ  
 وَكَنَزٌ عَنِ الْعِلْمِ الرَّبُّوبِيِّ إِنْ تَشَا  
 مَلِيكَ تُجَلَّى فِي سَمَا الْمَجْدِ رَفْعَةً  
 دَنَا فَتَدَلَّى لِلْعُقُولِ وَأَنَّهَا  
 يَرِيكَ النَّدَى فِي الْبَاسِ وَالْبَاسُ فِي التَّقَى  
 يَهْمٌ بِمَقْدَامٍ عَلَى كُلِّ فَتْكَةٍ

مضت حيث لا لُذُنُ المُثَقَّفِ شائكٌ  
خلالَ يَضْبُوعِ الشَّعْرِ مِنْ طِيبِ نَشْرِهَا  
وَكَمْ جَحْفَلُ قَدْ دَكَّ مِنْهُ صَفَاتَهُ  
سَبَقَتْ الْمَنَائَا واقِعاً بِنَفُوسِهِمْ  
فَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الدَّمَاءُ مَدَارُغُ  
أَرَاغَ فَوَادِ الدَّهْرِ بِطُشُكٍ فَنَاطُوتُ  
حَسَامُكَ فِي الْأَعْمَارِ أَمْضَى مِنَ الرَّدَى  
وَأَنْتَ أَمِينُ اللَّهِ بَعْدَ أَمِينِهِ  
لَعَمْرِي لَقَدْ أَيْدَتْهُ فِي حُرُوبِهِ  
فَلَا وَاصِلٌ إِلَّا الَّذِي هُوَ وَاصِلُ  
أَقُولُ لِقَوْمٍ أَخْرَوْكَ سَفَاهَةً  
دَعَا النَّاسَ رَدَّوْهُمْ إِلَى مَنْ يَسُوسُهُمْ  
وَهَلْ يَسْتَوِي السِّيفُ الْيَمَانِيُّ وَالْعَصَا  
أَلَا إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَوْلَا حَسَامُهُ  
أَلَا إِنَّمَا الْأَقْدَارُ طَوْعَ بَنَانِهِ  
أَلَا إِنَّمَا الْأَرْزَاقُ عَنْهُ اقْتِسَامُهَا  
أَلَا إِنَّمَا التَّوْحِيدُ لَوْلَا عُلُومُهُ  
لَكَ الْمَعْجَزَاتُ الْبَاهِرَاتُ أَقْلُهَا  
وَفِيكَ اسْتَغَاثَ اللَّهُ لِلذَّنْبِ (آدَمُ)  
وَفِيكَ التَّجَا فِي الْيَمِّ (نُوحُ) وَقَدْ طَغَى  
وَفِيكَ افْتَدَى فِي السِّجْنِ (يُوسُفُ) رَاجِئاً  
وَأَنْسَ مِنْكَ النَّارَ (مُوسَى) بِذِي طَوَى  
وَبِاسْمِكَ قَدْ نَادَى الْخَلِيلُ فَلَمْ يَخْفُ  
وَمَغْنَاكَ كَمْ أَبْدَى لَذِي اللَّبِّ مَعْجَزاً  
وَمَاهِي إِلَّا آيَةٌ بَعْدَ آيَةٍ  
حَمَى لَا يَرِيعُ اللَّيْثُ ظَبِي كُنَاسِهِ

فِيخْشَى ، وَلَا السِّيفُ الْمُهَنْدُ قَاطِعُ  
أَلَا كُلُّ مَدْحٍ فِي سِوَاكَ لَضَائِعُ  
لَهُ فَوْقَ أَصْوَاتِ الْحَدِيدِ صَوَاقِعُ  
إِذَا الْحَرْبُ سَوَقَ وَالنَّفُوسُ بَضَائِعُ  
وَلَيْسَ لَهُمْ إِلَّا الْقَبُورُ مُضَاجِعُ  
عَلَى وَجَلٍ أَحْشَاؤُهُ وَالْأَضَالِعُ  
وَحَلْمُكَ يَوْمَ الصَّفْحِ لِلصَّفْحِ شَافِعُ  
وَأَنْتَ لَهُ صَهْرٌ وَصَنُوهُ وَتَابِعُ  
كَمَا أَيْدَتْ كَفِيهِ مِنْهُ الْأَصَابِعُ  
وَلَا قَاطِعُ إِلَّا الَّذِي هُوَ قَاطِعُ  
وَلِلذِّكْرِ نَصٌّ فَيْكَ لَيْسَ يُدَافِعُ  
فَهَلْ يَسْتَوِي شَمُّ الذَّرَى وَالْأَجَازُغُ  
وَهَلْ تَسْتَوِي أَسَدُ الشَّرَى وَالضَّفَادِعُ  
لَمَّا شَرَعْتَ لِلنَّاسِ مِنَ الشَّرَائِعُ  
إِذَا مَا دَعَا لِلْأَمْرِ وَأَفْتُ تُسَارِعُ  
فَهَذَا لَهُ مَعْطٍ وَذَلِكَ مَانِعُ  
لَمَّا كُشِفَتْ لِلنَّاسِ عَنْهُ الْبَرَاقِعُ  
لَكَ الْمِيتُ يَحْيَى وَالضُّلُوعُ جَرَّاشِعُ  
فَلَاحَ لَهُ بَرْقٌ مِنَ الْعَفْوِ لَامِعُ  
عَلَى كُلِّ طُودٍ لُجَّةُ الْمُتَدَافِعُ  
نُجَاةٌ وَقَدْ سُدَّتْ عَلَيْهِ الْمَطَالِعُ  
فَسَارَ إِلَيْهَا وَهُوَ لِلنَّعْلِ خَالِعُ  
مِنَ النَّارِ هَوَلاً وَهُوَ فِي النَّارِ وَاقِعُ  
وَكَمْ رَدَّ وَقَعَ الْخُطْبِ ، وَالْخُطْبُ قَاطِعُ  
تُسَكُّ بِهَا لِلْمَلْحَدِينَ مَسَامِعُ  
فِيذَعْرُهُ عَنْ سَرْبِهِ وَهُوَ رَاتِعُ

وجازك لا يُعطي الزمان مقاده  
ولا فاضعاً للدهر خوفاً وإن مضى  
ومنك له ركنٌ شديدٌ مدافعٌ  
على الناس جوراً صرفه المتتابع

وقال قدس سره ، وعطر قبره ، راثياً سيد الشهداء ، عليه آلاف التحية والثناء :

سَهَامُ المنايا للأَنام قِوَاصِدُ  
أَتأمل أَن يصفو لنا العيش ، والردى  
وتطمعُ في حُبِّ البقاء وطوله  
وما هذه الأَيامُ إِلَّا أَسَاوِدُ  
وتلك الليالي لا يغرِّك سلمُها  
ألم ترَ أَنَا كُلَّ يومٍ إلى الثرى  
وحسبك بالأشراف من (آل هاشم)  
حدا بهم الحادي فتلك ديارُهم  
وقفتُ بها مستنشِقاً لعبيرها  
أسأَلُها ما بالها حَكَمَ البلى  
مهابط (وحيٍّ) دارسات رسوُها  
وعهدي بها للوفد كعبة قاصد  
فأين الألى لا يُستضامُ نزيلُهم  
ذوي الجَبَهِاتِ المستنيرات في العلى  
سمى بهم في العزَّ جَدُّ ووالدُ  
وما قضباتُ السَّبِقِ إِلَّا لما جد  
معادنُ علمِ الله حكامَ شرعه  
تسودُّ بني الدنيا وليس تسودُّهم  
لتغدو المنايا بعدهم حيث تبتغي  
سأبكيهم ما فاضَ دمعِي فَأَنْ يَغْضُ  
وأعظم أحداثِ الزمان رزية  
وداهية دهماء غمَّ نهارُها

وليس لها إِلَّا النفوسُ مصائدُ  
له سائق لم يلو عنا وقائدُ  
وتعلم أَن الدهرَ للعمرِ فاقدُ  
تلمَّضْ في أنيابها السَّمَّ راقدُ  
وما هُنَّ إِلَّا الثاكلاتُ الفواقدُ  
نُشِيعُ مولوداً مضى عنه والدُ  
فقد أقفرتُ أطلالُهم والمعاهدُ  
خواشعُ ما بين الديار هوامدُ  
ودمعي مسكوبٌ وقلبي واجدُ  
عليها وكيف استوطنتها الأوابدُ  
(معاهدُ) ذكر أوحشتُ و(مساجدُ)  
فذا صادرٌ عنها وذلك واردُ  
إليهم وإلا ليس تلقى المقاوِدُ  
تَقاصرُ عنها (المُشتري) و(عطارِدُ)  
ومجدٌ طريفٌ في الفخار وتالدُ  
غُثِّهِ إلى العلياء غرُّ أماجدُ  
لديهم وإلا ليس تُرجى المقاصدُ  
وهل في الورى إِلَّا مسود وسائدُ  
فما أنا من رُزءٍ وإنَّ جِلَّ واجدُ  
فلي كَبِدُ ما عشتُ للوجد كامدُ  
بكتها الصخورُ الصَّمُّ وهي جلامدُ  
وطار بها نَفَعٌ إلى الأرضِ صاعدُ

بها رقدت عين الضلال وسُهِدَتْ  
سلام على الإسلام من بعد يومها  
سهدت وقد نامت لذي البغي أعين  
سَلَّ الليلَ عني هل مللتُ سهادَه  
ولي مقلةٌ محلولة الجفنِ بالبكا  
عيونُ حُماة الحق وهي رواقِدُ  
فليسَ له راع عن الضيمِ ذائدُ  
وما أنا لولا يَوْمُ (عاشور) سَاهِدُ  
وهل ألفتُ جنبيّ فيه المراقِدُ  
وقلبٌ على فرط الصبابةِ عاقِدُ

لله درّه ، وتغمّد بالرضوان قبره ، فما ألطف قوله : محلولة الجفن بالبكا ، وأعذب وأبدع وأغرب :

وفي القلب أشجانٌ وفي الصدر غلّةٌ  
فلا وجد إلا وهو عندي مخيمٌ  
أيُمسي (حسين) بالطفوف مروّعاً  
ويُمسي صريعاً بالعراء على الثرى  
فلا عَذْبُ الماءِ المعينُ لشاربٍ  
ولا حَمَلْتُ أيدي الرجالِ سيوفهاً  
وما أنس لا أنساه وهو مروّعٌ  
بنفسي أبي الضيم لم يُلفَ ضارِعاً  
ولم يُرَ مقهوراً أبيدتُ حماةهُ  
بأربط جأشاً منه في حومة الوغى  
ينادي بهم هل من مُجيرٍ يجيرُنَا  
وينشدُهم هل تعرفوني من أنا  
فَشَمَّرَ لا يلوي الى الحرب والردى  
امام يردّ الجيش وهو كتائبُ  
إذا (ركع) الهندي يوماً بكفه  
يلوح الردى في شفرتيه كأنه  
وإن ظمياً الخطيئُ بلْ أوامُهُ  
قريبُ الندى ، نائي المدى ، مورد العدى  
إذا رمتُ إبراداً لها تتزايدُ  
ولا صبرُ إلا وهو عني شاردُ  
وطرفي ريان من الأمن راقِدُ  
وتوضع لي فوق الحشايا الوسائدُ  
وقد مُنعتُ ظُلماً عليه المواردُ  
وقد نهلتُ منه الرقاقُ البواردُ  
يكابدُ من أشجانه ما يكابدُ  
وقد أسلمتهُ للمنون الشدائدُ  
وعزّ مواسيه وقلّ المُساعدُ  
إذ البيضُ فيها باديات عوائدُ  
وما فيهم إلا قريبٌ وجاحدُ  
وكيف وهل يستنطق العُجم ناشدُ  
يمانعُهُ عن نفسه ويراودُ  
بسطوته يوم الوغى وهو واحدُ  
لدى الحرب فالحامات فيها (سواجِدُ)  
شهابٌ هوى لما تطرّق ماردُ  
لدى الروح من فيض الطلا فهو واردُ  
حياض الردى ، والضربُ في الهام شاهدُ

يُقيمُ لواءَ الدين ، واللّه عاقدُ  
ويوردهم حوضَ الردى وهو راكدُ  
بنفسي ، وبى ثاوى على الأرض ساجدُ  
ولا رادَ روضَ الدين بعدك رائدُ  
بطلق ولا غصنُ المسرة مائدُ  
تهبّ عليه العاصفات الصواردُ  
يرتلُ أيّ الذكر والركبُ هاجدُ  
وهدتُ به أركانهُ والقسواءدُ  
تُشاهدُ من أسر العدى ما تُشاهدُ  
وتُنزع أقراطاً لها وقلائدُ  
أخاه و(بازُ) الحرب للموت (صائدُ)  
له عضد في الحادثات وساعدُ  
سقيماً له الوجد المبرح عائدُ  
إليها وإلا ليس تلقى المحامدُ  
ويشمت فيها مبغضٌ ومُعاندُ  
لهم بالمنايا في الطفوف مواعدُ  
فكان لهم عزٌّ على الدهر خالدُ  
أسود رعت أشبالها وأساودُ  
قناها لأجال الرجال مقاودُ  
ولا كلُّ سام في السماء فراقدُ  
على الدهر أطواقُ لها وقلائدُ  
فَيُجَبَّرُ مكسورٌ ويُصلحُ فاسدُ  
يميسُ قواماً وهو ريانُ مائدُ  
يعنّفنا فيك العدو المعاندُ  
قواف على جيد الزمان فرائدُ  
ولا لامستهنّ الحسان الخرائدُ

يصولُ عليهم صولةٌ حيدرئةُ  
يخوضُ بهم بحرَ الوغى وهو طافحُ  
الى أن هوى فوق الصعيد مُجدلاً  
فلا اخضرَ عودُ المجد بعدك والعلّى  
ولا جانب الدنيا بسهل ولا الضحى  
بنفسي وبى ملقى ثلاثاً على الثرى  
ويا أسفى للرأس سام على القنا  
ولم أر يوماً سيمَ خسفاً به العدى  
كيوم حسين والسبايا حواسرُ  
وتُضربُ قسراً بالسياط متونها  
بنفسي أبو الفضل المواسي بنفسه  
أخ ماجد لم يخزه يوم مشهد  
بنفسي (زين العابدين) معللاً  
فوالهفتا كم من نفوس كريمة  
تسيل على زرق الأسنّة والضبا  
بنفسي وبى تلك الجسوم كأنما  
ولله أقوامٌ فدته نفوسهم  
كأنهم والخيلُ تعثرُ بالقنا  
وفرسانُ موت مقدمون كأنما  
وما كلُّ مفتول الذراعين باسلُ  
لتذهب بها مثل الجبال محامداً  
عسى الغائبُ الموتور قد حان وقتهُ  
ويُصبحُ عودُ الدين بعد ذبوله  
فدينّاك قد ضاق الخناق ولم يزلْ  
ودونكموها من (عتيق) ولا تكم  
جواهر لم تعلق بها كف ناظم

ولولاكم ما فاه بالشعر مقولي  
عليكم سلام الله ما اهتزت الرُبي

وقال يرثيه أيضاً رحمه الله :

دموع ليس تنقع من أوام  
ووجد كَلَمًا حاولت أني  
مررت بكرِبلَاءَ فهاج وجدي  
حماء لا يُضام لهم نزيل  
وقفت بها لألثم من ثراها  
وضعت يدي وقد ضمت لصدري  
أسائل ربَّعها عن ساكنيه  
ومثل لي (الحسين) بها غريباً  
يُحامي عن حقيقته وحيداً  
بعين للعدي تزنو وأخرى  
سعى للحرب يهتز ارتياحاً  
همت كفاه في سلم وحرب  
فلا يُسراه يُشغلها لجام  
تسل من الرقاب له سيوف  
إذا ركعت رأيت لها الأعادي  
كأنَّ عده يومَ الروع نبت  
الى أن خرف فوق الثرب ملقى  
برغمي إن خلا نادي المعالي  
ولم أرَ مثل يومك والسبايا  
هو الرزء الذي ابتدع الرزايا

ولا شاع لي بين الأنام قصائد  
وسحت عليه البارقات الرواعد

وإن سحت كماء المزن هامي  
أبرده تلهب بالضرام  
مصارع فتية غر كرام  
أماجد بُروا من كل ذام  
أريج العرف مفضوض الختام  
كلوم لا يقوم بها كلامي  
ولاء العز والرتب السوامي  
عنائي للغريب المستضام<sup>(١)</sup>  
بنفسي ذلك البطل المحامي  
بها يرنو الى نحو الخيام  
ونار الحرب موقدة الضرام  
على العافين بالمنن الجسام  
ولا يمناه تُشغل بالحسام  
فتغمد في المفارق واللمام  
سجوداً في التراب بغير هام  
وبيض ضباه كالنعم السوام  
على الرمضاء عزله المحامي  
وخر عن الهدى سامي الدعام  
على (الأقتاب) تُهدى للشام  
وقال لأعين الأعداء نامي

(١) لم ترد تكملة هذا البيت في النسخة المخطوطة ، وقد أكملته عن شعراء الغري ، ج ٦ ، ص ٢٧١ . وقد أثبت الأستاذ علي الخاقاني ، - نقلاً عن مجموعة مخطوطة للسيد عبد الحسين الحجار - عشرين بيتاً زيادة على ما ورد هنا من القصيدة .

علاه الخسف من قبل التمام  
يُفدَى بالنفوس من الكرام  
لآل الله في الشهر الحرام<sup>(١)</sup>  
عليل لا يُفريق من السقام  
ببطحاء المشاعر والحرام  
وأبعد موطناً عن كل داء  
ورأس السبط فوق الرمح سامي  
وصدر السبط مرضوض العظام  
ورحل السبط منهوب الخيام  
ونجل (محمد) في الطف ظامي  
ويذبح طفله قبل الفطام  
حياة النفس بالموت الزوام  
إلى الهيجا حنين المستهام  
أمام الدارعين لدى الأمام  
سواهم من بني (حام) و(سام)  
من الشرف الرفيع المستدام  
إذا ما الصيد تحجم في الصدام  
بهم عُرف الحلال من الحرام  
فكان نصيبهم منها الأسامي  
ولا ق ضوء وجهك بالسلام  
خوافقها بمكة فالمقام  
جرت بيدك طيعة اللجام  
رماحهم أخف من السهام  
فلا ينظرن إلا عن جمام

ألا يا (كربلا) كم فيك بدر  
وكم غصن بأرضك جب غصاً  
ويا لك عصابة لم ترع إلا  
فهذا موثق عان ، وهذا  
ألا من مبلغ عني (قريشاً)  
لأنتم أطول الثقلين باعاً  
فلا حملت عواتقكم سيوفاً  
ولا ركبت فوارسكم خيولاً  
ولا حجبت كرائمكم خيام  
ولا نفع الغليل لكم رواء  
ولا بلغ الفطام لكم صبي  
وأنصار له في الله باعوا  
لقد ألفوا الوغى قدماً وحنوا  
إذا شبت لظى الهيحاء كانوا  
حماؤا وسموا فما حام وسام  
لقد نالوا المنى وجنوا ثماراً  
أيا بن القادمين على المنايا  
وهم حجج الأله على البرايا  
تحلى بالعلی قوم سواهم  
متى أنا قائم أعلى مقام  
وقد نشرت لك الرايات تبدو  
تقود جوامح الأقدار حتى  
وأشرفت البلاد بجيش نصر  
تدير السمر فيه عيون زرق

(١) الأال : العهد أو الذمة .



وبيض في سواد النقع تهوي  
هنالك يشتفي الصّادي ويحظى  
إلى فيض الدّما أبداً ضوامي  
وليكّم بإدراك المرام

وله أشعار كثيرة في الرثاء والحماسة والغزل والمراسلات يضيق المقام عن بيانها . فمن ذلك قوله متغزلاً في أيام صباه :

لعلّ ليالياً ذهبتْ تعودُ  
ويرجع لي بها زمنُ التصابي  
وكنْتُ بقربها أختالُ تيهاً  
أبيتُ وفي الحشا داءُ دفينُ  
ووجدُ كلّما حاولتُ أني  
وعتبُ كحيلة العينين رُودُ  
بألفاظ قطعنَ نياطَ قلبي  
فمثلي لا يخونُ عهدَ خلٍ  
وراعي حقّ من أولاك علماً  
ولا تجزعُ لهجرٍ بعد وصلٍ  
وله أيضاً :

قل للمليحة من بنات الصّيدِ  
أفلا ترقي في الهوى لمتيمٍ  
أمرضتُ جُثمانِي عليك صباةً  
ما غرّدتُ فوق الغُصونِ حمامةً  
كم أعين لك صعدتُها زفرةً  
ومفندلي في هواك سفاهةً  
لو كان يُبصرُ بعضَ ما أبصرتهُ  
يا بنتَ مَنْ تروي حديثَ فخارها  
كم سارَ للعشاق خلفك موكبُ  
هلّ شملنا بعد التفرّقِ جامعُ

قولاً يذوبُ له صفاء الجلمودِ  
أم بين جانحتيكِ قلبُ حديدِ  
وكحلتُ جفنَ العينِ بالتسهيّدِ  
إلا وهمتُ إليك بالتغريدِ  
عن حرّ قلب ذاب بالتصعيدِ  
قدّ ضلّ نهج الحق بالتفنيّدِ  
ألقي الزمام إليّ بالتقليدِ  
عن خير آباء لها وجُودِ  
والحسنُ تحت لوائك المعقودِ  
فأرى بعيدَ الوصلِ غيرَ بعيدِ

ما زلتُ في بحرِ الكأبةِ طافحاً فمتى استوائتي فوقَ متنِ الجودي

وأما ما مُدَحَ به وهنئ فيه ، فأكثر من أن يحيط به جامع فيمليه . ونحن نفتصر من ذاك على قصيدتين أو ثلاث ، تكون لوجه الأدب والكمال أشنافاً ورعات<sup>(١)</sup> .

فمن ذلك ما رأيته بخط الشاعر المُفَلِّق الشيخ إبراهيم قفطان في أوراق أظنها فُصِّلَت مِن ديوانه الذي جمعه في أيامه ، وكان مرسوماً في صدر القصيدة ما هذا نصه :

«وقلتُ مهنتاً بها جناب الشيخ شيخ علي بن المرحوم الشيخ جعفر (ره) بعيد الفطر متعرضاً لذكر الوزير داود پاشا معرضاً ببعض حاسديهم المقابلين لهم في دعوى الأجتهد ، وهي هذه :

<p>يا جامعاً بين شمل العلم والعمل واستعذب الدهر راحاً من غلاك به وماسَ عصرُكَ تيهاً إن زينتَه بك الزمانُ ربيعٌ في شقائقه أحلَّكَ المجدُ دون الناس مقلته تؤمُّكَ الناسُ في قصدي هُدىً وندىً فتنشني عن حياض منك مُترعة لبست من كلِّ علم ثوبَ بهجته وإن بحراً سقاكَ الله أعذبه ما نهنتك بحارٌ عن لثائها ولا تجردت للتجريد في نظر ولا شرحت من التشريح أشكَّله ولا أمد لك الرحمانُ نعمته وخاطبتك العقولُ العشرُ مصدرها وزادك الله من ألطافه نِعماً في دولة حكم (داود) لها رَصَدٌ</p>	<p>عادتُ علينا بك الأيامُ في جَذلٍ فصارَ عيداً عليه نشوة الثملِ مناقب لك في جيد الزمان حُلِي حُسناً فما أنت إلا الشمسُ في الحملِ فأنت في عينه الإنسانُ في المُقلِ ولا ترى منك كلاً وحشة المَلَلِ بالقصد ما بينَ وردِ العَلِّ والنَهْلِ غضاً وغيرُك مقصورٌ على السملِ ما نال غيرُك منه مصَّة الوَشَلِ عَوْصاً تصرف منه جامد الرملِ إلا أصبت برأيٍ منك مُغتَدلِ إلا وأوضحت منه غامضَ الجُمَلِ إلا مددت إليه كفَّ مُبْتَهَلِ وسالمتك بجأش منك منذهلِ في دولة غبَّرت في أوجه الدُولِ يصوئها عن هوى الأوغاد والسَفَلِ</p>
---	--

(١) الشيف نوع من حلي الأذن ، وجمعها (شُتُوف) . والرعات : الأقراط .

حتى أفاضَ عليها من غلائله  
 إنَّ الخلافةَ فيه افتَرَّ مَبْسُمُهَا  
 خليفة فرضَ الرحمانُ طاعَتَهُ  
 هوتهُ بِكُرِّ العُلَى حتى تبَعَلَهَا  
 إذا استغاثَ به العاني يروضُهُ  
 رمى الزمانُ بجيشٍ من عزائمه  
 فأصبحَ الدهرُ يسعي طوعَ راحتِهِ  
 ورُبُّ منتحلٍ أَمراً يعاكِسُهُ  
 نهاهُ بالصفحِ فامتدَّ الغرورُ به  
 فصالَ والنصرُ حادِيه وقائدهُ  
 في فيلقٍ أسفرتُ عنه بوارقُهُ  
 أطلَّ فارتعدتُ منه فرائصُهَا  
 أخنى عليها فلم تألَفْ مساكنَهَا  
 وفلَّ منها جموعاً وهي شامخةُ  
 تهافتتُ في شعاعِ السيفِ فاحترقتُ  
 وكُلُّما شبَّ نارَ الحربِ موقدُهَا  
 له مواضعٌ وزرقُ قطْ ما وجَدتُ  
 فعش بظلِّ نعيمٍ من صداقته  
 بِمِ اعتذارِ أناسٍ في غوايتها  
 ظَلَّتْ أدلُّهَا مَنْ ذا تقدَّمَهُ  
 وَمَنْ يُضَاهِي (عليّاً) حيثُما التبتُ  
 وثورتُ فتنُ الأيامِ عثِيرَهَا  
 خطيبُ قومٍ إذا أصغى الندي بدتُ  
 تفجَّرتُ فيه عينُ الصمتِ عن حِكمِ

عزّاً وزرّاً عليها خُلِيَّةُ الحُللِ  
 عن بهجةٍ بسرورٍ فيه متصلِ  
 على البرية من حافٍ ومُنْتَعِلِ  
 والناسُ عن طلبِ العلياءِ في شغلِ  
 بواكفٍ من كِلا كَفْيِهِ مُنْهَمِلِ  
 بالسُّمَرِ معتقلٍ بالبيضِ مشتملِ  
 كالنصرِ مسعى غلامٍ مُشْفِقٍ عَجَلِ  
 واللّه مبطلُ دعوى كُلِّ مُنتَحِلِ  
 إلّا ببيضِ صفاحٍ أو قنا ذُبُلِ  
 على جنودٍ تمدَّ الحربُ بالحيلِ  
 بِعَثِيرِ كظلامِ الليلِ منسدلِ  
 رُغْباً أعارته قلبَ الخائنِ الوجِلِ  
 إلّا ندى الطلِّ أو إلّا صدَى الطللِ  
 بلْهَظْمُ الحقِّ الأشلاءِ بالشللِ  
 مثلُ الفُراشِ مناياها على الشُعَلِ<sup>(١)</sup>  
 سعى لها غيرَ رعيدي ولا فُشِلِ  
 إلّا دمُ القلبِ يرويها عن الغلِ  
 فيضُ يدومُ وظلُّ غيرُ منتقلِ  
 ومنهجُ الحقِّ للمُسْتَرشدينَ جلي  
 والحقُّ ما دارَ إلّا حيثُ دارَ (علي)  
 بهُماءُ حُكمٍ وَلَدُ الخِصمِ في الجدِ  
 وزلزلَ الأرضَ وقعُ الحادثِ الجللِ  
 له شقائقُ فيها رعدةُ الزجلِ  
 وفي الأنامِ أفيضتُ وصمةُ الخطلِ

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله «معنى بدیع جداً» .

وَمُوْهُمُ اَنَّهُ مُسْتَوْدَعٌ حِكْمًا  
وَبَاذِلٌ لِقَضَاءِ الْحُكْمِ خَاتِمَهُ  
رَامَ التَّحْلِيَّ بِهَا جَهْلًا بِفَطْرَتِهِ  
وَاسْتَطَعَمَ النِّحْلَ مِمَّا تَجْتَنِي فَجَنَى  
لَيْتَ الْاَكْفَ الْتِي اُؤْمِتْ اَنَامِلُهَا  
بَلَّغْتَهُمْ اَمْلًا فِي كُلِّ مَا اقْتَرَحُوا  
وَاسْتَغْفُوكَ لَصَفْحٍ عَنْ جَنَائِتِهِمْ  
وَمَا كَفَى الصَّفْحَ حَتَّى زَدْتَهُمْ كَرَمًا  
لَا تَحْسَبَنَّ خَضَابًا فِي عَوَارِضِهَا  
وَقَدْ يَكُونُ دَوَامُ الصَّفْحِ مَفْسَدَةً  
وَعَالِجُنَّ نِفَاقًا فِي ضَمَائِرِهَا  
وَاجِدْعُ بَعْضُكَ اَنَافًا شَمَخْنَ عَلَى

وَأَنَّهُ لَأَمْسُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلِي  
جَهْلًا وَفِي نَشْرِ سِرِّ الْكَائِنَاتِ مَلِي  
وَهَلْ تَسْوَعُ لَأَنْثَى حَلِيَّةُ الرَّجُلِ  
لِسَعًا وَغَذَّتْكَ مِنْهَا شَهْدَةُ الْعَسَلِ  
إِلَى سِوَاكَ رَمَاهَا اللَّهُ بِالشَّلَلِ  
وَإِنْ غَيَّرَكَ مِمَّا يَأْمَلُونَ خَلِي  
حَتَّى صَفَحْتَ وَهَذَا غَايَةُ الْأَمَلِ  
مَنْ فِيضُ كَفْكَ فِيضُ الْعَارِضِ الْهَطْلِ<sup>(١)</sup>  
لَكِنَّهُ أَثَرٌ مِنْ حُمْرَةِ الْحَجَلِ<sup>(٢)</sup>  
فَامْزِجْ فِدَيْتَكَ صَفْوَةَ الْجَدِّ بِالْهَزْلِ  
بَلْفَتَهُ مِنْكَ تَبْرِي كَامِنِ الْعَلَلِ  
عُلَاكَ مِنْ جَهْلٍ مَفْتُونٍ بِهَا خَطِلِ

ولم يزل خابطاً بهذه الطريقة الرديئة ، بما لا ينبغي نظمه والتفوه به منه ومن غيره بالكلية ،  
إلى أن قال متخلصاً بمدح الشيخ حسن أخيه ابن الشيخ الكبير (ره) :

وَلَا يَدَانِيكَ فِي حُكْمٍ وَفِي حِكْمٍ  
نَهَضْتُمَا وَالْعُلَى وَالْمَجْدُ طَوْعَكُمَا  
لَا يَهْتَدِي النَّاسُ إِلَّا فِيكُمَا وَمَتَى  
يَا أَهْلَ بَيْتِ وَلِيِّ اللَّهِ رَفَعْتُهُ  
أَنْتُمْ عَنِ اللَّهِ أَسَسْتُمْ شَرَائِعَهُ  
صَدَّقْتُمْ فَاَصْطَفَاكُمْ رَبُّكُمْ حَرَسًا  
لَا رَوَعَتْ لَكُمْ الْأَيَّامُ سِرْبَ حِجْيٍ

إِلَّا شَقِيقُكَ فِي عِلْمٍ وَفِي عَمَلٍ  
كَالظِّلِّ يَتَّبِعُ فِي حُلٍّ وَمَرْتَحِلٍ  
أَغْنَى عَنِ النَّيِّرِينَ الضُّوءُ مِنْ زُحُلٍ  
مَا فِيكُمْ غَيْرُ مَعْصُومٍ مِنَ الزَّلَلِ  
كَأَنْتُمْ أَنْبِيَاءُ (الْعَزْمُ) فِي الرُّسُلِ  
لَدِينِهِ ، وَوَلَاةَ الْأَمْرِ فِي الْأَزَلِ  
بَلَى إِذَا رَيَعَ مِنْهَا قُنَّةَ الْجَبَلِ

إِنتَهَى مَحَلَّ الْحَاجَةِ مِنْهَا وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَقَدْ أَسْقَطْنَا ثَلَاثَهَا .

(١) يُشِيرُ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى مَا كَانَ يَصْنَعُهُ الشَّيْخُ عَلِي (رَحِمَهُ اللَّهُ) مَعَ مَعَارِضِهِ ؛ حَيْثُ أَنَّهُ كَانَ يَهْدِي لَهُمُ  
الْأَمْوَالَ الْجَزِيلَةَ . (تَعْلِيقَةُ الْمُؤَلِّفِ) .  
(٢) كَانَ الْمَعَارِضُ الْمَشَارِإِلِيهِ يَخْضِبُ لِحَيْتَهُ بِالْحَنَاءِ . (تَعْلِيقَةُ الْمُؤَلِّفِ) .

ومثلها بالمتانة والحسن والأطراء والغلو ما رأيته مرسوماً عندنا ولا أدري لمن هي ، ولكن  
مكتوب في صدرها هكذا :

في مدح الشيخ شيخ علي قصيدة تنطبق على عليٍّ سميّه (عليه السلام) ، وفي آخرها  
تعريض بمعارضيه ، (ولكنه أهون من الأول) ، وهي :

بزغتُ شمسُ علاكَ في آفاقها	حتى استضاءَ الدهرُ من إشراقها
واستعذبتُ فيكَ المكارمُ مدحةً	في غير ذاتكَ علقمُ مذاقها
واشتاقتُ العلياءُ أنكَ بعْلها	طمعاً بمجدك في سياق صداقها
ولحظتُ جامعةَ الكمالِ بأعين	نُشِرتُ محاسنها على أحداقها
وبعزَّكَ السامي تحلَّى جيدها	حيثُ الرقابُ تُزَانُ في أطواقها
وبنتُ عليك من الفخار رواقها	وسواكَ أبعدُ عن حريم رواقها
وابتعتُ بالثمنِ النفيس محامداً	مرّت عليك تُسامُ في أسواقها
وزهدتُ بالدينا التي طلقَتْها	مُتَعَفِّفاً عن رجعة بطلاقها
وأقمتُ في ربع العلوم لك البقا	وسواكَ ممنوعٌ عن استطرارقها
وكنوزُ علم في ضميركَ أودِعتُ	يزدادُ جوهرها لدى إنفاقها
يا خيرَ مَنْ زَرَّتْ عليه قميصها	العليا وخيرَ مَنْ احتبى بنطاقها
لولاكَ حرّفتُ الشريعةَ فتيةً	ساقَت حدودَ الله غيرَ مساقها
فكشفتُ عن دينِ النبي ضلالةً	شحذتُ عليه بارقات رقاقها
واستوهبتُ فيكَ المعالي سيداً	سارَ الثناءُ عليه في آفاقها
واليك أحكامُ العباد تسوسُ في	أديانها ، أبدانها ، أرزاقها
وبك استقرُّ الأمرُ في تكليفها	ولكَ استمرَّ العهدُ في أعناقها
(وعرجتُ) عرفاناً لربك عندما	أبتِ المشيئةُ عن رقي (براقها)
وعرفتُ أسرارَ القضا ودقائق الـ	أشياء في أفلاك سبع طباقها
وحقائق الأسماء وأثار السما	عن شبهها بقرانها ومحاقها
وإذا جرتُ حلباتُ كُلِّ فضيلة	فَلَكَ المجلَى فائزاً بسباقها
وعليك ألسنةُ الثنا مقصورةٌ	وبذاتكَ التقييدُ في إطلاقها

وشققت جسمك من صفات أشكلتُ  
 وزجرتَ عن وادي (الغري) حوادثاً  
 وصفحتَ فضلاً عن جرائم فتية  
 فوهبتَه وهو (المذم) باسمه  
 تهواك ألسنها فأن هي أبصرتُ  
 يا مُنيةَ الراجين بل يا جنّة الـ  
 لما رأتك عروسُ فكري كفوها  
 وسقتك رقتها قواريرُ الهوى

معنى سوى التعريف عن مصداقها  
 ونشرتَ ثوبَ العدل فوق (عراقها)  
 جهدتُ عليك بغيتها ونفاقها  
 غوث المروعة في كرى أماقها<sup>(١)</sup>  
 فُرصاً لحربك شمرتُ عن ساقها  
 لاجين حيث تُراعُ من أملاقها  
 زُفتُ إليك تيسُ في أشواقها  
 فلها الهنا أصبحت من عُشاقها

ومنها ما قاله السيد حسن الأصم البغدادي يهنيه ، ويؤرخ عام زواج ولده الشيخ مُحمّد  
 بمنت عمه الشيخ موسى (رحمهم الله) أجمعين :

خليلي من شرب المدام تزودا  
 هي الأثم لا إثم على من يديرها  
 معتقة كادت تطير بكأسها  
 موردة لو ذاقها شيخ تسعة  
 فلو مرّ بالخانوت ينظر كأسها  
 ولو شرب النساءُ فضل زجاجها  
 ولو صافحت حمارها كف (مادر)  
 ولو قربت من أكمه عاد مُبصراً  
 ألا نأشربها ثم عودا لشربها  
 وقولا لساقي القوم يأتي لشادن  
 وإن لم يكن طفل فخود مليحة  
 حوت حاجباً شحط المخط وناظراً

فأن حسام الصبح أضحى مُجرّدا  
 ولكن على من راح فيها مفنداً  
 ولكن لها أضحى المزاج مُقيدا  
 وتسعين أضحى الخد منه موردا  
 يطوف عليها راهب القوم عربدا  
 لخروا لها تيك الزجاجة سجدا  
 لراح من (الطائي) بالجود أجودا  
 (أنا الصائح المحكي والآخر الصدى)  
 ولو شامها ركب وقد ضل لا هتدى  
 فأنى أرى في شربها (العود أحمددا)  
 مغن بلحن القول يُخجل (معبدا)  
 تُحاكي ثناياها الجمان المنضدا  
 يُعيرُ الظبا فتكاً وفرعاً مجعددا

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «إنطبق هذا البيت في المرحوم الشيخ علي واضح ، وأما في أمير المؤمنين  
 (ع) فغير معلوم لأنه ليس في أعدائه ومعارضيه من إسمه مذم» .

وتزري بخُوطِ البان مَهْمَا تَأَوَّدا  
ومن عادة المحروم أن يتزوّدا  
سليلاً (عليّ) من علا الناس مَحْتَدَا  
حليفُ النُّهى خدُّ الكمال أبو الندى  
تعلتْ وَلَمْ تَبْرَحْ تُحَاوِلُ مَصْعَدَا  
تَقْمَصْ جَلْبَابَ المفاخر وارثدى  
وأحيانا فيه شريعة (أحمدا)  
فأصبح شيخُ الكلِّ في الكلِّ واغتدى  
تَوَحَّدَ في خلقِ التقى وتفرّدا  
بجمع العلوم الغامضات توحّدا  
غداة الندى إلّا لجيناً وعسجدا  
(لكلّ امرئ من دهره ما تَعَوّدا)  
(مُحَمَّدٌ) مَنْ فِي غَيْرِهِ لَيْسَ يُقْتَدَى  
به منزلُ الفخر الأثيل تشيّدَا  
وجازَ عَلاَهُمْ كُلَّ أَفْخَرِ أَمْجَدَا  
وجُوداً ومجداً وافتحاراً وسؤددا  
فما ابنُ رجا إلّا وأسدوا له يدا  
إليهم حديثُ الجود في الناس مُسْتَدَا  
إذا أَمَّهُ ذُو حَاجَةٍ لَمْ يَقُلْ غَدَا  
غدا شملها بين الأنام مُبَدَّدَا  
به من صنيع السَّعد ثوباً مجددا  
تعانقُ أُسُداً لا تَهَابُ من الردى  
دياجي العنا عَنَّا غداة توقّدا  
(وَقُلْ زُوجَتُ شَمْسُ البها قمر الهدى) (١)

تتية على الغزلان في لفتاتها  
فَقُومَا إِلَى شُرْبِ الحُمَيَّا عَجَالَةً  
سروراً بعرس الألعى (مُحَمَّدٌ)  
ريبُّ الهدى ربُّ الصلاح أخو التقى  
هُمامٌ رقى هام (السَّماك) بهمة  
تربّى بحجر المجد طفلاً ويافعلاً  
براهُ إلهُ العرش من نور علمه  
وكونه من عالم اللطف (عالماً)  
هو العالمُ القدسيُّ والفاضلُ الذي  
هو العالمُ القدسيُّ والفاضلُ الذي  
هو البحر لكن لا تجود يمينه  
تَعَوَّدَ بسط الكفِّ طفلاً وإنما  
فَمَنْ ذَا يُدَانِيهِ عَلاً وشقيقه  
كذا (الحسن) الأخلاق والمجتنى الذي  
هُمُ القوم طاروا بالمفاخر والعلى  
وفاقوا الورى علماً وحلماً وعفة  
وهم طوقوا بالمجد جيد بني الرجا  
غيوث ندى إن أجذب العام يغتدي  
فمن تلق منهم تلق بحر سماحة  
بني (جعفر) ، يا جامعين مكارماً  
ليهنكم عرس غدا الدهر لا بساً  
وما خلت قدماً أن غزلان (رامّة)  
(قران) سَعُودَ قَدْ جَلا بسنائه  
فَقُمْ يَا أَخَا وَدِّي ونادي مؤرخاً

(١) حساب الجمل في هذا التاريخ يُوافق سنة (١٣١٨هـ) ، وهو غير صحيح . وذكر الشيخ محبوبة في ماضي النجف وحاضرها ، ج٣ ، ص ١٩٥ : أن هذا التاريخ يكمل اذا لم تُحسب كلمة (وقل) التي يساوي مجموع حروفها (١٣٦) ، وهو خلاف قاعدة فن التاريخ الشعري المطردة في حساب كل ما يقع بعد مشتقات كلمة (التاريخ) .

وأما مراثيه ، وتعازي إخوانه وبنيه فيه ، فتكاد أن تكون ديواناً لكثرتها . ونحن ننتخب منها نبذة كافية ، في أداء حقه .

فمن ذلك ما رأيته في المجموعة (القبطانية) وفي صدرها ما هذا نصه : بما قال المرحوم الشيخ إبراهيم نجل الشيخ حسن قفطان (رحمه الله) في رثاء العلامة المحقق خاتمة المجتهدين ، وعميد الفضلاء المدرسين ، وعماد الحق وعميد الملة والدين ، المرحوم جناب الشيخ علي نجل الأستاذ الأكبر ، الشيخ جعفر ، (قدس الله روحهما) معزياً أخاه وولده ، وهي :

<p>توسّمت بعد المستقلّين أرْبُعا محaha البلى حتى ظننتُ رسومها أسائلها عن فخرها أين أزمعا عَفَتْ مُدُّ مَضَى عنها (عليُّ بن جعفر) مصاب على الأسلام حلّ كلاكلاً ليوم (عليّ) تذرفُ العينُ أدمعا فذلك مادَ العرش من وقع صدعه لئن جاءت الأيام شنعاء في الورى فلا بكرّ الناعي على الناس ويحه نَعى فالمساعي الغرُّ تنذبُ خلفه نَعى سيداً لم يلحظ الدهر مغضباً إماماً له ألقى الزمان قياده وغوثاً لنا في فادح الخطب مفزعاً سرى نعثه في الناس مَسرى نواله فيا طودَ عزٍّ قد أَمنا بظله ومرتكماً نُسقى بصيّب وبّله وبدراً تعودنا اهتداءً بنوره فيا حاملَ النعش اتّشد فلعلّه</p>	<p>فأسقيتها من وابل العين أدمعا ركائبَ زارتها عواكفُ خشعا فيثني الصدى ما قلته أين أزمعا وأقلع عنها السعدُ ليلةً أقلعا فأزعج أربابَ الحفاظ وروعا فأنهما سيّان رُزء ومصرعا وهذا له ركنُ الهدى قد تصدعا فيوم (عليّ) كان أدهى وأشنعا بفيه الثرى هلْ يدري أيّ فتى نعى وغادر أحشاء المكارم وقعا بعينيه إلا انصاع منه مروعا فجاء على وفق الأرادة طيعا وغيثاً لنا في كالح الجدب مربعا وخطّ له في قلبه الجذ مضعجا تكنّفه ريبُ الردى فتزعزعا جلّته عقيمُ النابتات فأقشعا فأشرق لكن صير النعش مطالعا يزودنا دُرّ الحديث فنسمعا</p>
--	---



وراءك تسترعيك حسرى وظلّعا  
فقد أودعَ المجدُ الثرى يومَ ودّعا  
يكونُ الثرى من ساحة الكون أوسعا  
بشامخ رضوى أن يقلّ ويوضعا  
ذهبتَ فخلّفتَ الحوادثَ رُجّعا  
كأنّك ما أنزلتَ إلّا لتُرفعا  
تطوفُ على مثواك مثنيّ ومربعا  
وأوهى قوى الدين القويم وضععا  
وبين سنا شمس المعالم برقعا  
فقل في الرواسي الشامخات هوتَ معا  
وودّعَ ركبُ المجدِ ساعة ودّعا  
لتنفعه الشكوى يزيدُ توجّعا  
ولم يبق في قوس التصبّر منزععا  
أعزّ وأزكى العالمين وأورعا  
وإنّ عَظُمَتَ تلك الرزية مَوْقعَا  
ولم ندر منها واجبا من تطوعا  
شعار الليالي أن تُريعَ وتُفزعَا  
سمتَ فغدتَ من شامخ (النسر) أرفعا  
عُفاة الورى تأوي لمغناه شرّعا  
وزاخر علم ثابت العزم ألمعا  
شمائل أضحت من شذا المسك أضوعا  
بهم غيرَ حام للشرعية أروعا  
به أورق الأسلام عوداً وأينعا  
سحاباً بعفو الله يهمي مددعا<sup>(١)</sup>

رويداً فهذي المكرمات نوائح  
فقلّ لبني الآمال خلّوا عن السرى  
وما كنت أدري قبلَ دفنك أنّه  
ولا قبل أعواد حملنك أملاً  
هدأتَ فصيّرتَ القلوبَ خوافقاً  
وأنزلتَ قبراً قدّ سما بك رفعةً  
تساميتَ فاستبدلتَ منّا ملائكاً  
فلله رزءُ كور الشمس في الضحى  
وألبسَ وجهَ البدر إذ حيلَ بينه  
ونعشُ هوى والمجد فيه إلى الثرى  
أقام لنا ركبُ التحسّر والجوى  
ففي كبدي داءٌ إذا ما شكوتهُ  
وقاتلة هيهات تأملُ سلوةً  
فقلتُ بلى إنّ السلو بسيد  
هو (الحسن) الفعل الجميل به العزا  
فلولاه ما قامت شريعة (أحمد)  
تسلّ معيد الدين غضاً فأنماً  
تفياّت من روق الفخار سرادقاً  
ولي سلوة في فرعه الماجد الذي  
(مُحمّد) وصف عزّ كهفاً ممنّعا  
ومن بعده (المهدي) فينا ومن حوى  
فيّا أهل بيت قدّ أبى الله أن ترى  
إذا غابَ منكم ماجدٌ قام ماجدٌ  
سقى جدّاً وأرى (عليّاً) من الرضا

(١) السحاب المددع : المطر النازل بانتظام ، الذي يُعبّر به عن الرحمة والرضوان .

ولعمري أن الشيخ إبراهيم في هذا المقام ما أجاد ، ولا وافق السداد ، حيث أنه توسّم بدار المرثي العفا والبلاء ووصفها بالحول ، وجعلها طول ، وهو توسّم قبيح ووصف غير جيد ، خصوصاً إذا كان الميت له من يقوم مقامه ويجلس في محله . فإن قلت لم تزل الشعراء تشبب بالدار أمام الرثاء ، قلت لك نعم هو كما قلت ، ولكن يتخلّصون من التشبيب بها إلى الرثاء ، ولا يجعلونها دار المرثي ، ولو جعلوها فأئماً يصفوها بالعزّ والمنعة كما قال الشريف : ألا ناشداً ذاك الجناب الممتعا .

والحاصل أن هذا أمر تعرفه بذوقك ، وتجد حسنه وقبحه بسليقتك ، وقد كان المتقدمون يتخلّصون من التشبيب بها إلى الرثاء بواسطة الدمع كما صنع الشريف في قصيدته الدالية التي أولها :

هذي المنازلُ بالغميمِ فنادها

وكقول البُحتري :

ولا تسألني عما بكيتُ فأنتُ على ماء عيني جاداً ماءً جفوني

أو بواسطة الأمر بالكفّ عن البكاء على الدار وجعله للميت كما قال الخطبي :

«ولكن هلمّ الخطب في رزء سيد»

وقد شرك الشيخ إبراهيم بعدم التفاته إلى هذا العيب السيد الأديب سيد جعفر<sup>(١)</sup> ابن العالم النحرير سيد باقر القزويني ، حيث قال يرثي الشيخ علي أيضاً ، ولكن تفرّد عنه بشيء آخر وهو أن قصيدته هذه تعاون (السيد ، والبُحتري) عليها ، ومع ذلك ما جاءت على ما ينبغي ، وسأنبهك على ذلك . والقصيدة هذه :

هَلْ بِالْدِيَارِ لَوَاجِدٌ إِيَّامُ	هِيَ هَاتِ غَيْرَ رَسَمِهَا أَيَّامُ
ضُرِبَتْ عَلَيْهَا لِلزَّمَانِ كَلَاكُلُ	فَمَحَتْ مُحَاسِنَهَا الَّتِي تَسْتَامُ
قَفَّ بِي أَسَائِلُ رُبْعَهَا عَنْ أَهْلِ	أَيْنَ اسْتَقَلُّوا بَعْدَنَا وَأَقَامُوا
وَأَكَلَمُ الدَّرْسِ الدَّوَاثِرَ بَعْدَهُمْ	لَوْ كَانَ يُجِدِي الْوَاجِدِينَ كَلَامُ
يَا دَارُ مَا لَكَ لِلنَّوَابِ كَلَمًا	رُقِعَتْ فَذَا صَبَحَتِكَ تَوَامُ
أَوْ مَا كَفَى صَرْفَ الْحَوَادِثِ مَا مَضَى	مَنْ قَبْلَ فِي أَهْلِكَ مِنْهُ سَهَامُ

(١) من علماء الأسرة القزوينية ، وأدبائها تُوفي سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م .

حتى دهي بمجلجل لو أنه  
 الله أكبر ما أجل مصيبة  
 نفضت على وجه الصباح رداها  
 ورزية حمل الأئمة شطرها  
 هدت ذرى الدين القويم فما له  
 جَلَلٌ عدت فيه الحوادث طورها  
 حتى أطل به على الأنام بمدهش  
 فقدوا علياً ذاهلين ولم يكن  
 فتراهم من سكر حيرتهم به  
 من ذا يعزيه عليه وكل من  
 لكن نُعزي المكرّمات بفقد من  
 ونُعزي دين الله بالمولى الذي  
 يا أيها المولى الذي عن وصفه  
 ما كنت أحسب لا ومن قد خصّه  
 أن الليالي تستطيع لهاثها  
 لكنّها قدمت عليه فهالها  
 حتى إذا قدمت كبت أقدامها  
 بأبي وأبائي الكرام جميعهم  
 وبرغم أنف الدين أنك نائم  
 أسفي عليك وهل يفيد تأسفي

بأطام رضوى خرّ منه أطام  
 عظمت فقلّ لقدرها الأعظام  
 فغدا ضياء الصبح وهو ظلام  
 والمسلمون وشرها الأسلام<sup>(١)</sup>  
 أبداً إلى يوم القيام قيام  
 وتجاوزت مقدارها الأيام<sup>(٢)</sup>  
 ذهبت به الآراء والأحلام  
 خلقت لهم فقدانه الأوهام  
 لا ساهرون ولا هم نؤام<sup>(٣)</sup>  
 فوق البسيطة بعده أيتام  
 بدوامه للمكرّمات دوام  
 لولاه ما رفعت له أعلام  
 قصّر الكلام وكلت الأفهام  
 بمراتب في المجد ليس تُرام  
 مضغاً لصلّ لهوتيه سهام  
 من جانبيه العزّ والأعظام  
 فأعنتها الأقدار لا الأعلام  
 جدت تجمّع فيه منك عظام  
 في حفرة والشامتون قيام<sup>(٤)</sup>  
 قلباً عليه الصبرُ عنك حرام

(١) قال البُحتري :

ورزية حمل الخليفة شطرها والمسلمون وشرها الأسلام

(٢) هذا بعينه للُبُحتري . (تعليقة المؤلف) .

(٣) نظر إلى قول الشاعر الأموي :

والركب من دهش النوى في حيرة لا نائمون ولا هم أيقاظ

(٤) مأخوذ من قول البُحتري :

وبرغم أنفي أن أراك موسداً يدهالك والشامتون قيام

وأنت ترى التفاوت ما بين قوله : موسداً يدهالك ، وحسن التعبير عن الموت ، وبين قوله : نائم في حفرة .

(فعليك يا حلفَ الندى وعلى الندى من ذاهبين تحيةً وسلاماً)<sup>(١)</sup>

وللشيخ الأديب ، المفلح الأريب ، الشيخ عبد الحسين محيي الدين قصيدة في رثاء الشيخ علي أيضاً على هذا الوزن والقافية ، إلا أنه لم يلم من قصيدة أبي عبادة ، وهي :

جلل له بذوي العلى إلمام	لم تأتينا بنظيره الأيام
وعظيم رُزء في عظيم قدره	إن الرزايا في العظام عظام
قد أعولت فيه الملائك بالبكا	والمسلمون تعج والأسلام
قل للردى لا تجري بعد فلم تكن	بعد ابن (جعفر) غاية فترام
يا ناشد الشرف الرفيع تعزياً	أهوى إليك من الشريف شمام
يا ناشد العلياء أقفر ربُعها	وخباً لزند المكرمات ضرام
فلتجر عين العلم فيه دموعها	حُزناً وتندب يومه الأحكام
يا راحلاً أقوى له ربع الهدى	وجداً وجب من الرشاد سنّام
مذ بُنت بان من العيون رقادها	والصبر عزّ فعاد وهو حرام
أننى نطيق أسى وكنت لنا الأسى	إن نابنا خطب وأجدب عام
كنا نرد بك الزمان إذا سطا	فرمتك من أيدي الزمان سهام
يا بدر تم يُستنار بنوره	فرماه خسف واعتراه ظلام
وأشم طأطأاً للمنون وكم له	من كل ذي شرف تطأطأ هام
ماذا على الأيام بعدك لو بدت	سود الوجوه برودهن قتّام
قل للمعير بالحمّام له فما	في الخلق من قد أخطأته حمام
ما في الردى للشامتين شماتة	لم يبق إلا الواحد العلام
فلئن قضى الحبر (العلي) فبعدهما	أدى شرائع فرضهن لزام
وقضى حقوق مكارم ملء الفضا	لم تُبْلِها الأحقاب والأعوام
إن فل منه الدهر غرب حسامه	فلکم به للدهر قلّ حُسام
ما مات من قد مات إذ أبقى لنا	خُلُفاً بأعباء (الخلافة) قاموا
أبقى لنا (حسنًا) (علي) بعده	يقضي بفصل إن ألدّ خصام

(١) هو للبحثري برمته ، وهو من محاسن شعره . (كل التعليقات التي وردت على القصيدة هي للمؤلف) .

مولى أقرَّ له الأنام فما ترى  
وسليله الزاكي النجار (مُحمَّد)  
والماجد (المهدي) أكرم ذا علماً  
فئة ولا صغر صغير بينهم  
وأئمة إن غاب منهم واحد  
يا (باقر) العلم المهذب والذي  
يكفيك سلواناً بأكرم فتية  
ولهم بك السلوان عمن قد مضى

وله أيضاً يرثيه ، ويورخ العام الذي توفي فيه :

أيرجو الفتى في الدهر عيشاً مُخلداً  
وكم شنت الأيام في الناس غارةً  
وهيهات ما للمرء من طارق الردى  
فلو أخلدت أيا من الدهر واحداً  
ولكنما خط المنون على الورى  
وناع نعى أصمى المسامع نعيه  
نعي ماجداً لو كان ينعي نفوسنا  
فتى كان أحيا شرعة الحق علمه  
أبو عذرها السامي الفروع ومن سما  
وكنّا به والدهر يُرهّب بأسنا  
فمن ذا يُرجى للحوادث بعده  
بني (جعفر) لا أحمّد الدهر ذكركم  
فما حسن دهر فات أو يأتي لم تُزن  
سلواً وما السلوان منا بمثله

وسهم الردى ما انفك منه مُسدداً  
أحالت بياض الصبح في العين أسوداً  
مناص إذا سهم المنية أقصداً  
لأخلدن خير الناس طراً (مُحمّداً)  
جميعاً فما جيد به ما تقلداً<sup>(١)</sup>  
وقرّح أجفاناً وصدّع أكبداً  
لنا دونه ما كان أدهى وأوجداً  
ومهد آيات الرشاد وشيّد  
بما قد حواه من أغار وأنجداً  
فعدنا لغارات النوائب مقصداً  
إذا ما دجى ليل الحوادث أو هدى  
ولا منكم أخلى ندياً ومَحشداً  
سما فخره فيكم بأنجم للهدى  
مطابق ولكن سنة الطهر (أحمداً)

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : « ما أدري أيُّ باقر هذا ، وليس في بيت الشيخ من اسمه باقر »

(٢) علّق المؤلف على المعنى بقوله : « هذا مضمون الحديث المشهور » .

فما خصكم ذا الرزء حيث أصابكم  
وإني وإن شاطرْتُكم فادحَ الشجى  
أجلَ رَحِمُ الأيمان بيني وبينكم  
فلا يشمت الشاني (علياً) بموته  
وما غابَ مَنْ أبقى بدوراً طوالعاً  
وأنَّ لنا فيهم عزاءً فكلُّ مَنْ  
أرى (حَسَناً) يحذو (علياً) بفعله  
وهاتيك أبناءُ له حاولوا العلى  
وأرقبُ (للمهديّ) وثبةَ خادرٍ  
يُسدُّ فيه الله مذهب (جعفر)  
ولما دعاهُ الله للخُلْدِ أرخسوا

ولكنَّهُ لم يُخطِ مِنّا موحداً  
أرى أنَّ حظي في الشجى كان أزيداً  
يقرب ما رَحِمُ القرابة أبعداً  
فما عاش في الأيام حيّ فأخلداً  
بأنوارها في حالك الخطب يهتدى  
ترى منهم تلقى كريماً وسيدا  
أجلُ (بعلّي) المرتضى (الحسن) اقتدى  
وإن شئت مولى الكل فاذكر (محمداً)  
يقوم من دين الهدى ما تأودا  
ورواه صوب العفو أوظف مرعدا  
(عليّ محاذي في النعيم محمداً)

١٢٥٣هـ

هذا ما حضر لديّ من مراثيه حال الكتابة .

وقد حدثني خلفه العلمُ العباس أن الشيخ إبراهيم قفطان ، أو الشيخ حسن قفطان<sup>(١)</sup> رثي الشيخ (ببند) طویل في غاية الجودة والمتانة ، وفي آخره تاريخ لعام وفاة الشيخ . وكان تأريخه : (ورفعناه مكاناً في السماوات علياً) .

وهو كما ترى في أعلى مراتب الحسن وله به تمام الفذلكة الأدبية . ولكنني عددته فخرج زائداً بثلاثة على ذلك العام . فأن كان كما خرج عندي فلعله كان مشيراً قبله إلى زيادة هذا المقدار<sup>(٢)</sup> ، والله أعلم .

(١) البند هو للشيخ حسن قفطان المتوفى سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م . وقد أثبتته الاستاذ علي الخاقاني في «شعراء الغري» ، ج ٣ ، ص ١٣ (نقلًا عن مجموعة السيد جعفر الخراسان المخطوطة) ، وأوله : أخرس الناعي لساني ، وشجاني ما شجاني ، إذ دهاني ، بنعي أوجر الصدر ، ورزء أقصم الظهر . حتى يقول «مَنْ تُرى مِنْ بعدك اليوم أنادي لشؤوني ، خابت الأمال مِنْ بعد إمام ذاب أقصى كبد العليا لما قام جبريل شجياً ، دون عرش الله ينعاه بتاريخ «رفعناه مكاناً في السماوات علياً» ، ولي الله على ذاك ، لي الله لقد كنت ، ولا أعرف بالنكبة لولاه . . . » .

(٢) حساب التاريخ هو كالآتي :

(رفعناه مكاناً في السماوات علياً)

رفعناه : ٢٠٠ + ٨٠ + ٧٠ + ٥٠ + ١ + ٥ = ٤١٢

مكاناً : ٤٠ + ٢٠ + ١ + ٥٠ + ١ = ١١٢



لفقد (عليّ) قد تجرعت غصّة  
يعاجلني في برّه يوم فاقتي  
ولست بناس لو ذكرت (محمّداً)  
هم القوم لا يبلي الزمان جميلهم  
ألا قل لمن أخفى الشماتة جاهلاً  
بفك الثرى فالخط ليس بمذبر  
هو (الحسن) البحر الخضم ومن نرى  
يؤازره الخبر المصاب (محمّداً)  
هما فرقدا علم وجود كلاهما  
وإني على (موسى) أحن وأغول  
ويوسعني في حلمه حين أجهل  
كأني سليم ليله يتململ  
ولا الصبر في تلك الرزية يجمل  
يؤمل في أيامه ما يؤمل  
ولكنه والحمد لله مقبل  
بطلعته وجه التقى يتهلل  
فتى سور عزّ للأنام ومَعْقِل  
فذا فاضل فينا وذا متفضل

وكانت وفاته عقيب وفاة السيد السند السيد رضا<sup>(١)</sup> نجل العلامة الطبطبائي (قده) ، فقال  
الشيخ حسين مبارك<sup>(٢)</sup> ، وهو من شعراء العلماء ، يرثيهما (قدس سرهما) ويتذكر مصائب  
العلماء كالسيد مهدي نجل السيد مير علي الطبطبائي والشيخ موسى (ره) وكانوا متقاربي  
الوفيات ، ويتخلص بمدح الشيخ حسن أخيه ، ويعزيه مع باقي بنيه :

خَدَّدَ الدمعُ على خَدَيَّ خَدًّا  
وعراني ما عراني من أسي  
ووهي ركن اصطباري أسفاً  
حين وافى نعي من ألبسني  
ما لصرف البين لم يترك لنا  
ما نسينا موت (موسى) و(الرضا)  
إذ سطا فاغتال منا أسداً  
وتقياً يقطع الليل إذا  
وجواداً يُوسع الوفد إذا  
ووهت مني القوى حزنًا ووجدًا  
أورث القلب شجي والعين سُهدًا  
ولقد كنت على الأرزاء جلدًا  
فقدته ثوباً من الحزن وبُردًا  
طود عزّ شامخ إلا وهذا  
بعد ، و(المهدي) خير الخلق جدًا  
يُرهب الأسد إذا صال وشداً  
ما دجا لله تسبيحاً وحمداً  
نزلوا في ربّعه علماً ورفداً

(١) السيد رضا نجل العلامة السيد مهدي بحر العلوم ولد سنة ١١٨٩هـ / ١٧٧٥م ، وتوفي سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م  
ومنه تنفّع أسرة آل بحر العلوم .

(٢) الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن مبارك من فقهاء عصره ، توفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .



ليتنى ميتٌ بوجدى قبله  
أحمدُ الله فقد أبقى لنا  
(حسن) الأفعال ، والأقوال من  
هو في الأرض منارٌ يهتدي  
نابَ عمَّن قد مضى عنا إلى  
ولنا في ولده أكرم به

وتوسدت كما وسد لحدا  
من سما للفلك الأطلس مجدا  
برداء العلم والتقوى تردى  
بسنا أنواره من ضلَّ قَصدا  
جنة الفردوس أخلاقاً وزهداً  
وبهم خير أب برّاً وولداً

وحدثني جنابه العالي أيضاً عن المحقق القزويني<sup>(١)</sup> (رحممه الله) ، (وكان من بطانة الشيخ أبيه وخاصته ، ونسيه وزوج ابنته) ، أنه قال : كانت للشيخ أشعار كثيرة في التغزل والتشبيب نظمها في أيام صباه ، ولما بلغ العشرين أو الثلاثين جعل يتبعها ويفتش عليها ليحرقها ويمحو وجودها ، فظفر بمقدار مائة ألف بيت<sup>(٢)</sup> فأحرقها جميعاً ، إلا ما كان في مدح الأئمة (ع) ورثائهم ، وجعل يقتص أثر الباقي فيصنع ما صنع بالأول ، ولكنني ظفرت بأوراق فيها كثير من شعره غزلاً وغيره فأخفيتُها عنه وحفظتها عن خاطري ، فمن ذلك :

بنفسي نديماً بات يُقري مسامعي  
إذا ما تلا صُحف ابن مريم صادعاً  
وهبتُ نفسي وقلتُ له احتكم  
ومنها قصيدة غراء أولها :

حديثاً لمطوي الغرام به نشرُ  
بألحان داود وقد هجع السمرُ  
فأنت بما تهوى لك النهي والأمرُ

وحتى ما أخان ولا أخون  
ومثلي لا تُضاع له ديونُ

إلى كم ذا تُدان ولا تدينُ  
أما عاهدتني والعهدُ دينُ

إلى أن قال :

إذا ما جاء يسحب بُردتيه  
بوجه رق ماء الحسن فيه  
وأحاط مواضع كالمواضي  
سقطت على (جُهيته) فسَلَه

وفي أعطافه هيفٌ ولينُ  
فراق الخد منه والجبينُ  
قلوبُ العاشقين لها جفونُ  
(فعند جهينة الخبر اليقين)

(١) هو السيد مهدي القزويني المتوفى سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .  
(٢) يبدو أن هذا الرقم تُراد به الدلالة على غزارة الأشعار التي نظمها الشيخ علي في صباه ، وإلا فهو لا يخلو من مبالغة!

ومنها القصيدتان الدليتان التي تقدّم ذكرهما .

وكان ينقل عن الشيخ أنّه يقول : ما غلبتُ في الشعر إلا مرة واحدة وهي أني كتبتُ إلى الشيخ نصّار<sup>(١)</sup> - وهو بالنجف وأنا بالحلة - قصيدة أولها :

سلوتُ عن (الغريّ) فذكرتني      نوائحُ غرّدتُ فوقَ الغُصونِ  
ذكرتُ أحبةً فيها كراماً      عليّ وإنْ همُ لم يُكرِموني

فكتب إليّ في جواب قصيدة أولها :

لعمركُ ما سلوتُ فذكرتني      نوائحُ غرّدتُ فوقَ الغُصونِ  
بلى أسمعُها لنواكُ نوحاً      فحنتُ عندما سمعتُ حنيني

ولما جاء السيد المتبحّر السيد صدر الدين العاملي من (العجم) إلى (النجف) رأى جماعة من الفضلاء المجتهدين يتعاطون كؤوس الآداب ، ومنهم الشيخ نصّار وبعض (الأعاسمة) ، وهم يختلفون إلى الشيخ عليّ ويرجعون إليه ، وذلك قبل وصول النوبة له ، فأعاب السيد عليهم وقبح فعلهم ، وأنه قدّ يؤدي إلى محرم كالتشبيب وغيره . على أن السيد كان عريقاً بالأدب وله ديوان شعر كبير . وكلّ أجابه بقصيدة .

فمنهم الشيخ عليّ وقد أملى عليّ هذه الأبيات خلفه المطهر ، أدام الله له العمر والأمر ، وقال : لا أحفظ الباقي ، وهي :

بأيّ كتاب أم بأية سُنّة      يحلّ لديها نقضُ عهدي وذمتي<sup>(٢)</sup>  
وتنسبُ للتشبيب مثلي ضلّةً      وكم ليّ عليها من يد مستهلّة  
ولا أعرفُ التشبيب إلا بوصفه      ولا كان يوماً في الغرام تعلّتي  
وهل لأمرئ بعد (الثلاثين) ملعبُ      وقد أدبرتُ أيامهُ وتولّت  
ألم ترني في كلّ يوم مشيعاً      إلى القبر منهم ميتاً إثر ميت  
فكم خلطوا خلّو الكلام بمرّه      وكم عرّضوا بي مرةً بعد مرة  
ألم يعلموا أنّي أبو (عذرها) الذي      غدا طالعاً بالفضل كلّ ثنية  
ويعرفُ فضلي كلّ غادٍ ورائحٍ      ويعمى حسودي عن بيان فضيلتي

(١) الشيخ نصّار بن الشيخ حمد بن زبرج العنسي . كان أحد كبار الفقهاء ، توفّي سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م .  
(٢) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «الشرط الأول من قصيدة للرضي على ما أذكره» .

وما أنا إلا الشمسُ يسطعُ نورُها  
أنا ابنُ الألى قد طبقُ الأرضَ فضلُهم  
بهاليل في أبياتهم حطتِ العلى  
فأيةُ رجلٍ بالسباق ولم تكن  
(أنا ملهم في الجودِ عشرُ غمائمٍ  
وإن أنكرتها كلُّ عينٍ مريضةٍ  
ولاذت بنو العليا بهم واستظلت  
وألقت لديهم رَحَلَهَا فاطمأنت  
لهم سابت يومَ الفخار فشلت  
ولكنها في الحربِ عشرُ أسنةٍ)

وهذا نوع من التضمين في تمام الحسن ، (والبيت للشريف رحمه الله) .

وأحسن من هذا كله ما حدثني به خلفه وبقية أطال الله عمره ، وشيد أمره ، عن المحقق القزويني تغمده الباري برحمته : أنه لما دهمنا الوباء العظيم ، الذي هبت قواصفه على النوع الأنساني فجعلته كالريم ، الموافق ابتداءه سنة ١٢٤٧ ، وفيه توفي الشيخ مُحَمَّد نجل الشيخ الكبير ، وفي آخره توفي صفى الله ونجيه السيد العارف السيد باقر القزويني<sup>(١)</sup> - (رحمه الله) ، توفي فيمن انتابه الوباء ثلاثة من تلامذة الشيخ علي ؛ وهم الشيخ عبد الله ، والشيخ قاسم ، والشيخ محسن ، وكلهم من بيت خنفر<sup>(٢)</sup> ، وكانوا من أجلاء تلامذة الشيخ المبرزين بالفضيلة ، وكان يحبهم حباً شديداً . فلما وصل إليه نعيهم خرج إلى الدرس وقد اجتمعت الناس وبه وربة ، فرقى المنبر ، وقرأ علينا هذه الأبيات يرثيهم بها ، وهي :

قُلْ لقريبِ الدار في بُعْدِهِ  
وما له لم يرعَ حقَّ الوفا  
أخنى (بعبد الله) صَرَفُ<sup>(٣)</sup> الردى  
واليوم قد أخنى على (مُحسن)  
وردة مَجْدٍ قُطِفَتْ غَضَّةً  
ما باله قد حال عن عَهْدِهِ  
وِينْجَز المأمول من وَعْدِهِ  
وابتَزْنَا (القاسم) من بعْدِهِ  
ندب رحيب الباع متمدَّهِ  
وَأَهْفَةَ المجدِ على وَرْدِهِ

إنتهى ما وصل إلينا من أخباره وأشعاره ، تغمده الله برحمته في جواره .

(١) السيد باقر القزويني هو أصغر أولاد السيد أحمد القزويني الخمسة (جد أسرة آل القزويني الحلية ، المتوفى سنة ١١٩٩ هـ / ١٧٨٥ م) . وكان السيد باقر من تلامذة العلامة السيد مهدي بحر العلوم ، ومن كبار فقهاء النجف في عصره . له ترجمة في مستدرک وسائل الشيعة ، المجلد الثالث ، ص ٤٠٠ من (الطبعة الحجرية) .  
(٢) آل خنفر هم أولاد خنفر بن حمزة بن كتاب العفكاوي ، والأسرة ترجع بنسبتها إلى قبيلة (باهلة) .  
(٣) صَرَفُ الردى : نوابه .

## ظهور الفرقة الشيعية (الكشيفية)

وفي أيامه ظهرت الفتنة العمياء ، والداهمة الدهية الدهماء ، واشتهر وانتشر أمر الفرقة الشيعية ، المُعبرُ به عنهم تارةً ، وتارةً بالكشيفية ، ، وذلك أن جماعة من فضلاء النجف عثروا على بعض رسائل السيد كاظم الرشتي<sup>(١)</sup> القاطن بـكربلاء فرأوا بها بما ظاهره الكفر أشياء لا تحصى ولا تعد ، وشنائع أقوال لم يأت بها عمر الزمان أحد ، فاجتمعوا وكان رئيسهم الشيخ موسى بن الشيخ عيسى بن الشيخ خضر<sup>(٢)</sup> ، وكلموا الشيخ في الحكم بكفره فأبى وامتنع ، وقال : إن أمر الدماء عندي من أعظم الأشياء ، وحقن دماء المسلمين من أعظم المهمات ، كيف والحدود تدرأ بالشبهات .

فلما آيسوا منه مَضَوْا إلى الشيخ مُحَمَّد حسن صاحب الجواهر ، وكان قد استقلَّ بعد الشيخ موسى واستغنى عن الرجوع والحضور إلى أحد ، فأطلعوه على الرسائل وأشهدوا جماعة من الثقات أن السيد كاظم الرشتي يدين الله بما فيها من الأقوال . فقال الشيخ مُحَمَّد حسن : إن حكمي لا يفيد مع وجود مثل الشيخ علي فيكم ، والناس منه أسمع وأطوع . فذهبوا إلى الشيخ علي وقالوا له : إذا حكم الشيخ مُحَمَّد حسن فما تصنع أنت؟ قال : أمضي حكومته .

فَحَكَمَ الشيخ مُحَمَّد حسن بكفر السيد كاظم ومن اتبعه وأحرق جميع رسائله بعد انتزاع الآيات والأحاديث والأسماء المشرفة منها ، وأمر بأن تُمحي من زيارة (شيشم) وغيرها الفقرات الموهمة للربوبية في حق (الأمير) كقوله : «السلام عليك يا منزل المن والسلوى» ، وغيرها مما ظاهره الغلو .

وأما السيد كاظم فأثَّه لما أُخبر بامتناع الشيخ علي عن الحكم بكفره أخلص له ، وتمكَّن حبَّ الشيخ في قلبه ، وكان إذا جاء إلى النجف للزيارة تهددوه بالقتل فيستجير ببعض السادة الأشراف<sup>(٣)</sup> فيدفع عنه البلاء لعدم تحقق كفره وضلاله .

(١) السيد كاظم الرشتي ولد سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م ، وتوفي سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م . وكان من تلامذة الشيخ أحمد الأحسائي المتوفى سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٦م والذي تُنسب إليه الفرقة (الشيعية) . ويُعبر أيضاً عن أتباعه بـ (الرشتية) نسبة إليه .

(٢) الشيخ موسى بن الشيخ عيسى بن الشيخ حسين بن الشيخ خضر (جد أسرة آل الخضري) توفي في وباء الطاعون الذي حلَّ بالعراق عام ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م .

(٣) يقصد المؤلف بهذه العبارة السيد مهدي القزويني المتوفى سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٣م (وهو صهر الشيخ علي بن بنته) . وكان القزويني يرفض معالجة ظاهرة السيد كاظم الرشتي بالعنف ، وقد أقنع أستاذه كاشف الغطاء بسحب الفتوى التي كان أصدرها في تكفير الرشتي . إستدعى القزويني قوة من القبائل الفراتية بقيادة أخيه السيد جواد القزويني لحماية الرشتي - الذي كان محاصراً في النجف - ، وإرجاعه إلى مدينة (كربلاء) .

حدثني السيد المفضل السيد جعفر جلال ، وكان من الملازمين لخدمة الشيخ علي (قده) قال : كنتُ في أثناء هيجان تلك الفتن يوماً بخدمته الشيخ وحدي ، فبينما نحن جالسون إذ دخل علينا حسن أغا بن صادق أغا ، وكان من أعظم رؤساء الشيعة ، ذا ثروة مشهورة مرفوعة ، وكلمة مطاعة مسموعة ، وكان الشيخ علي (قده) إذا دخل عليه الأسد فزع من هيئته وعنا لسطوته ، حتى أنه كان يجلس العصر في دار أبيه الكبيرة وتزدحم الأعظم عليه ، وترتعش عند الدخول والجلوس بين يديه ، ويجعلون بينه وبينهم حرجاً<sup>(١)</sup> مقدار أربعة أذرع عن يمينه وأربعة عن شماله ، ولا يقدر أحد على الجلوس ملاصقاً له مهابة منه وبأساً . وبعد أن استقر بحسن أغا الجلوس واطمأن به المقام ، وسكن جأشه من فزع ذلك الأمام ، قال له : يا مولاي جئتكَ في أمر مهم<sup>١</sup> . فقال : لا أهمّك الله ، وما هو؟

فقال : أنا في حيرة وتردد في أمر السيد كاظم الرشتي ، وما تكليفنا معه ، فأنا بعضكم يكفره ، وبعضكم يؤيده ، وبعضكم يسكت عنه . فقال الشيخ : أنا من القسم الثالث .

فقال : لا بدّ من أن تكشف لي عن حاله ، فأنا كان كافراً قتلته ، وإلاّ مُنعتُ عنه .

فقال الشيخ : أنا لا خبرة لي به ، ولا يجوز لي الحكم بكفره على الأفواه .

فقال حسن أغا : إبعث عليه وامتحنه وانظر كيف هو .

فقال الشيخ : إن العلم الذي عنده ليس عندنا والذي عندنا ليس عنده ، وإن كان عنده فهو لا يجديهِ .

فقال له : وهل يكون علم عند أحد أنت لا تعلم به؟

فقال : نعم ، هذا اشتغلنا به أول عمرنا فأمرنا مشايخنا بتركه وعدم التوغّل فيه ، لأنّ مزالقه مهلكة .

فقال : إذا فهل يجوز لنا الصلاة خلفه وأخذ الأحكام منه؟

فقال : الأحوط العدم ، واشتباه حاله كافٍ في ضلاله .

ثم خرج على حيرته يجرّ رجله ، بعد لثم قدمي الشيخ ويديه .

---

كانت هذه الحادثة في مقتبل شباب القزويني . ويبدو أنّ موقفه السلمي من السيد كاظم الرشتي ألصق به الاتهام بـ «الكشفية» . نقل المؤرخ الشيخ محمد حرز الدين في معارف الرجال ، ج ٣ ، ص ١١٣ : أنّ القزويني عندما حضرته الوفاة قال : «أبرأت ذمّة كل من ظلمني إلا من رماني بالكشفية» ! (١) الحريم هو المانع الذي يفصل بينه وبين الجالسين .

وكثر القيل في هذه المسألة وطال النزاع ، حتى شدَّ الرجال السيد المطاع ، ذو الحشم والأتباع ، والرياسة والامتناع ، السيد سعيد ثابت<sup>(١)</sup> ، (وكان كليدار كربلاء وحاكمها) . فجمع الشيخ علي والشيخ مُحَمَّد حسن والتمسهم وأصرَّ عليهم بالمسير إلى كربلاء والاجتماع مع السيد كاظم وتحقيق حاله ، فأجابوه إلى ذلك وساروا جميعاً .

وجمعهم السيد سعيد مع السيد كاظم وأتباعه في الصحن (الحسيني) ، ووقف السيد سعيد وبيده سيف مسلول ، وقال لهم : بيني وبينه هذا المجلس ، فأُنْ حكمتكم بكفره ضربت عنقه من حينه وأخمدت نائرة هذه الفتن ، وإلَّا ضربت عنق المخالف .

فقال الشيخ علي : يا سعيد ، مَنْ المتَّحاكم ، وَمَنْ الحكم ؟

فقال السيد : أنتَ المحاكم والحكم .

فقال الشيخ للشيخ مُحَمَّد حسن : سلَّه عما في نفسك منه .

فقال الشيخ مُحَمَّد حسن للسيد كاظم : أنا أسألك عن فقرتين في رسائلِك صريحة بالكفر وهي هذه : ( فأخرج رسالة كانت تحت ردائه وفتحها ) وقال : هذه الأولى ، وهذه الثانية ، فأَنْ كنتَ تعتقد بهما فأنت ضالٌّ ، وإلَّا فأنت مضلٌّ فتان .

فقال السيد كاظم ، (وعيناه تدوران في أُمِّ رأسه يتوقع كُلَّ حين وقوع السيف على عنقه) ، مخاطباً الشيخ علي (غير ملتفت إلى الشيخ مُحَمَّد حسن) : يا شيخنا أنا أعتقد بهاتين الفقرتين ، ولكن ليست هي كما يفهمون من ظاهرها ، فأَنْ الأولى لها تعلق بما قبلها ، فهي كقوله تعالى : «عزير ابن الله» فالقائل بها ما لم يقدِّم : «وقالت اليهود» يُظنُّ أَنَّهُ كافر ، فأذا ضمَّ إليها ما قبلها زال ذلك الاشتباه . وكذا الثانية فأَنْ لها تعلقاً بما بعدها ، فهي كقول القائل : لا إله ، فإذا قال : إلَّا الله ، تم الكلام ، وارتفع الأبهام .

فلما سمع الشيخ علي ذلك نفّض ثيابه وقال : «يا سيد سعيد ، الحدود تُدْرَأُ بالشبهات ، وحفظ النفوس في شرعنا من أعظم المهمات» ، فترك الناس على غفلاتهم ولا تكشف عن سواتهم ، وأن أبيتهم فاتركوني واصنعوا ما شئتم ، فأنا لا ألقى الله وفي عنقي دم المدّعي للأسلام .

فتفرق الحاضرون ، ونجا السيد كاظم . ثم قيل أَنَّهُ لبس كفنًا وخرج إلى الصحن الحسيني ، وصعد المنبر واشتكى ، وبكى وطلب المبالهة بأنواع عديدة مع من حكم بكفره ،

(١) تُوفي السيد سعيد ثابت سنة ١٢٥٨ هـ / ١٨٤٢ م .

إلى غير ذلك من وقائع الدهور، وعند الله عاقبة الأمور .

### تنبؤ الشيخ علي بالفتنة البابية

هذا ، ومن كراماته المشهودة ، التي كادت أن تكون في الأخبار بالملاحم معدودة ، ما حدثنا به جماعة من الثقات أن الشيخ علي (قده) قصد زيارة الكاظمين (ع) بعض السنين ، فلما دخل الحرم المطهر بعد لثم أعتابه ، ووقف على الباب مستأذناً للدخول رأى داخل الحرك سيداً وقوراً مهاباً واقفاً مقابل القبلة عند الرأسين الشريفين وهو يبكي ويتضرع ، على حالة منها الصخر يتصدع . فلما تأمله الشيخ قليلاً رجع القهقري ، وجلس في إيوان الحرم يبكي ويتأوه ويطل الفكر والنظر .

فاجتمع عليه أصحابه وذووه ، وجماعة من أهل البلد وسألوه ، عن سبب بكائه ، فقال : أبكي لشيء لا تحيطون علماً فيه ، ولو أخبرتكم به لا تُصدّقونه ولو أنبأتكم عنه .

فأصروا عليه ، فقال : أبكي لحال هذا السيد الخاشع وما يؤول إليه أمره من تلبس إبليس فيه ، وتصويره آلة لأظهار باطله ودعاويه ، وتتبعه من العوام أمة تتخذهُ وأوليائه أئمة ، فقليل له : ومن هو؟ فقال : والله لا أعرفه وما رأيته سوى هذه الدفعة ، ففتشوا عن السيد وإذا هو ميرزا محمد علي الشيرازي<sup>(١)</sup> الذي اشتهر أخيراً بالباب وكان يومئذ لم يظهر دعوته .

فقالوا للشيخ : إن هذا رجل من المعروفين بالعلم والزهد وليس فيه مما قلت شيء .

فقال لهم : أطيعوني وأخرجوه من العراق التي هي بيضة الأسلام اليوم وإلا سودّها ، ولولا أن العقوبة قبل الذنب لا تجوز لأمرتكم بقتله .

فلما عرف مقالة الشيخ خرج إلى تلك الأطراف ، وما مضت إلا سنوات قليلة حتى تُوفي الشيخ ، وأظهر (السيد) دعوته ونشر طريقته ، وأطاعته جماعة تسمّوا (بالبابية) نسبة إليه . وما مضى إلا قليل حتى انتشروا في أغلب بلاد المسلمين . ولهم وقائع كثيرة مع الشيعة وعلمائهم سيأتي بعضها عند ذكر علماء إصفهان .

(١) (الباب) هو الميرزا علي محمد الشيرازي ، وهذا اللقب إقتبس من حديث للنبي (ص) يقول فيه «أنا مدينة العلم وعلي بابها» . وقد أعلن الميرزا علي محمد عن دعوته حدود عام ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م (أي بعد وفاة الشيخ علي بخمس سنوات) ، وأنه الباب للأمام الغائب (الثاني عشر) ، ثم ادّعى أنه هو الإمام الثاني عشر . وقد قُتل في إيران رمياً بالرصاص سنة ١٢٦٦هـ / ١٨٥٠م من قبل الحكومة القاجارية وهو في أوائل الثلاثين من عمره . وكانت ولايته سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٩م . وقد تحوّل أغلب أتباعه إلى الفرقة (البهائية) .

## المزايب الثلاثة

والحاصل إن الشيخ علي (قدّس سرّه) ممن يضيق نطاق البيان عن إحصاء مزايه ومآثره ، وأياديه في الدين ومفاخره . وكان (رحمه الله) ممن جمع بين ثلاثة أمور قلّما اجتمعت لغيره ، فأنه أخذ من (العلم) أعلاه وأرفعه ، ومن (الكمال) والأدب أنفعه ، ومن (التقى) والزهد أجله وأوسع .

وتشهد بالأول تصنيفاته خصوصاً كتابه المعروف «بالخيارات» المسمى «بشرح اللّٰمعتين» ، فأنه شرح متن (اللّٰمعة)<sup>(١)</sup> من أول بيع الثمار إلى آخر الخيارات ، بكمال البسط والتحقيق ونقل الأقوال ، والجمع بين الأخبار والقواعد والأحوال .

وله رسالة مختصرة صنفها بكريلاء في سويغات قليلة بالتماس بعض الفضلاء ، وهي في (حُجّة الظنّ) مفصّلاً ، وتعرّض فيها لحال (القَطْع) أولاً ولأحوال (الشك) وأحكامه من البراءة والأحتياط أخيراً . وآخر مختصراً على الطريقة التي تابعه عليها تلميذه العلامة الأنصاري ، قدس سريهما الباري ، في كتابه المعروف<sup>(٢)</sup> .

وللشيخ رسائل كثيرة في مسائل متفرقة إلا أنها قليلة التداول في أيدي الناس لقلة نسخها . ومن أراد أن يطلع على كمال فضله وتبحّره وتدقيقاته فليراجع تقارير درسه بقلم المحقق المدقق السيد مير فتّاح المراغي (رحمه الله) في أغلب كتب الفقه مع تقارير درس أخيه الشيخ موسى في الفقه أيضاً . ونسخة الأصل موجودة اليوم عند بعض (طائفتنا)<sup>(٣)</sup> . ويشهد على الباقي ما تقدم أولاً .

ولم نثر على مدة عمره (رحمه الله) ، ولكن الأغلب في هذه (الطائفة) الذي يُرجعُ إليه عند الشك هو الستون ، وقلّ مَنْ تجاوز السبعين ، بلّ لم يوجد (سوى الشيخ منهم) أحد تجاوزها ، وكلهم بين الستين والسبعين .

وتُوفيَ (قدّس سرّه) في كربلاء في بعض زياراته فجأةً ، فأنه في أثناء الطريق جلس (وتشاهد) وقضى . وحُمِلَ على الأعناق من حينه إلى النجف ، ولم يبق أحد في كربلاء لم

(١) اللّٰمعة الدمشقية من المتون الفقهية التي ألفها الشيخ مُحمّد بن مكي العاملي المعروف بالشهيد الأول المقتول على يد ممالك الشام عام ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م . وقد شرح هذا المتن بعد قرنين من تأليفه الشيخ زين الدين بن علي العاملي المعروف بالشهيد الثاني المقتول على يد العثمانيين عام ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م .  
(٢) وهو كتاب «رسائل الأصول» ، الذي أصبح من الكتب الدراسية المقرّرة في المراكز الدينية والحوزات العلمية لطلبة المقارئين لدراسة البحوث العالية المصطلح عليها «بالبحث الخارج» .  
(٣) ويقصد بهم أسرته (آل كاشف الغطاء) .



يأت إلى النجف مع جنازته حافياً . ودفن في جنب مقبرة أبيه المعروفة ، وقد سبق تأريخ عام وفاته في الشعر فراجع .

وقال السيد في (يتيمته) : «ونحمدك يا من تفضل علينا وعلى جيلنا بالسراج الأنور ، وعيلم العصر ، وفريد الدهر ، عليّ بن جعفر ، فذاك من عنانه في ميادين العلم أطلق ، فكان به المجتهد المطلق ، وصارت إليه الناس بالتقليد وألقت إليه قيادها ، وقاد بالفضل أسادها ، وأصبح رئيس الكل في الكل ، فقيّد الشبيهه بجزء وكل ، مستوياً على كرسي القضاء والفتوى ، مبيّناً في الفقه ما عمّت به البلوى ، جالساً بمغنى التدريس ، ناثراً به جوهر العلم النفيس ، والسامعون بين فاضل محقق ، ونحرير مدقق ، تلقاهم مذ وردوا بحور علمه سكارى ، وما هم بسكارى ، لكنهم بما يديه هذا العيلم من مخفّيات العلم حيارى ، فطوراً ترى له نفائس كلم جدد ، وطوراً فروعاً ما جاء بمثلها أحد . فكم أثبت المدّعى الخفي باستدلال واضح ، فامتاز به المرجوح من الراجح ، يحكي أبيه في النهج ، ويقفو أثره في النسج ، ذو رئاسة علمية ، لم تحوها جلّ أجلاء البرية ، تحدثت بسنا فضله الركبان ، من قاص ودان . فمن أصوله الممهدة ، كم من ركن للحكم مهّده ، ومن علومه الزهية ، كم بانت غوامض خفية ، رئيس مطاع ، ذو حشم وأتباع ، وكان ازدحام الناس ما بين جنبه وحواليه ، هذا يؤمّ مطلبه ، وذاك يرجو أن يقضي مأربه ، ولم لا وهو الموكل من المليك العلم ، بحسم مادة الخصام ، وقضاء أمور الأنام ، وحفظ بيضة الأسلام ، يخطب باسمه فوق المنابر ، ويتحدث به المقيم والمسافر ، وانقادت الناس من المغاني الوحيدة إليه ، وعولت في جميع الأحكام المريعة عليه ، مع إعراضه عن تطلّب المرامات الدنيوية ، والاشتغال بالأمر الدينية . ولكن التأييدات الربانية ، لا تنقاد إلّا لمن أعرض عنها ، وراح يخشى الله في التصدي لها والقرب منها ، كم من نار ضلال أحمد ، ونور هدى أوقد . وكان (ره) متكئاً على وسادته ، جالساً فوق سرير حكومته ، والناس من داخل وخارج شاهقة الأبصار إلى علا قدره ، وسامي فخره» .

فما زال على هذا النمط من التسجيّعات والفقرات ، التي توجب الملل والتطويل . وأنت خبير أن مثل هذا الشيخ المحقق الذي إنتشرت تلاميذه في جميع الآفاق ، وعنه صدرت هذه التحقيقات التي هي اليوم في أيدي الناس غنيّة عن مثل هذا القبيل ، الذي سلكه هذا (السيد) النبيل ، بل الواجب ذكر كراماته ، وبعض وقائعه وحكاياته ، ومساعيه وحالاته ، وليأنس الناظر بطلّاعته ، ويستفيد بمراجعته . وإلا فكون الناس رجعت إليه ، وعولت في الأحكام عليه ، بما لم يكده ، أن يخفى على أحد ، في كلّ صقع وبلد .

وقد إلتفت إلى ما قلناه ولكن اعتذر باعتذارات واهية ، غير شافية ، فقال بعد كلام في تفصيل وفاة الشيخ (ره) :

وقد أقام في (نينوى)<sup>(١)</sup> بُرْهَةً من الزمان فناداه رائد المنية ، المتردد في البرية ، فأجابه مُجَدِّدًا بَسْرَاه ، فشايعه أهل (كربلاء) كافة حتى وصلوا به إلى منتصف الطريق ، فتلقاهم القاطنون في (النجف) وحملوه على الأيدي والرؤوس كافة الطريق . حتى وضعوه في حفرة قرب أبيه ، وصار له يوم مهول كيوم مقتل الحسين (ع) ، وكَثُرَ فيه البكاء والعيول والنوح والضجيج ، وهتك الستور ، ونشر الشعور ، من ربّات الخدور .

ثم قال : «وكان الواجب علينا تعداد مناقب هذا الأسطوانة الوحيد ، والعلامة الفريد ، منقبة منقبة ليكون المتتبع ذا خبرة ودرة ، بما كان له منه وعنه ، من جزئي وكلي ، ولكن منع ذلك :

أولاً : منافاته غرض الأتمام ، في يسير من الأيام .

وثانياً : كون صفاته لا تعدّ ، ولا يوقف لها على حدّ .

وثالثاً : كونه غنيّ عن ذلك بما تشهد له الشمس في رابعة النهار .

ورابعاً : أنني لست من المعاصرين له .

إلى أن قال : وقد أعقب خمسة أولاد ذكور ، هم للعلوم بحور ، العلامة مُحَمَّدٌ ، والمهدي الأوحد ، وجعفر الفضل المؤيد ، السابق ذكرهم ، والحبیب ، والعباس الآتي ذكرهما . إنتهى .

### في أحوال الشيخ مُحَمَّد ابن الشيخ الكبير

ثم رجع الأمر والتقليد ، والنهوض بتأييد أمر الدين والتشييد ، إلى أخيه فريد الدهر وعلامة الزمن ، حجة الإسلام والمسلمين ، مؤيد الملّة والدين ، شيخنا الشيخ حسن .

كان بحر علم ثَجَّاج ، متدافع الأمواج ، بعيدة سواحله ، كثيرة جداوله ، يتراكم موجه ، ولا يدرك لُجَّه ، بعيد الصيت ، قريب النائل ، متعب المناضل والمساجل ، مع زهد وتقوى ،

(١) كانت مدينة (كربلاء) عبارة عن مجموعة قُرى في العصر البابلي ؛ منها : نينوى ، الغاصرية ، النواويس ، وعقر بابل . وقد غلب اسم إحدى هذه القُرى وهي (كربلاء) على المدينة . وأُلحق اسم (الحائر) عليها بعد مدفن الإمام الحسين (ع) فيها .

وحلم يعجز عنهما (يذبل) و(رضوى)، اجتهد في أيام أبيه، وجعل يجهد في تحصيل مساعيه ومعاليه، فنال منها الغاية القصوى، والمنزلة العليا، والكلمة الحسنى.

ثم حضر بعد وفاة أبيه، على موسى أخيه. فلما توفي رأى بنفسه الاستغناء من الحضور على أحد، وقابلية الاستقلال إذا انفرد، فهاجر إلى الحلة، احتراماً لأخيه الذي أجمعت على تقديمه على سائر الناس علماء الملة. وينسب له، (ولا أظن صحته)، أنه قال لأخيه: أنا أولى منك بهذا المقام، والجلوس بمحل آبائي الكرام، لأن (والدنا) قد اشترط الأعلم، وأنا اليوم هو ذاك. فقال له أخوه: لا ينبغي المجادلة والمنازعة، ولكنني أسير إلى كربلاء، وقم أنت مقامي، فأنت ارتضيتك الطلبة فيها، وإلا فأنت أعلم بتكليفك.

فلما إرتحل الشيخ لم يبق في النجف مشغول واحد وارتحلوا خلفه، فصار يباحثهم في كربلاء. فسار الشيخ حسن إليه، وأرجعه إلى محله، وهاجر إلى الحلة.

فما زالت تظهر منه لأهلها الكرامات الباهرات، والآيات المعجزات، على يده حتى اعتقدوا فيه رتبة الإمامة، وأحلوه بتلك المنزلة والمقامة. إلى أن توفي أخوه، فرجع إلى القيام بمراسم (المرجعية)، والتحلي بهاتيك المراتب العلية.

وانحصر أمر الإمامة به، وبسميه صاحب «الجواهر»، وكان قد استقل بعد الشيخ موسى واشتهر أمره، وذاع ذكره، وتعد صيته بعد الشيخ علي، فبقيا للشريعة علمين منصوبين، حافظين مسددين، حارسين لها، مانعين الأذى عنها. كان رجوع العجم إلى سميّه أكثر، وهو عند (العرب) أعظم قدراً وأشهر.

### في أحوال الشيخ حسن بن الشيخ جعفر

وقد صنف في أحواله خلفه الطاهر المطهر، العباس بن الحسن بن جعفر رسالة في (نبذة) من أحوال أبيه<sup>(١)</sup>، شكر الله مساعيه.

وقد ذكر فيها له من الكرامات ما يُبهر الألباب والعقول، وتتحير به العلماء الفحول. وقد أجاز لي أيده الله وأبقاه، رواية ما ذكر فيها عنه، عن رجاله (محمّد والمهدي)، وعن السيد عبد الباقي (تلميذ أبيه وخاصته)، وعن عبد الغمري، وملا حسين، وملا حمزة (من أهل الحلة)، وغيرهم ممن عاصره وسمع منه من الثقات الذين يطمئن بهم. وقد ذكر في صدر رسالته «مسائل علمية وتحقيقات فقهية» مما استفتي بها من آفاق الأرض فأجاب عنها على

(١) سماها «نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري».

البديهة . ضربنا عنها صفحاً لأن فقاھته لا تحتاج إلى بيان ، وإنما ذكرها العم ، أدام الباري وجوده ، لارتباط لها جزئي بأحوال الشيخ (عطر الله مرقده) ، ولم يكن فضله ليخفى على أحد . كيف وقد قال صاحب «قصص العلماء» ما هذا نصّه :

كان الشيخ حسن فقيهاً كاملاً ، وقد حضرتُ بعض مجالس درسه . وباعتقادي أنّه كان مُتقدماً بالفقه على الشيخ مُحمّد حسن ، مضافاً إلى إحاطته بعلم الأصول ، وبده الطُولى في علم الكلام<sup>(١)</sup> .

وقال السيد المحيط المتبحّر صاحب كتاب «روضات الجنّات» في كتابه هذا ، (ما هذا نصّه) :

مفخر فقهاء الدهور ، الشيخ حسن بن الشيخ جعفر النجفي الفقيه المتفرد المشهور ، هو أيضاً من أجلاء علماء زماننا ، وكبراء نبلاء أواننا ، منتهياً إليه أمر الفقاھة في الدين ، ورياسة سلسلة العلماء المجتهدين ، سهيماً لسميّه المتقدم<sup>(٢)</sup> فيما قدّ أُشير إليه من المراتب ، وقسيماً في غالب ما أقيم عليه من المناصب ، بل هو عند العرب الشيعة أكثر احتراماً ، وأجلّ مقاماً ، ويقيم الجماعة في مسجد والده المرحوم ، ويصلي خلفه الخلق الكثير ، ويدرس الفقه في منزله المقدس بالنجف الأشرف بلسانه العربي المبين ، وحوزته الباهرة في هذه الأواخر أجمع ، وأوسع وأسدّ ، وأنفع من سائر مدارس الفقهاء ، ومن غاية تسلّطه في (الفن) ومهاراته العجيبة ، أنّه ليس يتأمل في مسألة كثيراً ، بل يمشي سريعاً ، ويطوي مراحل الفقه ، بأهون ما يكون ، وأحسن ما يهون .

وكان قبل وفاة أخيه الشيخ علي قاطناً في الحلّة المحروسة ، ثم انتقل من بعده إلى ذلك المقام المحمود لخلافة الماضين ، والقيام بحق الرئاسة في الدين ، إلا أن مرجع فتاوى الأقطار ، وتقليدات أهالي الديار ، من بعد ارتحال نيري العجم المرحومين إلى (سميّه) المتقدم أكثر منه .

وله من المصنفات الفاخرة كتاب في الفقه كبير استوفى فيه الأدلة والأحكام ، وظفرتُ ببعض مصنفاته بأصبهان<sup>(٣)</sup> ، فكأنّ عيناً لم تر مثله في كثرة التفريع ، والأحاطة بنوادر الفقه ، والاستقامة بطريق الاستدلال<sup>(٤)</sup> . إنتهى محل الحاجة منه .

ولنذكر قبل كراماته ، ما ذكره خلفه ، (أدام الله وجوده) ، في صدر (نبذته) من أحواله .

(١) قصص العلماء ، ص ١٨٥ .

(٢) هو الشيخ مُحمّد حسن النجفي صاحب «الجواهر» . وكان الخونساري قدّ أوردَ ترجمته قبل ترجمة الشيخ حسن كاشف الغطاء في كتابه روضات الجنّات .

(٣) في نسخة «روضات الجنّات» المطبوعة : «وظفرتُ على بعض مجلدات له في أبواب المعاملات بأصبهان» .

(٤) روضات الجنّات ، ج ٢ ، ص ٣٠٦ .

# نُبذة الغري

## في أحوال الحسن الجعفري (\*)

للشيخ عباس بن الشيخ حسن كاشف الغطاء المتوفى سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م

قال (أيده الله) ما هذا نصّه :

هو ركنُ الشريعة ، ومغيثُ الشيعة ، العلمُ المؤتمن ، بحرُ الهداية الشيخ حسن . ولد في النجف ، وأرّخه النحوي<sup>(١)</sup> بأمر والده بقوله :

أهلاً بمولود له التاريخُ (قَدْ أَنْبَتَهُ اللَّهُ نَبَاتاً حَسَنًا)<sup>(٢)</sup>

وأحرز المعقول والمنقول في صباه ، حتى صار فقيه عصره ، وعلامة دهره . كان فاضلاً ورعاً زاهداً ، على خلق عظيم ، لا تُحصى مفاخره ، ولا تُستقصى آثاره .

قال الشيخ محسن الملقب بخنفر<sup>(٣)</sup> (من العلماء المجتهدين المقلّدين) : إن الشيخ حسن لا

---

(\*) «نُبذة الغري» رسالة تاريخية تضمنت (من خلال ترجمة سيرة أحد أعلام الإمامية مترجماً بقلم ولده) إثبات وقائع تاريخية لم تُدوّن في أي مصدر آخر . وأهمية هذه الرسالة أنّ مؤلفها إستقى هذه الوقائع من منابعها الأصلية التي شهدا ، وعاصرها . وقد فرغ منها سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م ، كما وضع لها تكملة سنة ١٣١٨هـ / ١٩٠٠م .

ويلاحظ أنّ مؤلف «العبيقات» بعد أن أثبت هذه الرسالة فأثّه إستغنى عن الاستطرادات التي لا تمت إلى مؤلفه بصلة . وقد أشار إليها ضمناً ، واقتصر على تسجيل الوقائع التاريخية فقط . كما علّق على الرسالة بتعليقات نافعة ، وأضاف إلى بعض الحوادث مسموعاته ، ومروياته عنها .

(١) هو الشيخ محمد رضا النحوي المتوفى سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م .

(٢) سنة ولادة الشيخ حسن كاشف الغطاء هي ١٢٠١هـ / ١٧٨٧م .

(٣) توفى سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م .

أرى أفضل منه في المتقدمين ولا في المتأخرين . وسئل يوماً عنه وعن أبيه كاشف الغطاء ،  
فأجاب : هو أفضل .

ومختصراً أقول : هو كما قال القائل :

سَلَّ عَنْهُ وَاخْبَرْ بِهِ وَاَنْظُرْ إِلَيْهِ تَجِدْ      مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْأَفْوَاهَ وَالْمَقَلَّ  
وَأَنَّ قَوْلِي هَذَا عَيْلِمٌ عَلِمٌ      ضَرَبَ الزَّجَاجَ لِنُورِ اللَّهِ فِي الْمَثَلِ

إجتهد وعمل برأيه قبل أن يكمل العشرين ، وتلمذ على عدة مشايخ أجازوه في  
الرواية ، وحكموا له بالاجتهاد ، منهم : والده الشيخ الأكبر ، وأخوه موسى بن جعفر ،  
والسيد جواد العاملي ، والشيخ أسد الله التستري ، والمحدث السيد عبد الله شبر ، والشيخ  
علي البحراني ، والشيخ سليمان القطيفي ، وغيرهم ممن ذكرهم إجمالاً .

نشأ في النجف وأكبَّ على تحصيل العلوم حتى استغنى ، واجتهد في العبادة حتى نال  
منها القدر المهنأ ، وأقام برهة في الحلة الفيحاء لما كان أخوه الشيخ علي هو المرجع في  
النجف .

ولما انتقل الشيخ علي إلى دار القرار رجع إلى النجف ، واشتغل بالتدريس واجتمع عليه  
العلماء والفضلاء . تلمذ عليه واستجازه كثير من العلماء المُعْتَبَرِينَ كالسيد مهدي  
القزويني ، والشيخ مشكور الحولوي<sup>(١)</sup> ، والشيخ جواد نجف<sup>(٢)</sup> ، والحاج مُلّا علي ابن المرحوم  
ميرزا خليل الطبيب<sup>(٣)</sup> ، وأخوه الحاج ميرزا حسين سلمه الله ، (وأظن أنه لم يبق في عصرنا  
من تلمذ عليه غيره)<sup>(٤)</sup> ، وشيخنا المرتضى الأنصاري ، والملا مُحمّد الأيرواني<sup>(٥)</sup> ، والشيخ  
عبد الحسين الطهراني<sup>(٦)</sup> ، والسيد حسين بحر العلوم<sup>(٧)</sup> ، والسيد علي نقی الحائري<sup>(٨)</sup> (نجل

(١) الشيخ مشكور الحولوي ولد سنة ١٢٠٣هـ / ١٧٨٩م ، وتوفي سنة ١٢٧٣هـ / ١٨٥٧م .

(٢) الشيخ جواد بن الشيخ حسين نجف ، كان مشتهراً بالزهادة توفي سنة ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م .

(٣) المُلّا علي بن الميرزا خليل من كبار علماء زمانه ، وُلد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وتوفي سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م .

(٤) الميرزا حسين الميرزا خليل من كبار المجتهدين . توفي سنة ١٣٢٦هـ / ١٩٠٨م .

(٥) الشيخ مُحمّد الأيرواني ولد سنة ١٢٣٢هـ / ١٨١٧م ، وتوفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م .

(٦) الشيخ عبد الحسين الطهراني توفي سنة ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م .

(٧) السيد حسين بن السيد رضا بن السيد مهدي بحر العلوم . وُلد سنة ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م ، وتوفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م .

(٨) السيد علي نقی بن السيد حسين بن السيد مُحمّد المُجاهد بن السيد مير علي الطباطبائي صاحب  
«الرياض» . توفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .

صاحب الرياض) ، والشيخ جعفر الشوشتری الدزفولي<sup>(١)</sup> ، وغيرهم من لُحْمَتِهِ .

وأدنى الناس منه بمن تبنّاه : الشيخ مُحَمَّد والشيخ مهدي (ولدا أخيه الشيخ علي) ، والشيخ راضي ابن أخته وابن عمه ، (وكان أقرب الناس إليه سفيراً وحضراً) ، ومؤتمنه على ما في يده ، ووصيته من بعده الشيخ مهدي ابن أخيه ، وأكثر ما أروي من كراماته ومعجزاته (غير ما شاهدته) عنه ، وعن ابن أخته الشيخ راضي .

عاش أكثر من ستين سنة وتوفي ليلة الأربعاء لثمان وعشرين خلون من شهر شوال سنة ١٢٦٢<sup>(٢)</sup> ، وافتجع له الصغير والكبير وكان يوماً لم يُرَ في النجف أعظم منه فجعة .

وله من التصانيف كتاب «أنوار الفقاهة» في كُلِّ الفقه (إلا الصيد ، والذبابة ، والحدود ، والديّات ، والسَّبَق ، والرماية) ، وشرح مقدمة كشف الغطاء ، ورسائل عملية ، ورسالة في الأمامة ، وأخرى في علوم متفرقة ، لكن لم يخرجها إلى البياض ، وله شرح القواعد على نهج شرح والده في البيع .

وحدثني المهدي قال : وردت على عمّي الحسن عدة مسائل من آذربيجان ، فقال لي : يا مهدي إقرأها لي مسألة مسألة وأنا أجيب عليها وأنت أكتب . قال : فوالله لقد قرأتها وهو يذكر الجواب وأنا أكتب حتى انتهت بأقل من ساعة ولم يتفكّر ولا تأمل بلّ يجيب على رسله ، وهي من أشكال المسائل ، فرسمتها عندي . (ثم أخذ جناب العم أبقاه الله يذكر المسائل) .

أقول<sup>(٣)</sup> : وأظن أن مراد الشيخ محسن خنفر بقوله : إنَّ الشيخ حسن أفضل من أبيه ما هو المشهور من أن (ولد العالم نصف العالم) ، فكان الشيخ حسن (عالم ونصف) ، وإن كان والد الشيخ الكبير أيضاً (عالم) ، ولكن الفرق نسبي .

ثم أن العم يروي أيضاً عن تلميذ أبيه وخاصته الملازمين لخدمته ليلاً ونهاراً العالم التحرير الشيخ مُحَمَّد باقر ابن أخته خلف المرحوم الشيخ مُحَمَّد تقي (صاحب الحاشية) ، والثاني السيد عبد الباقي الجيلاني الرشتي .

(١) الشيخ جعفر الشوشتری الدزفولي ، من كبار الواعظين ، توفي سنة ١٣٠٣ هـ / ١٨٨٦ م .

(٢) الموافقة لسنة ١٨٤٦ م .

(٣) الكلام هنا للشيخ مُحَمَّد حسين كاشف الغطاء مُعلّقاً على رسالة الشيخ عباس .

## أجوبة المسائل الاعتقادية

ولا بأس من أن نذكر بعض ما ذكره العمّ بما سُئل به والده (عَظَرُ اللَّهِ مَرَقْدَهُ) من المسائل الاعتقادية .

### المعاد الجسماني

فمنها : سُئِلَ عن المعاد الجسماني ، أجاب بتحقيقه وأن منكره كافر يحكم عليه بالارتداد .

### الاعتقاد بالحشر

وسُئِلَ عن العلم أو الظن بالحشر والنشر والبرزخ وأمثالها إجمالاً يجب أم تفصيلاً مهما أمكن .

أجاب : إن الأجمال كاف والخوض في تفاصيلها قد يحرم .

### العصمة والاختيار

وسُئِلَ أن العصمة في النبي (ص) والأمام (ع) تنفي الاختيار لهم ، أجاب : إنها لا تسلب الاختيار وإنما هي بمعنى عدم صدور خلاف الراجح منهم بما هو مختار فيه .

### علم النبي والأئمة بالغيب

وسُئِلَ عن علمهم بالغيب أحضوري أم إرادي؟

أجاب : أن علمهم بالأحكام حتى إرش الخدش لا ريب في كونه حضورياً ، وأما ما سوى ذلك فلي فيه تردد ، ولا يبعد أن العلم الذي لا يساوق علم الله تعالى ويساويه ثابت لهم لوجوب اتصافهم بأحسن الأوصاف بما يمكن اتصاف الممكن فيه .

### في سهو النبي (ص)

وسُئِلَ عن سهو النبي (ص) أجاب : إن كان السهو بمعنى أنه قد يتغافل عنه وهو مركز في خزانة خاطره فهو بما لا مانع منه كالنوم الذي يعرض له ، وإن كان بمعنى خروجه عنها أو فعله لعمل يطابقه فالأجماع على خلافه ، بل العقل يمنعه ، نعم صيرورته كالناسي من جهة أغراضه أو لغرض شرعي آخر لا مانع منه وعليه ينزل كلام الصدوق<sup>(١)</sup> لأنه يقول

(١) الشيخ الصدوق هو مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ، أحد محدثي الشيعة له مؤلفات غزيرة أهمها كتابه «مَنْ لَا يُحْضِرُهُ الْفَقِيه» الذي هو أحد كتب الحديث المعتبرة عند الإمامية . تُوْفِيَ سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م .



(سهو كسهو البشر) فأنه مخالف لما تعتقده الإمامية ، وحاشاه من ذلك . وكيف تؤخذ الأحكام الشرعية من سهو أو ينسى ولا تنفع أصالة عدم السهو فيه إذ لو ثبت في حقه لأورث العلم الأجمالي بوقوع ما طابقه في التكليف فيجب الفحص ولا يمكن التعبد بما قبله وهو خلاف مذهبنا ، أعاذنا الله تعالى من ذلك . وإن كان كالتقية في الأخبار والنسيان أيضاً كذلك . وما ورد مما يوهم ذلك يلزم التصرف فيه أو الاعراض عنه وهو غير عزيز في السنة .

### روايات المبالغة في التعزية

وسُئِلَ عما يقوله الذاكرون في تعزية سيد الشهداء مما يظن كذبه أيجوز الردع .  
أجاب : يجوز مع العلم أو الظن المتأخم له .

### العمل بالطلسمات

وسُئِلَ عن الطلسمات والأوراد والأختام الموجودة عند المرتاضين والدراويش المتصوفين يجوز العمل بها أم لا ؟

أجاب : يلزم الرجوع في كل واقعة إلى حاكم الشرع ولا يجوز العمل بحكم من الأحكام إلا عن اجتهاد أو تقليد إلا ما كان ضروري المشروع كزيارة الأئمة (ع) وأمثالها .

### الصلاة خلف الأخباري

وسُئِلَ عن الصلاة خلف (الأخباري) ، وبعض من يُقال له (شيخي) مع إحراز العدالة .  
أجاب : أمّا الأخباري فلا بأس بها خلفه إذا طابق علمه رأي مجتهد من الأحياء ، وأمّا (الشيخي) فهو مجهول الحال عندي ، فإنّ صحّ ما ينسب إليه مما يخالف ضروري الدين فلا صحة للصلاة خلفه ، بل لا يجوز مخالطته واستماع شبهه ، وإن لم يصحّ ذلك فلا تجدي التسمية في المنع عن الصلاة .

### في أحوال الشيخ أحمد الأحسائي

وسُئِلَ عن حال الشيخ أحمد زين الدين<sup>(١)</sup> وبعض من تبعه من المقدسين وما ينسب له .

---

(١) الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي ولد سنة ١١٦٦ هـ / ١٧٥٣ م ، وتوفي سنة ١٢٤١ هـ / ١٨٢٦ م . وإليه تُنسب الفرقة (الشيخية) .

أجاب : بأني أدركتُ الشيخ المرقوم وكان تقياً ورعاً زاهداً مواظباً على الطاعات ، ورأيتُ جماعة من العلماء الفحول يقتدون به في النجف . ولما انتقل إلى دار القرار نُسبت إليه بعض المزخرفات وبعض الاعتقادات الفاسدة في بعض رسائله ، (ولم تثبت النسبة عندنا) فلا يصحّ ثلّبه وانتقاصه إلاّ بعد القطع بصدور ما ينافي الدين منه . وإذا وهم ذلك من بعض رسائله فأنت قطع بأنها له وأنها ليست مما ينسب إليه لغرض دنيوي فإن أمكن حملها على معنى يطابق الشرع يلزم ذلك عملاً بقوله (ص) : «إحمل أخاك المؤمن على أحسنه» ، وإن لم يمكن الحمل ولم يمكن إجراء الشبهة في حقه عمل القاطع فيما بينه وبين ربه بما يقطع به لا عن عناد وعصبية إذا توقف على معرفة ما هو عليه أثر شرعي يلزم العمل به ، وإلا فقد رفع الله عنكم أشياء فلا تتكلفوها .

وأما بعض من تبعه فلا يبعد القول بأنهم مضلون لا ضالّين لأجل تحصيل قليل من حطام العيش وعدم قابليتهم لتحصيل العلوم الدينية فأخذوا يتوصلون إلى العوام بأشياء في حق أئمتهم (ع) ما يدخلهم في المغالين .

وعوام الشيعة من فرط حبهم لأهل البيت (ع) يقبلون كلما يقال فيهم فصار ذلك شركاً وفخاً لأمر معاشهم ورئاستهم ، فكان ذلك من حبال الشيطان ، وقد أوقع فيه كثيراً من الناس من حيث لا يشعرون (أعاذنا الله من ذلك) .

فأوصي إخواني أن يحرروا أنفسهم من الغوائل ، ويطلبوا الحق حثيثاً ولا تأخذهم العصبية وأن يسلوكوا الطريقة الوسطى التي عليها عامة الشيعة من عهد الأئمة (ع) إلى زماننا هذا ، فأنت السلف الصالح من أصحاب الأئمة (ع) وحواريهم والعلماء الراشدين من عهد الكليني<sup>(١)</sup> إلى الآن لم يتركوا شيئاً في الأخلاق ، ولا في الأصول والفروع إلاّ وذكره ، وإلى أئمتهم أسندوه ، فالسعيد من نهج منهجهم واقتفى أثرهم ورفض الشاذ النادر ولم يحتفل به كما ورد ذلك عنهم (ع) . وما جاء مروياً عنهم من الألغاز والمعميات أو كَلَّ أمره إليهم . ألا وإن الشيطان قيّض بمكره وخدعه جماعة من أهل الفساد والخديعة إلى أن دسّوا في الأخبار أخباراً كثيرة ورووها عن الثقات ، فصارت سبباً لعروض الشبهات ، فلا بُدَّ للناقد البصير أن يبذل جهده في الرجوع إلى من عرف لسانهم ويُبَحِّر فيما ورد عنهم من أدركوا

(١) مُحَمَّد بن يعقوب الكليني من كبار العلماء والمحدثين ، وكتابه «الكافي» في علم الحديث أول كتاب جمع الأحاديث الشيعية الأثنا عشرية . وهو أحد الكتب الحديثية الأربعة التي أُلِّفَتْ في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي .

شرف الحضور كزرارة<sup>(١)</sup> وغيره من أهل الأجماع وأن ينظر في الأصول الأربعمئة<sup>(٢)</sup> ويلاحظ ما جمعه العلماء المتقدمون من قارب عصر الأئمة وما حرره المتأخرون من والاهم وتلاهم من عهد المفيد<sup>(٣)</sup>، والشيخ<sup>(٤)</sup> إلى زماننا فيدين الله بما دانوا به .

ولقد إطلعتُ على رسالة لبعض أهل هذه النسبة ممن تبعه خَلَقٌ كثير ، واشتهر بينهم بالفضل والعلم فتصفّحتها لأنظر ما فيها فإذا هي تشتمل على ثلاثة آلاف بيت كبيرة الحجم ، كثيرة الألفاظ في تفسير قوله تعالى : « ويسألونك عن الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ من أمر ربي » فذكر فيها ما لا يليق ذكره من المهملات والمزخرفات إلى أن انتهى قوله إلى أن الروح روح مطلق الوجود ، وروح الهيولى والجسم اللاهوتي وروح الملكوت والقدس ، ومجمعها النفس القدسية ، وروح في الأزل ، وإليه الإشارة بقول الأمير (ع) لكُميل بن زياد : « الحقيقة نورٌ أشرق من صُبح الأزل فبدت على هياكل التوحيد أنواره » فقلتُ : زدني بياناً ، فقال : « كَشَفُ سُبُحاتِ الجلال من غير إشارة » . . . إلخ ، حتى قال : إنَّ القليل المستثنى في الآية منحنا الله تعالى به وأخرج روح الملكوت منه لأنها والجسم قامت به من شؤون العالم التخيلي وهو من العوالم السبع وكم ادّعى البصيرة أعمى :

وكلُّ يدّعي وصلاً بليلي      وليلى لا تَقْرُلهم بذاكا  
إذا اشتبكت دموعٌ في خُدودٍ      تبين من بكى من تباكى

(إنتهى) .

فأقسمُ أنني لم أفهم من هاتيك الرسالة على طولها إلاّ البيتَين ، وكثيراً من العوام إذا تُلّي له منها شيء يهتز طرباً كأنه شرب السُّلاف ووقف على الحقيقة . والحال يبقى مدة لا يمكنه تعلّم (الفاتحة) ولا يفهم شيئاً من الرسالة حتى بالمعلم ، فانظر إلى كيد الشيطان ومكره حيث أهلك في هذا ومثله خلقاً كثيراً .

والحاصل أن المنحرف عما عليه عامة العلماء إن اعتقده فهو ضالّ مضلّ ، وإن لم يعتقده بلّ للندى فهو مضلّ غير ضالّ . وعلى كُلِّ حال فتجنّب هؤلاء وشبههم المخالفة للجم الغفير

(١) زرارة آل أعين من كبار علماء الشيعة ومحدثيهم ، تُوُفِيَ سنة ١١٥٠هـ / ٧٦٧م .  
(٢) الأصول الأربعمئة : مجاميع حديثة كتبها تلامذة الأمامين الباقر والصادق (ع) ، قيل : إنها أربعمئة كتاب لأربعمئة مؤلف . وهي من إملاءات الأمامين الباقرين (ع) ولا توجد منها إلا (٣٦) أصلاً ، وأغلبها ضُمّ إلى كتب الحديث الشيعية كالكافي .  
(٣) الشيخ المفيد تُوُفِيَ سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م .  
(٤) (الشيخ) هو الشيخ الطوسي الملقب بشيخ الطائفة المتوفى سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨م .

من الفرقة الحقّة أسلم للدين والدنيا . إنتهى .

### الجبر في أفعال العباد

وسئل عن مسألة الجبر في أفعال العباد .

فأجاب : إنّ الاختيار الذي يكون سبباً لترتب الآثار الشرعية هو عدم القهر المحسوس ومقالة أن هناك قهراً غير محسوس ومقهورية لا يدركها الفاعل المختار في أفعاله حساً فلا نفهم له معنى محصلاً ولا دخل لعلّة العلل ، وانتفاء الأسباب بالمسبب وسبق العلم في أفعال العباد في ذلك أصلاً ، وإلا للزم الجبر في المبدأ وهو باطل .

### في كراماته

ولنشرع في ذكر كراماته ، وهي (كما ذكر العم سلّمهُ الله) لا تحصى ، ونحن نذكر عنه نبذة منها .

فمن ذلك ما رواه عن السيد عبد الباقي الجيلاني وهو من العلماء الفحول قال : إنقطع عني ما كنت أقتات به مما كان يأتيني من (كيلان) حتى ضاق صدري ، وكثر ديني واشتد عليّ الأمر ، وكنت مبتلى بعيال وأولاد ، فزارني الأستاذ الحسن بن جعفر يوماً ورأى أنني لست كما كنت عليه أولاً ، وأنا كالمبهوت ، فاستشعر ذلك مني ، وكنت أخفي عليه وعلى غيره ، فقال : مادهاك؟ فأصرّ عليّ حتى كشفت له ستري وأخبرته بأمرى . فقال : لِمَ لم تخبرني فأدعوك ، قلت : الحياء .

فبسط راحتيه وقال : «اللهم أكشف ضرّه بمحمد وآله» ، كررها ثلاثاً ولم يُزد .

قال : فبقيتُ يومين فصادف الجمعة فخرجت إلى الحرم الشريف للزيارة فشاهدت بعض الغرباء من الأعاجم ، فتصفحتهم فلم أجد فيهم مَنْ هو من بلدي . فلما أكملت الزيارة وإذا بقاصد منهم لي فسلم عليّ سلام العارف ، فقلت : من الرجل؟ قال : من حوالي (رشت) ، قلت : أتعرفني؟ قال : نعم .

ثم سألت عن تفصيل أحواله حتى قال : لي إليك حاجة فخذني إلى دارك ففعلت . فلما استقر قال : إني سافرت إلى بغداد تاجراً وما نصّ العروض وقبضت بدله إلا هذه الأيام ، فأردت الرجوع إلى أهلي إلا أنني زرت الأمير (ع) أول توجّهي فاستوحشت من الطريق وبقيت أنتظر مسير قافلة فيها منعة فلم يتيسر لي ، فوقع في نفسي الجئ إلى النجف

لأدفع الدراهم لمن يتيسر لي من أعتمد عليه بطريق الحوالة .

فسألته : عن عروض ذلك له وفي أي وقت كان .

قال : يوم الأربعاء عند الدلوك .

فإذا هو الوقت الذي دعا لي فيه الأستاذ ، فبهتّ وتعجبت وحمدت الله وشكرته إذ منحني القرب من مثل هذا المولى المشابه فعله لما ينقل لنا عن الأئمة (ع) .

ثم قلت : أعطيني مالك وأنا أحييك؟

قال : ومن أحسن منك . فاستخرج المال من (هميانه) فكان أكثر من ستمائة تومان . فوفيت ديني وصلح حالي ، ثم أني لم أجد بعدها فاقة أبداً حتى تزوجت العلوية الطاهرة بنت بحر العلوم ، ورجعت بعد وفاته إلى أهلي ووطني فأمدني الله بسعة الرزق ، ووفقتني لأحياء السنن . فما برحت أتلو أحاديث فضله حتى الساعة .

ومنها : ما حدث به الحاج الملقب بأبي صفقات من أخيار الحلة الملازمين للشيخ ، قال : تولّى أمرنا ظالم غشوم من (البيگات) فأفرط في الظلم وسامنا الحسّف حتى صلب من أهالي الحلة جماعة على الجسر ، وألقى منهم في الفرات آخرين . وشكوناه إلى (الوالي) فلم يسمع ، والشيخ إذ ذاك في الحلة ، فأسرع الناس أفواجا إلى بيته وشكوا إليه حاكمهم .

فقال : هونوا عليكم الليلة أدعوا الله عليه .

فسكتوا كأنهم يأسوا بما أرادوه أن يكتب إلى الوالي بعزله ، وذهبوا غير راضين . فلما أصبحنا سألت الشيخ عن دعائه على الرجل ، قال : نعم .

فوالله ما دارت الجمعة حتى سمعنا الواعية في داره ، فسألنا فقيل : (بيك) الحلة أصبح مقتولاً . فبحث عن قاتله فكان أمرد شرب معه الخمر فقتله وهو سكران . فلم يتبل بقتله أحد من الناس .

وذكر له جناب العم من هذا القبيل أشياء كثيرة . منها أن الأنهار جفت ويبست المزارع ، فشكت الأعراب إليه ذلك ، فضربها بعصاه وتوسّل بالحجة (ع) ، فما أمسى المساء إلّا والماء قد ملأ المصانع والأنهار .

إلى غير ذلك من الكرامات ، حتى قال : ومن كراماته بالحلة قضيته المشهورة المنقولة عن لسان جم غفير من أهاليها .

قالوا : إجتماعنا ليلة عند الحسن بن جعفر ونحن عدة ثلاثين فنأدى على العشاء فجئى له بطبق فيه آنية بها قليل من الأرز فقط وبياضه يخطف بالأبصار كأنه بياض مصر أو بحيرة ساوة . فقال : أتعلمون بما بياضه؟

فقلنا : الله ووليه أعلم .

قال : لأن الناس تكسو طبيخها بالدهن ، وأظن أن والده عباس تستخرج دهن طبيخها .

فضحكنا خفياً هيبة له .

ثم قال : يا شيخ عبد هذا لا يؤكل بلا إدام . فقال الغمري وهو من خدام الشيخ : والله ما عندنا شئ من الأدام .

فقال الشيخ : خذ (الأجانة)<sup>(١)</sup> واثنتا بلبن من السوق .

قال الغمري : يا مولانا عادة أهل الحلة تغلق دكاكينها قبل الغروب ولا يبقى في السوق أحد ، والآن ذهب ثلث الليل . واستشهد بنا فشهدنا على ذلك ، فشهدنا جميعاً .

فقال الشيخ : إمض يا غمري لما أمرتك به .

قال الغمري : فأخذتُ (الأجانة) ومضيت إلى السوق المحاذي لمقعد ابن طاووس (ره) وأنا متعجب من إصرار (مولاي) بما يعلم أنه على خلاف العادة .

فمضيت إلى السوق فوجدت الحارس في أوله . قال : ما وراءك؟ قلت : أرسلني الشيخ على لبن . فضحك وقال : إن كان الشيخ لا يدري بعادة أهل الحلة فأنت تدري . قلت : لم يسمع مني ولا من الحاضرين .

فدخلنا السوق وإذا بـدكان موسى العجم آخر السوق فيه سراج . فقال الحارس : لا شك أن الشيخ أرسل إلى موسى العجم بذلك ففتح حانوته ، فامض إليه . ورجع الحارس عني .

فجئت ، وفيل أن أصل إليه نادى : يا غمري جئت لتأخذ اللبن؟

قلت : نعم .

فلما دنوت منه لم أعرفه ، فأضمرت أنه من بيت العجم بعثه رئيسهم الحاج حسن وله مع الشيخ خصوصية وإخلاص . فوضع في أجانتي زهاء ستة (أرطال) بالعراقي من دون

(١) ورد في هامش المخطوطة : الأجانة (هي الأناء الكبير) .

وزن .

فقلتُ : كم ثمنه؟

قال : أدرك الحسن قبل أن يتعشَّى .

وحيث ظننتُ أنَّ ذلك بأمر الشيخ لم أُطلِّ معه الكلام .

فلما انصرفتُ قال : «إقرأ الحسن عني السلام» . فقلتُ إن بيت (العجَّام) عوام العوام فمن أين له هذه العبارة ، وهم يقولون : «قَبِّلْ لي أيدي الشيخ» .

وأدركتُ الشيخ ينتظر فوضعتُه بين يديه فقال : هذا كثير . فقلتُ : دفعه إليَّ مَنْ أرسلتُ إليه وسألتُه اللبن ولم يأخذ مني بدله .

فقال : ويحك ، لَمْ أرسل على أحد بذلك وما اختلج في بالي هذا حتى أتيتني بالعشاء . فسكتُ ، وتناجى القوم بينهم . فلما أصبحنا أسرعْتُ مع مَنْ أسرع إلى بيت (العجَّام) فسألناه فأقسم أني لم أرسل إلى أحد ، ولم أر الشيخ من مدة ولا في حانوت (موسى) لبن . فاشتهرت هذه الكرامة عن الشيخ ، وعلمنا أنَّه مؤيد بروح القدس ، وأن صاحب اللبن هو صاحب الأمر (ع) أو أحد غلمانه . إنتهى .

ومنها : ما ملخصُه أنَّ زيارة (الغدير) شارفتُ ، والشيخ عندنا في الحلة ، فسأله بعض أصحابه عن تشرفه بأعتاب الأمير (ع) ، فأجاب : إني أهوى ذلك ولا زاد عندي ولا راحلة . وكان ممن يحضر مجلسه أغلب الأوقات الأديبان مُلا حسين ، والشيخ حمزة مريزة ، فقالا : نستقرض لك ما يكفيك بمن معك ما يوصلك إلى النجف من الدراهم ، وهناك أخوك العلي بن جعفر وهو اليوم عمود الأسلام ، ومرجع الأنام ، فردد عليه ونستجديه فلا ريب أن يوجد علينا بأكثر مما نصرفه ذهاباً وإياباً ، فما يمنعك من السير .

فقبل الشيخ ، ونهض الملاً وهياً له ما يحتاجه هو ومن معه ذهاباً وإياباً من حمولة وغيرها . وركب الشيخ ومن معه ، حتى دخلوا (الغري) وتفرق الجماعة وكانوا عشرة ، ومضى كُلٌّ إلى من يعتاد النزول عنده ، ومضى الشيخ إلى دارهم وليس معه غير الشيخ عباس الطهمازي كاتبه ، والعمري خادمه .

فلما صار العصر وكان من عادة أولاد الشيخ جعفر أنَّ العَلَمَ منهم يدرس صبحاً في مدرسة أبيه ويجلس قبل المغرب بها فتجتمع الناس ثمَّ للقضاء والمرافعة والقيام بحوائج

الناس . فدخل أصحاب الشيخ جميعاً لزيارة أخيه العليّ ، وبعد أن تمسّكوا بلثم يديه ابتدر الملا حسين وكان أديباً لساناً صحب العلماء ، ساعياً بالخير مع الأمراء ، له شعر رائق ولطائف مستحسنة . فخاطب الشيخ علي : يا مولانا أتينا مع أخيك وله ولنا حق عليك فاقض علينا مما في يدك وأحسن كما أحسن الله إليك ، فلقد ملكت زمام الأمور ، وأنت العليّ الذي يدور معك الجود والفضل حيثما تدور .

فالتفت الشيخ إليه مبتسماً وقال : إنعكس الأمر فأني ظننت أنكم جلبتم لي (الحقوق) التي أستعين بها على إعانة الفقراء والسادات من ذوي الحاجات فلقد حفت بي حتى صرت أستاذين لهم ، وقد تركت الحلة وما فيها لأخي . وكيفيكم أني أضفت شيخكم مع ما بي من الحاجة .

فقال الملا : يا مولانا أتقول ذلك هزلاً أم جدّاً؟

قال : هزل في جدّ ، وجدّ في هزل ، فابعت لنا ما أتيتنا به من الحلة من (الصوغة) فأنت النبي (ص) كان يقبل الهدية .

وأذن المؤذن في الأثناء للأعلام ، فقام إلى جامعهم وقمنا مع أخيه فصلينا خلفه والجامع تمتلئ بالعلماء . فلما انفتل من صلاته ، وأتم تعقيبه نهض وناداني وقال : إمض معنا إلى الدار لتنظر كيف ضيافة الأخ وتنال من طعامنا . فقلت : وأصحابي معي . قال : لا يكفي على ما أظن فأن بنوا على القناعة ، فحيّهل .

فجلسنا وخرج الطعام ووضّع بين أيدينا ، فتأملت وإذا هو بمقدار من طبخ لأجله ، فقال : تقدموا وبسملوا ، فقلت : لمّ نبسمل فأنت الجنّ لا تلج داركم وكم ولجت فلم تلق شيئاً حتى العظام التي هي طعامها كما في الخبر .

ثم غسلت وتقدمت وإذا فيه (أجانة) مملوءة بالمرق المعروف بالآش فطمعت بأن ألقى قطعة من لحم ، فأدرت فيه المغرفة فلم ألق إلا يسيراً لا يشفي علة ، ولا ينجع غلة ، فقال : أخرج اللحم وكل . فقلت : هو عند القصاب . فضحك وكان وقوراً مهاباً قليل الكلام ، عديم الضحك فأخرجت (الحسينية) من جيبتي وسجدت فقال : إن السجود لحسن فلم سجدت ، فقلت : الحمد لله الذي أراني نواجذك ، فقال : كُنتَ تظنني أدرأ<sup>(١)</sup>؟ فقلت : نعم إلا سنّ الطمع ، فضحك فقال : كلا لا يفوتك المرق أيضاً .

فلما رُفعت المائدة صاح : يا حاج إبراهيم الندّاف ، (وكان المنادى بيده تمام أموره ، غير أنه

(١) الأدرّ هو الشخص الذي ذهب أسنانه ، فلا يستطيع النطق .



قليل الأنصاف) ، فأجابه ، فقال : جئني بالصرّة التي دفعْتُها إليك البارحة . فتملّمل ، فغمزْتُه برجلي ، فنفر . قال الشيخ : ما دهاك؟

فقلتُ : غمزْتُه أنا لأشير له أنني أعطيك منها . فقال الشيخ : لا هذه طبيعته ، لكنك عارف بالمسالك .

ثم ألح عليه فمضى وأتى بالصرّة وإذا فيها قدر مائة دينار توازي ألف درهم ، فقال : خذها لك ولفقراء أصحابك . فالتفتُ إلى شيخنا الحسن فقلتُ : ما لك بهذا نصيب لأنني استنقذته بكذّ اليمين وعرق الجبين . فقال : نعم أسأل الله من فضله . ثم قبّلت يديهما وذهبت إلى مكاني .

فلما أصبحتُ تزوّدت لي ولأصحابي كسوة الشتاء حتى نفذت ولم أدفع للمكاري منها شيئاً ولا راجعت الشيخ في شيء منها ظناً بأن أخاه سيعطيه ما يكفيه . فلم أدِرْ أعطاهُ ، أو لم يقبل ، أو لم يُعطه .

حتى صار يوم المسير ، فأرسل إليّ الشيخ أنْ خُذْ لنا من الزاد ما يكفينا لنبيت الليلة في المسجد الأعظم . فسرنا إلى الكوفة وكان عندي وعند أصحابي من زاد أرباب الضيافة ما يكفيننا ويزيد ، ولم أسأل الشيخ عن شيء حياءً .

حتى وافينا (الكفل) ، فطالب المكاري بكرهه<sup>(١)</sup> . فقال الشيخ : حتى نصل الحلة . قلت : وليس عندك شيء . قال : لا . فاستقرضت من بعض أهل (الكفل) ودفعت له . فلما أصبحنا سرنا على بركة الله ساعتين .

وكان معنا حبيب تاج من أجلاء الحلة غير أنّه قليل المعرفة (عامي صرف) . فأشرفنا على نهر (الرارنجية) وكان نهراً عميقاً ليس له قنطرة والماء منقطع عنه فتشاغلنا بالعبور . وكان حبيب تاج مع بعض أصحابنا على خيل لهم ، وفرس حبيب من جيادها .

فلما صعد به الفرس على تل (الرارنجية) قَبَّلْنَا وجد إعرابياً على ظهر جواده بسفح التل فقال له الأعرابي : هذا الذي أنتم معه الحسن بن جعفر؟

قال حبيب : نعم .

قال : خذ هذا (الكيس) وادفعه إليه .

فتناول (الكيس) منه ورجع إلينا مسرعاً ولم يسأله عن شيء . فَوَجَدْنَا شارعين بصعود

(١) أي أجرته .

التلّ . فقال : يا شيخ هذا الأعرابي ناولني كيساً أرفعه إليك .

فأخذته الشيخ وقال : إرجع إليه وسلّه مَنْ أنت وما في هذا الكيس ، أهدية للشيخ أم حقٌّ من الحقوق هو؟

فرجع حبيب فلم يجد الأعرابي بمكانه وغمز فرسه وصاح : ما وجدته . فتبعه الفوارس فلم يجدوه . فتصفحوه من الجهات الأربع فلم يكن له أثر كأنما صعد إلى السماء أو دخل في جوف الأرض . وبقينا نتخبط الآكام والعوالي حتى وصل بعضنا الحلة .

فحرّك الشيخ دابته وقال : سيروا على بركة الله تعالى ، فهذا رزق ساقه الله إلينا . ووضع (الكيس) بجيبه ولم يُعلِّمنا بما فيه .

فلما وصلنا دفع إلينا ما استقرضناه ودفع غيره هدية وأوصانا بأخفاء هذا الأمر عن الناس . والحمد لله أولاً وآخراً .

### واقعة نجيب پاشا في كربلاء (عام ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م)

ومن كراماته على أهل النجف وأياديه السنية ، حيث أنجاهم من الهلكة وقد نشبت بهم أظفار المنية ، وذلك في واقعة نجيب پاشا<sup>(١)</sup> ، الذي أهلك أهل كربلاء جميعاً وأنعش الله أهل النجف بوجود الشيخ إنعاشاً .

ونحن نذكر عبارة العمّ (أيده الله) عند ذكرها فقد أداها بأحسن أسلوب وأبلغ عبارة ببيانه ، حتى كأنّ ينابيع الحكمة والبلاغة ضربت على لسانه . فأقسم أن لو اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثله لأقروا بالعجز ، ولما جاؤا بأبلغ مما جاء به ولا أوجز . قال (أدام الله أيام فيوضاته) ما نصّه :

ومن صنعه الحسن الجميل الذي وفقه الله تعالى له أنّه دفع الضيم عن أهل النجف بقرّاءة لوزير بغداد في السنة المؤرخة بغدير دم (١٢٥٨) . وخلاصة القصة أنّه لما انتقل أخوه الشيخ علي إلى دار القرار فجأة في كربلاء المشرفة عند المغرب وحُمِلَ على الأعناق إلى النجف انتقل الوالد من الحلة بأهله ، وجلس بمقام أبيه وأخويه ، وانتهى أمر التقليد إليه ، في سنة ١٢٥٣ ، وجمع بين العلم والرئاسة واشتغل بالتدريس وقطع بحزمه وجزمه نائرة

(١) تولّى منصب ولاية بغداد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م ، وعُزِلَ سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٨م . وكانت وفاته سنة ١٢٦٧هـ / ١٨٥٠م . وكان قد هجم على مدينة (كربلاء) بعد ثلاثة شهور من تولّيه منصبه وأوقع فيها القتل ليلة عرفة من شهر ذي الحجة ١٢٥٨هـ الموافق ليوم العاشر من شهر كانون الثاني سنة ١٨٤٢م .

الفرقتين الشريرتين الزقرت والشمرت ، وأمنَ به المهاجرون في طلب العلم حتى مضى له على ذلك مقدار من الزمن فعُزِلَ والي بغداد علي باشا<sup>(١)</sup> لبعض الحوادث التي أوجبت ذلك .

وتولّى بعده نجيب باشا وكان مُسنّاً ذا حزم وتدبير وهو الذي محا الفرقة الأنكجيرية في (قسطنطينة) بعد أن جهدت في ذلك الدولة العثمانية . فلما وصل إلى العراق واستقر بدار السلام مع العساكر الكثيرة ، وكان أول تنظيم العساكر بالطريق الذي هم عليه الآن أرسل أمراءه إلى الأطراف .

فأول من أظهر العصيان عليه أهالي كربلاء وهم (اليرمازية)<sup>(٢)</sup> وعميدهم السيد الزعفراني<sup>(٣)</sup> ، ويرجعون إلى السيد الصالح الداماد (من علماء كربلاء) ، ولهم شوكة وتبع ، فلما تحقق الوزير ذلك منهم استمالهم باللين ، فلم ينفع حتى قتلوا من أتباع الحكومة ثلاثة رجال . فصمّم رأيه أن يرسل عليهم من يسومهم الخسف . فأرسل لهم (سريّة) تبلغ الخمسة آلاف ، وأميرهم مصطفى باشا فضّ غليظ القلب جرئ فتاك ناصبي فخرج بعسكره من بغداد قاصداً كربلاء .

فلما أيقن ذلك رؤساء كربلاء استفزوا من حولهم من أهالي العراق فجاء بعض وتقاعد آخرون ، وتحصنوا بسورهم وعزموا على القتال . وفي كربلاء من الغرباء والمجاورين والعلماء خلق كثير . واثارت الحرب بينهم يومين أو ثلاث بعد حصارهم أياماً بلا حرب . ومنع عنهم (الميرة) من جميع الأطراف وهم يرمونهم من أعلى السور والعسكر من البادية من طرف الجنوب مما يلي الغربي في المكان الذي ضربوا أبنيتهم به .

وخرج إلى العسكر بعض الأشراف ودخلوا على الفريق واستأمنوه فأبى إلا أن يفتح الأبواب ويسلموا ويدخل العسكر البلد . فلما رجعوا إلى أصحابهم امتنعوا عليهم لحبهم الفساد . وعظّم الأمر فقُتِل من العسكر من طرف الغرب واحد من أهل المناصب غيلة ، وأخذ القوم يسبّون السلطان من أعلى الحصن .

(١) عُزِلَ والي بغداد علي رضا باشا سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م ، وأصبح والياً في بلاد الشام . وتوفي سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م .

(٢) اليرمازية : كلمة تركية تعني طبقة (الأشراف) في المجتمع .

(٣) السيد ابراهيم الزعفراني هو زعيم الطبقة المتمردة ضد الوجود التركي ، وولاء بغداد ، ألقى القبض عليه بعد سقوط (كربلاء) هو والسيد صالح الداماد ، ونُقل إلى بغداد وقُتِل فيها ، ونُفي السيد صالح إلى كركوك . وأسرت آل الزعفراني من الأسر الهاشمية الرضوية تولّى بعض أفرادها منصب (سدانة) الحضرة الحسينية في القرن الثاني عشر حتى بداية القرن الثالث عشر الميلادي .

وجاء جماعة من الأعراب من طرف الشمال لنصرة أهل كربلاء فأخبر (العَيْنُ) العسكر فأخذوا طريقهم ورموهم (بالتُّفْك) <sup>(١)</sup> فانكفؤا راجعين بعد أن قُتِلَ منهم جماعة بالبنادق ومثّلوا بهم ورفعوا رؤوسهم على الرماح .

فلما اشتد الأمر وجّه العسكر المدافع على الضياع والنخيل التي حولهم فقلعوها جميعاً ولم تبق نخلة واحدة بينهم وبين السور . ورام الهرب من كربلاء بعض المعتبرين من العجم والهنود فمنعهم (اليرمازية) عن ذلك إلا قليل منهم بلطائف الحيل وبذل المال الخطير . واشتد بهم الحصار حتى صاروا يشربون ماء الآبار وانقطع الداخل عن الخروج ، والخارج عن الولوج .

ورود الأمر بالأمهال تلك الليلة إلى الصباح إن لم يُسَلِّموا البلد يوجّهوا عليها (الطوب) <sup>(٢)</sup> والمدافع ، وكان ذلك في ذي الحجة الحرام سنة ١٢٥٨ <sup>(٣)</sup> . فلما أصبحوا وارتفع النهار أطلق العسكر مدافعه النارية على (الحصن) وصار يضرب بلا مهلة وهم يضربون من أعلاه ، فارتفع الدخان إلى السماء وأصوات المدافع كالرعد المتراكم وأصاب الرصاص في أعلى الحصن وأسفله وأخذهم الهلع والجزع ودخان البارود حتى كانوا لا يُبصرون شيئاً ، وانهدم من السور مائة ذراع أو أكثر ، فما شعروا إلاّ والسور قد انهدم بهم فذهبوا من تلك الجهة الأخرى بأقل من ساعة فسكّن (الطوب) هنيئة . وتحقق الجند خلوا المكان مما يلي (خيمكاه) ، فصاح الفريق بالعسكر ائت ، فمشى العسكر والفريق أمامهم حتى ولجوا البلد من تلك الجهة . فانقسموا نصفين ، فانصف ارتقى السور وأخذ يمشي فوقه ويضرب من كان أمامه ، والآخر يمشي داخل السور محاذياً للدور . فوقعت البنادق عليهم ودخل في الرؤوس والأرجل فراحوا ما بين ميت وجريح وانهزموا ، ووقع بعضهم على بعض وأخذوا يرمون بأنفسهم من أعلى السور والعسكر يقتل كل من وجده حتى قتل مقتلة عظيمة .

ثم أمروا بالدخول في الأزقة والدور فاستباحوا من وجده فيها بالقتل والتمثيل والنهب والغارة حتى بلغ أميرهم مصطفى پاشا إلى باب الحرم الحسيني (ع) ومعه طائفة من الجند . وكان إذ ذاك الحاج مهدي الشهير بكمكمة نائب من بيده مقاليد الروضة المنورة ففتح الباب وخرج مع جماعة من الخدمة وعمته برقبتة ينادي : «الأمان . . الأمان» ، ويبكي ويلطم ، والحرم مملوء من المستجيرين به حتى قتل بعضهم بعضاً من الضيق ، فأمسك پاشا هنيئة ،

(١) التُّفْك : البنادق .

(٢) الطوب بمعنى (المدفع) .

(٣) في (ليلة عرفة) ، الموافق لليوم العاشر من شهر كانون الثاني عام ١٨٤٢ م .

ثم رفع يده فأمسك الجند عن الضرب .

ودخل الصحن الشريف وجلس بباب القبلة ، والعسكر وقوف حوله ، وصاح الحاج مهدي باللسان (التركي) مخاطباً للفريق : أفندم إننا لم نخلع الطاعة ، ولم نفارق الجماعة فلا تأخذنا بذنوب المُفْسِدِينَ ، وترحّم علينا بالأمان ، فعفى . ولكن بقية العسكر لم يتركوا النهب والقتل خارج الحرم ووضع (الفريق) على أبواب الصحن من يحرسها عن هجوم الجند على الحرم لأنه عفا عمّن فيه . ولحق هو ومن معه العسكر وهم مشغولون بالقتل والنهب حتى بلغوا حرم العباس (روحي فداه) فلم يهتدِ مَنْ كان فيه من (الخَدَمَة) إلى ما اهتدى له الحاج مهدي فقلع الجند الباب وأخذوا يضربون في (الصّحن) ومن شبابيك الحرم وكانا مثلثين نساءً ورجالاً حتى ملأ الدم الحرم والصحن وأخذ يجري كأنما سقط من شاهق .

وَكَثُرَ في البلد القتل والأسر للنساء والغلمان وبقيت على هذه الحالة أربع ساعات من النهار ولم يسلم إلا الحرم الحسيني (ع) ودار السيد كاظم الرشتي منع عنه بعض الأمراء ممن آمن به من أهالي بغداد ، وسلم في داره خَلْقٌ كثير .

وكان هذا السيد سخيّاً جداً رئيساً مسموع الكلمة ، ومحبوفاً عند السّنة ، بزيّ أهل العلم ، له حاشيةٌ وتُبَعٌ تقول فيه أقاويلأ عظاماً وتنسب له بعض الخصال الممدوحة ، ولكن كانت تُنسبُ له أشياء في العقائد غير ما عليه عموم الأمامية ، وله بعض التصانيف المهمة لا يُفهمُ معناها ، والتخليط عليها ظاهر ، ولذلك مجّته العلماء .

وبقي الأمر على هذه الكيفية حتى أشرفت الشمس أن تجبّ ، فأمر البابا بضرب (طبل) الأمان ومزماره ، فلما سمع العسكر سكتوا عن الضرب (بالثفك) وانكفوا إلى الخيم ، ودخل الوزير الكبير من باب بغداد والواقعة في جهة الشمال ومر كالبرق الخاطف إلى معسكره . وأمسى المساء والناس بين قتيل وجريح ومفقود وهارب إلا من استجار بالحرم ، ودار السيد كاظم . وباتوا تلك الليلة ولم يهدأ للسالم الباقي جفن ، والحاج مهدي ومن معه يحرس الحرم ويتعاهد من فيه .

فلما أصبح الصباح دخل الوالي رآد الضحى إلى البلد ومعه رؤساء عسكره يقدمهم (الفريق) ممتطياً جواده متقلداً سيفه والعسكر خلفه وأمامه ، فاضطرب الباقون حتى وافى (الصحن) فترجّل هو ومن كان راكباً ودخل من باب الجنوب ، واستقبله الحاج مهدي ومن معه وأخذ (اليتك) فقبله فدخل الصحن بهيئة مرهبة وأبهة حسنة و(الطبل) يُضربُ أمامه ، ومضى على رسله وأمرأوه خلفه وامتأ الصحن بالعسكر ، والى جنبه الأيمن السيد كاظم

والأيسر الحاج مهدي ، والخدمة بيدهم القرآن العظيم وأعلام الروضة حتى دخل الحرم ، وقد أخلي له ، فدار في الروضة بتمام الأدب ، ثم خرج مما يلي حبيب بن مظاهر (ره) وأم (التكية) وصاحبها السيد مُحَمَّد الدرويش . وكان معه من مشايخ الأعراب وادي الشفلح<sup>(١)</sup> رئيس زبيد ، والملا علي الخصي الظالم الظلوم الغشوم وغيرهم ، ومن معتبري بغداد جماعة .

فلما إستقرَّ به الجلوس أمر مناديه أن ينادي بالأمان في الأزقة والأسواق . ثم إلتفت إلى الحاج مهدي وأظهر الرضا منه . ثم سأل عن (الكليدار) فقيل : هَرَبَ ، فعزله في الوقت ونصب الحاج مهدي كليداراً . ثم استخرج ورقة فيها أسماء العصاة من سعى بهم إليه الناس بالفساد ، فقيل : هربوا ، فأمر بالتفتيش عليهم . وقبض على السيد صالح الداماد وكبَّله بالحديد وقبض على جماعة آخر من أتهم بالخروج على الدولة ، ثم ركب إلى مخيمه وبات الليلة الأخرى .

فلما أصبح صنع كما صنع اليوم الماضي . فلما استقر في (التكية) نصَّبَ حاكماً على البلد ، وعيَّنَ للقلعة مكاناً ولحل الحكومة أيضاً ، وعيَّنَ من العسكر قدر ستمائة يبقي في كربلاء . وبقي يُنظِّم أمور البلد ، ثم رجع وأمر بالرحيل .

فحدثني من شهد الواقعة من المعتبرين قال : لما أقفل العسكر أحصينا القتلى وسألنا (الحفارين) ، وتحققنا عن ذلك فكان ما يزيد على عشرين ألفاً من رجل وامرأة وصبى . وكان يوضع في القبر الأربعة والخمسة إلى العشرة فيمال عليهم التراب بلا غُسل ولا كفن . وتفقدنا القتلى فوجدنا منهم كثيراً في الدور والآبار ومنهم في السرايب حتف أنفهم . ورأيت امرأة في (البثر) ميتة وابنها ملتقمٌ نديها وهما ميتان . والحاج مهدي معنا ندخل داراً داراً ونستخرج منها الموتى مقدار عشرين يوماً .

وأعجب ما رأيتُ أن دخلنا في مرفوعة فيها (دالان) أظلم يزيد على عشرين ذراعاً لا يُبَصِّرُ فيه بالنهار مما يلي الجنوب ويحاذ دار النقيب ، بعد خمسة أيام من الواقعة وكان فيه عدة رجال ونساء مختفين ، ولم يصل العسكر إليهم . فلما سمعوا أصواتنا حسبونا من الجند فزهق ثلاثة منهم وماتوا من ساعتهم خوفاً ، وغشي على الباقين . حتى إذا عرفونا رجع إليهم روعهم ، وحمدوا الله على السلامة .

وحدثني أيضاً قال : وجدنا بالسرداب الذي تحت رواق سيدنا العباس من القتلى أكثر

(١) رئيس عشائر زبيد ، وكانت تحت سيطرته مناطق قُرَاتِيَّة واسعة . تُوفي سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م . وقد ازدادت قُوَّتُه بعد تعيينه من قبل الوالي داود پاشا حاكماً على منطقة الفرات ، وممثلاً لحكم بغداد سنة ١٢٥٢هـ / ١٨٣٦م . كما اعتمد عليه الوالي علي رضا پاشا أيضاً نظراً لنفوذه الكبير .

من ثلاثمائة ، فوآ عَجَبًا من حلم الله تعالى ، ولا عجب . فأنَّ بابَ نَجاةِ الأُمةِ ، وأُبا الأُتمةِ لم يزل مظلوماً حيّاً وميتاً .

عَجَبًا لحلمه ، ولصبره عن هذه الواقعة الكاظمة ، والفادحة الماظمة . وقبلها واقعة (المناحور)<sup>(١)</sup> . وقبلها الداهية الدهماء واقعة ابن سعود . ولكن انعكس الأمر فسَلِمَ بتلك الحادثة حرم العباس (ع) ، وصار النهب والقتل بحرم سيد الشهداء (ع) ، حتى اشتهر أن الملعون دخل بفرسه إلى (الحَرَم) ، وقلع قبر حبيب ابن مظاهر وأمرَ بهدم الحرم فجاءه خَبَرُ أزعجةٍ فانصرف عن ذلك . واشتهر أنهم لما عزموا على هتك حرمة العباس ومعهم الوهابي الملحد الكافر ، وهم على متون خيولهم . قال الوهابي : دعوا حرم أبي الفضل فهو ابن أختنا . فانعطفوا على الروضة الحسينية وفعلوا ما فعلوا .

وقبلها حادثة المتوكل لما أدار الماء على قبره فَحَارَ ، وعلّوه على القبر الشريف فوق القامة ، والقبر وسط الماء وهو لا يجري عليه . ولم أعثر على غير هذه الحوادث المذكورة في الظلم على مرقده المطهر .

### توجّه نجيب پاشا إلى النجف

فلما أصبح العسكر والوالي معهم ارتحل على طريق البرّ كأنّه يريد النجف ، ووصل الخبرُ إلى (الغري) ، فاضطرب مَنْ فيها اضطراباً شديداً وارتاعوا وأقبلوا يهرعون من كُلِّ فجٍّ عظيم إلى دار المشايخ العامرة ، حتى اجتمع ملائمتهم فيها ، و(الوالد)<sup>(٢)</sup> جالسٌ بينهم والعلماء حوله كصاحب الجواهر وغيره من علماء النجف ، وآل بحر العلوم كلهم ، وأشرف النجف جميعاً وبقية الناس ، حتى امتلأت الدار والزقاق ، وهجمت النساء على بقيّة الدور وهي ستة ، فيها عيالات المشايخ حتى امتلأت بالنساء والأوعية وضافت الدور التي حولنا ، والعلماء يتجاولون الرأي بينهم .

وجاء الخبر أن الوالي بلغ نصف الطريق فقال الوالد ، ووافقه الجماعة : إنّنا نفتح الباب ونُخرجُ الناس لاستقباله ونُظهِرُ الطاعة والأُنقياد ، وأنا أدعوه بعسكره أن ينزل عندي ، فإنَّ أجاب فيا حبذا إذا دُفِعَ البلاء بذلك عن أهل النجف ، وإن امتنع خرجنا إليه واستملناه

(١) واقعة (المناحور) وقعت عام ١٢٤٤هـ / ١٨٢٨م في زمن الوالي داود باشا بعد تمرد أهالي كربلاء على حكمه . وسُمّيت الواقعة بهذا الاسم مُحَرَّفَةً عن كلمة (مير آخور) - الفارسيّة - التي تعني رئيس (الخيالة) الذي قاد الحملة العسكرية ضد المتمردين من أهالي المدينة .  
(٢) الشيخ حسن كاشف الغطاء .

واستعنا بالله تعالى عليه .

وتفرّق العلماء وبقيت الناس تحمل أسبابها وتبعث نساءها إلى بيت الشيخ وإلى البيوت التي حوله حتى ملئت البيوت والسراديب كأنما حُشِرَ الناس في صعيد واحد .

وأصبح الصباح فجاء الخبر أن الوالي قصد المسجد الأعظم ومنه يأتي إلى النجف . فجمع الشيخ لُحْمَتَهُ والعلماء الباقين وعرض على كُلِّ واحد المسير إلى الوزير بكتاب يدعوه فيه إلى النزول عنده قبل أن يدهمهم العسكر ، فتقاعدوا وتلملوا وظهرت أمارات الكراهة فيهم إلا السيد جواد شبر الذي كان أكثر إقامته في الحلة وقد يأتي إلى النجف وهو من الأجلاء جرئ جسور ، فقال للشيخ الوالد (ره) : أنا أحمل رسالتك إليه وأدعوه إلى النزول عندك فضمّه الوالد إلى صدره ، وقال : سِرْ على بركة الله . وأتى له بفاره من الخيل فركبه وأخذ الكتاب وسار منفرداً إلى مسجد الكوفة فَحَجَبَ الله عنه أبصار العسكر حتى وافى المسجد ، فرأى الوزير قَدْ دخله قبله بيسير .

فقال : أنا رسول الحسن بن جعفر إليكم لأدعو الوزير إلى النزول عنده . ففهموا الاسم ، ووقفوا على المعنى وأوصلوا الخبر إلى الوالي . فسأل من كان معه عن الشيخ مثل شيخ زبيد فعرفوه به وبأخويه وأبيه وعظّموا أمره عنده ، وذلك مِنْ نِعَمِ الله تعالى ، وخلوص نية الوالد في حفظ (الروضة) المنورة ، وباقي الناس . فأذِنَ للسيد بالدخول عليه .

فلما دخل حيّاه بالتحية الحسنة ، وأمره بالجلوس وقام إجلالاً له ، ثم قدّم له الكتاب ، وقال : أتيتك من قبل وليّ من أولياء الله تعالى مطيع للدولة العلية داع لها ، أدعوك إلى بيته ، وأن تكون في ضيافته .

فقال له : وهل يحصل في النجف من المفسدين أحد؟

قال السيد : لا ، بَلْ كُلُّ مفسد ولّى هارباً من سطوتك .

وقال له الملا علي الخصي ، ووادي ومن معه من (أفندية) بغداد : أجب الشيخ وانزل عنده فأنّه أصلح لك من كُلِّ مكان . وتكلم كُلُّ من يعرف من المشايخ بهذا ومثله ، فأنعم وكتب الجواب معلناً بالقبول . وأمر بعض الجند أن يذهبوا إلى دار الوالد وهو على الأثر .

فنهض السيد جواد مسرعاً وامتنطى فرسه وطار بها قبل العسكر الذي معه فوافى الدار بأيسر زمان فوجدهم يتوقعون قدومه والناس تهرع خلفه ، فترجّل ودخل ووجد الوالي والعلماء حوله أفواجاً ، فدفع الكتاب إلى الشيخ وقال : هُم على الأثر .



فأمر الشيخ بالخروج لاستقبالهم ، وَنَدَبَ ابني أخيه العليّ (محمدا والمهدي) ، ومعهم طائفة من المؤمنين ، وأخرى من الأشراف ، ومعهم العَلَمُ الحيدريّ والقرآن المجيد . وكان الشيخ مُحَمَّدُ ابن أخيه جَسُوراً لِسِنًا لا يخشى من أحد مع ما اشتمل عليه من العلم وسائر المعارف ، فخرج مع الناس بأبْهَةِ حسنة وجلال عظيم . واشتغل الوالد بتهيئة ما يحتاج إليه من الضيافة ، وكان العسكر أكثر من ثلاثة آلاف ، وفيهم عدة من الأمراء الذي لا بُدَّ لكل واحد منهم مكان مخصوص .

ودخلت هواذي الخيل ورجالة العسكر زمراً زمراً ، فوجّه الوالد من ينزلهم في الدور التي أعدها لهم . فنزلوا ولم يزلوا كذلك حتى أشرف الوالي على الباب ، وقرب منها وأمامه العسكر وخلفه الشرطة . فلما وقع نظره على العلم الحيدريّ والمستقبلون من العلماء والأشراف حاقّون به ألقى الله في قلبه الرعب :

إذا ما رآته من بعيد ترجّلتُ وإن هي لم تفعلْ ترجّلْ هامُها

فترجّل وأسرع إلى العَلَمِ فقَبْلَهُ وسَلَّمَ على العلماء ، والأشراف ووسط مُحَمَّدُ بن عليّ يديه بالدعاء وكان جهوري الصوت ، فدعا بدعاء أهل الثغور من الصحيفة ، ومشى راجلاً حتى دخل البلد الأمين . فضربتْ له المدافع ، ومشى في السوق .

وسأل عن الشيخ فقال ابن أخيه : أرسلنا خلفه .

قال : لا تفعلوا ، نحن نمضي إليه . ثم إلتفت وقال : لأي شيء الدكاكين مغلقة؟

فقيل : إحتراماً لحضرتكم . قال : فليفتحوها .

حتى إذا وصل باب (الصحن) ، ونظر الروضة والضريح أخذته الهيبة فخرّ ساجداً وأناناب ، ثم قَبِلَ الأعتاب :

تَراحِمُ تيجانُ الملوكِ ببابِهِ ويكثرُ عن الأستلام ازدحامُها

ثم دخل الحرم والعَلَمُ المجوهر والعلماء حاقّة به ، وزار . فبلغ الوالد الخبر فخرج إلى (الصحن) ، ومعه ما يقرب من خمسمائة من السادات والعلماء والطلبة وقد ملأوا (الصحن) الشريف .

فلما خرج الوزير من الروضة المقدسة ونظر تلك الهيئة سأل ، فقيل له : هذا الشيخ . فلما أبصره أكبره ، واستعظمه ، وأسرع إليه ، وقَبِلَ يديه ، ومشى معه والناس خلفهم إلى الدار . وجعل الأمراء يشيرون إلى الشيخ بالأصابع ولا يقربون منه هيبة ، فأودع الله ذلك اليوم وكل

يوم الهيبة والجلالة فيه .

ولما بلغوا المنزل صعد به الشيخ إلى مدرسة والده فامتلاً البيت بالعلماء الوزراء والأشراف حتى أشرفت الغزالة أن تجب ، فقدمت الموائد ، وأخذوا في وضعها ، واستأذنه الشيخ للصلاة فأذن له .

وأمر الشيخ بوضع الشعير في الأزقة فكان كالروابي في ساحة السور لأجل صامت الخيل الذي معهم . ومضى الشيخ إلى الجامع فأدى المكتوبة ، وكان خفيف الصلاة يبادر بها في أول الوقت حتى ظن أنه يفتي بدخول المغرب عند الأفول .

ورجع الشيخ فوضعت أواني العشاء . ولما قضوا منه الوطر جلسوا بعد هنيئة . ثم ذهب الشيخ إلى حرمه وقام الوالي إلى منامه ، وأمر أن لا يحرسه أحد من الجند فإنه في حرم من دخله كان آمناً . وأمر الشيخ المؤمنين وبعض أهالي النجف بحراسته ، فجلسوا في جوانب الدار وعلى سطحها .

فلما أصبحوا خرج الوالد للصلاة فأبى من الباب من الجند أن يفتحها فجراً . فنادى الشيخ بأعلى صوته : «مرهم يفتحوا لنا الباب لأخرج إلى الجامع» .

فانتبه الوالي مرعوباً ، وخرج من الأسطوانة التي هو فيها إلى السكة ، وناداهم بذلك ، وسأله الدعاء مبتهجاً به . فخرج الشيخ وأدى صلاته ورجع . فجلسوا على الصباح في المدرسة واجتمع الملاء من الأمراء والعلماء ، وأخذ الوزير يعتذر من وقعة كربلاء وأنهم هم حملونا على العقوق فوق ما وقع .

ثم قال : عَجَباً لأهل العراق جاءهم ابن زياد (لعنه الله) وهو ابن أمة ولم يبلغ الثلاثين بلا جند ولا عسكر فاستولى عليهم وفعل ما فعل ، وإنني ذرفتُ على الثمانين ومعني ما رأيتموه من الجند والمدافع والتفك ، فكيف يخيل لهم الغلب على ولي الأمر . ويا شيخ حسن أفندي : لِمَ لَمْ تعظهم وتُظهر لهم فوائد الطاعة وما يترتب على العصيان من الآثار التي أهونها ما وقع؟

فقال الشيخ : إنَّ مَبْنَى الدنيا منذ خلق الله الخلق على ذلك ، والله حَتَمَ على نفسه الرحمة والعفو على المذنب ، وأمر الأمراء بالعدل والأنصاف ، وفي الخبر : «مَنْ وَلِيَ أَمْرَ عشرة أعطيَ عقلهم» ، والآن أسترحم منك أن تطلق من أسرته من أهل كربلاء ، وتُعطي الأمان للمنهزمين ليرجعوا إلى أهلهم .

فأنعم ، وأمر بذلك . غير أنه قال : أربعة أو خمسة لا يدخلون كربلاء ، ولا يبقون بالعراق

منهم السيد صالح الداماد .

ثم وجد الشيخ إن عزم الوزير أن يطوف بالعراق فخشي على الشيعة من فتكه فصرف رأيه عن ذلك وقال له : ينبغي أن تعود إلى دار السلام فأنه أبلغ في العظمة وأخاف أن ينقلب الأمر فيفسد العراق وأنا أحذرهم بطشك وأمرهم بالطاعة .

فقال الوزير : نعم ، هُم لك أطوع ومنك أسمع ، ومن خافك خاف الله .

وقد أودع الله الحب للشيخ في قلبه وقلوب أمرائه وامتنال أوامره ، فكلما قال سمع . فمكث الوزير في النجف ثلاثة أيام بلياليها عند الشيخ وضيافته تتزايد . ثم أقفل راجعاً متعجباً هو ومن معه بتلك الضيافة مؤمناً بالشيخ مُريداً كمال الأرادة .

قال المهدي : فظهرت بهذه الكرامة للشيخ فوائد للناس من الأمن واستقامة الأمور ، فكأنَّ الشيخ هو الوزير . وأمن به الخائف ، وانكمد المخالف ، ورفعت الشيعة حوائجها إليه فيقضيها بالمراسلة ، ورفع المؤذن صوته (بالحيعلات) على المأذنة وأمنت الناس في الصلاة على (الحسينية) جماعة في الحرم . إلى غير ذلك من الفوائد العامة لعموم المسلمين بهذا التحبب والضيافة فكأنَّه المعنى والموضوع للحكم في قول أحدهما (ع) لعلي بن يقطين : «إن لله تبارك وتعالى مع السلطان مَنْ يدفع بهم عن أوليائه أولئك عتقاء الله من النار» . وفي ترجمة ابن بزيع عن أبي الحسن (ع) : «إِنَّ مَنْ يُؤْمِنُ اللَّهَ روعة المؤمنين به في دار الظلم أولئك المؤمنون حقاً ، أولئك منار الله في أرضه ، أولئك نور الله في رعيّتهم ، يزهر نورهم لأهل السماوات كما يزهر لأهل الأرض نور الكواكب ، أولئك من نورهم تُضيء القيامة ، خُلِقُوا للجنة وُخِّلِقَت الجنة لهم ، ما على أحدكم لو شاء لنال هذا كله» . قلت بماذا جُعِلت فداك؟ قال : «يكون معهم فيسرنا بأدخال السرور على شيعتنا ، فكن معهم يا مُحَمَّد» .

ولا شك أن الوالد (قده) وأمثاله ممن شمله الحديث ممن أدخل السرور على الحجة (ع) روحنا فداه بقضاء حوائج الشيعة . ولا ريب برضاه وشمول نظره وإمداده لمن ذكرنا من نوابه . فكم شيدوا للدين ، ورفعوا قواعده على أساس ثابت بالدخول معهم ومباراتهم ومخالطتهم على النهج الذي أمرهم به سيدهم ، وقبول جوائزهم وصِلاتهم وأخذ بعض أراضي الخراج منهم ، بل وبعض الولايات ليتوصلوا به إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإظهار كلمة الحق وحراسة الأمامية عن المكاره التي تحل بهم لولا ذلك .

وعلى هذا جرت عادة السلف الغابر منذ غاب الأمام إلى زمن المشايخ لكنهم لم نَر منهم التعدي عما ورد به النص من المعاشرة والمُداواة بعبادة مرضاهم وتشجيع جنائزهم والصلاة

بساجدهم وقبول جوائزهم . ورُبَّما تعدى إلى غير ذلك بتنقيح المناط ، ولخبر. أن (التقية) ليس شئ منها إلا وصاحبها مأجور عليه والأجود عدمه . فالواجب على العلماء خصوصاً بعد وفاة الشيخ المرحوم أن يسيروا بسيرة أئمتهم (ع) وأن لا يرشدوا العوام إلى غير ذلك ، ويذيعوا أمر التقية التي وجبت عليهم على النحو المعهود ، والطريقة المستقيمة . قال (ع) : «ليس منا من لم يجعل التقية شعاره وداره» .

ثم أخذ العمّ أيده الله بتحقيق مسألة التقية ، وأخبارها فأطنب الكلام فيها بما لا مزيد عليه . فأن شئت فراجع رسالته هذه تجدّها وافية بتحقيقها في الفروع والأصول .

### مناظرة الشيخ حسن مع مفتي بغداد السيد أبي الثناء الألوسي حول البائية ومسائل أخرى

ثم قال ، أيّده الله ، عود على بدء : وما وقع للحسن بن جعفر من الكرامة الواقعة المعروفة لما جلب مع جماعة من العلماء إلى دار السلام للمباحثة مع أهل السنة والجماعة في خصوص مسألة الفرقة المعروفة بالبائية . وتفصيل الحادثة على ما نرويه مرفوعاً إلى المهدي ، وإلى غيره من شاهد ذلك الأمر العظيم ، وهم عدة من أصحابنا من أهل الزوراء ، والغري ، وكربلاء مع ترتيب مني لأسلوب ما سمعته كعادتي في جميع ما نقلته هنا .

قالوا : لما أهلّ الشهر المبارك ، وتصرّم ثلثه ، أو أكثر في سنة ( . . . )<sup>(١)</sup> كان عادة بعض تلامذة الوالد المرحوم أن يجتمعوا عند العصر في إيوان الدار الخارجة التي هي محل درسه ، وتدرس أبيه وإخوته وينتظروا خروجه إليهم . حتى إذا ما أشرقت عليهم شمس أنواره حفوا به وخرج بهم إلى الحرم الغروي . وبعد إكمال الزيارة يجلس في (الرواق) الشريف لتلاوة كتاب الله والمذاكرة ببعض الآيات المشكّلة ، ويجتمع عليه الملا من العلماء المبرزين حتى يدخل وقت العُتمة فيودّع بالمُسْتُون ، وينصرف مع مَنْ معه إلى مسجده فيصلي جماعة ، ثم ينصرف إلى محله وتفارقه الناس إلا الأقربون من يحضر معه الأفطار ، وهذا ديدنه .

فخرج يوماً على عادته فوجد جماعة جلوساً في الأيوان وفيهم المهدي وجعفر (ولدا أخيه) ومعهما ما يقرب من عشرة من أهل العلم المنتظرين له ، فلما أحسّوا به قاموا إجلالاً واستقبلوه على جري العادة . فنظر وإذا فيهم رجلٌ قصيرٌ أعجميٌ ملحم ، ذو عمّة كبيرة (أكثر من ثلاثين طية) ، ومنطقة بيضاء قد أدارها على وسطه تبلغ (أسته) ، وهو أحمر اللون

(١) لم تذكر السنة في النسخة المخطوطة ، ومن خلال سياق الأحداث فمن المؤكّد أنّها سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م .

ذو لحية سوداء وعينين يميلان إلى الزُرْقَة ، فابتدر إلى الشيخ وقبّل يده ، ووقف وأطلق لساناً عربياً بالدعاء والثناء قليل اللكنة ذلق حسن التأدية .

فقال الشيخ : من أي البلاد أنت؟

فقال المهدي : يا عمّ إنّ لهذا الرجل حكاية غريبة .

فقال الشيخ : وما ذاك؟

فقال : يا مولانا كأنّ به جنون يزعم أنّه مُرْسَل من (الباب) إليكم وعنده كتاب يزعم أنّه من الله تعالى غير الكتاب المرسل ، وكانت بيد المهدي تلك الأسفار فقال لعمّه : هذه هي يزعم أنها قرآن ورأينا فيها من المهملات والمزخرفات ما يضحك الثكلى ، ولو شئت يا عم لكتبت إلى المغرب صحفاً أحسن منها .

فتبسّم الشيخ وهزّ يده وخرج ، وقال للجماعة : هذا شهر عظيم فلا تفنوا زمانه بما لا ثمرة فيه .

فخرجوا بأثره وأخذ (العجمي)<sup>(١)</sup> أسفاره ومضى لشأنه .

وذهب الشيخ ومنّ معه إلى الحرم على عادتهم فلما تصرّم اليوم وجلس الشيخ لفظوره والمهدي معه قال المهدي : أتدري ما صنع الله تعالى بالعجمي؟ قال : لا .

قال : إنه دخل الحرم وجلس بقبر مُحمّد خان القاجاري وهو صفة في الرواق الشريف ، واجتمع عليه خلق من الطعام وأخرج أسفاره فhezّوا به ، وانتهبوا ما عنده من تلك الأوراق وصحبوه إلى أن خرج إلى الصحن فقالوا له : أدع الناس إليك وعرفهم الباب ، فصاح : أيها الناس ، (وكان جهوري الصوت) ، فاجتمع عليه الصبيان من كلّ الجهات وحسبوه مجنوناً وصفّقوا له وصنعوا معه ما يُصنّع مع المجانين . فلما رأى ذلك استوحش فنزل من المنبر الذي كان في الصحن قد ارتقاه وتبعه الصبيان إلى أن خرج إلى السوق وهم في أثره فالتفت بهم الصبيان الذين في السوق حتى صاروا أكثر من مائتين صبياً وكهلاً كالصبي وهم يرمونه بما في السوق من الكسافات والأشياء النجسة الملقاة وهو قد أمهم يركض وهم يعدّون خلفه ، حتى بلغ قريباً من القلعة التي فيها الجند والعسكر فخرج إليهم بعض الجند وحالوا بينهم وبينه ، ولم أعلم بعد ما صنع الله به .

فتبسّم الشيخ وقال : (إلى حيث أُلقت)<sup>(٢)</sup> ، فلکم رأينا مثله .

(١) هو مُحمّد بن شبل العجمي .

(٢) إشارة إلى بيت الشعر : «إلى حيث أُلقت رَحَلها أم قشعم»

وبقي الأمر على ذلك برهة . فلما انقضى من ذي الحجة الحرام من تلك السنة نصفه فلم نشعر إلا وقد ورد الأمر من الوالي المتقدم نجيب پاشا ويصحبه مكتوب إلى الشيخ يتضمن الأرادة بأرسال الأسفار التي نهبوها من ذاك (اللُكع) التي يدعي أنها الكتاب الجديد والتفتيش عليها ، فمن كان عنده شيء منها ولم يدفعه يحصل له الجزاء بالحبس والتنكيل ؛ ففتشوا عليها وبحثوا عنها فألفوا منها ما يزيد على الخمسين ورقة متفرقة عند الناس من ورقة واثنين وأرسلوها إلى محل الولاية مع بعض القواد . فمضى على ذلك زمان حتى دخلت سنة الواحد والستين<sup>(١)</sup> وتصرم من المحرم ثلثه ، فعندها ورد إلى الغري من خاصة أصحاب الوزير المذكور نفر معه خدام وحشم وبيده أمر مؤكد على جلب علماء النجف إلى بغداد عموماً ، وخصوصاً العالمين المنحصر فيهما أمر التقليد صاحب الجواهر (ره) والشيخ الوالد (ره) .

فاضطربت الشيعة وكثر الهرج والمرج وتشعبت الآراء وشاع بين الناس أن الذين يذهبون في كمال الخطر على أنفسهم ، وأن المفتي أفتى بذلك والقاضي حكم به ، والأذن به صدرت من السلطان . والحال أنهم بعد واقعة كربلاء السابقة في كمال القوة والاعتدار حتى عادت أوامرهم بين (الكاف) و(النون) . فبقوا على ذلك يوماً أو يومين وخافوا على أنفسهم من المخالفة أن يؤخذوا تحت الحفظ ، فاجتمعت طائفة من العلماء والأشراف في قبر الشيخ جعفر (ره) بعد صلاة العشاء وحضر الوالد ، وصاحب الجواهر وأجالوا الفكر ، فقال الوالد (ره) مخاطباً له : يا شيخنا لا محيص عن المسير وامتنال الأمر ولا يُرخص لنا في التخلف ، فغايتته إن أُقتل فأكون الشهيد الثالث<sup>(٢)</sup> وتقتل فتكون الرابع .

وتخاضوا الحديث فاستقر رأيهم على مسير الشيخ الوالد ومعه عشرون شخصاً من لُحمتِه وغيرهم وأن يتخلف صاحب الجواهر (ره) لمصالح عديدة من كون الشيخ أشد ارتباطاً بالوالي لنزوله عنده كما مر ذكره ، فعساه أن يأخذه الحياء منه . وعمدة المصالح أن لا تبقى الشيعة بلا عميد ترجع إليه في التقليد وغيره خوفاً من عروض الحادث على أحدهما فتبقى الأمامية غنماً بلا راع ، والذئاب محيطة بها . وعزم الشيخ على المسير متوكلاً ومفوضاً أموره إلى المبدئي الفياض ، ومقديماً للتوسل إليه بأقرب الخلق منه النبي (ص) والعترة الطاهرة ومن معه ، وكان ذلك لثلاث وعشرين من محرم تلك السنة غب صلاة الظهرين . فخرج

(١) ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م .

(٢) الشهيد الأول هو محمد بن مكي العاملي المقتول على يد عماليك الشام سنة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م ، وهو صاحب كتاب «اللُمة الدمشقية» . أما الشهيد الثاني فهو زين الدين بن علي العاملي المقتول على يد العثمانيين سنة ٩٦٥هـ / ١٥٥٧م .

بعد التمسك بأعتاب أسد الله الغالب وتوديعه ومعه المشيِّعون من جميع الأصناف إلى خارج البلد ، وأثر ما التقط الحصى المروي به السلامة . وودع المشيِّعين وقدم له التخت الذي أرسله أمين الدولة الأيرانية سابقاً ، وكان في الغري مجاوراً بعد انفصاله ، فاتخذة مركباً ، وركب من معه دوابهم كل على حسبه .

فركبوا الطريق إلى باب نجاة الأمة سيد الشهداء (ع) بهيئة يلوح عليها النصر والظفر وهم يتلفتون إلى المرقد العلوي حتى اختفى :

فتلفت عيني ومُدَّ خفيْتُ عني الطلولُ تلفتَ القلبُ

ثم أقاموا ليلة في الطريق ودخلوا قبيل المغرب إلى البلد الأمين على حين غفلة من أهلها وترجلوا يهرعون حتى هجموا على الحرم الحسيني ، ودخلوا بتمام السكينة حافين بالشيخ حفاة الأقدام . ولما قضوا وطراً منه طاروا بأجنحة الشوق إلى مثنى أبي الفضل وهم ينشدون :

أبا الفضل أنتَ البابُ للسطِ مثلما أبوك عليٌّ كانَ باباً لأحمد  
إذا أنتَ لم تشفعْ بمقصدٍ وافدٍ إلى السبطِ لم يُنَجِّ له السبطُ مقصداً  
وبعدها انكفأوا إلى محل استراحتهم .

وزارهم ليلاً الكثير من أشراف البلد وطلبة العلوم ، وأخبروهم أن علماء كربلاء جُلبوا بالأمر من الوالي إلى الزوراء منذ أيام ، منهم السيد إبراهيم القزويني (صاحب النتائج والضوابط) ، والملا حسن كوهر ، والميرزا محيط ، وجماعة غيرهم لأجل هذه المسألة وأقاموا ليلتهم . ولما أصبحوا هموا بالرحيل فعاقهم تزامم الزائرين إلى عميدهم ، إلى أن دنا وقت الزوال . فلما راموا التحرك سألوهم البقاء لليلة القابلة ليتزودوا منهم ، ولأن الشتاء أناخ بكلِّه ولا وصول إلى المنزل إلا ليلاً ، وفي السماء غيم خفيف وطلُّ كرؤوس الأبر ، وقالوا : نخشى أن يشتد ويثقلَ والشيخ ضعيف المزاج . فأجابوا مسألتهم وأقاموا ليلتهم الثانية وصنعوا كصنيعهم في الأولى ..

ولم يزر الشيخ (ره) أحداً من زاره لضيق الوقت عن ذلك . فلما انكشف النهار وقضوا ما عليهم من تكرار الزيارة والوداع للأئمة ساروا عند ارتفاع الشمس رأد الضحى ، وأخذوا الطريق السلطاني حتى أشرفوا على (المسيب) ، قرية على كتف الفرات تشتمل على أكثر من مائة بيت أغلبهم إمامية ، وفيهم بعض الفرق ، فاستقبلوا الشيخ (ره) ومن معه ،

وأضافوهم وأحسنوا ضيافتهم . فأقام بن معه عندهم ليلة .

وسأله عن قبري ولدي سيدنا مسلم بن عقيل فأجابهم : أن الظاهر ذلك ، فالعمل عليه للمسموع .

ولما أصبح صلى في المسجد ، وبعد أن أتم تعقيبه أمر بالرحيل ، فقربت إليهم رواحلهم وأركبوا الوالد في (تخته) ، وشيّعهم أهل القرية ميلاً أو أكثر فلزموا جادة الطريق الأعظم إلى أن وصلوا إلى (خان زاد) محلّ أعدّ للعابرين يشتمل على (إصطبل) واسع للدواب ، وعلى عدة (أواوين) للمسافرين فنزلوا وأدّوا الفرض وباتوا ليلتهم ، واستراحوا وأراحوا دوابهم ، إلى أن خرج العصفور من وكّره ، وتلاًلاً في الأفق ذنب السرحان ، ومحا ظلمة الليل ضوء النهار ، نادى منادي الرحيل . ولما هم الخدم أن يضعوا الأوعية على الدواب إذ طلع عليهم فرس أشقر عليه رجل محتبي بجبة سنجابية لا يبين منه شيء من شدة البرد ، ومعه خدم وحشم . فلما أطمأنت النقاب عن وجهه وإذا به التقي النقي الحاج محمد صالح نجل الحاج مصطفى كبة<sup>(١)</sup> من أعظم تجار الأمامية ، مسلم صدقه وصادقته عند المؤلف والمخالف لحسن سيرته وتقواه ، وقد ورد لاستقبال الشيخ ومعه بعض قرابته ، ويصحبه الحاج أحمد الششتري أحد المعتمدين من تجار الشيعة ، وأخيراً سكن النجف إلى أن توفي بها سنة (الثالثة والثمانين)<sup>(٢)</sup> . فمُذَّجَل (الصالح) ، ومن معه وسلموا على الشيخ وقبلوا يديه جلسوا عنده .

وبعد المفاوضة سأله الصالح عن عزمه ، فقال : الساعة أركب وأجعل الزوراء يميني حتى أهاجم على إمامي (الجوادين) ، وأقضي وطري من التمسك بأعتابهما ، ثم أعود إلى دار السلام ، ويقضي الله أمراً كان مفعولاً . فأجابه الحاج الصالح بأني أرى أن تمضي بمن معك رأساً إلى الزوراء فيظهر للوالي أن قصدك إليه ، فعسى أن يكون ذلك أوفق بالمصلحة وأدعى لقضاء الأمر الذي دُعيتم إليه ، وأرضى لمواليك وأئمتك . وساعده الحاضرون على ذلك ، فاستصوب الشيخ رأيهم . لكن قال لهم : مع ذلك أتفأل بكتاب الله . فخرجت الآية : «أبشروا ولا تحفوا إنك من الأمنين» . فانكشف عن الشيخ ومن معه بهذه الآية أكثر ما يجدونه من الحذر ، وهبوا خيفاً وامتطوا ظهور دوابهم يقتفون تحت رئيسهم ، والعبد

(١) محمد صالح كبة هو جد أسرة آل كبة البغدادية ، توفي سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م . وقد اشتهر ولده الحاج مصطفى كبة المتوفى سنة ١٣٣٣هـ / ١٩١٤م ، والشيخ محمد حسن كبة المتوفى ١٣٣٦هـ / ١٩١٧م . وكان هؤلاء الأفاضل من الأسر الثرية في العراق ، ولهم الفضل في إنشاء (الخانات) المخصصة لاستراحة المسافرين بين المدن العراقية عندما كانت وسائل النقل لا تزال بدائية ، وتقديم الرعاية لهم .  
(٢) ١٢٨٣هـ / ١٨٦٦م .



(الصالح) معهم وقد توجّهوا تلقاء مَدِين دار السلام .

ومذ صاروا عن الخان ميلاً أو أكثر فإذا بجماعة من الشيعة جاؤا لاستقبال الشيخ فترجلوا وحيّوه وقبلوا يديه وركبوا ورجعوا القهقري . وأخذ الشيخ وصحبه كلما قطعوا وادياً أو ارتقوا ربوة وجدوا جماعة من وجوه الشيعة خرجوا لاستقبالهم من عشرة عشرة وعشرين عشرين ، وهم مستبشرون بقدمهم مع عميدهم :

ولو أن البطاح تملك نطقاً لسمعت التأهيل والترحيبا

حتى أشرفوا على الكرخ وقد تكملوا جمّاً غفيراً من العرب والعجم والهند وغيرهم من الأمامية إلى أن بلغوا دار باب السلام مما يلي الرصافة بعدما عبروا (المسعودي)<sup>(١)</sup> . فدخلوا على تلك الصفة ، وقطعوا الأزقة إلى الجسر بهيئة حسنة وأبهة كاملة .

وترجل من أكابرهم جماعة وأحاطوا (بالتخت) وقادوه إعظاماً وإكراماً حتى عبروا به الجسر ، وكان دار الأمارة مشرفاً عليه ، فأخرج الأمراء والكتاب ورؤساء الجند رؤوسهم من (الرواشن) ينظرون إليهم فتعجبوا من تكاثرهم على موئل رئيسهم ومبين أحكامهم واستعظموه .

فلما اكتملوا بالجانب الآخر أخذوا ذات اليمين على السوق إلى دار العبد الصالح كبة ، فانحاز الناس عنهم ، وأخلوا لهم الطريق وهم ينظرون شيئاً لم يروا مثله من تسديد الحجة (ع) ، ودخل الرعب في قلوب أعداء الدين لما لاح من :

إِنْ عُدَّ أَهْلُ النُّهْيِ كَانُوا أَثْمَتَهُمْ أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ

فقطعوا الأزقة والأسواق إلى أن وصلوا إلى دار العبد الصالح ، وكانت من عهد أبيه معداً للضيوف خصوصاً العلماء .

وبلغني عن حجة الأسلام المرتضى الأنصاري (رُفَع مقامه) أنه لما زار الجوادين (ع) سأل العبد الصالح أن يدخل دار السلام ويشرف داره فأجاب : إني عازم على زيارة النواب فأجعلك منهم . ولما زار الأربعة جعله خامساً . فانظر إلى جلالة قدر هذا الرجل لدى علماء الدين .

وحينئذ نزل الشيخ ودخل الدار وارتقى إلى المكان الذي أعد له وكذا أصحابه ، وتفرق

(١) جسر المسعودي : أحد جسور بغداد ، ويسمى في العصر الحاضر بجسر (الخز) .

الناس إلى مضاربهم وأدى المكتوبة ، واستراح هو ومن معه من وعشاء السفر :

فألقت عصاها واستقر بها النوى

وأذن مؤذن المغرب فتهيأوا للصلاة . ولما فرغوا قدمت لهم الموائد فأكلوا وشربوا وحمدوا الله وشكروه ، وباتوا بأهناً ليلة .

فلما أصبحوا وارتفع قرص الشمس إلى ثلث الأفق جلس الشيخ للزائرين . وبلغ خبر وروده إلى علماء كربلاء من دعاهم الوزير فأسرعوا قادمين وكانوا بحظيرة القدس في مقابر قريش ، فدخلوا على الشيخ . فلما استقر بهم المجلس وكان غاصباً بأهله من وجوه الأمامية في بغداد إلا ودخل قائد من قواد الوزير ذو خدم وحشم حتى ورد المجلس وحيّاً الشيخ بالمعتاد .

ثم رحب بالشيخ وقال : إن الوالي أرسلني وهو يخصك بالسلام ويقول لم تلق إن شاء الله من سفرك هذا نصباً .

فقال الشيخ : أبلغه عني السلام والتحية وقل له : امتثال أمر الدولة مطاع ، والعناء يذهب ولنلتقي إن شاء الله ، فإذا رأى ما بي من ضعف البنية عرف أنني كيف قادني الشوق إليه وبادرت لامتثال أمره .

فطلب القائد الأذن بالأنصراف ، فأذن له الشيخ فانصرف ولم يحتفل به . لكن الله تعالى أودع حبه في قلبه ، فأنه لما شيعه الصالح قال له : «هنيئاً لك قد أدخلت ولياً من أولياء الله تعالى دارك ، وأن الله أودع حبه في قلبي لما رأيته في (الغري)» حينما نزلنا داره بخدمة الوالي . ثم مضى لشأنه .

وما ولى حتى دخل على إثره أربعة أنفار معممين على هيئة طلبة السنة والجماعة وفيهم رجل أبيض اللحية طاعن السن والباقي كهول ، فسلموا وجلسوا . وأسر الصالح للشيخ بأن هذا أمين الفتوى فرحب به وأدنى مجلسه . ولما استقر به الجلوس أخرج من كُمه ورقة طويلة الحجم سلمها إلى الشيخ بتأدب ، ففتحها وتلاها على أصحابه فإذا فيها ، على ما بلغني من كان مع الوالد مع اختلاف يسير :

بسم الله الرحمن الرحيم ، (وفيها بعد خطبة لم أتحقق ألفاظها) :

س : ما قول أئمة الدين ، وعلماء المسلمين ، ومرشدي الطريقة ، وجامعي الشريعة والحقيقة ، من ساكني دار السلام ، وغيرهم من الأعلام في جماعة يقولون كلمة الأسلام ،

ويدعون أن لهم قائداً يطلقون عليه (الباب) ، ويزعمون أن له أركاناً وله كتاب ، غير الكتاب العزيز ، فما حكمه وحكم متابعيه ، وما يجب على ولي الأمر فيهم وفيه ، ويلحقون بدار الحرب أم لا؟

ج : جمهور أهل السنة بل المسلمون كافة أن خرق الأجماع القطعي الذي صار من ضروريات الدين كفر ، وبه صرح في خزانة الجرجاني والمحيط البرهاني وأحكام الجوزي وأصول البزدوي ، ولا كتاب بعد الكتاب المنزل فلا شك في إلحاق هؤلاء وشبههم من أهل البدع بدار الكفر بنص الكتاب ، قال تعالى : «والذين يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَساداً يُقْتَلُونَ أَوْ يَصْلَبُونَ أَوْ يَنْفَوْنَ مِنَ الْأَرْضِ» وليس الفساد إلا خلاف ما عليه المسلمون قاطبة ، فهم من أهل الردة وقد استباح الصديق (رض) إلحاقهم بدار الحرب بمنعهم الزكاة ، فكيف بمثل هذه الدعاوى الفظيعة . ولا ريب في إكفار من قال بالربط العادي ، والتشبيه والتجسيم ، والجهة ، والأصول الثلاثة ، وقدم العالم ، والجواهر ، وتلازم الأسباب الطبيعية في التوليد ، والعقول المجردة والنفوس الفلكية والقوى المتخيلة في الإنسان من حيث استيلائها على القوة العاقلة وصرفها عن جانب القدس إلى الشهوات واللذات الحسية الوهمية ، فنسبة ذلك إلى بعضه كفر أو إكفار والله تعالى أكمل الذين بأية الأكمال . وغير أهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس لم يعهد ولم نسمع به ، فأكفار هذه الفرقة من المبدعين ومتابعيهم والراضين بفعلهم والمساعدين لهم وإلحاقهم بدار الحرب بما عليه الفتوى . ومن (مختارات النوازل)<sup>(١)</sup> تبجيل الكافر كفر ، فمن سلم على الذمي تبجيلاً كفر .

وفي آخرها نسبة الكفر لجماعة معلومين مشخصين وجعلهم من التابعين لهم ، منهم العجمي السابق الذي أتى بالأسفار .

وآخرها : حُرِّرَ بيراع أبي الثنا شهاب الدين المفتي ببغداد<sup>(٢)</sup> (عُفِيَ عنه) .

وفي هامشها : خطوط جماعة من علماء أهل السنة بتصحيح ذلك كله ، ولا تحضرني أسماؤهم .

فلما أحاط الحسن ومن معه بها خبراً التفت إلى أمين الفتوى مستفهماً عما جاء به ، فقال له : زين هذا (الطرس) بقلمك ، واختمه بخاتمك بأمر حضرة المفتي ليكون العمل عليه

(١) ورد في هامش النسخة المخطوطة «الظاهر أنه اسم كتاب» .

(٢) أبو الثناء السيد محمود بن عبد الله الألوسي : وُلِدَ سنة ١٢١٧هـ / ١٨٠٢م . وتقلد منصب (الأفتاء) سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م في زمن الوالي علي رضا باشا اللاز (الذي حكم من سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م حتى سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م) . وقد توفى سنة ١٢٧٠هـ / ١٨٥٤م .

بإجماع علماء الأسلام .

فقبض الشيخ على كريمته متأملاً ، ثم قال له : إن ما عليه الجمهور لا ينكر غير أن المتسرع بالفتوى في خطر عظيم ما لم يتبصر ويجدّ ويجتهد فيما يدين الله به ، وقد اشتملت الورقة على مسائل ينبغي أن تلحظ ، ونحن على جناح سفر فأستقرّ بنا المقام نظرنا في نتائج هذا الكلام ، (وعند الصباح يحمد القوم السرى) .

فسكت أمين الفتوى وطوى ورقته وخرج مع من صحبه .

فلما توارى شخصه أقبل الشيخ بوجهه على الجماعة وقال : هذا أمر لا ينبغي لي أن أعترف بشئ منه أو أمضيه وأخشى أن يكون مقدمة لأمر آخر ، فأنا إن وافقناهم ولو على الضروري وقعنا في أمر لا يسعنا إنكاره وهو خطر عظيم . فقال الجماعة : وماذا ترى؟

قال : أرى ما يكون إليه المآل ، فإذا بلغت التقية الدماء فلا تقية ونستعين بالله وصاحب الشرع عليهم .

فقال الجماعة : الرأي رأيك ، إلا الميرزا حسن كوهر<sup>(١)</sup> قال : نفارقهم إلى إيران ،

وكلُّ مكانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طيّبٌ

فلم يستصوب الشيخ ولا الجماعة رأيه .

وقال بعضهم : الرأي أن نوافقهم حسب الأمكان كما أمرنا بذلك ولا نُدخل سبيلاً على أنفسنا . فقال الشيخ : ذاك أدهى وأمر ، معنا من يعيننا عليهم :

فعاز على حامى الحمى وهو فى الحمى إذا ضلّ فى البیدا عقالٌ بغيرِ

ثم أمسكوا وبقوا يومهم وليلتهم في تشويش وتفكر . فلما أصبحوا وتصمّم بعض اليوم والشيخ في مجلسه ، والشيعة تختلف إليه ، حتى من كان في القرى الحبيطة ببغداد ، فدخل عليهم القائد الذي جاء سابقاً فقبل يد الشيخ وأخرج رقعة ودفعها إليه ، وإذا مرسوم فيها استدعاء الشيخ ومن معه إلى قصر الأمانة غداً أول النهار من الوالي . فأنعم الحسن بالقبول وخرج القائد .

ولما انقضى زمن المهلة وحان حين الوقت واجتمعت الجماعة نزل الشيخ من المكان المعدّ

(١) الميرزا حسن كوهر من تلامذة السيد كاظم الرشتي ، وكان من دعاة الحركة الكشفية في كربلاء ، توفى عام ١٢٦١هـ / ١٨٤٥م . وقد اتبعت الحركة بعده الميرزا محمد باقر الأسكوثي المتوفى سنة ١٣٠١هـ / ١٨٨٣م .

له محتبي بجبة خز صافية عليه أهداها إليه بعض أمراء إيران ، معتم بعمّة بيضاء من وبر مخصوص غالبي الثمن وعلى وسطه مثلها ، وقبأؤه من (البرك) الخراساني ، وهو طلق المحيا بأبهي ما يتصور :

ولولا قدرة الباري لقلنا لملك قط لم تلد النساء

غير أن عمته متصلة بحزامه ففطن له أصحابه وقالوا : يا مولانا العمامة متصلة بالخزام ، قال : نعم مهما أمكن ، الاتصال لا يجوز العدول عنه إلى الانفصال ؛ قاعدة مسلمة والحنك بينهما ، ولم أجد في السنة عدم صدق الأسم على المتصل ، فتبسّموا خفيفاً ولم يعرضوا تأديباً . ثم قال : إن وضعت الكل على رأسي صارت مستهجنة في الكبر ، وإن قطعتها نصفين أخل ذلك بها ، وهي من ذوات القيم ، فطريق الجمع هذا ، فأمر رجعت سالماً نزعتها ، وداعبهم بمثل هذا حتى رفع توخّشهم .

قال المهدي : فأنحدرنا ونزلنا خلفه عازمين على ما دُعينا له متوكّلين على الحي القيوم مستغيثين بولي الأمر (ع) ، وحينئذ قدّمت له (بغلة) الصالح الشهباء ، وأحاطت به العلماء من صحبه وغيرهم ، فخرجوا وإمامهم أمامهم ، ومرّ بمن معه في الأزقة والأسواق لا يلوي على أحد إلا قام تعظيماً له ، ورمقتهم الأبصار وتبعهم من الأمامية خلق كثير . حتى إذا بلغوا دار الأمانة وجدوا الحجاب صفين ببابه كالبنيان المرصوص ، فدخل الشيخ (الصراي) الأول وإذا به مملوء من الناس نساء ورجالاً من كلّ ملّة ، وأهل النوبة مصطفىون إلى باب (الصراي) الآخر يحولون بين الناس والطريق .

فلما دخل الثاني وهو على بغلته ، وصحبه خلفه وإذا به كالأول في الخلق ، ورأوا القواد ، والشرطة ، وأهل النوبة ، وأمراء الجند كلّاً على مرتبته واقفين ينظرون إليه من طرف خفي ، والشيخ في أبهة حسنة تسرّ الصديق وتسئ العدو . فلما توسّط دار الأمانة (صلّى) بعض الشيعة رافعاً صوته فصلّى من حضر من الناس كذلك ، وارتفعت الأصوات بالصلوات .

وقبل أن يحاذي المقصورة العظمى التي هي محل الأمر والنهي ، والفتق والرتق ، والمجلس العمومي فيها خرج من غرفة مجاورة رجل إلى الطول أميل خفيف العارضين متقلداً سيفه مسدلاً على صدره نيشانه المرصع ، فأسرع إلى الشيخ وأخذ بلجام بغلته وسأله النزول بباب غرفته . وذاك الرجل يدعى بصادق بك (مدار أمور الولاية) ويطلق عليه (الكهية) . فترجّل الحسن ودخل بمن معه الغرفة ، وأمر لهم الكهية بما يناسب من الأكرامات .

وكان طريق المقصورة العظمى على تلك الغرفة ، فنظر الجماعة إلى علماء السنّة يهرون ولا

يمنعون إلى مقصورة الوالي الكبرى ، فأخبروا الشيخ رمزاً بذلك ، فانزعج وخاطب الكهية بأنك حبستني عندك وعلماؤكم تمر علينا ولم تحبسهم أما والله تعالى إن وجدت المكان المعد لنا في مقصورة الولاية غير لائق رجعت على أثري بمن معي فأنا العزة لله ولرسوله وللمؤمنين . فقال الكهية : خفض عليك يا شيخ أفندي فلعل لك في هذا تمام الصلاح فأنا الدستور الكبير لا ينبغي بك بدلاً ولا يقدم عليك أحداً فأبشر .

وما تم كلامه حتى صدر الأذن بدخول الشيخ وصحبه إلى المقصورة العظمى المسماة بالجُمالي . فنهض والجماعة في أثره وكانوا أكثر من ثلاثين ، فدخلوا وإذا به محل واسع طوله أكثر من ستين ذراعاً باليد في عرض خمسة وعشرين ذراعاً ، والوزير في صدره في وسط القبة ، وعلى شماله مما يلي (دجلة) ، علماؤهم جلوس إلى آخره يزيدون على المائة والعشرين . وفي طرف اليمين لم يكن أحد سوى إسماعيل خان (وكيل شاه ايران) لحراسة رعيته ، وهو جالس في عرض المقصورة .

فلما أبصر الوزير الشيخ نهض قائماً وقام كل من حضر ، ومضى الحسن على رسله إلى أن وصل إليه بعد أن استقبله بخطوات وجلس إلى جنبه ، وجلس أصحابه بحذائه كل على مرتبته . وكان أقربهم إليه السيد إبراهيم القزويني وابن أخيه الشيخ محمد ، وهكذا إلى أن إنتهى مجلسهم بالخان المزبور فلم يستوفوا بالجلوس ثلث المقصورة وقليل ما هم «وكم من فئة» . ومن اطمئن بهم المجلس ارتدت من الناس الأنفاس ، وسكنت الحواس من هو في ساحتهم . فرحب الوزير بهم وحياتهم وعطف على الشيخ وقال : أزعجناك وأزحمتناك في كانون ، والمجلى إن شاء الله ما تجد .

فأجابه : إني كثيراً ما يختلج في بالي أن أزورك غير أن ضعف البنية يمنعني منه فأجتزئ عنه بالدعاء للدولة العلية ولوكلائها خصوصاً حضرتكم في روضة أسد الله الغالب علي بن أبي طالب (ع) ، ولا شك إن دعائي وسائر أهل التحصيل مستجاب عند الباري لأنه غير منوط بطمع ، ولا مأخوذ عليه الأجر وإن كنا في أمن واستراحة فأنا الدعاء لحفظ الثغور من الواجبات العينية .

وكان المفتي أبو الثناء شهاب الدين السيد محمود أفندي آكوسي زاده ذا علم ومعرفة وربط بالمعقول والمنقول وله التفسير الكبير المعروف (روح المعاني)<sup>(١)</sup> يُزعم أنه لم يكتب مثله ، فقال للشيخ ، وكان ثالث ثلاثة عن شمال الوزير : يا حسن أفندي : إن الدعاء مع

(١) روح المعاني من التفاسير الشهيرة للقرآن الكريم ، وهو مطبوع ومُتداول في (٩) مجلدات ضخام .

الأحسان أشد إخلاصاً وأقرب للأجابة .

فضحك الحسن وقال : «أين ظَلْتُ مطيئَكَ يا حَسَّان؟» . إنَّ الدعاء لوليّ الأمر عبادة تناط بالأخلاص والقربة ، وأخذ (الجعل) و(الأجارة) ينافيه ، ولذا تركتهُ الأولياء ، وكان المتعفف منهم أوقع في النفوس مثل ابن عربي ، والغزالي ، والبسطامي ، وغيرهم . أو ما بلغك أن عمر ابن عبيد لما استدعاه الخليفة المنصور إليه من البصرة قال : أتدعولي ، قال : نعم ، قال : سلّ حاجتك ، قال : مالي سوى واحدة وهي أن لا تدعوني حتى آتيك . فقال : إذن لا نلتقي .

وهذه سمة الأولياء والسلف الماضي .

فقال : الدعاء للأحسان لا للأجر المنافي للأخلاص ، قال : وترك القبول أولى وأخلص كيلاً يُجزع إن انقطع فيكون ممن قال الله تعالى فيهم : «ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطي منها رضي» فأنا نرى بالوجدان أنه متى تأخر نجم من نجوم معاش الرجل المقرر له فضلاً عن قطعِهِ ينقلب المدح ذمّاً فضلاً عن ترك الدعاء .

ثم التفت إلى الوزير ودعا بأعلى صوته بما يقتضيه المقام للسلطان إلى أن أعلن بآمين ، فأمنت الناس جميعاً . فسرّ الوزير بذلك ولاح البشر في وجهه . ثم إلتفت وراءه فتناول عِيْبَةً فيها قراطيس وألقاها بين يدي الحسن ففتحها وأخرج ما فيها ، فوجدها أسفار العجمي ، فألقاها في الأرض وهزّ يده .

أقول : وقد أطلعني بعض الأصدقاء بعد مدة على ورقة منها فوجدت فيها : «أما والنجم السيار ، والفلك الدوار ، واختلاف الليل والنهار ، ما في العالم العلوي ولا السفلي ، سوى الباب اللاهوتي ، والشأن الملكوتي ، أقفُ أثر من كان قبلك من النبيين ، فأنا المبدأ الأزل ، فاقمع زيغ من ألدّ وظلّ عن الطريق بما كان ويكون» . إنتهى ما ببالي من تلك الورقة .

وكنْتُ أحضر (المطوّل) عند الشيخ إبراهيم قفطان (ره) فمررتُ بترجمة المتنبي في (معاهد التنصيص) فوجدتُ هذه الفقرات بتغيير يسير فيما ادّعى النبوة فيه فعرفتُ أنها ملفقات بلا معنى ولا مبنى أعاذنا الله من الجنون الأبليسي .

ثم قال الحسن : (أفندم) ، نحن في جوار المرقد العلويّ وهو قصر بوادٍ غير ذي زرع ، وحرّم تقصده الناس من كلّ فجٍّ عميق على اختلاف مللها وطرائقها ، ومن سائر أصناف الدراويش وأرباب الفال ، وأغلب من يأتي من هذه المقولة نجده على خلاف ما عليه المسلمون ، فواحد بيده (طوط) ، وله مرّدة يزعمون أنه مرشد ، وآخر له بساط فيه أسباب يزعم أنه يفرّق بين

المرء وزوجه وأنه يسخر الجن وأنه يجلب الحب، فتجتمع عليه نواقص العقول ويتوصل بذلك إلى معاشه، وبعض يلعب بالدفوف وييده حديدة محماة يضرب صدره وبطنه ويخرجها من جانب لآخر<sup>(١)</sup>، ويدعي أنه من نسل سيدنا الرفاعي، وإن هذه سجيته افتراء عليه فيما حرم الله تعالى، وبعض يصفق ويغني وينشر شعره ويغيب نفسه عن الوجود ويدعي أنه من الأقطاب بالجنون، وبعض يترك الواجبات بأسرها ويدعي أنه وصل إلى اليقين، فلو اعترض عليه يقول: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين»، وأمثال هؤلاء أكثر من أن يحصى. فلو أنا نعاقب كل من يدخل إلينا من هذا، أو من أرباب العقائد الفاسدة ويسألنا الوالي عنهم لما قررنا قرار، ولكن لكل مرض دواء، ودواء مثل هذا الأعراض عنه وعدم الاحتفال به فيتلاشى بالطبع ويضمحل ولا يبقى له أثر، وإذا أتبعناهم تزايدوا (المرء حريص على ما منع)، ولو كشف لي الغطاء أنك استدعيتنا لذلك لذكرت لحضرتكم الرأي المصيب فيه. لكن الخير فيما وقع.

فدخل ذلك في عقل الوزير واستصوبه، والتفت إلى (المفتي) بالأشارة وكان المفتي لسناً أديباً فصيحاً بارعاً في النحو والصرف والبيان جدلاً وقاحاً ألدّاً، فبرز قليلاً عن أصحابه بحيث تميز تقدمه ونادى: يا حسن أفندي، هذه بدعة، و(كل بدعة ضلالة) ونخشى بسببها إكفار خلق كثير، فيجب على ولي الأمر ونوابه وسائر العلماء أن يجتهدوا في محوها ويعاقبوا عليها بالقتل والحرق والتمثيل وليس هذا من ذكرت. والمقيس غير المقيس عليه للفرق الواضح بينهما مع بطلان (القياس) عندكم، وكون ذلك مما يقضي به الاعتبار فيكون المستند في الأعراض منهم العقل أيضاً لا يجدي لتوقفه على تجربته من شوائب الأوهام والألف والعادة والأحترار عن الخطأ في الترتيب والعلم بخلوصه مما يخل، وكل ذلك مفقود فيما نحن فيه إن لم يقض العقل للزوم الفساد فما تقول؟

ثم سكت، (وترجم ذلك للوزير بالتركية).

فتقدم الحسن حتى ترك الوزير خلفه فقال: إن مجلسنا لا ينتظم إلا أن تُعيّنوا منا رجلاً ومنكم رجلاً للمباحثة.

فوقع الرضا منهم على (المفتي)، ومن الشيعة على (الحسن). فالتفت إلى المفتي وقال له: (لقد طاش سهمك)، إننا لا ننكر لزوم إزالة ومحو (البدع) عيناً وكفاية فأنه من الضروريات، ولا يحتاج إلى برهان، وكذا ما يتوقف عليه، غير أن المقدمات مختلفة.

(١) ورد في هامش النسخة المخطوطة تعليقاً على هذه الفقرة: «يشير بهذا إلى أهل الطرائق المدّعين للتصوّف من أهل السنّة والجماعة» - منه - .



فمنها : ما يحصل به الفساد (ذو المقدمة) من دون ترتب فساد آخر من نهب أو قتل أو أضرار ، ومنها : ما يحصل به المطلوب بسهولة ، ومتى انحصرت لَوْحِظَ الأهم ما بين الضرر الناشئ من فعل (المقدمة) وإن حصل به المطلوب وما بين الناشئ من تركها والأعراض عن المأمور به . وإلى ذلك ينظر إلى فعل النبي (ص) لما صالح بعض الكفرة المأمور بنص الكتاب بقتالهم في قوله تعالى : «فاقتلوا المشركين كافة» إلخ . ولا يناسب في ذلك المصالحة وأخذ الفداء ، والهدنة حتى ترك الحج ، ورجع . كُلَّ ذلك بمراي من الصحابة ومسمع . وسببه أن الأسلام إذا ضَرَبَ بجرائه<sup>(١)</sup> وقويت أهله ضَعُفَ الجانب الآخر .

وفيما نحن فيه إذا أمكن محو هذه (الفرقة) المنحوسة بغير القتل ، والتمثيل من لطائف الحيل وجب ارتكابه لما في الأول من الضرر وأقله أخذ البرئ بالذنب والحمل على الحقوق فيُعَرَضُ ولي الأمر عنهم كأن لم يكونوا ويضع (المراصيد) عليهم ، ويعتالهم ، ولا يجعلهم طرفاً مقابلاً فيتعاضم أمرهم ويلحق بهم غيرهم فأَنَّ النفوس للطمع مجبولة على حب الفساد ، فلا ريب أَنَّهُ أولى وله أسوة حسنة بمن سبق .

قولك : «إنَّ المقيس عليه غير المقيس» فيه تمام المؤاخذه ضرورة أن القائل يرى أن أصل الحكم إذا كان مأخوذاً من الشرع يقاس عليه ولا ريب أن الحكم فيمن ذكرنا مأخوذ من الشرع فهو من موضوع (القياس) ، وأي فرق بينهما . وإني أحذرك بطش الله تعالى في تأجيج نائرة عظيمة يهلك بها خلق كثير . ألم تدري أن الشيعة كلهم في حَيْصٍ بَيِّصٍ<sup>(٢)</sup> من إرسالكهم على علمائهم وقد خيلت لهم بعض الخيالات ، فأخماد هذه الفتنة وأخذها بالأمور السياسية أولى .

ثم أمسك وترجم للوزير ذلك . فلما تم قال المفتي : دع عنك يا حسن أفندي هذا ، فأنا قد أفطينا بارتدادهم ، وسفك دمائهم وقد نصبنا السلطان لذلك فيجب على القاضي أن يحكم طبق الفتوى ، ويلزم إجراء الحكم ولا يجوز الرد والنقض .

فأجابهُ إن كان الأمر كما تذكر فما وجه إحضارنا؟! فأن فصل الحكومة يحصل من قاض واحد وجمع الحكام في مسألة إما لأعانة الحاكم في مقدمات الحكم ، وإما لأنفاذ الحكم فيما لو حكم به أحدهم . وما ذكرته يتوقف على أمور ينبغي أن تُلحَظ كيلا يكون الحكم بغير ما أنزل الله تعالى خصوصاً في مسألة (الدماء) .

(١) ضَرَبَ بجرائه : استقر وثبت .

(٢) حَيْصٍ بَيِّصٍ : ضيق وشدة .

منها : التفكير في أصل المسألة التي صدرت الفتوى بها في أنها محلّ خلاف ، أم وفاق ؛ وعلى الأول يُنظر في قول وهن المخالف وعدمه .

ومنها : لزوم إحراز الموضوع فقد تكون المناقشة في الصغرى ، ومنها أن السلطان إذا نصّب مفتياً أو عين قاضياً وأفتى المفتي على طبق مذهبه مع مخالفته لباقي المذاهب أو بعضها فهل يجب على من خالفه إنفاذ تلك الفتوى ، ويلزم القاضي الحكم بها أو للمخالف أن يرد الفتوى حتى يظهر رجحانها على غيرها يكون الأكثر عليها ، أو صدور النص الصحيح بها أو غيره من المرجّحات . فإذا ترجحت تلك الفتوى بمرجحها لزم القاضي الحكم بها ، وإلا توقف أو حكم بضدّها حيث يكون له الرجحان . ولا فرق في ذلك بين أنواع المسائل وأصنافها عدا الضروريات . وبناءً عليه يلزمنا التدبّر في خصوص هذه الفتوى من جميع أطرافها فأن وجدنا فيها موضعاً للاشتباه سألتك إما الرجوع عنها أو رفع الشبهة .

ثم أمسك وترجم ذلك للوالي .

ولما رأى المفتي توسّط ذكر (السلطان) انتهزها فرصة فقال : نعم السلطان وليّ أمور المسلمين فإذا نصب مفتياً أو قاضياً وعين له مذهباً خاصاً تعيّن قبول تلك الفتوى من جهة أمره ، ولزم القاضي الحكم بما تضمنته . (وسكت وحصلت الترجمة) .

ثم قال الحسن : هذه مسألة طويلة ، ولكن الذي أمرنا به العمل بما وافق الكتاب والسنة وتطبيق الفروع على الأصول في غير المنصوص أو الرجوع إلى الأعلام ، الأعراف فيه لكونه أقرب إلى الواقع ، ويلزم امتثال أوامر ولاية الأمر في السياسات وتقوية الإسلام ، وأما فيما كان المرجع فيه الكتاب والسنة فلا يأمر السلطان بخلافه ، وإن أمر لا يجوز اتباعه وليس الحكم الشرعي دائراً مدار أمره ونهيه بل يدور مدار السنة ، وإلا لما دوّنت الكتب وحفظت السنة . وعلى ما ترى أوامر السلطان بلزوم متابعة الأمام الأعظم كما هو مذهب الآن يقتضى أن لا يُجوّز العمل بباقي المذاهب ويحرم التدبّر بما اختلفت فيه أهل المذاهب ، والحكم بأقوى الأسلامية . نعم يلزم ترك الشاذّ النادر والتدبّر بما اختلفت فيه أهل المذاهب ، والحكم بأقوى الأمارتين ، لكن بشرط أن لا يكون مذهباً محدثاً بحيث يلزم منه الخروج عن الأجماع ، فأنّ مارآه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن .

وفي كتاب «المواعظ» أن الظاهر بيبرس<sup>(١)</sup> سنة خمسة وستين وستمائة لما رأى مذاهب

(١) الملك الظاهر بيبرس ولد سنة ٦٢٥هـ / ١٢٢٨م ، وتولّى حكم مصر والشام سنة ٦٥٨هـ / ١٢٥٩م ، وفي سنة ٦٥٩هـ / ١٢٦٠م انتقلت الخلافة إلى الديار المصرية . توفي بدمشق سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م . وأقيمت حول مرقده المكتبة الظاهرية الشهيرة .

الناس متشعبة لهنات كانت في أيام السلطان صلاح الدين حمل الناس على المذاهب الأربعة وولّى في مصر أربعة قضاة لكل مذهب قاض وعُملت لأهلها المدارس ، و(الخوانك)<sup>(١)</sup> في الزوايا والربط إلى آخر ما حكى فيه ، لا يجب العمل بما طابق أحد المذاهب حتى لو عيّن السلطان لمن يضعه للأفتاء ذلك بل يكفي أن لا تخرج الفتوى عن جملة المذاهب . وأمسك .

والتفت المفتي إلى أصحاب الشيخ وقال لهم : إن جميعكم تقولون بهذا ، وتوافقون الشيخ حسن أفندي ؟ قالوا : نعم ، المترجم يترجم للوالي وهو يقول : (أيوت) ، أي نعم . فقال المفتي : يا حسن أفندي تشيع شطراك حيث حصرت المذاهب بالأربعة فالمذهب (الجعفري) محدث ؟

فجلس الحسن على ركبتيه واحمرّ وجهه ، وخرج بكّله عن المجلس وقال : إسمع وع ، إنّ المذاهب كلها مرجعها إلى المذهب (الجعفري) لأنها لا تخرج عن السّنة وهو أصل جليها وقد أجمع علماء الإسلام على قبول رواية جعفر بن محمد (ع) عن آبائه عن النبي (ص) عن جبرئيل عن الله تعالى ولم يطعن طاعن في سلسلة روايته ، وعبر الكل عنها بسلسلة الذهب ، ولا ذكر أحد عدم جامعية من يروي عنهم لجميع ما اشترط في قبول الرواية كما ذكر أهل الرجال في غيره من الأقاليل ، فإن الكتب تنبّهك عن توثيقه ، ووفور علمه المتلقي يدا بيد عن آبائه ، وأهل البيت أدري بما في البيت ، والمنتخب من علماء السنة والأمامية إنما يتميز لأنه أخذ منه أو من آبائه وأبنائه فهو أصل لهذه المذاهب ، وحكمه حكم النبي (ص) بالنسبة إلى العلماء لا أنّه مذهب في عرض هذه المذاهب فيكون المقلّد مختاراً بين الرجوع إلى روايته ، ورواية غيره بل هم كلهم طرق إلى الوصول إليه وإلى أحد آبائه . نعم إن لم تكن له أو لأحد آبائه رواية في حكم يرجع فيها إلى أحد أعيان الصحابة ويؤخذ بالأوثق الأعرف منهم ، بل إذا دار الأمر بين رواية أحد الصحابة وبين رواية علي (ع) عن النبي (ص) في مقام الاختلاف يلزم الأخذ برواية علي (ع) لأنه أقرب إلى النبي (ص) في خلواته كما نص عليه ابن حجر .

والعجب منك مع وفور علمك ، وجودة فهمك وإحاطتك بالسنن أن تتفوه بأن المذهب الجعفري مذهب في عرض المذاهب ثم تقول أنّه محدث ، ولو ادّعت الحدوث في غيره لكان أولى فأنا اجتهدنا كثيراً في الاستدلال على لزوم حصر الرجوع إلى هؤلاء العلماء الأربعة فلم نجد دليلاً وافياً بذلك بحيث لو ردّ عليه سوى الأجماع المذعّى مع إمكان

(١) الخوانك : جمع خانكاه . والزوايا هي التكايا التي تصنع للدرويش ، - منه - ، (عن هامش المخطوطة) .

المنافسة فيه ، كونهم أقرب طرق الأيصال إلى معرفة حكم الله تعالى لا دليل عليها من عقل ولا نقل لأن العلماء لا تتناهى ، فلعل في الناس من هو أعلم منهم بخلاف الأقرببة التي ندعيها لأن منشأها الوثوق بالراوي في الرواية بالحكم المتضمنة له فكأنها مسموعة شفاهاً من النبي (ص) فنرجع إلى اللغة والعرف في المعنى ونجتهد في ذلك وهذا معنى (فتحنا لباب الأجهاد) . ثم نجتهد أيضاً في توثيق من يروى عنهم بالطرق المألوفة ، ومن هنا حرّمنا (القياس) لعدم احتياجنا إليه مع إمكان أخذ الحكم من طريقه ومعدنه .

وما كان يمرّ ببالي أو يختلج بخاطري أن مثلك وأشباهك من ذوي المعرفة ترى أن ما تتعبد به الأمامية مذهباً . كسائر المذاهب ، كأنك لا تدري أن المذاهب ترجع إليه . ولا تقل إن السابقين من ولاة الأمر لأي شيء لم تحمل الناس عليه فأن سببه واضح لأن (الولاية) حملوا الناس على التدين بدين النبي (ص) وعلى الرجوع إلى من يروى عنه بطريق موثق . وحيث كان العلماء الأربعة من أهل المناصب في عهد سلاطين بني العباس فأوجب شهرتهم بين الناس ، وأن من يروي عن الصادق (ع) وآبائه من المنزوين في زوايا الخمول ولا تعرفهم الولاية ولم يتعرضوا لمنصب فلذا لم يرشدوا الناس إليهم . ولو أنهم عرفوهم وبأن لهم فضلهم لأرشدوا الناس إليهم ، فأن الرواة عن الصادق (ع) وآبائه (ع) فيهم من لا ينقص عن العلماء الأربعة بل يزيد ، وناهيك بذلك كتبهم ومصنفاتهم في الأصول والفروع والحكمة والكلام . نعم لا ننكر أن الأربعة من أجلاء علماء الإسلام جدوا واجتهدوا وأفضلهم على الظاهر الأمام الأعظم<sup>(١)</sup> لأنه قرأ على جعفر بن محمد (ع) كما ذكروا في ترجمته ، وهذا من ذاك .

ولما بلغ الحسن إلى هنا اتكأ واستراح وكانت تقع (جبته) في أثناء الكلام عن كتفه فيرجعها الوزير إلى متنه وهو يقول : بارد . ومذ هدأت شقشقته وترجمت للوزير وقعت منه موقع القبول وقال بالتركي ما ظهر منه لعلماء السنة الميل إلى الشيخ . ولما كان من أول المجلس قد أمر أن المباحثة تكون بين اثنين وأن كل واحد من الفريقين يعين واحداً منهم لذلك ، إن كل واحد من الاثنين المعيّنين لا يجيبه الآخر حتى ينتهي كلامه ويترجم للوالي ، فلذلك إنتظم المجلس كما ذكرنا .

قال أبو الحسن العلوي وهو من حضر ذلك المجلس وهو من أصحاب الشيخ (ره) : أما والله لقد رأيت الحسن بن جعفر يتزايد جرأة وإقداماً كأنه في مجلس تدريسه ، ورأيت الطرف المقابل يتناقص شيئاً فشيئاً :

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت ، ولد سنة ٨٠هـ / ٦٩٩م ، وتوفي سنة ١٥٠ / ٧٦٧م .

وَهَلْ تَصْفَحُ الْأَفْعَى إِذَا مَا تَلَا قِيَا عَلَى تِرَةِ السَّلِيمِ وَنَابَهَا

ثم قال المفتي : يا شيخ أفندي إني الآن أثبت عند القاضي إرتداد هذا الرجل المحبوس الذي جاء بالأسفار ، وأخذهُ بأقراره فيحكم القاضي وأهدر دمه ، ثم أنشني وأقيمُ البيئة العادلة على ارتداد متابعيه فيحكم القاضي بما يدين الله فيه ، وأنتم تنظرون فأَنْ وجدتم نقصاً في مقدمات الحكم ، أو عيباً في الفتوى اذكروه لننظر أنه عن أصل ثابت ، أو من فضول الكلام .

فقال الشيخ : لا بأس بذلك .

ثم سأله : مَنْ هذا الرجل المحبوس ؟

قال : هو رجل يدعي أن اسمه الداعي إلى (الباب) وأنه من (النواب) .

ثم إلتفت إلى باب المقصورة وقال : عليّ بالشهود . فحضر رجلان أحدهما معمم بعمامة سوداء عظيم الجثة وقد حلق لحيته ، والآخر من أواسط الناس على رأسه عقال .

فقال : كنتُ بالأمس مع هذا الرجل في الحبس فسألته ما سبب حبسك فقال : أنا الداعي إلى (الباب) وأني مؤمن به وبكتابه . ثم تنحى وسأل الآخر فأجاب بما أجاب به الأول . فعطف الحسن على أصحاب المفتي وقال لهم : أتعرفون الشاهدين وتوثقونهما ؟

فسبق المفتي وقال للشاهدين : إستغفرا ربكما وتوبا ثم اشهدا ثانياً . ففعلا .

فقال الشيخ : أحببتُ أن أعلم أن حبسهما كان ظلماً أو أنهما ارتكبا خلاف المشروع فاستحقاً ذلك ، ولكني الآن أعرضتُ عنهما . نعم ينبغي أن تقام البيئة عليه بحضوره فعساه أن يتعلق بشئ يزيل الحكم . ولما فهم الوزير بالترجمة ذلك أشار بيده .

قال أبو الحسن العلوي : والله لقد كان جلوسي بحذاء باب مفتوح من المقصورة مشرف على الساحة فرأيت الناس قاموا وهي توج بعضها في بعض واختلط الرجال بالنساء وهجم من كان خارجاً على القصر وهي تترى ، وما شعرنا إلا وقد قادوا رجلاً معممًا بسلسلة من حديد وهو مقيّد وأمامه أربعة من الشرطة وخلفه مثلهم وهم يُنَحَّوْنَ الناس عنه بأعمدة من حديد حتى صعدوا به إلى المقصورة . وتذاكلت لئلا تناس عليها حتى وطأ بعضهم بعضاً . وانتهى بالرجل إلى وسط المقصورة ووقفت أهل النوبة تحجز الناس عن الدخول .

فلما نظر الحسن قال : دعوه حتى يرتد إليه روعه .

قال المهدي : وتأمّلتُهُ وإذا هو صاحبنا العجَمي الذي جاء بالأسفار . ولقد لحظتُهُ وهو مدعوٌّ به إلى القتل فما تغيّر لونه ولا اصفرَّ وجهه ولا أخذه الرعب ، ورأيتُ به (سبعية) ما وجدتها في أحد .

فاستأذن الحسنُ المفتي فأذن له ، فقال له : مَنْ أنتَ ، ومن أين أتيت؟  
أجاب : إني من (فارس) من توابع عراق العجم ، وأرسلني (الباب) إلى هذا الطرف لأدعوهم إليه .

فقال الشيخ : وما الباب؟  
قال : رجل مثلك يدّعي أنّه قطب العالم وأن به قوام الأفلاك ، وأنا مع جماعة صدّقنا مقالته .

قال : وما أرسل معك؟  
قال : الأسفار التي انتهبتموها في (الغري) .

فالتفتَ الشيخ إلينا وقال : أهذا صاحبكم العجَمي؟ قلنا : نعم ، قال : سبحان الله خلته بما وقع عليه ولّى هارباً إلى أهله .

ثم عطف الشيخ عليه وقال : أنت مؤمن بالذي أرسلك وبذلك الأسفار ومصدق بما يدّعيه من خلاف المذهب وما عليه عامة المسلمين؟

فقال بلسان عربي مبين : نعم قد كنت كما ذكرتُ من الاعتقاد به ولكن قبل يومين تفكّرت في أمري وأنا من أهل العلم وراجعت نفسي واستعذت من الشيطان فوجدتُ أنني على ضلالة وأنا في الهاوية وانكشف لي بطلان ذلك كله ، فقممت وأسبغت الوضوء وصلّيت صلاة التوبة وندمتُ على ما كان مني وتبتُّ إلى الله توبة نصوحاً . فهل ترى لي يا شيخ من توبة وإنّك إمام الملة الإسلامية؟

فقال الشيخ : نعم يتوب الله عليك ، ويدركك .  
فأسفر المفتي عن ذراعه وقال : مهلاً يا حسن أفندي إن توبة المرتدّ الفطري غير مقبولة عند الأمام الأعظم ، وتجري عليه أحكام الكفر تاب أو لم يتب .

فقال الشيخ : العذل يمنع من عدم قبولها للزوم تكليف ما لا يطاق لبقاء التكليف وامتناعه في حق المرتد ، وآية «ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً» لم تخصص

مع أنها مقبولة عنده .

قال المفتي : أنت مشتبه ، هي غير مقبولة عنده .

قال الشيخ : بَلْ أنت لا تدري .

فتراداً ثلاثاً والعجمي واقف ، والجلاد منتظر الأمر ، والناس على ما وصفنا ، فرفع الوزير يديه فأمسكوا جميعاً عن الكلام ، ثم أشار إلى المترجم فلخص له المقالة والمنازعة ، فقال : وما يقطع ذلك؟ قالوا : الكتب . فقال بالتركية : ( كيترن ) أي أحضروها .

فصاح المفتي : تعال ، فأمره أن يأتيه بفتاوى أبي حنيفة ، فأسرع الرسول وجاء بالكتاب .

فقال الحسن : هاته . فظن المفتي أنه يعجز عن إخراج الفتوى منه ، قال : إدفعه إليه ، فناوله إيّاه .

قال جميع من حضر : فَوَاللَّهِ لقد فتحه ولم يقلب منه ورقة كأن له به علامة ، ونحن ندعو ونبتهل أن لا يخجل الشيخ فيذهب مجلسنا كأمس الدابر ويكون الغلب له ، ولكن الباري هو المعين .

فقرأ الشيخ : «الخامس : المرتد عن فطرة يقتل ما لم يتب فأَنْ تاب دُرْأ عنه الحد كغيره من الكفرة» .

فألقي الحسن الكتاب من يده ، والتفت إلى الوزير وقال : أفندم تُنصَّبُونَ للفتوى مَنْ لا يدري بمذهبه فيستبيح نفوس الناس وأموالهم ، إن هذا لظلم عظيم!!

ففهم الوزير ذلك ودَخَلْنَا من السرور والفرح ما يضيق عن وصفه نطاق اليراع .

ولما انتهى الحال إلى هنا والخلق بتلك الكيفية رفع الوالي رأسه وأشار . فأطلقوا العجمي ، وعلَّتْ أصوات الشيعة بالصلوات . ثم أشار إلى علماء السنة فنهضوا جميعاً دفعة واحدة لا يبصر أحدهم موضع قدمه مما عراهم من الخجل والدهشة وتسابقوا إلى الباب كُلِّ يريد الخروج قبل صاحبه تزاحم الأبل يوم خِمْسِهَا لورود الماء ، وتفرَّق الناس وجلسوا في الأزقة والأسواق على طريق الشيخ ليروه .

فلما خلا المكان والحسن وأصحابه جلوس إلتفت الوالي إلى الشيخ فقال : ينبغي للعلماء وسائر المسلمين إذا ظفروا بمثل ذلك أن يقطعوا شأفته بكل ما يمكن ويمحو أثره . والتفت إلى علماء كربلاء وكان السيد إبراهيم ، وأصحابه زهاء العشرة وقال : ما معنى بقاء هذا الرجل

بين أظهركم أكثر من شهرين ولم تعلمونا به ولا صنعتهم معه صنيع أهل (الغري) حتى بلغني أنه يرتقي الأعواد في صحن (الروضتين) ، فما هذا . وأكثر عتابهم ، فاعتذروا ، واعتذر الحسن لهم بما هوّن غضبه . وكان المفتي قد أفتى بقتلهم مع (البابي) .

ثم استأذنوا الوالي بالخروج فأذن لهم . فلما نهض الحسن نهض الوالي مُشيّعاً له إلى نصف المقصورة وقال : إن شاء الله نجتمع مرة أخرى . ثم ودعه وانحدر الحسن بمن معه ، وقدمت له بغلته فركبها ورجع مؤيداً منصوراً وكلما مرّ بملاً من الناس أشاروا إليه بالأصابع : له من (عليّ) القدر بُردةً فخره . وفصل قضاً من (جعفر) ما له ردُّ تَوَرَّثَ من (موسى) عصاه فأصبحت لنا يده البيضاء من يده تبدو . وكان زمان مجلسهم يوم الثلاثاء بعد مضي ثلاث ساعات منه إلى الساعة العاشرة .

وسُئِلَ الشيخ بعد خروجه : إنك كنت تعلم بفتوى أبي حنيفة؟ فقال : لا والله ولكن سبرت أقوال الفقهاء جميعاً في المسألة فذكرت قول ابن الجُنَيْد<sup>(١)</sup> وأنه يقول به ، لذلك جزمت به فكان ما رأيتم .

أقول : هذه الواقعة وإن وقفت على أغلبها من حضر خصوصاً ابن العم المهدي (ره) غير أن انتظامها لم يتهياً لأنها مشوشة حتى لثمت أعتاب أبي الأئمة (ع) في سنة الثلاثمائة<sup>(٢)</sup> وزرت بعض الطلبة يوماً فوافيت جماعة هناك فتذاكرنا أحوال العلماء حتى انتهينا إلى ذكر الوالد (ره) فذكرنا هذه الواقعة بحسب المسموع . فقال رجل من أهل المجلس من ينتسب إلى الميرزا حسن كُوهر : إنها مرسومة عندنا بالفارسية تماماً . فسألته أن يأتيني بها تلك الساعة فجاء بها فوجدنا كما ذكر ، لكن فيها رؤوس المطالب مع التطويل فأخذت منها ما لم أسمععه وشفّعت بما سمعته وأديته بهذا الأسلوب .

وبما ذكر مؤلفها العجمي فيها أنه بعد دخولهم على الوزير وجلسهم زماناً يسيراً دخل المجلس رجل على زينا وجلس بصفنا ، ولم نعرفه فحسبناه من أصحاب الشيخ ، وهم حسبوه منا . فلما خرجنا واجتمعت أصحابنا لم أره ، فتفقدته فلم أعرف له خبراً .

وغبّ ما رجع الحسن إلى دار (الصالح) وبات ليلته ، وأصبح طلب الأذن من الوزير على

(١) ابن الجُنَيْد : مُحَمَّد بن أحمد بن الجُنَيْد الأسكافي تُوْفِيَ سنة ٣٨١هـ / ٩٩١م . هو استاذ الشيخ المفيد ، وقد إتهم من قبل فقهاء الإمامية المعاصرين له بأنه تأثر بالمناهج السنيّة في استنباط الأحكام الشرعيّة وقد فقد إعتبارهُ على يد فقهاء بغداد في القرن الرابع الهجري .  
(٢) يعني سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .



الرجوع لأهله فأبى وقال : بعد غد حتى نجتمع ثانية . ثم زار الحسن بن جعفر في ذلك اليوم واللييلة جميع الأشراف والأعيان من السُّنة والأمامية وانكفأت الناس عليه . ونهض صبح الخميس ومضى لزيارة النَوَّاب الأربعة ، والشيعَة محدقة به . وبعد أن قضى وطره منها مضى إلى الوزير في داره فدخل عليه مع المُبرِّزين من أصحابه وتخلَّفَ الباقيون وكنت أنا معهم ولي من العمر تسع سنين ، فاستدعاني الوزير إليه وقبلني ووضعني في حجره ثم أخرج لي (قاباً) كأنه كتاب صغير فدفعه إليّ ففرحت به ووضعت في جيبِي .

ثم سأله الشيخ مسترحماً بالعفو عن جماعة كثيرة غَضِبَ عليهم خارج الزوراء وداخلها ، فأَنعم ، وصار خلاص جملة من الشيعة بذلك عما هم فيه من الحبس والتشريد . ثم استأذنه بالمسير إلى (الغريّ) فأذن له ، وقام الحسن ونهض الوزير فشيَّعه إلى باب الدار ، وودَّعه ومضى إلى مكانه .

ولما استقر قالت لي الجماعة إنَّ كتابك نعمَ الكتاب فناولهُ لنا فأخذوه مني وإذا فيه ساعة ذهب مثمَّنة فأخذوها ودفعوا لي (القَاب) خالياً وقد وضعوا فيه بعض الدراهم ، وبعدما عرفت ذلك من (لالتي) بكيت فلم ينفع ، وذهبت مني (الساعة) إلى الساعة .

ولما أصبح ، قَصَدَ باب الحوائج ومنتهى الأرب :

موسى بن جعفر والجواد	وَمَنْ هُما سرُّ الوجودِ
هذا أمانُ الخائفينَ	وذاك أمانُ للوفودِ

فاستقبلهُ العلماء وهنَّوه بالنصر والظفر ، وأثر ما عفر جبينه بتلك الأعتاب طاف بكعبته ، واكتحل بأئمد تربته ، وأطلق لسان الحمد والشكر في حضرته ، سار صبيحة اليوم الثاني إلى (الغريّ) ، قاصداً ذلك المقام الحيدري :

مقام (عليّ) كَرَّمَ اللَّهُ وجهَهُ      مقام (عليّ) ردَّ طرف السُّها حسرى

حتى إذا بلغه بصحة وسلامة خرج إليه مَنْ فيه صغيراً وكبيراً ينادون :

بمقدمِكَ الميمون قدَّم السَّعدُ      لأهل الحمى فالشكرُ لله والحمدُ

ومذ لاح لهم مشكاة الكوكب الدري ، وذبالة الصحن الحيدري ، سجدوا لله تعظيماً ، وهجموا على لثم أعتابه تكريماً ، ورجعوا إلى أهلهم مأجورين في إعانة الدين ، فأدرجوا في اللوح المحفوظ ، الذي ضمَّ أسماء الشهداء المجاهدين :

ذي المعالي فليعلو مَنْ تعالى      هكذا هكذا وإلا فلا لا

هذا ما انتهى إلينا من هذه الكرامة ، وتركنا بعضها خوف الأسهاب .

يقول مؤلف الكتاب : إنتهى ما ذكره العم أيد الله في هذا المقام ، وأنا قد سمعت أشياء منه ، ومن سميّه العلم العباس لجلّ العليّ بن جعفر بما لم يذكرها في الرسالة . ونحن نذكر لك بعضها تكميلاً للقصة وأخذاً بكل أطرافها حتى لا تحتاج بعدها إلى شيء إن شاء الله .

فمنها : أن المفتي لما جلس في مقصورة الوالي هو وأصحابه قبل أن يجيئ الشيخ قال للوزير ما مضمونه إن الدين اليوم سيستقر ويتفق على كلمة واحدة وهي كلمة السنة والجماعة ومن أبى ذلك قتلناه ، ولو كان رئيسهم . فقال الوالي : إن أفحمتهم كان لك عليّ ذلك . فقال له : سترى بعينك .

وكان المفتي شديد التعصب على الشيعة مُصِراً على محوهم من الأرض وإتلافهم . ولعلّه بلغثك (رسالته)<sup>(١)</sup> التي حلّ فيها دماءهم وأموالهم ، وقد ردّ عليها عنما العباس ابن الحسن (أيده الله) ردّاً شافياً كافياً ، وغيره من علماء الشيعة (كثّر الله أمثالهم) . والحاصل أن تعصبه على هذه الفرقة غير خفي .

ومن ذلك : حكمه في تلك الواقعة المتقدمة بقتل جماعة من علماء الشيعة زعماء منه أنهم صدّقوا صاحب الأسفار وأمنوا به فهم كفرة مُرْتَدّون ، على أنهم عنده قبل ذلك كافرون . فَمِمنْ حكم بقتله قبل المباحثة السيد السند والركن المعتمد السيد إبراهيم القزويني صاحب المصنّفات المشهورة ، والعلم الأجلّ الميرزا محيط المجلّ ، والميرزا حسن كوهري (وهو من أركان الفرقة المعروفة بالكشفية ، وقد تقلّد أمورهم بعد عميدهم السيد كاظم وانتهت إليه الرئاسة فيهم بعده) ، إلى غير ذلك من الأساطين حتى بلغني أنّه أفتى بقتل سبعين رجلاً من شيعة كربلاء فانهزم أغلبهم ومضى الباقيون تحت الحفظ مستسلمين إلى بغداد وحتى أنجاهم الله على يدي الشيخ . ولولا تأييد الله للشيخ في ذلك اليوم لم يبق للشيعة لا أثر ولا عين .

ولما عرف ذلك شيعة بغداد اضطربوا اضطراباً شديداً وظنوا أنّه واقع بهم حتى تواتر أن رؤساءهم كالحاج مُحمّد صالح كبة المتقدم ، والميرزا هادي الجواهري ، وجماعة من أقرانها جعلوا في ذلك اليوم يدورون في الأسواق والأزقة وهم حفاة الأقدام مكشّفو الرؤوس وبيد كلّ واحد منهم كيس كبير فيه مال غزير وهو يقول للفقراء والسادات : تصرّعوا إلى الله

(١) ألف الألويسي «الرسالة اللاهوتية في ردّ أمهات مسائل الإمامية» ، و«النفحات القدسية في الردّ على الأمامية» ، وغيرهما .

تعالى وتوسلوا بجدكم إليه في أن ينصر الشيخ ولا يفضحنا عند القوم ، فأثنا قد نذرنا لكم هذه الأموال إن كان الغلب له . فكان الناس جميعاً أطفالاً ورجالاً ونساءً سادات ومواليً يضجّون إلى الله تعالى ، ويبتهلون إليه في ذلك حتى هتف بهم بشير النصر بانقضاء الأمر ففرقت الأموال ، في تلك الحال ، وزال العناء والترح ، وكثر الابتهاج والفرح ، وكان يوماً مشهوداً .

ومنها : أن الشيخ لما دخل إلى المقصورة وجلس على النهج الذي مرّ سأل أصحاب المفتي عن المفتي وكان لا يعرفه ، فابتدر المفتي وأنشد بيت المتنبي المشهور وهو :  
وإذا خفيت على الغبيّ فعاذرٌ أن لا تراني مُقلّة عمياء

فسكت الشيخ إلى أن جرى ما جرى من المباحثة ، وأفحّم المفتي ، تناول الشيخ الورقة التي فيها الحكم بوجوب قتل (البابي) ، وأصحابه وجعل يزعجها بيده بعد أن تلا : «بسم الله الرحمن الرحيم ، وقدما إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً» ثم ذراها في الريح ، والمفتي ينظر إليه .

ومنها : أن الشيخ لما خرج إلى (الصرای) ، وليس عمامته على تلك الهيئة الخاصة من إيصالها بالحزام لاموه أصحابه ، فاعتذر إليهم بما مرّ إلى أن دخلوا إلى (الصرای) فكان في الباب (بسمار) قد خرج طرفه الأسفل في سقفاها ، فلما مرّ تعلّق بعمامته فمدّ يده وانتزعه منها وسار على حالته ولم تبق عمامته معلقة بالبسمار لاتصالها بالحزام ، فلما تعدّى عن ذلك المحل سمع الضحك خلفه ، فالتفت وإذا بعمامة معلقة بذلك (البسمار) ، والناس تضحك على صاحبها لأنه مرّ عنها مكشوف الرأس غير ملتفت ، وكان هو من أصحاب الشيخ فرجع وانتزعها وأرجعها على رأسه وتنحّى الباقون عن ذلك الموضع وتعجبوا من فعل الشيخ ، وعلموا أنه مؤيد بتأييدات إلهية وتسديدات رحمانية .

ومنها : أن الشيخ بعد أن زار الوالي في داره وخرج عكف به أصحابه على دار المفتي فزاروه هناك ، وكان قد زارهم قبل ذلك اليوم . فمكث الشيخ هنالك طويلاً وجرت بينهم مسائل علمية كثيرة إلى أن قال المفتي : يا شيخ حسن أفندي هل تجد في القرآن نصّاً على إمامة علي (ع)؟

فقال : نعم .

قال : فأين هو؟

قال : قال الله تعالى : «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا

وأنفسكم» الخ .

فهز المفتي يده وقال : وأيُّ دلالةٍ بها؟

فقال الشيخ : ألم يُطْلَقِ الله تعالى ونبيه (ص) على نفس علي (ع) أنها نفس الرسول (ص)؟

قال : نعم .

قال : وقد قال تعالى : «وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه» وقد رغب أهل المدينة بأنفسهم عن نفسه وهو علي (ع) . ولولم يكن هو المراد لما عبّر بهذا التعبير ، ولقال بأنفسهم عنه ، وخصوص المورد لا يخصّصه .

فكان من الأجوبة المُسَكِّنة ، والتنبيهات الحسنة المبتكرة . فيا رحمه الله وطيب مضجعه ومثواه .

قال العمُّ (أدام الله فيوضاته علينا) : وأما ما كان من المفتي فقد نكبه الوزير وأعرض عنه ، وبقي بعد ذلك مقدار ثلاثة أشهر وعزله عن الأفتاء<sup>(١)</sup> . وبقي معزولاً حتى مات . ومضى إلى (دار السعادة) لأنَّ يرجع فما أمكن كما ذكر في (رحلته) . وكأنَّ تلك القصة كانت وبالأعلى عليه .

وأما العجمي فما وقفتُ له على أثر ، ولم أعرف ما صنع الله به .

واتفق أن عُزل المفتي في السنة التي قتلَ الوزير المذكور فيها (صفوق) وهو شيخ شمر وآل صغير طائفة معروفة قتله غيلة . ولكيفية قتله حكاية غريبة ليس هنا محلُّها . وقد هنأه عبد

(١) جرت المناقشة في محضر والي نجيب پاشا أواخر شهر محرّم الحرام سنة ١٢٦١ هـ / ١٨٤٥ م . وقد عُزل المفتي السيد أبو الشاء الألوسي عن منصب (الأفتاء) في شهر رمضان سنة ١٢٦٣ هـ / ١٨٤٧ م ، وليس لعزله علاقة بموضوع المناقشة التي دارت بينه وبين زعيم الشيعة الشيخ حسن كاشف الغطاء . وما ذُكر في (المتن) أنَّه عُزل بعد ثلاثة أشهر لم يكن صحيحاً من خلال سلسلة تتابع الأحداث ، وإنما كان عُزله بعدما يقارب الـ (٣٢) شهراً من ذلك الاجتماع الديني السياسي في محضر والي بغداد .

وقد سافر الألوسي إلى القسطنطينية في شهر جمادى الثانية عام ١٢٦٧ هـ / ١٨٥١ م أملاً أن يعود إلى منصبه في (الأفتاء) لكن شيئاً من ذلك لم يحدث . وقد رجع إلى بغداد سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م ، وتوفي بعدها عام ١٢٧٠ هـ / ١٨٥٤ م . وقد عاصر فترة حكم ولاية عبد الكريم نادر پاشا (١٢٦٥ هـ / ١٨٤٨ م حتى شهر صفر سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م) ، وولاية مُحمَّد وجيه پاشا (شهر صفر إلى شهر ربيع الأول سنة ١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م) ، وولاية مُحمَّد نامق پاشا (١٢٦٧ هـ / ١٨٥٠ م حتى سنة ١٢٦٨ هـ / ١٨٥٢ م) ، ولم يقرِّبه أحدٌ منهم إلى أيِّ منصب ديني .

الباقى أفندي العمري بقصيدة منها :

قَدْ أَرَحْتَ الدُّنْيَا بِقَتْلِ (صفوق) وَبِعِزْلِ (المفتي) أَرَحْتَ الدِّينَا

فعاتبه المفتي المذكور على ذلك ، فقال : وأيُّ إساءة صدرت مِنِّي؟ فقرأ البيت . فأجابه :  
إِنَّ «أَرَحْتَ» الثَّانِيَةَ بِالزَّاءِ الْمُنْقَطَةِ لَا بِالرَّاءِ الْمَهْمَلَةِ ، وَالْقَارِئُ غَلَطَ فَمَا أَصْنَعُ ، فَأَعْجَبُ  
الْحَاضِرِينَ ذَلِكَ .

وللشيخ مع الجماعة مجلس آخر وأظنه في (الحلّة) ، وحاصله : أنهم تمسّكوا في خلافة  
الصدّيق وعدالته بأمر النبي (ص) له بالصلاة عند مرضه والصلاة عمود الدين ولا يُستَنَاب  
بها غير العادل خصوصاً عند الإمامية .

فأجاب : بأنه صلى الله عليه وآله قد ثبت (الهجر) <sup>(١)</sup> عليه في مرضه ، فلا يمكن  
التمسّك بأفعاله في ذلك الوقت ، وهو عندكم غير ممتنع .

ثم قال (أيّده الله تعالى) بعد كلام طويل : وذكر لي من يوثق به أنّه ورد إلى النجف  
الأشرف سنة ستين <sup>(٢)</sup> مفتي مصر القاهرة بجلالة عظيمة ، ومعه بعض طلبته وهو يدّعي  
دعوى كثيرة . فسأل عن علماء النجف وقال أريد أن ألقاهم فأفجمهم في بعض المسائل ،  
فأرشد إلى الشيخ ، وذكر له ما يدّعي . (فهزّ الشيخ يده) . فزار الشيخ المفتي عصراً في محل  
تدريسه (وهي الدار المعدة لذلك من عهد أبيه وإخوته) ، ومع المفتي جماعة وعند الشيخ  
جماعة من تلامذته . فلما استقر به الجلوس وأنس بمفاهمة الشيخ ، وجرت بينهما أسئلة في  
العقائد حتى انتهى الأمر إلى ذكر الصحابة وشيعتهم ، وعلي (ع) وشيعته ، فقال الحسن :  
علي (ع) وشيعته هم الناجون وغيرهم مُرَجُونَ لأمر الله .

فقال المفتي : تلك قِسْمَةٌ ضِيزَى .

فقال الشيخ : ما تقول في إبن الأثير أهو محدث صادق؟

قال : نعم .

قال : فإنه أرسل ، وقال : وفي حديث علي (ع) قال له النبي (ص) : «ستقدم أنت  
وشيعتك على الله راضين مرضيين ويقدم عليه أعداؤك غضاباً مقمحين» انتهى . ولا ريب

(١) ورد في هامش المخطوطة ما يلي : إشارة إلى قول الثاني «انّ نبيكم ليهجر» . ويُقصد بالثاني الخليفة الراشد  
عمر بن الخطّاب (رض) .  
(٢) ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م .

أن شيعة عليّ صار علماً لأناس مخصوصين كما نصّ عليه غير واحد من علمائكم .  
فقال المفتي : لم أر هذا الحديث .

فاستدعى الشيخ بالنهاية وأخرجها له . فسكت وقام يجرّ رجله وخرج ولم يعتنِ الشيخ به . (إنتهى) .

أقول : ومن أجوبته اللطيفة المستحسنة المنسوبة إليه ما وقع له مع نظام الدولة<sup>(١)</sup> وكان من الفضلاء المبرزين في أغلب العلوم ، وذلك أنهما مرّا معاً في طريق (وكانت أيام زيارة) ، والأعراب تتغوّط في الطرق والأزقة ، وكان ذلك الطريق الذي مرّا به من جانبيه فيه غائط من أوله إلى آخره على نهج مستقيم . فقال نظام الدولة للشيخ مداعباً بالفارسية : « آقا شيخ ببين عربا ريدن . فقال الشيخ : لكن بنظام ريدن »<sup>(٢)</sup>

وكان الشيخ حسن (قده) حسن الأخلاق لطيف الشرائع ، جميل المحيّا ، صبيح الوجه متشبع الجبين كأنه شعلة نور وكان من خفة روحه ورقة طبعه يُنسب إلى (البكّة) . ولهم حكايات في ذلك وأنا لا أتجاسر على نقل شيء منها . نعم الأولى والأنسب نقل ما ذكره خلفه الزاكي في «نبذته» المتقدمة حيث قال في باب مداعباته : وخطب امرأة فامتنع أهلها فقال يوماً للساعي : ما صنعت؟ قال : سيأتيك الفرج ، فقال له : ويحك سكّن الوسط! وليس في هذا دلالة على نسبة البله وهي على ما ذكرنا من خفة الطبع أدلّ .

قال العمّ : وكان تأمّن به بعض النساء في المسجد ودخل يوماً فسأل عن الوقت فقالت له واحدة منهنّ : إن ذلك الثقب الذي في الجدار إذا بلغت الشمس إليه دخل الوقت . ودخل الشيخ من غد فجعل ينادي أين صاحبة (الثقب) ، هلّ دخلت الشمس في ثقبها أم لا؟!!

(١) نظام الدولة هو الميرزا عليّ مُحمّد خان ولد سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م ، وتوفي سنة ١٢٧٦هـ / ١٨٦٠م ، كان من كبار العلماء ، وترجع شهرة الأسرة إليه حيث لُقبت باسمه . وهو ابن عبد الله خان الملقّب بأمين الدولة المتوفى سنة ١٢٦٣هـ / ١٨٤٧م . وجده الحاج مُحمّد حسين خان المتوفى سنة ١٢٣٩هـ / ١٨٢٤م وكان الصدر الأعظم في سلطنة الشاه فتح عليّ القاجاري وزوج إبنته (شمس الدولة) ، وإليه يرجع الفضل في بناء سور النجف أوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي .

ولنظام الدولة أولاد لهم تقلهم الاجتماعي والديني مثل أسد خان المتوفى سنة ١٣٢٤هـ / ١٩٠٦م الملقّب بنظام العلماء ، وعليّ أغا المتوفى سنة ١٣٣٠هـ / ١٩١٢م ، وإبنته الحاجة بيبي خانم هي زوجة عليّ شاه ابن الأغا خان (زعيم الأسماعيلية) ، وإبنتها زعيم الأسماعيلية .

(٢) وتعريب هذه (الطرفة) : أن نظام الدولة لما رأى ما فعله الأعراب من (التغوّط) المنظم على حافتي الطريق (بسبب عدم وجود المرافق الصحية في ذلك الوقت) أراد مداعبة الشيخ بقوله : إن العرب لا يُحسنون إلا فنّ (التغوّط)!!

فأجابه الشيخ : لكنّ (تغوّطهم) كان على (نظام)!!

وصدرت يوماً من بعض النساء بادرة ريح فأمرهنَّ جميعاً بالخروج من المسجد ، والوضوء وقال هذا طريق الجمع .

وسلّم عليه (بعض جيرانه من الملالي) رجلٌ وقبّل يده فسأله الشيخ عن اسمه واسم أبيه ، فذكرهما له . وسلّم عليه من غد فسأله كذلك ، وكذا فعل ثالثاً ، ورابعاً وهو يجيبه في كلّ مرة ، وكان ذلك لضعف في عينه . فلم يزل يسأل الجار حتى سأم الجار من سؤاله ، فقال له يوماً بعدما سأله عن اسمه : أنا شيخ ثعلب ، قال : ابن مَنْ ؟ ، قال : ابن شيخ بومة ، ومضى . فلما كان من غد سلم على الشيخ فقال الشيخ له : أهلاً بشيخ ثعلب ابن الشيخ بومة ، فقال الجار : ويلٌ لمن يقلّدك ، ويزعم أنك من أهل الله تعالى ، قال : ولم ذلك ؟ قال : أخبرتك عن اسمي ، واسم أبي مراراً عديدة فكيف حفظت هذا الاسم من أمس إلى اليوم ؟ فقال له : ويلك لأنّه مستغرب ولو سمّيت بالمألوف لنسيته .

قال العم (أدام الله أيامه) ، وله من اللطائف والمداعبات شيءٌ كثير من هذا القبيل ، وقد ضربتُ عنها صفحاً لأنني وجدت في بعض التراجم لبعض العلماء مثلها ، فلم أَلَفَ لها كرامة ، وعسى إذا وقف أعداؤنا على مثلها نسبوا صاحبها إلى البله كما نسب ذلك للوالد (قده) وهو قليل في حق نواب الحجة (ع) . ولذلك النواصب كلما بحثوا وفتشوا الآن ليذكروا نقصاً في حجة الله أمير المؤمنين (ع) فلم يتيسر لهم ذلك فقالوا فيه دعاية ، فهي إذن بما لا تتعلق بسادات الناس .

### في وفاته

قال العم (سلّمه الله تعالى) وما دخلت السنة الثانية والستين بعد الألف والمائتين وتصرّمت منها تسعة أشهر ظهر الوباء في نواحي العراق حتى حلّ بالغري في العشر الأواخر من شهر رمضان المبارك ، فثقل أمره وفشا خبره . وقيل فيه خطاباً للأمير (ع) :

شيعٌ لك اتخذت حماك حمى لها كيف اصطلت لهب الوباء الواري؟!

فنفر أكثر من في الغري إلى خارج البلد لكنهم لم يجوزوا الحمى ، ولا تجاوزوا محل الترخّص بل أقفلوا منه إليه :

هل يعلم البين أنني بعد فرقتي ما سرت من حرم إلا إلى حرم

ولم يبق في البلد أحد من العلماء وضربوا خيامهم على البحيرة المحيطة بالنجف مما يلي

الجنوب ، وينتهي بالمغرب حتى أن ماءها يتصل بسفح طور سيناء المرقد الحيدري ، وكان عليها بعض الحداثق غير المتصلة . ومن جملة حديقته السيد العلوي السيد صقر جريو ، وكان محلها قريباً من مرسى السفن الواردة من الشرق . فجاء السيد المذكور إلى الوالد (ره) وذكر له حسن تلك الروضة ، ولطف أرض بيضاء غير مشككة متصلة بها ، وأنها ليس فيها شئ من الهوام ، وفي الأرض قطع متجاورات ، وسأله أن يخرج إليها حتى يرتفع الوباء . وألح عليه غاية الألاح واجتمعت عليه أسرته ولحمته وأصروا عليه بالانتقال وزينوا له ذلك وهو يماطلهم .

وكان من سجاياه الاستخارة في أكثر أموره ، ففكر الاستخارة على ذلك مثنى فخرجت (نهياً) ، فلم يقنع أصحابه وعشيرته بذلك من حبه له وخوفهم عليه . فأحاطوا به أخرى وذكروا له أن المرجوح لا تقع (الخيرة) عليه ، ثم نزع (نهياً) بالالتماس المسنون إجابته ؛ فلم يجد بُدّاً من إجابتهم ، وعزم على الانتقال إلى المحل المزبور يوم الخميس ثاني عشر شوال . فخرج بعياله وأطفاله وحشمه وخدمه وأسرته ولحمته

ساروا وجدوا بالمسير ضحىً والموت خلفهم يسري على الأثر<sup>(١)</sup>

حتى بلغ النادي المذكور فعرّس بفنائه ، وضرب فيه قبابه وأخبيته ونصب فساطيطه ، وبنى فيه بيوتاً من القصب لمن يعول به من أهله . وأحاطت به قبيلته وأسرته ، وحلا لهم النادي بوجوده :

فكان الغصون تدعوه ميساً وتناديه فوقها (الورقاء)  
وبنى للوفود بيتاً رفيعاً تحسد الأرض مذبناً السماء

وكان فيه الرائع والغادي ، والحاضر والبادي . ويؤدي الخمس والسنن به ويزوره النافرون من البلد على طبقاتهم حتى يؤدوا المكتوبة خلفه جماعة ، ثم ينكفئوا إلى مضاربهم غائمين . فأذا أمسى المساء وفرغوا من العشاء جلس عنده الأدنون من أهله يقرأون له الأنباء التي تزين بها المحافل من آثار الأئمة الهداة إلى أن يميل سيّار الكواكب ويقطع البدر الثلث من مسراه نهض إلى محل استراحته ، وقام القوم إلى مراكزهم ، فأغمضت عيناه حتى انتفض كأنة نشط من عقال<sup>(٢)</sup> ، واشتغل بنافلة الليل والدعاء المأثور إلى أن ينزع الليل جلبابه ، ويلبس

(١) هكذا ورد هذا البيت في الأصل . ويلاحظ الاختلاف بين الشطرين في الوزن .

(٢) يقال نشطت العقدة إذا عقدتها ، وأنشطتها إذا حللتها . وورد في الحديث «كأنما أنشط من عقال» ، وروي (نشط) وهو غير صحيح .



النهار أثوابه ، ويضرب الفجر نسيم عنبري إشراقه بخياشيمه ، فيبادر لصلاة الصبح ويوقظ الوسنان بالأذان ، فيسرعوا لثواب الجماعة . فإذا سلّم عقّب بالوارد حتى تبزغ الشمس فيُغني الوقت إلى الدلوك بنشر العلوم وقضاء حوائج الناس .

وكان هذا دأبه في تلك البقعة وتلك حالاته ، إلى أن مضى له فيها أربعة عشر يوماً من انتقاله ، وأصبح صبيحة الاثنين فشكا من ضعف اعتراه حتى تصرّم يومه ولم يغيّر ما كان عليه من عبادته . فلما كان من الغد ابتلى بعلّة المؤمنين والأولياء وأحس بالمغص في بطنه لكنه لم يحتفل به ومشى بدائه . حتى إذا صلى الظهر وانفتل من صلاته ، وقبل ما ينهض لنافلة العصر أخذ المغص ، فقام للنجو ، وعراه الأطلاق ، فلما فرغ أحس ببلل في ثيابه وعلى فخذه فأسرع إلى حوض الحديقة وطهر ثوبه وجسده ورجع إلى مصلاه وألمّ به الضعف فأدى النافلة ، ثم صلى العصر خفيفاً .

ومذ فرغ زادت به العلة ونحف جسمه ومضى (للخلاء) ثلاثاً أو أكثر . فعندها عجز عن القيام فبسطت له الفرش والحشايا ووضعوا عليه مطافه ، ونقلوه إلى مصلاه واتخذوا له مُتَكأً ، وحُجبت العواد عنه إلى آخر النهار إلاّ الأقربون . وأدى العتمة وهو مستلق ، غير أنّه لم يُغلب على عقله ولم ينقطع الذكر من لسانه مسلماً أمره إلى الله تعالى يلهج بكلمات الفرج والتوحيد ويتلو سورة (ياسين) ، وغيرها ما سنّ للمحتضر . حتى مضى من الليل شطره فأدركته صحوة الموت فذكر النبي (ص) والأئمة واحداً واحداً ويستغيث بالحجة (ع) وتولّى وتبرأ ، ثم دعا بي وضممني إلى صدره وخلفني عند ربه ، ودعا لي بالخير ، وكنت أقرأ (القطر) في النحو يومئذ .

ثم استلقى وقد أحس بالأمر ، فأمر أن يوضع فراشه على (القُبلة) ، ووجهه إلى علي (ع) . ثم استدعى ابن أخيه المهدي وأوصاه بوصاياه ، ودفع إليه مفاتيح غرفه ومقاصيره وعرفه الصندوق الذي فيه كفه وصحيفته وحبرته وحنوطه . ثم اشتغل بالذكر وقال : إقرأوا دعاء (العديلة) .

ومكث هنيئة وقد انقضى من الليل أكثره ، واثارت في ذلك الوقت ريح عاصفة سوداء فيها صرّ ، فكان الشخص لا يبصر فيها موضع قدمه . فتقلّ لسانه وبلغت روحه التراقي ، فمدّ رجله وغمّض عينيه وقضى نحبه ولقي ربه هادياً مهدياً من كلّ درن .

فنشج مَنْ في البيت نشيجاً خفيفاً إلاّ بعض خدمه فأنهم صرخوا واتصلت الصيحة بالنساء فصرخن ، فانتصل الصباح بالصياح إلى الصباح . حتى سُمعت الضجة من النجف كأنها هتف بهم هاتف ، ففتُحَّت أبواب (الحصن) ، وجاءت الناس كعُرف الفرس من

النجف ، وما أحاط به من خرج ، يطأ بعضهم بعضاً ، وبأيديهم الأعلام السود ، وهم ينادون بالويل والشبور .

وجاء الجواد ابن أخيه عيسى بما أودعه في الصندوق مما يحتاج إليه الميت فرضاً وسنة قبل عشرين سنة ، وضربت له قبة على تلك البحيرة ، وغسل فيها ، وأدرج في أكفانه عند ارتفاع النهار يوم (الأربعاء) :

إِنَّمَا الْأَرْبَعَاءُ أَثْبَتُ حُزْنًا لَا اسْتَمَرَّتْ فِي دَهْرِنَا (الأربعاء)

وقدّم له التخت الذي عليه بردة ضريح أسد الله الغالب (ع) ، فوضع فيه وحمل على الأعناق ، وقد إمتلأت تلك البسيطة إلى النجف بالرجال والنساء صغاراً وكباراً بما لا يحصى عددهم إلا الله تعالى . وأحدقوا (بالتخت) من جوانبه حتى كانت الأيدي من المزامحة لا تصل إليه :

تَحَرَّكَتْ فِيهِ مَحْمُولًا فَقِيلَ لَهَا زاحمت تحت لوائه جبريلاً<sup>(١)</sup>

وما دخلوا النجف إلا وقد بلغ (الفيء) أربعة أقدام فوضعه في الصحن الشريف للصلاة عليه . فصلى عليه ابن (أخيه العلي) محمد بتقديم العلماء له ، ثم هجموا به على الأمير (ع) ليجددوا به عهداً ، ثم تحركوا به إلى تربته في المدرسة إلى جنب أبيه وإخوته . ثم أدلوه في مرقده ، وأهالوا التراب عليه ، وأخرجوا اللبن ، ونفضوا أناملهم من ثراه ، وهم ينشدون :

مَنْ لِلصَّلَاةِ وَلِلصَّلَاتِ وَقَدْ قَضَى أوفى العباد عبادةً ونوالاً

وحمل عياله وعيال لحمته في الحامل وعليها الستور وهم ينوحون ويبكون . وأركبوني على فرس ، فذكر الناس دخول حرم النبي (ص) الكوفة والشام فاشتد حزنهم وعلا صريخهم وصور لهم دخولهم سوافر :

وتلك الرفيعات الجلال عواثرُ بأذيالها لكنما الدهر عاثرُ  
يلوحُ على ظهر البراقع نورُها فيحسبُ راءٍ أنهنَّ سوافرُ

وأقيمت الفوائح والمآتم في النجف وخارجه من أصقاع الأمامية ، حتى بلغني أن مجالس العزاء في خصوص الحلة ارتفعت إلى عشرين يوماً .

وجلس بمقامه ابن أخيه المحمود محمد ، واشتغل بالتدريس واجتمع عليه عدة من

(١) هكذا ورد في الأصل ، واختلاف (الوزن) ظاهر بين الشطرين .

أصحاب عمّه حتى انتشر أمره وعلا صيته . فأسأل الله أن لا يخلي دار الشيخ الأكبر من عامل عليها بخير أو دليل إلى سبيل نجاة .

وكان ذلك في يوم الأربعاء لثمان وعشرين من شوال سنة ١٢٦٢ . ودخل يوم الخميس نجل محيي الدين الشيخ عبد الحسين ؛ الأديب الذي بلغ النهاية وتجاوز الغاية ، فأنشد في مجلس العزاء بعدما أحصر لعظم مصابه :

لَيْتَ شَعْرِي لِمَنْ يَحِقُّ الْعَزَاءُ شَرَعْتُ كُلُّنَا بِذَاكَ سَوَاءُ

إلى آخر الندبة . وستأتي بقية الشعر بالمرثي المسطورة في دواوينهم جزاهم الله عنا خيراً . «وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرُ اللَّهِ فَآتَاهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ» .

لا تنوحني إلا عليه جزوعاً ما على كُلِّ مَنْ يَمُوتُ يُنَاحُ

هذا ما وسعني رسمه من أحوال الوالد البرّ مع تشتيت البال وضيق المجال :

تَنَكَّرَ لِي دَهْرِي وَلَمْ يَدْرِ أَنَّنِي أَعَزُّ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَهَوُّ

فَقَامَ يُرِينِي الْخُطْبَ كَيْفَ اعْتَدَاؤُهُ وَبَتُّ أُرِيهِ الصَّبْرَ كَيْفَ يَكُونُ؟!

والحمد لله أولاً وآخراً .

هذا ما أردنا ذكره من (النبذة) التي جمعها العم في أحوال أبيه<sup>(١)</sup> .

ولعمري لقد أبدع بما جاء ، وحيّر الألباب والآراء ، بتعبيره الرائق ، وأسلوبه الحسن الفائق . وتالله أنه لقد كفى وشفى ما في النفوس ، ولم يدع لذي أرباب القول جداً ولا هزلاً . فجزاه الله عن أبيه وأهليه وعنّا وعن سائر العلماء خير الجزاء ، على هذه اليد البيضاء ، التي ليس لحسنها إحصاء ، وأبقاه الله ناشراً أثواب العلوم ، منطوقاً ومفهوماً .

وقال السيد في (يتيمته) : ونحمدك يا من تفضل علينا وعلى جيلنا بعيلم العلم الأغرّ ، الحسن بن جعفر ، بحر لم يزل تقذف الدرر أمواجه ، ويدر يزهبه فلكه وأبراجه ، تهدي المضلّ سماته ، وتعيي أولي الفصاحة والبلاغة كلماته . أحاط بالعلوم البديعة ، ونال في النشاطين بها الرتب الرفيعة . لم يزل يدرس بمدرسة أبيه ، ويبيد من العلم خافيه ، وكم وكم حضر عنده من فئة فضل ما بهم غير محقق باهر بتحقيقاته ، وأئمة علم ما بهم غير ما يبهر

(١) إلى هنا إنتهت رسالة (نبذة الغري في أحوال الحسن الجعفري) التي كتبها الشيخ عباس كاشف الغطاء في ترجمة أبيه الشيخ حسن .

العقول بتدقيقاته . وكان (ره) كثير التسلّط على (التقرير) ، وله كمال التسلّط على (التحرير) . ولقد أُلّف في الفقه «أنوار الفقاهة» المنطوية ، على فروع محكمة المآخذ من أصول مميّدة . وكان خشناً في الله لا تأخذه لومة لائم في الدين ، رئيساً في جميع الأمصار ، جليلاً في الأنظار ، كثير المساعي للفقراء والمساكين .

وكان يقوم في أوقات الأسحار ، يناجي المليك الجبار بالتضرّع والخشوع ، والأنابة والخضوع . حتى إذا ما أشرقت الشمس قام لصحبه مدرساً بهم بما يشنّف المسامح ، فإذا فرغ من ذلك زار إخوانه في الدين ، وتعاهد بالعبادة مرضى المسلمين ، وأدّى حقوق القادمين . فإذا ما كان وقت الظهر صلى بالناس جماعة ، وأرشدتهم إلى مناهج الطاعة ، وعرفهم بأقواله وأفعاله أنها خير بضاعة ، ثم أوى إلى مأواه فرقد هنيئاً . فإذا جاء العصر جلس في مجلسه ، مع أهل سنّه ، وتوالت عليه أرباب الخصومات وأرباب التقليد ورؤساء البلاد ، وأجلاؤهم ، وعلمائهم قاصدين الأستنارة بأنوار طلعتهم ، والأغتراف من بحار حكمتهم . حتى إذا غربت الشمس ونادى منادي الفلاح بالصلاة جماعة ، مضى لمسجد أسس على التقوى بنيانه ، وأقيمت على الطاعة جدرانته ، وصلى بالناس المغرب والعشاء مع غاية الخضوع والبكاء .

وكان يستندين غالباً على نفسه للمسلمين ما يكفيهم من قُوت واجب ، وبرود ومن تكفين أمواتهم وتجهيزهم ورفع للظلم من الجائرين . حتى بلغه أن الوزير (النجيب) ، يريد بأهل النجف سوءً ، وقد توجه إليهم بعساكره ، حتى إذا قارب أن يصل البلد أخرج إليه من صحبه من له قابلية استدعائه للنزول عنده ، فاستدعاه فأجاب ، وصرف الأموال الكلية عليه وعلى أتباعه من الجيوش الموفورة ، والعساكر المنصورة ، فخدعه بذلك ، ونجا أهل النجف من المهالك .

وكم له من أمثالها ولو سمعت إذ دعاه (النجيب) الموما إليه بالمسرى لبغداد ، في داعية من الضلال ماله من هاد ، ادّعى النيابة عن القائم (المهدي) للعباد ، فأجاب دعوته ، وسرى إليه وحفّت به الأكابر من أهل النجف ، فدخل مجلس الوزير ووأساه في الجلوس على سرير مملكته ، وجرى البحث بينه وبين المحمود الآلوسي المفتي كيف كان له التسلّط عليهم في التقرير والتعبير والاستدلال ، حتى اتضح له الفلج ، بواضح الحجج ، وإفحام كل محتج . وكان مرامه إطلاق مدّعي (النيابة) من السجن ، وتخليصه من القتل ، حيث أنكر ذلك وادّعى التوبة ، ففاز بهرامه وعاد قرير الناظر ، مبتهج الخاطر ، بما أنجح الله من قصده .

ولو سمعت إذ حقّت على يده بعض الحقوق الغزيرة من صفحات الهند أنفقها وأنفق

مثليها دِيناً على ذمته .

وكان مسلماً له في عصره بالأفضلية ، على كافة علماء الشريعة المحمدية . وكان المناوئ له في العلم علامة الزمن ، مُحَمَّدٌ حسن<sup>(١)</sup> . وهيهات أن يصل إلى ما يصل إليه فكره ، وإن أَلَفَ ما أَلَفَ ، وخَلَفَ في الفقه ما خَلَفَ .

وكان (ره) يُحَيِّرُ العشرَ العقولَ نُهاه ، ويُعجب الملوك مع فرط (بلاهته) دُهاه ، ويُخجل الشمس المنيرة سنه ، ويزري بالبدر بهاه ، ويحكي مُنْهَلَّ السحاب نداه ، يرى أن المسلمين عياله ، فيبلغ كُلاً منهم حسب الجهد أماله .

خَلَّده الله في عُلَّين ، مع مُحَمَّدٍ وأهل بيته الطاهرين ، ومتّعنا ببقاء نجله (العباس) فهو له نعم الخلف ، وغيره من البنين ما خَلَفَ ، وها هو الآن مُجَدِّ في تحصيل العلم ، سالك منهاج أبيه في الورع والحلم ، ورُبَّما تعاطى الشعر أحياناً ثم تركه ، غداة سرى بنهج العلم وسلوكه . بَلَّغه الله مراده ، وأولاه ما أولى أبيه وزيادة . (إنتهى) .

### فصل: فيما قال وما قيل فيه من الشعر

وقد كان (ره) جيد النظم جداً . ولهذا كان مقلداً منه ، وإن كانت له أشعار كثيرة في أيام صباه ، إلا أنها ليست بمثابة من الحسن ، ولذا أعرضنا عن ذكرها . نعم له قصيدة بعثها من الحلة أيام إقامته فيها إلى أخيه الشيخ عليّ (ره) يتشوق إلى أهله وأوطانه ، وأولها هذا البيت :

أَرْضُ الغريِّ وبوركتُ أرضاً      أرضي ، ولستُ بغيرها أرضي

ولم أعثر على الباقي حال الكتابة فأرسمه . وكلها على هذا النمط من الحسن<sup>(٢)</sup> .

(١) الشيخ مُحَمَّدٌ حسن صاحب «الجواهر» .

(٢) بقية أبيات القصيدة هي :

لم تستطع أجفانها الغمضا	شَطَّتْ فعيني بعد فرقتها
ومحضته صفو الهوى محضا	خَلَفَتْ فيها مَنْ شَغَفَتْ به
ويرى عليه مودتي فرضا	فرضُ عليّ قلبي مودته
ذهب البعادُ بأنفس مرضى	عَجَّلَ فديتك باللقا فلقد
صيرنه في ذمتي قرضا	إن جدت قدماً بالوداد فقد
من أن يبيل فأحسن القبضا	قلبي قبضت زمامه حذراً
قلبٌ بغير حماك لا يرضى	إن شطَّ جسمي عن حماك ، فلي

أوردها الخاقاني في شعراء الغري ، ج-٣ ، ص ٦٠ .

وأما ما قيل فيه فغير معدود ولا محدود . ولكن كان أخصّ الشعراء به ، وأكثرهم مدحاً له الأديب الماهر ، والشاعر (المحرم) من الآداب بأعظم (مشاعر) ، ذو الأدب البارع والفضل المبين ، الشيخ عبد الحسين محيي الدين ، رحمه الله . فكم له في الشيخ من قصيدة فريدة ، يتمنى الكمال أن يحلّي بها نحره وجيده . فمن ذلك قوله يهنّيه بعيد الفطر ، قال :

أغنى ابن جعفر عن معنك يا عيدُ  
تمرّ في كلّ عام مرتين بنا  
زانت بهجته أيامنا وغدت  
ها نحن عيلته الباؤون يشملنا  
ذو غرة يستهلّ الناس طالعها  
خلان أوفاهما المؤفي بصاحبه  
علامة الدهر والهادي بنهج هدى  
ومدرّك في مراقي العلم مرتبة  
مؤيد بالهدى من ربّه وبه  
أهوى لكشف الغطا عن كلّ غامضة  
فكم له فيه توضيح (البيان) وفي  
آثاره غرر في الدهر واضحة  
ذو همة في مناط النجم أحمصّها  
هذا بقيّة (موسى) والعصا بيد  
من (جعفر) الفضل إلا أنّ رحمته  
ذلت أكاسرة الفُرس الكرام له  
والعالمون تحاموا قدره فعلا  
وأتمهم منه معقوداً عليه لوا  
ومذراه الورى أهلاً ليكفلهم  
يا كعبة الوافد الراجي وأكرم من  
سمعاً وقيت الردى مني لئالي ما

فَحَسْبُنَا أَنَّهُ فِي الدَّهْرِ مَوْجُودُ  
وَكُلُّ يَوْمٍ لَنَا مِنْ يُمْنِهِ عِيدُ  
بِيضاً بَطَلَعَتْهُ لَيْلَاتُنَا السُّودُ  
ظِلُّ مَدَى الدَّهْرِ مِنْ نِعْمَاهُ مَمْدُودُ  
فَيَسْتَبِينُ أَبُو (الْعَبَّاسِ) وَالْجُودُ  
عَلَى الْوَرَى وَهُوَ مَشْكُورٌ وَمَحْمُودُ  
وَبَحْرٌ عِلْمٌ لِأَهْلِ الْفَضْلِ مَوْرُودُ  
أَضْحَى بِهَا وَهُوَ مَغْبُوطٌ وَمَحْسُودُ  
لِشَّرْعَةِ الْمَلَّةِ الْغَرَاءِ تَأْيِيدُ  
فِي الشَّرْعِ يَقْرُنُهُ نَصْرٌ وَتَسْدِيدُ  
(قَوَاعِدِ) الْعِلْمِ وَ(الْأَحْكَامِ) تَهْيِيدُ  
وَيَوْمَ مَعْجَزِهِ فِي النَّاسِ مَشْهُودُ  
يَسْمُو بِهَا فَوْقَ قَرْنِ الشَّمْسِ تَشْيِيدُ  
بِيضَاءَ مِنْهُ تَعَاطَى لَثْمَهَا الصَّيْدُ  
بَحْرٌ وَفِيهَا لَذَكْرُ (الْخَضِرِ) تَخْلِيدُ  
مَهَابَةٌ وَالتَّوَى مِنْ (قَيْصَرِ) جِيدُ  
أَعْنَاقَهُمْ مِنْهُ إِقْلِيدُ وَتَقْلِيدُ  
عَزٌّ عَلَى قَوْمِهِ الْمَاضِينَ مَعْقُودُ  
أَلْقَى مِنَ الْكُلِّ فِي كَفِّهِ إِقْلِيدُ  
أَمَّتْ لِسَاحَتِهِ الْمُهَرِّيَّةُ الْقُودُ  
زَيْنَتْ بِأَمْثَالِهَا الْبَيْضُ الرِّعَادِيدُ

أَقْضَى بِهَا حَقَّ نَعْمَاءٍ مَنَنْتَ بِهَا      يَزِينُهَا فَيْكَ إِطْرَاءٌ وَتَجْيِيدُ  
فَاسْلَمْ عَلَى أَمَدِ الْأَيَّامِ فِي دِعَةٍ      مَا شَابَ خَالِصَهَا رَيْبٌ وَتَنْكِيدُ

وأحسن من هذه قوله يمدحه ، وهي من البلاغة والجودة بمكان . وقد خمّسها الشيخ  
إبراهيم العاملي ، فقال :

مَاهِرٌ صَادِقُ الْمَقَالَةِ سَمَحُ      شَأْنُهُ عَنْ مِثَارٍ دَاعِيهِ صَفْحُ  
قَالَ قَوْلًا مَا شَامَ نَادِيهِ قَذْحُ      كُلُّ قَوْلٍ فِيهِ ثَنَاءٌ وَمَدْحُ  
فِي سَوَى آلِ (جَعْفَرٍ) لَا يَصْحُ

هُمْ غِيُوْتُ الْأَيْسَارِ وَالْدَّهْرِ عُسْرُ      وَكُفَاءَةُ الْعُفَاةِ إِنْ شَحَّ يُسْرُ  
كُلُّ مَدَحٍ حَبَسَ عَلَيْهِمْ وَقَصُرُ      وَقُصَارَى تَجَارَةِ الشَّعْرِ خُسْرُ  
وَهُوَ فِي مَدَحِهِمْ زَكَاةٌ وَرَبْحُ

وَرَثُوا طَارِفَ الْعُلَى عَنْ أَبِيهِمْ      وَهُمْ أَوْرَثُوا الْفَخَارَ بَنِيهِمْ  
مَعَشَرَ طَاوَلَ الشَّهْيِ مَقْتَفِيهِمْ      فِتَّةٌ فِيؤُومُ ظِلَالٌ وَفِيهِمْ  
كُلُّ مَنْ عَامَ فِي الضَّلَالَةِ يَصْحُو

هُمْ بِحَوْرٍ فَلَيْسَ يُدْرِكُ غَوْرُ      لَهُمْ مَا اسْتَطَالَ لِلْدَّهْرِ دَوْرُ  
هُمْ لِرَوْضِ السَّمَاحِ نَوْرٌ وَنَوْرُ      يَعْدِلُونَ الْقَضَاءَ وَالْكَوْنَ جَوْرُ  
وَيَجُودُونَ وَالزَّمَانَ يَشْحُ

مَا خَلَا عَنْ جَمِيلِهِمْ فِي الْمَلَا حَيٍّ      وَبِهِمْ مَيِّتَ النَّدَى قَدْ غَدَا حَيٍّ  
فَصْلَاحُ صَنِيعِهِمْ حَيٍّ عَلَى حَيٍّ      جَنَحُوا لِلْعُلَى فَرَاشُوا (جَنَاحِيْ)  
(هَا) فَهَاهُمْ لَا مَلَّ الدَّهْرِ نُجْحُ

كُلُّ نَذْبٍ مِنْهُمْ عَلَى النَّاسِ سَادَا      فَجَوَادٌ يَقْفُو بِفَضْلِ جَوَادَا  
وَلَهُمُ الَّذِي تَوَلَّى الْعِبَادَا      شَرَفٌ يَفْرَشُ الثَّرِيَا مَهَادَا  
وَلَهُ (الْأَطْلَسُ) الْمُبْجَلُ سَطْحُ

هُمْ بِدَوْرٍ يُجَلَّى بِهَا كُلُّ غِيَهَبٍ      ذَهَبَتْ فِي سَمَا الْعُلَى كُلُّ مَذْهَبٍ  
وَبِحَوْرٍ زَخَّارَهَا بِالْندَى عَبٌ      وَسَمَاءٌ يُزِينُهَا مِنْ أَبِي (الْعَبِ)  
بِاسٍ) غَرٌّ مِنَ الْمَكَارِمِ صُبْحُ

ثاقبُ الفكر لم يكن قطُّ أخطأ      غرضَ المجدِ والعُلى حين شطّا  
 ماجدٌ في ذرى العُلى قد تخطى      سابقُ كُلِّ حلبةٍ ما تخطى  
 لمدى شأوه جَوادٌ ملحٌ  
 بجدودِ سادِ الورى وجدودِ      وبتقوى فاقَ الأنامَ وجودِ  
 وعلى رَغَمِ كُلِّ شَأْنٍ حَسودِ      قَرَنَ اللَّهُ نَجْمَهُ بسعودِ  
 فهو قرن به مع الدهر صلحٌ  
 مدٌّ باعاً للفضل غيرَ قصيرٍ      فاعتلى هامَ كُلِّ حَبْرٍ شهيرٍ  
 فهو غيثٌ لِكُلِّ عافٍ فقيرٍ      وهو غوثٌ لخائفٍ مستجيرٍ  
 وبه للهـدى ولله صلحٌ  
 إنْ أَعَالِي فَمَا أَنَا بِلومٍ      في مديحِ امرئِ رؤوفٍ رحومٍ  
 ذي أَيْادٍ تحكي الحيا في سُجُومٍ      شرحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لعلومٍ  
 وبمعنى صفاته طال شرحُ  
 عالمٍ بالقضاءِ والحُكمِ عادلٍ      ما لعلياءِ مجده مِنْ مُعادلٍ  
 قاطعٍ في الخصامِ كُلِّ مجادلٍ      ومهَابٍ مؤيدٍ بسدادٍ (إل  
 لله) فيما يأتي إليه وينحو  
 (حَسَنُ) الفعلِ كُلِّ حينَ نَراهُ      نعمةٌ مُسْبِغُ العطاءِ بَراهُ  
 ذو فِخارٍ بادٍ منيعٌ ذَراهُ      مُتَحَفٌ بالسدادِ فيما يَراهُ  
 وله أينما توجَّهَ فَتَحُ  
 كُلُّ صَعْبٍ عن حلٍّ معناه يَنكَلُ      أنفُسُ القولِ عندهُ ليس يُشكَلُ  
 فهو عَضْبٌ ماضٍ على الهولِ ما كُلُّ      وإذا ما خبا زنادٌ ففي كُلِّ  
 ل زمانٍ لزندٍ عليها قَدَحُ  
 كم روينا له مناقبَ حَمْدٍ      ملأتْ رَحْبَ كُلِّ غَوْرٍ بنجدٍ  
 .....<sup>(١)</sup> وإذا أسندت أحاديثَ مجدٍ  
 فلا بائه الحديثُ الأصحُّ

(١) بياض في الأصل .



يا عمادي الذي اعتمادي عليه      وملاذي الذي فراري إليه  
 ويساري يفيض من راحتيه      يا بني (جعفر) الذي من يديه  
 كُلُّ غَيْثٍ بِكُلِّ جُودٍ يَسْحُ  
 هاكَّ عَقْدًا فِي جِيدِ عِذْرَاءٍ يُجَلِّي      زَانَهَا فَاغْتَدْتُ مِنَ الشَّمْسِ أَحْلَى  
 وَتَهَادَتْ إِلَيْكَ مُذْ كُنْتَ أَهْلًا      مِلْحٌ مِنْ قِصَائِدِي فِيكَ تَتْلَى  
 وَلِعَمْرِي مَا فِي سِوَاهُنَّ مِلْحُ  
 لَكَ مَجْدٌ مِنَ الْكَوَاكِبِ حَالٍ      وَمَقَامٌ عَلَى الْمَجَرَّةِ عَالٍ  
 أَنَا شَأْنٌ لِمَنْ شَنَّاكَ وَقَالَ      أَنَا وَآلٍ وَفِي وَدَادِكَ غَالٍ  
 لَا أَبَالِي بَعَاذِلَ فِيكَ يَلْحُو  
 أَنْتَ يَا وَاحِدَ الْأَكَارِمِ ضَامِنٌ      صَرَفَ بَوْسَ مَا زَالَ فِي النَّفْسِ كَامِنٌ  
 يَا غِيَاثًا مَنْ أُمُّهُ كَانَ آمِنٌ      لَكَ مِنِّي حُسْنُ الثَّنَا وَلَنَا مَنْ  
 عَزَمَكَ الْمُسْتَطِيلَ سَيْفٌ وَرَمَحُ

وقال من أخرى يرثيه ، وقد أبدع غاية الأبداع ، وجاء بما لم تسمع بمثله الأسماع :

لَسْتُ أَدْرِي لِمَنْ يَحِقُّ الْعِزَاءُ      شَرَعْتُ كُلُّنَا بِذَاكَ سُوءًا  
 عَمَّنَا الشُّكْلُ وَالْمَصَابُ كَأَنْ قَدْ      فُقِدْتُ مِنْ جَمِيعِنَا الْآبَاءُ  
 أَيُّ حَيٍّ مِنَّا وَمِنْ سِوَانَا      لَمْ تَسِمُهُ لَهُ يَدٌ بِيَضَاءٍ  
 عَاشَ أَبَاؤُنَا بِنَعْمَى أَبِيهِ      وَبِأَبْنَاهُ عَاشَتْ الْأَبْنَاءُ  
 وَرَقَدْنَا مِنْ ظِلِّهِ فِي أَمَانٍ      لَمْ تَرَوْعْ سِرًّا لَنَا الْأَرْزَاءُ  
 مَا بَرَحْنَا فِي الْأَمْنِ مِنْ حَرْبِ الدَّهْرِ      بِرِ جَمِيعًا حَتَّى دَهَاهُ الْقَضَاءُ  
 فَلَنَا لَهُ يَحِقُّ الرِّثَاءُ      وَعَلَيْنَا وَلَا عَلَيْهِ الْبِكَاءُ  
 يَا بِلَادَ اللَّهِ الْبَسِيطَةَ مُورِي      أَسْفًا وَاسْقَطِي لَهُ يَا سَمَاءُ  
 يَا بَحَارَ الْأَرْضِ الزَّوَاخِرِ غُورِي      قُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ غِيَضَ الْمَاءُ  
 يَا نَجُومَ السَّمَاءِ فِي الْأَرْضِ خُرِّي      وَالْبَسِي حُلَّةَ الْأَسَى يَا ذُكَاءُ  
 يَا جِبَالَ اخْضَعِي ، وَيَا رِيحُ هَبِّي      يَا غُلًّا أَقْصِرِي وَطُلُّ يَا عَنَاءُ

شرع هبوا ، وابكينه يا نساء  
 دعت الدين فتنة عمياء  
 زاكى ، بكاه (الحسين) و (الزهراء)  
 (أحمد) ، والأئمة الأئمة  
 يوم شؤم هل ذاك (عاشوراء)؟  
 فات منا سداً والضياء  
 ضحاً كأن أطل المساء  
 وشجوني (متيم) <sup>(١)</sup> بكاء  
 أنعشتني من جوده النعماء  
 إن كبت نكبة بنا صماء  
 أمحل العام أو دعت لثواء  
 بعد قولي لك استطال البقاء  
 بعدما طال فيك مني الثناء  
 بعض حق وأين مني الوفاء  
 لمصاب قد عز فيه العزاء  
 ه ، وأنتم من بعده الخلفاء  
 بدوراً تجلى بها الظلماء  
 وابن موسى بن جعفر الأقتداء  
 مالها الدهر غيركم أكفاء  
 إنما أنت روضة غناء

يا عيون الشرع اسكبي ، يا رجال الـ  
 إن يوماً أودى ابن (جعفر) فيه  
 إن يوماً قضى به الحسن الـ  
 يا إمام الهدى ليومك يبكي  
 إن يوماً به نُعيت إلينا  
 يا سراجاً ويا رتاجاً تداعى  
 حال لون النهار بعدك يا شمس  
 أنت لي (مالك) وأني بوجدي  
 أنا أولى بأن أعزى بمولى  
 من نرى بعدك المقليل عثراً  
 من إليه يلجأ ويرجى نداءه  
 فبرغمي قولي سقتك الغوادي  
 وبرغمي أني أفيك رثاء  
 غير أني أقضي ولست أوفي  
 يا بني (جعفر) الكرام عزاء  
 ما فقدنا وجل من قد فقدنا  
 إنما أنتم البقية في الأرض  
 ولنا في بني (علي) جميعاً  
 يا بني عمي الكرام اخطبوها  
 يا ثرى ضم لابن (جعفر) جسماً

ولبعض الشعراء يرثيه ويمدح الشيخ مهدي رحمهما الله أجمعين :

خليلي كفاً فاصطباري مغلوبٌ      وعذلكما فيه لقلبي تعذيبٌ  
 قفا بي على ربع الألى قد ترحلوا      نحن عليهم مثلما حنت (النيب)

(١) علق المؤلف على هذا البيت بقوله : «ينبغي أن يكون (متيم) لكي تتم التورية» .

قفنا نسأل الدارَ التي خفَّ أهلُها  
تروحُ عليَّ النائباتُ وتغتدي  
وقفتُ على الدارِ التي كُنتمُ بها  
وقد درستُ عنا الرسومُ ، وطالما  
نأى (حسنُ) عنها فغُيِّبَ في الثرى  
فأودى عماد الدين فقد عميده  
فأيُّ شمسٍ للهداية كُورَتْ  
وأيُّ حياة بعد فقدك تُرتجى  
لقد كنتَ غوثَ المُجدِّبينَ وغوثَهُمُ  
أديلتُ لك العلياء إذ حلَّ فوقها

إلى أن قال :

ولو لم يكُ (المهديُّ) بعدك قائماً  
هو العَلَمُ المنصوبُ والجوهرُ الذي

وهي طويلة اقتصرنا على هذا القدر منها .

ورأيتُ ببعض المجاميع ما هذا نصُّه : وقال الشيخ إبراهيم قفطان : أرخَ السيد مُحَمَّدُ نجل  
السيد معصوم<sup>(١)</sup> عام وفاة أخيه المرحوم حسين ، ووفاة المرحوم المبرور العلامة الشيخ حسن  
نجل الشيخ الأكبر ، فقلتُ على القافية راثياً لهما ، وهي :

إلى كم تُرينا صُروفُ الزَمَنِ  
قضتُ في الورى بلزوم الردى  
أحنُّ وهلُ نافعُ بعدَ ما  
وهلُ مسعدُ غيرِ ورقِ الحمام  
وقائلة لي ألا تخلعن  
تعزِّ فكم لك من سلوةٍ  
بفقد الخليط صنوفَ الحنِّ  
كأنَّا وصرفُ الردى في قرنٍ  
تنأى الأحباءُ أني أحنُّ  
تحنُّ التياعاً بأعلى فننُّ  
ثيابُ المصاب إذا ما أرجحنُّ  
تفرِّجُ عنك كربُ الحزنِّ

(١) السيد مُحَمَّدُ معصوم القطيفي ، تُوفيَ حدود سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م .

بموت النبيّ وقُتل الوصيِّ      وذبح (الحسين) وسُمِّ (الحسن)  
فقلتُ أجلّ ليسَ سكَبُ الدُموعِ      لغير مصاب (الحسين) الحسنُ  
شباباً قضى لم يفز بالمنيِّ      ولا قرّ في عيشة واطمأنُّ

ثم أخذ في رثاء أخيه ، إلى أن قال ، عليهما رحمة الله المتعال :

كأنَّ الرزّابا تجسُّ الخلال      تفشّشُ عن أوحديّ الزّمنِ  
إلى أن أناختُ برغمي الركاب      بجنب عميد الهدى المؤتمنِ  
هو (الحسن) اسماً ومعنىٍّ ومَن      غدا أجود الخلقِ كفّاً ومَن  
بحامي الذّمّار بربّ الفخار      بشمس النهار ببدر الدّجنِ  
فلا تركننّ لسلم الليالي      فقد ضلّ مَنْ ليليّالي ركنُ  
ولا تأمننّ صرّوف الزّمان      فشيمتُهُ الغدرُ فيمَن آمنُ  
فيا لرزايا أذبن الفؤاد      فكم غارةٍ في البرايا تُشنّ  
وواسى ابنُ (معصوم) في وقعها      فأرّخ وهو الخطيبُ اللسنِ  
فجعنا بفقد (الحسين) كما      فجعنا بفقد الأمام (الحسن)

وقال الأديب الأوحّد ، ذو الشرف الذي ليس له حدّ ، الحسيب النسيب السيد صالح القزويني البغدادي<sup>(١)</sup> (رحمه الله) يرثي الشيخ حسن (قُدّس سرّه) ، ويهنئ الشيخ مُحمّد بجلوسه بمحلّ آبائه الكرام ، ورجوع الخاصّ إليه والعام ، ويعدّد مساعي المشايخ العظام ، وأيادهم الجليلة في الإسلام . وقد أجاد تمام الأجادة ، وحوى من تمام الحسن وزيادة ، وقد ضمّن أكثر أبياتها نوع الاقتنار ، الذي هو من الحسن بمكان ، فقال مخاطباً للشيخ مُحمّد رحمه الله :

أقامك (الحسن) الزاكي لنا خلفاً      فقامت بالأمر عن آبائك الخلفا  
قرّت بك العينُ من بعد القذى بهمُ      والقلبُ بُردَ الأسى بعد الأسى التّحفّا  
لم يصفُ عيشُ لنا من بعد فرقتهمُ      لكنّما العيشُ عمر الدهر فيك صفا  
إنّ ناحَ ورقُ المنى شجواً لبينهمُ      ففيك ورقُ الهنا في دوحة هتفا

(١) السيد صالح القزويني البغدادي ولد سنة ١٢٠٨هـ / ١٧٩٣م ، وتوفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٨م .

أنستَ مربَعَهُم من بعد وحشته  
 إنَّ المكارمَ كانتَ عِينَهُم نبأً  
 لم يغفُ طرفُ العُلى لَمَّا نَوُوا ضَعَنًا  
 والدهرُ جار علينا يومَ ظنَّ بهم  
 أنا المُعزِّي المهنِّي والورى فلنا  
 ما شاهدتُكَ الورى إلَّا وَقَدْ شهدتُ  
 فأنَّهُم في الورى كالدرِّ في صَدَفِ  
 (موسى) (عليُّ) المعالي والفتى (حَسَنُ)  
 هُم الأئمةُ علَمًا نائلاً ورعاً  
 جِبِلَّةٌ شَغَفِي فِيهِمْ وَلَا عَجَبُ  
 لم يجحدِ الناسُ نعمَاهم ولو جَحَدَتْ  
 لولا أبو (مُحْسِن) والعزُّ عَصْبَتُهُ  
 وفوقَ ما أَمَلْتُهُ الناسُ أدركه  
 فافخرُ بهم فلعمري لم تجدْ أحداً  
 ما أسستُهُ لك الآباءُ من شرف  
 لم يستطعَ أحدٌ وصفاً لمجدَهُم  
 كفى المؤمل ما أوليتَ من مَنَحٍ  
 فأنتمُ الشَّمُّ حِلْماً والبحورُ ندى  
 لا عيبَ فيهِم سوى أنَّ الزمانَ لهم  
 وكُلَّمَا ثَلِيَتْ آيَاتُ مَجْدِهِمُ  
 طَوَّقْتُمُ بعد كسرى قيصراً مِنَّا

فكنتَ ممرَعَهُ عَرَفاً لمن عكفا  
 ومنكَ صارتَ عَيَاناً شاهداً وكفى  
 وَجْداً عليهم ولكنْ مُذْ رَأَى عَفَا  
 وفيكَ لو لم يحدِ للدهرِ قُلْتُ عَفَا  
 نُعمى وبؤسى سواءَ جاوز السرفا  
 آثارُ كُلِّ فتىٍ منهم بما اتصفا  
 فاستخرجِ الدرَّ منهم واقذِفِ الصَدَفَا  
 (مُحمَّدُ) من مجاري (جعفر) عرفا  
 هدى تقى سنداَ حلماً حَجِيَّ كَنَفَا  
 لآلِ (جعفر) إنَّ أخلصتُهُم شَغَفَا  
 فنورُ شمس الضُّحى ما كانَ فيه خفا  
 كدنا لما نالهم نقضي أَسَى وِوفا  
 وَالْكُلُّ كانوا بحمدِ الله مُعْتَرِفَا  
 إلَّا مُقَرَّراً وَمَنْ يَأْتِي كَمَنْ سلفا  
 شَيْدَتُهُ فتسامى (المشتري) شرفا  
 كلاً وَقَدْ كَلَّ عَنْهُ كُلُّ مَنْ وَصَفَا  
 أغنتَ عن العارضِ الوسميَّ إذْ وَكفا  
 والشهبُ سَعْدًا مدى الأيامِ ما اختلفا  
 من الرعايا وَمَنْ فِي ظِلِّهِ اكتنفا  
 كانتَ شفاهاً لِمَنْ أَعْيَا شفاهُ شفا  
 بِالصِّلَحِ بينهما مِن بعد ما زَحَفَا

وسيأتي مثل هذا البيت ألفاظاً ومعنى للشيخ عبد الحسين محيي الدين من قصيدة يمدح  
 بها الشيخ مُحمَّد ، ويعدد مساعي المشايخ (رضوان الله عليهم) ، وهي على هذا الوزن  
 والقافية ، وهما متعاصران ، فما أدري من أخذ من الآخر . وعلى كُلِّ حال فقد بسطنا  
 الكلام في تفسيره ومحاسنه البديعة هناك فراجع ، فهو من الأبيات المشيدة ، والمعاني

المتفرّدة :

وكم صفحتكم عن الجانين مكرمةً  
وكم أجرتكم جواراً راعه زمنٌ  
لم تزه روضة علم بعد بُعدهم  
فكم (كشفتكم) عن الرّمز الخفيّ (غطا)  
مولى إذا سألته الوفد عطف ندى  
يزدادُ بشراً ولُطفاً في مواهبه  
أثنى عليه الحمى واللفظ إذ بهما  
فدُم لنا (حرماً) ناوي (لكعبته)  
وكم منحتكم على جرم من اقترفا  
وكم أقلّتم عثاراً منّةً ووفاً  
لولاك كلاً ولا منها الجنى قُطفاً  
ورمز (كشف الغطا) لولاك ما انكشفا  
فقبل ما سألته بالذرى عطفاً  
والدهر يزدادُ غيظاً وجهه وجفاً  
قد أثبت الأمن منّا والحذار كفا  
إن سامنا الدهر هوناً أو بنا جنفاً

ثم إن هؤلاء الذين ذكرناهم من أولاد الشيخ الكبير من أم واحدة ، وحيث أنهم هم العُمدة من أولاده ، ومحل وثوقه واعتماده ، الذين قاموا مقامه ، وأحيوا ذكره ، ورفعوا في العلم أعلامه ، فهذا اقتصرنا عليهم . وإن كان له غيرهم من الأولاد من أمهات متعددة ، وكأنهم لم يكونوا بشئ عند أبيهم ، ولهذا أوقف دوره على موسى ، ومحمد ، وعليّ ، والحسن ، وذريتهم ، ولم يُشرك من أولاده معهم في ذلك أحد إلا الشيخ عيسى فأثّر اشتراط له السكنى مدة حياته معهم ، ولا يتعدى إلى عقبه .

### ترجمة الشيخ عيسى بن الشيخ الكبير

وكان الشيخ عيسى هذا من العلماء البررة على ما سمعنا ووجدنا في بعض الأشعار ذكره ومدحه بذلك ، وأنه من السالكين بتلك الشعوب والمسالك . منها أبيات للسيد مُحمّد علي بن السيد أبي الحسن العاملي ، وهي :

(عيسى) بن (جعفر) في الفضائل مُفردُ  
حسنَت قضايا حسنه وكأنّه  
من مَعشَر بيض الوجوه كأنّهم  
ما فيهم إلا أغرّ ماجدُ  
فكأنّه (موسى) بها ، و(مُحمّد)  
دون الأنام هو المنادى المُفردُ  
شُهْبُ بأفاق العلى تتوقّدُ  
زاكي الأرومة أو أغرّ أصيدُ

ولم أَعثر على مدة حياته وزمان وفاته . وظنّني أَنَّهُ تُوفيَ أيام أخيه الشيخ حسن . وأعقب  
ولداً يسمّى جواد الأقرع . وله حكايات ونوادير لا يسع المقام ذكرها ، ومات ولم يُعقب . وكذا  
باقي أولاد الشيخ (ره) ليس لهم اليوم عقب . وعقب الشيخ منحصر من موسى ، وعليّ ،  
والحسن (ره) .

## الباب الثالث

### في الطبقة الثالثة من هذه الطائفة

لا زالت العلى بها حافة ، والمفاخر طائفة .

وها نحن بعون الله تعالى نذكر كل واحد واحد منهم على سبيل الأجمال ونرتبهم على حسب السن والفضيلة ، وانتهاء النبوة له ، والجلوس في مسند آبائه الكرام ، والنهوض بتقلد أمور الناس في المهمات العظام .

#### ترجمة الشيخ محمد بن الشيخ علي (رحمهما الله تعالى)

فأول من جلس بذلك المسند العظيم ، وحُبس عليه أمر الرئاسة الجسيم ، بعد أولاد الشيخ الأربعة موسى ، ومحمد ، وعلي ، والحسن ، الرئيس المطاع ، والموئل الذي وقع عليه الأجماع ، قنّة<sup>(١)</sup> الشرف الراسية ، وقبة المجد العالية ، مؤيد الملة والدين ، ومظهر شوكة الإسلام والمسلمين ، الفريد الأوحّد ، بقيّة العلماء الراشدين أبو محسن مُحَمّد ، نجل المحقق المعتر ، زين المحققين العليّ بن جعفر ، طيب الله بالرضوان مراقدهم ، وسقى بصيب الغفران معاهدهم .

ذاع صيته واشتهر ، وتولّى زمام الأمر ، بعد عمّه الحسن بن جعفر ، حتى أذعنت له رقاب سائر الأم من المسلمين ، وألقت إليه مقاليدها رئاسة الدنيا والدين ، على كثرة من كان في زمانه من الأساطين المعارضين ، والعلماء المبرزين . فلما تجلّى صبح فضله لمن له عينان ، لم يشدّ عنه شاذ ولم يختلف فيه إثنان .

وكان تعاطيه لأمر الرئاسة وفصل الخصومات في زمان أبيه وعمّه أكثر من التعاطي بأمر التحصيل والتدريس . فلهذا لم يكن يُعرف بتلك الفضيلة ، ولا يُظنّ أنّه ممن يفوز بتلك المنزلة الجليلة ، من النهوض براسم العلوم ، والقيام بتشديد هاتيك الرسوم . إلى أن توفّي عمّه<sup>(٢)</sup> بعد أبيه ، وأحزّ الله تعالى مع الناس القابلية فيه ، جلس بمسند آبائه الكرام ،

(١) قنّة الشرف : أعلاه .

(٢) هو الشيخ حسن كاشف الغطاء ، ووفاته كانت سنة ١٢٦٢ هـ / ١٨٤٦ م .



وتقلّد ما كانوا يتقلّدون من المهمات العظام ، اللازمة على رؤساء الأسلام فاشتهر ذكره شرقاً وغرب ، وورق منبر التدريس في (الطنبية) الكبيرة فامتلات بالفضلاء والعلماء عجماً وعرب . فكان مَنْ حضر تحت منبره ، واغترف من فيض أبيحره ، على أنّه من المجتهدين ، والعلماء المسلمّين ، أخواه الشيخ مهدي<sup>(١)</sup> والشيخ جعفر<sup>(٢)</sup> وابن عمّته العيلم الفقيه المشهور الشيخ راضي<sup>(٣)</sup> بن الشيخ مُحمّد بن الشيخ خضر (ره) ، وكثير من أمثالهم لا ينتسبون إليه بشيء ، ومنهم العالم الفاضل ، والنحرير الكامل الشيخ مُحمّد علي عز الدين العاملي<sup>(٤)</sup> رحمه الله تعالى ، وقدّ ذكره في رجاله المسمّى بـ «ضوء المشكاة الكاشف عن وجوه الرواية والرواة» ، حيث قال في ترجمة الشيخ الكبير :

«الشيخ الأكبر ، ابن الشيخ خضر جعفر ، شيخ الطائفة في عصره المتصل بعصرنا ورئيس المذهب ، بلغ الغاية علماً وعملاً ، وجلالة وقدراً ، وشهرة وذكراً ، لدى الخاص والعام ، والعرب والعجم ، وملأت الدنيا تلامذته وصنّف كتباً كثيرة منها كشف الغطا ، وبغية الطالب وغيرها ، وبيته من أجلّ بيوت النجف وأولاده كلهم علماء فضلاء مجتهدون ، منهم الشيخ موسى ، والشيخ عليّ ، والشيخ مُحمّد ، والشيخ حسن ، كلّ تنتهي إليه الرئاسة في عصره واحداً بعد واحد . وقدّ شاهدت منهم الشيخ حسن (ره) . إلى أن قال :

«وأولادهم إلى الآن مشهورون بالفضل مبرّزون بالعلم ، والشيخ مهدي ابن الشيخ عليّ أحد العلماء المبرّزين اليوم في النجف ، وأخوه الشيخ مُحمّد كان قبله كذلك ، وقدّ حضرتُ درسه بُرهة من الزمان . وبالجملة فهم بيت مجد وشرف وعلم قلّما يوجد في البيوت مثله . إنتهى كلامه ، رفع مقامه .

وفي «قصص العلماء» بعدما ذكر وفاة الشيخ حسن (ره) قال ما نصّه :

«وجلسَ الشيخ محمد مكان الشيخ جعفر ، وكان ماهراً في الفقه»<sup>(٥)</sup> .

وقال الفاضل البادكوبي في «نقد العلماء» ما نصّه :

الثالث : الشيخ مُحمّد ، وهو الآن في النجف الأشرف من المجتهدين المعروفين والعلماء

(١) ولد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وتوفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .

(٢) ولد حدود سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٦م ، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

(٣) هو جدّ أسرة آل الشيخ راضي الشهيرة . توفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

(٤) من أعظم العلماء ، توفي سنة ١٣٠٣هـ / ١٨٨٦م . وكتابه «ضوء المشكاة» لا يزال مخطوطاً . وله مؤلفات مطبوعة : الردّ على الماسونية ، وتحفة الألباب في المفارقة بين الشيب والشباب .

(٥) قصص العلماء ، ص ١٨٧ .

المشهورين المبرزين ، وحوزة درسه مملوءة من الطلبة والفضلاء والعلماء . إنتهى .

والحاصل إنَّ أمره غنيَّ عن البيان ، غير محتاج إلى برهان ، وقدَّ كان مطاعاً مراعى ، مهاباً مجاباً ، وقوراً جسوراً ، خصوصاً عند الحكام ، ووزراء الدولتين العظام . وكانت تحته أجلُّ بنات عمِّه الشيخ موسى وهي أم أولاده الأربعة الآتي ذكرهم (إن شاء الله تعالى) . وهي ذات شأن وقدر وثروة واسعة وحليّ وحلل . وكثيراً ما كانت تتقاصدها الشعراء فتسمع من وراء الستر مدائحهم وتُجيزهم بجوائز الملوك . وكان الشيخ كثيراً ما يأخذ من حليّها وحللها فيصرفه ويبدله على الفقراء والمتوقعين لعدم كفاية ما يصل إليه من الحقوق .

وكان أول أمره يتولّى مفاتيح الحرم الحيدري والتصرف فيه ، وكان السيد رضا الرفيعي<sup>(١)</sup> نائبه . ثم بعد ذلك ألقى أمرها كله إليه وجعله (كليداراً) ، واستمرت حتى اليوم في بنيه .

وكان (رحمه الله) جهوري الصوت رفيع الهمة ، كبير الجثة والجمّة ، سمحاً جواد ، عليه سيماء العبّاد والزهاد . وكان كثيراً ما يخرج إليه خدمه بطبق فيه خبز وإناء فيه خلّ وملح فيتغدّى به ، وتخرج الموائد لأضيافه وخدمه وملازميه . ولم يرّ عليه يوم لا يُبدل فيه نائله الجزل إلّا مرّ ، ولا رأى زياً في قناة الدين إلّا عالج به بالجبر ، وما زال أمره يعلو ، وشرفه يسمو ، شيئاً فشيئاً حتى رجعت إليه الناس بالتقليد ، بعد العلامة الوحيد ، الماهر الباهر ، صاحب «الجواهر»<sup>(٢)</sup> ، فانحصر أمر الشريعة الغراء به ، وبعلم الهدى الثاني كتاب الله الناطق بفصل الخطاب ، شيخنا الشيخ مرتضى الأنصاري تغمدهما الله برحمته . فبقيا علمين لها ، يردّان عنها كلّ باغ وطاق ، ويقومان منها ما زاغ ، إلى أن تُوفي الشيخ مُحَمَّد في الأثناء ، واستقل الشيخ مرتضى بالأمر فدبّر فيه ما شاء ، من تشييد وإحياء ، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء .

وتُوفي الشيخ مُحَمَّد سنة ١٢٦٨ بعدما بلغ من الجلالة والرفعة ما لا يفي به بيان ، دون العيان ، وفي أيامه كثرت الآداب والأشعار ، وصار لها به أحسن موقع وشعار ، حتى راج سوق الأدب ونبه خامله ، وطلع بالسعد آفله ، لأنّه كان يجيز عليه الجوائز السنّية ، والمواهب البهية ، فكانوا يجيدون له في مدائحهم ، ويجيد لهم في منائحهم ، و(اللّهي تفتح اللّهي) .

وهو أكثر من وقعتْ على مدائحه وتهانيه من هذه الطائفة ، مع تمام الجودة ونهاية

(١) قُتل السيد رضا الرفيعي سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

(٢) هو الشيخ محمد حسن النجفي المتوفى سنة ١٢٦٢هـ / ١٨٤٦م .

الحسن . ولنذكر لك شيئاً مما تيسر لنا فيه .

### الفصل الأول: في مدائحه وتهانيه

فمن ذلك ما قاله الشيخ موسى بن الشيخ شريف<sup>(١)</sup> ، وهو من ظرفاء الشعراء ، وفحول الأدباء ، وله حكايات ظريفة لا يسع المقام نقلها ، وله مدائح كثيرة في الشيخ مُحَمَّد المذكور ، وهو من خواصّه وملازميه . قال رحمه الله يهنيه في ختان ولده الشيخ محسن<sup>(٢)</sup> (رحمهما الله جميعاً) :

أسفرَ الحَيُّ حينَ زارتْ نوارُ  
أسفرتْ في الظلامِ عنُ صبحِ وجهِ  
حبّذا زورة لظمياءَ فيها  
وبنفسِي أفدي بديعةَ حُسنِ  
حارَ فكري مُذْ حاورتني ولكنْ  
أنا في الحب مُفردٌ ولغيري  
مُتَّهِمٌ في هوى (نوار) إذا ما  
شيمتي الصبرُ في الهوى وهو صبرٌ  
هكذا في الهوى مقامي إلى أنْ  
فترديتُ بالمزاح وأضحى  
(سعدُ) ، غنَّ لنا بذكر الغواني  
واسقني قهوةً كذوبِ نُصارِ  
بنتُ كَرَمِ نُضيءُ كالشمسِ في الكاسِ  
من فتاة كأنّها خُوطُ بانٍ  
أو ما تُبصرُ الرياض اللواتي  
ونسيم الصِّبا يهبُ فتكسي  
والقوافي وافتك تَحْتالُ تيهًا

فَجلَّتْ منها لنا الأنوارُ  
ليس تحكي أنوارُ الأَقمارِ  
عاد ليلُ الصَّدود وهو نهارُ  
كُلُّ حُسنٍ مِنْ حُسْنِها مُستعارُ  
بلحاظٍ قَدْ زانَهنَّ إحْوارُ  
غير ما اخترت في الغرام اختيارُ  
أنجِدوا في هواهُمُ وأغاروا  
وشعاري كتمُ الأسى وهو نارُ  
أظهرتُ سريّ الدموعُ الغزارُ  
لي ترك الوقار وهو وقارُ  
فالليالي طوالهنَّ قِصارُ  
طَمَحَتْ نحو دَنها النُصارُ  
فَتَعشَوْ لضيئها الأبصارُ  
ذات خَدَّ كأنَّه جُلنارُ  
سجعتُ في أراكها الأَطيارُ  
كُلُّ أرضٍ من طيبها الأزهارُ  
تتهادى كأنَّها أقمارُ

(١) الشيخ موسى محيي الدين تُوْفِي سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .

(٢) تُوْفِي الشيخ محسن سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م .

(محسن) مَنْ لَهُ الْفَخَارُ أَزَارُ  
وَبِيسْرَاهُ لِلْعُفَاةِ يَسَارُ  
هُوَ لِلجُودِ فِي الْوُجُودِ الْمَنَارُ  
شَهِدَتْ فِي الْعُلَى لَهُ الْآثَارُ  
وَسَجَايَا فِيهَا الْعُقُولُ تَحَارُ  
أَقْعَسَا لَا يُشْقُ مِنْهُ الْغُبَارُ  
لَوْذَعِي مُقَدِّمُ مُسْتَشَارُ  
لَدِينِ مَنْ بَعْدَ مَا عَرَاهَا إِنْكَسَارُ  
لَمْ يُصِْبْ خُطَّةَ الْفَخَارِ بَوَارُ  
إِيَّيْ وَأَبَائِهِ الْكَرَامِ ، الدِّيارُ  
وَزَكَّى مِنْهُ مَخْتَدٌ وَنِجَارُ  
وَبَدَتْ فِيهِ عَفَّةٌ وَوَقَارُ  
يَا بَنِي (جَعْفَر) لَكُمْ لَا يَصَارُ  
هِيَ كَالشَّمْسِ مَا عَلَيْهَا غِبَارُ  
عِلْمَاءُ أَثْمَّةٌ أَبْرَارُ  
وَإِذَا مَا اسْتُجِيرَ مِنْهُمْ أَجَارُوا  
مَا جَلَا ظُلْمَةُ اللَّيَالِي نَهَارُ

مَطْرَبَاتٍ فِي خَتَنِ غَضِّ الْمَعَالِي  
يَا بَنَ مَنْ لِلوَرَى بِئِمْنَاهُ يُمْنُ  
لَكَ دَامَ السَّرُورُ فِي ظِلِّ مَوْلَى  
ذَاكَ مَوْلَى الْوَرَى (مُحَمَّدُ) مَنْ قَدْ  
ذُو مَزَايَا أَذْكِي مِنَ الْمَسْكِ طَيْباً  
حَزْتَ مَجْداً سَامِي الْحِلِّ وَعِزّاً  
عَالِماً عَامِلاً وَبِرّاً جَوَادُ  
بِأَبِي (مُحْسِن) أَقِيَمْتَ قَنَاءَ الْـ  
(وَبِمَهْدِي) الْوَرَى لِنَهْجِ الْمَعَالِي  
وَبِأَوْصَافِ (جَعْفَر) تَتَحَلَّى  
لَاخَ سَمْتُ التَّقَى عَلَيْهِ وَلِيداً  
وَلَقَدْ طَابَ لِلوَرَى مِنْهُ خُلُقُ  
أَيُّ مَجْدٍ وَسُؤْدَدٍ وَفَخَارِ  
كَمْ لَكُمْ فِي الْوُجُودِ مِنْ مَكْرَمَاتٍ  
سَادَةِ قَادَةِ وَلَاةٍ حِمَاةٍ  
فَإِذَا مَا اسْتُنِيلَ مِنْهُمْ أَنْالُوا  
فَأَنْعَمُوا رَاغِدِينَ فِي ظِلِّ عَيْشٍ

وَمِنْ ذَلِكَ الرُّوضَةُ الزَّاهِرَةُ ، وَالْحَدِيقَةُ الْبَاهِرَةُ ، لِلأَدِيبِينَ الْأَرَبِيِّينَ ، الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ  
الْعَامِلِيِّ ، وَالشَّيْخِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ ، نَظْمَاهَا عَلَى الْأَرْتَجَالِ ، فِي تَهْنِئَةِ عَرَسِ الْكَمَالِ ، الشَّيْخِ  
مُحْسِنِ بْنِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ (طَابَ ثَرَاهُمْ) يَمْدَحُونَ أَبِيهِ ، وَ(النُّونَ) عَلَامَةَ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ  
وَالْمِيمَ ، لِلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ . وَكُلُّ قَدْ أَجَادَ .

قَالَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْحُسَيْنِ مَحْيِي الدِّينِ يَخَاطِبُ الشَّيْخَ مُحَمَّدَ :

ن	أَلَقْتُ إِلَيْكَ زَمَامَهَا الْعِلْيَاءُ	فَلَهَا لَدَيْكَ مَوَدَّةٌ وَوَلَاءُ
م	أَنْتَ الَّذِي طَالَتْ مَرَاتِبُ مَجْدِهِ	فَتَقَاصَرَتْ عَنْ مَدْحِهِ الشُّعْرَاءُ
ن	أَدْرَكَتْ سَابِقَةَ الْفَخَارِ عَقِيبَ مَا	شَقَّ السَّبَاقَ وَشَطَّتْ الْغُلُوءُ

م أَنِّي يُقَاسُ النَّاسُ فِيكَ وَأَنْتَ يَا  
 ن أَفْتَى الْكِرَامَ الطَّيِّبِينَ وَمَنْ لَهُمْ  
 م أَوْ هَلْ يَطَاوُلُ كُنْهَ مَجْدِكَ فِي الْعُلَى  
 ن إِنَّ الرِّئَاسَةَ لَمْ تَكُنْ مَعْقُودَةً  
 م أَنْتُمْ بِحُورٍ فَضَائِلَ وَفَوَاضِلِ  
 ن أَبْنَاءَ (جَعْفَرٍ) وَالْأَنَامُ شُهُودُكُمْ  
 م أَصْبَحْتُمْ لِلخَلْقِ كَعَبَّةَ أَمَلٍ  
 ن أَكْفَاءَ كُلِّ كَرِيمَةٍ فَقَدِيمُكُمْ  
 م أَهْلُ الرِّئَاسَةِ أَنْتُمْ وَبِفَضْلِكُمْ  
 ن أَبَاؤُكُمْ أَبْنَاءُ كُلِّ فَضِيلَةٍ  
 م أَضْحَى (مُحَمَّدٌ) قَائِماً مِنْ بَعْدِكُمْ  
 ن أَحْيَا مَآثِرَ أَهْلِهِ مِنْ بَعْدِهِمْ  
 م أَوْفَى الْأَنَامِ نَدَى وَأَعْلَاهُمْ يَدَا  
 ن أَقْسَمْتُ بِالْخُوصِ النِّجَابِ فَوْقَهَا  
 م أَلْفُوا مَنَاقِبَ يَعْمَلَاتِ شَقَّهَا  
 ن أَهْوَتْ إِلَى بَطْحَاءِ (مَكَّةَ) حَسْبَةَ  
 ن أَنِّي أَرَى أَهْنَا اللَّيَالِي لَيْلَةً  
 م أَزْمَانٌ قَدْ زُفْتُ لِنَجْلِكَ (مُحْسِنُ)  
 م حَيِّي فَتَاةً جَدُّهَا خَيْرُ الْوَرَى  
 م أَلْقَتْ زَمَامَ قِيَادِهَا لِمَهْذَبِ  
 م أَمْسَى الزَّمَانُ غَدَاةَ زُوجِ (مُحْسِنُ)  
 ن أ(مُحَمَّدُ) الْحَاوِي مُحَامِدُ جَمَّةَ  
 ن أَصْخَ الْمَسَامِعِ سَامِعاً فَوْرِيَّةَ  
 ن أَمَّتْكَ مِنْ حَلْفِي وَفَاءَ أَخْلَصَا  
 ن أَقْصَى مَرَامِهِمَا رِضَاؤُكَ عَنْهُمَا  
 ن أَرْجَا تَضُّوعَ بَدْوِهَا وَخَتَامُهَا

رَبِّ الْعُلَى مَعْنَى وَهُمْ أَسْمَاءُ  
 جَنْبَ تَظَلَّلْنَا لَهُ أَفْسِيَاءُ  
 قَوْمٌ وَهُمْ أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ  
 إِلَّا وَرَفَّ لَهَا عَلَيْكَ لَوَاءُ  
 وَكَوَاكِبُ تُجَلَّى بِهَا الظُّلُمَاءُ  
 فِي شَرَعِ (جَعْفَرٍ) أَنْتُمْ الْخُلَفَاءُ  
 طَافَتْ بِرُكْنِ مَقَامِهَا الْعُلَمَاءُ  
 وَحَدِيثُكُمْ شَرَعَ بِذَاكَ سَوَاءُ  
 بَيْنَ الْبَرِيَّةِ سَادَتِ الْأَبْنَاءُ  
 وَبَنُوكُمْ لِفَوَاضِلِ آبَاءِ  
 بِالْأَمْرِ وَهُوَ (الْحُجَّةُ) الْبَيْضَاءُ  
 ذَكَرُوا فَكُلُّهُمْ بِهِ أَحْيَاءُ  
 وَأَعَزَّ مِنْ تُجَلَّى بِهِ الْغَمَّاءُ  
 مِنْ (هَاشِمٍ) بِيضُ الْوُجُوهِ وَضَاءُ  
 وَخَذُ الْمَسِيرِ وَمَسَّهَا الْأَعْيَاءُ  
 تُطَوَّى بِهَا الْهَضْبَاتُ وَالْبِيدَاءُ  
 يَبْدُو بِهَا لِمَسِيرَةِ لَأَلَاءِ  
 مِنْ آلِ (أَحْمَدٍ) غَادَةُ حَسَنَاءُ  
 مَوْلَى الْأَنَامِ وَأُمُّهَا الزَّهْرَاءُ  
 بِالْعِلْمِ قَدْ شَهِدَتْ لَهُ الْفَضْلَاءُ  
 طَرِباً عَلَيْهِ مِنَ السَّرُورِ بِهَاءُ  
 لَمْ يُخْصَصْهَا عَدُوٌّ، وَلَا إِمْلَاءُ  
 مَا شَانَ مَدَّةَ نَظْمِهَا إِبْطَاءُ  
 لَهَا يَدُومُ مَدَى الزَّمَانِ وَفَاءُ  
 فَرَضَاكَ جَائِزَةً لَهَا وَجَزَاءُ  
 فَلَهَا بِبَابِكَ قَدْ أَقَامَ رَجَاءُ

## قافية الباء

م	بدت تختالُ مِنْ فلكِ الحجابِ	م	يموجُ بوجهها ماءُ الشبابِ
م	بديعة طلعة تجلو الدِّياجي	م	كما يجلو الظلام سنا الشهابِ
ن	ببسمها الشهيّ لنا مُدامُ	ن	لذيذ الطعم يُعَصِّرُ مِنْ رُضابِ
م	برا اللّهُ البديعُ لها جمالاً	م	به تاهتُ على الرود الكعابِ
ن	بهاءُ زان رونقه حياءُ	ن	يُقنّعُ وجنتيها عن نقابِ
م	بوارقُ لحظها قد جردّتها	م	فراحَ لها فؤادي كالقِرَابِ
ن	بغتُ تَلْفِي وقد نصبتُ لقتلي	ن	حبائلَ غير بالغة النّصابِ
ن	بليتُ بها بسنّ صبا فشابتُ	ن	وما أقلتُ عن سُننِ التّصابي
م	برى جسدي وأنحلني هواها	م	وصيّرَ مُهجتي رهنَ العذابِ
ن	بما في وجنتيها من ورود	ن	وخمر في ثناياها العذابِ
م	بللتُ غليلَ أحشائي بريق	م	ترقرقَ عندما رقتُ لِمَا بي <sup>(١)</sup>
ن	برحت بسكر ريقتها خليعاً	ن	أخا مرح أجرلُها ثيابي
م	برود هنا جررتُ غداة زفتُ	م	فتاةُ المجد للندبِ المُهابِ
ن	بريء عن مدانس كُلِّ عارٍ	ن	فليس يُذمُّ في زيِّ مُعابِ
م	بهيّ خلّاق ينمى لمولى	م	عريض الجاه متّسع الرّحابِ
ن	بعيد عن مواطن كُلِّ ضميم	ن	فتى بحماء ينزلُ في جنابِ
م	بنى فوق المجرة بيتَ مجدٍ	م	له تأوي العُلى مِنْ كُلِّ بابِ
ن	بقية آل (جعفر) في البرايا	ن	وأكرمُ مَنْ حثّثتُ له ركابي
م	بحار المدّ تجزر وهو بحرُ	م	بموج الفضل زخار العُبابِ
ن	بواند من نداء جرت فأزرتُ	ن	بوادرها بأخلاف السحابِ
م	بلى وعلاه قد أسدت يداهُ	م	أيادي هُنَّ أطواق الرّقابِ
ن	بصائرُهُ إذا تُليتُ تراها	ن	بصائرُهُنَّ في أمِّ الكتابِ
م	بلغتُ به مناي ولا عجيبُ	م	بلوغي من أبي (حسن) طِلابي

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : « لا تغفل عمّا في هذا البيت ، وعثرة الشيخ إبراهيم فيه »

بكرتُ له و(إبراهيمُ) يُثني  
بليغ كابين (مُحيي الدين) يأتي  
برزنا في خطابة كُلِّ قوم  
بقيتُم آل (جعفر) والمعالي  
بنظم من خطاب مستطاب  
من المنظوم بالعجب العُجاب  
فلم تَقْصُرْ خُطابنا في خطاب  
بواق ليس تأذن في ذهاب

وأحسن من هذا ما اشتركا فيه أيضاً ، فالأصل للشيخ عبد الحسين محيي الدين رحمه  
الله يذكر السالفين من بيت الشيخ ويعدد مساعيهم ومناقبهم ويتأسف على فراقهم  
وفواتهم ، ويتخلص إلى مدح الشيخ مُحَمَّد (قُدَّسَ سرُّه) . وقد حمَّسها الشيخ إبراهيم  
العاملي (ره) فأحسننا وأجادا ، وبلغا من البلاغة ما أَرادَا ، وهي من محاسن الشعر وجيده .  
فجزاهم الله عن أوليائه خير الجزاء ، أَنَّهُ فعَّال لما يشاء ، وهي :

الفضلُ حيثُ الأولى من (جعفر) وقفا مضوا كراماً وعاشوا سادةً خُففا  
فلا تَخَلْ بعدهم ربعَ الفخار عفا أحيا أبو (حسن) آثارَ مَنْ سلفا  
ونابَ عن جدِّه أَكْرَمَ به خَلفا

أولى به أَنْ يُنادى باسمه عَلَّنا محيي الشريعة والكشاف معضلنا  
قَدْ عمَّ آخرنا جُوداً وأولنا بقيَّة الله فينا والمعاذ لنا  
إِنْ أعوزتنا رزايا دهرنا كَنفا

إذا ذكرنا قضايا أعظم عظمَتْ من أهله وسجايَا أنفُس كُرِمَتْ  
نعضُّ أيدي لنا من جودهم فُطِمَتْ كُنَّا على مَنْ مضى نأسى ومُدَّ نَجِمَتْ  
فينا شعائره الحُسنى فلا أَسفا

يا (قائماً) بعد أهليه لنا ظهرا في طبق ما قَدْ جروا في المكرمات جرى  
خبا ضيَاهم ولكنْ في عَلاك وري كَأَنَّنا بك يا بن الأكرمين نرى  
أباك والحَبْرَ (موسى) ذمَّةً ووفاً

منزَّة النفس عن ذمِّ يحوب وَلَنْ يمسَّ ثوبك من رجس العيوب دَرَنْ  
أحرزت ما أحرزاه سؤدداً وعلاً<sup>(١)</sup> وجعفرأ عَزَمَةً واللَّه يشهد أَنَّ  
شاهدتُ فيك أبا (العباس) والشرفا

(١) علَّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «الظاهر أَنَّ التثنية ليس بقافية للنون» .

وردت صفو العلى من صفو موردتهم      وقد زكوت براكي طيب مختدتهم  
كأننا فيك نلقاهم بمشهدهم      عليك من بعدهم سيماء سوددهم  
لم تعد من مجدهم حداً ولا طرفاً

مناقبك لك في وجه الزمان بدت      مثل الكواكب في أنوارها اتقدت  
محاسن في سواهم قط ما وجدت      علم يكاد يس الغيب قد شهدت  
بفضله علماء الدهر والعرفا

وبشره وذكاه في ظرافته      يسدي عن الخطب إذ يسطو بأفته  
وعفة الذيل في زاكي نظافته      وخير خلق كريم من لطافته  
ترى الزمان ومن في ضمنه لطفاً

والفعل للخير إثر السير في سنن      والصبر في الخطب والتسليم في محن  
والصفح في الذنب والأعفاء عن أجن      وخشية الله في سر وفي علن  
لم تختلف حالته جهرة وخفاً

خليفة الكل مأوى الكل مقصدهم      إن حاولوا نائلاً أو حاذروا تلفاً<sup>(١)</sup>  
إن الخلافة عنكم غير رغبة      وقد تهادت لكم في زي خاطبة  
سهاؤها في سواكم غير صائبة      بني (علي) يميناً غير كاذبة

في دين (جعفر) حقاً أنتم الخلفا      وفي الزمان ملوك الأرض من قدم  
لم يلجأوا من علاكم مرتقى قدم      إن البرية من غرب ومن عجم  
لكم رعايا إذا ما أعطوا النصفاً

عليكم للهدى طالت وفادتها      ومن علوم لكم عمت إفادتها  
وفي سعادتك دامت سعادتها      أنتم أتممتها رشداً وقادتها  
قصداً وسادتها الأمجاد والشرفا

قد أظهر الله بالحسن شعاركم      وحول قطب معاليها أداركم  
أنتم سبكتكم بكسب العلم داركم      والمانعون طروق الضيم جاركم

(١) كتب المؤلف هنا : « ليس لهذا البيت تخميس » .



والمنعمون إذا ما وافد عكفا  
 أنجحتمو ببلوغ القصد آملنا      وقد فجرتم بجدواكم جدولنا  
 وكم أجرتكم وما جرتم عقائلنا      ولا يزال على غيظ الزمان لنا  
 منكم صدوق إذا خان الزمان وفا  
 وكم لنا من أهاليكم فتى شرفا      أجرى من الليث إمّا صارخ هتفا  
 ودونه الغيث إمّا وبله ذرفا      إذا استجرنا به في النائبات كفى  
 أو استمحننا ندى إحسانه وكفا  
 تخشى بنات الليالي من فوادحهم      أورى شرار المعالي زند قادحهم  
 أعيال لسان ثنائي عن ممداحهم      من فتية ما تخطى وصف مادحهم  
 إلا ومن دون أدنى شأوهم وقفا  
 كانوا كواكب الطاف ومرحمة      فكم جلوا غيباً من كل مظلمة  
 فما لغيرهم نار بمضرمة      هم آل (جعفر) عنهم كل مكرمة  
 تروى ومنهم جني الورد قد قطفها  
 هم غوث من بهم يلجا بكل زمن      وغيث من منهم يرجو بواذر من  
 يفدون يندون إن جار الزمان ومن      سل من أجار سواهم من أنال ومن  
 أقال منّا عثاراً غيرهم وكفى  
 ما استوطن المجد إلا في مواطنهم      فهو الرديف لساريهم وقاطنهم  
 هم الميامين فاسعد في ميامنهم      دغ من سواهم وحدت عن محاسنهم  
 أخبار صدق لأدواء القلوب شفا  
 أماجد لم ينل من غيرهم ترب      وليس ينهي إلي ما دونهم طلب  
 هم في الندى سحّب هم في البلا حجب      من لليتيم أب والمجتدي نشب  
 من للعدى حرب من للسقيم شفا  
 من جدّهم أسس المعروف غيرهم      من غيرهم سار في آثاره وقفا<sup>(١)</sup>  
 من سن للخير آثاراً كسنتهم      فاستدفع الناس أخطاراً بجنتهم

(١) قال المؤلف : «لم نقف على تخميسه» .

ويستقيلون أوطاناً بجَنَنهم مَنْ راحَ (قيصر) مشمولاً بمنَّتهم  
مَنْ غيرُهُمْ رَدَّ (كسرى) بعدما رَجَفَا<sup>(١)</sup>

لا تغفل عن هذا البيت فأنَّ فيه ضربة شاعر ، وفذلكة ماهر ، يحقُّ أن تخرَّ لها البلغاء إلى الأذقان سَجْداً ، وتتخذها الفصحاء في مغاني الأدب والبيان معبداً ، حيث أنَّه أشار إلى قصة صلح الشيخ موسى بين الدولتين ، ودفع العسكر والحصار عن أهل العراق (كما مرَّ آنفاً ذكره) . وقد كَتَبَ بقيصر الذي هو ملك (الروم) عن وزراء سلاطين الدولة العلية العثمانية ، وكتَبَ بكسرى الذي هو ملك (الفرس) عن وزراء الدولة السميَّة الأيرانية . وإنما شملهم بمنَّه لأنَّه دفع مُحَمَّد علي مرزة وعسكره عن بغداد وواليها سعيد پاشا وداود پاشا (كما عرفت) . وهذا نوع من الأبهام والتورية ، فأنَّ ظاهره المبالغة في عظمة الشيخ ، وباطنه الإشارة إلى ما ذكرناه . وقد صرَّح بالبيت الذي بعده وهو قوله :

مَنْ الذي ركب العلياء ساهمةً مَنْ الذي وهبَ النعماء دائمةً  
مَنْ الذي فرَّجَ البلوى مزاحمةً مَنْ الذي كشَّفَ الغمَّاء داهمةً  
عن (العراق) ومَنْ جَلَّى لها سدفاً

هم المصابيح لا تطفئ مشاعلهم تهدي بها الناس حافيتهم وناعلهم  
كأنما الله آمنَ الأرضِ جاعلهم مَنْ راحَ للناسِ أمن لا يراع لهم

في الدهر سرب كأن طرف الخطوب غفا  
حق لهم قط ما قمنا بواجبه ولا فعلنا قليلاً من مواجبه  
مَنْ بيَّتْهم كعبة طاف الهجانُ به مَنْ ظلَّهم حرَّم يُلجأ لجانبه

إذ الرعية لاقت شدة وجفا  
جدُّ الأكاسر سل ما جاز حدُّهم لما لقي جدُّ (كسرى) الوقت جدُّهم<sup>(٢)</sup>  
به اقتدى واهتدى والرشدُ عندهم مَنْ تستمد ملوك الأرضِ رشدهم

إذا لَقَتْ من سياسات الورى كلِّفا  
لهم قلوب لعمرى غير غائبةٍ عن ألسن بادكار الله دائبةٍ

(١) وفي نسخة أخرى : «وردَّ عسكر (كسرى) بعدما رَجَفَا» .

(٢) قال المؤلف معلقاً على هذا الموضوع «هذا أيضاً إشارة صريحة لما ذكرناه لك . ويعني بـ (جدُّ كسرى الوقت) مُحَمَّد علي مرزة ، ويعني (بجدهم) هو الشيخ موسى (ره)» .

وَمَنْ أَجَارُوا الْوَرَى فِي كُلِّ نَائِبَةٍ صفا الزمانُ بهم عن كُلِّ شائِبَةٍ  
لذاكَ أَعْيَا عُلَاهُمْ كُلٌّ مَنْ وَصَفَا  
إِذَا اسْتَمَحْنَا رَوِيًّا مِنْ سَحَائِبِهِمْ فَقَدْ شَرَبْنَا هَنِيئًا مِنْ مِشَارِبِهِمْ  
وَإِنْ أَرْتَنَا الْأَمَانِي مِنْ رَغَائِبِهِمْ بِهِمْ نَعَشْنَا وَعَشْنَا فِي مَوَاهِبِهِمْ  
وَكُلُّنَا مِنْ مَجَارِي جُودِهِمْ غَرَفَا  
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ لَهُمْ بِالزَّهْرِ مَمْرَعَةٌ وَكَمْ حَيَاضٍ بِفَيْضِ الْجُودِ مُتْرَعَةٌ  
كُنَّا بِهِمْ فِي سَنِيِّ الْجَدْبِ فِي سَعَةٍ وَنَحْنُ ، وَاللَّهُ يُؤَلِّي الْفَضْلَ فِي دِعَةٍ  
بِظِلِّ فَرَعِهِمُ الزَّاكِي وَقَدْ عَطَفَا  
حَرٌّ كَرِيمٌ وَفِيَّ بِالْعَدَاةِ مَلِيٌّ أَحْيَا مُحْيِيًّا مِنَ الْخَوَرَاءِ فِي الْكُلِّ  
مُهْذَبٍ بِثِيَابِ الْفَضْلِ مُشْتَمِلٍ (مُحَمَّدٌ) بِنِ (عَلِيٍّ) مُنْتَهَى أَمَلِي  
وَعَصَمْتِي مِنْ عَنِيدِ الدَّهْرِ إِنْ عَنَفَا  
لَا زَالَ ذَا الْفَضْلِ يَلْقَى كُلَّ ذِي شَرَفٍ لَهُ وَلِلْعَزِّ مِنْ أَهْلِيهِ مَعْتَرَفَا<sup>(١)</sup>

وقال الشيخ عبد الحسين رحمه الله يمدحه أيضاً ويعدد مناقب أعمامه وأجداده  
وجلوس الشيخ مُحَمَّدٌ بِمَكَانِهِمْ ، وَيَعْرِضُ بِحَسَادِهِ وَمَعَارِضِهِ ، وَيَدْحُ ابْنَ عَمِّهِ جَدُّنَا الْعِلْمِ  
الْأَعْلَمِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ رِضَا بِنِ الشَّيْخِ مُوسَى . وَهِيَ مِنَ الْقِصَائِدِ الْفَرِيدَةِ الَّتِي لَا نَظِيرَ لَهَا  
فِي بَابِهَا<sup>(٢)</sup> ، وَهِيَ :

(١) قال المؤلف : «لَمْ نَقْفُ عَلَى تَحْمِيْسِهِ» .  
(٢) قال المؤلف : وَلِلشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الْعَامِلِيِّ أَيْضاً تَحْمِيْسٌ غَرِيبٌ عَلَيْهَا (وَلَكِنَّهُ لَمْ يَحْضُرْنِي الْآنَ) ، وَلَكِنْ رَأَيْتُهُ عِنْدَ  
(وَلَدِهِ) قَبْلَ هَذَا الْوَقْتِ لَمَّا سَرَى إِلَى بَلَدِهِ جَبَلِ عَامِلٍ .  
وَالْحَاصِلُ أَنَّ الشَّيْخَ عَبْدِ الْحُسَيْنِ ، وَالشَّيْخَ إِبْرَاهِيمَ (رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى) كَانَا فَرَسَيْ رَهَانٍ ، وَرَضِيعَيْ لُبَّانٍ ، فِي  
هَذَا الْمِيدَانِ ، دَائِمِي الْحُضُورِ فِي دَارِ (الْمَشَايِخِ) . وَكَانَ شَعْرُهُمَا مَقْصُوراً عَلَيْهِمَا . وَكَانَ شَأْنُ الشَّيْخِ عَبْدِ الْحُسَيْنِ أَنَّ  
يَقُولُ (الْأَصْلُ) ، وَالشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ (يُحْمِسُهُ) . هَكَذَا كَانَ دَأْبُهُمَا مَدَّةَ عُمُرِهِمَا إِلَى أَنْ تُوْفِيَ الشَّيْخُ عَبْدِ الْحُسَيْنِ ، وَسَارَ  
الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى بَلَدِهِ بَعْدَ وَفَاةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ (رَحِمَهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً) . . . . .إِنْتَهَى قَوْلُ الْمُؤَلِّفِ .  
وَقَدْ أُورِدَ الْخَاقَانِيُّ تَحْمِيْسَ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ صَادِقِ الْعَامِلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م ، (شَعْرَاءُ الْغُرَى ، ج ١ ،  
ص ١١٠) ، أَوَّلُهُ :

بَنِي (عَلِيٍّ) نَرَى الْأَفْصَالَ مَجْمَلَهَا      فَبِكُمْ ، وَعَنْكُمْ بِكُمْ نُرْوِي مُفْصَلَهَا  
يَا أَبْحَرَا يَمُتُّ الْعَافُونَ مِنْهَلَهَا      إِنَّ الرِّئَاسَةَ أَنْتُمْ أَهْلُهَا وَلَهَا  
هَمَّتُمْ بِهَا مِثْلَمَا هَمَّتْ بِكُمْ وَلَهَا

أَمَّا وَلَدُ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمِ الْعَامِلِيِّ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْمُؤَلِّفُ فَهُوَ الْعَلَامَةُ الشَّيْخُ عَبْدِ الْحُسَيْنِ صَادِقِ الْعَامِلِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ  
١٣٦١ هـ / ١٩٤٢ م ، وَكَانَ مِنْ كِبَارِ الشُّعْرَاءِ .

إِنَّ الرِّئَاسَةَ أَنْتُمْ أَهْلُهَا وَلَهَا  
 وَالْعَالَمُونَ إِذَا مَا النَّاسُ قَدْ جَهِلُوا  
 بَنِي (عَلِيٍّ) وَمَا لِلْأَمْرِ غَيْرُكُمْ  
 هَذَا الْعِلْمُ لَكُمْ (كَشَفُ الْغَطَاءِ) بِهَا  
 وَذِي الْمَعَالِي إِلَيْكُمْ وَرَدَّهَا وَلَقَدْ  
 أَخْبَارُهَا صَرَّحَتْ فِيكُمْ ، وَغَيْرُكُمْ  
 لَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ عَلَى  
 إِذَا افْتَخَرْتُمْ ذِكْرْتُمْ (جَعْفَرًا) وَكَفَى  
 وَكُمْ (لِمُوسَى) يَدُ بَيْضَاءَ لَأَنَّ لَهَا  
 لَهُ عَصَا حِكْمَةِ الْبَارِي مُؤَيَّدَةٌ  
 وَمِنْ (عَلِيٍّ) مَعَالٍ لَوْ جَهْدَتْ لَهَا  
 وَمَا تَفَاضَلُ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي شَرَفٍ  
 أَمَّا جَدُّ تَهَبُ النِّعَمَاءِ أَمْلَهَا  
 مَضَوْا كِرَامًا فَلَا عَيْنَ الْعِلْمِ لَهُمْ  
 وَمُذْ قَضَى (الْحَسَنُ) الزَّاكِي تَخَيَّلَ أَنَّ  
 وَمَا دَرَوْا قَدْ أَعَدَّ اللَّهُ قَائِمَهَا  
 وَفِي ابْنِ مُوسَى (الرِّضَا) عَمَّنْ مَضَى خَلْفُ  
 أَكْرَمَ بِهِمْ فِتَّةٌ أَوْصَافُهُمْ شَرَعَ  
 حَسْبِي وَحَسَبُ الْبِرَايَا بَعْدَهُمْ خَلْفُ  
 بَقِيَّةُ السَّلَفِ الْمَاضِينَ وَالْخَلْفُ  
 (مُحَمَّدُ) بْنُ (عَلِيٍّ) خَيْرٌ مِنْ رَقَلْتُ  
 سَرَتْ إِلَى (قِيصَرِ) الْأَقْصَى مُحَامِدُهُ

هَمَّتُمْ بِهَا مِثْلَمَا هَامَتْ بِكُمْ وَلَهَا<sup>(١)</sup>  
 وَالْعَامِلُونَ إِذَا ضَلَّ أَمْرُ وَلَهَا<sup>(٢)</sup>  
 مَلَكَتُمْ مِنْ أُمُورِ النَّاسِ أُولَهَا  
 وَكُمْ فَتَحْتُمْ بِعَوْنِ اللَّهِ مُقْفَلَهَا  
 رَوَيْتُمْ عَنْ أَهَالِيكُمْ مَسْلَسَلَهَا  
 تَكَلَّفَ الْأَمْرَ لَمَّا أَنَّ تَأُولَهَا<sup>(٣)</sup>  
 سِوَاهُ أَيَا إِلَيْكُمْ كَانَ أَنْزَلَهَا  
 مَا انْفَكَّ يَفْرَجُ لِلنِّعَمَاءِ مَشْكَلَهَا  
 صَعْبٌ وَنَالَ الْأَمَانِي مَنْ تَأَمَّلَهَا  
 بِأَيُّهَا نَفْثَاتُ السَّحَرِ أَبْطَلَهَا  
 وَالْعَالَمُونَ جَمِيعًا لَنْ نَفْصَلَهَا  
 إِلَّا وَكَانَ أَبُو (الْعَبَّاسِ) أَفْضَلَهَا  
 مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرُدَّ الْمُغْنَى لِتَسْأَلَهَا  
 تَرْقَى وَلَمْ تَتْرِكِ الْعَلِيَا تَوَلَّوْلَهَا  
 مَا لِلشَّرِيعَةِ عَنْهُمْ مَنْ يَقُومُ لَهَا  
 (مُحَمَّدًا) وَالْفَتَى (الْمَهْدِيَّ) مَوْتَلَهَا  
 تَلْقَاهُ مَا بَيْنَ أَهْلِيهِ مَبْجَلَهَا  
 فِي الْفَضْلِ إِنَّ تَرَدَّ الْوَرَادَ مِنْهَلَهَا  
 أَعْبَاءُ أَهْلِيهِ طُرًّا قَدْ تَحْمَلَهَا  
 الَّذِي عَلَيْهِ الْوَرَى أَلْقَتْ مَعُولَهَا  
 لَهُ الْمَطْيَى وَشَدَّ الْوَفْدَ أَرْحَلَهَا  
 وَجَاوَزَتْ مَسْمَعِي (كَسْرَى) فَبَجَلَهَا

(١) وَلَهَا : (هو من الولد) وهو شِدَّةُ الشُّوقِ (تعليقة المؤلف) .

(٢) هو من (اللهو) . (تعليقة المؤلف) .

(٣) قال المؤلف الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء مُعَلِّقًا عَلَى هَذَا الْبَيْتِ بِقَوْلِهِ : « حَدَّثَنِي الْعِلْمُ الصَّالِحُ بِجُلِّ الْخَلْفِ الْمَهْدِيِّ : أَنَّهُ لَمَّا قُرِئَتْ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ كَانَ فِي الْمَجْلِسِ بَعْضُ الْمَعَارِضِينَ لِلشَّيْخِ مُحَمَّدٍ مِنَ (الْأَسَاطِينِ) ، فَلَمَّا وَصَلَ الْقَارِئُ إِلَى هَذَا الْبَيْتِ قَامَ غَضَبَانَا ، وَقَالَ : « أَنَا الْمُتَكَلِّفُ لَهَا » ، ثُمَّ خَرَجَ .

يا مُحَرِّزاً جُمَلَ الحَمدِ الجَزِيلِ له  
إِلَيْكَ مِنِّي وَلَا مَنُ مَحَبَّرَةٍ  
طالَتْ نِظاماً وَعَن عَلِيكَ قَدْ قَصَّرْتُ  
وَحائِزاً مِن صِفاتِ المَجدِ أَجمَلِها  
أَلَقْتُ بِجَنبِ حِماكَ الرَحبَ كُلِّها  
فَها لِتَقصِيرِها تَبدي تَظَلِّلِها

وقال الشيخ إبراهيم قفطان<sup>(١)</sup> يمدحُه ويهنيّه في بعض أعياده ، ولم أجد إلا قوله :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ العُلَى وَبَنَى عَلَي  
وَحَوَى النُّهى طِفْلاً وَأَوْطأَها مَها  
ذاكَ العَلِيِّ (مُحَمَّد) عِلْمَ الهُدَى  
شَمَسَ المَعارِفِ بِدَراها السَّاري الَّذي  
وَسَعَ المَلا فَضْلاً فَأَصْبَحَ جَاهُهُ  
وَسَعى إِلى إِدراكِ غَياياتِ العُلَى  
وَرعى الشَريعَةَ باذِلاً في حَفظِها  
وَأقامَ مِن أركانِ دِينِ اللَّهِ ما  
وَحَمى حَقيقَةَ شَريعِ آلِ مُحَمَّدٍ  
سَرُّ الأَلهِ وَكَمَ لَه في نَفسِـه  
ومَهذبَ سادَ البَريّةِ مُذْ رَقى  
فَليَـفْـخَرنَ بِوُجودِهِ دَهرٌ غَدا  
ولِـيَـهـنَّـانَ بِوُجودِهِ العَيدُ الَّذي  
ما العَيدُ لَولا أَنَّ يَشامَ هَـلالُهُ  
أَخَذتِ عَلَيَّ صِفاتِهِ وَنَعوتَهُ  
هي كَالكَواكِبِ لا يَقومُ بِحَصرِها  
يا واحِدَ الدَنيـا وَأَفْـضَلَ مَنَ غَدا  
وَأَجَلَ مَنَ حازَ العُلومَ بِأسرِها  
إِنِّي قَصَّرْتُ عَلَيَّ عُـلاكَ مَدائِحِي  
إِنَّ يَمْتَدِّحُ غَيري سِواكَ وَيَرْتَكِبُ

أَفلاكِها المَجدَ الأَعزَّ الأَمَنا  
كَهَلاً وَنالَ الدَينَ وَالدُنيـا مَعا  
غِثَ الندى غوثَ الصَّريخِ إِذا دَعا  
مَلأتُ أَشعَّتُهُ الجَهاَتِ الأَربَعا  
مِن هَـذِهِ الدَنيـا أَجَلَ وَأوسَعا  
سَعيِ الكَرامِ فَكانَ أَسبَقَ مَنَ سَعى  
جُهدَ العَليمِ فَكانَ أَحفظَ مَنَ رعى  
لَولا عِـلاهُ كادَ أَنَّ يَتَزَعزَعا  
فَعَدّا لِأَشـتاتِ المَفاخرِ مَجمَعا  
حَـجَجَ عَلَيَّ ما قَلتُهُ لَن تَدفَعا  
دَوَحَ التَقى وَحوى الفِضائِلِ أَجمَعا  
أَذا لَرائِقُ ما يَقولُ وَمَسَمَعا  
مِن أَجلِهِ فيهِ السَـرورُ تَجمَّعا  
بِجَـبِـينِهِ مَتَطَلَّعا مَتَشَعشَعا  
سَبَلَ المَـديحِ فَمَـا عَسى أَنَّ أَصنَعا  
نَظَمي وَإِنَّ كُنْتُ الخَـطِيبَ المُصَنِّعا  
بَحراً بِأَـمَواجِ الفِضائِلِ مُتَرَعّا  
فَعَدّا لِطُلابِ المَعارِفِ مَفزَعا  
وَعلى وَدادِكَ قَدْ طَوِيتُ الأَضلَعا  
نَـهَجَ الغُلُوِّ فَقَد أَصَبْتُ وَضِيعّا

(١) تُوفى سَنَـةَ ١٢٧٩هـ / ١٨٦٢م .

## الفصل الثاني: في مراثيه وما قيل في تعزية إخوانه وبنيه فيه

قال السيد الأديب ، والشاعر الحسيب ، السيد أبو الحسن العاملي رحمه الله يرثيه (قدّس سره) ، ويمدح المهدي ويعزّيه ، مع إخوانه وبنيه ، ويذكر جلوسه بحل آبائه الكرام وهي :

وذر التنعمَ فـيـه ذرّ	كُنْ من زمانك في حذرّ
يَقْضِي به البشْرُ الوطرّ	ما الدهرُ إلّا بغتة
للحادثات يدُ القدرّ	فيه تفوّق أسهماً
حُجِّجَ الأله على البشْر	ترمي بهنّ من الورى
فيه فتحظى بالظفرّ	وتشن غارات الردى
ولكم قـذـفن به الدرّ	كم أعين سهـرت به
دينُ النبيّ به اعتمـر	من بعد فقد أخى علّا
غاب منهم أم حـضـر	متكفل أمر اليتامى
نبغت سوى الدرّ الغرّ	بحرّ خـضـم منه ما
ونداه مدّ وما جرّ	والبحرُ يجرّ مدّه
بوجوده فالـيوم مرّ	إنّ مرّ بي عيش حلا
لك في اللـحـوق على الأثر	وأهان رزءك أنـنا
ولا مناص ولا مـفـرّ	إذ لا محيص من القضاء
وإمامنا (المهدي) ظهـر	ما ضرّ فقد (محمّد)
القضاء قد استقرّ	حـبـرُ أبرّ فوق كرسيّ
والمقتـفـي منه الأثر	حاوي فضائل (جعفر)
علم أبي الضمـيم برّ	ولنا العـزاء (بمحسن)
من به الدهر ابتـهـر	والماجد (الحسن) الخليقة

ولنا السلو بآله  
و(بجعفر) الفضل الذي  
حيّا الحياء ضريحه  
أو رنحت بمديحه الورقا  
أو مرّ ذكر (محمّد)  
الصيد الميامين الغرر  
بظهوره البشر ابتشر  
ما اخضرّ نبت أو زهر  
على ورق الشجر<sup>(١)</sup>  
بين البرية والبشر

وقال المرحوم الشيخ عبد الحسين ابن الشيخ نعمة الطريحي<sup>(٢)</sup> يرثيه رحمه الله ويعزي أخاه وبنيه (رحمه الله) :

أطل النوح إن شهدت الطلولا  
أصبحت بلقع الديار وكانت  
وعلى رغم أنفها استبدلت عن  
واستنابت عن النشيد ونشر الـ  
وبحكم الزمان للذلّ فيها  
ويح تلك الصروف كم جرّعتنا  
ذاك من عادة الليالي فعيش الـ  
فلذا كم رأى الترحّل عنها  
ومضى مُسرّعا فحلّ مقاما  
أي ركن للمكرّمات وحُصن  
يا بني العلم إن حقّا عليكم  
قد فقدتم ربّ الفواضل والـ  
قد فقدتم بحر النوال وغيث الـ  
قد فقدتم من كان أمنع كهفا  
وربيعا في النائبات وغيثا  
واسكب الدمع بكرة وأصيلا  
للمنوبين ملجأ ومقيلا  
قاطنيها وحش الفلا والغولا  
مدح فيها للفاقدات هديلا  
جرّ عادي الخطوب عمدا ذيولا  
غصصا للفراق أورت غليلا  
حُرّ لو طاب كان فيها وبيلا  
ذو معال سرى فجدا الرحيلا  
ومحلا عند الأله جليلا  
للمعالي يا للرجال أميلا  
إن تُطيلوا على العلوم العويلا  
فضل ومن كان للجميع كفيلا  
جُود والطود الذي فأت طولا  
ليتامي وكان ظلا ظليلا  
وحساما في المعضلات صقيلا

(١) الورقاء هي الحمامة . وعلّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «تورية حسنة» .

(٢) ولد سنة ١٢٣٥هـ / ١٨١٠م ، وتوفي سنة ١٢٩٣هـ / ١٨٧٦م .

أحرزَ الفضلَ في العلوم فأضحى  
وإليه ألقى الجميعُ قياداً  
ما رجاهُ راج وأملَ إلا  
من شجاً فقدَهُ بني العلم والحد  
والهمام الذي بعليه ساد الخلق  
حسبها عن كفيلها البرِّ (با)  
واحد الدهر عالم العصر من  
بأبي (صالح) رأينا سجايا  
وإذا سامنا الزمانُ مصاباً  
واغترفنا من (جعفر) الفضلِ علماً  
أدركتُ عندهُ المعالي منهاها  
لم يمتَ من له غدا (محسن) و(ال)  
وسقى قبره الحيا كلَّ يومٍ

عندهُ كلُّ فاضلٍ مفضّولا  
وله أذعنتُ قبيلاً قبيلاً  
نالَ منه المرجو والمأمولا  
سم وأبكى فراقه التنزيلا  
طراً شيوخها والكهولا  
لمهدي) إن جارت الليالي كفيلا  
أوضح للناس في الرشاد سبيلا  
أهله الغرّ والقرون الأولى  
فيه كشفنا المصاب الجليلا  
واغتنمنا قبل السؤال السؤلا  
حيثُ قد كان عضبها المصقولا  
حسن) الفعل في البرايا سليلا  
من سحاب الرضا أجشا هطولا

وقال الشيخ إبراهيم العاملي<sup>(١)</sup> يرثيه ، ويُعزّي ذويه ، ويمدح الشيخ مرتضى الأنصاري  
(رحمه الله ، وقدّس سرّه) :

هو البينُ لم يستبق في القوسِ منزعا  
غداة أبو المجد الأثيل (محمّد)  
نوى ضعناً والمجدُ باق مكانه  
ولي كبدٌ قد شفّها بعده النوى  
وأحشاء ملهوف معنّى أذابها  
فيا ضاعناً لا مسك السوء إنني  
ويا هاجراً حاشاه لا عن ملالة

ولم يُبق للعاني من الوجدِ مفرّعا  
ملاذ النهى والعلم بالرغم أزمعا  
له جلدي يوم الرحيل مشيّعاً  
وقلبُ براهُ الحزنُ حتى تقطّعا  
جرى البينُ فانهالت من العين أدمعا  
لفقدك لا أنفكُ مضنى مروّعا  
ومودّعنا نار الجوى يوم ودّعا

(١) نقل الخاقاني هذه القصيدة ، وذكر أنها قرئت في رثاء السيد محسن بن السيد أمين الحسيني في مجلس الفاتحة الذي أقيم في النجف ، (شعراء الغري ، ج ١ ، ص ٩٤) ، ويمكن مطابقة النصين ففيهما بعض التغيير ، علماً أن عدد الأبيات التي وردت في شعراء الغري (٢٠) بيتاً فقط .



علمنا بأنَّ العلمَ قُوضَ والتُّقى  
وأنَّ العُلَى أَقْوَتْ مَبَانِيهِ وَالْأَسَى  
إِذَا هَتَفْتُ بِي غَرَّ أَوْصَافُكَ الَّتِي  
تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدِي وَأَمْسَيْتُ مِنْ جَوَى  
أَكْفَكْفُ أَسْرَابِ الدَّمُوعِ بِرَاحَةِ  
وَلَا عَجَبٌ أَنْ بَتَّ حَلْفَ كَابَةِ  
فَأَنِّي أَرَى السَّلْوَانَ بَعْدَ (مُحَمَّدٍ)  
فِيَا وَاحِدَ الدُّنْيَا وَيَا غَوْتَ أَهْلَهَا  
سَعَيْتَ لِنَيْلِ الْمَكْرَمَاتِ وَكَسَبَهَا  
لِئِنْ غَالِبَتْكَ النَّائِبَاتُ وَأَصْبَحَتْ  
فَكَمْ قَدْ غَلَبَتْ الْحَادِثَاتُ وَكَمْ غَدَا  
وَإِنْ تُمَسَّ رَهْنًا فِي التَّرَابِ مَغِيْبًا  
فَكَمْ كُنْتَ لِلدُّنْيَا وَلِلدِّينِ بِهَجَّةً  
لَكَ الْخَيْرُ هَلْ مِنْ أَوْبَةِ تُثْلِجُ الْحِشَا  
وَلَوْلَا سَلِيلَاكَ اللَّذَانِ تَسْنُمَا  
هُمَا (الْحَسَنَانِ) (الْمُحْسِنَانِ) كَلَاهُمَا  
لَأَفْنَيْتُ أَنَاثِي نَحِيْبًا وَنَحْتُ مَا  
وَحْسَبِي هُمَا مِنْ بَعْدِ صَنُوبِكَ مَنْ هُمَا  
رَضِيْعَا لُبَانِ أَحْرَزَا كُلُّ مَفْخَرٍ  
هُمَا حَافِظَا شَرْعِ النَّبِيِّ وَحَامِيَا  
هُمَا وَرَثَا عِلْمِ النَّبِيِّ وَشَيْيِدَا  
هُمَا أَوْضَحَا سُبُلِ الْهُدَى لِلوَرَى وَفِي  
هُمَا لِلوَرَى كَهْفٌ وَلِي بَعْدَ مَنْ مَضَى  
وَبِالْخَلْفِ (الْمَهْدِيِّ) لِلنَّاسِ سَلْوَةٌ  
فَتَى قَامَ بِالْأَمْرِ الْجَلِيلِ وَقَدْ رَقَى  
(وَجَعْفَرُ) بِدْرِ الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ مِنْ غَدَا

وَرَكْنَ الْهُدَى وَالْمَكْرَمَاتِ تَضَعُضَعَا  
تَزَايِدُ وَالسَّلْوَانُ أَضْحَى مُضْيَعَا  
سَمْتُ أَنْجَمِ الْأَفْلَاكِ نَوْرًا وَمُطْلَعَا  
نَحِيلِ الْقُوَى أَطْوَى عَلَى الْجَمْرِ أَضْلَعَا  
فَتَهْمِي كَفِيَّا ضِ الْغَوَادِي تَدْفَعَا  
أَخَا حَسْرَاتِ نَاحِلِ الْجِسْمِ مَوْجَعَا  
حَرَامًا وَإِدْمَانِ الْبُكَاءِ تَطْوَعَا  
وَيَا خَيْرَ مَنْ قَدْ كَانَ لِلْخَلْقِ مَفْرَعَا  
فَكُنْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ أَسْبَقَ مَنْ سَعَى  
دِيَارُ الْمَعَالِي يَوْمَ أَزْمَعْتَ بَلْقَعَا  
بِجَدْوَاكِ رَوْضُ الْعِلْمِ وَالْفَضْلِ مَرَعَا  
وَشَمْسُ الْهُدَى وَالِدَيْنِ يَمْسِي مَوْزَعَا  
وَلِلْفَضْلِ وَالتَّقْوَى مَحَلًّا وَمَجْمَعَا  
وَتُطْفِي لَهَيْبًا بَيْنَ جَنْبِي مُودَعَا  
ذُرَاكَ وَمِنْ سَامِي عُكَاكَ تَفْرَعَا  
بِهِ وَالْمَعَالِي وَالْفَخَارِ تَلْفَعَا  
بَقِيْتُ وَلَمْ أَصْرِفْ إِلَى الْعَدْلِ مَسْمَعَا  
شَرِيكَا عَنَانَ الْفَضْلِ إِنْ جَرِيَا مَعَا  
قَدِيمًا وَقَدْ سَادَا ذَوِي الْعِلْمِ أَجْمَعَا  
حَمَى مِلَّةَ الْأَسْلَامِ مِنْ أَنْ تُضْيَعَا  
مِنْ الدِّينِ رَكْنًا كَادَ أَنْ يَتَضَعُضَعَا  
جَبِينِيهِمَا نَوْرُ الْهُدَى قَدْ تَشَعُّشَعَا  
مَحَلُّ رَجَا لَا أَبْتَغِي عَنْهُ مَنْزَعَا  
تَغَادَرِ جَمْرَ الْوَجْدِ بِالثَّلْجِ مَنْقَعَا  
مَحَلًّا غَدَا مِنْ مَرْكَزِ الشَّهْبِ أَرْفَعَا  
خِصَمًا بِأَمْوَاجِ الْمَعَارِفِ مُتْرَعَا

فيا أئُها الأمجادُ صَبْرًا على الرّدى  
فأنّ لكم بعد افتقَاد (مُحمّد)  
هو (المرتضى) بدرُ الهدى حجّةُ الورى  
إمامٌ له عقد الولاء وقد غَدَت  
وحيا الحيا رمسا بلطف سحابة

وإن كان خطباً هائل الوقع مُفزعاً  
عزاءً بمنّ قد شادّ للدين أربعاً  
منارُ الثّقى من راح للفضل منبعاً  
لعلياه أعناقُ البرية خُضّعا  
أبى مُدّة الأيام أن يتقشّعا

وقد أجاد غاية الأجاد ، وأحسن غاية الحسن وزيادة ، الشيخ صالح الشهير بالكوّاز<sup>(١)</sup> ،  
يرثيه ويُعزّي السيد مهدي القزويني (ره) :

نعمي فشجا قلبَ الشريعة إذ نعي  
وضيّع أهل العزم قوّة عزمهم  
فلم تلقَ هذا الكون إلاّ بدهشة  
لفقد حليف المكرمات (مُحمّد)  
فتىّ كان في ألفاظه ولحاظه  
أبا (مُحسن) قد كنت للدهر مهجةً  
وقد كنت عرنين الزمان الذي به  
وكنّت لعينيه الضياء فما الذي  
فما أظلم المحراب بعدك وحده  
كان ضياء الصبح قد حال لونه  
فما أنت من خصّ الأقارب رزؤه  
ألم تر هذا الكون كالفلّك قد غدا

فعادَ لديه أحلمُ الناس أجزعا  
كما أن حُسن الحزم أضحي مضيعاً  
كأنّ الفنا في الناس نادى فأسمعا  
لقد كادَ قلبُ الدين أن يتقطّعا  
حسامان كانا من شبا الموت أقطعا  
فأوحش منها البين للرزء أضلعا  
يُزانُ له وجهه فأصبح أجدعا  
أزال الضياء عنها فأبدل أدمعا  
نعم مشرقُ الدنيا ومغربها معا<sup>(٢)</sup>  
أو الليل قد أرخى على الصبح بُرقعا  
ولكنّه عمّ البرايا أجمعا  
يعومُ بموج كالجبال تدفّعا

(١) الشيخ صالح الكوّاز من كبار شعراء الحلة المُجيدين تُوفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . وقد جمع بعض شعره المؤرّخ الكبير الشيخ محمد علي البعقوبي ، ونشره في ديوان مستقل عام ١٩٦٢م .  
ويلاحظ أنّ الكثير من قصائد الرثاء في هذه الفترة تنتهي الى تعزية السيد مهدي القزويني ، وهي لشعراء حليين .  
حيث شهدت الحلة منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي إزدهاراً أدبيا لم تشهده هذه الحاضرة العلمية من قبل  
بفضل جهود السيد مهدي القزويني الثقافية ، حيث نزع إلى الحلة سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وأمضى حياته فيها ،  
ولم يرجع إلى النجف إلا عام ١٢٩٤هـ / ١٨٧٧م لتوليهِ مهام (المرجعية) الدينية حتى وفاته عام ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .

(٢) علّق المؤلف على هذا البيت قائلاً : « هذا بيت القصيد » .

بنفسي طَوْدًا ضَعُضَعَ المَوْتَ جَنِبَهُ  
فَمَا خَلْتُ أَقْمَارَ الهِدَايَةِ فِي الثَّرَى  
أَبَا (جَعْفَر) أَنْتَ المُرْجَى لِحَنَةٍ  
وَأَعْلَمُ خَلَقَ اللَّهُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ  
كَأَنَّكَ أَعْطَيْتَ الجِبَالَ وَقَارَهَا  
فَمَا أَنْتَ إِلَّا عَيْبَةٌ (لِحَمْدٍ)

وما خَلْتُ ذَاكَ الطَّوْدَ أَنْ يَتَضَعُضَعَا  
تَغِيْبُ وَقَدْ كَانَتْ لَدَى الأفقِ لُمْعَا  
إِذَا أَشْكَلْتَ أَضْحَى بِكَ الحَقُّ مُشْرَعَا<sup>(١)</sup>  
وَأَرْسَاهُمْ فِي الخَطْبِ رُكْنًا وَأَمْنَعَا  
وَأَوْصِيَتْهَا فِي الخَطْبِ أَنْ لَا تَزْعَزَعَا  
بِهَا كُلُّ آيَاتِ النُّبُوَةِ أَوْدَعَا

ولبعضهم من قصيدة طويلة في رثائه رحمه الله :

لِلَّهِ أَيُّ عَظِيمٍ خَطْبٌ قَدْ عَرَا  
هَذَا الحِمَامُ لَالَ (جَعْفَر) أَخْشَبَا  
أَوْدَى بِأَبْلَجٍ مِنْ ذَوَابَةِ (جَعْفَر)  
أَوْدَى بِحَامِي شَرَعَةِ الهَادِي إِذَا  
أَوْدَى فَأَمْسَى الدِّينُ بَعْدَ ذَهَابِهِ  
أَبْنِي (عَلِيٍّ) إِنَّ طَوْدَكُمْ هَوَى  
مَنْ لَمْ يَزَلْ مِنْ عِلْمِهِ وَنَوَالِهِ  
يَا مَنْ إِذَا وَافَى العُفَاةَ لِبَابِهِ  
لَوْ قُلْتُ فَقَتَ السَّابِقِينَ جَمِيعَهُمْ  
مَا إِنَّ يَخْصُرَ مَصَابِكِ القُرْبَى بَلَى  
عَادَتْ بِحَارِ العِلْمِ بَعْدَكَ وَالهُدَى  
فَلتَجْرِينِ العَيْنُ يَا بَحَرَ النَّدَى  
إِنَّ كَفَنُوكَ فَإِنَّ جِسْمَكَ لَمْ يَزَلْ  
أَوْ غَسَلُوكَ فَلَنْ تَزَالَ مَنْزَةَ الـ  
أَوْ حَنْطُوكَ فَلَنْ تَزَالَ مَطْيَبَا  
مَا مَاتَ مَنْ أَبْقَى لَنَا (المَهْدِيَّ) مَنْ

أَوْ أَيِّ دَاهِيَةٍ بِهَا دُهَى الْوَرَى  
وَأَجْفُ مِنْ بَحْرِ المَفَاخِرِ (جَعْفَرَا)  
رَحِبَ الفَنَاءِ وَقَادَ نِيرَانَ القُرَى  
مَا نَابَهَا أَمْرٌ حَمَى وَتَنَكَّرَا  
مَتَسَاقَطَ الأَطْرَافِ مَحْلُولِ العُرَى  
وَعِمَادُكُمْ فِي الرَّوْعِ عَادَ مُعَفَّرَا  
لِلطَّالِبِينَ يَمْدُ ثَمَّةَ أَبْحَرَا  
أَلْقَوْهُ كَالْغَيْثِ الهَطُولِ عَلَى الْوَرَى  
وَاللَّاحِقِينَ إِذْ لَكُنْتُ مُقْصَّرَا  
قَدْ عَمَّ مَنْ حَلَّ (الْغُرَى) بَلَّ الثَّرَى  
يَبَسَا وَأَذَنَ مَدُّهَا أَنْ يُجْزَرَا  
مَنْ بَعْدَ فَقْدِكَ مِنْ دِمَاهَا أَبْحَرَا  
يَخْتَالُ فِي بُرْدِ التُّقَى مَتَأَزَّرَا  
أَقْوَالِ مَحْمُودِ الفِعَالِ مُطَهَّرَا  
طِيبًا تَضُوعُ بِهِ الصَّحَارَى وَالْقُرَى  
يَهْدِي - إِلَى نَهْجِ الهُدَى - المَتَحِيرَا

(١) أبو جعفر : هو السيد مهدي القزويني . وقد تُلِيَتْ هذه القصيدة في مجلس التَّابِينَ الذي أقامه القزويني في مدينة (الحلَّة) للشيخ محمد كاشف الغطاء .

علامة العلماء مَنْ أَضْحَى التَّقَى  
ذو رتبة لو شاء أَنْ يرقى لها  
شمسُ الشريعة قطبُ دائرة الهدى  
وكذاك (جعفر) الذي فاق الورى  
حيّا ضريح (محمّد) صوبُ الحيا  
والعلمُ في إقباله مستبشرا  
فوق الثريا لم يكن متعذرا  
مَنْ قَدْ تَرَدَّى بالتُّقى وتأزرا  
بفضائل وفواضل لن تُحصرا  
ما مرَّ ذكرُ (محمّد) بين الورى

وأحسن من هذا كله ما قاله وحيد زمانه ، وأديب العراق على الإطلاق في أوانه ،  
السيد صالح القزويني البغدادي<sup>(١)</sup> (ره) :

جلل أطلَّ على (العراق) فمادا  
هوت النجومُ وكُورتُ شمسُ الهدى  
وعلى الضحى خلع الدُجى جلبابه  
اليوم قادَ مُحمّداً صرفُ الردى  
اليوم صُدَّعَ شرعُ آل (محمّد)  
اليوم غارَ على المكارم والعلى  
اليوم أدركت النوائبُ وترها  
اليوم أبرقَ بَغْتَةً غيثُ الأسى  
اليوم أورى المجد واري زنده  
اليوم قَدْ سَلَبَ الرقادُ فلم تَذُقْ  
اليوم كُفَّ المعتقدون وطالما  
اليوم غادي الجود أقلع بعدما  
اليوم ثلَّم سيفُ أربابِ النهى  
اليوم قَدْ أَرْدَى (عليّاً) والفتى  
اليوم جرَّع (جعفر) و(محمّداً)  
اليوم بدّد شملهم مِنْ بعدما  
منه (الحجاز) وزلزل الأطوادا  
وترفّع القمرُ المنيرُ سوادا  
فتجلببا من حنْدَس أبرادا  
من بعدما ألقى إليه قيادا  
والراشدين وضعّزع الأرشادا  
وعلى الهدى والدين ذرّ رمادا  
من واطر جرعت به الأنكادا  
فيما وأرعد بالشجى إرعادا  
فطوى الظلوعَ وفَتَّتْ الأكبادا  
أبدأ عيونُ المسلمين رقادا  
قطعوا له الأغوارَ والأنجادا  
بالجود راوَحَ مرتجيه وغادا  
قَسْرًا وحطم رمحها الميادا  
(حسنًا) و(موسى) القادة الأمجادا  
و(الخضر) كأس الحُتف والأنكادا  
فيهم غدا شمسُ الضلال بدادا

(١) من كبار شعراء العراق ، وعلمائه تُوفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م . ومعاصريه السيد صالح القزويني الحلبي (ابن السيد مهدي القزويني) المتوفى سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م .

فَرَقًا فَرَدُّوا الْقَهْقَرَى الْأَجْنَادَا<sup>(١)</sup>  
 بهرت وكل عماد مجد مادا  
 حسدا له إلا قذى وسهادا  
 تستبدل الأجدات والألحادا  
 من بعد ردك بالروى الورادا  
 ألف الذبول فأفجع الروادا  
 تجلى النفوس فنجتلي الأعيادا  
 من بعد أنسك تصدع الوفادا  
 فيك الأمانى الجامحات مرادا  
 زمن وكنت لناظريه سوادا  
 أرسى البلاد وطاول الأطوادا  
 شكوى العباد وقد نويت بعادا  
 في النوازل برك المعتادا  
 عطلا بأيد حلت الأجيادا  
 لجليل قدرك خاضعا منقادا  
 كنا بقربك نرغم الحسادا  
 أن لا تبقي للرشاد عمادا  
 وأنا تثن على الكرام طرادا  
 شفر المنون شوازبا وورادا  
 جرف عليه العاديات تعادى  
 أو ما أقام مقامه أفرادا  
 حاز المفاخر طارفا وتلادا  
 عنها فكان الصيرف النقادا  
 وكذا أخوه فضيلة وسدادا

كم قاد أجناد الردى من بأسهم  
 اليوم جب سنام كل فضيلة  
 اليوم أرقد أعينا لم تكتحل  
 بدر الهدى ما حلت عن أفق الهدى  
 بحر الندى ما خلت تصدر بالظما  
 روض العلى ما بال وردك يانعا  
 نجم السعود أراك غبت ولم تكن  
 ربع المعالي الغر مالك موحشا  
 نجح الأمانى قد قضيت وما قضت  
 عين العوالم كيف سامك بالقذى  
 طود النهى من دك شامخك الذي  
 غوث العباد أراك لا تصغي إلى  
 كهف الأرامل كيف أحرمت الأرامل  
 حليت جيد الدهر ثم تركته  
 كيف الحمام عدا عليك ولم يزل  
 شمت حواسدنا ببعذك بعدما  
 يا دهر قد آليت وملك عامدا  
 لك كل يوم غارة شعواء غد  
 حتى استثرت من ابن (جعفر) قاتلا  
 فتركت دين (الجعفري) على شفا  
 هب قوض الدهر المريع بفرد  
 العالم (المهدي) والعلم الذي  
 نقد المعالي صارفاً صرف الردى  
 ملك يجل عن النظر كجده

(١) قال المؤلف معلقاً على هذا المعنى بقوله : «إشارة إلى ما تقدم من ردّ عسكر الفرس عن بغداد» .

عذب المناهل (جعفر) الفضل الذي  
قمران للعلياء قد جراً على  
الغحيان من المكارم ما عفا  
صبراً شقيقه للذين تسابقا  
وتزوداً زاد السلو فأنما  
لكما الأسى بابنيه من فاكا الورى  
من روجا للعلم بعد أبيهما  
ما منهما تلقاه إلا (محسناً)  
حيًا الحيا جدًا تضمن كوكباً  
لا (جد) للآمال ساعة أرخوا

قصر الفواضل والفضائل شادا  
هام المجسرة للعلی أبرادا  
والهاديان إلى الهدى من حادا  
للمكرمات فسابقا الأمجادا  
زاد السلو عليه أجمل زادا  
سبقاً وطالا في الفخار وسادا  
سوقاً شكا بعد الرواج كسادا  
(حسنًا) وبراً بالعُفاة جوادا  
من آل (جعفر) بالهدى وقادا  
(كمحمدٍ صرف الردى ما اقتادا)

١٢٦٨

يُخَرِّجُ سبعة ويبقى التاريخ<sup>(١)</sup>.

ويليه في الحسن ما قاله الأديب المفلق، والأريب الذي هو في سماء الفخر محلّق، ذو  
الشرف الجليّ، السيد مهدي<sup>(٢)</sup> بن السيد داود الحلّي، من بني عم السيد حيدر (رحمهم  
الله جميعاً)، وهي:

أرى الأرض مع هضبتها تضطرب  
وهذي السماوات من مورها  
وساطع أنوارها شاحباً  
وطبقت الأرض ندباً تكاد  
وناح القريب بها والبعيد  
ونادت شريعة دين الهدى  
لمن ثكل الدين قال النعاة  
فيا أرض سيخي فما فيك من

فتوشك في أهلها تنقلب  
تكاد تساقط منها السحب  
فأي كواكبها قد غرب  
تدك له راسيات الهضب  
يجاب في نوحه من قرب  
أسى عن حشى واجد ملتهب  
(محمد) المصطفى المنتجب  
تجلى بها داجيات النوب

(١) واخراج العدد (٧) من التاريخ هو مجموع الحرفين (ج) و(د) في قوله (جد) حيث أشار الشاعر إلى اسقاطها  
من مادة التاريخ.

(٢) ولد سنة ١٢٢٢هـ / ١٨٠٧م. وتوفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م.

ويا عَجَباً مِنْ صُرُوفِ الردى  
وكيف الذي فضَّ ثَغَرَ المنو  
وكيف الذي غَلَبَ النائبات  
وأنتى دنت منه وهي التي  
أففى زى عاف أتته فجاد  
والأ فكيف تنالُ الذي  
فَوَا لهفتا لِخَضَمِّ العقاب  
لِتَنَعَ الأرامِلُ والمِرمِلون  
وتبكي بصيِّب أحداقها الـ  
لقد كابدت بعده فادحين  
ويا حاملي نعشه خلفه  
قفوا ساعدوها ولو مُثِّموا  
ولا تحسبوا أُنْكُمْ حاملون  
فأنَّ ملائِكَ عرش الأله  
وسارت به ونفوسُ الأنام  
إلى رتبة لم ينلها سواه  
وأمسى بملك عظيم وقام  
عليمان بالأمر قبل الوقوع  
(فمهدي) البرية هذا وذاك  
ومن خلق ذلك رقَّ النسيم  
فلو ذاق خلْقهما كاشح  
نشت أول الدهر عليهما  
لئن نُسبَا (لعلي) فكلُّ  
لسانا منابر دين الهدى

بقيّة مخرسها تستلب  
ن به نابُ حادثة قَدْ نَشَبُ  
يكونُ لَهُنَّ عليه الغلبُ  
لُعْظَم هيبتته تضطربُ  
بحويائه حيثُ أفنى النشبُ  
بهيبة غرته محتجبُ  
بصرف حوادثه قَدْ نَضَبُ  
كافلها في السنين الشهبُ  
يتامى على مَنْ لها كان أبُ  
عُظْمَ رزيتيه والسَّغْبُ  
ملائِكُ ربِّ السما تَنَحَّبُ  
فلم يُقْضَ مَنْ حقّه ما وَجَبُ  
إلى القبر نَعْشاً رفيع الحسبُ  
قَدْ رفعتّه لأعلى الرُتَبُ  
معلّقة فيه تخشى العطبُ  
من دونها عالياتُ الشهبُ  
(إمامان) فيما به قَدْ وَثَبُ  
كأنَّ عِلْمُهُ عنهما لم يَغْبُ  
(جعفر) علم يُريها العَجَبُ  
وتعصر من كفّ هذا السُّحْبُ  
لشكِّ وقالَ طِلاً أم ضَرَبُ<sup>(١)</sup>  
وشابَ ولكنها لم تَشَبُ  
أكرومة لهما تنتسبُ  
ينوبان عن مُرْهَفات القُضْبُ

(١) الطِّلا : الحُمْرة ، والضَّرَبُ : العسل .

إذا انعقدَ القولُ في مجمع  
ترى في النديّ لسانيهما  
بقاء لعلم الورى كتبهم  
وارثهما المجد والمكرمات  
ألا يا سمائيّ علوم الهدى  
بعليكما بنت رأي المصيب  
أتت بمعان دقاق تبين  
فلو تنظران لها في عيون  
لأبصرتما أنّها منكما  
قضت من حقوقكما ما ندب  
وحبل وداد كما أحكمت  
ومن دام عن ودّ من قد أحب  
وعند اللبيب خليص الوداد  
بني (جعفر) لا جرى بعد ذا  
ولا زال بيستكم أمناً  
وأعيا لسان الفصيح الذرب  
يفلان بيض الضبا بالخطب  
وعلمهما فيه تبقى الكتب  
إذا كان إرث الأنام النشب  
وبدريه في ظلمات الريب  
قد برزت من ستور الحجب  
بها ما على أختها من عتب  
أبائكم عظماء الرتب  
أحق لأخلاصها بالعتب  
ولم تقضيا بعض ما قد وجب  
وعندكما حبلها منقضب  
وحرك في بعض ذا العتب هب  
أحق به من خليص النسب  
المصاب لكم مدمع منسكب  
ولا تتخطى إليه النوب

وأظنه رحمه الله عنى بأختها المعتوب عليها قصيدته الثانية في رثائه (ره) وهي قصيرة  
ليس فيها أداء ما ينبغي من الاحترام والتعظيم . والظن أن هذا هو سبب العتب عليها ،  
وهي قوله :

كل يوم للهدى طود يهدى  
وحسام من سيوف الله في  
مالنا بالأمس كنا في حمى  
وعلينا نثرة من حفظهم  
كيف أضحووا للمنايا غرضاً  
وذا يحجبها في الترب الحد<sup>(١)</sup>  
مُرهف الموت له ينفل حد  
الدين عنا تدفع الأعداء أسد  
للضبا مثلومة الحد تُرد  
ما لهم عن مسكن الأجداث بُد

(١) دُكاء : الشمس .



ما لنا عن قُربِ وسم الضيم بُعدُ  
بسواهم أبد الدهر تُسدُّ  
لحفاظ الملة الغرّا مُعدُّ  
حكَمَ العضّة فينا وهي دردُ  
من لظى عزمته رُعبٌ ووَقْدُ  
ولما قَدْ حلّه لم يكْ عَقْدُ  
ماله في حيّز العالم حدُّ  
وهي عمّا سألوها لا تُردُّ  
وكأنّ فيه من الأجداث ردّوا  
الشغريّ قدّ وآفاه بعد النّحسِ سَعْدُ  
حادث منه الأخاشيب تهذُّ  
ماله في سائر الأمجاد ندُّ  
مكمهات من بُكاها هي رمدُ  
ظنّ أنّ في نعشه يُحملُ (أحدُ)  
من شذا مفخره ندُّ ورنْدُ  
عَجَباً هلّ يجمعُ العالمَ لحدُّ  
شُلّ فيها من يد الأسلام زندُ  
إزرَ دينِ المصطفى فيه يُشدُّ  
أرضِ والسبع السماوات يسدُّ  
فله في كشفها حلٌّ وعَقْدُ  
رُفعت فيه إلى العرش (معدُّ)  
مجدّه قبلُ ومجدُّ الناسِ بُعدُ  
فله ما مات طول الدهر حمدُ  
بلسان الدهر ذكرٌ مستجدُّ  
هو إلّا لحسام الله غمدُ

فبقينا لا بقينا بعدهم  
فيأسنا أن نرى ثلمتهم  
فتلافها هَصُورٌ منهم  
ردّ أفواه زمان بعدهما  
دوَّخ الدهر وفي أحشائه  
حوّل ما حلّ يوماً حَقْدُهُ  
ملاً العالمَ علماً باهراً  
رطب المنطق والأفواه يبسُّ  
وبه اعتاض الهدى عن قومه  
بينما الأسلام فيه باسمُ  
إذ رمته قاصمات الدهر في  
أفجعته بفتى في مجده  
فبقي من بعده في مُقل  
ما رآه أحدٌ في النعش إلّا  
وله قد شقّ قبرٌ تربّه  
دفنوا في لحده العالم يا  
يا بني الأسلام صَبْرًا في خطوب  
فالأمّاجتبي (المهديّ) أضحى  
سيّد في نفسه عن علماء الـ  
فاذا ما الشُّبهات استحكمتْ  
عدّة للخلق في الجُلّى وقد  
فلئن جاء أخيراً في الوري  
ولئن مات سميّ (المصطفى)  
يخلق الدهر ويبلى وله  
وبه فليهنأ القبرُ فما

وقال الشيخ حمّادي بن سلمان بن نوح<sup>(١)</sup> الحلبي يرثيه ويعزّي السيد مهدي القزويني رحمه الله :

بفيض الدموع أذلت المقل	أفجأك المصمأل الجلل
وأفنيّت صبرك طوع الأسى	وجهد الأسى منك عنه تجل
نعم وهو في العهد لم ينتصف	بحقك لكن بمعناه ضل
لقد كنت حليّة جيد الجلال	فما باله منك أمسى عطل
لقد عثر الدين يا من عذل	برغم الهدى عثرة لم ثقل
وبدر الشريعة حين الكمال	عليه الحاق سريعاً أطل
فيا شدّ ما لاح في أفقها	ويا شدّ ما عن سماها أفل
لمن برزت ناشرات الشعور	حسان الشرائع تُبدي الثكل
أغلن أبا (الحسن) النائبات	أم الشرك بالله في الكون حل
بلى ضمت الترب جثمانه	ومغنى الهدى منه أمسى طلل
لتبد الهداية نوحاً له	ألا كلّ شيء سواه جلل
وثلق الملوك بوجه الثرى	عمائمها وخباها تحل
فقد كان منها لسان المقال	وباعاً طويلاً إن الأمر جل
فجذ الردى فيه منها اللسان	وغال سواعدها بالشلل
أعاذلتني إنّ حسن العزاء	إذا مدمع بالدموع اتصل
تعالى أعلمك أوصافه	لنرفع رتبة لم تُنل
قفي في حضيض ذرى رتبة	رناها بطرف كليل (زحل)
ونادي هناك أبا (جعفر)	سموت على ذاك أعلى محل
ألست الذي فوق ما ندعي	حجّاك إذا خف (رضوى) ثقل
لقد قيل فيك بدا جازعاً	أينفع بعهد انقطاع الأمل

وقال يرثيه لسان بني هاشم ، وجذوة المكارم ، الذي سارت بحسن ذكره الركبان ، ولهجت برائق شعره ألسنة القاصي والدان ، الأديب الحسيب ، ذو الشرف الجلي ، السيد

(١) ولد سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م ، وتوفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .

حيدر<sup>(١)</sup> بن السيد سليمان الحلبي . وستأتي عليك (إن شاء الله) كثير من أشعاره ، وقصائده وغرره ، ويعزّي فيها سيد سادات (لوي) ، وعلم فخار (قحطان) و(قصي) ، إنسان حدقة الشريعة ، وعماد قباب عزّ الشيعة ، سيدنا أبا صالح السيد مهدي القزويني (قدّس سره) ، وهي :

<p>         تملأ الكون دهشةً وانذعاراً          قد أنانا بها الزمان ابتكاراً          وقديماً لمثلها ما أثاراً          أنجد الوجد في الصدور وغاراً          وعادت من الغليل حراراً          حر أنفاسنا - تكون بحاراً<sup>(٢)</sup>          يملأ الأرض والسما استعماراً          أدرك الدهر عندك الأوتاراً          مات من كان بين جنبيك ناراً          فقدت كعبة الهدى المستجاراً          يتوارى في التراب حين توارى          وهبت ريح الصبا إعصاراً          تغنمي أينما قصدت المغاراً          أنشبت في هزبرها الأظفاراً<sup>(٣)</sup>          رد أيدي الأيام عنها قصاراً          مصعدات لا تعرف الانحداراً          والندی منه لم يفت دياراً          فغدوا بعد فقده أحراراً<sup>(٤)</sup>          بانتقاص الدين الحنيف سراراً       </p>	<p>         طرقت فالأنا من سكارى          بكر خطب لا يُنشد الصبر فيها          في حديث الأحقاب لم يأت فيها          قد هفت عندها الحلووم ومنها          بردت سائر القلوب ردى منها          ولها كادت المدامع - لولا          نكبة تملأ الوجود مُصاباً          يا نفوس اللاجئين طيري شعاعاً          وأبردي يا حشاشة الشرك أمناً          فبمن يغتدي الهدى مستجيراً          ولها أصبح الحطيم حطيماً          ودجا الأفق في دجى غيب الحزن          سوّمي يا خطوب خيلك فينا          وارثي في حمى الورى فالمنايا          من حماها عن أن تُراع وقسراً          همم حيث لا يرى البدر سرّاً          كيف تخلوله من الحزن داراً          ملك الناس بالسّماح عبداً          أبغاة الأسلام لا تتناجوا       </p>
--	--

(١) من أعظم شعراء العراق في عصره ولد سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م .  
 (٢) حذف المؤلف ثلاثة أبيات من هذه القصيدة ، وهي مثبتة في ديوان السيد حيدر الحلبي ، ج٢ ، ص ١٠٨ .  
 (٣) الهزبر : الليث .  
 (٤) علق المؤلف على هذا البيت بقوله : « هذا البيت أمّا حسن جداً إنّ تمت تورية (أحرار) ، وإلا فلا معنى له » .

فالأمام (المهدي) <sup>(١)</sup> قَدْ قَامَ فِينَا  
 مَا بَنَى اللَّهُ مِنْ سَمَاءِ عُلُومٍ  
 لَازِمَ الْحَقِّ فِي هُدَاهُ فَأُضْحِيَّ  
 مِنْهُ مِلءُ الْأَبْرَامِ عَدْلٌ وَتَوْحِيدٌ  
 فَتَرَى النَّاسَ هَيْبَةً مِنْهُ خُرْسًا  
 يَا أَجَلَ الْوَرَى عِلَاءٌ وَقَدْرًا  
 عَقَدَ الْعِيَّ مِنْطَقِي أَنْ أُعْزِيكَ  
 وَقَبِيحَ مَنِّي إِذَا قُلْتُ صَبْرًا  
 عَلَّمَا يُرْشِدُ الْوَرَى وَمَنَارَا  
 فَهُوَ بَدْرٌ فِي أَفْقِهَا قَدْ أَنَارَا  
 مَعَهُ الْحَقُّ حَيْثُمَا دَارَ دَارَا  
 وَفَخَرُّ مِنْ (هَاشِمٍ) لَا يُجَارَى  
 يَتَنَاجُونَ بِالْحَدِيثِ سِرَارَا  
 وَأَعَزَّ الْأَنَامَ نَفْسًا وَجَارَا  
 فَمِنْكَ الْعَزَا غَدَا مُسْتَعَارَا  
 لِلَّذِي عَلَّمَ الْوَرَى الْأَصْطَبَارَا

وهذه كما ترى ، وإن كانت جيدة ، إلا أنها ليست من منظوماته الفريدة ، وقصائده  
 المعدودة ، كما ستعرف هذا بالنسبة إلى ما سيرد عليك من أشعاره . وبمقتضى القاعدة أن  
 (السيد) <sup>(٢)</sup> كان يومئذ صغير السن ، فتكون إذن من محاسن الشعر .

ولنكف عنان القلم عن سرد مراثيه فإنه يستلزم عدم (التناهي) .

واعلم أن الشيخ مُحَمَّدٌ هذا ، وأخوه العلم المهدي (الآتي ذكره قريباً إن شاء الله) بما لا  
 يمكن حصر ما قيل فيهم خصوصاً في المراثي لعظم فقدهما على الناس ، ووقوع الهرج  
 والمرج والالتباس ، حيث كان كل واحد منهما بعد الآخر رئيس الإسلام ، وكفيل جميع  
 الناس خصوصاً الأراذل والأيتام . ولهذا بقيت العرب تلطم بعد وفاة كل واحد منهما  
 حولاً كاملاً في أغلب الليالي .

وسياتي في الشيخ مهدي ما هو أعظم من ذلك . وقد ذكرنا لك في مراثيه ما يكفيك  
 في عظمته .

فلنختم المقال ، بما يدلُّك على غاية من الشرف تقف دونها الأوهام ، وهي قصيدة  
 الأديب الأوحده ، وعلم الكمال المفرد ، نادرة زمانه ، وفذلكة أوانه ، عُمرِي النسبة ، علويّ  
 الوداد والمحبة ، المؤصلي العراقي ، الشاعر المُفْلِقُ الأديب عبد الباقي <sup>(٣)</sup> ، كان من أعظم أهل

(١) هو السيد مهدي القزويني .

(٢) كان عمر السيد حيدر الحلبي (٢٢) عاماً عندما نظم هذه القصيدة ؛ حيث أن ولادته كانت سنة ١٢٤٦هـ / ١٨٣٠م ، ووفاته الشيخ محمد كاشف الغطاء سنة ١٢٦٨هـ / ١٨٥٢م .

(٣) عبد الباقي العمري الفاروقي ولد سنة ١٢٠٤هـ / ١٧٨٩م في الموصل ، وتوفي سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م . وقد شغل في شبابه منصب (نائب) وألي الموصل ، ثم (نائب) ولاية بغداد ، وكانت له صلات واسعة مع أدباء عصره ، وعلمائه في عهد الوالي داود باشا ، ثم في عهد الوالي علي باشا اللّاز .

السنة والجماعة ، وأولي الشرف بينهم والزماعة . هاجر من (الموصل) إلى بغداد ، واتصل بوزرائها ، وعظم في أعين عظمائها ، فرثى ومدح ، وأخذ الجوائز والمنح ، إلى أن طار ذكره في الآفاق ، وملاً صيته العراق ، وكانت الولاة والأمراء تستصحبه في أسفارها ، وتحبّ منادمته في ليلها ونهارها . وله كتاب «الباقيات الصالحات» ، كله في مديح أهل البيت (ع) . وله ديوان شعر كبير ، وشعره متداول معروف فلا حاجة إلى ذكره .

وكانت له مودة أكيدة ، وصحبة شديدة مع هذه (الطائفة) لما عرف من جلالة قدرهم ، في العراق ، وانتشار ذكرهم ، في سائر الآفاق . وكان قد جاء زائراً مراراً عديدة إلى النجف ، منها : عند مجيء علي پاشا الذي جاء لأهلاک طائفتي الزقري والشمر ، ونزل في دار الشيخ الكبير ، ضيفاً عند الشيخ علي بن الشيخ جعفر (ره) .

ومنها : مع نجيب پاشا (المتقدم ذكره آنفاً) الذي نزل ضيفاً عند الشيخ حسن بن الشيخ الكبير ، هو مع جميع جنده وعساكره (على ما سبق) .

ومنها : مع نوري بيك الذي جاء في زمان الشيخ مُحَمَّد هذا (رحمه الله) ، إلى غير ذلك . وكان صاحب نوادر ونكات ، لا تحتملها هذه الوريقات ، ولم تزل مودته تتأكد ، وصحبته تشتد ، ويراسل كل من (يتخلف) من هذه (الطائفة) رئيساً وإماماً .

وله فيهم مدائح ومراث ، منها هذه القصيدة التي أودعها فذلکة بديعة ، ونكتة فيما أظن مبتكرة ، حيث أنه ضمّن (أعجاز) قصيدة امرئ القيس ، وجعل لها (صدوراً) منه ، وقلبها في رثائه وتعزية أخيه الشيخ مهدي . وقد بعثها إليه من بغداد ، وهي قوله :

أ(مهدي) الوری صبراً علی فَقَدْ فَرَّقْدِ	تنقّل من بُرجٍ لأشرفِ منزلِ
كأنّي إذا جرّعت صابَ مُصَابِه	لدى سمراتٍ الحيّ ناقفِ حنظلِ
وسيلُ جفوني من دموعي قَدْ جرى	على النّحر حتّى بلّ دمعِي محملي
ومنه أقلّ النعش ربوة سـوّد	فيا عَجَباً من كُورها المتحمّلِ
رأت مقلتي دمعِي تعثّر بالأسى	فقالَتْ لك الويلات أنك مرجلي
فيا حسراتي من فؤادي تقرّبي	ولا تبعديني من جنّك المعلّلِ
ويا كبدي دُوبي عليه صباةٌ	وإن كنت قَدْ أزمعت صرماً فأجملي
وقد حرّمت من بعده النوم مُقلتي	عليّ وآلت حلفه لم تحلّلِ

على أثَرنا أذِبال مرط مُرحَل<sup>(١)</sup>  
 فسَلّي ثيابي من ثيابك تنسلي  
 وأنتك مهما تأمري القلب يفعل  
 بسهميك في أعشار قلب مفتل  
 تمتعتُ من لهو بها غير معجل  
 عليّ حراساً أو يسرون مقتلي  
 تعرّض أثناء الوشاح المُفصل  
 لدى الستر إلا لبسة المتفضل  
 وما أن رأى عنك الغواية تنجلي  
 بنا بطن خبت ذي حفاف عقنقل<sup>(٢)</sup>  
 عليّ هضم الكشح رياء المخلخل  
 ترائبها مصقولة كالسجنجل<sup>(٣)</sup>  
 غذاها نيمراً الماء غير محلل  
 بناظرة من وحش وجرة مُطفل  
 إذا هي نصتته ولا بمعطل  
 أثيث كقنو النخلة المتعشكل  
 تضلّ العقاص في مثنى ومرسل  
 وساق كأنبوب السقي المذل  
 نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل  
 أساريع ظبي في مساويك أسحل<sup>(٤)</sup>  
 منارة ممسي راهب متبطل  
 إذا ما اسبكرت بين درع ومحول  
 وليس فؤادي عن هواك بمنسلي

وأجرت فجرت يوم تشييع نعشه  
 وإن كنت يا نفسي سئمت رفاقتي  
 أفاجاك من قلبي سلو أحبتي  
 وعينيك يا أم الدواهي لقد رمت  
 فلله أيام مضت لي بقربه  
 وما كنت أخشى يوم كنت جواره  
 تعرّض من دمعي على الخد عارض  
 عليه المعالي طاب خلغ عذارها  
 فيا دهر فانتك الهداية بعده  
 فلله نعش من جنازته انتحى  
 يقول من العليا ستبدي نواحها  
 وكم من صدور غبرتها مصيبتني  
 وأضحى قلوباً كان من سحب كفه  
 وأمّ العلى راحت تلاحظ نعشه  
 وجيد إليه يلتوي غير منثن  
 وقد نكثت من شغرها أي مندف  
 إذا نثرته في العزاء يد الأسى  
 وكم (جعفر) من مدمع لابنه جرى  
 ومن بعده أضحت مدارس فضله  
 ومن أثر التخديش يحكي بنانها  
 حكته بعده في وقدها كل مهجة  
 تهيج صباباتي عليه لواعجي  
 فيا بهجة الدنيا سلا عنك من سلا

(١) المرط هو الكساء .

(٢) العقنقل : الرمل المتلبد ، والحفاف : الرمل المعوج .

(٣) السجنجل : المرأة ، (وهي كلمة رومية معربة) .

(٤) الأساريع : نوع من الديدان يكثر في (البقول) ، والمساويك : جمع المسواك ، والأسحل : نوع من الأشجار .

وكم عاذل لي في العويل زجرته  
وليل هموم قد أناخ جرانه  
وأعرق من قطر العراق عظامه  
ومن كان ذا يأس من الصبح لم يقل  
ومن عجب بحر غدا متدياً  
فيا ليتني كنت المشيع نعشه  
فمن بعده وادي (الغري) لقد غدا  
وغارت علينا النائبات لفقده  
من (النجف) الأعلى أتى لي نعيه  
وزلت عقول عن مراكز دركها  
وكل فؤاد بات يغلي من الجوى  
وكم من عواد عادات بضحها  
طويل عنائي في يد الحزن مثله  
مضى مشبع الضيفان إن نزلوا به  
أقام بقلبي شخصه بعدما نأى  
إذا انفلت لي مهجة عند ذكره  
وقد سح من عين العوارف وابل  
ومد الأسى كفاً إلى وعل العلى

وقال السيد في (يتيمته) :

ونحمدك يا من تفضل علينا وعلى جيلنا بذى القدر العليّ ، (محمّد) بن (علي) ، وهو  
مبدأ إخوته ، وخاتمة عمومته ، وصدر الطبقة من إخوته ، والمرتفعة بمصاعد النسب إلى  
المنصب العليّ ، المتولّي منصب القضاء والفتوى بعد عمومته ، والمجلى غيب المشكلات ،  
بأقمار فكرته ، وأنوار طلعت ، والغائص في بحار العلم والكاشف عن حقيقته ، المنيع  
كنفه ، ومن أنجبت به سلفه ، نبعة دوحة جود ومجد ، وقطب دائرة سعد ، صارم بأس به  
ظهور الأعادي تنقص ، وعروة علم لا تنقص ، وسان حزم جرحه لا يلتئم ، يلوح ببيان

(١) الكنهيل : نوع من الأشجار ، يكثر في البادية .

الغوامض من بنانه ، وتبدو ثمار الفضل من دَوْح بيانه ، مولى قد انغرس في قلبه شجر الهداية ، فزهت بها أغصان الدراية ، وسقتها ينابيع الحكم المتفجرة من جميع جوانبه بما يبهّر العشر العقول ، ولقحتها أيدي غرائبه في الفقه بما حير الأساطين الفحول ، بحر تزبد بالفضل أمواجه ، ولا تُدرَك فجاجه ، ولا يضلّ منهاجه ، فلق منير ، وفيلق نحير ، وغدير يمدّ بحار العلم بحر علمه الغزير ، توازن به الجمال والجلال ، وأقبلت عليه الدنيا كمال الأقبال .

وليس هو من حزينا وسرينا المعاصرين لنا من أول العمر فتوقّ لأيراد بعض صفاته غير أنا نشأنا عليه وهو يدرّس بحزب من المحصلين ، في غير مدرسة آبائه وأجداده ، لوجود عمه (الحسن) بن (جعفر) . ولما إفتقد صارت الناس إليه ، وصار موعولهم في الأحكام الشرعية عليه ، وجلس في مجلس القضاء ، ودرّس في مدرسة آبائه جمعا من الفضلاء والفقهاء ، واستجازه كثير من ذوي الوصول ، في الفقه والأصول .

ولقد قرأت عليه برهة من الزمان ، حتى ألّفت في القراءة عليه (التجارات) إلى آخرها ولم أكن إذ ذاك من أكابر العلماء . نعم غاية ما يصل إليه الذهن القاصر ، من (تقريرات) هذا الأستاذ الماهر ، أودعه في بطون الطروس ، بنمط تبتهج به النفوس ، وألّفت بها كتاب «الربا» ، الذي تنفخ عباراته بأرج العبير نفخ نسائم الصبا . ولقد كان يلتقط حبّ الفتوى من معادنه بفكرته ، ويودّعها في (رسالته) ، وهي الرسالة المألوفة بين الناس .

وكثيراً ما قيل فيه من المدائح بالشعر الرائق بما لا يحضرني الآن . وقال بعض الأفاضل بحضرته مخاطباً أمير المؤمنين عليّ (ع) :

فأما (الولاية) في النشأتين وإما (الحكومة) فيها (فلك)

فقال هو (ره) :

وقد كنت نورا بعرش الأله إلى الأرض سبحانه من أنزلك

وقد تأتي له ما لم يتأت لأحد من نفع الفقراء والمساكين ، والأصلاح بين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وفرط السخاء والكرم ، على العرب والعجم ، حتى أدّى به إلى رهانة كتبه ، وبيع جملة من أملاكه ، لترويج المشتغلين ، وإعانة الفقراء من المحصلين ، ورفع ما أُلِمَّ ، وكشفه ما أُمِّم ، بما حازه من علو الرفعة ، والحماية والمنفعة عند الحكام والأكابر ، والملوك والعساكر ، ومن فرط جدّه وجهده بأصلاح الدين ، وتشديد أركان شريعة سيد المرسلين ، حفظ ما حوته (روضة) قائد الغر المحجلين ، مذ ولاه عليها (كليتداراً) أرشد



الوزراء والحكام الوزير المحترم ، الياشا نجيب المعظم ، فَصَّبَ من قبله بكمال سداده السيد اللوذعي ، السيد رضا الرفيعي .

إلى غير ذلك مما خصَّه الله تعالى من الرتب الشامخة ، والنعوت التي هي كالكواكب باذخة ، والمساعي والرتب التي لم تنلها عجم ولا عرب ، ولا عجب ، فهو شيخني وأستاذي ، بَلْ وشيخ الطائفة (الجعفرية) ، ورئيس الفرقة الأثني عشرية ، تحضر مجلس درسه في كُلِّ صباح (خمسمائة) وأزيد ما بهم غير عالم ماهر .

وكان صدوق للهجة ، حسن التخاصم في الحجة ، مفلج في الحجّة ، تُنمى إليه القضايا الغرائب ، وما المُحدَثُ بها عنه كاذب ، فلا تجحد أيها الجاحد قدره ، وإن اختصرتُ ذكره ، حيث لا يسعني استقصاء نعوته وصفاته ، وما حواه من الشرف بذاته . ولو أردتُ ذلك لاحتجتُ كتاباً وافياً ، ومصنفاً شافياً ، لا يتم مدة دهور وأعوام ، وهو ينافي قصد الأتمام بيسير من الأيام .

ومن ثم طالما بتّ أقاسي في الليل الهموم ، وأراعي مسرى النجوم ، لا أرى للنوم لذة ، بَلْ هو السهاد حذو النعل بالنعل والقذّة بالقذّة ، أتقلب تقلّب السليم الحيران ، وأتملّمل تملّمل الولهان ، أجيل أبكار الأفكار ، في الأصال والأبكار ، مُجدداً في تحصيل عبارات تجدي كيما أستعين بها على رسم قضايا زاهيات ، وعلوم باهرات ، فأصوغها فقرات ، يفتقر إلى ألفاظها الفقيه الماهر ، وإلى معانيها كُلّ جامع وصف باهر ، فأبدي البعض من محامد ذاته ، مستوعباً ما خفي وبان من صفاته ، فغادرني أيدي العجز والهوان مستقلاً بنفسي ، عن أبناء جنسي ، مرتجياً عليّ لا أُميّز يومي من أمسي . فلم أزل أشقّ أنواع البديع ، بسفن أنواع التوشيع والتلميع ، ببيان علوّ قدره ، والتلذذ بذكره ، وأنه البحر الخضمّ ، ومُحمّد الأم :

إلى أن قال بعدما أطنب بما لا طائل تحته وأطال : ولما كان بيان صفاته على ما عرفت ، ينافي الغرض الذي أردت ، رأيت أن الصفح أجدر ، والأهمال لا بالكلية هو الأيسر ، على أن شهرته في الأقطار ، ومعلوميته بالفضل في سائر الأمصار ، كفتنا تبيان ما وقفنا عليه من فضائله وفواضله ، مضافاً إلى أن صدّتي عنه الصّواد ، وحالت الموانع والرواد ، التي من جملتها أنني غدت في الناس من تشتت شمله ، وألغى قوله وفعله ، وشاع جهله ، ولست من يزري بالعقول العشر عقله ، وحيد المنشور والمنظوم ، ولا غرض لنا بذكره .

ثم ذكر أولاده وهم : المحسن<sup>(١)</sup> ، والحسن<sup>(٢)</sup> ، وعبد الحسين<sup>(٣)</sup> . وإن أوصلنا التوفيق إلى محل ذكرهم ذكرناهم إن شاء الله .

### من وقائع فرقتي الزقرت والشمريت

والحاصل : أن الشيخ مُحَمَّد (ره) كان أعظم ما فيه علو همته ، فأثَّ بعد وفاة عمه المرحوم الشيخ حسن ، عارض الأساطين الذين كانوا يترشحون لمعارضة آبائه وأعمامه فعارضهم وساوهم ، إن لم يكن فاتهم وتعذَّاهم ، على كثرة ما كان مبتلى به وممتحناً فيه من أمر فرقتي (الزقرت) و(الشمريت) ، حتى أثَّ لشدة ما وقع فيه منهم من البلاء والحن عزم مراراً على الهجرة من النجف والأقامة في نواحي إيران إلى أن تسكن حركة غائلتهم ، وتحمد نيران فتنهم . حتى أثَّ في بعض وقائعهم سار بجملته من أهله ، ولما وصل إلى بغداد عرفت ذلك منه ولاتها وأمرأوها فأصروا عليه بعدم المسير وخشي منه المنع إن امتنع من إجابتهم فأجابهم ، ورجعوا معه بعدة وافرة من العسكر . فأنزل الشيخ مُحَمَّد الزقرت والشمريت من (صناكرهم)<sup>(٤)</sup> ، وأخذ العهد من رؤسائهم على عدم العود إلى تقالبتهم وتناكرهم ، وأحلفهم على هذا بالقرآن الشريف عند رأس الأمير (ع) بحضور الوزراء والأمرء . حتى إذا سارت العساكر والجند وفُتحت الحوانيت ، وأمنت السارية والماشية واطمأنت الناس ، ثارت المدافع بغتة وإذا بهم عادوا لما نهوا عنه ، ولم يفدهم ذلك شيئاً . ولم يزالوا على ذلك ومثله إلى أن صاروا السبب في تعجيل موت الشيخ مُحَمَّد ، وذلك حرقة أصابته ، وفادحة أزعجته ، فخرجت من أنفه جراحة وطال مكثها وعلاجها وأذاها ، وبعثوا على أطباء العراق فعالجوها بأنواع العلاجات ، فلم يفد شيئاً حتى مات ، رضوان الله عليه ، وقرب محله إليه .

### هجوم العسكر على دار الشيخ محمد

وسبب تلك الحرقه طويل حاصلها : أن دار الشيخ الكبير (ره) لم تزل حرماً يأمن من دخله ، ولو كانت الثقلان خصماً له ، وكان بلاء (الزقرت) و(الشمريت) بلاء عظيماً ، وداؤهما داء جسيماً ، والنجف من ذلك في اضطراب وتشويش لا ينفك سائر الأيام ،

(١) تُوفي الشيخ محسن سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م .

(٢) تُوفي الشيخ حسن سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م .

(٣) تُوفي الشيخ عبد الحسين سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م .

(٤) هي أماكن القتال المحصنة . وأصل الكلمة مأخوذ من كلمة (متنكر) الفارسية .

ومدى الأعوام . وكانت الدولة تجهز كل حين جيشاً جراراً لقطع مادّتهم فيأتي الجيش ويقبض على بعض رؤسائهم ويقتل الآخر ثم يُرتحل بالأسرى إلى (حبس) بغداد فتستقرّ البلد أياماً يسيرة . ثم يعود الأمر على أشدّ مما كان أولاً إمّا بأن يقوم بأمرهم غير السابقين أو ينفلتوا من السجن . فاستمر الأمر على هذا البلاء مدة من الزمان حتى أن أغلب الناس كانت تحاصر في دورها أسبوعاً أو شهراً كاملاً بلا ماء ولا طعام حتى تموت أطفالهم من الجوع والعطش ولا يتمكنون من التماس شيء لهم خوفاً من المكاحل والبنادق من الرصاص الآخذة بجميع الأزقة والطرق ، إلى أن يضيق الأمر بالطائفتين ، ويكثر القتل الذريع في البين ، ويهلك أغلب الناس من المحاصرة ، فعندها يخرج ولي المسند من بيت الشيخ الكبير كالشيخ حسن في أيامه أو الشيخ مُحَمَّد عند انتهاء الأمر إليه ، أو غيرهما منها فيأتي إلى (صناكرهم) ، وهي إسم للأماكن المرتفعة الحصينة المقابلة لأعدائهم كالنارتين الشريفتين والمسجد الهندي وبعض سطوح الصحن الشريف إلى غير ذلك من الدور الجامعة لتلك الصفات ، فيقف وينادي كل واحد واحد من رؤسائهم بأسمه ، فيلقون أسلحتهم ويسرعون إليه ويتهافتون على تقبيل يديه ويعرضون أعذارهم عليه ، ويقولون : إنّنا لو لم نقف ونقاتل لهجموا علينا في دورنا وقتلونا مع أطفالنا ، ونحن إنّما ندافع عن حرمانا وأنفسنا ، وهو يؤبّخهم ويعذلهم ويحذّرهم سطوته بهم وانتقامه منهم حتى تقع (الهدنة) بينهم ، وتضع الحرب أوزارها عنهم ، فتستقر الناس وتخرج في الطرقات والأسواق وتتطلب معاشها وتسعى في مكاسبها .

وبينما هم على ذلك إذ سمعوا أصوات (المكاحل) و(التفك) فوقوا في الهرج والمرج وغلّقوا الحوانيت وعلّموا أن القوم عادوا لما نُهوا عنه ، فبقي على هذا أياماً حتى أن الناس لا تأمن على أعراضها وأموالها منهم ، إلى أن يصل الخبر إلى وزير بغداد ، فأما أن يأتي بنفسه مع طوابير العسكر في عدّة من (الأطواب) والسلاح . فإذا قربوا من النجف وسمعت (الفرقتان) بهم فمنهم من ينهزم ، ومنهم من يخفي نفسه في الآبار و(السراديب) ، ومنهم من يلجأ إلى دار المشايخ الكبيرة لأن سائر الناس كانت تفزع إليها خوفاً من أن يأخذهم العسكر بذنب المفسدين فيصبحوا هالكين . فإذا دخلوا تلك الدار أمنوا حتى أنهم كانوا يلبسون المقانع والخمار ويتزيّون بزّي النساء ويدخلون في حرم المشايخ لئلا يتعرض لهم أحد .

فإذا جاء الوزير أو نائبه دخل البلد وجعل يمشي في الأزقة في هيئة المحاربين والطبول والدفوف تُضرب أمامهم ، و(المدافع) تندفع بينهم إلى أن يدخلوا (القلعة) ، ثم يذهب

العسكر في طلب رؤساء المفسدين ، فأما القتل أو النفي ، ولكن لا يقبضون إلا على الواحد من العشرة ، ويجبرهم حاكم البلد أو غيرهم من أعداء (المشايع) أن رؤساء (الزقوت) و(الشمرت) في الدار (الفلانية) وقد أواهم شيخ (فلان) ، و(فلان) فيبعثون إليه يطلبونهم منه فينكر ذلك ويدفعه إلى أن تحكّم في أذهان الولاة والوزراء وسائر أمراء العراق أن فساد هاتين الفرقتين وعدم إمكان إهلاكهم من آل الشيخ الأكبر ، فاحتملوا الأذى منهم والحقد عليهم فجعلوهم هم المطالبين بذنوب هؤلاء المفسدين .

والحاصل أن مشايخنا السالفين (ره) بعد الشيخ الأكبر مازالوا مبتلين بهذا البلاء الذي تهدّد وقائعه السماء . لكن الشيخ موسى نجبا من مزعجاته وكدوراته برئاسته وعظمته لأنّ العراق كان بين قولي ، والحكومة والرعية جميعاً طوع يديه . ونجا الشيخ عليّ منها بتقدسه وانعزاله عن الناس بتدريسه وعلمه ، وإن أصابه شيء يسير منها آخر الأمر في أيام علي باشا ، وفي القصة طول لا يسعه المقام . وأما الشيخ مُحَمَّد (ره) فنجبا منها بجلوسه في الحلة .

وأما الشيخ حسن (ره) فلم يسمع في أيامه لا صوت (مكحلة) واحدة ولا شهر شيء من السلاح أبداً ، وذلك بواسطة الوزير الحازم نجيب باشا . فأنّه بعد أن فتح (كربلاء) وقتل من قتل منها (على ما سبق) تأدّب كلّ شقيّ في العراق حتى كأنّ الموت على رأسه . ثم توالى المزعجات والبليّات بسببهم من الحكومة ، ومنهم على الشيخ مُحَمَّد ، وجدنا الشيخ مُحَمَّد رضا<sup>(١)</sup> ، والشيخ مهدي ، وهو أقلهم فيها عناء ، وأيسرهم بها بلاء .

ثم لم يزل الشيخ مُحَمَّد يدفع بلاء العسكر عن أهل النجف مصلحين ومفسدين حتى كانت سنة ١٢٤٨ ، جاء سليم باشا مع خمسة آلاف نفر من العسكر مع عدّة كثيرة من الأسلحة والأطواب فدخل النجف والطبول والمدافع تُضرب أمامه ، وكان معه نقيب الأشراف السيد علي نقيب بغداد<sup>(٢)</sup> ، فمروا على دار الشيخ الكبيرة ، فخرج الشيخ مُحَمَّد ووقف بباب مستقبلاً لهم . ثم أتوا (القلعة) ونزلوا بها . ونزل السيد علي النقيب عند الشيخ مُحَمَّد ضيفاً هو وجماعة من الضباط . ثم تراكمت الناس وتدافعت الرجال على دار الشيخ مُحَمَّد ، واستجاروا بها واختفوا في الحجرات والسراديب حتى اجتمع في الدار ما يزيد على الألف رجل وامرأة .

(١) الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى بن الشيخ جعفر كاشف الغطاء ولد سنة ١٢٣٨ هـ / ١٨٢٣ م ، وتوفي سنة ١٢٩٧ هـ / ١٨٨٠ م .

(٢) السيد علي النقيب توفي سنة ١٢٩٨ هـ / ١٨٨٠ م .

فلما صار العصر جاء سليم باشا في جميع هيئته إلى الشيخ مُحَمَّد ، فجلسوا يتحدثان في تدبير الأمر وعلاج هذا الفساد ، فقال سليم باشا : يا شيخ مُحَمَّد أفندي ليس الفساد إلا منك ، فأنتك تؤمن المفسدين وتؤويهم إليك .

فقال الشيخ مُحَمَّد له : يا وزير ليس هو إلا منكم .

فقال له النقيب : يا شيخ مُحَمَّد أسأت جواباً .

فقال له الشيخ : أسأت فهماً .

وطال التشاجر بينهما إلى أن خرج الباشا على أن لا تتعرض دار الشيخ الكبيرة ، وأن ليس فيها إلا الفقراء والمساكين .

فلما صار اليوم الثاني كان مع الباشا بعض خواصه وأصحابه ، وهو بكري أفندي ، فقال للباشا : إن الفساد كلهم في دار الشيخ مُحَمَّد فابعثني إلى داره حتى أخرجهم منها .

فبعثه مع عدة من العسكر فهجموا على حرم دار الشيخ الكبيرة وفيها عيالات (الشايف) أجمع ، وفروا إلى الدار الخارجة ولاذوا برجالهم ، وأخذ العسكر جملة من الناس تنيف عدتهم على المائة ، وجأؤوا بهم إلى القلعة ونفوهم إلى بغداد ، والبصرة ، وغيرها من الأماكن .

فلما رأى الباشا ذلك غضب وقال للعسكر : إمضوا وفتشوا كل مكان من الدار ولا تبقوا فيها أحداً فقد ثبت أنها مجمع المفسدين ، واثبوني بالشيخ مُحَمَّد .

فجاء العسكر مرة ثانية فوقعت الصيحة في الدار ، وكان النقيب نائماً في سرداب الدار الخارجة فانتبه وأخبروه بالقصة فخرج ومنع العسكر من الهجوم ثانياً . ثم ركب (بغلته) ومضى إلى الوزير وأزعجه في الكلام وأن هذا فعل شنيع لم يقع قبل هذا على هذه الطائفة (المعظمة) فكف عن ذلك .

ثم أصبح اليوم وإذا بجماعة من شرفاء النجف كالسيد علي<sup>(١)</sup> ، والسيد مُحَمَّد تقي<sup>(٢)</sup> الطبباطيين وجماعة من أقرانهم قد أخذوا مكبلين ، وحُبسوا في (القلعة) .

(١) السيد علي بن السيد رضا بن السيد مهدي بحر العلوم المولود سنة ١٢٢٤هـ / ١٨٠٩م ، وتوفي سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م .

(٢) السيد محمد تقي بن السيد رضا بن السيد مهدي بحر العلوم ولد سنة ١٢١٩هـ / ١٨٠٤م ، وتوفي سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م .

وكان مجيءُ الپاشا والعسكر أوائل ذي القعدة الحرام ، وبقي قريباً من آخره . وأما الشيخ مُحَمَّدُ فَأَنَّهُ لم يزل من غصّة هجوم العسكر على داره وروعة ذلك في تفكّر وتحيّر وانزعاج وتكدّر لأن مثل هذا لم يكن يقع على هذه (الدار) المحميّة الجوار . إلى أن خرجت الجراحة في فمه وأنفه وبقي إلى أواخر ذي الحجة وتوفي رحمه الله من ذلك ، فكان قتيل همّته العالية ، وعزمته السامية ، في يوم الثاني والعشرين منه .

وهذا يسير من وقائع هاتين الفرقتين ذكرناه إستطراداً . وقد حدّثنا به العلم العباس ابن الحجة الحسن (ره) . ولورمنا نقل جميع أخبارهم وأحوالهم لأفنيّة الأقالام ، وذهبت دونه الأيام ، وليس فيها ثمرة سوى تهيج الأحزان والآلام . ونحن نسأل الله العفو والعافية ، ودوام هذه النعمة الوافية ، مع الهداية والتوفيق ، أَنَّهُ خير رفيق .

### ترجمة الشيخ مهدي بن الشيخ علي

ثم حل من بعده (ره) بتلك المقامة ، وجلس بمسند الأمامة ، ناهجاً سبيل الهدى ، ناشراً في جميع الأندية أبراد الندى ، أمين الله في أرضه ، وحبّته على خلقه ، وبمّيز حلاله من حرامه ، وباطله من حقّه ، برهانه القاطع ، وبحر علمه المتدافع ، مشكاة الله السنية ، وواسطة القلادة (الجعفرية) ، الحاوي لشرف آبائه ، والمشرق بدرأ في سمائه ، نور الله في الظلم ، ونيره الذي راح بعلمه ناراً على علم ، الهادي إلى سبيل الرشاد : أبو صالح (مهدي) الأئم ، نجل المحقق الأكبر ، علي بن جعفر ، قدّس سرّهم المطهر .

كان (رحمه الله) بمرتبة من العلم عظيمة ، وقدم فيه قديمة ، حضر أياماً على أبيه (المُحقّق) الثالث ، وأخذ من علومه القديم والحادث . ثم حضر بعد ذلك على عمّه العلم المؤتمن ، علامة الزمن ، ابن جعفر (الحسن) ، وكان عمدة حضوره عليه ، وتلمذه بين يديه ، وكان عنده مقرباً إلى الغاية ، ومُحبّباً إلى النهاية ، لا يفوق عليه من عشيرته أحد حتى أخوه ! كبر الشيخ مُحَمَّد ، وكان هو وصيه على ثلثه وأمواله ، وقِيَمه على أطفاله . واجتهد وحصل في أيامه تمام التحصيل ، حتى أصبح في مدرسته بلا مثيل ولا عدل ، على كثر ما عرفت فيها من العلماء المبرزين .

ثم لما تُوفيَ عمّه العلامة الحسن كانت بعض الناس تتوقع توشحهُ للأمر ، وتقدمه على أخيه وإن كان أكبر . فما انكشفت الغُبرة إلّا وهو تحت منبر أخيه ، معظماً له مُشيداً فيه ، حتى صار بحضوره وحضور الشيخ راضي عَلم العلم المشهور ومعتمد بنيّه . وتراكت الطلاب والمشتغلون على الحضور في درسه والمثول في ناديه ، وبقي الشيخ مهدي على

غزارة علمه واستغنائه عن الحضور ، ملازماً لأخيه درساً وصلاة وتأييداً حتى صار ذلك لهما نوراً على نور .

فلما تُوفيَ الشيخ مُحَمَّدُ ظهر (المهدي) بأية علمه ، ونهض بأمر رئاسة الدين والدينا مدبراً فيها بعزمه وحزمه ، وكان له بعض الطلبة المريدين له المتعصبين في أمره ، وكان أكثرهم من (الترك) فجعلوا يسعون في نشر ذكره ، وتشديد مجده وفخره . فما مضت إلا أيام قليلة حتى رجعت إليه (أذربيجان) و(القفقازية) و(قرباغ) وجميع هاتيك الأطراف إلاّ اليسير ، وطبعت رسالته العملية في تبريز بأمر السلطان مظفر الدين شاه<sup>(١)</sup> ، أيد الله ملكه ، وكان يومئذ ولي العهد فيها فجاءت منها نسخ عديدة إلى الآفاق جميعاً .

ثم أجمعت العرب عليه ، وأرجعت أمورها إليه ، و(قلّدت)ه أغلب الأعراب ، وانتشرت (رسالته) في أغلب بقاع الأرض كلّ ذلك في زمان الشيخ الأعظم ، وعماد الدين الأقوم ، بحر الهداية ، وآية الله في بني الدّرية ، شيخنا الشيخ مرتضى الأنصاري ، عليه رحمة الباري . وكان الشيخ مرتضى يومئذ حجة الله على الأطلاق ، وخليفته في سائر الآفاق . ولكنه كان يُرجع أغلب الأشياء إليه ، ويعتمد في سائر الأمور عليه ، ويشيد أمره ، وينشر ذكره ، ويعلن اجتهاده ، وأفضليته على سائر فضلاء بلاده . وكان الشيخ مهدي كلما رأى الشيخ مرتضى أخذ يده بالعنف والجبر وجعل يقبلها والشيخ يمتنع وينكر عليه ذلك .

والحاصل : أن أمر الشيخ مهدي لم يَزَلْ يسمو ، وذكره يعلو ، وصارت الحقوق من أغلب الأطراف تُجلب إليه ، والأموال تُجبي إليه . وكانت بعض (الحقوق) تأتي باسمهما ، والطلاب تغتبر من علمهما . إلى أن صارت سنة الألف والمائتين والواحد والثمانين ، فخرج الشيخ مرتضى بجسده المقدس ، إلى حظيرة القدس ، واتصل بجوار الملك الأقدس ، فاستقل الشيخ مهدي بالأمر ، ونهض بأعباء الرئاسة والفخر ، فألقى إليه إقليد التقليد كلّ مكان ، ولم يختلف في فضله إثنان ، ورقى منبر التدريس ، على الرؤوس والرئيس ، فحقق فيه ما شاء ، وأبدع بما أبهر به الأسماع والآراء . وإن شئت تصديق ذلك فاطلب كتابه الذي كتبه في (الخيارات) على نهج الشرائع ، وقد خرج إلى المبيضة وهو يوجد الآن عند أولاده<sup>(٢)</sup> (حفظهم الله) .

وله أيضاً رسالة في حرمة العصير العنبي ونجاسته مستقلاً ، وله قطعة من المكاسب وما

(١) تولى مظفر الدين الحكم سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٧م ، وتوفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .  
(٢) أولاد الشيخ مهدي أربعة هم الشيخ صالح المتوفى سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م ، والشيخ أمين المتوفى سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م ، والشيخ موسى .

يَحْرُمُ التَّكْسُّبُ بِهِ ، وَلَهُ قِطْعَةٌ فِي الْبَيْعِ وَالْمُعَاوَاةِ ، فَانْظُرْهُ فَأَنْتَكَ سَتَجِدُهُ بِمَا أَقُولُ ضَمِينَ .  
والْحَاصِلُ أَنَّ عُلُوَّ أَمْرِهِ ، وَتَنَاهِي شَرْفِهِ وَفَخْرِهِ ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى بَيَانٍ ، وَقَدْ بَلَغَ حَتَّى تَجَاوِزَ  
حَدَّ الشَّهْرَةِ وَالْأَعْلَانِ .

وَمِنْ أَثَارِهِ الْمَشِيدَةِ ، الدَّالَّةُ عَلَى عُلُوِّ رَتْبِهِ الْمُتَفَرِّدَةِ ، الْمَدَارِسُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي بَنَاهَا ، مِنْهَا :  
الْمَدْرَسَةُ الْكَبِيرَةُ الْوَاقِعَةُ فِي النِّجْفِ الْأَشْرَفِ مُقَابِلَ قَبْرِ الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ (رِه) وَهِيَ مِنْ  
الْمَدَارِسِ الَّتِي لَيْسَ لَهَا نَظِيرٌ فِي النِّجْفِ ، وَمِنْهَا : مَدْرَسَتُهُ الْوَاقِعَةُ فِي كَرْبَلَاءَ وَهِيَ مِنْ  
الْمَدَارِسِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَمِنْهَا : مَدْرَسَةُ الْمُعْتَمَدِ فَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بَنَاهَا عَلَى هَذَا النِّهَجِ وَالتَّرْتِيبِ فِي  
الطَّبَقَاتِ وَالْحَسَنِ . وَهُوَ الَّذِي بَنَى الْقُبَّةَ الْبَيْضَاءَ وَالرَّوَّاقَ عَلَى قَبْرِ أَجْدَادِهِ وَأَبَائِهِ الْمُقَدَّسِينَ .  
وَهَذِهِ الْأُمُورُ مِمَّا لَمْ تَتَّفَقْ حَتَّى لِأَبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ عَلَى مَا عَرَفْتَ مِنْ عَظَمِ أَمْرِهِمْ .

### شَعْرُهُ وَشَاعَرِيَّتُهُ

وَكَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ مَعْرُوفًا بِطَلَاقَةِ اللِّسَانِ ، وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّقْرِيرِ وَالْبَيَانِ ، إِلَى غَايَةِ تَقَفٍ  
دُونِهِ الْأَذْهَانِ ، وَكَانَ لَهُ مَعَ ذَلِكَ شَعْرٌ رَائِقٌ ، وَنَظْمٌ فَائِقٌ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا قَالَهُ عَلَى الْأَرْتَجَالِ  
فِي مَدِيرِ النِّجْفِ مُحَمَّدٍ أَمِينٍ أَفَنْدِيٍّ لَمَّا رَجَعَ إِلَى مَحَلِّهِ بَعْدَمَا كَادَ أَنْ يُعْزَلَ ، وَقَدْ خَمَسَهَا  
الشَّيْخُ أَحْمَدُ قَفْطَانٌ<sup>(١)</sup> :

شَمْسُ الْهِنَا فِي أَفْقِنَا أَسْفَرَتْ      وَرَوْضَةُ الْبِشْرِ لَنَا أَزْهَرَتْ  
وَفِي أَبِي (نَشَأَتْ) إِذْ بَشَّرَتْ      أَكْنَافُ كُوفَانٍ قَدْ اسْتَبَشَّرَتْ  
مُذْ حُلِّ فِيهَا طُودٌ حَلَمَ رَزِينٌ  
أَضْحَى الْحِمَى يَزْهَوُ بِكُثْبَانِهِ      غَزَلَانُهُ تَعْطُو عَلَى بَانِهِ  
تَرَعَى الْمَسَرَّاتُ بِأَغْصَانِهِ      وَغَرَّرَ الْوَرَقُ بِأَفْنَانِهِ  
يَقُولُ بُشْرَى بِمَدِيرِ (أَمِينٍ)  
فَتَى بِالْبَيَانِ الْعُلَى مَغْتَذِي      لَيْسَ بِفَظٍّ لَا وَلَا بِالْبِذْيِ  
إِنْ بَعْدَهُ بَتْنَا بِطَرْفِ قَذِي      فَقَدْ أَتَى اللَّهَ بِذَاكَ الَّذِي  
نَعْلَمُ مِنْهُ الْعَدْلَ عِلْمَ الْيَقِينِ  
وَادِي الْحِمَى سُرَّ بِأَتْيَانِهِ      وَابْتَهَجَ الْكُونُ بِأَنْسَانِهِ

(١) الشَّيْخُ أَحْمَدُ قَفْطَانٌ وَلَدَ سَنَةِ ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م ، وَتُوفِيَ سَنَةِ ١٢٩٣ هـ / ١٨٧٦ م .



من فرط تقواه وإيمانه مازال يرعانا بأحسانه  
وإنما الله مع المحسنين

وشطرها فقال :

أكناف كوفان قد استبشرت	دامت لها البشرى دوام السنين
وابتهجت بما به استمكنت	(مذ حل فيها طود حلم رزين)
(وغرد الورق بأفنانه)	لحناً فلحناً عن سرور مبین
أفصح في تغريده منطقاً	(يقول بشري بمدیر أمين)
(فقد أتى الله بذلك الذي)	كل فؤاد لنواه حزين
أهلاً به من عامل عادل	(نعلم فيه العدل علم اليقين)
(مازال يرعانا بأحسانه)	عدلاً وفضلاً منه في كل حين
وأيّد الله به دينه	(وإنما الله مع المحسنين)

وقال يخمسها مع الأصل :

فستى له أهل النهى أذعنت  
فما رأت إلا الذي أحسنت

مذ حل فيها طود حلم رزين

لما رأى دوح الهنا مورقاً والغصن غضاً تحته مطرقاً  
والبدر في أفق الحمى مشرقاً أفصح في تغريده منطقاً

يقول بشري بمدیر أمين

أنعم به من حاكم عادل على (الغريين) على (بابل)  
لم تلق إذ جاء سوى قائل أهلاً به من عامل عادل

تعلم عنه العدل علم اليقين

يا نفس أي الفضل تحصينه لا يستطيع النظم تدوينه  
أبدت أيادي براهينه وأيّد الله به دينه

وإنما الله مع المحسنين

ومن ذلك ما قاله بعدما كان قد وعد الشيخ أحمد قفطان بشيء فتأخر إنجازه ، فكتب له الشيخ (قُدس سره) :

أَبَشِّرْ بِبِرِّ وَافِرٍ      يَأْتِيكَ مِنِّي عَاجِلًا  
إِنْ مَنَّ غَيْرِي بِالْعَطَا      فَفَآنَّهُ مِنِّي (بِلا)

ومنه ما مدح به عبد الباقي أفندي الفاروقي<sup>(١)</sup> وقد جاء إلى النجف في زمان عمه الشيخ حسن (ره) ، فأمره عمه المرحوم بمدحه ، فقال :

قُلْ لِمَنْ يَنْظُمُ الْقَرِيضَ مُجِيداً      أَنْتَ (عَبْدٌ) لِعَبْدٍ (عَبْدُ الْبَاقِي)  
إِنَّهُ أَشْعَرُ الْأَنَامِ جَمِيعاً      فِي نَوَاحِي (الشَّئَامِ) بَلْ وَ (العِرَاقِ)  
فَأَجَابَهُ عَبْدُ الْبَاقِي :

يَا وَاصِفِي بِخَصَائِصِ مَحْمُودَةٍ      هَذِي صِفَاتُكَ وَالْأَلَهُ الْبَاقِي  
عَايِنْتَ شَكْلَكَ فِي سَجَنَجِلٍ<sup>(٢)</sup> صُورَتِي      فَظَنَنْتَهُ شَكْلِي وَذِي أَخْلَاقِي  
لَا زِلْتَ يَا (مَهْدِي) الْبَرِيَّةَ قَائِماً      وَلَكَ الْبَقَا بِحَقُوقِ (عَبْدِ الْبَاقِي)

فكتب له الشيخ مهدي (ره) أيضاً بيتين لا تحضرني فوصلت وهو على الجبل خارج البلد فكتب تحتها :

ظَهَرَتْ ظُهُورُ الْبَدْرِ فِي فَلَكَ السَّعْدِ      وَقَدْ يَخْرُجُ الدَّجَالُ إِذْ ظَهَرَ (المَهْدِي)

وللشيخ أيضاً بعض اللطائف مع عمه المرحوم الشيخ حسن (ره) وذلك أن المرحوم أخذ له (صاية) جديدة ، وكان عندهم رجل يخدمهم اسمه الشيخ عبد الحميد ، فأراد الشيخ عبد الحميد (صاية) الشيخ العتيقة ، فقال الشيخ مهدي على لسانه :

عَبْدُ الْحَمِيدِ أَتَاكَ يَرْجُو كَسُوَةً      وَلَكُمْ كَسُوتَ سِوَاهُ مَوْلَى عَارِيَا  
وَالْفُورُ (أَحُوطُ) فِي امْتِثَالِ أَوَامِرِي      فَانزِعْ قَمِيصَكَ لَا تَكُنْ مِتْوَانِيَا

(١) مرّ التعريفُ به ، ووفاته ١٢٧٨ هـ / ١٨٦١ م .  
(٢) السجّنجل : المرأة .

## ما قيل في الشيخ مهدي من التهاني والمدائح

وأما ما قيل فيه تهانياً ومدحاً ، فمما لا يمكن له على متون الطروس شرح ، كيف لا وهو (قُدس سرّه) لم يزل من المقلّدين المجتهدين ، المتقلّدين رئاسة الدنيا والدين ، لا تعقد الخناصر إلّا عليه ، ولا تُجَبى الحقوق والأموال إلّا إليه ، مدة واحد وعشرين سنة ، وكان يُحبّ الشعر ويعرف محلّه ، ويجيز عليه أهله . ونحن نذكر لك ما تيسّر لنا من ذلك ، سالكين في الانتخاب والاختصار أحسن المسالك .

فمنه : ما رثى به بعض شعراء النجف<sup>(١)</sup> المرحوم ميرزا أبو القاسم (إمام جمعة طهران) ، ويعزّي الشيخ مهدي وقدّ نصب له مجلس العزاء في النجف الأشرف ، وأولها :

هو البينُ كم أصمى حشاشةً مغرم	فعدتُ بنارِ الوجدِ ذاتَ تضرّم
هو الدهرُ لا تنفكُ ترمي سهامهُ	كرامَ البرايا عيلم بعد عيلم
فكَمْ شَنّ فيهم غارةً بعد غارةٍ	يحاولُ فيها مَغْنَمًا إثرَ مَغْنَم
إلى أنْ عَدَتْ عداوً عوادي صُروفه	على الماجد المولى الأمام المُعظّم

إلى أن قال :

فصبراً بنيه في المصاب وإن غدا	عليه عظيمُ الصبرِ غير معظّم
لكم ولنا السلوانُ عَنْ كُلِّ فائت	بأكرم مولى في البرية مُنعم
هو العلمُ (المهديُّ) مَنْ عَمَّ فضلهُ	جميعَ البرايا مِنْ فصيح وأعجم
فتى (جعفر) ربّ العلوم وكهفها	عليم بدين الله غير مُعَلّم
ملكٌ له صَيِّدُ الملوك خواضعُ	لعلياه منهم قيد كُلِّ غشمشم
لقد طاول (العيّوق) إذ وطئت له	على هامة العيّوق أشرف منسّم
به سَعُدَتْ أياؤنا ويؤمنه	نردّ صروفاً للقضاءِ المُحتّم
أقامَ لنا الدين الحنيف ولا نرى	سواه لتقويم الهدى من مقوّم
له ضُربتْ دون الأنام سُرادقُ	من المجد والعلياء من فوق أنجم
فيا كعبةَ الوُفاد بحرَ مواهب	يجودُ على العافين قبل التكلّم

(١) نسبها الخاقاني إلى الشيخ محسن الخضري المتوفى سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥ م . وقد أثبتها كاملة في شعراء الغري ، ج ٧ ، ص ٢٣٣ ، وقال : هي بما لم يُنشر من شعره .

خذوها ولا منْ عليكم فرائداً من النظم مثل اللؤلؤ المنتظم

ومثلها بلْ أحسن بكثير ما لبعض شعراء بني قفطان ، يرثي السيد مُحَمَّد مهدي (إمام الجمعة) ، (وهو أبو السيد أبو القاسم المرثي في القصيدة السابقة) ، ويعزي الشيخ مُحَمَّد أخا الشيخ مهدي وقد جلسا للعزاء ، وأولها :

لي الله كم من فادح كنت أخشاه  
مصاب بأرض (الري) ألقى جرانه  
دهى بَغْتَةً قلبي المعنى لي الله  
فززعزع أقصاه وروّع أدناه  
إلى أن قال :

ولولا قرين المكرمات (مُحَمَّد)  
فتى جُلَّ أن تُحصى مناقب فضله  
يُصَرِّفُ في الدهر المعاند عزمه  
فيا مَنْ جرى في المكرمات لغاية  
حللت من المجد المؤنل منزلاً  
وأدركت من لطف الأله خفيةً  
وأيدت مجداً أنت أحكمت أصله  
(بمهديها) سَمَتاً بأسمحها يداً  
تسنم مجداً لا يطاوله الوري  
هو الغوث للعاني إذا عزَّ غوثه  
وواحد فضل لم أجد غير (جعفر)  
ورثتم منار العلم والحلم عن أب  
(و(جد)) كفى في فضله أن أقامكم  
لنا ولكم عنه السلو بسيد  
تفياً دوح العز والمجد والعلى  
إذا نُشِرت أخلاقه العُر في الوري

وهي طويلة يكفيك منها هذا .

وقال السيد مُحَمَّد علي بن سيد أبي الحسن العاملي يستجديه ويستميح من فضيل أياديه :

ألا يا أيُّها المولى المساوي	بكلِّ صفاته المولى (العلّيّا)
لقد حُزّتَ المفاخرَ والمعالي	ونلتَ بفضلِكَ القدرَ العلّيّا
جمعتَ فضائلًا كانتَ (لموسى)	فكنتَ بجمعِها (الحسن) الزكيّا
وما حازوه من مكنونِ علم	كشفتَ غطاءه فغدا جليّا
لكَ المجدُ الذي أرسى خبائه	على هامِ المجرّة والثريّا
فلو بَعَثَ الألهُ بكلِّ عصر	نبيّاً كنتَ أنتَ لنا نبيّا
أكفُّ سواك لو أجرتَ عُيوناً	أرى شرفي لنائلها أبيّا
وكفُّك لو أقلَّ فيومٍ أظمى	أراه لمهجّتي ربيّاً رويّا

وله أبيات كتبها إلى أخيه العلم العباس نجل الشيخ علي (ره) يمدحه في آخرها ، وهي :

ألا يا ربيبَ الفضلِ والفخرِ والمجدِ	وراقبي ذرى العلياء بالجحد والجحد
تعلّق في قلبي الضنى يومَ بينكم	فبتُ حليفَ الهمّ والحزن والوجدِ
أرى الوردَ في خديك أينع دوحه	فأنّ يُجتنى وردٌ فمن خدك الوردي
هويتُك يا (عبّاسُ) طفلاً أما ترى	بأل الهوى أني خُصصتُ به وحدي
وقبل بلوغ الحُلُم خُصّ بك النهي	وجاوزت في عليك أعلى ذرى المجدِ
وقد فقتَ كلَّ الناسِ جداً ووالداً	كما فاقهم في مهده العلمُ (المهدي)
فتى قدّ تسامى للمعالي فأصبحتُ	تُجلُّ معاليه عن الحصر والعدّ
هُمامٌ به كلُّ الفضائلِ جمعتُ	ومنهل علمٍ للورى سائغ الوردِ
تفرّد في الدنيا بكلِّ فضيلة	وأصبح بين الناس كالجوهر الفردِ
وسحّت بلا برق غواصي أكفه	على كلِّ أبناء الزمان ولا رعدِ
فخُودٌ تحيّياني مدى الدهر والمدى	تُزفُّ إليه بالثنا الباهر الوقْدِ

وقال السيد جعفر<sup>(١)</sup> بن السيد السند العلم الباهر السيد باقر القزويني (رحمه الله)

(١) تُوفي سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م .

يهنّي الشيخ مهدي في زواجه وأجاده ، وهي :

مالي من الشوق يدعوني إلى الغزل  
فكُلُّما غرّدت ورقاء في فنن  
أزمان إن قطعت (سعدى) زيارتها  
وإن حذرت عليها عين جاريتها  
نصبت سود تماسيحي لها شركاً  
وقائداي إلى من قد علقت بها  
فكم طرقت فتاة الحي يصحبني  
وكم قضيت لبانات بكازمة  
أصمى فؤادي بسهم من لواظته  
فكم خلعت وقاري للعقار وكم  
وأها لقلبي كم تحيي صبابته  
من كل ما يستر الأعطاف مثقلة الـ  
تشني على جيدها وشياً معصرة  
ماست بقدر كخوط البان والتفتت  
فقل لعاذلتي في حب قاتلتي  
أنى يصيح لتأنيب أخو فرح  
في عرس من غرست نعمة عارفة  
(مهدي) الخليفة محمود الطريقة  
من عنصر شرفت قدماً أرومته  
من آل (جعفر) خير الناس قاطبة  
(لمهدي) ابن (علي) كل مكرمة  
مهدب كرمته أخلاقه وزكت  
وكيف لا يسمون من كان والده  
غيث العفاة ونكال العتاة ورغ

وإن كبرت وجدّ الجد في هزلي  
ثنت فؤادي لذكر الأعصر الأول  
عني إلى الليل أشكوها فيشفع لي  
جعلت غمز حواجبي لها رُسلي  
فليس تفلت إلا من يدي أُملي  
زهو الشباب وعز غير مبتذل  
مهند غير هيب ولا وكل  
مع أهيف القد رامي من بني (ثعلب)  
والموت أيسر خطب العين النجل  
حاك العناق لنا ثوباً من القبل  
بيض الحدود وسود الشعر والمقل  
أرداف تخطو بأقدام الوحي الوجلي  
والحسن يظهر حسن الحلي والحلل  
إلي ترنو بعيني جودر وجل  
كفى معاتبتني ما العذل من شغلي  
طارت بأحزانه خفاقة الجذل  
عندي مدى الدهر ما حالت ولم تحل  
ميمون النقيبة مأمون من الزلل  
ومن نجار بأصل المجد متصل  
ومن بني الجود والعلياء آل (علي)  
لورام أخمصها العيوق لم ينل  
أعراقه فتعدى رتبة المثل  
علي قدر على كل الأنام (علي)  
سام العداة برأي منه معتدل

إذا رأيت سجاياء وعفّة  
ورمت وفر عطاياء ونائله  
فاهناً أخى بمن زفت إليك ولا  
ولم تزل تُرغم الأعداء فضائلك الـ

عن الدني وعن الخيلاء والخلول  
خلت الأمامة لم تُفقد ولم تزل  
برحت ترمي أكف الدهر بالشلل  
سلاتي تسامت على الجوزاء والحمل

وقال السيد الأديب ، الفائق بنظام البديع على حبيب ، زند الكمال القادح ، جناب  
السيد صالح القزويني<sup>(١)</sup> يهنئه في العيد . وقد خمّسها حسام الأدب الماضي ، شبله السيد  
راضي ، صاحب التخميسات المشهورة ، والمقاطيع التي هي كاللثالي منشورة ، وهي مع  
التخميس :

ملكْتَ يا ذا المعالي كلَّ موجودٍ      جوداً وحليت فيه عاطلَ الجيدِ  
إليّة<sup>(٢)</sup> بعلى أبائك الصيدِ      ما العيدُ لو لم تقم بالأمرِ بالعيدِ  
من بعد أهليك أهل العلم والجودِ  
مُدَّ سامَ صرف الردى بالجور مدَّهمُ      صرفته ونديّ جاوزت حدَّهمُ  
ومُدَّ قصرت على عليك مجدَّهمُ      مدت ظلاً على الأسلام بعدهمُ  
فالمسلمون بظلّ منك ممدود  
فكم بأبحر علم بالندى التطمّت      سقيت روضة سامي مجدَّهمُ فنمت  
وكم براحة جود للوفود همّت      أعدت روح غلاهمُ بعدما هشمت  
أعواده في البرايا مورق العودِ  
أثبت للناس من دان ومنتزح      لك العلى بدليل منك متّضح  
أخلقت ما عمّ أهل الأرض من ترّح      جدّدت للناس ما قدّرت من فرح  
فمنك لم يبرحوا منه بتجديد  
بك الزمان صفاء ورذا وطاب جنى      وجاء معتذراً عمّا أسا وجنى  
وفيك مُدَّ أشرق شمس السُعود سنا      زهت رياضُ التهاني في غلاك لنا  
كما زهت بعلى أبائك الصيدِ

(١) السيد صالح القزويني البغدادي تُوفي سنة ١٣٠٦هـ / ١٨٨٩م . وهو من مواليد ١٢٠٨هـ / ١٧٩٤م . وولده  
الشاعر راضي القزويني ولد سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م ، وتُوفي في حياة أبيه سنة ١٢٨٥هـ / ١٨٦٨م .  
(٢) الأليّة : القسم .

حذرتَ جامحةَ الآمالِ إذْ بَعُدْتَ      عَنَّا وأصْدَرَتْهَا بالريِّ إذْ وَرَدْتَ  
ففي فِخْركَ أَهْلُ الفِخْرِ قَدْ شَهِدْتَ      وفي سُعودِكَ أَهْلُ العِلْمِ قَدْ سَعَدْتَ  
كَمَا بِجُودِكَ أَثَرِي كُلُّ مُوجُودِ  
نَجْمٌ مَجْدُكَ لَا يُخْصِي تَعَدُّهَا      فَكَيْفَ أُسْطِيعُ فِي نَظْمِ أَحَدُهَا  
جَمَعْتَ عَزَّ مَقَالَ أَنْتَ مَفْرُدُهَا      أَتَرَعْتَ أَبْحَرَ عِلْمِ سَاعِ مَوْرُدُهَا  
فَكُلُّ بِحَرِّ سَوَاهَا غَيْرُ مَوْرُودِ  
سَعَيْتَ لِلْعِلْمِ شَوْقاً فِي تَطْلِبِهِ      حَتَّى غَدَوْتَ بِهِ فَرْداً بِلَا شَبِّهِ  
وَكَمْ بِمَشْكُورِ سَعْيٍ غَيْرُ مُشْتَبِهٍ      أَحْرَزْتَ حَمْداً بِسَعْيٍ قَدْ شَكِرْتَ بِهِ  
فَمَا سِوَاكَ بِمَشْكُورٍ وَمَحْمُودِ  
ثَنْتُ إِلَيْكَ بَنُو العِلْيَا وَسَائِدُهَا      وَعَادَ حَاسِدُهَا بِالْفَضْلِ شَاهِدُهَا  
فِيَا فَرِيدَ بَنِي العِلْيَا وَوَاحِدُهَا      إِنَّ الْأَقَالِيمَ قَدْ أَلْقَتْ مَقَالِدُهَا  
إِلَى مَعَالِيكَ إِلْقَاءَ المَقَالِيدِ  
سَبَقْتَ مَنْ فَاقَ قَدْرًا بِالْعُلَى وَسَمَا      مَرَاتِباً فَيُرَى أَرْضاً وَأَنْتَ سَمَا  
وَقَدْ مَلَكَتْ إِغْرَاءَ المُلُوكِ بِمَا      طَوَّقَتْ أَجْيَادُهَا طُوقَ الحِمَامِ كَمَا  
طَبَّقْتَ أَقْطَارَهَا بِالْفَضْلِ وَالْجُودِ

وقال الأديب عبق البلاغة من ثغره يفوح ، جناب الأكمل الأنبل الشيخ حمادي نوح<sup>(١)</sup> ، يمدحه أيضاً :

أَنْسِيمَ (كَاطِمَةَ) هَوَاهُ تَنْسَمَا      فَأَذَالَ أَدْمَعَهُ (بِبَابِلَ) عِنْدَمَا  
وَحْيَالُ جَائِلَةِ الوِشَاحِ كَخَصَرِهَا      إِذْ زَارَهُ وَهَنًا قَضَى أَنْ تُهْضَمَا  
يَا طَيْفَ نَاعِسَةِ اللِّحَازِ وَلَا كَرَى      وَبِهَا النُّفُوسُ رَدَى تُفَاضُ وَلَا دَمَا  
أَطْرَقْتَ عَنْ كُتُبٍ لِصَبِّكَ زَائِرًا      أَمْ شَقَّةٌ طَوَّلَا أَتَيْتَ مَيِّمًا  
فَلَقَلَّمَا وَافَيْتَ فِي ظَنِّي الحِمَى      وَلَقَلَّمَا فِيهِ أَنْشَيْتَ لَقَلَّمَا  
أَنْشَقْتَ نَكْهَتَهُ المَشُوقِ وَلَا شَذَى      وَسَقَيْتَهُ الرِّيقَ البُرُودِ وَلَا لَمَى

(١) من كبار شعراء الحلة ، ولد سنة ١٢٣٥هـ / ١٨٢٠م ، وتوفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .



فشميمه استلب السقام ولا ظنى  
 من لي بزورته عياناً ريشما  
 وهي المحال فرب قوم حاولت  
 المجتلين غياهب الدنيا إذا  
 وإذا احتبى فيها سواهم خلتها  
 يستجمع ابن علي شمل مكارم  
 المستضاء به إذا سفع الدجى  
 والمستعان به إذا جلل رها  
 قد تضمن الأبراد فوق أسرة  
 وتلف منه إذا المسائل أعوصت  
 قد قلت يا من في أبي الحسن اقتدى  
 فأذا حمى (المهدي) دين (محمد)

وروى لَمَاءُ شفا الأوام ولا ظمى  
 يقضي الرضيع لبانتيه ريشما  
 من آل (جعفر) المحل الأعظما  
 رقت الدسوت فرائداً أو توأما  
 شمس النهار تقل ليلاً مظلما  
 زانوا بفطرتها الزمان الأقدما  
 والمستجار به إذا نزل العمى  
 والمستغات به إذا عام حمى  
 منه وقاري (يذبل) و(يلمما)  
 قمر الهداية بالعلوم متيما  
 أعدته من كسب حظك مغنما  
 شرك الأله فهبه ديناً قيما

وقال الأديب الأوحى ، ومتنبى الكمال الذي لا إحصاء لآيات مجده ولا حد ، عود  
 الفخر النضر ، الشيخ محسن آل شيخ خضر ، يهنئه بزواج ابن أخيه ، الشيخ حسن بن  
 الشيخ محمد (رحمهم الله أجمعين) ، قال موشحاً :

طاف بالكأس غريراً أحور غنج الحاظ مشوق القوام

طاف يجلوها على ندمانه  
 والشذى يعبق من أردانه  
 فرأيت السحر في أجفانه  
 آية للحب ليست تنكر فغراماً يا بني (حام) و(سام)

فشربنا الراح إذ ولّى الصباح  
 وانتشينا طرباً والدهر صباح  
 ويح ديك الصبح لما حس صباح  
 فانتشرنا كجمان ينشر بعدما راق لثالي ونظام

(١) هكذا ورد في الأصل .

إلى أن يقول :

يا له عصرٌ تصابى سلفاً  
بين أكناف (المصلّى) و(الصفّا)  
طاب فيه العيشُ والوردُ صفّاً  
وانجلى الهمُّ به والكدرُ إذ تعاطينا الطلا جَماً فجَمامُ

كليال نالَ فيهنَّ المنى  
خلفُ الغرِّ الهداة الأُمنا  
(حسنٌ) ما انفكَّ يولي الحسنّا  
وكفى حسناءً مهما تذكرُ عبقٌ في طيه نشرُ الخزامُ

من بني (جعفر) أعلام الهدى  
وشقيق (المحسن) المولى الندى  
منهما لم ألفَ إلا سيّداً  
عرّف المعروف فيه (جعفر) ولما أسسَ قد شادَ دعامُ

قُمْ نُهْنِي بهما (المهديّ) مَنْ  
طَوَّقَ الأجيادَ في جُودِ وَمَنْ  
وعلى الدهر له كم مِنْ مَنْ  
كُلُّ حيٍّ مِنْ بنيه يشكرُ بعض ما تولي أياديهِ الجسامُ

هو شيخُ الكلِّ في الكلِّ الذي  
لم يَزَلْ يجلو قذى الطرف القذى  
وإذا شئتَ فدعْ ذاك وذي  
وانتظرْ ما سوفَ منه يظهرُ فهو (المهديّ) إنْ لدَّ الخصامُ

يا أبا المولى ومولى المولوين  
مَنْ سرتْ آلاؤه في الخافقين

بِكَ قَرَّتْ عَنْ قَرِيبٍ كُلُّ عَيْنٍ  
فَلِكُلِّ فِيكَ يُرْجَى وَطَرٌ      مثلما قَرَّتْ بِأَهْلِكَ الْكَرَامُ

عِلْمٌ فِي الْعِلْمِ زَخَارٌ خِصَمٌ  
مِنْهُ كَمَنْ (جَعْفَر) فَاضَ وَكَمٌ  
هُوَ فِي الْأَعْلَامِ كَالْفَرْدِ الْعِلْمِ  
كُلُّ مُوَصُولٍ لَهُ مَفْتِقَرٌ      مُسْتَعِيدٌ صِلَةٌ فِي كُلِّ عَامٍ

فَبِكُمْ لَا زَالُ يَرْتَاخُ الْوَجُودُ  
كُلُّ عَصْرِ فِيهِ مِنْكُمْ ضَاعَ عُودُ  
دُونَ أَدْنَى نَشْرِهِ نَشْرُ الْوُرُودِ  
كَنْظَامِي وَهُوَ فِيكُمْ عَطِرٌ      حَيْثُ قَدْ كَانَ لَهُ الْمِسْكُ الْخِتَامُ

وله أيضاً يهنيه بزواجه ، وهي من القصائد البديعة :

أَكْأَسُهُ مِنْ وَجْنَتِيهِ التَّهْبَا	أَمْ مِنْ دَمِ الْعُنُقُودِ مَا تَخْضَبَا
وَبِالشَّقِيقِ خَدُّهُ مَذْهَبٌ	أَمْ بِدَمِي لَمَّا أَطْلُ اخْتَضَبَا
وَتِلْكَ شَمْسٌ بِالنَّجُومِ احْتَبَكْتُ	أَمَّا الْحُمَيَّا مَا أَرَى وَالْحَبَّابَا
وَلَسْتُ أَدْرِي أَرْضَاباً أَحْتَسِي	مِنْ سَلْسَبِيلِ ثَغْرُهُ أَمْ ضَرَبَا
وَمَا دَرَيْتُ بِشَذَى أَنْفَاسِهِ	أَمْ بِشَذَى الْمِسْكِ ذَكَتُ رِيحُ الصَّبَا
وَفَوْقَ عَرْشِ خَدِّهِ الْخَالُ اسْتَوَى	أَمْ ذَاكَ زَنْجٌ حَلَّ دَسْتاً مَذْهَبَا
يَسْبِي الضَّبِّي فِي لَفَاتٍ جِيْدِهِ	فِي لَفَاتٍ جِيْدِهِ يَسْبِي الضَّبِّي
فَلَوْ تَرَاهُ إِذْ تَهَادَى طَرَباً	رَأَيْتَ فِي بَرْدِيهِ غَصْناً رَطَبَا
وَلَوْ تَرَى الْأَكْوَابَ إِذْ يَدِيرُهَا	لَقُلْتُ مَا رَأَيْتُ إِلَّا كَوَكَبَا
وَدُونَ أَنْ يَمْزَجَهَا بِرِيقِهِ	هِيَهَاتَ أَنْ أَشْرَبَهَا أَوْ يَشْرَبَا
وَالرَّاحُ مَا أَشْرَقَ مِنْهَا كَوَكَبٌ	إِلَّا وَفِي فَمِ النَّدَامَى غَرَبَا
عَتَّقَهَا (عَادٌ) وَعِنْدَمَا نَشَا	حَبَابُهَا فِي الْكَأْسِ عَادَتْ عِنَبَا
قَدْ سَابَ أَفْعَى جَعَدِهِ فِي خَدِّهِ	لَكِنَّهُ أَفْلَاذُ قَلْبِي لَسَبَا

وعندما أوجسَ منه خيفةً  
زارَ فنبّه الرقيبَ جرسُهُ  
فلم أزلْ أهصرُ فوداً أبلجاً  
ألقي من الصّدغ عليه عقرباً  
ما خلتُ أنْ الجرسَ بعضُ الرُقبا  
ولم أزلْ أرشفُ ثغراً أشنباً

إلى أن قال في مدحه :

فقلْ لمنْ جارهُ في مضماره  
إلى (عليّ) إنتسمى و(فاطم)  
يسبقني اليراعُ مدحاً فأرى  
من عُصبة سما بها إلى العُلى  
إنْ (مرّ) طعمُ الشعرِ في سواهمُ  
رووا حديثَ مجدِّهمُ عنْ (جعفر)  
أقصرُ فقدْ غالبتَ ليثاً أغلباً  
فكانَ خيرَ الناسِ أمّاً وأباً  
من اليراع ما يريني العَجبا  
(عليّها) أبو الهُداة النُجبا  
فما (أحيلة) بهم وأعذبا  
و(جعفر) يرويه عن (أهل العبا)

وقال العالم الأديب ، والفاضل اللبيب ، الشيخ حسين الدجيلي <sup>(١)</sup> يهنّيه بزواج أخيه  
ذي النجدة والباس ، عيلم العلوم العباس ، أدام الله أيامه ، موشحاً :

أيّها الركبُ على رملِ الحمى      وقفةً أقضي بها حقَّ الغرامِ

ثم حيّوا من مغانيه الربى  
فيه مرّتْ للليلات الصبّا  
زَمْنٌ إتّخَذَ الراحَ أباً  
ونديمي في الدُجى إنْ أظلما      قَمَرٌ يجلو حناديسَ الظلامِ

أحورُ أحوى رشيقُ أهيفُ  
كادَ مَنْ مَرَّ الصَّبَا ينقطفُ  
إنَّ أربابَ الهوى لو أنصفوا  
يمموا (نجداً) إذا ما يَمّا      وإذا اتَّهَمَ فالملّوى (تهامُ)

فغدا يجلو الطلا مثلَ العَروسِ

(١) الشيخ حسين الدجيلي ولد سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، وتوفي سنة ١٣٠٥هـ / ١٨٨٨م .

زَفَّهَا صِرْفاً بِتَبْرِيِّ الْكَؤُوسِ  
نَفْسَتْ حَتَّى وَهَبْنَاهَا النِّفُوسِ  
تَجْمَعُ الشَّمْلَ وَتَبْرِي السَّقَمَا وَحَرِيٌّ مِثْلُهَا يَبْرِي السَّقَامَ

هِيَ تَبْرُ وَالْجُمَانُ الْحَبَبُ  
بَلْ شَهَابٌ فِي الدُّجَى مَلْتَهَبُ  
قَدْ سَقَانِيهَا أَغْنَى رَبَّ  
فَعَدْتُ تَدْبُو إِلَى الْعَقْلِ كَمَا دَبَّ لَصُّ الْحَيِّ فِي جُنْحِ الظَّلَامِ

هِيَ رُوحُ الْخَمْرِ لَا جِسْمٌ لَهَا  
فَكَأَنَّ الْكَأْسَ قَدْ مَثَّلَهَا  
سَلْسَبِيلٌ وَالنُّهْيُ عَلَّلَهَا  
تُنَعِّشُ الْحَيَّ وَتُحْيِي الرِّمَامَا مُقْعَدٌ لَوْ كَانَ يَحْسُوهَا لِقَامَ

زَمَنْ مَرَّ عَلَى سَفْحِ الْغَضَا  
قَدْ زَعَمْنَاهُ تَوَلَّى وَانْقَضَى  
عَادَ لِي غَضًّا كَمَا كَانَ مَضَى  
حَيْثُ زَفَّتْ مَنْ تَسَامَتْ كَرَمَا مِنْ بَنِي (طَه) بَنِي الْمَجْدِ الْكَرَامِ

لَخَدِيدِ الْمَجْدِ فِي رَتْبَتِهِ  
شَبٌّ إِذْ شَبَّ وَفِي حُسْنِ رَتْبَتِهِ  
قَصَبُ السَّبْقِ وَفِي قَبْضَتِهِ  
سَلَّمَ يَرْقَى بِهِ أَوْجَ السَّمََا وَكَذَا أَهْلُوهُ شَيْخاً وَغُلَامَ

بَيْتٌ مَجْدٌ ظَاهِرٌ فِيهِ الْفَخَارُ  
كَظْهُورِ الشَّمْسِ فِي قَلْبِ النَّهَارِ  
كَمْ أَقَالُوا عَنْ بَنِي الْعِلْمِ عِثَارُ  
وَجَلُّوا عَنْ مَقَلَةِ الدِّينِ الْعَمَى مِنْ حِلَالِ أَوْضَحُوهُ وَحَرَامِ

لَهُمْ فِي كُلِّ عَصْرِ مَعْجَزَاتُ  
بِفُرُوعٍ نَشَرُوهَا غَامِضَاتُ  
جَمَعُوا شَمَلَ الْهُدَى بَعْدَ الشَّتَاتُ  
فَضْلَاءُ أَتَقِيَاءُ عُلَمَاءُ      بَتَرَقَّى فَضْلُهُمْ عَاماً فَعَامُ

رَتَبَةُ شَامِخَةٍ فِي الرُّتَبِ  
فِي سَمَاءِ الْمَجْدِ مِثْلَ الْكُوكَبِ  
لَوْ يَكُنْ قَامَ بِنَا الْيَوْمَ نَبِي  
وَتَبُوا كُلًّا إِلَى ذَاكَ فَمَا      فِيهِمْ مِنْ وَاحِدٍ إِلَّا وَقَامُ

لَوْ تَرَى (الْمُهْدِيَّ) مَا كُنْتَ تَرَى  
غَيْرَ مَنْ تَلُوِي عَلَيْهِ الْخُنُصْرَا  
يَمْلَأُ السَّمْعَ عُلَاً وَالْبَصْرَا  
فَهُوَ فِي الْجُلَى عِمَادٌ وَحِمَى      وَعَصَامٌ لِبْنِي (حَامٍ) وَ(سَامُ)

أَبْحَرُ فَاضَتْ لِمَنْ أَمَّ النَّدَى  
مَا صَدَّ إِلَّا وَكَانَ الْمُورِدَا  
طُودَ عِلْمٍ طَالَ أَطْوَادَ الْهُدَى  
فِي ذُرَى شَامِخِهَا قَدْ خَيَّمَا      وَلَهُ فِي ذُرْوَةِ الْمَجْدِ خِيَامُ

سَبَرَ الْعِلْمَ كِتَاباً فَكِتَابُ  
مُحْكَمًا أَبْوَابُهُ بَاباً فَبَابُ  
أَلْمَعْيُ فِكْرُهُ مِثْلُ الشَّهَابِ  
ثَاقِبٌ مَا طَاشَ سَهْمًا إِنْ رَمَى      وَلَأَهْلَ الْفَضْلِ كَمْ طَاشَتْ سِهَامُ

كَمْ يَدُ بَيْضَاءٍ قَدْ طَوَّقَهَا  
عَنْقَاً وَالْمَنْ لَنْ يَطْرَقَهَا

حازَ من خيلِ الندى أسبقَها  
يُخجلُ الغيثَ إذا الغيثُ هَمَى      وله في الفضلِ مثوى ومقام

دمتُمُ عُمَرَ الليالي والدهورُ  
لكمُ العيشُ المُنَى والسُرورُ  
كلُّما غنَّتْ على الدوح الطيورُ  
نشرتْ أيدي التهاني علما      لكمُ بالبشرِ في كلِّ مقام

وقال الأوحِدُ الفريدُ ، الشيخُ مُحَمَّدُ سعيد ، ابنُ محمود سعيد<sup>(١)</sup> ، أيضاً يهنيهِ بزواج  
العلم العباس أخيه (سَلَّمَهُ اللَّهُ) :

وَرَزَتْ فَغَضَّتْ طَرْفَهَا الْأَرَامُ	برزتُ فلاحَ البدرِ وهو تمامُ
إِنْ مَاسَ مِنْ خُوطِ الْأَرَاكِ قِوَامُ	هيفاء يهزأ بالغُصونِ قوامها
ثَمَلًا وَمَا غَيْرُ الرضابِ مُدَامُ	أولتكَ مرشفها فَعُدَّتْ برشفة
وادي الغمِيمِ إذا استهلَّ غَمَامُ	حيًا الغَمَامُ ربي الغمِيمِ ولا عدا
شرقت ببهجة عرسه الأيامُ	تحكي لِياليه ليالي عرس مَنْ
طلق المُحييَا ثَغْرَهُ بِسَّامُ	ذاك الفتى العباس إلا أَنَّهُ
مِنْ غَارِبِ المجدِ الأثيلِ سَنَامُ	شهمُ تسنمُ ذروةً هي في العُلَى
في العلمِ لم يُكشِفْ لَهُنَّ لثَامُ	كم مِنْ رُموزٍ قَدْ أَمَاطَ لثَامَهَا
شهدتْ به علماؤها الأعلامُ	عَلِمَ حَدِيثُ علومِهِ وعلاؤُهُ
عَمَدُ الهُدَى وَلَهُنَّ قَامُ دَعَامُ	بعميدها (المهدي) قامتْ للورى
عَنْ شَأْوِهِ يَتَقَاعَسُ الْمُقْدَامُ	مقدامُها الجاري إلى الأمدِ الذي
وَضَحَتْ بِنْيَرِ حُكْمِهِ الْأَحْكَامُ	حَبْرٌ يلوذُ الشرعُ منه بحاكم
وكذاك يحمي غَيْلُهُ (الضُرْغامُ)	مازال يحمي ربعَ شرعِ شادَهُ
في موطنٍ زَلَّتْ به الأقدامُ	ولَكُمْ لَهُ في الفضلِ مِنْ قَدَمٍ رَسَتْ
عن فضله تتقاصرُ الأوهامُ	وكفى (بجعفر) في الفضائلِ بارعاً

(١) الشيخ محمد سعيد بن الشيخ محمود بن سعيد الأسكافي ، ولد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، وتوفي سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م .

أَتَطَاوُلُ الشُّمَّ الرِّعَانَ أَكَامُ  
وَنَزِيلُ بَيْتِ الْمَجْدِ لَيْسَ يُضَامُ  
عَمَّا بِهِ قَدْ حَارَتْ الْأَفْهَامُ  
وَالصُّبْحُ لَا يَخْفِي سَنَا ظِلَامُ  
وَقَوَامُ شَرَعَتِهِ هُمُ الْقَوَامُ  
مِنْهَا حِلَالٌ لِلْوَرَى وَحَرَامُ  
أَبْدَأُ عَلَيْهِمْ تَخَفُّقُ الْأَعْلَامُ  
يَوْمًا إِذَا مَا طَاشَتْ الْأَحْلَامُ  
مَازَالَ يَشْكُرُ فَضْلَهَا الْأَسْلَامُ  
وَبِهِمْ لِهَذَا الدِّينِ قَامَ دَعَامُ  
كَسَبٌ وَبَارِعُ فَضْلِهِمْ إِلَهَامُ  
وَمَعَادُنُ الْكَرَمِ الْعَمِيمِ كَرَامُ  
يَكْبُو بِأَقْدَامِ الْوَرَى إِحْجَامُ  
بَرَحْتُ تُهْنِي فَيَكُمُ الْأَيَّامُ

سُرُوتَ مَجْدٍ لَا تَطَاوُلُهُ الْوَرَى  
هُمْ أَهْلُ بَيْتٍ لَا يُضَامُ نَزِيلُهُمْ  
وَهُمُ الْأَلَى كُشِفَ الْغَطَاءُ لَجْدُهُمْ  
شَرْفًا كَضُوءِ الشَّمْسِ أَسْفَرَ مَشْرِقًا  
قَوَامُ شَرَعَةٍ أَحْمَدُ وَقَوَامُهَا  
لَمْ يَسْتَبِنْ لَوْ لَمْ تَقُمْ بِحُدُودِهَا  
أَعْلَامُ عِلْمٍ لِلرِّئَاسَةِ لَمْ تَزَلْ  
أَطْوَادُ حِلْمٍ لَا تَطْيِشُ عِلْمُهَا  
وَلَكُمْ عَلَى الْأَسْلَامِ مِنْ أَيْدٍ لَهَا  
بِهِمْ رُبُوعُ الْعِلْمِ شَيْدَ سُمْكُهَا  
فَضَلُّوا الْأَنَامَ وَإِنَّمَا فَضْلُ الْوَرَى  
جُبِلَتْ عَلَى الْكَرَمِ الْعَمِيمِ طِبَاعُهُمْ  
يَا أَسْرَةَ الشَّرَفِ الَّذِي عَنْ شَأْوِهِ  
قَدْ هُنِيَتْ أَيَّامُنَا فَيَكُمُ فَلَا

وله أيضاً يهنيه مع أخيه الشيخ جعفر بزواج أخيهما المتقدم (سَلَمَةُ اللَّهِ) ، وهي :

بَارِقُ ثَغْرِ الْبِشْرِ مُبْتَسِمِ  
وَأَحَرُّ قَلْبِي مِنْ رَيْقِكَ الشَّبِمْ  
أَحَلَّ شَرْعُ الْهَوَى لَدِيهِ دَمِي  
وَلِإِنْ مِثْلِي عَلَيْهِ لَمْ يُلَمِ  
وِظْلٌ يُدْمِي الْأَكْفَ بِالْأَنْدَمِ  
سَمِعَ عَنِ الْعَاذِلِينَ فِي صَمَمِ  
يَجْلُو سَنَاها غِيَا هَبَ الظُّلَمِ  
فِي عُرْسِ (عَبَّاسٍ) ثَغْرَ مِبْتَسِمِ  
إِلَيْهِ يُنْمِي الْفَخَارَ حَيْثُ غَمِي  
رَهِيْفَ عَضْبٍ مَصْمَمٍ خُذْمِ

لَا حَ فَجَلَّى حَنَادَسَ الظُّلَمِ  
يَا بِاسْمًا رَيْقُ ثَغْرِهِ شَبَمِ  
مَحْرَمٌ وَصَلُّهُ عَلَيَّ وَقَدْ  
يَلُومُنِي فِيهِ عَاذِلِي سَفْهًا  
وَلَوْ يَرَى مِنْهُ مَا رَأَيْتُ صَبَا  
فَلْيَعْذِلِ الْعَاذِلُونَ فِيهِ فُلِي  
يَا لَيْلَةً بِالْغُرَى مَشْرِقَةً  
لَيْلَةً أَنْسَ أَبَدْتُ بِبَهْجَتِهَا  
فَتَى إِلَى الْمَجْدِ قَدْ نَمَاهُ أَبُ  
يَسْتَلُّ لِلدَّهْرِ مِنْ عَزَائِمِهِ



مَنْ كَانَ بِالْغَانِيَاتِ هَامَ هَوًى  
قُمْ لِي فَهْنِي عَمِيدَهَا الْعَلَمَ (الـ)  
حَاكِمُ شَرَعٍ تَأْبَى الشَّرِيعَةَ أَنْ  
كَهْفٌ بِهِ الدِّينُ لَأَذَّ مَعْتَصِماً  
يَا بَنَ الْغَطَارِيفِ وَالْكَرَامِ وَمَنْ  
يَقْيِسُكَ الدَّهْرُ فِي سَوَاكِ وَهَلْ  
وَهْنٌ رَبِّ الْفَخَارِ (جَعْفَرُ) مَنْ  
تَأْوِي أُولُو الْفَضْلِ إِنَّ أَتَتْهُ إِلَى  
مِنْ مَعِشَرٍ لَا يُضَامُ جَارَهُمْ  
الْمَاجِدُونَ الْهُدَاةَ مَنْ وَطَأُوا  
لَا بَرَحَ الدَّهْرُ مَشْرِقاً بِهِمْ

فَفِي سَوَى الْمَكْرَمَاتِ لَمْ يَهَمْ  
مَهْدِيٌّ أَكْرِمُ بِذَاكَ مَنْ عِلْمٍ  
تَرْضَى بِخَبَرٍ سِوَاهُ مِنْ حَكْمٍ  
فَكَانَ لِلدِّينِ خَيْرَ مَعْتَصِمٍ  
طَوَّقَ جَيْدَ الزَّمَانِ بِالْكَرَمِ  
تُقَاسُ شُمُّ الرِّعَانِ بِالْأَكْمِ  
تَقَاصَرَتْ دُونَ مَدْحِهِ هَمَمِي  
خَضَمَ بَحْرَ الْفَضْلِ مِلْتَطِمٍ  
وَأَنَّ جَارَ الْكَرَامِ لَمْ يَضْمِ  
هَامَ الثُّرَيَّا بِأَخْمَصِ الْقَدَمِ  
مَا نَسَمَ الرِّيحَ بَارِئُ النَّسَمِ

وقال الأديب الأوحى ، وعلم الكمال المفرد ، الشاعر المبرز الشيخ أحمد<sup>(١)</sup> ، ابن الشيخ  
عبد الحسين شكرزاده يهنيهما أيضاً بعرض أخيهما (أبقاه الله تعالى) :

إِلَيْكَ تَنْحِي يَا ابْنَةَ الْقَوْمِ عَنْ غَذْلِي  
وَأَنِّي بَتَفْجِيرِي عَيُونَ مَكَارِمِي  
فَأَنْ تَعْقِلَ الْخَوْدُ الْحَسَانَ بِحَيْثُهَا  
تَرَكْتُ عَفَافاً مَا يَمُرُّ طَلَابُهُ  
تَسَنَّمْتُ عَزْمِي شَاحِذاً حَدَّ فِكْرَتِي  
وَلِي مَقُولٌ كَالسَّيْفِ أَجْرَتْ فَرْنَدُهُ  
يَصْدَقْنِي النِّظَمُ الْبَدِيعُ بِأَنَّنِي  
وَلَسْتُ الَّذِي بِالنِّظْمِ يَفْخَرُ بَعْدَمَا  
فَذَلِكَ أَجْرِي مِنْ لِسَانِي مَطْهُمًا  
لَهُ اللَّهُ يَوْمًا أَنْحَلَ الْمَجْدَ وَالْعُلَى

فَلِي بِاقْتِنَاءِ الْمَجْدِ شُغْلٌ عَنِ الْوَصْلِ  
لَعَمْرُكَ فِي لَهْوٍ عَنِ الْأَعْيُنِ النُّجْلِ  
قَلَاصِيٍّ عَنِ طَيِّ الْعُلَى وَمَعِي عَقْلِي  
وَأَعْنَقْتُ جُرْدَ الْعِزِّ أَطْلُبُ مَا يَحْلِي  
عَنِ الْأَدْهَمِ الشَّمْلَالِ وَالْأَبْيَضِ النَّصْلِ  
يَدُ الْقَيْنِ يَرْمِي الْأَخْطَلَ الْفَحْلَ بِالْخَطْلِ  
فَتَى قَوْلُهُ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ  
تَعَرَّفْتُ لَوْلَا يَوْمَ عَرَسِ أَبِي (الْفَضْلِ)  
يَرِيكَ مَجَارِي السَّيْلِ عَنْ صَيِّبِ الْوَبْلِ  
مُدَامًا حَلَا طَعْمًا فَأَوْحَى إِلَى النُّحْلِ

(١) تُوْفِي بَعْدَ سَنَةِ ١٢٨٦هـ / ١٨٦٩م .

بعرس فتى إن أمتدحه فأنما  
تخال على آبائه في جبينه  
له الفضل والعلياء عنهم وراثه  
ليهنى به (المهدي) والعليلم الذي  
أخوهم ترمى الجبال بمثلهما  
وكم من يد بيضاء نهدي يومضها  
أغر سمعك الداعي الصدوق لكي ترى  
به عقد الشرع المبين لواءه  
يكذب بالصفح الوعيد وأنه  
تطاوّل وكف السحب جوداً أكفه  
ليهن ويهنى الصادق القول (جعفر)  
تسنم من قب المعالي مطهماً  
تذكرنا أيديه في الناس (هاشماً)  
جداول مدت من شريعة (جعفر)  
مناقب لا تخصي عداداً وهل ترى  
فلا برحت أنواؤه مستهله

تخط بناني ما مكارمه ثملي  
فرنداً جلاه القين في صفحة النصل  
وحسن فعال المرء طيب عن الأصل  
قضايا الهدى كم فيه (انتجن) من (شكل)  
وتخرس أصوات الرعود عن الزجل  
بها شرعت للشرع واضحة السبل  
بفيه ازدحام المدح في قوله الفصل  
وقاد إليه الأمر في العقد والحل  
إذا قال وعداً صدق القول بالفعل  
فتدرك عام الخصب في سنة المخل  
أخو مكرمات كل جزئها كلي  
به حاز من دون الورى قصب النصل  
وتنسي ابن (مام) وابن (سهل) أخا الفضل  
فكم صادر عنهن بالعل والنهل  
فتى رام قبلي حصر منقطع الرمل  
تطاوّل منهل الغمام في الهطل

### ترجمة الشيخ مهدي في «يتيمة الدهر»

وقال السيد في (يتيمته) :

ونحمدك يا من تفضل علينا بالوحيد الرباني ، والوحيد الذي ليس له ثاني ، البدر  
الجللي ، المهدي بن علي ، المهدي بسنا أنواره من ضلّ مناهج الهدى ، والمبدد بجيوش أبكار  
أفكاره جيوش أولي الزيف والردى ، المحيط خبيراً بجميع العلوم ، والجامع بين المنثور والمنظوم ،  
سلطان العلماء الفحول ، والمنتج الفروع من الأصول ، من لو لبست حليته الليالي لقامت  
لها الحرياء تترقب ، ولو حاز الفجر شيئاً من سنا أنواره لما وجد - وحياة جدّه - غيب ،  
البحر الذي أمواجه ما برحت تمور وتزيد ، والعصب الذي ما انفكت صفاح متونه من برقيها  
قلب المعاند يردد ، من سادت أحكام الشريعة تيمس بأردان (محضورها) و(مباحها) مطرزة

بنقوش قوله في رياض القبول ، وصارت أعلام الخيفية البيضاء تنوس ذوائب سرورها  
وأفراحها بنسائم إشاراته على أعلام معقول لا يزلله المنقول ، من لا ينطق الحق إلا على  
لسانه ، ولا يلوح الصدق إلا من بيانه :

ملك ترى شم الأنوف من الوري	قد طأطأت لرفيع قدر جنبه
تلقى الوفود مقيمة في بيته	وترى الركائب في فسيح رحابه
متكفل أمر الأرامل كلها	بحضوره ما بينها وغيابه
يشفي بشهادة وصله كل الوري	من لسع غادرة الزمان ونابه
يعطي ويمنع من يشاء من الوري	ويسبب الأسباب في أسبابه
حياء رب العالمين تحية	في اللوح قد كتبت على أبوابه

فقد استل من غمد فكره العاملات من النصول ، في جميع المعقول والمنقول ، لا سيما  
الفقه والأصول ، فلم يدع جيش إيراد إلا بدده ، بما أصدره وأورده ، وجمعه وأفرده :

همام بظهر الغيب للغيب حافظ	ومن لم يفقه بالغيب في نطقه رجما
وكم من مراق في الفخار عليّة	رقاها ولم يحمل غداة الرقي همّا
حباؤه إله الناس في العلم بسطة	وأولاه مذك قد كان في مهده حكما

فهو العلم المنادى المفرد ، والعلامة المؤيد ، وبحر العلم الذي لا يجزر في المد ، ولا يوقف  
له على حد ، ساد الأنام ، وفاق بالاتفاق من غير نكير ولا جاحد ، ولم يحتج مدعي فضله  
إلى اليمين والشاهد ، وشاهد الوجدان له مساعد :

ولكم روت في الجود عنه مسلسلاً	قوم إليهم كل فضل يسند
بيض الوجه شريفة أحسابهم	ما فيهم إلا الأغر الأصيل

هذا ، وصلاؤه العائدة ، على موصلها شاهدة ، وأياديه الجزيلة ، تستجدي بها العفاة  
الفائدة ، وترى بعينيك ما برزت من مؤلفاته المنطوية على تحقيقاته ، المعربة عن وقوفه على  
الصحيح من روايات الحكم وآياته ، وتبحره في المعارف ، فكل ذي فضل من غزير أبحر  
علمه غارف ، وبما له في الدرجات عارف ، ومن ثم لم تزل له النفوس شائقة ، والأبصار  
وامقة ، مع قربه منها ، وعدم بعده عنها ، هذا همام ، وذاك إمام ، وهذا عظيم ، وهذا عليم ،  
وتلك طائفة ، وأخرى عاكفة ، مصغية العقول والأسماع ، مبهجة القلوب والطباع ، بما

يهدده هذا الأستاذ الوحيد ، والسناد الفريد ، من أصول القواعد ، وجليل الفرائد ، فتغدو بالأذهان منتقشة ، وبها الأرواح منتعشة ، فنأى من نأى من مستمعي ذلك منه ، ورواته عنه ، يجوب القفار ، قاصداً أفاصي الديار ، ومعلنأ في جميع الأمصار ، أن أستاذه إمام أئمة علماء عصره على الإطلاق ، حتى قام على ذلك الأجماع والوفاق ، فأنشأت فيه مخاطباً له :

ألاً يا أيُّها المولى المساوي  
لقد حزتَ المفاخرَ والمعالي  
جمعتَ فضائلًا كانتَ (لموسى)  
وما حازوه من مكنونِ علم  
لكَ المجدُ الذي أرسى خبَاهُ  
فلو بعثَ الألهُ بكُلَّ عَصْرٍ  
وأنشأتُ فيه أيضاً :

كَيْفَ تحكي أكفَّكَ الأنواءُ  
ولئن ضاقتَ البسيطةُ منَّا  
فتيةٌ حاولتَ مديحكَ لما  
ويحها ما درتُ بما قيلَ قدماً  
وصفتُ بالعطا أكفَّكَ مَدْحاً  
لكَ يا بنَ الألى مِرابِعُ جُود  
ما درى مَنْ غداً يُجاريكَ فخراً  
قد أطعتَ الألهُ سرّاً وجَهراً  
لِمَ لا والرؤوسُ تُطرقُ خفضاً  
وبنصبِ الرشادِ مِنْ بعدِ خفضٍ  
أو ما يأخذُ الحياءَ الحياءُ؟  
فلقد ضاقَ مِنْ نُهاكِ الفُضاءُ  
طفحتَ في ذواتِها الأهواءُ  
(غايةُ المدحِ في عُلاكِ ابتداءً)  
والعطا يُستمدُّ مِنْكَ العطاءُ  
حَبَسْتُ ركبَها بها الأمراءُ  
أنَّهُ الأرضُ والمقامُ السماءُ  
فاغتدتُ طوعَ أَمركَ الأشياءُ  
لعلاه وتخضعُ الرؤساءُ  
رَفَعْتُ رَأْسَها بِكَ الشُّرفاءُ

وقد بنى مدائن الفضل وشاد أركانها ، وأسس على التقى حيطانها ، وهو مالك تلك المدائن وبابها ، وبرّها وبحرها ، وربيب حجر أمّ علاها ، وشمس صباحها ، وسناء مصباحها ، فهل يستطيع الطير المحصوص باللقط إذا حلق وسقط ، التقاط مثل هذه الصورة ، وهي بهذا النمط ، وعمد إلى ما ينبت في رياض التحقيق والتدقيق ، وصيّره ما

بين دقيق وسحيق ، وكَوْن منه ذاتاً (غلاها) في (قَدْر) مُخَيِّلته فأحالها دَرّة وقذفها في جوفه فما لجوف غيره أن يحويها ، وما لدَّرَاكَة سواه أن تدرك قدر غاليها ، كلا فلقد كَلَّ عن ذلك العقل الكَلِّي ، ولن يصل إلى الجزئي منه فضلاً عن الكَلِّي ، وغاص ملك أرائه السديدة في بطحاء الوجود إلى التخوم ، وحلّق شاهقاً إلى الحيّ القيوم ، ورمى بقوس فكرته سهمَ الجَوْلان به ، من شرق الفضاء وغربه ، وخبطه بأيدي أفكاره ، بحسن استبصاره ، فوضعه في قالب الغلي بالنار ، وغلاه بنار الأوار حتى فار ، فصبّه صبّ السبائك سبيكة تلهث بالوقد ، فصفاها بمصفى الغش والنحوس من الذهب العسجد .

ومن ثم إغتدى في عصره الأوحّد ، وفي العلم المنادى المُفرد ، والأمام في الأبيض والأسود ، وابتدأ كما انتهى إليه النهي والسؤدد ، وجاء بما لم يَجئ به أحد ، من أفعال كريمة ، وأحوال مستقيمة ، وأياد عميمة ، ودرر في العلم لا تقابل بقيمة ، وراحت تزري بالنسيم أخلاقه ، وبالبدر إشراقه ، وصارت في الأجياد أطواقه ، وانتشرت أحاديث جوده ، وبرزت أعمار سعوده ، وبدت لوائح المسرات لكافة البريات من وَكف غمائم كفيه بجوده ، ورُحِتْ بلابل السعد فوق يانعات الغصون بحديث صدره وورده ، وخَطْبَتْهُ أمّ المعالي صغيراً ، وراودته بنات المكرمات شيخاً كبيراً ، وزَفَتْ له عرائس الرتب الفائقة بلا صداق ، واستنارت به بنو العصر على الأطلاق ، واحتجب بدر كماله عن سائم الخسوف والمحاق ، وتحجّبت شمس مقاله أن يطيبها الكسوف باستطراق .

ثم أن السيد<sup>(١)</sup> (ره) ذكر جملة من مدائح الشعراء في حق الشيخ مهدي ثم أعقبه بجملة من شعره في حقه . وحيث أنا قد ألزمت أنفسنا بأن لا نذكر إلا (السمين) من الأشعار وشعر هذا (السيد) يكثر عليه الغث غاية الأكتار ، على أنه قد مرّت عليك جملة انتخبناها من شعره .

إلى أن قال : ثم أن المعنيّ بالخطاب ، ومن غدت قصراً عليه هذه الألقاب ، بمن تقصر دونه البلاغة ، وتضعف عن جلّي حسامه في الفنون الصياغة ، لم يترك طريقاً من البلاغة إلا طرقة ، ولا معنى من الفصاحة ذا حجاب إلا اخترقه ، بسهام فكره ، ونبال عقود ألفاظه بنهيه وأمره ، ولم يدع لتكلم في قوس المعاني منزعا ، ولا لمنطيق في موطن المباني موقعا ، بل إذا نطق فبقول جامع ، يأخذ من جميع الطرق بالمجامع . فهيئات أن يجيز لي واجد المعرفة بكل ذات وصفه أن (أنقح) بينه وبين علماء عصره (مناط) التقابل ، حيث لا يرى في غيره التماثل معه والتشاكل ، فأنا بالتتبع والأستقراء ، من الأبتداء إلى الانتهاء ، لم

(١) هو السيد محمد علي العاملي المتوفى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م صاحب كتاب «يتيمة الدهر» .

نجد أحسن منه عملاً بما وصفه أهل العصمة ، وأولياء النعمة ، على طبق ما وقَّتوا ، ووفق ما نعتوا ، ليلاً ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، ولا خيراً منه تديساً وإيقافاً للأسماع على العلم النافع ، والمطلوب الجامع ، للمبس الاقتصاد ومشى التواضع ، ولم لا وهو فتى يُبعدُ قلمه إذا كتب عن الزيف ، وينحيه عن الميل والحيف ، فأَنْ أوجز أعجز وأغرب ، وأن أطنب أعجب .

ولم يزل السيد (ره) في هذا وأمثاله معجباً مطيلاً في وصف أحوال هذا الأمام (المهدي) بأفعاله وأقواله ، إلى أن ختم الترجمة بقصيدة طويلة في مدحه ، أولها :

يا مَنْ له ألقى الزمانُ المَقُودا      وبجوده جُودُ الوجودِ تقلداً

وحيث أنها من شعره (الذي عرفت) أعرضنا عنها .

ولكنه ذكر من شعر غيره قصيدة في مدح الشيخ مهدي (ره) مع تخميسها ، وهي في غاية المتانة والقوة . ولكنه لم يذكر صاحب الأصل وصاحب التخميس . ولكنني أظن ظناً قوياً أن الأصل للسيد صالح القزويني البغدادي المتقدم ذكره مراراً والتخميس لولده السيد راضي القزويني صاحب التخميسات المشهورة . والذي يدل على ذلك زيادة على كون النفسُ واحداً بملاحظة شعرهما المعلوم أنَّه لهما ، أن السيد مُحَمَّد علي هذا قال : وأنشأ به غيري ، ثم ذكر هذه القصيدة مع تخميسها ، ثم ذكر بعدها : وأنشأ به أيضاً ، ثم ذكر القصيدة التي يهنئ به في العيد وهي للسيد صالح القزويني وتخميسها لولده السيد راضي ، وهي قوله :

ملكْت يا ذا المعالي كُلَّ موجودٍ      جُوداً وحلَّيت فيه عاطل الجيدِ  
إليَّةً بعلَى آبائك الصيدِ      ما العيدُ لو لم تقم بالأمرِ بالعيدِ  
مِنْ بعدِ أهليكَ أهلِ العلمِ والجُودِ

وقد مرَّت القصيدة مع تخميسها . فكأنَّه يظهر من تعبيره أنَّهما لواحد .

وكأنَّ السيد مُحَمَّد علي لم يذكر اسمهما عدم اعتناء بهما كما هو شأن المتعاصرين غالباً . والأنصاف أنَّه مدة عمره ما اهتدى إلى إنشاء بيت واحد مثل بيت من أبياتها المشيِّدة التي هي كالثلاثي منضدة . وهي مع التخميس هذه ، ولم يذكرها من أولها ، قال :

فتى طال أهل الدهر طرّاً بفخره      وطوقَ أعناقَ البرايا ببرّه  
كرِّمٌ غدا المعروف طَوْعاً لأمره      له من (علي) القَدْرِ شامخ قدره  
وفصل قضا من (جعفر) ما له ردُّ

به مقفلاتُ العلم للناس فتّحتُ      وفيه أحاديثُ العلوم تصحّحتُ  
ومُدّتْ ماتَ (موسى) والأمانى طلحتُ      تورّثَ من (موسى) عصاه فأصبحتُ  
لنا يدهُ البيضاء من يدهِ تبدو

فلله من مولى به العلم قائمُ      قيامُ المعالي والنهى فيه هائمُ  
له كالبدور التّم سارتْ مكارمُ      وسادتْ بأفقِ المكرماتِ عزائمُ  
له كالنجوم النّيرات لها وقْدُ

لقد عمّ أهلَ الأرض طُراً عطاؤه      وطالَ على شهبِ السماء علاؤه  
ودامَ بلا حصرٍ وعدّ حباؤه      وفاضَ بلا رعدٍ وبرقٍ حياؤه  
حيّاً ومن شأنِ الحيا البرق والرعدُ

به تهتدي أهل الضلالة للهدى      وفيه نكيد الدهر إن كاد بالردى  
فتى ضيق الدنيا ببطش على العدى      وأوسعَ رَحْبَ الأرضِ في واسعِ الندى  
فلم يخلُ غورٌ من نداهُ ولا نجدُ

رفعتَ بنصب في الورى كُلّ مُنكر      وعرفتَ بالمعروف كُلّ مُنكر  
ومُدّتْ شيبَ جوداً صفوهم بمكدر      أعدتَ عليهم عهدَ جدك (جعفر)  
بتجديدك النعمى وإن قدّم العهدُ

وفيتَ لهم في كُلّ عهد ولم تخنُ      وجئتَ عليهم في النوال ولم تَمُنْ  
وصنتَ الورى فضلاً وغيرك لم يصُنْ      وأمنتهم من كُلّ خوفٍ ولم يكنْ  
سواك الورى للخوف في الأمن قدّ عدّوا

فيا مَنْ يُجِيرُ الناسَ مِنْ كُلّ نكبة      ومن ينجلي فيه دُجى كُلّ كربة  
سموتَ بني العلياء في كُلّ رتبة      وحزّتْ رهانَ السبق في كُلّ حلبة  
فكنتَ المُجلىّ ، والمُجلىّ له المجدُ

أقمتَ على المعروف فضلك شاهداً      وسدتَ بني العلياء وليداً ووالداً  
وصلتَ بعزم للردى كان ذائداً      وأقدمتَ إقدامَ الغطاريفِ وارداً

موارد عنها يحجم الأسد الورد

لك العلم أضحي مجملًا ومفصلاً      وعنك حديث الفضل يُروى مُسلسلاً  
ولما إليك الصيد راموا توصلاً      بُعدت فلم تقرب لك الصيد منزلاً  
على أنهم في القرب منك لهم بُعد

لقد كنت للأجین في الخوف مأمناً      تبعد عنهم كل سوء لهم دنا  
(والبجزم) بعد (النصب) مُذْ (خَفَضَ) العنا      (رفعت) لهم بعد العنا علم الهنا  
فأنت المُنَادِي فيه والعلم الفرد

سحاب الندى من فيض بحرك ممطر      وصبح الهدى من صبح مجدك مُسفر  
ووجه العلى من نور وجهك نير      وروض الهنا من فيض جودك مزهر  
وطائره من فوق دوح الهنا يشدو

وكم صلت في غضب من العزم مُصِلت      وأحييت جوداً للعلى كل ميت  
ففيك لنا المعروف قام بُمُتبت      وفيك العلى والعلم بعد تشتت  
قد انتظما شملاً كما انتظم العقد

سبقت بني العليا بكل سجيّة      وكنت على أهل الحمى ذا حميّة  
إذا أطردت في الناس كل بليّة      عكست شتاتاً طرد كل (قضيّة)  
ولولاك عند الطرد ما انعكس (الطرد)

وحيد له في الدهر تُثنى وسائد      ومن جوده كل البرية وارد  
هُمام يوم الخوف للأمن قائد      إمام بحل الضر للنفع عاقد  
فكان كأهليه له الحل والعقد

هذا لعمرى هو السحر الحلال ، والعذب الزلال ، الذي يسكر الطباع ، ويسحر الألباب  
والأسماع ، وتجري جداول البلاغة والفصاحة في خلاله ، وتشدو عنادل اليراعة على  
أوراقه بأبكاره وأصالة .

هذا ، واعلم أن كل ثناء ومدح وإن علا ، وتناهى قليل في حق مثل هذا العيلم الذي لا



يبارى فضله ولا يضاهى ، فأنَّ كراماته لا تُعدُّ ، ومناقبه لا تُحدُّ .

## كراماته

فمما ينقل عنه من الكرامات التي لولا بلوغها حدُّ التواتر لما صدَّق بها السامع ، إلا أن يكون الوحي بها صادع ، وقد سمعتها من شيخنا العلم العباس (أدام الله وجوده) نجل العلامة الحسن (ره) بطريق ، وسمعتها من تلميذه العلم الرباني ، شيخنا وملاذنا العلامة الشيخ حسن المغمغاني<sup>(١)</sup> ، بطريق يقرب منه .

والحاصل أن هذه القصة متواترة معنى ، والقدر المتيقن منها أن الأستاذ الشيخ حسن المغمغاني (سلمه الله) قال : كان الشيخ إذا رقى منبر التدريس جرى كالسيل الدفّاع بحيث لا يقف ولا يسكت في الأثناء ، فكأنما يملئ علينا حديثاً أو دعاء ، وكنا نصغي بجميع جوارحنا إليه ، ونقبل بكلنا عليه ، فلو غفل أحدنا عنه أنا فأتته مطالب عديدة ، كلها مبتكرة جديدة . فجري يوماً بمحضر الشيخ هذا الحديث فصرت أعجب عنده بطلاقة لسانه ، وحسن تقريره وبيانه . فقال : أمّا قبل فنعم ، وأمّا الآن بعد تكاثر الأمراض وهجوم الشيب فلا .

ثم أخذ يحدثنا فقال : لما توفي السيد رضا نجل العلامة الطبطبائي (ره) كانت وفاته عند المغرب ، فأخرجوا جنازته وجعلوها في مسجد الطوسي (ره) . واجتمعت عنده العلماء لقراءة القرآن حتى الصباح ، وكان فيهم والدي الشيخ علي (ره) والشيخ مُحَمَّد حسن صاحب الجواهر ، فجعل كل واحد من الحاضرين يقرأ شيئاً من القرآن والباقون يستمعون . فلما انتهت الدورة قال والدي : ما أعجبت بقراءة واحد منكم كأعجابي بقراءة ولدي (المهدي) .

فقليل : وكيف؟

فقال : أنه يقرأ العشرة أجزاء والأثني عشر بأقل من ساعة مع الالتزام بجميع القواعد التجويدية مع الأفصاح والأيضاح .

فأصرَّ الشيخ مُحَمَّد حسن على استحالة هذا الأمر . فبعث والدي عليّ فجئته وكنت يومئذ مناهز العشرين ، فأمرني والدي بالقراءة . وكان في الحاضرين رؤساء قراء العراق

(١) الشيخ حسن المامقاني ولد سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م ، وتوفي سنة ١٣٢٠هـ / ١٩٠٢م . وكان من كبار المراجع الدينيين .

وهما إثنان فأخذوا ينظرون في المكان الذي شرعت في قراءته ليحسون الأغلاط والباقون يستمعون . فأكملت ثلاثة عشر جزءاً من القرآن بأقل من ساعة ، ولم يعثروا في جميع قراءتي إلا على غلطة واحدة وهي الدرج إما في همزة قطع أو وقف مستحب .

وفي رواية عمنا العباس (سَلَّمَهُ اللَّهُ) أَنَّهُ قَرَأَ سِتَّةَ أَجْزَاءٍ فِي خَمْسَةِ عَشْرَ دَقِيقَةً . وَإِنْ صَحَّ هَذَا أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْهُ ، فَهُوَ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْخَارِجَةِ عَنْ طَوْقِ الْبَشَرِ . وَلَكِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

ومنها : ما حدثنا به تلميذه وربيبه الذي هو اليوم من الأساتيد الكبار ، والفقهاء المُقَلِّدِينَ فِي جَمَلَةٍ مِنَ الْأَقْطَارِ ، الشَّيْخُ الْأَجَلُّ ، وَالْعِمَادُ الْمُبْجَلُ ، الْعَالِمُ الرَّبَّانِي ، شَيْخُنَا الشَّيْخُ عَبْدَ اللَّهِ الْمَازَنْدَرَانِي<sup>(١)</sup> ، (دَامَ ظِلُّهُ) . قَالَ فِي مُحْشَدٍ عَظِيمٍ مَا مَعْنَاهُ وَمُضْمُونُهُ (بَلَا زِيَادَةَ وَلَا نَقِصَةَ) أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ زَوْجَةٌ صَالِحَةٌ عَلَوِيَّةٌ ، وَكَانَتْ نَاسِكَةً تَقِيَّةً ، كَانَتْ تَقْلُدُ الْأَسَاتِذَ الشَّيْخَ مَهْدِيَّ وَتُصَلِّيُ خَلْفَهُ مَدَّةَ عَمَرِهَا ، فَمَرَضَتْ مُرَضاً شَدِيداً وَصَرَتْ أَعَالَجَهَا وَأَجْعَى لَهَا بِالْدَوَاءِ وَالطَّبِيبِ حَتَّى انْقَطَعَتْ عَنْ اشْتِغَالِيَّ وَتَحْصِيلِيَّ مَدَّةَ شَهْوَرٍ . وَكَانَ الْأَسَاتِذُ الشَّيْخَ مَهْدِيَّ (رَه) يَتَفَقَّدُونِي أحياناً وَيَجْعُونَ إِلَيَّ يَسْأَلُونِي عَنْ حَالِهَا وَحَالِي لِأَنَّهُ كَانَ يُحِبُّنِي حُبّاً شَدِيداً .

فلما دخل شهر صفر كانت لي في بعض لياليه عادة في الجلوس بالدار الخارجة لتعزية سيد الشهداء (ع) وتجتمع عندي بعض الطلبة من أهل بلدي وغيرهم . فلما فرغت من المجلس وكان قريب نصف الليل دخلت على العلوية . وكان حالها في تلك الأيام شديداً ومرضها متزايداً ، فوجدتها جالسة في فراشها متكئة على الجدار وهي متسترة (بجادر) لها كأن معها مَنْ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهَا وَهِيَ تَسْتَرُ نَفْسَهَا عَنْهُ . فَقُلْتُ لَهَا : مَا بِكَ وَكَيْفَ حَالُكَ؟

فَقَالَتْ : الْحَمْدُ لِلَّهِ حَالِي حَسَنٌ جَدّاً بِوَاسِطَةِ قُدُومِ الشَّيْخِ عَلِيِّ وَعِيَادَتِهِ لِي الْآنَ .

فَقُلْتُ : وَيَحْكُ أَيُّ شَيْخٍ هُوَ؟

قَالَتْ : الشَّيْخُ مَهْدِيٌّ كَانَ الْآنَ جَالِساً قَرِيباً مِنِّي فَأَيْنَ مَضَى؟

قُلْتُ : أَنْتِ نَائِمَةٌ أَمْ مُسْتَقِظَةٌ ، أَيْنَ الشَّيْخُ ، وَأَيْنَ نَحْنُ وَكَيْفَ يَجِيءُ نَصْفَ اللَّيْلِ؟

فَجَعَلَتْ تُقْسِمُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ أَنَّهَا بِتَمَامِ الشُّعُورِ وَالْعَقْلِ وَأَنَّهَا مُسْتَقِظَةٌ وَأَنَّ الشَّيْخَ دَخَلَ عَلَيْهَا فَتَسْتَرَّتْ مِنْهُ وَرَأَتْهُ بَعِينَهَا وَهُوَ لَا بَسَ عِمَامَةٍ بَيْضَاءَ وَرَدَاءَ أَبْيَضَ وَثِيَابَ بَيْضَ ، وَأَنَّهُ

(١) تُوفِيَ الشَّيْخُ الْمَازَنْدَرَانِي عَامَ ١٣٣٠هـ / ١٩١١م ، وَهُوَ مِنْ مَوَالِيدِ سَنَةِ ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م .

جلس عندها نصف ساعة .

ثم قالت : أخرج فانظره في الطريق عساك تلحق به .

فخرجت ونظرت في الأزقة فلم أجد لذلك أثراً . فرجعت إليها وأخبرتها فتأسفت أسفاً شديداً . فقلت لها : وماذا كان يتكلم ، وما قال لك ؟

قالت : أنه سألني عن حالي ، فقلت له : أنا غريبة ومرضي شديد ومالي أحد يمرضني وأنس به والشيخ عبد الله مشغول هذه الأيام وأنا خائفة مستوحشة . فقال : لا تخافي ولا تستوحشي وأنت معنا ، وقد أوصيت بك جماعة سيأتوك بعدي . قالت : ثم كرر مراراً قوله : « أنت معنا الليلة » . . . « أنت معنا الليلة » .

ثم بينما نحن كذلك إذ دخلت علينا ، والتفت فلم أجد الشيخ مهدي .

يقول الشيخ عبد الله (أيده الله) : فبقيت مبهوتاً متحيراً مصدقاً مكذباً . وأما (العلوية) فأنها استلقت على فراشها ونامت يسيراً ، ثم انتبهت وجعلت تتشاهد وتقرأ كلمات الفرج وإذا بها قد استعدت للمنية . وما كان غير يسير إلا وقضت نحبها وماتت . فجلست عند رأسها أقرأ القرآن وأنتظر الفجر لأستعد لجهازها وأجمع بعض الطلبة من رفقائي ليعينوني عليها .

فلما كان بين (الطلوعين) خرجت لأجمع رفقائي وإذا (البلد) مرتجة والناس في الأزقة تلطم على رؤوسها وتبكي وتهرع إلى جهة دار (الشيخ) . قلت : ما الخبر؟ قالوا : الشيخ مهدي قد توفي .

فطار عقلي وطاش لبّي ومضيت إلى دار الأستاذ ، فقبل : توفي في الثلث الأخير من الليل فجأة (بريح كان في متنه يعرضه أحياناً) . فجمعت بعض الطلبة من أهل بلدي ، ودفناها ، ورجعنا إلى تشييع الشيخ ، فدفن بعدها بيسير من ذلك اليوم .

ثم نصبت المآثم في دار جدّه الكبيرة ، واتصلت النياحة بالنياحة ، والعزاء بالعزاء إلى آخر صفر . وبقيت العامة والخاصة في سائر لياليه تخرج بالأعلام السود والمشاغل وتلطم على الصدور ، وتدعو بالويل والثبور ، وهكذا في سائر أمصار العراق .

## مراثيه

وجاءت الشعراء تترى ، بمراث تستنزل برقتها الشعرى ، وهي كثيرة لا يمكن حصرها ، ولا يستطيع ذكرها . كيف وقد بلغني أنها تبلغ الألف من تاريخ وقصيدة ، لأن كل شاعر كان يأتي بثلاث أو أربع من سائر الأقطار . ولكننا ننتخب منها مقداراً يسيراً خوفاً الملل من الأكثر .

وأحسن ما قيل فيه ، وأبدع ما سُمع من مراثيه ، ما جاء به الحسيب الحائز قصب السبق في مضمار كل مكرمة ، والأديب الفائز بمحاسن من الكمال لدى الأصاغر والأكابر مسلمة ، المرتقي المجد الأثيل ، والملتطي صهوة الشرف الذي لا يقاس بمثيل ، الذي ذاع ذكر فخره في جميع الأقطار ، السيد الأوحّد سيدنا السيد حيدر (ره) صاحب المراثي التي عجزت أولو الأعجار عن مجاراتها ، وانبرت أقلام شعراء البر والبحر عن مباراتها ، فقال يرثيه ويعزي أولاده وإخوته :

<p>أعلمت طارقة الخطوب السود ونزعت - يا نزعت يدك بنانها - ونعم فهبك قرعته بمرنة أفطرت إلا قلب حامية الهدى وبللت إلا في مدامع عينه الآن مات العلم واندرس الثقى فجعت بنو الدنيا بزاد مقلها وسرى فطبقةها عليه مائماً صلّى الأله عليك من مفقود شغلت رزيتك الملائك فاغدت وكفاك قدراً أن نعيك في السما وبرفعها ذاك السرير تقربت رفعت به الأخوين شخصك والثقى وبكاك دين الله بالعين التي عدلت رزيتهم رزيتك التي</p>	<p>بحمى الوصي صدعت أي عميد من قبة الأسلام أي عمود صماء تأخذ من قوى الجلمود وصدعت إلا بيضة التوحيد ذاك الصعيد على أجل فقيد وعفي السماح وطاح كف الجود وبري حائمة الرجا المطرود ناع تضيق به رحاب البيد جل المصاب به عن التحديد لك في هبوط عن جوى وصعود خلطته بالتقديس والتحميد زلفى إلى خلاقها المعبود وتلته بالتسبيح والتمجيد بكت الأئمة علة الموجود قصمت عرى الأيمان والتوحيد</p>
--	--

ماذا يُؤاري خطُّ قبرك من حجيٍّ  
إنَّ مسَّ مهجورِ الفناء فطالما  
أو إنَّ تكنُ جمدتُ بنائِكَ بالردى  
أو قلَّ من أيامِ عُمرِكَ عَدها  
تبكيكَ عينُ كَمِ مسحَتِ دموعَها  
لم تبقَ بعدَكَ للمطالب نُجعةٌ  
هدمَ الردى بك ركنَ علةٍ (أحمد)  
غسلتُ سوادَ عيونِها بدموعِها  
صُبغتُ بها تلكَ الثيابَ فسودَّتْ  
ورأتُ بقيةَ فخرِها قد أذرجتُ  
كم ردَّ غُربَ الخصمِ وهو مَرَكَبُ  
ووقى بمهجتهِ الكريمةِ قلبَها  
فكأنَّها في صبرِها دونَ الهدى  
بأبي الذي عقدوا عليه رداءه  
لبسَ الحياةَ فصانَ ظاهرَ بُردِها  
حتى استجدَّ سواهُ ثوباً للبلَى  
يا ثاوياً خلفَ الصَّعيدِ كفى جوى  
لثراكَ أَسْتَسْقِي ثلاثَ سحابٍ  
فسحابةٌ وطفاءُ منك تَعَلَّمْتُ  
وسحابةٌ من جودِ كَفَكْ أنبتت  
وسحابةٌ من عبرتي ما أن رنتُ  
هي بالزفيرِ إليك ذاتُ بوارقٍ  
فاذهبْ حميداً في الجنانِ مُخلِّداً  
ولقد دعوتُ الدينَ بعدَكَ دعوةً  
لا تخشَ ضَعْفاً في الزمانِ وإنَّ غداً

يزنُ الجبالَ ومنْ ندى مورودٍ  
وقفَ الرِّجاءُ ببابِكَ المقصودِ  
فعليكَ عينُ الجُودِ غيرُ جَمودِ  
فكثيرُ بَرِّكَ ليس بالمعدودِ  
ببرودِ فضلٍ لا بفضلِ بُرودِ  
طُويَ الرِّجاءُ على حشا مكمودِ  
ولطالما بك كان للتشديدِ  
فصبغن أُرديَةَ الكرامِ الصَّيدِ  
وجهَ الزمانِ بذلك التَّسويدِ  
في بُردِ شخصٍ بالفَخارِ وحيدِ  
منها بشجرةِ نحرِها والجيدِ  
من أسهمِ الأعداءِ كُلِّ مُبِيدِ  
مع فرطِ رقتِها مجنُّ حديدِ  
والخيرُ تحتِ لوائِهِ المعقودِ  
بصلاحِهِ وَعَفافِهِ المشهودِ  
ومضى على كرمِ نقيِّ العُودِ  
إني دعوتُكَ من وراءِ صعيدِ  
متكافئاتِ كلِّها في الجودِ  
للأرضِ سقيَّ تهائمٍ ونجودِ  
شُكْرَ العُفْفاءِ بذَرِّها المحمودِ  
إلا وقال لها إفتقاذُكَ جودي  
ومن الحنينِ عليك ذاتُ رُعودِ  
فالعيشُ بعدَكَ ليس لي بحميدِ  
يستكُّ منها سَمْعُ كُلِّ حقودِ  
يُرسی بدهيَّةٍ عليك كؤودِ

فبه لك (المهدي) <sup>(١)</sup> أمنع قوة  
نسجت حميته عليك صنعة  
فإذا دجا ليل الخطوب فلقتة  
(علم الهدى) السامي الذي هو في كلا  
و(مفيد) فضل لو أتى العصر الذي  
هو (آية الله) التي قد أبطلت  
وأبو (المصابيح) التي شهب السما  
لو فاخرت نهر (الجرة) في السما  
ذاك الذي في الجود أرسل (صالحاً)  
و(محمّد) منه (الحسين) فعاذر  
أقمار تم في بروج سما العلى  
وأسود غيل في المهابة لو حموا  
وترى المكارم في مناقب فخرهم  
من كل محتلب البنان رقيقها  
ويقول للكف الكريمة كلما  
يا عترة الوحي الذين توطدت  
دُمتم لنا والعز فوق رواقكم

تأوي لركن من علاه مشيد  
لم تقص نثرتها يدا (داود)  
من ضوء صبح جبينه بعمود  
حسبه ساد على الكرام الصيد  
فيه (المفيد) لقال: «أنت مفيد» <sup>(٢)</sup>  
في العالمين عناد كل جحود  
رمقت مطالعها بطرف حسود  
غلبت (بجعفر) جودها المورود  
لكن لأهل الفضل لا (لثمود)  
إن قلت أرسل (خاتماً) للجود  
شرفاً تضيء على الليالي السود  
مأوى الظباء لكان غيل أسود  
تختال بين قلائد وعقود  
في كل جامدة الضروع صلود  
بدأت بعارفة بذاراً عيدي  
بهم دعائم ملّة التوحيد  
والفخر تحت طرافه الممدود

(١) هو السيد مهدي القزويني، وقد مرّت الإشارة إليه في قصائد الرثاء .  
(٢) المفيد: هو الشيخ محمد بن النعمان، شيخ الأمامية، ومُشيد المذهب الاثنا عشري ولد سنة ٣٣٦هـ / ٩٤٨م، وتوفي سنة ٤١٣هـ / ١٠٢٢م وقد عاصر الدولة البويهية، ولقب بالمفيد لغزارة علمه .  
وقد أشار الشاعر في هذا البيت إلى لقبه كما ضمّن لقبين آخرين لكبار علماء الأمامية وهما (علم الهدى) الشريف المرتضى المولود سنة ٣٥٥هـ / ٩٦٦م، والمتوفى سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م، و(آية الله) وهو لقب العلامة الحلّي المتوفى سنة ٧٢٦هـ / ١٣٢٥م .  
وقد ذكر الدكتور محمد مهدي البصير في (نهضة العراق الأدبية، ص ٤٠): أن الأمام السيد مهدي القزويني كان يُعَدُّ السيد حيدر الحلّي أكبر شاعر طالبي، ويُعرب عن تقديره له، وإعجابه به في كل مناسبة؛ ولما سمع قوله فيه:  
و(مفيد) عصر لو أتى العصر الذي فيه (المفيد) لقال: «أنت مفيد»  
قال له بصوت فيه رنة الإعجاب: «أنت مفيد»، واستعاد البيت .  
وروي أنه لما سمع قوله فيه:  
فاللوم إن شكت الشريعة قرحة فسوالك ليس بمذمّل أقرأفها  
قام، واستعاد الشعر، وخلع عباءته عليه .

إحسان عن علم الثقي المفقود  
شرفاً بفضل طارف وتليد  
بأبي (محمّد) وهو عقد الجيد  
فكأنه لم يطو في الملحود  
لو كان فيها موضع لمزيد  
لندی يديه لم تكن بولود  
وأكفهم في الجوسحب الجود  
قطعت مهابتكم لسان نشيدي

وبحسبكم علم الشريعة (جعفر) الـ  
والغر من آل المكارم من سموا  
قد ردّ عقد الفخر في جيد العلى  
وأعاد يا دار الهدى لك (جده)  
أحيا مآثره الحسان وزادها  
لو لم تبت أم السّماح طروقة  
يا من وجوههم مصايح للهدى  
ماذا أقول معزياً بنشائدي

وله أيضاً يرثيه ، ويعزّي السيد العلامة السيد مهدي القزويني مع الشيخ جعفر أخيه ،  
وسائر أولاده وبنيه :

فلذلك انعقدت لرزتك مأتما  
فالغيث كان لها وجودك توأما  
واليوم تحلبه محاجرهما دما  
إلا وجفن الدهر غمض من عمى  
شطرين صاباً في الزمان وعلقما  
وأغص في شطر (لجعفرها) فَمَا  
فَعَدَا كَلَا الْعَيْنِينَ ثَقَلًا أَعْظَمًا  
زَالَتْ وَمَا أَعْنِي سَوَاكَ (يلملما)  
رُكْنَا زَمَانِكَ ثُمَّ لَمْ يَتَهَدَّمَا  
هُوَ مِنْهُ فِي الْأَرْضِينَ أَعْظَمَ فِي السَّمَاءِ  
أَيُّ الْقُلُوبِ أَحَقُّ أَنْ تُتَضَرَّمَا  
أَعْلَمْتَ بَعْدَكَ كُلُّ أَفَقٍ أَظْلَمَا  
وَلَكَّمْ لَحِظْتَ بِهِ الْحَوَاسِدَ أَرْقَمَا  
قَسْرًا وَلِلْأَمَالِ بَعْدَكَ حُومًا

ملأت مكارمك البسيطة أنعما  
ولئن غدا فذا مصائبك في الورى  
بالأمس قد رَضَعْتَ بِنَانِكَ دَرَّهَا  
مَا غُمُضْتَ أَجْفَانُ عَيْنِكَ عَنْ رَدَى  
حَلَبَ الْحَمَامُ أَبَا (الأمين) بك الجوى  
فَأَغْصَ فِي شَطْرٍ فَمَا مِنْ (هاشم)  
قَسَمَ الرِّزْيَةَ فِي السُّوْيَةِ فِيهِمَا  
وَأَمَّا وَسَاعَتِكَ الَّتِي (بيللم)  
مَا خَلَتْ فَقَدْكَ يَسْتَقِلُّ بِثِقَلِهِ  
فَلَقَدْ أَطْلَغْدَاةَ يَوْمِكَ فَادِحَ  
فِي نَارِهِ اسْتَوَتْ الْأَنَامُ فَمَا دَرَوْا  
يَا مَنْ أَضَاءَ بَنُورِهِ أَفَقَ الْهُدَى  
مَنْ رَدَّ طَرْفَكَ عَنْ فَتُورِ مَغْضِيَا  
أَبْكَيكَ لِلْأَحْسَانِ غَاضَ نَمِيرُهُ

وأقام ميت العزم لا متلوّما  
 قطعت ولا وصلت بكفك معصما  
 رجفت فلم أملك لهنّ به فَمَا  
 نفذت فكانت في فؤادي أسهما  
 بأبي جفونك ما أعفّ وأكرما  
 عبر الحمام إليك بحرأ مُفَعَمَا  
 وطووك واللمعات عن وجه السما  
 فكأنما دفنوا الكتاب المحكّما  
 ظلّوا بمجهلها الطريق الأقوما  
 فأضأتها وولدت فيها (أنجما)  
 من مذهب للحق يُرغم مجرما  
 وعلمت ذلك جهد من قد أقسما  
 لا تستبيح يد النواثب ما حمى  
 وجدوه أخرى القوم أن يتقدّما  
 وإذا تكلم لم تجد مُتكلّما  
 من ذروة الجوزاء أشرف مُنتمى  
 ركبوا من الشرف السنام الأعظما  
 وتوارثوا فيه العلاء الأقدما  
 وبهم أنار الله ما قد أبهما  
 ظمئت إلى ذاك الرواء ولا ظما  
 جدثا به دفنوا الصراط الأقوما  
 بُرج الهداية منك بعدك أبهما  
 مثلاً لها أم الكواكب في السما  
 بك أن تعود فيغتدي متبسّما  
 (مولي) له الدهر اغتدى مُستخدّما<sup>(١)</sup>

ولطالب المعروف ألقى رحله  
 قطعت بك الأيام أمال الورى  
 ولقد سدّدت فم النعي بأغل  
 فأقرّ في سمعي أمض قوارع  
 ينعي جفونا كان يرخيها التقى  
 وأنا ملاً منها بأعظم كلفة  
 رفعوك والبركات عن ظهر الثرى  
 دفنوك وانقلبوا بأعظم حيرة  
 لولاك يا (مهدي) آل مُحَمَّد  
 أشرقت شمساً في بروج سما الهدى  
 لولاك ما وجدت ولولا (جعفر)  
 أقسمت بالشرف الذي قد حزته  
 لقد احتمت منه الشريعة في فتى  
 وإذا ذوو الفضل استوت أقدامهم  
 ومن السكينة والوقار سكوتهم  
 هو خير من نعت العلاء وأله  
 (الجعفرين) الذين بمجدهم  
 رفعوا على أولى الزمان رواقهم  
 بالسيد (المهدي) ثم (جعفر)  
 يا موصلاً مني رسالة ذي حشى  
 بلغ - بلغت الخير - خير مؤسّد  
 يا بدر إن تك قد أفلت فلا تخل  
 فلقد ولدت به كواكب لم تلد  
 لو عدت للدنيا ومن لزمانها  
 لرأيت (صالحها) (أميناً) للعلی

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «أشار بهذا البيت إلى جميع أولاده مع التورية» .



وتلطفَتْ وطفاءً تحلبها الصَّبَا      بشرى حَوَاكْ فُضْمَ عَضْباً مُخْذَما  
أفصحتُ من وجدي إليك بدعوة      رُبما ذمَّتْ بها الزمانُ الأعجمَا  
قَدْ كُنْتُ لي بجميلِ ذِكْرِكَ (مالكا)      فلئن بقيتُ لأنسينَ (مُتَمِّما)

وقال العالم الكامل ، والعيلم الذي جمع طرفي العلم والأدب حتى أصبح بلا مماثل ،  
زين العباد والمجاهدين ، شيخنا الشيخ جواد محيي الدين<sup>(١)</sup> ، وهو الآن من العلماء  
الفضلاء ، ويقوم الجماعة في الصحن الشريف ، مربعاً ومصيف ، فيا سلّمه الله وأبقاه ،  
علماً يرجع إليه كلّ منيب وأواه ، يرثيه مع السيد علي الطبطبائي<sup>(٢)</sup> المتقدم ، ويُعزّي الشيخ  
شيخ جعفر أخاه والشيخ صالح مع باقي بنيّه ، وهي ، (وقد أجاد) :

عَلامَ بنو العَليّا تُطأطأُ هامَها      أَهْلُ فَقَدْتُ بالرغم منها إمامَها؟!  
نعمْ غالها صرفُ المنون بفادح      عراها فأشجى شيخَها وغُلامَها  
لقد هدَمْتُ كَفُّ الردى كهفَ عزّها      وأوهتْ مبانِها وهَدَّتْ دعامَها  
وجذَّتْ لها الولاياتِ عرَينَ مجدها      برغمِ معاليها وجبَّتْ سنامَها  
لوتْ جيدَها حُزناً ولَفَّتْ لواءَها      وثَلَّتْ عواليها وفَلَّتْ حُسامَها  
فَقُلْ ويكَ للأرزاءِ كُفّي عن الورى      فَقَدْ بلغتْ بالرغم منها مرامَها  
لها الويل كم شنتْ خيولَ صُروفِها      على (النجف) الأعلى فَعَالَتْ هُمامَها  
وطافتْ بأرجاءِ (الطفوف) فاطفاتْ      سراجَ معاليها وأرختْ ظلامَها  
فرزُ الفتى (المهدي) كانَ ابتداءَها      ورزُ (علي) القَدَرِ كانَ إختتامَها  
وقَدْ راحتِ الدُنيا تموجُ بأهلِها      لعمرِك هلْ شاءَ الألهُ إنعدامَها  
فكم طُبِّقَتْ بالحُزن شجواً لَنازل      يُزلزلُ منها سهلِها وأكامَها  
بمن تأملَ الأعلام عزّاً وَقَدْ قَضَى      حماها ومَنْ يرمى لديها ذمامَها  
ومَنْ بَعْدُ للأحكامِ يُيدي حلالِها      إذا اشتبهتْ بين الورى وحرّامِها  
ومَنْ بَعْدُ للوفادِ يُنجحُ سؤلِها      ويُنعشُ عافيه وَيَشفي سَقامَها  
وذى حرمةِ الأسلامِ ينعى لها الهُدَى      مدى الدهر فينا عزّها واحترامَها

(١) توفى سنة ١٣٢٢هـ / ١٩٠٤م .

(٢) السيد علي نقى الطباطبائي حفيد (صاحب الرياض) ، ولد سنة ١٢٢٦هـ / ١٨١١م ، وتوفى في (٦) صفر  
سنة ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢م . أي قبل وفاة الشيخ مهدي كاشف الغطاء بأسبوع واحد .

أَقُولُ وَهَلْ يُجِدِي التَّمَنِّي لِقَائِلِ  
 فَيَا لَيْتَ نَفْسِي دُونَ نَفْسِ ابْنِ (جَعْفَرِ)  
 وَلَيْتَ يَدًا ضَمَّتْهُ بِالرَّغْمِ فِي الثَّرَى  
 فَيَا (صَالِحِ) الْأَفْعَالِ وَالْعَالَمِ الَّذِي  
 فَعَزَّ الْفَتَى الْمَوْلَى الْمُهَذَّبَ فِي الْوَرَى  
 وَعَزَّلْنَا أَعْمَامَكَ الْغُرَّ مَنْ بِهِمْ  
 أَمَاجِدُ مَنْ عَلِيَا (عَلِيٍّ) بَنِ (جَعْفَرِ)  
 وَهِيَهَاتَ أَنْ يَعْرِوْا وَإِنْ جَلَّ مَا عَرَا  
 وَذَا (جَعْفَرُ) مَا انْفَكَّ فِينَا مَقُومًا  
 إِمَامٌ هُدًى مَا إِنْ جَرَى وَبَنُو الْهُدَى  
 فَيَا بَنِ الْأُلَى مِنْ (جَعْفَرِ) خَيْرِ أُسْرَةٍ  
 أَقَمَّ شَرْعَةً ، أَبَاؤُكَ الصِّيدُ أَحْكَمُوا  
 وَقُمَّ بَعْدَهَا فِينَا إِمَامًا فَائِئَةً  
 وَهَلْ تَنْتَهِي مَا فِيكُمْ مِنْ إِمَامَةٍ  
 سَقَى الْعَفْوُ قَبْرًا ضَمَّ لِلْمَجْدِ مُهْجَةً

وَقَدْ فَوَّقَتْ قَوْسَ الْمَنُونِ سَهَامَهَا  
 سَقَتْهَا كَوْوسُ الْحَادِثَاتِ حِمَامَهَا  
 عَلِيٌّ أَهَالَتْ لَا عَلَيْهِ رُغَامَهَا  
 لَهُ لَمْ تَزَلْ تُلْقِي الْعُلُومُ زَمَامَهَا  
 وَمَا جَدَّهَا النَّدْبُ (الْأَمِينُ) هَمَامَهَا  
 يُغَاثُ الْوَرَى إِنْ صَوَّحَ الدَّهْرُ عَامَهَا  
 مَتَى عُدَّتِ الْأَشْرَافُ كَانَتْ كِرَامَهَا  
 عُرَى مَجْدِكُمْ وَهَنْ وَنَخْشَى انْفِصَامَهَا  
 لَنَا إَوَدَ الْعِلْيَاءُ حَتَّى أَقَامَهَا  
 بِشَاوُ عُلَا إِلَّا وَكَانَ أَمَامَهَا  
 بَنَتْ فِي ذُرَى الْعِلْيَاءِ قِدَمًا خِيَامَهَا  
 قَوَاعِدَ عَلَيْهَا وَشَادُوا دَعَامَهَا  
 أَبِي اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَقُومَ مَقَامَهَا  
 فَكَيْفَ وَقَدْ شَاءَ الْأَلَهُ دَوَامَهَا  
 بِمَنْهَلٍ هَتَانٍ يُرَوِّي عِظَامَهَا

وقال يرثيه وحيد زمانه ، وفريد أوانه ، الأديب الأوحده ، والنسيب الأمجد ، الشاعر الماهر ، ذو الكمال الباهر ، المجيد المتقن ، الشيخ محسن ، آل شيخ خضر ، وهو من جودة الشعر وحسن النظم ووفور البلاغة ، بحل لا يستطيع الفكر بلاغه . وسيأتيك من نواته وأشعاره خصوصاً في ذا المقام ما يدلُّك على منزلته . وقد توفي سنة الألف والثلاثمائة والواحدة<sup>(١)</sup> . وله مرات في الشيخ مهدي كثيرة ، منها قوله يعزي الشيخ جعفر أخيه :

يَا وَقْعَةً إِذْ أَطْلَ مَعْضُلُهَا  
 إِنَّ بَحْتَ فِيهَا غَصْبَتْ فِي شَجْنِ  
 وَسَائِلَ قَدْ أَلَحَّ يَسْأَلُ فِي  
 أَعْمَضَتْ عَنْهَا وَكُنْتُ مُطَّلِعًا  
 عَنْهَا الرُّوَاسِي يَخْفُ مَحْمِلُهَا  
 وَأَدْمَعُ مَا بَرَحَتْ أَهْمِلُهَا  
 غَرِيبَةً لَا يَكَادُ يَعْقِلُهَا  
 وَحِينَ يَحْفِي السُّؤَالُ أَجْمِلُهَا

(١) المشهور في وفاته أنه توفي في شهر صفر سنة ١٣٠٢هـ / ١٨٨٥م .

بنشرها أو شكت تفصلها  
 أيسرها وجبة تزلزلها  
 بخيبة لا تجاب أسؤلها  
 عاقدة الذيل من يذلها  
 الشكل ففيمن يحل مشكلها  
 من للأيامي وأنت موئلها  
 وهل كفيل سواك يكفلها  
 ومن لآياته يرتلها  
 وكنه أسرارها يعللها  
 آياته مذك أصيب كلكلها  
 كأنما اليوم مات أولها  
 وليس عد الزمان يعدلها  
 نصيحة منك لست أقبلها  
 عليك قسراً يقام محفلها  
 أصيب لما أصبت مقتلها  
 أنى وقد سل فيك مقولها  
 حتى تجافى علاه جندلها  
 يفيض فيض السحاب مسبلها  
 إليه مدت تشير أنملها  
 و(جعفر) الفضل منك سلسلها  
 يقولها دائماً ويفعلها  
 من (جعفر) دوحة تظللها  
 وأنت في ضررها مؤملها  
 فانهض إلى حكمة تؤئلها  
 ناواك - إن أطلقت - مؤولها  
 عنك كما صح لي مسلسها

لكن عيني وليتها عميت  
 يا صيحة في البلاد شاملة  
 يا خيبة السائلين قد رجعت  
 يا ذلة المسلمين إن جمحت  
 من للصعاب الشداد هائلة  
 من لليتامي وأنت كافلها  
 من لحقوق عنت أنت بها  
 من ذا (لكشف الغطا) يدرسه  
 ومن لأحكامه إذا اشتبهت  
 أولى به لو أئتت صارخة  
 يا غاية السابقين إذ ختمت  
 غر مساعيك كيف أسبرها  
 أعاذلي إذ أنوح معدرة  
 لا عاش قومي وأنت مفتقد  
 وكيف ترجو البقاء موجهة  
 فسل بها ما يقول قائلها  
 يا حفرة ضاق عنه واسعها  
 وبارحتك الدموع جارية  
 يا ناهضاً والعيون شاخصة  
 رؤياك ري القلوب صادية  
 (جعفر) فضل وبحر مكرمة  
 حسب الورى في هجير غلتها  
 أنت لعمر العلى معولها  
 تراث أهليك أنت وارثه  
 صريح لفظ العلوم أنت ومن  
 (عننة) فليصح مسندها

حملتَ أعباءَ كُلِّ مكرمة  
فَقُمتَ بالأمرِ غيرِ مضطهدٍ  
هذا الهدى قَدْ أَتاكِ مبتدراً  
هوَنٌ عليه المصابَ متشحاً  
أزركَ فاشدُّدهُ في أبي (حسن)  
وشيعه بايعتكَ تابعه  
فاحكمُ بها فالأمامُ (جعفرُها)  
وأمرُ فانتَ المطاعُ في فئة  
ها هي أضحتْ عليك عاكفة  
ها هي طوعاً لديك قَدْ برزتْ  
وأنتَ حقاً منارُ حجَّتِها  
مَنْ يجحدُ الشمسَ وهي طالعة  
علامةُ والجميعُ شاهدة  
قَدْ شملَ العالمينَ نافلة  
صبراً بني (جعفر) وإنْ نزلتْ  
ما أفسدَ الدهرُ سوفَ يُصلحُها  
مبجلٌ مَنْ رآهُ أكبره  
عرقٌ فيه أبوه ، عارفة  
لا زال بدرًا تشعُّ طلعتُهُ

إذْ ليسَ حيُّ سواكِ يحملُها  
أخفُ شيءٍ عليكِ أثقلُها  
بأدمعٍ في الخدودِ يهملُها  
بهمةً في الأمورِ تعجلُها  
أصدقُها قاتلاً وأفعَلُها  
تَمسَحُ كَفِّكَ بَلْ تُقبَلُها  
(وجعفرُ) في الخصامِ فيُصلُّها  
أرحامُها في عُلاكِ توصَلُها  
عليكِ دونَ الوري مُعوَّلُها  
أسادُها ترمي وأشبلُها  
وفيكِ قَدْ تحطُّ أرحلُها  
إلا قذى في العيونِ يُسْمَلُها  
بأنَّه في الجميعِ أكملُها  
وإنَّ خيرَ السحابِ أشملُها  
جائحةٌ في القلوبِ منزلُها  
أصلحُها (صالح) وأعدلُها  
وملءَ عينَ الوري مبعجلُها  
غباوةً مَنْ يقولُ أجهلُها  
به الليالي يُضييُ أليَلُها

وقال أيضاً يرثيه ، ويعزي أخاه وبنيه ، وقَدْ أجاد ، وبلغ فوق ما أراد :

يثس المجدُ إذْ أقامَ طويلاً  
يا غليلي ومَنْ لغلةِ قلبي  
جفَّ عودُ الرجاءِ فالعينُ  
دُكَّ طودُ الحجى ودكدكت الـ  
غابَ بدرُ الدُّجى وكورتَ الشمـ

ثم ولَّى وقالَ صَبِراً جميلاً  
يبستْ نجمةٌ تبلُّ الغليلاً  
لا تعرفُ لا أملاً ولا مأمولاً  
أرضُ وكادتُ جبالُها أَنْ تزولا  
نسُ وخرتْ شهبُ السماءِ أفولاً

كان في الجور رافعاً مستظيلاً  
 يغضب المجد أن يراني مقيلاً  
 ويا طيبه قبيلاً قبيلاً  
 لا فتدى بالذبيح (إسماعيلاً)  
 لو كان هديهُ مقبولاً  
 أن يبيت العزيز فيه ذليلاً  
 وعلى المسلمين ظلاً ظليلاً  
 ضعتي أن ترى كشيئاً مهيلاً  
 لو أبت أن تُقيم إلا قليلاً  
 وهزبراً تبوأ القفر غيلاً  
 وكان المعقول والمنقولا  
 فأوهمت شماًلاً وشمولا  
 صوت مستصرخ ورباً محيلاً  
 حاملاً للأسلام عبثاً ثقيلاً  
 الجود من بعده الرحيل الرحيل  
 طالما قد مددتها مُستنيلاً  
 ماك لسهدتها زماناً طويلاً  
 فلقد قام في السماء جليلاً  
 وسوى (صهرك) <sup>(١)</sup> الأعزّ بديلاً  
 تُضيئان هادياً ودليلاً  
 يا أخاه صبراً عليه جميلاً  
 له إذ نسجتُها إكليلاً  
 عن سواها خلاخلاً و(حجولاً)  
 (جعفراً) فاض بالمكارم نيلاً

مال جيد العلى وعمّا قريب  
 عثر الدهر واستقال وأتى  
 مات (مهديها) فحي على الموت  
 ولو أن (الخليل) يُقبل منه  
 أي هدي يسوقه بالغ الكعبة  
 يا إمام الهدى كفى الدين ذلاً  
 كنت كهفاً وللعفاة مقيلاً  
 يا رفيع الذرى وقد كنت طوداً  
 يا ربيع العفاة غير كثير  
 يا هلالاً يأوي ثرى القبر برجاً  
 يا عليماً ببعض ما علم الله  
 يا لطيفاً رقت شمائله الحسنى  
 يا مُغيثاً وكنت غيثاً مريعاً  
 يا مُخفياً إلى العلى غير وأن  
 وبنفسي من راحل أنت صاح  
 إن كفاً تجاه نعشك مُدت  
 وجفونا أغضت على لين نعد  
 فأذا ما كبا برزئك ضعفي  
 يغضب المجد أن يرى لك ندّاً  
 كنتم الفرقدين في الأفق الأعلى  
 فهوى فرقد برغم أخيه  
 وبحسب الهدى فرائدك الغرّ  
 زنت جيد العلى بهن عقوقاً  
 يهني عينيك أن ترى من (علي)

(١) هو السيد مهدي القزويني (تعليقة المؤلف) .

فاستوى الماء طافحاً وهو علمٌ  
طالَ والحق أن يطولَ وأولى  
فرقى منبر النبوة يُوحى العلمَ  
حسبك الله من بديع صفات  
دُمّت ما دامت السماوات والأرضُ  
عملاً (صالحاً) ومولى (أميناً)  
رُبَّ علم تخالُهُ سلسبيلًا  
بيدَ الله أن تكون الطولى  
من فكره إليه رسولا  
لنعمًا بهرت فيه العقولا  
وكلتاهاهما إذن لن يزولا  
(وعلياً) سامي كليماً نبيلًا

وشفعها بثالثة ، هي في عقد السحر نافثة ، يرثيه مع الإشارة إلى السيد الطبطبائي  
المتوفى في كربلاء (كما مرّ سابقاً) . وقد بلغ من البلاغة أغلاها ، وحظي بأعلاها ، وهي :

طرقت مرزئة توجج نارها  
درست رسوم مدارس العلم التي  
عمدت إلى (موسى) الكلیم بزفرة  
وعلى (عليّ) وهو في محرابه  
وبمهجة (الحسن) الزكيّ تمثلت  
وعلى (الأمين) مُحَمَّدٌ بمصاها  
وعلى الفتى (المهديّ) جاشت فتنة  
لمعت بأفاق البلاد فسعرت  
حتى تبوء غيبةً بغيابه  
وعلى (التقيّ) ابن الزكيّ تألّبت  
ما للشريعة والحوادث لم تزل  
جذت يمين المكرمات وبعدها  
نوبٌ تشاكل بدوها وختامها  
عبرت لي الشعرى العبور فقصرت  
حتى توارت بالحجاب ولم تمز  
يا طلعة الشمس المنيرة حجبت

وتكاد تلحق بالسمااء شرارها  
صحف (الخليل) بها قضت أوطارها  
منه اليد البيضاء تُصلي نارها  
عطفت بحاسمة تُبل غرارها  
سُمّاً تُمكن من مرأه مزارها  
عمدت فأدركت الرزية نارها  
عمياء قد عصفت تُثير غبارها  
بالنار من إعصارها إعصارها  
أنوار (يوسف) جللت أقطارها  
نوب الخطوب فضاعفت أوزارها  
تجتأح في أرزائها أقمارها  
عطفت على نسق اليمين يسارها  
فكأن من إيرادها إصداها  
من خطوها وغدا العويل شعارها  
عين الهداية ليلها ونهارها  
بالطف أسرار القضا أنوارها

يا غيبة (المهدي) وهي رزية  
واستشعرت نفس الرواجف بعدها  
قد أن نفخ الصور لولا غيبة (الـ  
هي (رجعة) منه استعارتها العلى  
يا قربما ابتعث الأله لدينه  
قرت به عين الرسالة صادعاً  
وأفى دعامة عزها فأقامها  
وأعاد ذاك الغرس غضاً يانعا  
في دارة الشرف الرفيع ببقعة  
بمهابط الوحي التي يوحى بها  
بمطاف أملاك السماء وحسبها  
بحظيرة القدس التي ود السها

دهت العلوم فهتكت أسرارها  
إذ كل نفس لا تقرر قرارها  
مهدي) كذبت الورى أخبارها  
لأخ الفضائل (جعفر) فأعارها  
ذاتاً تصفح قدسها فأختارها  
بالأمر يجلو بالقضاء غبارها  
ورقى منابر وحيها فأنارها  
في روضة تجني الأنام ثمارها  
بل جنة قد فجرت أنهارها  
(كشف الغطاء) لكاشف أسرارها  
فخراً إذا اعتبرت هناك مزارها  
لو طاف معتمراً بها أو زارها

وأحسن من جميع هذا قوله أيضاً يرثيها أعنى (الشيخ)<sup>(١)</sup> و(السيد)<sup>(٢)</sup>، وقد جمع  
فيها بينهما أحسن الجمع فقال :

الله ماذا الحادث الجلل  
جلل تلهب زنده شراً  
فالدهر لا شمس ولا قمر  
فكأنما الأيام طالعها  
والناس سكرى حين تنظرهم  
وأصم أعجم جد في عذلي  
فلقد جهلت وكلهم علموا  
سل بالسماء فمالها التهبت  
وكأنها حبات عادية

قد ذك منه السهل والجبل  
قذفت به الأملاك والرسل  
والناس لا علم ولا عمل  
زحل وأسوء طالع (زحل)  
فكأن كلاً شارب ثمل  
أولى بسمعك ويحك العذل  
لا بل جننت وكلهم عقلوا  
حتى كأن نجومها شعل  
فيها الملائك بالسما قتلوا

(١) الشيخ مهدي كاشف الغطاء .

(٢) السيد علي نقى الطباطبائي .

تنبيك عن سهمين قد فعلا في الدين ما لا تفعل الأسل

\* \* \*

يا للرجال لحادث جلل  
فترى العباد وكلها نكد  
يا ظلة الأسلام إذ عميت  
يا روعة المعروف إذ قطعت  
يا مثلة شنعاء قد عبثت  
يا غلة المعروف فالتهبي

يتلوه رزء حادث جلل  
وترى البلاد وكلها زجل  
عيناها حتى ضلت السبل  
كلتا يديه فراعته الوجلل  
في الدين فيها يضرب المثل  
اليوم لا عل ولا نهل

\* \* \*

مات الرجاء وكُلنا أمل  
خفي الصواب وكُلنا خطأ  
فأذا حمت شهب السنين فمن  
يا سيدي قوميهما وكفى  
شرف أبر على النجوم فذا  
يا غيبة (المهدي) جئت بها  
بكر النعي على (التقي) بها  
حتى قضى أسفاً على رجل  
هذا الوفاء وباله شرفاً  
وأساه في الدنيا وحيث إلى  
كذبتك عينك حين تنظره  
ومفند بالعتب قلت له  
أجملت رزء (الغاضرية) أم  
إن الألى (بالطف) قد ضربت  
كان الرجاء بأن يكون لنا  
حتى غدونا أسوة لهم

غاض العباب وكُلنا وشل  
أودى الرشاد وكُلنا زلل  
فيه يغاث الناس إن سألوا  
شرف بساق العرش متصل  
تعلنوه (الجوزا) وذا (الحمل)  
برحاء لم تبرد لها غلل  
ولذاك رزء ليس يخطمل  
ما إن له من بعده بدل  
ثبتت عليه السادة النبيل  
الأخرى ترحل فهو مُرتحل  
فتقول قد أودت به العلل  
فند لرأيك أيها الرجل  
سيان منك العلم والخطل  
لهم على هام السهى كلل  
بهم العزاء فخيب الأمل  
وكذا لكم أسلافنا الأول



وقال الشيخ مُحَمَّد بن حمزة الحلبي يرثيه ، ويعزّي صهره العلم المهدي القزويني ، وأخاه الشيخ جعفر ، (قُدس سرهم جميعاً) ويمدح بنيه ، وهي :

العلم بالدمع من فرط البكا غرقا  
لقد أطلت على الأسلام داجية  
نعى النعاة إلى الدين الحنيف فتى  
نعوا عميد الهدى (المهدي) للملأ الـ  
كان الهدى فيه يحسو صافياً شيماً  
وانصاع كل جليد في ملمته  
وأحسرة الدين إن الموت أغمد في الـ  
قد قر عيناً بجنات النعيم وقد  
علمت يا بدر أفق العلم إن دجى الـ  
قد كنت ترتق فتق الدهر مقتصداً  
رمتك كف الردى شلت بأسهمها  
صبراً فمن بعده العلم المشرف في  
مولى يوفى الهدى أضعاف بغيته  
يولي بأوفر من سحب السما كرمأ  
حكى شمائله ذو الفضل (جعفرها)  
ندب على الجود قد شدت مآزره  
فكم أناس إلى العلياء قد درجوا  
وملة المصطفى في (صالح) صلحت  
والمكرمات لقد أصفت مودتها  
وإنها شكرت فضل (الحسين) كما  
يا (سادة) لم يخف دنيا وآخره  
لا تحفلوا بخطوب الدهر حيث لكم  
وإن من قد نكبتم في مصيبتة

والمكرمات تلظى قلبها خرقا  
طخياء منه أعادت صبحها غسقا  
في علمه منه قدماً مهّد الطرقا  
أعلى فطار عليه قلبها فرقا  
واليوم أصبح يحسو الآجن الرنقا  
يحكي ابن عمران (موسى) مذ هو صقعا  
شرى حساماً على الأيام منذلقا  
حبا عيون المعالي فقدّه الأرقا  
خطوب مذ غبت عنها جلال الأفقا  
وبافتقارك ذاك الرتق قد فُتقا  
والكل منها لقلب الرشد قد رشقا  
سميه العلم (المهدي) قد وثقا  
فلا يخاف به بخساً ولا رهقا  
جمأ وأطيب من زهر الربى خلقا  
والعلم منه زكي العرف قد نشقا  
وفوقه علم العلياء قد خفقا  
بهمة ولهم ألفوه مُستبقا  
ووجهها فيه أضحى مُشرقاً طلقا  
(مُحمّد) الندب لا كذباً ولا ملقا  
في سيب كفيه منها قلّد العنقا  
من قلبه لهم في الحب قد علقا  
لنا العزاء إذا ما الخطب قد طرقا  
بالسابقين من الأبرار قد لحقا

وقائل سقت الآماق حفرته فقلت أرخ (سقاء جوده غديقا)

وقال بعض شعراء الحلة أيضاً يرثيه ، ويعزي به صهره المتقدم ، وأخاه ، (رحمهما الله) :

خليلي ليس اللوم للوجد شافيا وناعي الهدى قد جاء ينعاها بغتة  
إذا مر في الأرجاء أبكى ذوي الرجا ومن دهش الناعي ترى الناس ولها  
لقد أوحشت منه المساجد بغتة فتى كان يحيي في الصلوات أراملاً  
ترأه لدى سؤاله في بشاشة فعنك أبا المولى إذا يقبل الفدا  
سأبكيك حتى تعلم الناس أنني وألبس أثواب العزاء وأنطوي  
فجسمك والعلم الشريف طوى الردى فأن شمت الأعداء فيك فأنما  
ألا طأطؤوا أهل الشماتة رؤساً وإبنه تقفوا إثره وفعله  
لنا ولهم حسن العزاء (بسيد)<sup>(١)</sup> فتى هو (فلك للنجاة)<sup>(٢)</sup> ومن سرى  
خضم علوم (جعفر)<sup>(٣)</sup> يستمدّه

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فأشجى الورى طراً وأبكى المعاليا  
وإن مر في البيداء ذك الرواسيا لفقدانه باك عليه وناعيا  
وأمت محارب الصلاة خواليا رفاة ويحيي بالصلاة اللياليا  
وعند سؤال الرب تلقاه باكيا فديتك حوبائي<sup>(١)</sup> وأهلي وماليا  
لفقدك علمت الحمام بكائيا على حزن ينشي عليك المراثيا  
بقبرك والتقى معاً والمعاليا بنوك حوت في العلم ما كنت حاويا  
فربع العلى من بعده ليس عافيا وإخوته أسد تهب الضواريا  
إمام براه الله للناس هاديا به كان من سوء الضلالة ناجيا  
من العلم ما فاق البحار الجواريا

(١) الحوباء : الروح .

(٢) السيد : هو السيد مهدي القزويني .

(٣) «فلك النجاة في أحكام الأئمة الهداة» هي رسالة عملية في الفقه للسيد مهدي القزويني ، طبعت في حياته سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م ، وأعيد طبعها سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م .

(٤) جعفر هو الابن الأكبر للسيد مهدي القزويني ، وقد توفي في حياة والده عام ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م . وأولاده الآخرون هم السيد صالح ، والسيد محمد ، والسيد حسين . وقد سبقت الإشارة لهم . وقد ذكرهم الشاعر في هذه القصيدة .

إذا ما جرى في حلبة المجد صالحُ  
أبو (حسنٍ) مَنْ ليس إلّا (مُحمَّد)  
بني (الوحي) مَنْ يسعى إليكم قدّ إهتدى  
له (صالحٌ) في غايتها مُجَاريا  
وإلا (حُسينٌ) نالَ منه التساويا  
وَمَنْ ضلَّ عنكم قدّ أضلَّ المساعيا

وقال الأديب اللبيب ، صاحب المنظومات البديعة ، الشيخ صالح الكوّاز يرثيه ، ويعزّي  
السيد مهدي القزويني ، وأخاه (ره) :

اللّٰه ما بعد هذا اليوم مُصْطَبَرُ  
وأصدق الناس إيماناً أشدهم  
أيملك الصبر مَنْ للدين منتحلُ  
رُزءٌ أقلُّ الذي قدّ جاءَ أنْ به  
ناع أصابَ فقالَ الدهرُ مندهشاً  
فقالَ : لا قالَ : بلْ جُدَّتْ سواعدهُ  
إنّ الذي كانَ للعاني سحابَ ندى  
أضحتْ تقلّبُ أيديها قواصدهُ  
أبو (الأمين) وليُّ الله قدّ نُصبت  
وأصبحتْ بعدهُ الدنيا كأنّ بها  
ونائحات دعتْ فيه فحقّ بأنّ  
إنّ تبكّه مقلُّ الأفلاك تبكي فتى  
أبا (الأمين) لو أنّ الموتَ أنصَفنا  
كي لا يضلَّ طريقَ الحقِّ طالِبُهُ  
فهُنَّ آلاءُ مفقود إذا طويَتْ  
نَفسي الفداء لأجفان مغمّضة  
جفّت وما جففتها قسوةُ أبداً  
أفدي مُحياً أغراً ما نقابلُهُ  
أمسى يُعَفَّرُ تُربُّ القبرِ غرَّتُهُ  
من بعده فيه يُستسقى السحابُ وقدّ

للمسلمين ولو راموا إذنُ غدروا  
حزناً وَمَنْ قدّ تسلّى كاذبٌ أشيرُ  
والدينُ أصبحَ بطنَ الأرضِ يقتبرُ  
تفنى النفوس وتُمحى بعدها الصُورُ  
اللّٰه أكبرُ ماذا أبدعَ القَدْرُ  
وطارَ في مفرقيه الصارمُ الذكْرُ  
وليسَ في نيله رنقٌ ولا كدرُ  
مُغْبَرَّةُ الجُودِ لا موجٌ ولا مَطَرُ  
لَهُ الأرائكُ حولَ العرشِ والسُرُرُ  
قامَ الفناءُ فلا عينٌ ولا أثرُ  
تُجيبُها غررُ الأملاكِ لا البَشَرُ  
بمثله أنبياءُ اللّٰه تفتخرُ  
أبقاكُ ما بقيتْ آلاؤك الغرُ  
ولم يخبْ مَنْ إلى جدواك مُفْتَقِرُ  
طيَّ السَّجلِ السما للكتبِ تنتشرُ  
كانتْ تَورقُها العلياءُ لا السمرُ  
أغضتْ ولم تغضها من حادثِ فكرُ  
إلّا وأشرقَ مِنْ بَشَرٍ به القمرُ  
وفوقها من ثرى محرابه عَفَرُ  
كانتْ تصوبُ به الهطالةُ الهُمُرُ

أبا (مُحَمَّد) إِنَّ الدِّينَ مِنْ دَهْشٍ  
نَشَدْتُكَ اللَّهُ فِي الْبَقِيَا عَلَيْهِ فَقَدْ  
وَحَائِزٌ قَصَبِ الْعِلْيَاءِ أَسْبَقَ مَنْ  
مُغْبِرٌ فِي وَجْهِ الْقَوْمِ مَا رَجَحْتُ  
التَّابِعِينَ لَهُ فِي كُلِّ مَنْقِبَةٍ  
فَلَا يُحِطُّ لَهُ فِي غَايَةِ أَثَرٍ  
جَحَاجِحُ هُمْ شُبُولٌ حَوْلَ غَابَتِهِ  
الْآخِذِينَ بِأَطْرَافِ الْفَخَارِ غُلًّا  
وَالْمُسْتَجِيرَ بِهِمْ فَاللَّهُ جَارُهُمْ  
قَدْ لَازَ فَيْكَ مَرُوعًا وَهُوَ مُنْذَعِرٌ  
أُودِيَ لَوْجَدُكَ فِي أَحْشَائِهِ الضَّرَرُ  
جَرَى إِلَى غَايَةِ الْعِلْيَاءِ يَبْتَدِرُ  
مِنْهُ الْمَنَاقِبُ إِلَّا وَلَدُهُ الْغُرَرُ  
بِيضَاءِ عَنْهَا جَمِيعُ الْخَلْقِ قَدْ قَصَرُوا  
إِلَّا وَكَانَ لَهُمْ مِنْ حَوْلِهِ أَثَرُ  
وَحَوْلُ هَالَتِهِ هُمْ أَنْجَمُ زُهْرُ  
إِنَّ عَاقَ غَيْرِهِمُ الْأَعْيَاءُ وَالْخَوَرُ  
وَمَنْ عَدَاهُمْ إِلَى أَضْدَادِهِمْ خَسِرُوا

وقال يرثيه العالم الفائز من العلم بالقدح المعلى ، والفاضل الذي هو كعبة فضل لحماها وجه المكارم صلى ، جناب السيد سيد مُحَمَّد الهندي<sup>(١)</sup> ، وهو الآن سدده الله فيما يعيد ويبيدي ، من مشاهير العلماء الأعلام ، وأجلّاء الفقهاء العظام . وكفى في فضله أن صاحب الجواهر (قُدْس سرّه) صرّح بفضله لسان قلمه ، فأجازه ، وهي :

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ لِلشَّرِيعَةِ كَوَكْبُ  
وَتَظْفَرُ أَظْفَارُ الْمَنِيَّةِ بِالَّذِي  
وَقَدْ زَلْزَلَتْ شَرْقَ الْمَعَالِي وَغَرْبَهَا  
وَعَيَّيْتُ (المهدي) عَنْ أَعْيُنِ الْهُدَى  
فَمَا هُوَ إِلَّا لِلْهُدَايَةِ صَارِمٌ  
وَنَاحَتْ عَلَيْهِ الْمَكْرَمَاتُ بِمَآثِمِ  
وَأَظْلَمَ رَبِّعُ الدِّينِ مُذْ غَابَ بَدْرُهُ  
وَمَا كُنْتُ أَدْرِي قَبْلَهُ أَنَّ فِي الشَّرَى  
لَقَدْ كَانَ دَرَعًا لِلْوَرَى فِي مَخَافَةِ  
سَرَى حَزْنِهِمْ فِيهِ كَمَسْرَى فَخَارِهِ  
يَغِيبُ وَيَهْوِي لِلْحَنِيفِي (أَخْشَبُ)<sup>(٢)</sup>  
تَنْشَبُ عَنْهُ فِي الْحَوَادِثِ مِخْلَبُ  
فَلَا مَشْرِقُ إِلَّا وَيَنْعَى وَمَغْرِبُ  
فَأَمْسَى لِأَثْوَابِ الْأَسَى يَتَجَلَّبَبُ  
بِرْغَمِ الْمَعَالِي مِنْهُ قَدْ فُلَّ مُضْرَبُ  
وَحُقَّ لَهَا تَبْكِيهِ دَهْرًا وَتَنْدُبُ  
فَلَمْ يَدْرِ مَنْ رَامَ الْهُدَى أَيْنَ يَذْهَبُ؟  
نُجُومَ سَمَاوَاتٍ تَغِيبُ وَتَغْرِبُ  
فَمِنْ بَعْدِهِ فَلْيَخْشَ مَنْ كَانَ يَرْهَبُ  
فَرَاخَتْ بِهِ الْأَمْثَالُ فِي النَّاسِ تُضْرَبُ

(١) تُوْفِي السيد محمد الهندي سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م . وهو والد السيد باقر الهندي ، والسيد رضا الهندي .  
(٢) الْأَخْشَبُ : الرَّجُلُ الصَّلْبُ الْقَوِي . وَفِي الْأَصْلِ تُسْتَخْدَمُ لِلْجَبَلِ الْخَشْنُ الْمَتِينُ .

فَمَنْ بَعْدَهُ يَحْمِي الْحَمَى غَيْرُ (جَعْفَرُ)  
 بَعِيدُ الْمَدَى عَنْ أَنْ يَدَانِيَهُ أَرْوَعُ  
 وَإِخْوَتُهُ الْغُرُّ الْكَرَامُ (حَبِيبُهُمْ)  
 وَ(عَبَّاسُ) ذُو النَّبْلِ النَّبِيلُ وَخَلَقَهُ  
 وَلَوْلَا بَنُوهُ ، الْعِلْمُ أَصْبَحَ مُقْفَرًا  
 (كَصَالِحِ) اللَّيْثِ الْهَزْبِرُ الَّذِي لَهُ  
 وَمَوْلَى (أَمِينِ) وَ(الْأَمِينُ) كِلَاهُمَا  
 وَبَابُنِ أَخِيهِ (مُحْسِنِ) أَيُّ سُلُوءِ  
 مَكَارِمُهُمْ كَالنَّيَّارَاتِ زَوَاهِرُ  
 (أَحْبَابِي) لَوْ غَيْرُ الْحَمَامِ أَصَابَكُمْ  
 وَ(خَمْسُ حَوَاسِي) قَدْ أُبَيِّنْتُ مَوْرخاً

أَخِيهِ الَّذِي مِنْ كَأْسِهِ كَانَ يَشْرَبُ  
 وَلَكِنْ لِرَاجِيهِ مِنَ السَّمْعِ أَقْرَبُ  
 صَبَاحُ الثَّقَى مُصْبَاحُهُ الْمُتْلَهَّبُ  
 الْجَمِيلُ لِعَمْرِي مِنْ جَنَى النَّحْلِ أَطْيَبُ  
 وَأَصْبَحَ وَجْهُ الْفَضْلِ وَهُوَ مُقْطَبُ  
 عَلَى أُمِّ رَأْسِ الْفَضْلِ مَسْرَى وَمَذْهَبُ  
 أَمِينٌ وَمَوْلَى مِنْهُمَا الْأَمْنُ يُطْلَبُ  
 بِهِ تَكْشِفُ اللَّأَوَاءُ وَالضِّيقُ يَرْحَبُ  
 مَتَى غَابَ مِنْهُمْ كَوْكَبٌ لَاحَ كَوْكَبُ  
 عَتَبْتُ وَلَكِنْ مَا عَلَى الْمَوْتِ مَعْتَبُ  
 (لِمَهْدِيهِمْ جَنَاتٌ عَدْنٌ تُرَحَّبُ)<sup>(١)</sup>

وقال الشاعر المفلح ، والصَّقر الذي هو في سماء الكمال محلَّق ، الشيخ الأ مجد ،  
 الشيخ أحمد ابن الشيخ إبراهيم ، الملقَّب بقفطان يرثيه ، ويعزي أخاه وبنيه :

سَهْمٌ رَمَى كَبِدَ الْهُدَى فَأَصَابَا  
 نَبَأٌ بِهِ صَكُّ النَّعْ مَسَامِعِي  
 فَسَأَلْتُ مِنْهُ رَاجِئاً بِتَوْهَمِي  
 حَتَّى سَمِعْتُ مِنَ الْمَعَالِي نَوْحَهَا  
 أَخْنَأُ عَلَى أَمْجَادِهَا بَعْمِيدَهَا  
 أَوْدَى (بِمَهْدِيٍّ) الْخَلِيقَةَ صِرْفَهُ  
 غَيْثٌ أَطْلُ عَلَى الْعِبَادِ بَرَحْمَةً  
 كَالْعَارِضِ الْمَدْرَارِ خَفَّ بِوَدْقِهِ  
 وَرَوَاقٌ عَزَّ فَوْقَ دِينِ (مُحَمَّدِ)  
 أَمْسَى وَقَدْ حُلَّتْ عُرَاهُ وَقَوَّضَتْ

مُذْقِيلَ (مَهْدِيٍّ) الْخَلِيقَةَ غَابَا  
 فَأَصْمَمَهَا حَيْثُ النِّعَى أَهَابَا  
 ذَاكَ النِّعَى مَمَارِئاً كَذَّابَا  
 لَبِستُ عَلَيْهِ لِلْجَدَادِ ثِيَابَا  
 وَسَقَى بِلَوْعَتِهِ الْقُلُوبَ رَضَابَا  
 وَرَمَى بِهِ قَلْبَ الْهُدَى فَأَصَابَا  
 لَوْلِيهِ وَعَلَى الْعِدَاةِ عَذَابَا  
 فَسَرْتُ بِهِ رِيحَ الصَّبَا فَاغْجَابَا  
 وَعَلَى رُؤُوسِ الْمَارِقِينَ شَهَابَا  
 أَيْدِي الْوَرَى عَنْ رُبْعِهِ الْأَطْنَابَا

(١) حساب الجمل في هذا التاريخ غير دقيق .

تُورى الجوانحَ بعدهُ إلهابا  
 إلّا ولجتَ مدى الزمانِ عُبابا  
 لا عن هوى فيما نطقتَ صوابا  
 ظُلُمًا ولم تُبقِ بها مُرتابا  
 يا مَنْ كَشَفْتَ مِنَ الرُّمُوزِ صَعَابا  
 والدَّهْرُ يَقْذِفُ - لَمْ يَزَلْ - أَعْجَابا  
 بهرَ العقولَ وحيرَ الألبابا  
 أرختَ على وجه البَيانِ نقابا  
 أولى البرية وقعهُ استغرابا  
 أيدي تُقِلُّ على الرُّؤُوسِ هَضابا  
 أمسى لمصقولِ الغرارِ قِرَابا  
 أنى أحيطُ بساحليه عُبابا  
 أربتَ على عدد الرمالِ حسابا  
 أرخى على أنوارهنَّ حجابا  
 فتحتَ يدهُ إلى الحوادثِ بابا  
 يُولي ويُلوي نائلاً ورقابا  
 الحَجَرُ الأصمُّ أو الحديدُ لَذابا  
 ومخاطباتِ تَوْنُسِ المحرابا  
 متضرّعا أو باسمًا وهَّابا  
 حوراً سُررنَ بوصله أترابا  
 قد رَدَّها بعد المشيبِ شَبابا  
 كالنارِ تعقبُ إذ تشبُّ ترابا  
 أهلُ النُّهى لجمالِها خُطابا  
 فاختراره وإلى عُلاه أبا  
 عن نور أصلاب زكتْ أصلابا

يا راحلاً عَنَّا وخَلَفَ جَذوَّة  
 يا بحرُ علم ما ولجتَ علومَه  
 وصدعتَ عَن وَحيِّ عليكِ نزولُه  
 وكشفتَ عن دينِ النبيِّ (مُحمَّد)  
 يا نورَ مشكاةِ العلومِ وبعدها  
 فلقد أراني الدهرَ فيكَ عجائباً  
 ما كنتُ أعرفُ قبلَ ذاتِكَ جوهرًا  
 ما كنتُ أعرفُ قبلَ نعتِكَ جُملةً  
 ما كنتُ أعرفُ قبلَ رُزُوكِ هادئاً  
 ما كنتُ أحسبُ قبلَ نعتِكَ أنْ أرى الـ  
 ما كنتُ أحسبُ قبلَ قبرِكَ مرقداً  
 جَدَثًا تَضُمَّنَ بحرَ علمِ زاخِر  
 أم كيفَ ضَمَّ مكارمًا ومُعالمًا  
 سطعتْ كأمثالِ النُّجومِ فكيفَ قدُ  
 يومٌ به (المهديُّ) قُوَّضَ ظاعنًا  
 قدْ كانَ عَزًّا (للغريِّ) وأهلَه  
 ذا عزيمة لو كانَ مارسَ بعضَها  
 وخطابة تُرضي الحُضورَ خطابةً  
 قدْ كانَ في حالين طوراً باكيًا  
 حتى ثوى عزمًا وراح معانقًا  
 وأقامَ (جعفرَ) مفخرَ لرئاسة  
 كالغيثِ يخلفُهُ الربيعُ وغيرُهُ  
 خطبَتُهُ عالِيَةُ العُلَى وكم اغتدى  
 حَبْرٌ كأنَّ العلمَ يطلبُ صاحباً  
 قَرُمَ أتاهُ فَضْلُهُ متنفِّلاً

فله العزا عَمَّنْ مَضَى لِسَبِيلِهِ  
وَكَذَا (الْأَمِينُ) أَخُوهُ وَالْمَوْلَى الَّذِي  
وَبِأَسْرَةٍ مِنْ آلِ (جَعْفَرٍ) كُلُّهُمْ  
يَا آلَ (جَعْفَرٍ) أَنْتُمْ الْقَوْمُ الْأَلَى  
وَلَاكُمْ أَمْرَ الْأَنَامِ إِلَهُكُمْ  
لَمْ أُخْصِكُمْ ذِكْرًا وَلَمْ أُخْصِ لَكُمْ  
قَصْرَ الثَّنَا عَنْكُمْ وَلَمْ أَبْلُغْ وَمَا  
حَيًّا الْحَيَا بِالْعَفْوِ رَوْضَةَ جَدِّكُمْ  
وَضُرَائِحًا فِيهَا ثَوْتُ مِنْ آلِهِ  
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَيْهِمْ مَا أَشْرَقَتْ  
وَالِي ضَرِيحٍ حَلَّةٍ (الْمَهْدِيِّ) مِنْ  
مُذْ غَيَّبُوهُ بِهِ عَيَانًا قَلْتُ فِي

فِي فَتْيَةٍ مِنْهُ زَكَا أَحْسَابَا  
هَذَا الضَّمِيرُ بِهِ وَنَفْسًا طَابَا  
أَمْسُوا لِمَعْرُوفِ النَّدَى أَرْبَابَا  
مَلَكُوا مِنَ الْفَضْلِ الْمُبِينِ نَصَابَا  
وَبَنَى لَكُمْ فَوْقَ السَّمَاءِ قِبَابَا  
مَدَحًا وَلَوْ أَوْسَعْتُهَا إِسْهَابَا  
قَصَّرتُ لَمَّا أَنْ قَصَّرتُ خُطَابَا  
إِذْ قَدْ حَوَتْ مِنْ وَلَدِهِ نُوبَا  
أُسْدٌ قَدْ اتَّخَذُوا الصِّفَائِحَ غَابَا  
شَمْسٌ وَمَا بَدْرٌ بَدَا أَوْ غَابَا  
صَوَّبَ الرِّضَا سَاقَ الْإِلَهُ سَحَابَا  
تَأْرِيخِهِ (الْمَهْدِيُّ صِدْقًا غَابَا)

١٢٨٩هـ

### ترجمة الشيخ جعفر بن الشيخ علي

ثم جلس بعده بمسند آبائه وأجداده ، جامعاً بين طرفي المجد تلاده ، ناشراً ما هم أن يطويه الدهر من علومهم ، مجدداً ما كاد أن يندرس لولاه من رسومهم ، بحر العلم الدفاع ، وجذوة الفهم المتوقدة الشعاع ، طود الحجى ، وبدر الدجى ، نور الله الأنور ، وسراجة الأزهر ، صاحب الشرف الأكبر ، مولانا أبو محمد الشيخ جعفر الأصغر . كان أعجوبة دهره ، ونادرة عصره ، في اتساع فهمه ، وغزارة علمه ، وحسن أخلاقه ، وطيب أعراقه ، وظرافة لطائفه ، ولطف ظرائفه .

حضر برهة من الزمن على أخويه ، مُحَمَّد ، والمهديّ ، ثم على ذي الفضل الجليّ ، شيخنا الأنصاري ، حتى برع في المعقول والمنقول ، فقهاً وأصول . وكان في زمان أخويه يباحث (القوانين)<sup>(١)</sup> لجماعة من الفضلاء ، وكان تدريس القوانين يومئذ من أصعب

(١) كتاب «القوانين» في علم أصول الفقه للمحقق القمي . وقد أصبح من الكتب التراثية بعدما استعيص عنه بمؤلفات أصولية حديثة .





النجف ، وكان يومئذ بحراً عظيماً ، وارمه في الماء ولا تخبر في طريقك أحداً . فأنعم الغلام ومضى بما أمره مولاه .

يقول الراوي : وبقيت أتأمل فيما كان في (الزنبيل) فما وسعني إلا أن سألتَه عما فيه . فقال : هذه منظوماتي وقصائدي لي مدة (حَوْل) أجمعها لأتلفها حتى لا تبقى بعدي .

فصعقتُ من مكاني وجعلت أويّحه وألومه في ذلك وأسأله الرجوع عما هنالك ، فأبى وامتنع . فلما آيست منه خرجت أعدو خلف الغلام فوجدته راجعاً من قضاء أمر مولاه . وانكففت وأنا أدمي بالندم الأظفار ، وأتأسّف ولا تأسّف (الفرزدق) على (نوار) .

أقول : هذه الواقعة معلومة عند أهله وذويه وهي السبب لقلة شعره في أيدي الناس ، بل رجوعه إلى الأضمحلال والأندراس ، وذلك لأنه لم يرو شعره أحد . ولكن ربّما كان بعض ملازميه من ذوي الأدب إذا قرأ شعره المرة الأولى حفظوه وتداولوه . فمما عثرنا عليه من ذلك جملة مقاطيع في الغزل ، والحماسة ، و(بويات) في المدح .

فمن الأول قوله :

عَادَ فِيهِ الْهَوَى كَمَا قَدْ كَانَا	إِنَّ قَلْبًا جَفَا الْغَرَامَ زَمَانَا
رَكَّبَ اللَّهُ تَحْتَهَا أَغْصَانَا	حَرَكْتُ سَاكِنَ الْتِيَاعِي بِدَوْرُ
فَكَسَتْ حُلَّةَ الضُّحَى (نَعْمَانَا)	بِي شَمُوسًا بَدَتْ (بَنَعْمَانُ) لَيْلًا
سَحَبَتْ لِلرَّدَى بِنَا أَرْدَانَا	شَمْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ ظُبِيَّةَ خَدْرُ
ذَقْتُ ذُلًّا مِنْ حَبِّهَا وَهَوَانَا	كَنتُ مِنْ قَبْلِهَا عَزِيزًا وَلَكِنْ
	وَلَهُ (رَحِمَهُ اللَّهُ) :

بَخَلْتُ عَلَيَّ بِطِيفِهَا الْمَعْتَادِ	لِي (بِالثَّوِيَّةِ) لَوْ تَوَاصَلُ ظُبِيَّةُ
فِيهَا فَمَا لِأَسِيرِهَا مِنْ فَادِ	غَنَاءٍ لَوْ أَسَرَّتْ فَوَادَ مَتِيمِ
فِي طَاعَةِ الْأَتْهَامِ وَالْأَنْجَادِ	وَدَّعْتُهَا وَالْقَلْبُ مِنْ دَهَشِ النُّوَى
وَعَدَّتْ عَلَيْهَا لِلزَّمَانِ عَوَادِ	لَعَبْتُ بِهَا الْأَيَّامُ بَعْدَ تَمْنَعِ

ومنه :

دَبَّتْ بِهَا الْأَشْوَاقُ أَيُّ دَبِيبِ	أَشْكُو إِلَيْكَ عَسَى تَرْقُ لُهْجَةً
لَفَتَاتُ مَيَّاسِ الْقَوَامِ رَطِيبِ	أَوْهَتْ قَوَاهَا يَوْمَ مُنْعَرَجِ اللَّوَى

رَشَاءُ أَقَامَ قِيَامَتِي فَنَصِيبُهُ  
رَشَاءُ (لِيُوسَفَ) فِي مَلَاةِ وَجْهِهِ  
أَصْفِيَّتُهُ مُحَضَّ الودادِ وَسَامَنِي  
ومنه :

رَامَ الْعَذُولُ بَأْنَ أَخْفِي الْهُوَى سَفَهَا  
أَخْفِي هَوَاهُ وَيُؤِيدِهِ وَمِنْ عَجَبِ  
ودونَ مَا رَامَهُ حُجْبٌ وَأَسْتَارُ  
يُذِيعُهُ يَا لَقَوْمِي وَهُوَ (سَتَّارُ)

ومن الثاني قوله : يتحمَّس بقومه وأهليه ، وأمه (فاطمة) <sup>(١)</sup> و(عليّ) أبيه ، وهي قصيدة طويلة يعارض بها عبد الباقي في قصيدته المعروفة (ولم يحصل لنا منها إلا القليل) ، وهو :

صَبْرًا جَمِيلًا فَلَعْلٌ وَعَسَى  
وَالدهرُ قَاسٌ قَلْبَهُ وَرَبِّمَا  
يَا دهرُ كَمْ مَارَسْتَنِي فِي مَوْطِنِ  
لَا يَنْتَنِي عَنْ غَايَةِ يَطْلُبُهَا  
أَبُوهُ قَدْ أَسَسَ بَيْتًا لِلْهُدَى  
مِنْ فَتِيَّةِ أَبُوهُمْ (عَلَيْهَا)  
مَا أَصْبَحَ الصُّبْحُ عَلَى أَمْثَالِهِمْ  
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ نوره اسـ  
مَا عَسَعَسَ اللَّيْلُ عَلَى أَمْثَالِهِمْ  
وَعِيلِمُ إِنْ عَضَلْتُ مَعْضَلَةً  
يَا دهرُ جُدْ بِالْقُرْبِ مِنْهُمْ نَفْسًا  
أَسْلَمْتَنِي إِلَى الْأَسَى مِنْ بَعْدِهِمْ  
وله أيضاً يتحمَّس :

وَأَنِّي مِنْ قَوْمٍ يَبِينُ بَطْفَلُهُمْ  
مِنْ الْحَدْسِ عَنَوَانُ الرِّئَاسَةِ فِي الْمَهْدِ

(١) هو اسمُها (تعليقة المؤلف) .

فعزّمي وحزّمي يغنيان عن الحشدِ  
فنفسي تناجيني بأدراكها وحدي

إذا لم يكن لي ناصرٌ من بني (أبي)  
إذا أدرك العلياً هُمامٌ بقومه

وقال أيضاً (يفتخر بنفسه وقومه) :

ومحلُّ سام وفخرٌ جليُّ  
وتمنّتُ علاهُ قبلُ (لويُّ)  
والدأُ ينتمي إليه (عديُّ)  
وطوت فخرها بذلك (طيُّ)  
لهمُ في الغداةِ منّا الغَبيُّ  
النقصُ بادٍ والفضلُ فيه خفيُّ  
وعزّيزٌ فيه العُلى اللفظيُّ

ليَ مجدٌ دون الأنام عليُّ  
أنا مَنْ سارت الركائبُ فيه  
لو رأني (عديُّ) ما اختارَ غيري  
ما نشرنا مفاخرَ المجدِ إلّا  
أغابى عن معشري وسيبدو  
كيف أَرْضى عن الزمان وفيه  
معنويُّ الفخار فيه مُهانٌ

وقال يخاطب المرحوم الشيخ مُحَمَّدَ عَنْزٍ<sup>(١)</sup> وقد جعل يلومه على توانيه عن القيام بحقّ العُلى مع ما فيه من الفضل ، وقد هذلت فروعها على من ليس له بها أصل . فأجابه على البديهة وأجاد بقوله :

لألفيتني والدهرُ منّي ضارِعُ  
(أشارتُ إليه بالأُكفُ الأصابعُ)  
رجالُ لهم (حظُّ) تسامى (وطالعُ)  
وراحلتي دون الرواحل ضالِعُ

أبا (جعفر) لو أنّ حظّي أمدّني  
وكنتُ الذي إنّ مرّ يوماً بمحفل  
ولكنّه بي قد كُبا فتقدّمتُ  
رواحلهم لا يلحق الريحُ شأوها

وقال أيضاً :

أُكنافَ كوفان أنت منيتي ، وكَفَى  
ومورداً قد صفا لي من أهيلِ صفا  
عني وعن مجلسي طرفُ الرقيب غفا  
ما مثلهم في الورى من مُشرق شرفا  
غير السماحة والمعروف ما عَرَفَا

لا كفٌ واكف غيث فيك قد وكفا  
لم أنسَ ناعمَ عيشٍ قد نَعِمْتُ به  
إذ فيكِ صرفُ زمانِي غافلُ سَنَةٍ  
في فتية كبدور التّم أوجههم  
من كُلِّ أبيض وضّاح أخِي كَرَمٍ

(١) الشيخ محمد عَنْزٌ تُوُفِيَ سنة ١٢٨٨ هـ / ١٨٧١ م .

رأى طريقَ أبيه في العُلَى فَقَفَا  
أَقْصَرَ فِكْمَ مَا جَدَ مِنْ دُونِهِ وَقَفَا  
وَإِنْ سَمَوْتَ عَلَى هَامِ السُّهَى كَنَفَا  
أَوْ قَاسَ يَوْمًا بِصَافِي اللَّوْلُو الصَّدَفَا  
وَإِنْ مَلَأْتُ بِمَدْحِي فِيهِمُ الصُّحُفَا

وَكُلُّ ثَاقِبٍ فَكْرٍ عَيْلِمٍ عِلْمُ  
قُلٍّ لِلَّذِي رَامَ يَقْفُو إِثْرَ مَجْدِهِمْ  
مَا أَنْتَ مَنْ تُدَانِيهِ بِمَكْرَمَةٍ  
هَلْ شَبَّهَ السِّيفَ يَوْمًا بِالْعَصَى أَحَدُ  
لَا يَبْلُغُنَّ مَدِيحِي بَعْضَ وَصْفِهِمْ

وقال في (الحماسة) أيضاً :

وَأَنْ أَهَزَّ الطَّرْفَ نَشْـوَانَا  
وَأَمْتَطِي فِي الْعِزِّ كِيَانَا  
مِنْ الْوَرَى دُلًّا وَخِـذْلَانَا  
وَلَمْ أَشِـدْ لِلْمَجْدِ بُنْيَانَا  
عَلَى الْوَرَى سِرًّا وَإِعْلَانَا  
عَنِّي عَنَوَانًا فـعَنَوَانَا  
مَنِّي أَمْثَالُ الَّذِي كَانَ  
أَجْلِبُهَا خَيْلًا وَرَكْبَانَا  
يَطْوِينَهَا سَهْلًا وَأَحْزَانَا  
لِغَايَةِ فِي الْجَوْعِ عُقْبَانَا  
تَلْوِي عِنَانَ الرِّيحِ خَسِرَانَا  
إِلَّا وَأَوْهَتْ مِنْهُ أَرْكَبَانَا  
إِلَّا وَقَدْ أَعْيَتْهُ مَيْدَانَا  
كَانُوا لَدَى الْمَحْرَابِ رَهْبَانَا  
أَوْ خُلِقُوا لِلْحَرْبِ فَرَسَانَا  
وَاشْتَبَكْتُ بِيَضًّا وَخُرْصَانَا  
كَالشُّهْبِ أَفْعَالًا وَأَلْوَانَا  
وَانْتَهَبْتُ ظُلْمًا وَعَدْوَانَا  
وَابْتَدَرُوا شَيْبًا وَشَبَّانَا

أَحْبَبْتُ أَنْ أَهْزَلَ جِذْلَانَا  
وَأَنْ أَمِيطَ الذَّلَّ عَنْ عَاتِقِي  
وَأَنْ أَسْوِمَ الذَّلَّ مَنْ سَامَنِي  
أَوْ لَا فَمَا لِي فِي الْعُلَى مَطْلَبُ  
وَلَمْ تَكُنْ لِي سَابِقَاتُ النَّدَى  
وَلَا رَوَى الرَّائِي حَدِيثَ النُّهَى  
وَلَمْ يَكُنْ مَا كَانَ مِنْ (وَالِدِي)  
وَلَمْ أُطْلُ بُرْدِي فِي غَارَةٍ  
مُسْتَبَقَاتِ كَنْسُورِ الْفَلَا  
يَحْسِبُهَا الرَّائُونَ مَهْمَا جَرَتْ  
مَا سَابَقَتْهَا الرِّيحُ إِلَّا أَنْثَتْ  
وَلَا جَرَتْ وَالْبَرْقُ فِي حَلْبَةِ  
وَمَا جَرَى الْفِكْرُ بِأَثَارِهَا  
يَحْمِلُنَ لِلْحَرْبِ أَسْوَدًا وَإِنْ  
كَأَنَّهَا قَدْ خُلِقَتْ تَحْتَهُمْ  
بِيَضٌ إِذَا نَارُ الْوَعْيِ أَضْرَمَتْ  
رَأَيْتُهُمْ وَالنَّقْعَ مِنْ فَوْقِهِمْ  
رَأَوْا حَقُوقَ الْمَجْدِ قَدْ عُطِّلَتْ  
فَعِنْدَهَا هَبَّوْا خَفَافًا لَهَا

وأقسموا لا ألفوا مضجعاً      أو يرجع الأمر كما كانا  
وقال :

أهمُّ بأمر الحزم في كُلِّ موطنٍ      أهمُّ بأمر الحزم في كُلِّ موطنٍ  
ومازلتُ أسعى للمعالي وأنثني      ومازلتُ أسعى للمعالي وأنثني  
وقال :

وهبني جلستُ على مُسندٍ      وترمقني عينُ مَنْ يحسدُ  
حقيق به دون كُلِّ الأنامِ      أنا ، وحقيقُ بيَ المُسندُ

ومن الثالث ، قال : يدحُ الأمير عليه السلام :  
إذا كُنتَ تخشى منكراً وحسابه      وتفزعُ مِنْ لُقيَا نكيرٍ وترهبُ  
فلذُ بالذي لو أذنبَ الناسُ كُلُّهم      ولاذوا به لم يبقَ في الناسِ مُذنبُ!  
وقال في شيخ إبراهيم بن شيخ يحيى العاملي (ره) :

إنَّ ابنَ (يحيى) وإنْ فاقَ الورى كَرَمًا      وحازَ ما حازَ من علمٍ ومن أدبٍ  
لكنْ إذا قيسَ بي يوماً تلوتُ له      (وفي الحُمَيَّةِ معنىٌ ليسَ في العنبِ)  
وقال في بيت (كَبَّة) ، وكانت له معهم مودةً أكيدة :

بني (كَبَّة) قدْ أصلحَ اللهُ فيكمُ      مفسدَ أقوامٍ تعمُ شُرورها  
حللتُم (ببغداد) فأورقَ عودُها      وطابتْ بكم أعوامُها وشهورُها  
حميتُم أهاليها وصننُم ديارها      فديارُها يُثني عليكم ودورها  
أكفُكمُ أندى من الغيثِ راحةً      تصوبُ فتستجدي نداها بحورها  
ديارُكمُ الدنيا وأنتمُ بها الورى      وأخلاقُكم في جبهةِ الدهرِ نورُها  
أأعدُمُ رشدي في طِلابيَ للعلی      وأنتمُ بأبراجِ المعالي بدورها

وقال في عبد الغني أفندي جميل<sup>(١)</sup> زاده وهو من أشراف بغداد :

(غني) كاسمه عن كل نعت      وأكرم (بالغني) عن النعوت  
جمال العالمين أبو (جميل)      قريب رجا النوال بعيد صيت

وقال :

قد كان دون البرايا لي أخو ثقة      أحله من فؤادي بين أفلادي  
وكنْتُ أيقنتُ لا خلف بموعده      وإن همته إنجاز ميعادي  
أقمتُ حولا على الميعاد أرقبه      كما يؤمل برقاً خلّباً صاد  
وحين حققتُ منه خلف موعده      فلم تثق بعده نفسي بميعاد

وقال يرثي ابناً صغيراً مات له فأنشأ على البديهة :

ما أصابتك بل أصابت فؤادي      يا منى النفس عين الحساد  
أتراها رأت عيدي كثيراً      فقضت لي بكثرة التعداد

وكتب إلى طه أفندي السنبللي (نائب كربلاء) وقاضيهما :

إن (طاها) شرع الدين وفي      مدحه قد أنزل الرحمان (طه)  
وطأ الأرض على تقوى بها      قد رقى فوق السما حتى وطاها

فأجابه القاضي المزبور بقوله :

قد تناهى فيكم الفضل وما      قد تناهى فيكم لا يتناها  
ستروا نقصي بفضل ولكم      معضلات (كشفوا) عنها (غطاها)

وقال الشيخ محسن آل الشيخ خضر يهنى الشيخ جعفر وأخيه الشيخ مهدي بزواج  
أخيها الشيخ عباس (سلمه الله) بقوله موشحاً :

أيها الساقى أدرها كلماً      لمعت في الأفق نار (الفرس)

(١) عبد الغني جميل (هو جد أسرة آل الجميل البغدادية) تولى منصب الأفتاء . ولد سنة ١١٩٤هـ / ١٧٨٠م ،  
وتوفي سنة ١٢٧٩هـ / ١٨٦٣م .

(قهوة) أعذب من ماء السما لاطفتها نسمات القدس

\*\*\*

بنت كرم زوجت بابين سحاب  
فانثت ترقص أطفال الحباب  
تجتيها من بني الفرس كعاب

برزت كالشمس تجلو أنجما من كؤوس نثرت في المجلس  
تارة فرداً وأخرى توأما شيمة القينات في الأندلس

\*\*\*

لك نفسي أيتها الساقى فدى  
هاتها أعذب من قطر الندى  
لم يطب للصّب كأس أبدا  
دون أن ينتاش كأساً مفعماً راق في أيدي الجواري الكُنس  
ورحيقاً عاد ممزوجاً بما ظمنت ريقتها من لعس

\*\*\*

لا شكت عينك يا ظبي الصريم  
هاتها مشفوعة في ظلم ريم  
فلقد هاج بي الشوق القديم  
لعهود سلفت حيث الحمى نجمه يمني بلحظ أشوس  
فرصة فاتخذنها مغنما قبل أن ينسف ذيل الغلس

\*\*\*

حبذا الحسناء زارت في الدجى فوهبناها الحجى والمُهجا  
فاز (عباس) بها وابتهجها عندما ألفت إليه معصما

وهي ترنو في عيون النرجس  
وانزوى عن حُسْنها بدر السما  
إذ بدت في حُلّة من سُندس

\*\*\*

قم نهني شيخها الفرد العلم قطبها (المهدي) والطود الأشم  
ذاك شمس الدين ما بين الأمم نوره يجلو عن العين العمى  
إذ بدا في ثوب نسك أطلس  
من (علي) وهو نعم المنتمى  
أو (بتول) طهرت من دنس

\*\*\*

وبذاك البشر هني (ابن جلا) (جعفر) الفضل ، وبحر الفضلا  
رب سر غامض فيه انجلا بعدما قد كان صعباً مبهما  
عاد طوعاً ذا قياد سلس  
لابساً ثوب جلاء معلماً  
وهو للأنباء أسنى ملبس

\*\*\*

(جعفري) من بني (كشف الغطا) لم يزل أزهارها ملتقطا  
يالدر منه سمعي فطرا وبه روي نفوساً هيما  
سكراً ما إن سقاها نحتسي  
بأصول تخذتها سلماً  
لمدى قصير أيدي الفرس

\*\*\*

هاكها من دون من وأذى كاعباً تجلو عن العين القذى  
(مهرها) الأقصى قبول وإذا شئت طوقها جميلاً مثلما  
طوقتها فكرتي في برنس  
برنس فكري له قد نمنما  
وكفاه منه تاجاً نكتسي

\*\*\*



## نادرةٌ غريبة

ومن نواذر الشيخ جعفر (ره) الغريبة ، الدالة على فهمه المتوقّد وفطنته العجيبة ، ما سمعته من جماعة من الثقات منهم عمّي العلم العباس نجل الحسن (ره) ، قال : جاء السيد مُحَمّد القطيفي<sup>(١)</sup> (صاحب المراثي المشهورة) زائراً إلى النجف في زمان العلّمين المبرّزين مُحَمّد ، والمهدي - نجلي العلامة عليّ بن جعفر - (رحمهم الله أجمعين) . وكان السيد من الطاعنين في السنّ المعروفين بالفضل وهو من تلامذة الشيخ موسى (ره) وله فيه قصيدة كبيرة يرثيه بها مع السيد مُحَمّد المجاهد ، والميرزا القمّي (ره) ، وكانت وفاة الجميع في عام واحد ، ويسمى ذلك العام (عام العلماء) لكثرة مَنْ تُوفيّ منهم فيه . ولم أعثر على القصيدة حين التأليف .

ثم إن السيد (ره) دخل في جملة الزائرين عصراً إلى دار الشيخ الكبيرة وكانت غاصّة بالعلماء والأدباء ، فجرى ذكر المراثي بينهم وجيّدتها وردّيها . فقال السيد : قدّ أتيت لسيد الشهداء (ع) بهديّة معي لم يُهدّ له مثلها .

فقبل : وما تلك الهدية ؟

فقال : قصيدة ولكن لا كما سمعتم وتلوتم من (فلان) و(فلان) ، يعرّض بالكعبي ، والخطّي ، والأزري وأمثالهم من المبرّزين في هذا الباب . فأخذوا يلتمسون منه أن يتلوها عليهم إلى أن أجابهم لذلك . فأخذ يتلو قصيدته التي يقول فيها :

بكتك الصّفوفُ وبيضُ السيّوفِ      وسودُ الحُتوفِ أسىً والقطارُ  
إلى أن وصلَ إلى قوله :

وخابَ المِلْمُونُ والوافدون      وضاعَ المشيرونَ والمستشارُ

وكان الشيخ جعفر (ره) يومئذ حدث السنّ وهو جالس في طرف المجلس . فأقبل على السيد من مكانه وقال له : يا سيدي إنّ (المشير) و(المستشار) واحد فما الثمرة بهذا التكرار؟

فتأمّل السيد قليلاً ثم ذهب يتلو على رسله ولم يعبّر به .

فسكت الشيخ جعفر إلى أن وصل إلى بعض الأبيات ، فقال له : وإنّ في هذا البيت (زُحافاً) غير مغتفر عند العروضيين .

(١) السيد محمد القطيفي آل معصوم ، تُوفي سنة ١٢٧١هـ / ١٨٥٥م .

فأقبل عليه (السيد) وقال له : يا ولدي كأن لك يداً في العروض ، فكيف تُقَطِّعُ قول الشاعر :

جَنَّبُوا عَنَّا كَنِيستَكم يا بني حَمَّالة الخطب<sup>(١)</sup>

فالتفت الشيخ جعفر إلى نكتة البيت قبل أن يُقَطِّعَهُ . فقال للسيد : إن تقطيع هذا البيت لواضح ، ولكن في هذه القصيدة بيتٌ هو أشكل من هذا ، إن قَطَعْتَه لي قَطَعْتَ لك هذا البيت .

فقال : وما هو ؟

فارتجل الشيخ جعفر في ذلك الحين بيتاً على الوزن والقافية ، وهو مشتمل على مثل تلك النكتة وهو :

إِنَّ مَنْ تُجَلَى طَبِيعَتُهُ ذَاكَ مَرءٌ مِنْ ذَوِي الْحَسَبِ

فأخذ السيد يقطعه إلى أن قال «لاط بي» ، فقال له الشيخ جعفر ، وهو مبتسم : العياذ بالله يا سيدي ، من يلوط بك وأنت بهذا السن ؟!

فالتفت السيد إلى النكتة فخرجل ، وتعجب الحاضرون وعرفوا أنه إرتجال .

وسأل السيد عن الشاب ممن ؟ فقليل له : هو ابن الشيخ عليّ آل الشيخ الكبير (ره) . فقام وقبل ما بين عينيه وقال : أشهد أنكم بيت علم وفهم ما حُوجِجْتُمْ إِلَّا حَجَجْتُمْ وَلَا خُوصِمْتُمْ إِلَّا خَصِمْتُمْ ، وأخذ يدعو له بالتوفيق والهداية .

وهذا من أعجب ما يبلغ السامعين في هذا الباب ، فيا قدس الله سر أولئك البررة الأطياب .

ولما تُوفِّيَ أخوه العلم المهدي عكفت همم العرب عليه ، وعاجت آمال طلبة العلم إليه ، فلم يشدَّ عنه إنسان ، ولم يختلف في فضله إثنان ، فتوشَّح لها وترشَّح ، وجعلت الأَبصار والنواظر إليه تطمح .

ثم رقى أعواد التدريس والدراسة ، حتى أصبح عمود الدين وعماد الرئاسة ، وتجمَّعت

---

(١) نُقِلَ أَنَّ امْرَأَةً (من قبيلة يكسرون أول الفعل) مَرَّتْ بجماعة ، فسألها أحدهم : هل تكتنون ؟ قالت : نعم ، نكتني (وكسرت النون) ، فقال : معاذ الله ، لو فعلتُ لاغتسلتُ فسألته هل تحسن العروض ؟ قال : نعم . قالت : كيف تقطع : «حوكوا عنا كنيستكم» ؟ فقال : حوَكُوا عن (فاعلات) ، ناكني (فاعل) ! فقالت : مَنْ الفاعل ؟ لكنَّ الباغي مصروع !

جميع الأفاضل للحضور عليه ، حين اجتمعت كل الفضائل لديه . فكان من حضر ابن أخيه الخلف الصالح ، دفعاً لتوهم المعارضة له في بعض الأمور والمصالح . فلم يزل أمره في ترقّي وصعود ، حتى أخذ به الشوق إلى دار الخلود ، فما أمهلت الآجال ، ولا مضت عليه الأيام والليال ، إلّا وقد اشتد به الحال ، من مرض (الدق) الذي تعلق به قبل أحوال ، إلى أن صعد صاعداً ذلك النور المبين ، قبل بلوغ (الستين) ، فسلم نفسه الزكية ، إلى رائد المنية ، في جمادى من سنة التسعين<sup>(١)</sup> ، فلم يبق بعد أخيه سوى سنة وأربعة أشهر .

### مراثيه

فقامت المكارم وذوو الآداب تنعاه ، وطفق أفق العلّى والكمال يرثي وينشد ثريّاه . فقال الشيخ مُحَمَّد بن حمزة يرثيه ، ويعزّي السيد العلم الحجة المهدي<sup>(٢)</sup> ، لا زالت سحب الرضوان عليهم تلحم وتسدي :

حقّ لطرف المجد أن لا يرقدا	فاليوم نادى معلناً ناعي الهدى
ما للردى في كلّ يوم صرفه	يدك طوداً للعلّى مشيدا
أبتغي تجلّداً من بعدما	قد طوّحت (بجعفر) يد الردى
ما جاءنا بغيّه إلّا وفي	كلّ حشّى نار المصاب أوقدا
فاستنجد الدمع فأنّ العلم قد	غار الأسى بقلبه وأنجدا
يا من أقام يومه قيّمة الـ	وجد بفقدك السلو افتقدا
رزؤك قد أبكى ملائكة السما	فوجدّها باق عليك سرمدا
تبكي غفاة الناس منك نائلاً	كلّهم عليه منك عوداً
ما حالها ونصب عينها ترى	شخصك والجود معاً قد ألحدا
كنت على الأخطار سيفاً مُصلّتا	ما بال ذاك السيف عاد مُغمدا
لا يُحمد الصبر بلى بالسيد (المهدي)	صبر العالمين حمدا
لسانه أمضى من السيف شباً	وكفه أوفى من البحر ندى

(١) ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م .

(٢) هو السيد مهدي القزويني الحلّي المتوفى سنة ١٣٠٠هـ / ١٨٨٢م .

عَنْ (حيدر) عن النبي (أحمدا)  
 فضل فكم من حائر بها اهتدى  
 كما (حسين) لم يزل (محمدا)  
 خير فقيده فضله ما فقد  
 قلب الرشاد حره قد بردا  
 فكلهم للعلم يدعى ولدا  
 ومجدهم فات (السمالك) مصعدا  
 ومنه يستجدى الغمام أبدا  
 غر المزايا قد أتت إرثا له  
 بدر غلا، أبناؤه كواكب الـ  
 (فجعفر) للمجد كان (صالحا)  
 فيكم بني الوحي لنا السلوان عن  
 وإن في إخموتيه ونجلىه  
 أبوهم العلم إذا ما انتسبوا  
 وجودهم فات الخضم دفعا  
 أقول حيا الغيث رمس (جعفر)

وقال الأديب المجلي، الشيخ علي بن قاسم الحلبي<sup>(١)</sup>، يرثيه، ويعزي السيد المتقدم  
 وذويه، وهي:

أدهى البرية يومها الموعود  
 لا بل لها الناعي أصوات (بجعفر)  
 أودى فلج بنعيه لسن الوري  
 والناس من دهش المصاب بسكرة  
 وبكى عليه المعتفون وإنما  
 وله القلوب تنازعت حرق الجوى  
 ذهب الوري (ببسيط) خلق (كامل)  
 رب البلاغة والفصاحة والنهى  
 وخضم علم منه تغترف الوري  
 مازال حتى أغتاله صرف الردى  
 يصل البعيد بنيله متعطفا  
 ولربما شمت الحسود بموته  
 أم ذاك خطب في الأنام جديد  
 فلها قيام بالجوى وقعود  
 فكأن أصوات النعاة رعود  
 فكأنما دهم الأنام وعيد  
 بندا أعينهم عليه تجود  
 فلكل قلب في جواه وقود  
 بحر السماح براحتيه (مديد)  
 روض المكارم بحرهما المورود  
 لولا المنية ما عراه نفود  
 غيثا به عيش العفاة رعيد  
 زمنا به نيل القريب بعيد  
 والموت لم يحسد عليه فقيد

(١) الشيخ علي بن الشيخ قاسم الأسدي الحلبي، ولد سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م، وتوفي سنة ١٣٣٢هـ / ١٩١٣م.

ومماته في فضله محسود  
 إنَّ (البحارَ) يضمُّهنَّ (صعيدُ)  
 لبني المكارم بالعلوم يسود  
 فكأنَّهم لما أبىد أبىدوا  
 لمصابه وحكى الشفيق حسود  
 ندباً لعزِّ غلاه تعنو الصيِّد  
 والمكرمات لها عليه نشيد  
 كسُراة جيش ما لهنَّ عميد  
 فيها ضجيعاه الندى والجود  
 فكلأهما في لَحْدِه ملحود  
 قد أصبح الأسلام وهو فقيد  
 فيه إذا دجت الغواشي السُود  
 ما في بني الدنيا سواءه (مُفيدُ)  
 لا تستطيع لها الجبال الميِّد  
 في أزمة العام الحيل وفود  
 والبُخلُ عن تلك الرحاب طريد  
 إلا وكان خيلهم (تقييدُ)  
 زان الخُدود من المها توريد  
 وكذلك أبناءُ الأسود أسود  
 شربت سُلَافاً مجَّها العُنُقود  
 بين الأنام إليهم (التقليدُ)  
 بيت لآفاق السماء مَشِيدُ

أثرٌ بكلِّ قرارة مشهود  
 تُجلى بطلعتها الخطوبُ السُودُ

وكفاه فخراً أنَّه بحياته  
 ولقد عجت ولم أزل مُتَعَجِّباً  
 الله أكبرُ مات أكبرُ مَنْ غدا  
 قد عمَّ أهل الأرض خطب وفاته  
 وبكى الأنام قريبتهم وبعيدهم  
 هيهات أن يأتي الزمانُ بمثله  
 يا حاملين بنعشه قمر الهدى  
 سرُّتم وفيه تهتدون وأنتم  
 دفنوا العلوم بدفنه في تربة  
 لا بلُّ بها دفنوا الشريعة والهدى  
 لولا الفتى (المهديُّ) قلت بيومه  
 العالم العلم الذي تُهدى الورى  
 (علامة) في الدهر جاء (محققاً)  
 أباً (الحسين) لقد ذهبت بنكبة  
 نزلت بأكرم مَنْ عليه تراكمت  
 أمَّا السَّخا فمقرُّه في بيتهم  
 ما (أطلقت) فيه أعنة خيلهم  
 كرم يزأن بحسن خلق مثلما  
 لم تحكه بالفضل إلا (ولده)  
 ترتاح للفعْل الجميل كأنما  
 لولا احترام (أبيهم) قلنا انتهى  
 ولهم بقارعة الطريق إلى القرى

إلى أن قال :

صبراً بني المعروف مَنْ لنداها  
 قلنا بكم حُسن العزا فوجوهكم

وسقى سحابُ العفو قبراً حلّه فبلحده جسمُ العلى ملحوذ

وقال الشيخ حسين بن عبد الله الحلبي يرثيه ، ويعزّي السيد المتقدم أيضاً ، وقد جلس لل عزاء في الحلة ، وهي ، (ولقد أجاد) :

إلام أقاسي من صروفك يا دهرُ  
وكم للرزايا منك قلبي درية  
وكم ذا أقاسي نكبةً بعد نكبة  
وكم أنتَ في الأمجاد يا دهرُ فاتكُ  
فبيننا أعاني سبرَ جرحٍ بمهجتي  
لقد طرقتنا اليومَ منك رزية  
فلا مثلُ هذا الخطبِ خطبُ دها العلى  
له كادت الغبرا تميذُ بأهلها  
وكادت له الخضراء تهوي على الثرى  
وفيه الورى عادت سُكاري كأنما  
لتبك العلومُ اليومَ جامعَ شملها  
ليبك له المحرابُ حُزناً فكم غدا  
لتبك اليتامى اليومَ أرأفَ والد  
لتبك الأيامى اليومَ كافلَ برّها  
عجبتُ لذاك الطودِ كيفَ تصدّعتْ  
وبحر ندى في التُربِ غاضَ عباؤه  
سرور فيه والأيمان حول سريرهِ  
ومن خلفه التقوى تنوحُ بعبرة  
وبات عليه العلمُ يلدُم صدره  
لقد كان للأسلام غضباً مُهنّداً  
فلو كان عنه الموتُ يُدفعُ بالفدى  
فهيّات يسلو رزءُ اليومِ ذو حجى

جوى بين قلبي والضلوع له سَعَرُ  
وثغرة نحري كُلَّ أن لها نحْرُ  
يذوبُ لها قلبي ولو أنه صخرُ  
وفي الصيدِ أهل الفضلِ شيمتك الغدرُ  
إذا جرحُ ثانٍ لم ينلَ قعره سَبْرُ  
بقلب الهدى للحشرِ من هولها دُعرُ  
ورزءُ عظيمٍ جلّ موقعه يكرُ  
وشهبُ السما تهوى وينخسفُ البدرُ  
وتقضي به حزنًا ملائكتُها الغرُ  
لعظم الشجى والحزنِ فاجأها الحشرُ  
ومن خفياها وأسرارها سرُ  
به مُزهرًا واليومَ من بعده قفرُ  
فمن بعده أودى بأجسامها الضرُ  
فأوجهها ذا اليومَ من بعده عُبرُ  
جوانبه أم كيفَ قد ضمه القبرُ  
وقد كان منه البرُّ يفعمُ والبحرُ  
يناديه مني اليومَ قد قُصمَ الظهرُ  
وقد شقَّ منه القلبُ حزنًا له الفخرُ  
ويذري دموعاً عندها يصغر القطرُ  
ولجة علم لا يُحدُّ لها قعرُ  
فديناهُ لكن فيه قد نفذ الأمرُ  
مدى عمره حتى يفارقه العُمرُ

نَعَمْ فَلَنَا خَيْرُ الْعِزَاءِ بِمَا جَدَّ  
أَبُو صَالِحٍ (الْمَهْدِيُّ) ذُو الْفَضْلِ مَنْ سَمَا  
بِرَاهُ إِلَهُ الْعَرْشِ غَوْثًا لَخَلْقِهِ  
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ الْبَدْرُ سَاطِعًا  
هُدَاةً بِهِمْ يُسْتَجْلَبُ الْعَفْوُ وَالرِّضَا  
بِهِمْ قَصَمَ اللَّهُ الضَّلَالَ وَحَزَبَهُ  
وَلَا زَالٍ سَارِي الْمُزْنِ يَنْهَلُ بِالرِّضَا  
بِهِ عَنْ ذَوِي الضَّرَاءِ يَنْكَشِفُ الضَّرُّ  
مَقَامًا عَلِيًّا لَيْسَ يُدْرِكُهُ الْفِكْرُ  
وَعِثًا إِذَا مَا عَنْهُمْ حُبْسَ الْقَطْرِ  
بِهِ حَفَّ مِنْ أَبْنَائِهِ أَنْجَمٌ زُهْرُ  
وَفِي ذِكْرِهِمْ يُسْتَدْفَعُ الْبُؤْسُ وَالشَّرُّ  
وَفِي فَضْلِهِمْ (جَبْرِيلُ) أَعْلَنَ وَ(الذِّكْرُ)  
وَيَسْقِي ضَرِيحًا حَلَّةَ الْمَاجِدِ الْبَرِّ

وقال السيد في (اليتيمة): ونحمدك يا مَنْ تفضل علينا بعيلم العلم البر، والأصبح  
الأغر، نجل علي بن جعفر، همام أحيا مآثر جدّه بجده، وبلغ الغاية القصوى بجهده،  
زكي نجيب في غوّته أثر النجابة ساطع البرهان، من غوّدت به بلابل المديح على أفنان.

البارع الهدي الذي بجبينه  
والماجد الخبر المذهب (جعفر)  
مقدام أبناء المفاخر كلّها  
إمام يتقد نوراً، ويتفجر بشراً وسروراً:  
أثر النجابة ساطع برهانه  
مَنْ عَمَّ أَبْنَاءَ الْعُلَى إِحْسَانُهُ  
فِي ذَا الزَّمَانِ وَقَدْ غَدَا إِنْسَانُهُ<sup>(١)</sup>

شمس المعالي بدرها البادي الذي  
خلقته فكرته ليوم طرادها  
طال (السماك) فَمَنْ أَرَادَ لِحَوْقَهُ  
ما زال يشرق بالمعاني الجدد  
فيروح يوم السبق فيه ويغتدي  
أومت مساعيه له لا تجهد

كعبة فضل، وغمامة بذل، ومنهاج عدل، ما أشرقت على روضات العلم أقمار  
طلعت، وسطعت عليها ثواقب فكرته، إلا وجلّى غياهب ظلمته، منذ شبّ شبت به نار  
السماحة والفراسة، ومذ نما نمت إليه الفضائل والرئاسة، وحين دبا على عارضيه العذار،  
غدا جامعاً للفضل والنهى والفخر. فهو عالم محقق، وفاصل مدقق، وجدلي مفلق، لم  
يقطع حبل جدله حدّ الحسام، ولم تحو فضله الفضلاء الأعلام، لم يدع منقبة في الفضل  
إلا حواها، ولم يترك مرتبة في الفخر تعالت إلا ارتقاها، ولا ذروة في العلم إلا رقاها، ولا

(١) هكذا ورد البيت في الأصل.

جوهرة في قلب السر مكنونة إلا وانتضى لها مشرفي فكره وأبداها ، باحث مفروض العلم  
ومسنونه ، بحجج غير موهونة ، وأحيا مدارس أبيه بدرسه ، وغوصه في بحر العلم ورمسه ،  
وصار من شدة الاهتمام لا يميز يومه من أمسه ، جمع من المفاخر والمكارم ما تشئت ، وما  
به قلوب الحساد فتت ، كم سعى في المهمات ، للذهاب والقادم من البريات ، وكابد في  
طلب العلم التعب ، وقاسى النصب ، فاغتنى فيه البحر المواج ، والسراج الوهاج ، والبدر  
الساري في أفق الكمال والشمس المنيرة ببروج الفضل في فلك الاعتدال . (جعفر)  
الفضل الذي كان محمولاً في صلب النور (الجعفري) حيث لا حامل هناك ولا مدير ،  
ومشمولاً بعبء شجرة اللطف الأزهري ولم يشعر بذاك إذ ذاك ملك التصوير ، أشرفت به  
شمس (علي) السابحة في فلك الوجود ، حيث لا متحرك من الأفلاك بأحدى  
الحركتين ، فكان نوراً موقناً في فروع الشجرة الزكية الباسقة في فضاء الوجود حيث لا  
محدد هناك لأحدى الجهتين :

وأغرّ وضاح الجبين كأنه      بسما السعادة جنح صبح مُسفر  
متنمّر ما ريع قطّ بموقف      ويُرّيع قلبَ الفاتك المتنمّر  
وأشّم مرهوب اللقاء إذا سطا      يسطو بغرمة ليث غاب مخدر

يتجلّى صباحه بسما العلوم ، تجلّي مصابيح الدياجر المدلهمة في الغيوم ، فتبسم  
رياضها عن درر فضائل فيما أهمّ ، وعن نفائس أبقار هي أبهى ما ينظم .

ثم إن السيد (ره) أخذ يسرد جملة من شعره في حق صاحب (الترجمة) ، إلى أن  
قال :

هذا مع أنه (أيده الله) مستعملاً طريقة الأنزواء في مسلكة ودرسه ، مستقلاً في ذلك  
بشرذمة من أبناء جنسه ، لتكفل أخيه بأحياء مدارس أهليه ، وتشيد العلم ومبانيه ، إذ لا  
يسعه مع ذلك الاستقلال بالجسم الغفير ، والسرب الكثير ، على أنه الحقيق بأن يقول :  
لاستكماله في المعقول والمنقول :

قلبي وفكري (سليمان) وأصفه      هذا الرئيس وهذا خير مروّوس  
يرتدّ قبل إرتداد الطرف من طرف      بألف عرش عليه ألف (بلقيس)

إلى أن قال : وهو من ثبتت له ثلاث خصال ؛ الأولى أنه من يروى عنه ، الثانية : أنه  
من يؤخذ منه ، الثالثة : أنه من تصدّق فيه الأقوال الغريبة ، والأفعال العجيبة ، والسماحة



التي ما لأحد فيها ريبة .

ثم رجع إلى ذكر كُلِّ واحدة بالتفصيل ، على عادته من التطويل ، وإعادته لفقرات التبجيل . وأنت خبير أن الطبع موكل بمعادة (المعادات) ، واستكراه المكررات .

وقال الأديب الأوحده ، علم الكمال المفرد ، إنسان عين الكمال وعين كمال الأنسان ، الشاعر الماهر الشيخ أحمد قفطان ، يرثيه ويعزِّي عماد الأنام ، وعمود الأسلام ، الرئيس المطاع ، والرأس السامي على الذرى والبقاع ، مصباح المحافل والمجالس ، وصباح المحاريب والمدارس ، بقية العلماء الأمجاد ، وقدوة العباد ، مبدأ ومعاد ، العلم المقتدى مُحَمَّدُ الرضا ، بقية الإمام موسى بن جعفر لا برحت تصوبهم سَحْبُ العفو والرضا :

المستطيلُ على هام السماكِ علًّا      بعزيمة دونها نسرُ السما وَقَعَا  
جازتْ مآثرُها الجوزاءَ في شرفٍ      قد عاقَّ عن شأوها العيوقَ مرتفعَا

### ترجمة الشيخ مُحَمَّد رضا (ره)

وكان (رحمه الله) كبير الهممة عظيم القدر ، كثير النهي والأمر ، مطاعاً عند الرعية والحكام ، مسلّم الرئاسة لدى الخاص والعام ، كثير السّعي في مصالح المسلمين عند الحكام ، والأمراء المتولّين .

وكان أكثر امتحانه بأمور الفرقتين الشريرتين (الزقرت) و(الشممرت) وإصابته بسببها هناة وأشياء لا يسع المقام ذكرها . فاختر العزلة عنهم والتحبّب منهم ، فسكن في أيام ابني عمّه (مُحَمَّد والمهديّ) كربلاء المشرفة ، وهاجر من النجف بأهله وجميع متعلّقيه إلى أن هدأت تلك الشقاشق وسكنت بعض هاتيك الفورة رجع إلى محل عزّه ومسقط رأسه بعد وفاة عمه المهدي ، واشتغل بأمر زواج أولاده .

فما مرت سنة إلّا وتُوفِّي ابن عمّه الشيخ جعفر ، فجلس بمسند آبائه وأعمامه ، وتعبّقت به مراتبهم عقب الورد في أكمامه ، ونهض مستقلاً بأعباء رئاسة العرب ، وألقت الأمور إليه فضل زمامها ولا عجب .

وجعل يباحث الفقه في مدرسة آبائه الكرام ، وحضر في حوزة درسه جماعة من الفضلاء العظام . فمنهم ابن عمه الخلف الصالح<sup>(١)</sup> نجل العلم المهدي ، ومنهم العالم

(١) ولد سنة ١٢٤٨هـ / ١٨٣٢م ، وتُوفِّي سنة ١٣١٧هـ / ١٨٩٩م . وهو جدّ الشاعر الكبير صالح الجعفري المُتوفَّى سنة ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .

الأوحدى ، شيخنا المقدس الشيخ أحمد المشهدي<sup>(١)</sup> ، والمرحوم الشيخ علي حيدر<sup>(٢)</sup> ،  
والشيخ عبد الحسن ابن المرحوم الشيخ راضي<sup>(٣)</sup> ، وغيرهم من أمثالهم كثير . وكان عمدة  
حضوره وتحصيله على عمه العلامة الحسن (قده) وصار يقيم الجماعة في الصحن الشريف  
ويجتمع خلفه السواد الأعظم من الناس .

### مدائح وتهانيه

والحاصل أنَّ أمره لم يزل يعلو ويتسامى ، والعدو عنه يعمى أو يتعامى ، إلى أن عادت  
به أيام أبائه غضة أنيقة ، وأصبحت أغصان عزهم به بعد وشك الذبول يانعة وريقة . فقال  
الشيخ أحمد المتقدم يرثي ابن عمه الشيخ جعفر ، ويمدحه ويعزي بني عمه والناس ،  
بوجوده وذلك سنة ١٢٩٠ ، وهي :

صرف الردى أمر مُقَدَّر	لم ينج منه كُلُّ مَنْ فَرَّ
الكُلُّ منا هالكٌ	يوماً وفي الأجداث يُقْبَرُ
ولئن أساء الدهرُ في	تقويضه بالندب (جعفرُ)
من قبل أن يبقيه إلا	للورى عاماً وأشهُرُ
وغدا حشا العياله	بزفير نار الحزن يُسَجَرُ
والدين مشقوق الردا	حُزناً له والأفق مُغْبَرُ
فكفى الهدى وبني الهدى	ببني أبيه القادة الغرُ
قوم لهم في (جدهم)	وبجدهم فخر مُقَرَّرُ
فخر تسلق في العلى	لأبي المعالي الشيخ (جعفرُ)
فلِكُلِّ سلك مكارم	نظمت به دُرٌّ وجوهرُ
ولئن أساء فففيهم	وبنجل (موسى) الدهرُ كَفَرُ
فلقد أقرُّ أباً (عليّ)	خير مَنْ مِنْ بعده قَرُ
بعقام أباه الأكارم	خير مَنْ للدرسِ قَرُّ

(١) ولد سنة ١٢٥٩هـ / ١٨٤٣م ، وتوفي سنة ١٣٠٩هـ / ١٨٩٢م .

(٢) ولد الشيخ علي حيدر سنة ١٢٣٨هـ / ١٨٢٣م ، وتوفي سنة ١٣١٤هـ / ١٨٩٦م .

(٣) ولد سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م ، وتوفي سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م .

لا تشمت الأعداء فهذا  
كيف الشماتة وابن (مو)  
بحر تدفق بالمعارف  
فاستخبر الأبناء عن  
كالشمس في راد الضحى  
فمتى الردى صدع الهدى  
وبه فؤاد الدين عمّن قد  
أبني العلى لا تعبأوا  
فلنا بكم حسن العزا  
ولكم سلو بابن (موسى)  
وأبو (محمّد) إن قضى  
فلاجل ذا، ذنب الردى

ظله السامي تسوّر  
سى) قائم الله أكبر  
من بحور العلم يزخر  
أخلاقه وعلاه تخبر  
فيه الفضائل ليس تنكر  
فالصدع فيه اليوم يجبر  
قضى منهم تصبّر  
فيمن تنكر أو تكبر  
عمّن إلى الجنات يخسر  
إنه بالأمر أجدر  
(فمحمّد) المولى (الرضا) قر  
في (جعفر) أرخت (يغفر)

ثم لما استقر له الأمر، وبزغ بين قومه بزوغ البدر وسط الشهر، قال الشيخ أحمد قفطان أيضاً يهنئه بجلوسه في مجلس آبائه الكرام، ومرجعية الخاص له والعام، ويمدح بعض بني عمه وأبيه، ويعرض بأعادييه، وهي:

ألا حيّها جاءت موردة الحد  
رأتك لها كفواً فنضت قناعها  
رأت بك أنواراً (لموسى) جليّة  
رأت بك أخلاقاً حسناً ومنعة  
نوالاً بلا سؤال جمالاً بلا حلى  
رأت لك كفاً يخجل السحب نووها  
مكارم أخلاق مشارق مفخر  
وفيك صفات لو أبين بعضها  
فأنك فينا حجة وابن حجة  
وإنك بعد الله للناس موئل

إليك على وعد بعهد من (الجد)  
لديك ولا ترضى بعمر ولا زيد  
وآياته التسع التي للورى تهدي  
وعلماً وحلماً ناء في كفة الطود  
دلاً بلا غي جلالاً بلا جند  
سوى أنها من غير برق ولا رعد  
لأنوار علم أو لأنوائها تبسدي  
يقولون غالى في مجاوزة الحد  
ومن حُجج غر ضياغمة أسد  
وإنك فينا صاحب السيف والبرد

بلى يا بنَ (موسى) أنتَ حَجَّةٌ عَصَرْنَا  
(ضروري) شكل (منتج) موجباته  
وآياتُ فضلِ مِيزَتِكَ بِنَصِّهَا  
عَذْرَتُكَ إِنَّ أَمْسِيَتَ محسودَ معشرِ  
رعى اللهَ أرحاماً يرونَ لك الولا  
رجال إذا استنجدتَهُمْ في مُلَمَّةٍ  
أناسٍ ولكنَّ لا يُضامُ نزيلُهُمْ  
أزاهيرُ أمثالِ النجومِ سوامقاً  
عواضدٍ إنَّ تشددَ بهم أزرَ ساعدِ  
ألا يا بنَ مَنْ أومى الزمانُ لفضله  
لك الخيرُ لو أنصفتني لوجدتني  
وربُّ فستى يُبدي هواهُ تَمَلُّقاً  
ولستُ كَمَنْ يمشي الهوينا تَحْتِلاً  
ولكن أرى حقَّ الولا واجباً لكم  
بني (جعفر) أنتم عصامي ونخوتي  
يميناً لأنتم خيرُ مَنْ وطأ الحصى

وإنَّكَ أولى الناسِ بالحلِّ والعقدِ  
ولايتك الكبرى على (العكس) و(الطرد)  
بها الذكْرُ مشحونٌ من الناسِ للحمدِ  
غداةً بهم أصبحتَ واسطةَ العقدِ  
كأبني (عليّ) شيخنا ، وبني (المهدي)  
يثورون فيها ثورةَ الأسدِ الوردِ  
وقومٌ ولكنَّ جاوزوا ذروةَ المجدِ  
بهم يهتدي الساري إلى منهجِ الرشدِ  
بطشتَ بكفٍّ منك واثقةَ الزندِ  
كمالُك أومى اليومَ بالطرفِ والأيدي  
أبرُّ الورى رَحْماً على القُربِ والبُعدِ  
ولكنَّهُ يُخفي خلافَ الذي يُبدي  
ليبصرَ فيها فرصةَ الرمي للصيدِ  
وطاعتكم فَرَضاً على الحرِّ والعبدِ  
ففيكم وإلاً لا أُعيدُ ولا أُبدي  
بعصري ، وأندى راحةً بالندى تُنْدي

وهي طويلة ضمّن في آخرها أغراضاً له لا فائدة في ذكرها .

وقال الأديب الوحيد ، المخلّق في سماء الفضل على كُلِّ مجيد ، الماهر الباهر الشيخ  
مُحمَّد سعيد النجفي الأسكافي<sup>(١)</sup> ، لازال ثوب كماله مدى الزمان ضافي ، وفي صدرها  
بقلمه ما هذا نصّه : لراقم بردها ، وناظم عقدها ، أحوج العبيد ، إلى ربّه الحميد ، الجاني  
مُحمَّد سعيد ، مادحاً بها علامة الزمان ، ونادرة الأوان ، قدوة العلماء والمحققين ، وزبدة  
الفقهاء المجتهدين ، العماد الأقوم ، حضرة الشيخ مُحمَّد رضا خلف المولى الأعظم ، الشيخ  
موسى نجب الشيخ الأكبر ، الشيخ جعفر ، (قُدّس سرُّهما ودام بقاءه) ، وهي :

فيكَ الشريعةُ أوضحتُ أحكامُها وبك استبانَ حلالُها وحرامُها

(١) ولد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، وتوفي سنة ١٣١٩هـ / ١٩٠١م .

شَيِّدَتْ أَرْبَعَهَا وَقَمَتَ بَعْبُهَا  
فَلْتَهَنَ شَرَعُهُ (أَحْمَدُ) فِي حَاكِمِ  
عِلْمِ الْهُدَى الْخَبِيرِ (الرِّضَا) مَنْ طَاطَأَتْ  
حُكْمَ تَرَى الْخَصْمَاءَ فَيَصِلَ حُكْمُهُ  
فَلَكُمْ جَلِي، لِدَوِي الْعُلُومِ رَمُوزَهَا  
الرَّاسِخِ الْقَدَمِينَ فِي الشَّرَفِ الَّذِي  
وَالشَّامِخِ الْعِرْنِينَ عَنْ شَمِّ لَهُ  
يَسْتَلُّ لِلْحَدَثَانِ صَارِمَ عِزْمَةٍ  
جَارِي إِلَى الْأَمَدِ الَّذِي فِي شَأْوِهِ  
بَحْرُ طَمِي لِدَوِي الْعُلُومِ وَإِنَّمَا  
فَإِذَا عَوِيصَاتُ الْمَسَائِلِ أُبْهِمَتْ  
شَهْمٌ إِذَا مَا الْعَامُ أَجْدَبَ فِي الْوَرَى  
مَا ضَرَّ أَنْ ضَنَّ الْغَمَامُ بِصُوبِهِ  
ذُو رَاحَةٍ وَسَعِ الْأَجَانِبُ جُودَهَا  
وَرَحِيبُ صَدْرِ فِي الْبَرِيَةِ حِلْمُهُ  
وَأَغْرُ وَجْهَهُ يُسْتَضَاءُ بِوَجْهِهِ  
وَلَرُبَّ حَادِثَةٍ تَغْطُرْسُ لَيْلَهَا  
دَجَنْتُ فَشَقُّ لَلَّيْلَهَا عَنْ رَأْيِهِ  
أَسْلِيلُ (مُوسَى) ذِي الْيَدِ الْبَيْضَا الَّتِي  
أَبْرَمَتْ مَا نَقَضَ الزَّمَانُ بِهَمَّةٍ  
هَظَلَتْ يَدَاكَ عَلَى الْعُفَاةِ فَأَنْعَشَتْ  
قَدْ قَدَّمْتُكَ سُرَاةً قَوْمِكَ حَيْثُ قَدْ  
سَعَدَتْ لَهَا الْأَيَّامُ فَيْكَ وَحَسْبُهَا  
إِنْ تَعْتَصِمَ بِكَ مِنْ صُرُوفِ زَمَانِهَا  
بِكَ يَسْتَجِيرُ إِذَا اسْتَجَارَ مَرُوعُهَا

وَأَقَمْتَ مَائِلَهَا فَقَامَ قَوَائِمُهَا  
وَضَحَتْ بَنِيَّ حُكْمَهُ أَحْكَامُهَا  
لُعْلَاهُ مِنْ عِلْمَائِهَا أَعْلَامُهَا  
فَصَلَ الْقَضَاءُ إِذَا أَلَدَّ خَصَامُهَا  
مِنْ بَعْدَمَا أُعِيَتْ بِهَا أَفْهَامُهَا  
صَيْدُ الْوَرَى زَلَّتْ بِهِ أَقْدَامُهَا  
قَدْ دَانَ مِنْ شَمِّ الرَّعَانِ شَمَامُهَا  
يَنْبُو لَدَيْهِ مِنَ السِّيُوفِ حَسَامُهَا  
تَكْبُو بِأَسَادِ الشَّرَى أَقْدَامُهَا  
يُرَوِّ بِسُلْسِلَةِ الرُّوْيِ أَوَامُهَا  
يُجَلِّي بِشَاقِبِ فِكْرِهِ إِبْهَامُهَا  
هَظَلَتْ يَدَاهُ نَدَى فَأَخْصَبَ عَامُهَا  
وَنَدَى يَدَيْهِ يَسْتَهْلُ غَمَامُهَا  
حَتَّى حَسِبْتُ بِأَنَّهَا أَرْحَامُهَا  
ضَاقَتْ لَدَى تَحْدِيدِهِ أَوْهَامُهَا  
فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا إِدْلَهَمَ قِتَامُهَا  
فَأَظَلَّ آفَاقَ السَّمَاءِ رُكَامُهَا  
فَجَرًّا تَقَشَّعُ فِي سَنَاهُ ظَلَامُهَا  
عَمَّ الْبَرِيَةِ بِالْنَدَى إِنْعَامُهَا  
مَوْثُوقَةٌ لَمْ يَنْتَقِضْ إِبْرَامُهَا  
بَنْدَى يَدَيْكَ عَلَى الْعُفَاةِ رِمَامُهَا  
عَلِمْتُ بِأَنَّكَ فِي الْوَرَى مَقْدَامُهَا  
فَخِرًّا بَمَنْ سَعَدَتْ بِهِ أَيَّامُهَا  
فَلَأَنْتَ مِنْ صَرَفِ الزَّمَانِ عَصَامُهَا  
وَالْيَكْ يَلْجَأُ إِذْ يُضَامُ مُضَامُهَا

بالسرعة الغراء طُلتَ وطالما  
 إن قُمتَ عن أباك فيها صادعاً  
 أصبحتَ قِيَمَها وتلكَ وراثتهُ  
 بكَ شَيِّدتَ أعلامَها وعليكَ رفَّ  
 كم في الورى منها إمامٌ هُدىً به  
 جددتَ سؤددَكَ القديمَ لأُسرةٍ  
 قومٌ إذا قامت بسؤدد فخرها  
 فهمُ لَديكَ اليومَ نَبْلُ (كُنانة)  
 لله بيتٌ للعلوم سَمَّا به  
 هو كعبةُ العلماء كم في بابهِ  
 لولاهُ لَمْ يُعْرِفْ (لبكَّة) بيتُها  
 فاسلمَ قُديتَ أبا (علي) مُرَغَمًا  
 وإليكَ مِنْ نَظمِ القريض قصيدةُ  
 خَتِمتَ بِمِسْكِ مِنْ أريجِ ثنائِكُم

بالعُرِّ من أباكَ كانَ قيامُها  
 فإليكَ دونَ سواكَ كانَ مقامُها  
 خصَّتكَ في أبرادها قِوَامُها  
 لواؤُها وبراحتيكَ زَمَامُها  
 تهدي الورى واليوم أنتَ إمامُها  
 وطأتُ على هام السَّهَى أقدامُها  
 بين الأنام تقاعست أقوامُها  
 لم تُخْط - حيثُ بها رَميتَ - سَهاُمُها  
 شَرَفَ له (الجوزاء) طأطأهاُمُها  
 أضحي كمزدحم الحجيج زحامُها  
 بَلْ لَمْ يُمَيِّزْ (حَجْرُها) و(مُقامُها)  
 لحواسد بك لَمْ يَزَلْ إرغامُها  
 يزري بمنظوم الجُمان نظامُها  
 فكأنما بالمِسكِ كانَ ختامُها

وقال السيد الحسين ، والسند النسيب ، اللوذعي الأديب ، السيد مُحَمَّد علي الموسوي<sup>(١)</sup> يهنئُه بالعيد ، ويعزيه بجَدِّ أولاده مُحَمَّد سعيد كَبَّة (ره) ، وهي :

يا من تشدَّ له العفاة رِكابُها  
 أنتَ المَلاذُ بَلْ المَعاذُ إذا غَدَتُ  
 أنتَ ابنُ (موسى) مَنْ بنو الدنيا له  
 من آل (جعفر) فتيةٌ هُم عَرَفُوا  
 ولأنتَ مَنْ فاقَ الأفاضلَ كُلَّها  
 عكفتَ بحضرتِكَ الكرامَ وطالما

وتنالُ منه ذو الطِلابِ طِلابُها  
 نُوبُ الزمانِ وكشَّرتُ أنيابُها  
 في الدين كانَ ذهابُها وإيابُها<sup>(٢)</sup>  
 كُلُّ الأنام بعلمهم أحسابُها  
 فضلاً وطوقَ في نداءُ رِقابُها  
 هوتِ الملوكُ فقبِلتُ أعتابُها

(١) هو السيد محمد علي بن السيد أبو الحسن الموسوي العاملي صاحب كتاب «يتيمة الدهر في ذكر علماء العصر» ، توفى سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م عن عمر (٤٢) عاماً ، وقد مرَّت الإشارةُ إليه وإلى مُؤلِّفه أكثرَ من مرَّة .  
 (٢) علَّق المؤلف على هذا البيت بقوله «هذا البيت كما ترى فيه لحن»!

وأبنت سنَّتْها لنا وكتابها  
حتى أبنت ثوابها وعقابها  
وكشفت عن وجه العلوم نقابها  
إلاّ وعنها قد كشفت حجابها  
نبئت في الحكم الخفي تشابها  
إلاّ أصاب من الأمور صوابها  
ساوى بذاك حضورها وغيابها  
أمست تُنيحُ الوافدون ركابها  
في الجذب تستجدي الوفود سحابها  
إلاّ وقد ملأ السرور إهابها  
حتى ضربت على (السماك) قبابها  
جمل العلى لا أستطيع حسابها  
عم البرية شيبها وشبابها  
يا ليت أجياد العداة قرابها  
عمت وخصت بالشجى أنجابهـا  
ببني النبي وما قديماً نابها

شمس المعالي لا تنوب منابها  
خافت تملّ بسمعها إطنابها  
وتراك يا رب المواهب بابها  
وتراك من أفق العلوم شهابها  
بالرغم رجع القهقري خطابها  
أمناً رمى صوب الغمام أصابها

وزكا أبا أمماً وجَدُ

أحييت شرعة (أحمد) ووصيه  
وعلمت أحكام الأله بأسرها  
وأحطت خبراً بالمسائل كلّها  
وأرى الغوامض كلّها لم تحتجب  
لم تلتبس حكم ولا حكم ولا  
ولفكرك السهم الذي لم ترمه  
يا ملجأ الأيتام كافل أمرها  
لله أربع جودك اللاتي بها  
لله وكف أكفك اللاتي غدت  
ما أمت الوفاؤ ربك من عنا  
لك أربع المجد التي شمخت علأ  
يا أيها الشيخ الفريد ومن به  
هنيئ في عيد سعيد بشره  
ولئن أراك الدهر غرب نصوله  
ودهاك فادح خطبه برزبه  
فيك البقا ولك السلو بأسوة

إلى أن قال :

واليك يا بن الأنجبين خريده  
قد أوجزت فيك المديح لأنّها  
خود ترى أن الندى بمدينة  
وتراك من أفق المكارم بدرها  
خطبتك دون بني الزمان وأرجعت  
وبقيت ما أهدى السحاب إلى الثرى

وله يمدحه أيضاً ، ويذكر غرضاً :

يا عيلماً في العلم جد

من بحر علمك قد ورد  
 في بعض أبيات جسد  
 مُد شئت ذلك قد جمد  
 وبحر علمي قد نفذ  
 هيهات أن تُحصي بعد  
 قدماً بأبياتي انكمد  
 باق إلى أمم الأبد  
 أودت بجممعكم بدد  
 ينهى ، له حل وعقد  
 بأموج الفضائل قد زبد  
 علم إمام مُعتمد  
 أبو الأطائب العمد  
 بالرد أصدر من قصد  
 دغ عنك لومي والفند  
 في ذاته ظلماً حسد  
 ومن بمفخره انفرد  
 هل للنجوم فتى جحد  
 وفي بما فيه وعقد  
 حزان عنا والنكد  
 قلبي سوى مرأه ود  
 تأبى التناهي في ععد  
 بظله السامي رقد  
 أمسى عليه لها رصد  
 تهدي المصل إلى الرشد  
 حازت مضاميناً جدد  
 وبقلب حاسدكم نفذ

كم فاضل جم العلى  
 قد رمت أمدح فضلكم  
 لكن بحر قريحتي  
 أيمدني فييه المداد  
 وحويت غر مناقب  
 كم حاسد بمدحك  
 هن الخرائد مدحها  
 يا حاسديه بها لقد  
 هذا الفتى السامي الذي  
 بحر الندى الطامي  
 أزكى البرية ماجد  
 هذا (محمّد الرضاء)  
 ما خاب راجيه ولا  
 يا لائمي في حبّه  
 يا جاحد النعت الذي  
 هذا إمام المسلمين  
 تحكى النجوم نعوته  
 يوفي العهد بأسرها  
 يُجلي سنه غيبه الأ  
 ما ود غيري لا ولا  
 فله الحمامد جمّة  
 كم من مخوف في الأنام  
 لله من من نفسه  
 يا من كواكب رشده  
 وافتك أبيات بها  
 قذفت لكم سهم الولا



قَصُورَتْ يَدِي بِمَدِيحِكُمْ      وَلَكُمْ بِهَا قَدْ طَلَتْ يَدُ  
وَبَقِيْتُمْ فِي صَنِوِ عَيْشٍ      أَرْغَدَ غُمَرُ الْأَبْدُ

وله أيضاً يعزّيه بجدّ أولاده المتقدم ، وهي :

يا مَنْ هَوَاهُ مَخِيْمٌ بِضُمَائِي      تَاللَّهِ مَا خَطَرَ السِّلْبُ بِخَاطِرِي  
قَدْ كَانَ شَخْصُكَ قَاطِنًا فِي مَهْجَتِي      فَنَأَى وَحَلَّ غَدَاةَ بَانَ بِنَاطِرِي  
كُنْتَ السَّعِيدَ وَكُنْتَ أَكْرَمَ فَائِزٍ      فِي مَفْخَرِ بَاقِ لِيَوْمِ الْآخِرِ  
لِلَّهِ رِزْوَاكَ نَابَ أَرْبَابِ النَّهْيِ      طُرّاً فَمَنْ بَادَيْهِمْ وَالْحَاضِرِ  
وَلَقَدْ بِكَيْتِكَ يَوْمَ بِنْتِ بَادِمِ      مُنْهَلَةً كَالْغَيْثِ فَوْقَ مُحَاجِرِي  
لِي سَلْوَةٌ بِبَنِيكَ أَبْنَاءِ الْعُلَى      مَا فِيهِمْ غَيْرُ الْأَغْرِ الزَّاهِرِ  
وَبِقَوْمِكَ الْغُرِّ الْأَطْيَابِ فَتِيَّةَ      وَرَثُوا الْمَعَالِي كَابِرًا عَنْ كَابِرِ  
صَبْرًا (مُحَمَّدًا الرِّضَاءَ) بِفَقْدِ مَنْ      أَوْدَتْ بِهِ نُوبُ الزَّمَانِ الْجَائِرِ  
فَلَأَنْتَ بَدْرُ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ الَّذِي      فَاقَ الْوَرَى بِمَنَاطِرِ وَمَخَابِرِ  
وَلَأَنْتَ بَحْرُ الْفَضْلِ لَمْ يَجْزُرْ ، وَكَمْ      قَدْ مَدَّ فَضْلًا كُلَّ بَحْرِ زَاخِرِ  
شَمْسَ الْفَضَائِلِ أَنْتَ كَوَكْبُهَا الَّذِي      كَمْ رَاحَ يَرْشِدُ لِلْهُدَى مِنْ حَائِرِ  
وَسَنَا سَنِي سَمَاتِكَ اللَّاتِي زَهَتْ      زَهْوَ النُّجُومِ بِهَا الْهُدَى لِلْسَائِرِ  
وَلَأَنْتَ مَصْبَاحُ الْهُدَى بَحْرُ الْوَدَى      حَتَفَ الْعَدَى غَيْثُ النِّوَالِ الْهَامِرِ  
فِيكَ التَّسْلِي لِلْأُمَاجِدِ كُلِّهِمْ      عَنْ كُلِّ حَيٍّ لِلْأَنَامِ وَغَابِرِ  
وَبَقِيَتْ مَا بَقِيَ الزَّمَانُ بِأَنْعَمِ      مَوْفُورَةٍ فِي رِبْعِ أُنْسٍ عَامِرِ  
مَا جَنَّ دِيَجُورُ الْمَصَابِ بِحَادِثٍ      أَوْ أَسْفَرَ الصَّبْحُ الْمُنِيرُ لِنَاطِرِ

وقال الشيخ مُحَمَّدٌ سَعِيدُ الْمُتَقَدِّمِ يَهْنِيهِ فِي بَعْضِ أَعْيَادِهِ ، وَفِي صَدْرِهَا بِقَلَمِهِ : لِرَاقِمِ  
بَرْدِهَا ، وَنَاطِمِ عَقْدِهَا ، أَحْوَجُ الْعَبِيدِ ، إِلَى عَفْوِ رَبِّهِ الْحَمِيدِ ، الْجَانِي مُحَمَّدٌ سَعِيدٌ ، بِنِ  
الْشَيْخِ مُحَمَّدٍ سَعِيدٍ ، نَائِبِ كَلِيدَارِ النِّجَفِ الْأَسْبَقِ ، مَهْنِيًّا بِهَا عِلَامَةَ الزَّمَانِ ، وَنَادِرَةُ  
الْأَوَانِ ، فَخَرُ الْمُجْتَهِدِينَ ، وَزَبْدَةُ الْمُحَقِّقِينَ ، عِلِمُ الْعِلْمِ الضَّامِي ، وَعِلْمُ السُّؤْدُدِ السَّامِي ،  
الْأَفْخَمُ الْمَفْخَمُ ، مَنَارُ الْمَجْدِ الْأَقْدَمِ ، مَوْتِلُ الْحُكْمِ وَالْقَضَا ، حَضْرَةُ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ رِضَا :

هُوَ الْعِيدُ بِالْأَقْبَالِ عَادَ كَمَا بَدَا      وَقَدْ عَادَ فِيهِ الْكُونُ أَنْوَرَ أَسْعَدَا

بلحن الهنا ورق السرور مغردا  
فتى قد أمد العيد سعداً وسوددا  
عماد التقى كهف الحجى عيلم الندى  
فكان لأهل العلم أعذب موردا  
وكم حل من إشكالها ما تعقدا  
رأى قبل رجوع الصوت تلبية الندا  
إذا جار صرف الدهر يوماً أو اعتدى  
ذراه به مذ قام فيه مشيدا  
لخرت لها الصيد الجحاجح سجدا  
كفاه بأن يستل غضباً مهندا  
سحائبها جادت على الوفد عسجدا  
فأصبح في جمع المكارم مفردا  
إباء فخاراً عزة منعة هدى  
غداة بها حادي الركائب قد حدا  
حديث المعالي والمفاخر مُسندا  
وكل بجدوى راحتك مقلدا  
أخو الفضل لم يعدم على الفضل حسدا  
وما كان ضوء الصبح يخفى ليبحدا  
فأنك شيدت الفخار الموطدا  
بأنك أزكاها نجاراً ومحتدا  
وأوسعها صدراً وأسمحها يدا  
وأعظمها حلماً وأغزرها ندى  
فرائدها تحكي الجمان المنصدا  
مدى الدهر تولىك الثناء المخلدا  
وللمجتدي جدوى وللمهتدي هدى

زها يافعا دوح الهنا فيه فاغتندى  
فهن بهذا العيد إذ عاد بشره  
إمام الورى المولى (الرضا) موئل القضا  
خضمت طمى بالعلم زاخر لجّه  
فكم للعلوم الغر أوضح مُبهماً  
غياث إذا نادى المروع بأسمه  
وكهف منيع يستجار بظله  
أقام قنا الدين الخفيف فشيدت  
حليف معالي لو ترى الصيد بعضها  
أخو عزمة إن سل ماضي غرارها  
وذو راحة إن ظنت السحب بالحيا  
تجمع فيه ما تفرق في الورى  
تقى كرماً حلماً حجى سودداً غلاً  
مناقب مجد في الورى شاع صيتها  
أبا الماجد الندب (العلي) ومن روى  
ملك مقاليد الورى حيث أصبحت  
لئن رخت محسود المعالي فأنما  
أتجحدك الحساد فضلاً وسودداً  
لئن وطدت أباك سودد فخرها  
لقد علمت صيد البرية كلها  
وأطولها باعاً وأرجحها حجى  
وأمنعها جاراً وأرفعها ذرى  
فدونكها من نظم فكري فريده  
فلا زلت تولي الوفد رفداً ولم تزَلْ  
ودم للورى كهفاً منيعاً وملجأ

ولم يسافر الشيخ مدة عمره إلا مرة واحدة ، وكانت أقل من ستة أشهر ، ولم يتجاوز أطراف البصرة . وصار له في تلك المنازل من الجلالة والعظمة ، وتكاثر الأموال عليه ما لا يحيط به نطاق البيان . ولما ورد (الديوانية) في طريقه قال الشيخ مُحَمَّد سعيد<sup>(١)</sup> المتقدم أيضاً يهنئه ويمدحه ، وهي :

هو البدر في أفق الحمى لاح مُشرقاً  
أنارَ (بديوانية) المُلْك ساطعاً  
أم العلم السامي بغير علومه  
(مُحمَّد) الندب (الرضا) موئل القضا  
إمام هدى تلقى بعزّة وجهه  
فكم قد جلا من غامض العلم مُبهماً  
وحاكم شرع قام بالشرع حاكماً  
له طيب أخلاق ذكى طيب نشرها  
طليق محيّا إن توسّمتَه تجدّ  
وغيث ندى لم يحكه الغيث مرزماً  
يطوّق أعناق الأنام بجُوده  
يبدّد شمل المال جوداً بكفه  
وطود إباء لُد بسابغ ظله  
رقى مُرتقى في المجد ليس ببالغ  
هو الغيث هطالاً هو الليث مقدماً  
يُجلُّ غلاً من نعتِه بمداحي  
فتى كآبيه في العلوم وجده  
جحاحجُ مَهْمَا يطرقُ الجمعُ ذكرهم  
حديث العلى ما لم يكن عن غلامهم  
تجوّد على الرّاجين خلقاً أكفّهم

فأشرق فيه الكونُ غرباً ومشرقاً  
سناءُ فخلنا ساطعَ الشمسِ أشرقاً  
مراقى يكبو دونها النسرُ مُرتقى  
إمام الهدى بحرُ الندى علّمُ التقى  
إذا ما بدا نورُ الهداية مُشرقاً  
وكم حلّ إشكالاً وأوضح مُغلّقا  
فطال به الدينُ الحنيفي مرفقا  
كأن فتيق المسك منها تفتقا  
مُحيّا به نورُ الجلالة مُحدقا  
وإن أرعد الغيثُ المثلثُ وأبرقا  
فتمسي به تحكي الحمام المطوقا  
ليجمع من شمل العلى ما تفرقا  
لدى طارق اللأواء مَهْمَا تطرقا  
مداه سريّ ما أسفّ وحلّقا  
هو البحرُ زخاراً هو البدرُ مُشرقاً  
وإن كنت هذار الشقاشق مُفلّقا  
خضّم بتيّار العلوم تدفقا  
يذلّ له هامُ الججرة مُطرقا  
لعمر أبي كان الحديث الملقا  
إذا ما السحابُ الجونُ كان تخلّقا

(١) هو الشيخ محمد سعيد الاسكافي ، وقد مرّت الإشارة إليه .

سراة سرى في كُلِّ قُطْرٍ فخارُهم  
وأطواد مجد طال في البحر باعُها  
إليك أبا (مُوسى) زفتُ خريدةً  
لها رونقٌ في السَّمعِ راقٍ وإنَّما  
متى أنشدتُ أبياتُها خلتُ أننا  
ولا زلتُ للوفادِ كعبةً أنعم

ولما قدم من سفره هذا قال يهنّيه بقدمه ، وهي :

مَنْ مُبْلَغَنَّ بني (نزار) و(يَعْرُبِ)  
إنني سررتُ بمقدم المولى الذي  
رب الفضائل مَنْ بغيرِ علومه  
جَمَّ المكارم والمحامد مَنْ حوى  
أحيا مآثر (جعفر) في جدّه  
وغدا يؤلفُ ما تخالف دائماً  
أبدى بتدريس العلوم مراسماً  
جلا دياجي المُشكلات وكم بها  
هو عيلمُ العُلَماء والعلمُ الذي  
مَنْ طال أربابُ المفاخر والنّهى  
من آل (جعفر) فتيةٌ بعلومهم  
نُصِبَتْ لهم أعلامُ كُلِّ فضيلة  
حازوا المكارم والمعالي بعدما  
يا أنجب الفضلاء يا مَنْ قَدْ جلا  
وافتك تهنئةً عُقودُ نظامها  
مِنْ مخلصِ جَمِّ العُلَى بمدىحكم

والقاطنين بمشرق وبمغرب  
فاق الورى مِنْ أعجمٍ أو أعربِ  
الأمثالُ ما بين الورى لم تُضربِ  
مثلَ النجوم مناقباً لم تُحسبِ  
وأبانَ أحكامَ المهيمِن والنبي  
في العلم بالمعنى القريب الأَنسبِ  
درستُ فبانتُ للنبيه وللغبي  
قَدْ جاء بالطرزِ البديع الأَغربِ  
بسوى مديحِ علائه لم أرغبِ  
وشأهمُ فخراً بأشرف منسبِ  
سادوا الأنامَ وشيّدوا دينَ النبي  
ولغيرهم أعلامُها لم تُنصبِ  
ورثوا المفاخر أنجب مِنْ أنجبِ  
عني سناءُ كُلِّ داج غيَيبِ  
تزهو كما يزهو الربيعُ المُجَدِّبِ  
عن فكره دررُ الثنا لم تغربِ

وهي طويلة إنتخبنا منها هذا القدر كما هي عادتنا في أكثر ما ننقله .

وقال الشيخ علي<sup>(١)</sup> بن ظاهر الحلبي يهنيّه بقدومه من بلدة (تَسْتُر) إلى الحمرة في شطّ (كارون) ، ويمدحه مع ولديه الشيخ علي (دام ظلّه العالي) والشيخ موسى (قُدّس سرّه) ، وهي :

منحِتْكَ رَفَقاً إِذْ شَكُوتَ صَدُودَا	فَأَتَتْكَ تَسْحَبٌ لِلْوَصَالِ بُرُودَا
وَسَقَتْكَ مِنْ لَعَسِ المَرَاشِفِ رَيْقَهَا	فَشَفَتْ هُنَالِكَ قَلْبَكَ المَكْمُودَا
وَبَدَتْ كَقَرْنِ الشَّمْسِ يَرْفُلُ فِي الدُّجَى	وَعَلَى الدُّجَى نَثَرْتُ عِقَاصاً سُودَا
وَلَهَا كَجِيدِ الطَّبِي جِيدٌ إِنْ بَدَا	فِي اللَّيْلِ أَبْدَى لِلصَّبَاحِ عُمُودَا
وَتَرَعْتُ طَرْبَ المَنْعَمِ إِنْ شَدَا	فَأَفَادَ وَتَرَأً وَاسْتَعَارَ العُودَا
وَالكَأْسُ إِذْ تَهْوِي بِهَا لَنَدِيمِهَا	حَلَفْتُ فَلَا تُبْقِي الرِّشِيدَ رَشِيدَا
فَكَأَنَّهَا أَهْوَتْ عَلَى سَلْبِ الْفَتَى	لُبّاً وَأَحْيَتْ بِالشَّمِيمِ كُبُودَا
وَحَلَفْتُ بِالسَّلْسَالِ وَهُوَ رَضَابُهَا	لَا أَبْتَغِي بَعْدَ الرِّضَابِ وَرُودَا
أَمْبَشِرِي بِالرُّودِ بَعْدَ صَدُودِهَا	عَطَفْتُ قَدَعُ عَنْكَ الْفَتَاةَ الرُّودَا
إِنِّي لَفِي شُغْلٍ بِذِي الْفَضْلِ (الرِّضَا)	حَيّاً فَأَحْيَا لِلرِّيَاضِ هُمُودَا
قَدْ عَبَّ بَحْراً سَائِراً بَنُوَالِه	مِثْلَ السَّفِينَةِ ظَلُّهُ مِمْدُودَا
وَيُقَالُ فُلُكُ جَاءَ يَحْمِلُ لِلرُّورَى	بَحْراً (بَسِيطاً) فِي الْعَطَاءِ (مَدِيدَا)
كَانَ (الرِّضَا) مِنْ حَيْثُ لَيْسَ (مُحَمَّدُ)	و(مُحَمَّدٌ) إِذْ لَا (رِضَا) مَوْجُودَا
بَحْرٌ تَدْفُقُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ	عِلْماً وَغِيثاً ظَلَّ يَمُطِرُ جُودَا
فَالنَّاسُ بَيْنَ مُقْلَدٍ حَكَمَاءَ لَهُ	وَمُقْلَدٍ مِنْ رَاحَتِيهِ عُقُودَا
وَمُقْبِلٍ كَفّاً لَدَيْهِ كَرِيمَةٍ	كَادَتْ بِهَا شَفَتَاهُ تُورِقُ عُودَا
يَسْمُو ذُرَى الْعِلْيَاءِ لَا مَتَأْنَفاً	لِبَسِ الْجَلَالِ مَطَارِفاً وَبُرُودَا
فَالْحَاسِدُونَ إِلَى النِّفِيرِ جَسُومُهُمْ	وَقُلُوبُهُمْ خَفَقَتْ عَلَيْهِ بَنُودَا
وَتَظَلُّ شَاخِصَةً إِلَيْهِ عَيُونُهُمْ	فَكَأَنَّمَا نَسَجْتُ عَلَيْهِ زُرُودَا
فَتَقِيهِ أَكْبَدُهُمْ حَرَارَةً بِأَسْهَا	لَا حَقْدَهُمْ أَذْكَى عَلَيْهِ كَبُودَا
عَفَّ النَّقِيبَةُ لَا يَمِيلُ بِهِ الْهَوَى	لِلْمَائِسَاتِ إِذَا هَزَزْنَ قُدُودَا

(١) ولد الشيخ علي سنة ١٢٤٠هـ / ١٨٢٥م ، وتوفي سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م . وذكر الشيخ محمد علي البعقوبي في البابليات ، ج ٢ ، ص ٨٤ : أن تاريخ هذه القصيدة هو سنة ١٢٨٧هـ / ١٨٧٠م .

إلا لمعتنق به نال الفتى  
وترأه هل سمعت له أذن سوى  
(عليه) نعم العلي مهذب  
لولا عميم الفضل وهو شقيقه  
هو والعلا بمشيمة ولدا معاً  
رويا حديث الفضل عنه مسلسلاً  
روياه عنه وهو من (موسى) روى  
فالكُل يروي عن شريعة (أحمد)  
فاهناً بعيشك يا زمان به للعلی  
وأبناه خلفا الفضل قادمنا غلا

لذرى المعالي والفخار صُعودا  
ذكر المكارم والسخاء نشيدا  
قد أدرك الشيب الكرام وليدا  
لتراه في الأقران ثم وحيدا  
فالتوأمان متى تقول فريدا  
ولداه ليس ملفقاً مردودا  
عن (جعفر) وإذا أردت مزيدا  
فكأن (أحمد) لم يكن مفقودا  
سامي الدعائم لا يزال مشيدا  
بهما فحلّق حيث شئت صُعودا

وقال الشيخ أحمد قفطان يهنيه في عرس ولده جناب الشيخ علي<sup>(١)</sup> (سلمه الله)  
مؤرخاً عام زواجه في ضمن أبيات ثلاثة في كل بيت تاريخ مستقل ، وهي :

ألا زارتك سافرة لثاماً  
وحيتك المفاخر ضالعات  
وأنار لجعفرك استجارت  
ومدت في ذرى الأرحام لحظاً  
فلم تر غير لحظك يا بن (موسى)  
فألقت في يديك زمام طوع  
وأولاك المهيم من فضل علم  
فقمّت بعون ربك صادعاً في  
وأوردت العباد هني جود  
فما من مفخر للناس إلا  
وإن نطق الفخار بلفظ مجد

(مكارم) قد صبت لها غلاما  
عليك جمالهن فقل سلاما  
بركنك إذ رأتك لها عصاما  
فلم ير من يقوم لها مقاما  
حمى عن حوزة العليا وحاماً  
كما ألقى لك الدهر الزماما  
كشفت عن الخفي به لثاماً  
أمانة شرعه حلاً حراماً  
به الوفاء تحتكم احتكاماً  
وكان لك ابتداء واختاماً  
غدوت له من الدنيا مراماً

(١) هو صاحب «الحصون المنيعه» ، توفي سنة ١٣٥٠هـ / ١٩٣١م . وهو والد المؤلف الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء .

وَمَنْ يَصْفَحُ عَنِ السَّوْأَى تَسَامَى  
تَوْسَمْنَا هُدًى وَنَدَى قَوَامَا  
وَجَدَّ أَبٌ وَعَمَّ أَبٌ (إِلَى مَا) <sup>(١)</sup>  
رَوَّهَا عَنْكَ مَعْنَى لَا كَلَامَا  
سَمَوْا فَشَاوَا بِمَجْدِهِمُ الْكَرَامَا  
تَجَاوَزَ ذُرْوَةَ الشَّعْرِىَ مَقَامَا  
وَنَنْشَقُّ مِنْ شِمَائِلِهِ الْخِزَامَى  
حَدِيثَ الْمَجْدِ فِيهِ هَمَى وَهَامَا  
رَقَى مِنْ غَارِبِ الْعَلِيَا سَنَامَا  
بَلَّغْنَ لَغَايَةَ الْعَلِيَا مَقَامَا  
رَأَيْنَا أَفْضَلَ الْكَرَمِ الْمُدَامَا  
فَخَارَا لَا أَحْيَاطَ بِهِ نِظَامَا  
وَفِي أَبْنَائِهِمْ عَامَا فَعَامَا  
لَعَرَسَ قَدْ سَرَرْتَ بِهِ الْأَنَامَا  
رَأَيْنَاهُ سُرُورًا مُسْتَدَامَا  
أَتَتْ تَحْتَالُ مُسْفِرَةً لَثَامَا  
وَأُرُوتُ بَعْدَمَا رَدَّتْ سَلَامَا  
كَمَا أَرَّخُ : (رَأَتْ بَدْرًا تَمَامَا) <sup>(٢)</sup>  
سَقَاهَا جَامَةً وَسَقَتْهُ جَامَا <sup>(٣)</sup>  
نَجِييَةً مُؤَرِّخِينَ (يُرَى غَلَامَا) <sup>(٤)</sup>  
فَلَا تَلْقَى بِهِمْ إِلَّا إِمَامَا  
بَمَنْ عَنِ نُورِكَ الْأَسْنَى تَعَامَى  
فَكَانَ أَرِيحُهَا مِسْكَاً خِتَامَا

سَمُوتَ بَنِي أَبِيكَ عَلَاً وَحَلَمَاً  
نَعَمٌ فِي (صَالِحٍ) وَبَنِي أَبِيهِ  
وَعِلْمَاً عَنْ أَبٍ شَهْمٍ وَجَدَّ  
كَمَا بِبَنِيكَ أَثَارُ صَحَّاحٍ  
أَلَا فَا بَشَرُ بِأَبْنَاءِ كَرَامٍ  
فَذَا مِنْهُمْ (عَلِيٌّ) فِي عُلاَهُ  
فَتَى نَرْتَاخُ إِنْ ذُكِرْتَ عُلاَهُ  
إِذَا اسْتَرْفَدْتَهُ أَوْ جِئْتَ تَتْلُو  
(مُوسَى) ذُو الْيَدِ الْبَيْضَا أَخُوهُ  
فَرُوعٌ قَدْ تَسَامَتْ مِنْ أَصُولٍ  
نَرَى الْفَخْرَ الْمَزِيدَ بِهِمْ وَإِنَّا  
أَيَّا بَنِ الْأَكْرَمِينَ وَمَنْ تَسَامَى  
تَهَنُّ بِعَرَسِهِمْ فَرْدًا فَفَرْدًا  
وَلَسْتُ أَخْصُ بِالْبُشْرَى زَمَانًا  
فَأَنْ وَجُودَكَ الْمَيْمُونَ فِينَا  
سُرُورًا فِي مَهَاةِ ذَاتِ خَدَرٍ  
وَمَنْتَ بَعْدَمَا نَمَتْ وَشَاةٌ  
رَأَى مِنْهَا (عَلِيٌّ) شَمْسَ حُسْنٍ  
تَفَرَّدَ بِاللُّمَى أَرَّخْتُ (لَا بَلْ)  
وَمِنْهَا بَعْدَ عَامِينَ عَسَى أَنْ  
أَلَا يَا بَنِ الْأَلَى شَمَخُوا مُحَلَاً  
لَكَ النُّورُ الْجَلِيُّ فَلَا نُبَالِي  
أَتَتْ تَنْحَوِكَ خَاتِمَةُ التَّهَانِي

(١) إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ «عَنْ نَسْخَةِ الْمَخْطُوطَةِ» .

(٢) حِسَابُ الْجَمَلِ يَسَاوِي (١٢٩٠ هـ) .

(٣) هَكَذَا وَرَدَ فِي الْأَصْلِ ، وَحِسَابُ التَّارِيخِ غَيْرُ دَقِيقٍ .

(٤) ١٢٩٠ هـ .

ودُمّ واسلم وعشتَ قَرير عِينِ بفرْعِكَ دُمْتَ مسروراً وداما

وله أيضاً يهنّيه ، ويمدحه ويعرّض بأعدائه ، وهي :

قل للذي أمسى يُطيلُ النفسا  
لا تكثرُ في سَمَجِ الطبعِ إذا  
منتبذاً نبذَ الحصى عن دينه  
ترأهُ إن تابعتَهُ منبسطاً  
هذا ابنُ (موسى) أمعنَ اللحظَ به  
وبضعةً منْ (جعفر) مغموسةً  
سلسلة إن لم أكنْ أعرفها  
أروع لا ترعى الخطوبُ ما رعى  
يفرّجُ للتقبيلِ عن أناملِ  
أرهف للأغراضِ منْ عزمته  
إذا رمى غائبَةً بظنّه  
قال فأعدى النطقَ بالخرس كما  
وقامَ ينبغي حقّه من العلى  
موقر المجلسِ إمّا هو في الـ  
أسره الله بفتيان بهم  
فمن (عليّ) وسمي جده  
وطرّة (عبد الحسين) سُميت  
رشا ظنيناً سمحاً وجدته  
أحسنُ أوصاف الغزالِ الخنسا  
ترأهُ عنى عفة مَورداً  
لو أنّه يومئاً إلى (والده)  
فأنّه خير أب برّ بهم  
لا زال يحسو للمعالي أكوساً

واشتبه الصبحُ عليه والمسا  
رأيتُهُ مُنجذباً تشمّسا  
يرنو إليه خرزاً وأشوسا  
وإنْ هديتَهُ الرشادَ عبّسا  
فهو عميدُ العلما والرؤسا  
بريق (موسى) لَقبوا اللّعا  
ذوقاً فقد عرفتها تفرّسا  
ولا تشنُّ غارة ما حرسا  
لو قارع الصخرَ بهنّ أنبجسا  
أصمّع ما أنبل إلا قرطسا  
كفى يقين غيره ما حدسا  
حسنٌ عند الناطقين الخرسا  
حتى إذا جاز النجوم جَلّسا  
لدستِ احتبى أو ركن (ثهلان) رسا  
مَنْ لم يُعرّسْ وبهم مَنْ عرّسا  
كُلا لنورِ طورِ فضل أنسا  
كأنّها الصبحُ إذا تنفّسا  
يبذل كفاً ويصون ملمسا  
أحسنُ أوصاف الغزالِ الخنسا  
قد احتبى فوق القبا مورّسا  
عليّ في لفتته تنفّسا  
وخير مَنْ أعطى الفقيرَ المفلسا  
أترع ما فيها أبوه قد حسا



وقال الشيخ محسن آل خضر (ره) مهتياً له في زواج ابن أخته الشيخ عبد الحسين نجل  
الشيخ مُحَمَّد بن الشيخ علي رحمهما الله ، ويمدح أخاه الشيخ محسن بن الشيخ مُحَمَّد  
(ره) ، وهي :

لك نفسي أيتها الساقى فدى      ولجفنيك إذا ما هوما  
هاتها أعذب من قطر الندى      من لُماك العذب يا عذب اللُمي  
وعلى شرط لبانات الهوى  
فأرو عن (إسحاق) ما يُطفي الجوى  
ورعى الله (هذيمًا) إذ روى  
نبأ عنه صحيحاً مُسنّداً      عن هزار الأيك لما نغما  
وعلى الندمان يا حلو الدلال  
فأحث الكأسَ يميناً وشمالاً  
والتي في فيك من خمر حلال  
لا تنل غيري منها أحسداً      إنها ما شرعت للندما  
وبذاك القد فامش مَرَحاً  
وأزح عنّا العنا والتَّرحا  
ومن الأبريق فامل القَدحا  
من طليّ اللطف من قطر الندى      أو لُميّ أعذب من ماء السما  
وانتبذ بالراح شرقيّ الفضا  
نعطف الآتي على ما قد مضى  
هاجني لامع برق أو مضى  
فهو كالسيف إذا ما جُرّداً      أو كبرق الثغر لما ابتسما  
قسماً بالطرف لما أن سَهَا  
فوق خد فوقه الورد زَهَا  
إن قلبي عنك يوماً ما سَهى  
لا ولا هم بل هو أبداً      مللاً لا بل قلبي أو سَأما

حَبِّذَا ذِيَالِكَ الرُّوضِ الْأَنِيقُ  
فَوْقَ خَدٍّ مِثْلَ مُحَمَّرِ الشَّقِيقُ  
أَمْ تَرَاهُ بِدَمِي لَمَّا أُرِيقُ  
مِنْهُ قَدْ ضَرَجَ خَدًّا فَغَدَا      عَنْ دَمِي الْمَطْلُولِ يَحْكِي الْعِنْدَمَا

قُمْ مِنَ النِّعْمَةِ فَاْمَلَأْ مَسْمَعِي  
وَأَعِذْ فِي الْحَيِّ مَيِّتًا لَا يَعِي  
وَإِذَا كُنْتَ نَدِيمًا لَوِذْعِي  
دُونَكَ اللَّيْلِ فَخِذْهُ مَوْعِدَا      رَبِّ سِرِّ بِسَرَارٍ كَتَمَا

وَمِنَ اللَّيْلِ ارْتَقِبْ وَقْتَ السَّحَرِ  
عَلَّنَا نَقْضِي وَلَوْ بَعْضَ الْوَطَرِ  
وَقُبِيلَ الْفَجْرِ مَا أَحْلَى السَّمَرِ  
سَلْ بِهِ الْقَمَرِيَّ لَمَّا غَرَّدَا      وَالصَّبَا الْغَرْبِيَّ لَمَّا نَسَمَا

يَا مَهَاةَ مَلَكَتْ فِي دَلَّهَا  
أُرِيحِيًّا فَرَعُوهُ مِنْ أَصْلَهَا  
وَمَا قَدْ مَنَحْتَ مَنْ وَصَلَهَا  
سَمَحْتَ رَغْمًا لَا نَافِ الْعِدَى      لَغُلَامٍ (جَعْفَرِيٍّ) الْمُنْتَمَى

فَلَكَ الْبِشْرُ بِهَا (عَبْدَ الْحُسَيْنِ)  
فَلَقَدْ نَلْتَ بِهَا قُرَّةَ عَيْنِ  
وَيَمِينًا صَادِقًا مِنْ دُونِ مَيْنِ  
إِنَّهَا مِنْ خَيْرِ أَبْيَاتِ النَّدَى      بَلْ هِيَ الْخَيْرَةُ مِنْ أَهْلِ الْحِمَى

يَا أَبَا (الْمَهْدِيِّ) بُشْرَاكَ الْهَنَا  
فَلَقَدْ خَوَّلَكَ اللَّهُ الْمُنَى  
وَلَتُنْ لُقِّبْتَ فِينَا (مُحْسِنَا)  
فَبِمَا طَلْتَ عَلَى النَّاسِ يَدَا      طَوَّقْتَ جِيدَ الْمَعَالِي كَرَمَا

فمَتَّبِي جَيْدُ الْحَيَا فِي صُوبِهِ  
فَهُوَ يُؤَلِّي قَطْرَةً مِنْ سَيْبِهِ  
وَإِذَا ضَمَّ يَدَا فِي جَيْبِهِ  
خَرَجَتْ بَيْضَاءَ تَهْمِي عَسَجَدَا      دُونَهَا الْغَيْثُ إِذَا الْغَيْثُ هَمَّى

مَنْ رَجَالَ وَرَثُوا مَجْدَ الْأَلَى  
عَقَمْتُ مَنْ مِثْلَهُمْ أُمُّ الْعُلَى  
لَيْسَ يَبْغِي الدِّينَ فِيهِمْ بَدَلَا  
فَإِذَا مَا اللَّهَ بِالْعَزِّ بَدَا      أَوَّلَ الدِّينِ فِيهِمْ خُتَمَا

مَنْ تَرَى مِنْهُمْ تَرَى بِحَرًّا خَضَمَ  
يَلْفِظُ اللَّوْلُوَ مِنْ مَوْجِ الْكَلَمِ  
كُلُّ فَرْدٍ مِنْهُمْ الْفَرْدُ الْعَلَمِ  
شَأْنُهُ مَرْتَفَعٌ عِنْدَ النَّدَى      وَكَذَلِكَ الرَّفْعُ شَأْنُ (الْعُلَمَا)

حَيْثُمَا مَلَّتْ تَجَدُّ عَيْنَ (الرِّضَا)  
مَنْ فَتَى فِي حُكْمِهِ فَصَلُّ الْقَضَا  
كَابِنِ (مُوسَى) وَابِنِ (مُوسَى الرِّضَا)  
عَامِلٌ يَرْفَعُ أَعْلَامَ الْهُدَى      فَلِذَا لِلدِّينِ أَضْحَى عِلْمَا

خَازِنُ الْأَسْرَارِ عَنْ (كَشْفِ الْغَطَا)  
وَهُوَ الْعَصْمَةُ مِنْ كُلِّ الْخَطَا  
مِنْهُ كَمْ فَاضَ نَوَالًا وَعَطَا  
وَإِبْلٌ لَوْ تَرَكَ النَّاسَ سُدى      أَصْبَحَتْ وَهِيَ وَجُودٌ عَدَمَا

فَهُوَ عَنْ أَهْلِيهِ يَرُوى مَا رُوى  
بِأَشَارَاتٍ بِهَا الْفَقْهُ انْطُوى  
وَعَلَى مَنْبَرِهِ لَمَّا اسْتَوَى  
بَثُّ مَا بَلَّ بِهِ مِنْهُ الصَّدَى      وَالزَّلَالُ الْعَذْبُ رِيٌّ لِلظَّمَا

لَيْتَ شَعْرِي أَيُّ مَعْنَى أَصْفُ  
مَنْ مَعَانِيهِ الَّتِي لَا تُوصَفُ  
حَسَبَ فِيهِ الْوَرَى لَوْ أَنْصَفُوا  
كَأَنَّهُا أَلْقَتْ إِلَيْهِ الْمَقُودَا لَوْ غَدَتْ تَرَعَى لِحَقِّ ذِمَّامَا

وبحسب المرء لو يكبو النصيب  
(صالح) الفعل أبو الفضل (حبيب)  
مِنْ (علي) نَسَباً غير عَجِيب  
لو غدا كالحبر (موسى) في الندى شيخها المولى (أمين) العلما  
هُمْ نَجْمُومُ الدِّينِ أَعْلَامُ الزَّمَنِ  
وَالْأَدْلَاءُ عَلَى فَرَضِ السُّنَنِ  
أَخْلَصُوا لِلَّهِ سِرّاً وَعَلَنَ  
شَيَّدُوا الدِّينَ فَكَانُوا عَمَدَا وَبِذَاكَ الْأَفْقِ لَاحُوا أَنْجُمَا

لَهُمْ دَامَ الْهَنَا وَالْجَزَلُ  
وَجَمِيعاً بَلَّغُوا مَا أَمَّلُوا  
عَشَقُوا الْعِلْمَ وَفِيهِ عَمَلُوا  
سِيرَةَ السَّارِي طَرِيقاً جَدِداً وَكَثِيرَ تَارِكٍ مَا عِلْمَا

وقال يهنئه في زواج الشيخ عبد الحسين (سلمه الله) أيضاً ، ويمدح أخاه ، وباقي أهليه  
ويعدّد مساعي كبراء هذه الطائفة ، جناب السيد الأ مجد ، ذو الفضل الذي ليس له حد ،  
وحيد الكمال الذي ليس له عنه وفيه ثاني ، حضرة السيد موسى الطالقاني<sup>(١)</sup> .

حَيِّ الْعَزِيبِ وَرَّامَةِ وَضَبَاءِهَا      وَانْشَقَّ عَبِيراً لَمْ يَحْزَ أَرْجَاءِهَا  
نَشَرَ الرَّبِيعُ عَلَى رَبَاهَا حُلَّةَ      حَمْرَاءَ يَفْضُحُ وَشَيْهًا خَضْرَاءِهَا  
وَأَدْرَ كُؤُوسَ الرَّاحِ فَهِيَ لِرَاحَتِي      سَبَبٌ وَلَسْتُ بِحَامِلٍ أَعْبَاءِهَا  
وَعَلَيْكَ يَا ظَبِي الصَّرِيمَةِ وَزَرَّهَا      فَلَأَنْتَ أَصْلِيَتِ الْقُلُوبَ سَنَاءِهَا

(١) ولد سنة ١٢٥٠هـ / ١٨٣٤م ، وتوفي سنة ١٢٩٨هـ / ١٨٨١م .

ما رحتُ أشربُ أثماً صهباءها  
 إلّا وأصبحتُ العقولُ فداءها  
 ومهنياً بين الورى عليها  
 رقصَ الزمانُ به تُجيدُ غناءها  
 فتأخرتُ صيدُ الملوكُ وراءها  
 بَعْلًا لها أصبحتمُ أبناءها  
 شَهِدتُ عداهُ به وإنْ قد ساءها  
 نُسِيتُ لِعُظْمِ أبيكمُ آباءها  
 عينُ الشريعةِ في هداهُ ضياءها  
 تلقى الشريعةُ والعلومُ شفاءها  
 إلّا وَقَدْ ضمنتُ بنوهُ قضاءها  
 وبحارُ علمٍ عرّفتُ جُهلاءها  
 من رِقِّ مُؤَلِّمٍ فقرها عتقاءها  
 قديمًا وعلمتُ الأسودَ إباءها  
 بقيتُ أطالَ لنا الألهُ بقاءها  
 - وأبيه - مَنْ عَقَدْتُ عليه لواءها  
 إلّا وأبصرَ سُجَّداً أمراءها  
 إذ قُلَّ قَاطِعُ رأيهِ أراءها<sup>(١)</sup>  
 مُذْ ساغَ أوردَ عَذْبَهُ علماءها  
 إلّا وطالَ به فحكُّ سماءها  
 فأقامَ مائلها وأودى داءها  
 وغدا يُشَيِّدُ للعلومِ بناءها  
 مُذْ قامَ يحملُ ناهضاً أعباءها  
 لكمُ أجادَ فخاركمُ إنشاءها

مَنْ لي بشغركَ لو ملكتُ رضابه  
 حمراء ما جلتِ الكؤوسُ مدامها  
 فأدِرْ شموستَ في الكؤوسِ مُغنياً  
 في عرسٍ مَنْ أَضحتُ غواني المجدِ إذ  
 يا بنَ الذين تقدّموا نحو العُلَى  
 هذي الرئاسةُ حيثُ كانَ أبوكمُ  
 حَبْرُ كضوءِ الشمسِ يشرقُ فضلُهُ  
 مهما ذكرتُ (أبيكمُ) بين الورى  
 (كشفَ الغطاء) عن العلومِ وَقَدْ رأتُ  
 فاذهبِ لمذهبِ (جعفر) فبحكمه  
 كم حَقَّ مجدٌ قد قضاهُ ، وما مضى  
 أعلامُ حَلَمٍ بَلْ منارُ هدايةٍ  
 ملكتُ بنائِلها البرايا إذ غَدَتُ  
 ضربتُ على الدنيا سُرَادقُ عزّها  
 حتى مضتُ ولها (الرضا) في عُصبةٍ  
 ورثَ المفاخِرَ من أبيه وأثَّهُ  
 فأليكِ عن (موسى) فما ألقى العصا  
 سَلَّ عنه (كسرى) يومَ جاء (قيصراً)  
 كم للعلومِ بصدّره مَنْ منهلٍ  
 ما طاولتُهُ الراسياتُ بحلمه  
 ولقد تكفّلَ للمعالي (شبلهُ)  
 فَلَكُمْ بَدَا عن ساعديه مشمّراً  
 ما أتعبتُهُ المكرماتُ لثقلها  
 سمعاً أبا (المهدي) مِدْحَةً مُخلصٍ

(١) علّق المؤلف على هذا البيت بقوله : «إشارة إلى ما سبق» . ويعني بهذه الإشارة وساطة الشيخ موسى كاشف الغطاء في الصلح بين العثمانيين والقاجاريين .

يا ليت شعري ما أقولُ بعشر  
 طال الثناء ولم أخطُ بشنائهم  
 خلفُ عن السلف الذين بعزمهم  
 قد ساعدتك به الزمان أخا العلى  
 ما سل صارم عزمه إلا انثنت  
 أبداً ولا هطلت يده بساحة  
 والشبل يحكي الليث في وثباته  
 ولأنت أعرف من عليه يد العلى  
 فافخرُ بجدك أو أبيك فلن ترى  
 لم ترفع الأيام ذروة ماجد  
 يا آل (جعفر) كم لكم من (صالح)  
 إن كان وجه الدهر (خالك) زانه  
 أو تعشق العلياء يا بن (محمّد)  
 وأرى (حبيباً) للرئاسة (صالحاً)  
 فتراه إن طرق الشريعة طارق  
 و(عليّ) قدر قد أفاض على الورى  
 ضخم الدسيعة<sup>(١)</sup> لا ينام إذا اشتكت  
 فالمسك يروي طيبه عن خلقه  
 يا آل (جعفر) من يروم سواكم  
 أنى يروم سواكم وهداكم

أعيا عداد صفاتهم شعراءها  
 ولقد قصرت ولم أخط إحصاءها  
 ساءت وإن رضي العلى أعداءها  
 إذ شد أزرك (محسن) ما ساءها  
 عن عزمه تروي السيوف مضاءها  
 إلا وقد نزل الربيع فناءها  
 والسحب تعرف بالربيع سخاءها  
 تلوي الخناصر إذ أجاب نداءها  
 وأبيك ما بين الورى أكفاءها  
 إلا وكانوا شهبها وسماءها  
 نشرت عليه يد الصلاح لواءها  
 بالخال قد عشق الورى ضراءها  
 فأبوك من نسجت يده رداءها  
 إذ قام فيها خاطباً علياءها  
 (عبّاس) وجهه أو يزيل عناءها  
 علماً فجاوز قدره جوزاءها  
 مقل المعالي أو يزيل قذاءها  
 والأسد تحكي عن أباه إماءها  
 قد ظل يخبط نادماً عشواءها  
 كالشمس يملأ بالضياء فضاءها

ومن اللطائف التي تلحق بهذا الباب ما قاله الشيخ محسن آل خضر متوجّعاً على جار  
 جناب مولانا الشيخ محمد رضا (ره) وهو حاج حسون الكردي حين دعاه إليّ تشریف داره  
 واستماع قراءة (العزاء) ، على سيد الشهداء . وبعد أن امتنع الشيخ رفقا بجاره ومزيد  
 الألاح من جاره ، الذي سعى في خراب داره ، حصلت الأجابة منه لذلك الجار ، عملاً  
 بالمأثور الوارد في حقه من الأحاديث والأخبار . إلا أنه لمزيد رأفته بجاره قبل الميسور ، ونهاه

(١) يُقال للرجل (ضخم الدسيعة) إذا كان قوياً .

عن المعسور ، غير أنه اقترح عليه أمور ، أوجبت كسره من الأفلاس . فبادر الشيخ محسن بهذه الأبيات نصيحة للناس ، ناظماً للقصة والحكاية ، وهي :

معاشر الناس منْ عُرب ومنْ عَجَم  
لا (تعزموا) الشيخَ إنَّ الشيخَ مُقْتَرَحٌ  
سلوا به جاره (الكردِيَّ) حينَ أتى  
فقال منْ عادتي أنْ لا أُجيبَ لها  
فلم يزلْ جاره المسكينُ ملتَمِساً  
ولا يزالُ لكفَّ الشيخِ ملتثماً  
فقال بُشْرَاكَ (نُصَّ) دارَ في خَلْدِي  
فلا تُسْؤني بألوانِ تَعَدِّدها  
فأنتَ جاري فلا تُسْرِفْ بمأدبِهِ  
يكفيكَ سبعُ دجاجاتٍ تقدِّمُها  
وعَنْبَرُ (البوه) (مَنْ) فيه بُلْعَتُنَا  
وفي القليلِ من (السَّبْزِيَّ) لو سَمَحْتَ  
فمقالُ أهونَ شيءٍ ما أَمَرْتَ به  
لكنَّهُ جاءهُ رَأْدُ الضُّحَى خَجَلاً  
فقال : مولاي طَبِّحْ ليسَ تُحَسِّنُهُ  
أجابَهُ الشيخُ في لُطفٍ ومرحمةٍ  
فأذهبَ إلى (قَدَمٍ) <sup>(١)</sup> تكفيكَ كُلَّفَتُهُ  
ومُذْ أتى (قَدَمًا) يسعى على قَدَمٍ  
قالتْ لَهُ هاتِ مِنْ (سَمْنٍ) وَمِنْ (بَصَلٍ)  
وهكذا حامض (النُّومِيَّ) مثلُهما  
(الملحُ) خمسَةٌ (وَزَنَاتٍ) تقومُ به  
وفي (الطغارات) مَّا جَفَّ مِنْ حَطَبٍ

نصيحةٌ فاسمعوا نصحي وتحذيري  
لدى (العزيمة) شرطاً غيرَ مقدورٍ  
إليه (يعزمُهُ) في عشر (عاشورٍ)  
ولستُ في تركِ عاداتي بمعذورٍ  
يرجو الأجابة في ذلٍّ وتحقيرٍ  
والعينُ تجري بدمع غيرِ منورٍ  
وأيَّ (نُصٍّ) أتى في الجارِ مأثورٍ  
تريد في ذاكِ إعزازي وتوقيري  
فالجارُ نَقِبلٌ منه كلُّ ميسورٍ  
لا يقبلُ اللهَ تكليفاً بمعسورٍ  
فاسمَعْ تكنْ خيرَ منهيٍّ ومأمورٍ  
يُمنَّاكَ كُنْتَ لدينا خيرَ مشكورٍ  
وباتَ ليلَتُهُ في قلبِ مسرورٍ  
يُلقي إليه حياءً بالمعاذيرِ  
(أهلي) وذاكِ قصورٌ غيرَ تقصيرٍ  
للجارِ عندي ذِمَامٌ غيرَ مخفورٍ  
فأنَّها ذاتُ معقولٍ وتدبيرٍ  
هَشَّتْ وبَشَّتْ وأبدتْ بشرَ محبورٍ  
(مَنِّين) (مَنِّين) وابشرْ في تدابيرِ  
فاحفظْ وإيَّاكَ أنْ تنسى مقاديري  
إذْ لم أكنْ ذاتَ إسرافٍ وتبذيرٍ  
قَدْ نَجَّتْزِي بعدَ تقنيطٍ وتقديرٍ

(١) (قدم) هذه من جوارِي الشيخ ، وهي إلى الآن في دار الدنيا ، ولها من العُمُر مائة سنة ، وهي (باكرٌ) لم يفتضها أحدٌ ، عابدة زاهدة . «تعليقة المؤلف» .

لأمر من دون إجحاف وتكثير  
 طعامنا من عطورات (العطاطير)  
 يا خير جار لنا من جانب (السور)  
 ورُبَّ جارٍ بيت الشيخ مغرور  
 عاث الخراب بيت منه معمور  
 ولا أراه على فعل بما جور  
 مؤونة العام رزقاً غير منزور  
 على (الحكاكة) من حول (التنانير)  
 حتى علت رأسها ضرباً (بكفكير)  
 وجهاً (لفضة) حتى عاد (كالقير)  
 فأعولت جَزَعاً إعوَالَ خنزير  
 كأنها بغلة صاحت (بباخور)  
 شبه (السخال) وأمثال (السنانير)  
 ضرباً على الهام أو فوق (المناخير)  
 كما تمرُّ على سوق (الصفافير)  
 وتلك تضرب في كاسات (فرفوري)  
 وتلك تشتدُّ في محراث (تنور)  
 و(أنقرياً) و(صحناً) غير مكسور  
 على الرفوف ولا (مشقاب) بلور  
 كلؤلؤ فوق وجه الأرض منشور  
 فينجلي بسناها كل ديجور  
 كما سعى قبله (موسى) إلى الطور  
 فقال جلّ جلال العالم النوري  
 وما درى ذاك رضراض القوارير  
 بصيحة أوهمتنا نفخة الصُّور  
 منها ، ويُجبرُ كسراً غير مجبور

و(الماء) ستون (حملاً) فيه تسوية  
 واتبع ثلاثة (أرطال) يطيب بها  
 هذا هو القدر الكافي لحاجتنا  
 فلم يزل جارها المغرور ممتثلاً  
 ومُدَّ قضي جارها المسكين حاجتها  
 وباع ذاك (المكاري) العُرَّ (بغلته)  
 وأحرز الشيخ مما كان يلزمه  
 وقام ثمة (للسودان) مُعْتَرِك  
 وعندها (فضة) صالت على (قَدَم)  
 واستعرضت (قَدَم) في ظهر (طاوتها)  
 هناك (تفاحة) شجّت (براطمها)  
 و(طنقرت) خيزران غب عولتها  
 وحين قامت على ساق عويصتهم  
 شبت لظى الحرب بين الأم وابنتها  
 فالله الله كم (للصفر) من زجل  
 فتلك (بالطوس) صكت هام جارتها  
 وهذه تتحرّرها (بمجنة)  
 فلا ترى قط إبريقاً ومصخنة  
 رُضت جميع أوانيهم فما تركوا  
 لهفي على كسر البلور حين غدت  
 تشع في غسق الظلماء ناصعة  
 ومُدَّ أتى (الشيخ) يسعى بالعصا مَرَحاً  
 رأى نجوماً بصحن الدار قد نُثرت  
 إنَّ السما اتحفّت داري بزينتها  
 فزَمَجَرَ (الشيخ) إذ قامت قيامته  
 (فقام يجمعُ شمالاً غير مجتمع



فما انقضى الليلُ إلّا أصبحتُ (قَدَمٌ)  
وذاك لا شكَّ مما قَدَّ جَنَّتْ يَدُهَا  
وكانَّ عاقبةَ (السوداءِ) عاقبةَ الـ  
وحيثُ كانتُ من المولى بذاك يَدُ  
فقلُّ لحافرٍ تلكَ (البير) مقتنصا

وكتب إليه الشيخ إبراهيم العاملي ابن الشيخ صادق (رحمهما الله تعالى) من جبل  
عامل يتشوق إليه بقصيدة ، وهي :

إليكم نفثة صَبَّ ما سلا  
وهاكم جذوة صدر قَبَسَتْ  
أحبتي ما بِنْتُ عَنْ رِبْعِكُمْ  
كلّا ولا ارتضيتُ لي سوى الحمى  
وبالرضا لا والرضا لم أبغ عَنْ  
وإنما طَوْحَ بي عَنْ أَرْضِكُمْ  
وساقني للجبل الأقصى وَمِنْ  
فها أنا أطوي جوانحي على  
لا غللي تُجَفِّفُ الدمعَ ولا  
وكيف تُطْفِئُ غلُّ الصَّبِّ الذي  
يا جيرةَ (المثوى) الذي أَجَازَهُ  
لئنْ برحتُ عنكم فأنتم  
أو شطَّ جسمي عنكم فمهجتي  
وإنْ عقلتُ بسوى حماكم  
قَدْ كُنْتُ أَرْضَى مَعَ جَوَارِي لَكُمْ  
فكيفَ بي والحالُ قَدْ أَحَلَّنَا  
وعامل وإنْ بها حظي عَلا  
أسكنُ بالشامَ ، وَمَنْ وَالِيَتُهُمْ

على النوى عهدكم وما قلّي  
من جمر أحشاء المعنى شُعلا  
متخذاً في الناس عنكم بدلاً  
لا والحمى وساكنيه منزلاً  
دار بها حلَّ (الرضا) تحوُّلاً  
أمرُّ سقاني المرَّ صاباً حنظلاً  
جِبِلَّتِي أَلَا أَوْدَ الْجَبَلِ  
نار جوى وطيسُها لا يُصْطَلِي  
منهمرُ الدمع يُطْفِئُ الغللا  
أمسى بأصفاد النوى مُغَلَّلاً  
معقلُ نُجَبِ الْأَنْجَبِينَ النُّبَلَا  
بين ضلوعي ما بَرَّخْتُمْ نُزْلاً  
لديكم لم تبغ عنكم حِوْلاً  
رواحلي ما كنتُ مَنَ عَقَلَا  
بأنْ أرى مخفوضَ قَدْرٍ مُهْمَلَا  
جواركم أرفعُ غاياتِ العُلَى  
أعدُّها (عامل) خفض (كَعَلَى)  
بالنجف الأعلى و(طف) كربلا

وأرتضي بعهد ولائي لهم  
 فيا لها مصيبةٌ تُوجبُ أنْ  
 هذا وإنْ أصبحتُ ممنوعٌ التي  
 فلي أسيّ مهما عراني منْ أسيّ  
 أئمتي وسادتي وقادتي  
 فأنهم هم لا سواهم جُرْعُوا  
 بلى ، وهم قد أخرجوا من دارهم  
 جلت رزاياهم وللحشر غدت  
 كم من دم زاكٍ لهم محترم

بعداً إذا كُذِّبْتُ في دعوى الولا  
 أكثر منْ قولي (لا حول ولا  
 بحمل أثقال العنا مُوكِّلا  
 بخيرة الخالق منْ هذا الملا  
 إلى النجاة أخيراً وأولاً  
 منْ مضى الأيام كأساً ما حلا  
 وأنزلوا في دار (كرب وبلا)  
 تضربُ أهلُ الأرضِ فيها المثلا  
 أصبح في (مُحرّم) محللاً

وتُوفي له في بغداد ولد اسمه (جعفر) فكتب له عبد الباقي<sup>(١)</sup> يعزيه ، (ولكن تخيل  
 أنه ولده الشيخ موسى وكان أيضاً صغيراً) ، فقال :

إن كان (موسى) بن (الرضا) قد قضى  
 فذاك شبلٌ عن عرين الفنا  
 فقل لمن راحوا يعزّونه  
 وما دروا أن الذي مثله  
 وبالقضا ذاك (الرضا) دأبه  
 وإن يكن منْ يُعزّي به  
 لكنني أعرف منْ صبره

نحباً وعن دار الفنا فوّضا  
 عوّض عن دار الفنا مَرَبّضاً  
 فيمن مضى كالبرق إذ أومضاً  
 منْ أمره لله قد فوّضاً  
 كيف يعزّون (الرضا) بالقضا  
 كنت له أول منْ حرّضاً  
 ما فيه ثغر الدهر قد أجزضاً

### ترجمة الشيخ محمد رضا في «يتيمة الدهر»

وقال السيد في (يتيمته) : «ونحمدك يا من تفضل علينا وعلى جيلنا بمن ملك زمام  
 الفتوة والقضا ، شيخنا الشيخ مُحَمَّد رضا ، بحر العلم الذي لم نقف له على ساحل ،  
 والسبوح له ومنها عليها دلائل ، وقد نشأنا عليه في (النجف) وهو متردّ بأردية الجلال ،

(١) هو شاعر العراق في عصره عبد الباقي العمري المتوفى سنة ١٢٧٨هـ / ١٨٦١م .

ولم تكن يومئذ عندنا (دراكة) تميز بها مبلغ الرجال من العلم ، ثم كنا نحده رئيساً هماماً مقداماً ورعاً تقياً نقياً مهذباً يلهج بذكر الله دائماً ، له موقع في قلوب الناس ، صدرأ في جميع المحافل ، علماً مقديماً على جُلّ العلماء الأفاضل ، والفقهائ الأماثل ، مطاع الأمر والنهي . ممن حل النجف . إذا عدت الفقهائ كان أولهم ، وإذا ذكرت الأجلأ كان رئيسهم وأجلهم . ذو حلّ وعقد تأوي الناس إليه في المهمات ، وتعتمده في الملمات ، فيجلبو غياهبها ، ويقضي مأربها . فكم من كبير في الناس أطرق منخفضاً لرفعته ، وكم من عليّ تدانى منحطاً لرتبته ، وكان ذا رسم وإسم بوجود عمه محسن بن جعفر وابن عمه مُحَمَّد بن عليّ مع أنه ليس من القواعد العرفية فيه أن يكون له ذلك بوجودهما لأنه أصغر منهما سناً ولأن بروزه بوجودهما خلاف ما عليه ترتيب هذه (الطائفة) من الجلوس بمناصب القضاء والفتوى مرتبين ، فما ظهوره إلا لكونه مقابلاً لهما فيما جاؤا . ولم يزل مأوى لكل قبيلة حتى كانت الفتنة المعروفة بين الفرقتين في النجف ، فأراد الإصلاح بينهما على حسب مرامه فلم يكن ، فانكمد من ذلك واختار السكنى في بلاد الكاظمين (ع) ودار السلام (بغداد) مدة شهور وأعوام .

ولما مضينا إليهما بعض الأيام وجدناه مستقلاً بنفسه سلطاناً في مَنْ حلّ البلدين ، مُقلداً لكثير من أهل الجانبين ، مأوى المترددين من كلّ واد . ولم تزل أبناء الملوك من عرب وعجم تتردد إليه ، وتفد بمنازلها إليه ، حتى قدّم الوالد إلى بغداد فالتمسه هو وجملته من أجلأ كربلاء على العدول عن سكنى البلدين والسكنى في (نينوى) ، فأجاب إلتماسهم وورد فسكن مدة مديدة فيها ونحن نشهده . ثم وقد صارت له كمال الرغبة فيها أيضاً زيادة على البلدين المشار إليهما من نفوذ الحكم والكلمة والأسم ، والرسم حتى غدا أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر يجلس صباحاً وعصراً ويجدّ فيما بين الاثنين بتحصيل العلم متوسماً برغبة إليه ، ولكن إلى الآن لم تقدم الأيام عليه ، فعسى أن يمده الله بالتوفيق لنيل أقصى مدارج أهليه ، ولم لا وقد جمع صفتي الجلالة والعلم في ذاته ، وراحت تزري بالكواكب الدرّية دراري صفاته ، ولعمري هو حقيق بأن تثني له الوسادة ، ويحيي بتدريس العلم أباءه وأجداده ، وهو مشغول بالتأليف ولكن لقلّة المشتغلين في (نينوى) لم يجد للحضور عنده أرباب فيملي عليهم ما يصل إليه فكره من كتاب ، ويؤدي إليه اجتهاده من صواب .

والكلام يتم من فيه جهات :

الأولى : في علمه ، أنه في نهاية الجدّ في العلم ليلاً ونهاراً ويؤلف به سرّاً وجهاراً وله

به مؤلفات لم تبرز إلى الخارج لعدم مساعدة الوقت له .

الثانية : في ورعه ، وقد علمت أنه يلهج دائماً بذكر الله ويواظب على الصلوات الخمس بأوقاتها وجميع نوافلها ، وله أوراد كل يوم أقلها عمل (عاشورا) .

الثالثة : في ذكائه ، ولم أر ذكياً فطناً في رجال العصر في الأصولين والفقهاء مثله .

الرابعة : في عزته وجلاله ، ولم أجد أعز منه طبعاً وأحسن صنعاً وأزكى أخلاقاً وأحلى شماتلاً وأعراقاً ولا أنف عن تحمل المنزلة لأبناء الزمن ، ففيه شطر من نعوت أبيه ، بل كل ما فيه فيه ، ولكن تغير الزمان بتغير أهليه ، أوجب الفرق والمزيد لأبيه .

الخامسة : أنه جمع أضداد الصفات ، صغر النفس والكبرياء ، لا يتكبر ، والعظمة لا لتعظيم النفس بل لعظم ذاتي ، والتصاغر لا لصغر ، زيادة على الفقه والعلم والورع والحلم وغيرها من الصفات الفارقة المتضادة المتوافقة .

السادسة : أن له ما بين جنبه همة يطاول بها السماكين والفرقدين لم أجدها بين جنبي أحد في البين ، لم يزل يطاول بها العلماء الأساطين ، يوسع بها على فقراء زمانه والمحتاجين ، في أوانه ، وفي ديون المديونين ، ويرفع مظالم العاثرين ، ويفك المسجونين ، ويحقّر بها المتجبر الكبير ، ويكبر بها الحقير ، ويُنجد البائس الفقير ، ويجلس فوق عرش القضاء ، والسريير ، ويشيد بها أركان الدين ، ويهدي الضال إلى منهاج الحق المبين . فكلم من خصومات قطعها ، وحجج دفعها ، وشرعة جود شرعها ، حاكم شرع بفضلها وحاكم جور بعدها .

السابعة : أنه نجيب الطرفين إما بمتصاعد الأنساب فيرتفع لموسى بن جعفر ، وإما بنازلها فذو طائفة كبيرة غطارف غرر من آل (هاشم) علويين معلومين الأسم والرسم ، لدى كل ناثر وناظم .

إنته ، ما استخبرناه من ترجمة (السيد) لجدنا الأكرم ، وهي طويلة على أنه لم يدرك تمام أيامه ، بل توفي قبل مجيء الشيخ إلى النجف<sup>(١)</sup> وانتهاء الأمر إليه ، وعكوف همم طلاب العرب وعوامها عليه .

(١) توفي السيد محمد علي العاملي صاحب كتاب «اليتيمة» في سنة ١٢٩٠هـ / ١٨٧٣م ، وتوفي الشيخ محمد رضا كاشف الغطاء سنة ١٢٩٧هـ / ١٨٨٠م .

## وفاته ومراثيه

وقد عرفت أن الشيخ بعد وفاة ابن عمه الشيخ مهدي انتقل إلى مسند آبائه الكرام ، وجدد ما كاد أن يندرس لولاه من تلك الأعلام ، وصار يدرّس بمدرسة آبائه وأجداده فتستفيد جماعة من الفضلاء منه ، وتحظى بطارفه وتلاده ، وقد ذكرنا لك بعضهم . وجعل يقيم الجماعة في الصحن الشريف ، فتجتمع خلفه الصفوف بالألوف . إلى أن دعاه الله إلى رحمته فأجابه ، وأختار الفوز لديه جزل ثوابه . فأقيمت مجالس العزاء ، ونصبت المآتم في جميع الأنحاء ، فلم يكن في الأرض مكان للشيعه إلاّ نصب له فيه مآتم كطهران ، وخراسان ، وإصفهان ، وسامراء ، وبغداد ، وكربلاء ، والحلة ، والنجف ، وغيرها من الأماكن .

وكان (ره) في أيام حياته مواظباً على عمل عاشوراء ، فرآه بعض الأتقياء الثقات في المنام وهو جالس في رياض تجري خلالها الأنهار ، وعلى أحسن هيئة واعتبار فقال له : يا مولانا مَنْ أعطاك هذا المكان؟ فقال : عاشوراء ، أنظر ، فنظرت إلى كومة فحم إلى جنبه ، فقال : هذه ذنوبي كانت جمرًا فأطفأتها (عاشوراء) .

فلما قضى من حق العلى واجبه ، وشيّد دعائم المجد وأعلى مناكبه ، واصطفاه الله واختاره ، وأحبّ لقاءه وجواره ، فدعاه فجأة إليه ، فبادر بالأجابة وعجل بالمثل بين يديه . وكان قد خرج إلى قرية من قرى الحلة تسمى (البُصَيْرَة) ، وهي من هدايا داود پاشا إلى أبيه (قدس سره) ، وانتقلت إليه بعده ، فاشتكى فيها عصباً ، وقضى فجراً ، وجيء بجنازته الشريفة إلى النجف في اليوم الخامس والعشرين من شهر رجب المبارك سنة ١٢٩٦ مع (سواد) لا يُحصي عددهم إلاّ الله . فماجّت الناس بعضها في بعض ، وخرجت جميع الناس لاستقباله على أميال ، ونُصِبَتْ له مجالس العزاء في أغلب المحالّ ، وأنشدت المراثي والنشائد ، في أغلب المحافل والمحاشد .

فمن ذلك ما قاله الشيخ مُحَمَّد سعيد الأسكافي المتقدم يعزّي ابني عمّه الشيخ حبيب<sup>(١)</sup> (ره) والشيخ عباس (ره) وكانا هما المرجع بعده ، ويمدح الشيخ محسن ابن أخته وأولاده ؛ الشيخ علي والشيخ موسى ، وهي<sup>(٢)</sup> :

قَبَّةُ المجدِ مَنْ أَمالَ بناها والمعالي مَنْ هدَّ سامي ذراها

(١) الشيخ حبيب بن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير ، تُوفي سنة ١٣٠٧ هـ / ١٨٨٩ م .  
(٢) ذكر الخاقاني هذه القصيدة في ترجمة محمد سعيد الأسكافي محرّرة في رثاء السيد علي بحر العلوم . (شعراء الغري ، ج ٩ ، ص ١٤٣) .

طالما عزّ في حماه حماها  
ذروةً للأبواء عزّ ارتقاها  
كيف غالت أسد الشرى في شراها  
قد أراشت سهامها كفّاه  
من سويدائها صميم حشاها  
فجعت آل (جعفر) برضاها  
تستمدّ البحور منه رواها  
كيف وارثه في الثرى بوغاه  
هو بالشّم - إن يُقس - أرساها  
أيّ نفس للمكرمات نعاها  
ليس ترضى سوى الأبواء رداها  
أنفس الزاد للنفس ثقاها  
في شجاها أقصى الورى أدناها  
ثلمة ليس يلتقي طرفاها  
صبرنا حيث جلّ فينا عزّاها  
أشرقت للعلوم فيهم سماها  
حُبّه صبوة فكان فتاها  
حلّ إشكالها لنا فجّلاها  
للّهو وقد نهاه نهّاها  
من شذا خلقه بطيب شذاها  
ومن فاق في الورى فضّلاها  
غامضات الأسرار بعد خفاها  
رقّ سلسالها وراق صفّاها  
سجايا محاسن لا تُضاهى  
بالمواضي وجدتها أمضاها  
عن فقيده عين العلى أدماها

ومن ابتزّ شرعة الديس كهفاً  
عجباً للحمام كيف ترقي  
عجباً للمنون يوم تخطّت  
أو تدري لأي حبر همام  
رشتت مهجة المنون فأصمت  
بابن (موسى) بن (جعفر) مذّلت  
غاض منها برغمها أيّ بحر  
غار منها تحت الثرى أيّ بدر  
خرّ من شاهق العلى أيّ طود  
أو يدري ناعيه يوم نعاها  
قد نعى نفس سؤدد وإباء  
لم تزود سوى الثقى ولعمري  
فجعة عمت الأنام فساوى  
ثلمت في الأسلام يوم ألمت  
فعزاء لنكبة عزّ فيها  
بالبهاليل آل (جعفر) منّ قد  
(بحبيب) العلوم منّ شغفت في  
فلكم للعلوم من مشكلات  
ورع لم تقّده أمارّة النفس  
وخليق ما نفحة المسك أزكى  
وأخوه أخو المعالي أبو الفضل  
فلكم من (سرائر) الفقه أبدى  
ولكم من مناهل مترعات  
بينما (المحسن) الذي طبّق الكون  
وأخو عزّمة متى ما تقسها  
فعزاء بني (عليّ) عزاء

ببنيه التي اقتفتُهُ سداداً  
(فعليّ) عميدُها في المعالي  
كم لوقاد ذهنه من مصابيح  
ولكم زان أفقها بدرار  
وأخوه (موسى) كلیم علوم  
في سماء العلوم كم أشرقته منه  
ولكم زان أفقها حكماً غراء  
توأما سؤدد شريكها عنان  
من ترى منهما تراه هماماً  
وأخا راحة ترى لجة البحر  
كم أرى الوفد جود يُمنّاه يُمنّا  
و(العبد الحسين) ربّ المعالي  
ذو حجى فاق فيه وهو صبي  
أسرة للعلوم أنشأها الله  
وأباة كالأسد يوم إباء  
لا تقس مجدهم بمجد سواهم  
وإذا اعتاصت العلوم ففيهم  
بكم آل (جعفر) تتأسى الناس  
إن عهدي بكم رواسي حلوم  
لا برحتم (ججاجاً) يتأسى  
وسقى مرقد الرضا نوء سحُب

وبنو المجد تقفني أباه  
وعليه العلوم رفّ لواها  
علوم شعّ إتقّاد سناها  
كالدراري شعت بأفق سماها  
قربته منها بوادي طواها  
شموس كالشمس راد ضحاها  
تعشّو بنورها حكماها  
أحرزا في العلوم سبق مداها  
ثاقب الزند ناسكاً أوّاه  
ليدها كقطرة من نداها  
وبيسراه كم رأت يسراها  
مأثرات لم يستطع إحصاها  
ضیعت عنده الكهول حجاها  
وللحكم مُذّ براها براها  
من ثرى يجحد الأسود إياها  
ضلّ من قاس بالثريا ثراها  
عن رموز العلوم (كشف غطاها)  
إن عزّ في الخطوب أساها  
لم تملها الخطوب في نكباها  
بحجاها هذا الوری ونهاها  
بالرضا يستهلّ وكفّ حياها

وقال المرحوم المبرور ، حسنة الأعوام والدهور ، عديم النضير والمثيل ، السيد السند الحاج  
سيد إسماعيل<sup>(١)</sup> ، ابن عمّ حجة الإسلام الحاج سيد محمد حسن الشيرازي<sup>(٢)</sup> رحمهما

(١) السيد اسماعيل الشيرازي ولد سنة ١٢٥٨هـ / ١٨٤٢م ، وتوفي سنة ١٣٠٤هـ / ١٨٨٧م ، وهو والد المرجع  
الكبير السيد عبد الهادي الشيرازي المتوفى سنة ١٣٨٢هـ / ١٩٦٢م .

(٢) توفي السيد محمد حسن الشيرازي سنة ١٣١٢هـ / ١٨٩٤م ، ويُلقب بالمجدد الشيرازي وقد إقترن اسمه  
بثورة (التبّاك) التي حدثت في إيران قبل وفاته بعامين تقريباً .

اللّه ، يرثي الشيخ المرحوم ويعزّي ولده الشيخ موسى (ره) ، وكانت له مودة أكيدة وصحبة شديدة معه ، وكانا جميعاً في (سُرْمَنْ رَأَى) ، وهي :

<p>أراك غزيرَ الدمعِ قد مسك الضُرُّ فهل شغفتك الغانيات بحُبِّها أم الدهر لا حلّ الهنا في ربوعه بفادحة لا يملك الدمع عندها وداهية حلت فجلت عن العزا ألم تدر ماذا قد أصبت غوايةً وأغمدت سيفاً كان في الله شاهراً وأثلمت للدين الحنيفي ثلماً وألحدت بدراناً في التراب ولم أكن فليست عيون المكرمات قريرةً ولولا التسلي بعده بسليله فتى لم يعرق فيه إلا أكارم بني (جعفر) آباء كل فضيلة إذا كان بالعلياء فخر لذي علأ فصبراً أبا (عمران) في فجعة بها فعشت شغوف القلب لا بك فجعة</p>	<p>وما فيك للسلوان نهى ولا أمر فبانت وفي أحشاك من بينها جمر أصابك في غدر وشيمته الغدر ونازلة لا يُستطاع لها صبر وحادثة للحشر من رزئها نشر أصبت فؤاد المجد ويحك يا دهر وأنفدت بحراً في أنامله عشر وأحدث كسراً ليس يرجى له جبر أرى قبل هذا اليوم أن يلحد البدر ولا في محيا الجود من بعده بشر حليف التقى (موسى) لَمَا انشرح الصدر سموا فكبا من دون علياهم الفكر هو الفلك السامي وهم أنجم زهر لعمري بهم يوم الفخار لنا الفخر تأسست بك العليا وشاطرك الدهر ودمت قرير الدين طال لك العمر</p>
--	--

وقال الشيخ علي عوض<sup>(١)</sup> يرثيه ويعزّي العلامة السيد مهدي القزويني وقد جلس للزاء ، له في الحلة الفيحاء ، وهي :

<p>أرأيت كيف تحامل الأقدار نزلت بليث المجد ثم عدمنه (هجمت) على (موسى) بن (جعفر) بيته لو أنصف (النجف) المشرف مجده</p>	<p>طرقت سوافر والسيوف عوار وشبول ليث المكرمات ضنوار ودهب عنه (بالرضا) المختار لمشى على مهل بغير عثار</p>
--	--

(١) ولد الشيخ علي عوض الحلي سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وتوفي سنة ١٣٢٥هـ / ١٩٠٧م .



وَمَحَا بِفَضْلِ أَبِي (عَلِيٍّ) وَبَاسِهِ  
بُحْصَرَفَ عُمَرَاً بِدَفْعِ شِدَائِدِ  
بَعْلَى الَّذِينَ تَصَرَّفَتْ أَعْمَارُهُمْ  
السَّالِبِينَ الدَّهْرَ سَطْوَةً جَائِرٍ  
وَاللَّامِعِينَ عَلَى الزَّمَانِ بِأَوْجِهِ  
يَا بْنَ الَّذِينَ بِهِمْ تَبَلَّجَتْ الْعُلَى  
لِلَّهِ شَأْنُكَ لَوْ يَسَاعِفُهُ الْقَضَا  
لَمَضَى بِكَ الْأَسْلَامَ أَبْلَجَ وَاضِحاً  
كُنْتَ اللِّسَانَ إِذَا تَلَعْتُمْ مُصْقَعٌ  
وَزَعِيمٌ كُلِّ عَظِيمَةٍ فَرَّاجِهَا  
قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ تَشَعَّ مَدَائِحِي  
وَأَجُولُ فِي مِيدَانِ فَضْلِكَ مُعْتَقاً  
فَلَشَدَّمَا انْقَلَبَ الْمَدِيحُ مَرَاثِياً  
يَا مُثَكَّلَ الْحَسَنَاتِ فَاجَاكَ الرَّدَى  
لَوْ أَمْ رَبِّكَ بِالْوَعِيدِ رَسُولُهُ  
بِبَنِي (مَعَزِّ الدِّينِ) <sup>(١)</sup> يَنْدَفِعُ الْبَلَا  
وَبُنُسِكِهِمْ وَرَعَاً وَفَضْلٍ صَلَاحِهِمْ

وقال بعض شعراء الحلة يرثيه ، ويعزي السيد المتقدم (ره) ، وهي طويلة ، ومنها :

يَشَبُّ بِكُلِّ جَانِحَةٍ ضَرَامَا  
وَأَبْكِي الْأَنْبِيَاءَ بِهِ جَمِيعاً  
فَهَلْ عَلِمْتَ يَمِينُ الدَّهْرِ فِيهَا  
وَوَارَتْ فِي اللَّحُودِ ذُكَاءً <sup>(٢)</sup> عِلْمَ  
فَخِيلَ اللَّحْدُ كَانَ لَهَا سَمَاءُ  
مُصَابٌ هَذَا لِلْعَلِيَا دَعَامَا  
فَلَا عَجَبٌ إِذَا أَبْكِي الْأَنَامَا  
عَلَى الْعُضْبِ الْحُسَامِ نَضَّتْ حُسَامَا  
سَنَاهَا لَمْ يَزَلْ يَجْلُو الظَّلَامَا  
وَحِيلَ الْأَفْقُ قَدْ كَانَ الرُّغَامَا

(١) معز الدين : لقب السيد مهدي القزويني .

(٢) ذُكَاءُ : الشمس .

فَقُلْ لِلْمُرْمَلِينَ فَقَدْتَ غَيْثًا  
 رفيعٌ لا يُحدُّ عُلاهُ مَهْمَا  
 سرى نَعَشُ (الرضا) فظننتُ فيه  
 فأدمي الخدَّ يا أمَّ المعالي  
 ولضعفها أعرَضنا عنها .

وقال الشيخ محسن آل الشيخ خضر رحمهما الله يرثيه ، ويعزِّي الشيخ محسن ابن  
 أخيه ، وباقي ذويه وأهليه ، وهي :

فَدَحَتْكَ مِنْ أَحَدَى الْكِبَائِرِ  
 سوداءُ لا يجلو الشَّهابُ  
 ومبروعة تنعى ومن  
 وقعا لهول مُصَابِهَا  
 والى المقابر تنثني  
 وتصبكُ جبهتها أسيَّ  
 يفري المرائر شجوها  
 ولها سوافحُ عُبْرَةٍ  
 تنعى ابنَ (موسى) لا الكليم  
 فلتلقَ من تيجانها  
 أمنيح ضميم الجار كيف  
 أضيأ عين المجد  
 فإذا بكاك فأنما  
 وأما وعزُّ غلاك إذ  
 لو كان غيرُ الله ما  
 لكنما ختم القضاء  
 رعباً لشُهبك يا سما  
 وحكاه بدرُّك طالعا

بمقلة عدَد الأكابر  
 سرارها إن جنَّ عاكِر  
 نفثاتها كالنار نائر  
 روحٌ تُرددُ في الحناجر  
 فتثيرُ أفنية المقابر  
 بصفيح أرسمها الدوائر  
 والشجوة ما يفري المرائر  
 كالجمر من فوق المحاجر  
 بل ابن (جعفر) والمفاخر  
 صيدُ الأكاسر والقياصر  
 عليك صرف الدهر جائر  
 بعدك طرفه أقدادُ عائر  
 إنسانها تبكي النواظر  
 كانت له تعنو الجبابر  
 أضرعت خدك طوع أمر  
 وحانَ ترحالُ المسافر  
 لمعت كأنعمه الزواهر  
 والشيء يذكرُ بالنضائر

هيهات يسلوهنّ ذاكِرُ  
أم عرائسه البواكِرُ  
وأقلتُ عَشْرَةَ كُلِّ عَاثِرُ  
من سَومِ هاتيكَ الجَواهرُ  
لها فأتني اليومَ عاذِرُ  
ممثلَ النواهي والأوامِرُ  
بربكَ خيرَ ناصرُ  
ويقلّ عنك الليثُ كاسِرُ  
سراج مشكاة المفَاخرُ  
ولكلِّ جُرحٍ أنتَ سابرُ

سَقِيّاً لحفظِ عهدِهِ  
تُنْسِي صِنائِعَهُ النفائِسُ  
وعذرتُ ثَمَّةَ مَنْ كَبَا  
أتى لِمُسْتِأَمِ الحَصِي  
عُذراً بني العِزِّ الكرامِ  
فاسلّمَ أبا (المهديّ)  
وانهضْ لعِزِّ الدينِ مُنتَصِراً  
كالليثِ دمدمَ كاسِراً  
أنتَ ابنَ بجدتها ونورُ  
أنتَ الشففاءُ لدائها

\* \* \*

صبراً ولستُ أقولُ كابرُ  
إذ تُلَوِي الخِناصِرُ  
البُشُرى وأعوادُ المنايرُ  
عَذْبُ المَوارِدِ والمَصَادِرُ  
سِراةُ إنَّ جنَّ عاكِرُ  
إليهما قصِدُ النَواظِرُ  
للفخرِ حينَ زها المُفاخرُ  
بالحَقِيقَةِ كُلِّ سَاحِرُ  
بالفخرِ بوركَ منه طائرُ  
غدا (الحُسينُ) قَريِرُ ناظِرُ  
ملء المسامِعِ والنَواظِرُ  
لمثلِهِ لوقِيسِيلَ باهرُ  
ضمَنتُ من الغيبِ الضمائرُ  
لولا نِسبَةُ لَدِمِ (اليَعاقرُ)  
أَسْنَى التَحِيَةِ والأَواخِرُ

أَعْمِيدَ أَهْلِيهِ الأَكابرُ  
فإلى الحبيبِ إشارةُ الأَحياءِ  
وبه المِدارِسُ نالَتِ  
كَالبَحَرِ إلّا أَنَّهُ  
فاكشَفَ بضوءِ الفِرَقدينِ  
فابنا (عليّ) و(الزَكيّ)  
وَإِذا نَدَبْتُ بني (الرَضِيا)  
أَلقى العَصا (موسى) فابطلَ  
وسَمّا (عليّ) طائِراً  
بهما لَعَمْرُأبي (الحُسينِ)  
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَلَقَّاهُ  
مِنْ باهرِ لَعَمْرُ قَلَّ  
يَا تُرْبَةَ الرِّيمِ التِّي  
مَما أنتَ إلّا المِسْكُ  
فَعَلَى الأَوائِلِ مِنْهُمْ

## ما هبَّ معتلَّ النسيم وهاجَ فَنَقْدُ الألفِ طائرُ

وقال أيضاً يرثيه ، ويُعزِّي ابن عمّه جناب العلم السامي ، وبحر التقى الطامي ، الأوَّاه المنيب ، الشيخ العابد الشيخ حبيب<sup>(١)</sup> ، ابن الشيخ علي بن الشيخ جعفر قدس سرّهم الأطهر ، وقد جلس بعده بمجلس آبائه الكرام ، ورجعت إليه مرجعية الخاص والعام ، وهي :

وفــــوادم الرُزء اللوادمُ	هتفت بشاوية الأضالعُ
بين الأباطح والأجــــارُعُ	ومن الرزية أعــــولتُ
فوق المآذن والصــــوامعُ	وتبتُّ منْ لأوائهــــا
ملء الشــــوارع والمشــــارعُ	حتى استفزّت صيدها
أمسى خدّه للترب ضــــارعُ	تبغي عزيز المصــــر
الأعاصــــرُ بالزعازعُ	تنعى السحاب الجــــون تطويه
وهلْ لذاك الشــــملِ جــــامعُ	تنعى لشــــمل المكرمات
والجماعة للجــــوامعُ	تنعى الأئمة للمنابر
قفر المعاهد والمــــاربعُ	تنعى المدارس أصــــبحتُ
وضحت بهم سنن الشــــرائعُ	تنعى الألى منْ (جعفر)
والكلُّ مستنٌّ وشــــارعُ	أعلام شرعة (جعفر)
عادت معالها بلاقعُ	تنعى مذاهب (جعفر)
لأفول أقمار طوالعُ	تنعى مصباح أطفئتُ
ألقي الخيــــل والمصــــانعُ	تنعى عصا (موسى) إذا
وبيض أيدينا النواصعُ	تنعى مآثره الحــــسان
كشاف معضلة الوقائعُ	تنعى (عليّاً) ذا العلى
(حسناً) تريب الخد سافعُ	تنعى الزكيّ المجــــتبي
(عليّ) مأمــــل كل طامعُ	تنعى الجواد (محمّد) ابن
مليت هنا فيه المسامعُ	تنعى الفتى (المهديّ) منْ

(١) تُوفي سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م .

وَفَجَّيْعَةُ الدَّهْرِ الَّتِي  
لِلشَّرِّ تَنْعَى (جَعْفَرًا)  
تَنْعَى أَبَا (حَسَن) فَلَا  
تَنْعَاهُ أُمُّ تَنْعَى الْفَقَاهَةَ  
تَنْعَى (الرَّضَا) لِبَنِي أَبِيهِ  
وَأَسَى الْأَمَامِ سَمِيَّةَ  
وَقَضَى حَمِيدًا (ثَامِنَ) الـ  
تَنْعَى أَشْعَةَ كَوَكَبٍ  
وَأَمِينَ شَرِّعَ قَسِيمٍ  
تَنْعَى ابْنَ (مُوسَى) ذِي  
تَنْعَى بَرُوقَ سَحَابَةٍ  
تَنْعَى ضُرُوعَ غَمَامَةٍ  
تَنْعَى الْمُجَلِّيَّ فِي السَّبَاقِ  
تَنْعَى صَنَائِعَ رَبِّهَا  
تَنْعَى لِرُكْنِ هَدَاهُ  
تَنْعَى لِكَبْشِ نَطَاحِهَا  
تَنْعَى صَنَائِعَ عَزَاهَا  
فَقَدَا الْكَمِينَ طَلِيْعَهُ  
تَنْعَى أَبِي (مُوسَى) لِمُوسَى  
مِنْ خَطَابِ بَكْرِ الْعُلَى  
وَمَمْلَكَ مِنْ نِيلِهَا  
فِيهِ التَّسْلِي لِلْقُلُوبِ  
(بِمُحْسِنِ) نِعَمِ الْأَسَى  
طَلَاعَ كُلِّ ثَنِيَّةٍ  
هُوَ مَنْجَبُ الْأَبْوِينَ ذَا  
وَعَمِيدُ أَرْبَابِ الْكَمَالِ

عَظُمَتْ فَهَوَّتِ الْفَجَائِعُ  
عَذِبَ الْمَنَاهِلِ وَالْمَشَارِعُ  
تَنَفَّكَ مَسْجِلَةُ الْمَدَامِ  
مَا لَتَاجِرُهَا بِضَائِعِ  
قَضَى غَرِيبَ الدَّارِ شَاسِعِ  
فَعَدَّ لَهُ فِي الْحُكْمِ تَابِعِ  
أَعْلَامَ لَسْتُ أَقُولُ (تَاسِعِ)  
فِي هَالَةِ الْعِلْيَاءِ سَاطِعِ  
وَلَنَعَمَ مَحْتَفِظَ الْوَدَائِعِ  
الْيَدِ الْبَيْضَاءِ وَالْكَلَمِ الْجَوَامِعِ  
وَالسُّحْبِ أَغْزَرُهَا هَوَامِعِ  
مَا حُرِّمَتْ مِنْهَا الْمَرَاغِعِ  
إِذَا الْكَمِيْتُ الطَّرْفَ ضَالِعِ  
وَالنَّاسُ - بَعْدُ - لَهَا صَنَائِعِ  
مَنْ هَادِمَ اللَّذَاتِ قَبَارِعِ  
أَرْدَاهُ مَشْبُوحَ الْأَشْجَاعِ  
كَمَنْتُ بِهَابِطَةِ الْأَجَارِعِ  
مِنْ بَعْدِ هَاتِيكَ الطَّلَائِعِ  
حِينَ أَعْوَزَ مِنْهُ طَالِعِ  
مِنْ كُلِّ قَاصِيَةٍ وَشَاسِعِ  
أَقْصَى الْأَمَانِيِّ وَالْمَطَامِعِ  
إِذَا أَمْضَتْهَا الْفَجَائِعِ  
فِي الْمَزْعَجَاتِ مِنَ الْوَقَائِعِ  
طَلَابِ غَايَتِهَا الْمُسَارِعِ  
حَسَبَ كَضُوءِ الصُّبْحِ نَاصِعِ  
وَلَيْسَ ثَمَّةَ مَنْ يُنَازِعِ

أرثيه منصدعاً فيا  
 ممّا عرّا من نكبة  
 ولمثله نغم التسلي  
 الأمر الناهي بنا  
 هو ذاك منتجع الندى  
 وبكل رزق قانع  
 متبتّل في الليل إمّا  
 وغزير علم زانه  
 نغم المفيد (وجيزة)  
 ما انفكّ يلتمس (الفتاوى)  
 ولسوف يصدع بالهدى  
 ويقيم ما قد زاع من  
 وسقى الحيا جدت (الرضا)

لك فادح للطود صاعد  
 نزعت من الكف الأصابع  
 (بالحبيب) إلى الطبائع  
 والكل ممثّل وسامع  
 وعميم أسباب المنافع  
 زهداً وربّ الزهد قانع  
 ساجدٌ أولاً فراكع  
 عمل به للرجس قانع  
 ولنعم (مختصر) (ونافع)  
 من أدلتها القواطع  
 وكفى به بالحق صاعد  
 عمد الهداية خير رافع  
 ومضاجعيه لدى المضاجع

إلى هنا تمت ترجمة جدنا الأعظم ، الشيخ مُحَمَّد رضا (قُدس سره الأكرم) .

وتليه (إن شاء الله) ترجمة باقي هذه الطبقة وهم : الشيخ الأجل ، الشيخ حبيب<sup>(١)</sup>  
 وأخوه الشيخ عباس<sup>(٢)</sup> المبجل ، ابنا الشيخ عليّ قدس سرهم جميعاً ، ثم ترجمة الشيخ  
 عباس<sup>(٣)</sup> ابن الشيخ حسن قدس سره . وبه يكون ختام الطبقة الثالثة .

ونشرع إن شاء الله تعالى وتوفيقه بذكر الطبقة الرابعة وهم أولاد المذكورين في الطبقة  
 السابقة .

والحمد لله أولاً وآخراً .

(١) الشيخ حبيب ابن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير من كبار الفقهاء ، توفّي سنة ١٣٠٧هـ / ١٨٩٠م .  
 (٢) الشيخ عباس ابن الشيخ علي بن الشيخ جعفر الكبير ، ولد سنة ١٢٤٢هـ / ١٨٢٧م ، وتوفّي سنة ١٣١٥هـ /  
 ١٨٩٧م . وهو من كبار فقهاء هذه (الطائفة) وشعرائها .  
 (٣) ولد الشيخ عباس بن الشيخ حسن بن الشيخ جعفر الكبير سنة ١٢٥٣هـ / ١٨٣٧م ، وتوفّي سنة ١٣٢٣هـ /  
 ١٩٠٥م .

# منهج الرشاد لِمَنْ أَرَادَ السَّدَادَ

رسالة الإمام الشيخ جعفر كاشف الغطاء إلى الأمير عبد العزيز بن سعود

تأليف

زعيم الأمامية في عصره

الشيخ جعفر كاشف الغطاء

المتوفى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م

حققه وقدم له

الدكتور جودت القزويني





# المحتويات

منهج الرشاد - (النسخة الخطية) .....	٥١١
النسخة المطبوعة .....	٥١٤
جواب الأمير عبد العزيز بن سعود .....	٥١٥
منهج الرشاد لمن أراد السداد .....	٥١٧
مقدمة المؤلف .....	٥١٩
الفصل الأول : في أنَّ الأفعال والكلمات تختلف باختلاف المقاصد والنيَّات .....	٥٢٠
الفصل الثاني : في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات .....	٥٢٧
الفصل الثالث : في بيان الميزان التي يُرجع إليها إذا تشابهت الأمور .....	٥٣٠
المقصد الأول : في تحقيق ضروب الكفر .....	٥٣٥
المقصد الثاني : في تحقيق معنى العبادة .....	٥٤٠
المقصد الثالث : في الذبح لغير الله .....	٥٤٤
المقصد الرابع : في النذر لغير الله .....	٥٤٧
المقصد الخامس : في القَسَم بغير الله .....	٥٤٩
المقصد السادس : في الاستغاثة .....	٥٥٢
المقصد السابع : في التوسّل .....	٥٥٦
المقصد الثامن : في الشفاعة .....	٥٥٩
الخاتمة .....	٥٦٢

الباب الأول : في حياة الأموات بعد موتهم	٥٦٢
الفصل الأول : في حياة النبي (ص) بعد موته	٥٦٢
الفصل الثاني : في حياة سائر الشهداء والأنبياء	٥٦٥
الفصل الثالث : في حياة سائر الموتى	٥٦٦
الباب الثاني : في الزيارات	٥٧١
الفصل الأول : في زيارة قبر النبي (ص)	٥٧١
الفصل الثاني : في زيارة باقي القبور	٥٧٣
الباب الثالث : في التبرُّك بالقبور ونحوها	٥٧٤
الباب الرابع : في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها وتعلية بنائه وتشيد أركانها	٥٧٨
كشف الجواب عما تضمنه ذلك الكتاب	٥٨١

هذه الرسالة حصيلة مراسلة بين شخصيتين كبيرتين تمثلتا بالشيخ جعفر كاشف الغطاء - زعيم الطائفة الأمامية في عصره - ، المتوفى سنة ١٢٢٨هـ / ١٨١٣م ، وبين الأمير عبد العزيز بن سعود - أحد قادة الحركة الوهابية في عهدها الأول - ، المتوفى سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م .

والسبب الذي دعا إلى تأليفها هو أن الأمير عبد العزيز كتب رسالة إلى الشيخ كاشف الغطاء انتقد فيها الممارسات التي يطبقها زوار المراقدين الدينية المقدسة ، - وهي حسب العقيدة الوهابية تقارب الشرك في مقام التوحيد - ، المبتنية على مفردات نظرية مثل الشفاعة ، والتوسل ، والاستغاثة .

ولمعرفة ما تنطوي عليه هذه الأوراق من مناقشة وجدل يتحتم فهم الظروف التي كانت سائدة في منطقة الجزيرة ، والتي بدأت تؤثر في المناطق المحيطة تأثيراً بالغاً وفعالاً .

فقد كانت منطقة الجزيرة العربية سياسياً واقعة تحت نفوذ السيادة العثمانية (عدا مسقط) ، كما كان حال الدول الأخرى مثل العراق ، وبلاد الشام ، ومصر . ولم تكن سيطرة الدولة العثمانية على هذه البلدان سيطرة فعلية حيث تكتفي من الولاة بتقديم المبالغ المناسبة دليلاً لخضوع الوالي لها .

وفي القرنين (الثاني عشر والثالث عشر الهجريين / الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين) بدأ النفوذ البريطاني يدخل منطقة الشرق لتأمين سلامة المواصلات التجارية بين الهند وانكلترا ، ووصول بضائع شركة الهند الشرقية الانكليزية إلى موانئ الخليج .

وكانت إيران تحت سلطة الافشاريين بعد سقوط الدولة الصفوية سنة ١١٣٥هـ / ١٧٢٢م .

وفي أوائل القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي أصبح نفوذ البريطانيين شبه منفرد في المنطقة لانشغال الدولتين الكبيرتين القاجارية والعثمانية بأوضاعهما الداخلية المضطربة ، والنزاعات المتكررة بينهما .

ففي هذا الوسط ظهرت الدعوة الوهابية ، وامتدت بتحالف تم عام ١١٥٧هـ / ١٧٤٤م بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، والأمير محمد بن سعود على أن يكون صاحب

السيف حارساً للدين ، وناصراً للسنة ، وأن يستمر الداعية على الجهر بدعوته الأصلحية الجديدة .

وقد اتسعت الإمارة في عهد محمد بن سعود<sup>(١)</sup> فشملت أكثر (نجد) حيث تركزت فتوحاته على القرى المحيطة (بالدرعية) ، والتي نجح في القضاء على زعاماتها المحلية ولم يبقَ خارجاً عن قبضته سوى مدن الرياض ، والأحساء ، والقصيم .

وقد حكم محمد بن سعود عشرين عاماً حتى وفاته سنة ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م حيث تولّى الحكم بعده ولده عبد العزيز .

أمّا ولده (المعنى بهذه الرسالة) عبد العزيز بن محمد بن سعود فقد حكم (٣٩) عاماً وخلال هذه الفترة الزمنية اتسعت فتوحاته إتساعاً إمتدّ بسلطانه من شواطئ الفرات إلى رأس الخيمة ، وعُمان ، ومن الخليج إلى أطراف الحجاز وعسير .

إنّ العلاقة الوهابية - الأثنا عشرية مرّت بمرحلتين :

الأولى : في حياة شيخ الوهابية محمد بن عبد الوهاب حتى وفاته عام ١٢٠٦هـ / ١٧٩٢م .

الثانية : بعد رحيل الإمام محمد بن عبد الوهاب ، أي (خلال مرحلة حكم الأمير عبد العزيز بن سعود (١٢٠٦هـ - ١٢١٨هـ) .

ففي المرحلة الأولى لم تشهد المدن المقدسة الشيعية أيّ هجوم وهابي . والسبب يعود - كما ذكر صاحب العبقات - إلى علاقة الشيخ جعفر الطيّبة مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وبالرغم أنّ المصادر التاريخية لم تُشرّ إلى علاقة كهذه سوى ما ذكر في (العبقات) ، فإنّ سياق الأحداث التاريخية يؤكد وجود علاقة بين الطرفين ، ربّما إمتدت منذ إقامة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أيام دراسته في بغداد ، وبقيت حتى تولّى الشيخ كاشف الغطاء زعامة الطائفة الأمامية .

أمّا المرحلة الثانية - والتي تبدأ بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - ، فإنّها إتّسمت بالحوار الدبلوماسي في سنيها الأولى ، لكنّها لم تستمرّ على هذه الوتيرة بعد الغزو الوهابي لمدينة كربلاء عام ١٢١٦هـ ، وإحلال الدمار والقتل فيها .

---

(١) كانت إمارة آل سعود لا تتعدى البلدين ، أو الثلاثة في زمن أبيه سعود بن محمد بن مقرن . وقد إتّسعت الفتوحات بعد تولي محمد بن سعود الزعامة سنة ١١٣٩هـ / ١٧٢٧م .

وتتجلى أهمية هذا الحوار في المراسلات التي دارت بين الأمير عبد العزيز بن سعود والشيخ كاشف الغطاء ، حيث كتب الأمير عبد العزيز رسالة (نقل قسماً من مضامينها كاشف الغطاء) ، وردَّ عليها برسالة أشبه ما تكون بالمناقشة الشاملة لما وردَ من الشبهات التي أثَّرتْ حول الفكر الأمامي ، ومما لم يرد منها أيضاً .

قد تميَّز منهج كاشف الغطاء في رسالته بسمات ، أهمّها :

١ - امتازت الرسالة بالموضوعية والصدق ، والواقعية ، وغزارة المعرفة ، وقوّة الاستدلال ؛ حيث نهج مؤلفها منهجاً عقلانياً متكاملًا ردّ فيه المنطق بالمنطق ، والحجّة بالحجّة والبرهان ، ممّا جعلها - على رغم أنّها نافت على القرنين من الزمن - رسالةً فتيّةً ما زالت حجّيتها قائمة ، طريّة الأفكار ، متينة المباني ، عذبة المُحاجة ، خالية مما اعتاد عليه المؤلفون في مثل هذه الميادين من الخروج عن ذريعة العلم إلى ذرائع أخرى لا تتصل إلى نهج المعرفة بصلة .

٢ - يبدو أنّ كاشف الغطاء كان يدرك أنّ الفتوحات الجديدة تهدّد أمن المنطقة بشكل عام ، وستصل إلى العراق لضعف السلطة الحاكمة فيه ، وانشغالها بالمشاكل الداخلية وغيرها . لذلك كان حديثه في الردّ حديثاً حاول من خلاله إقناع عبد العزيز بن سعود - بما استطاع من إمكانيات - بالرجوع عن معتقداته الدينيّة ، والتخلي عن نظريته المذهبية التي اعتنقها وتبنّاها - على فرض الامكان - ، أو احترام وجهات النظر المتغايرة - على فرض آخر - . لذلك كان خطابُهُ إليه خطاباً يُشعر أنّه خطاب صادر من سلطة دينيّة عليا إلى سلّطة قتالية عليا .

وبالرغم من احترامه المتزايد للأمير الفاتح إلّا أنّ (رسالته) لم تخلُ من واقعيّة في التعامل مع هذا الأمير ، فقد حدّثه فيها باللغة المباشرة التي يفهمها هذا الأمير العربي . وكان يعزو تبنيّه للمذهب الوهابي إلى عدم خبرته في اختيار المذهب الذي عليه أن يتبنّاه ويناضل من أجله ، بسبب ضلّالة معرفته الفكرية .

٣ - تناولت الرسالة ردّاً للشبهات التي نشرها الوهابيون ، وقد ربّتها على مقدمة وفصول ، ومقاصد ، وكان لا يملُ من تكرار كلمة «أخي» ، و«أقسم عليك» - نهاية كلّ موضوع - بعد بيان النتيجة التي يتوصل إليها بعد إيراد جملة من الأحاديث النبويّة لعلّ ذلك يكون سبباً لمراجعة المُعتقد من جديد .

٤ - استُخدم في طيّات رسالته أسلوب الموعظة ، وإلفات النظر إلى أنّ النفوذ الدنيوي

مهما بلغ فأنه سيؤول إلى الزوال . وقد أطنب في اختيار بعض الرويات المتعلقة بنهاية الإنسان وفنائه في الفصل الثالث ، تحت عنوان : ( في حياة سائر الموتى ) .

٥ - نسب كاشف الغطاء نفسه في رسالته هذه إلى أنه من تلامذة مدرسة (بغداد) . وقد ذكر محمد حسين كاشف الغطاء أن الشيخ جعفر أراد بذلك أن يظهر بمظهر أهل السنة ليتوصل إلى أهدافه ، ويقنع عبد العزيز عمّا هو عليه . ولم يكن هذا الرأي موافقاً للصواب لعلم الأمير عبد العزيز بهوية كاشف الغطاء ، ومخاطبته الصريحة في رسالته التي إنتقد فيها زوّار قبر الإمام علي في النجف .

ويمكن الاستنتاج أن العلاقة التي يشير إليها صاحب (العبارات) نفسه بين الشيخ كاشف الغطاء ، وابن عبد الوهاب يمكن أن تكون ممتدة إلى أيام تتلمذ الشيخ محمد ابن عبد الوهاب على يد شيوخ الحنابلة البغداديين . فأراد كاشف الغطاء أن يظهر أمام عبد العزيز بن سعود أنه بمنزلة شيخه الذي نهض بأعباء الدفاع عن فكره ، ونشر معتقداته بالقوة .

٦ - لما كان المذهب الوهابي يعتمد على صحاح الأحاديث السنية ، فقد التزم كاشف الغطاء في نقل أحاديثه ، ومناقشاته على الصحاح فقط ، ولم يتطرق إلى غيرها من كتب الحديث . كما نقل أقوال كبار علماء السنة في بحثه ، ولم يتطرق إلى كتب الحديث الشيعية سوى ما نقله فقط عن كتاب الاحتجاج للشيخ الطبرسي في حديث عام يتصل بالمجادلة بين النبي محمد (ص) وبعض المناوئين له من العصر الجاهلي .

٧ - كتبت هذه الرسالة في سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م أي في حياة العلامة السيد مهدي بحر العلوم الذي توفي سنة ١٢١٢هـ / ١٧٩٧م . وكانت المرجعية في هذه المرحلة مقسمة بين عدد من المجتهدين ، حيث تخصص بحر العلوم بالتدريس ، وكاشف الغطاء بالزعامة والفتيا ، والشيخ حسين نجف بالصلاة جماعة ، مما يبرهن على انحصار مرجعية التقليد السياسية والدينية في شخص كاشف الغطاء دون غيره من المجتهدين الكبار من طبقته .

لقد كان الشيخ كاشف الغطاء مدركاً المتغيرات السياسية ، والصراع القائم بين القوى المتنازعة على الخليج فحاول أن يظهر النجف مركزاً مستقلاً عن مدار صراعات دول المنطقة ، وأن يجنب المرجعية الدينية العليا من الدخول في هذا الصراع .

ومن هنا يمكن تفسير العلاقة الودية التي أقامها مع شيخ الوهابية بالمكاتبه مرة ، وبتقديم الهدايا مرة أخرى ، ونجاحه في حفظ الكيان الشيعي بعيداً عن المتغيرات السياسية التي

شهدتها المنطقة .

وبمقدار النجاح الذي حققه كاشف الغطاء مع الشيخ عبد الوهاب ، فإنه أراد أن ينحو المنحى نفسه مع وريثه الأمير عبد العزيز بن سعود ، وهو وإن نجح في تحييده قرابة العقد من الزمن إلا أن ذلك لم يمنع ابن سعود من غزو مدينة كربلاء المقدسة عام ١٢١٦هـ ، ونهب (الكنوز) المودعة في حرم الإمام الحسين بن علي (ع) ، وقتل أهالي البلدة قتلة مأساوية شنعاء .

إن الهجوم الوهابي على (كربلاء) عام ١٢١٦هـ لم يكن مستهدفاً الشيعة بمقدار ما كان يهدف إلى إحلال الفوضى في الأمبراطورية العثمانية ، وتهديد سلامتها وسرقة الخزائن التي ملأها ملوك الهند والفرس بنقائس الجواهر في النجف وكربلاء .

وبعد واقعة كربلاء عام ١٢١٦هـ / ١٨٠١م أحس كاشف الغطاء بضرورة تحصين النجف ، وتعبئة الأهالي للدفاع عنها . فتهيأت لذلك مراكز تدريب قتالية خارج البلدة يشرف عليها كاشف الغطاء بنفسه . كما تم تعيين عدد من المقاتلين للحراسة ، وتنظيم المجاميع الأخرى للتصدي للغزو الخارجي من وراء الأسوار<sup>(١)</sup> .

وقد فشلت جميع الهجمات الوهابية الخمسة التي تكررت على النجف والتي كان أعنفها الهجمة التي حدثت أواخر عام ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م حيث دافع النجفيون دفاعاً عنيفاً ، ولم تستطع القوة الغازية من اقتحام المدينة .

وفي عام ١٢٢١هـ / ١٨٠٦م تعرضت النجف لغارة مفاجئة إلا أن ثقة النجفيين بممارساتهم القتالية وتحصنهم بالأسوار والأسلحة جعلهم يتغلبون هذه المرة على القوة المهاجمة بسهولة .

### «منهج الرشاد»- النسخة الخطية

وهي نسخة مكتوبة في حياة المؤلف ، وقريبة لزمن التأليف كتبها العلامة الشيخ قاسم اللبزي سنة ١٢١٠هـ / ١٧٩٥م ، وعليها تعليق له .

(١) انتدب كاشف الغطاء الصدر الأعظم محمد حسين خان (وزير فتح علي شاه) ببناء سور محصن للمدينة وفعلاً فقد بدأ العمل ببنائه سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م ، واستمر العمل فيه ما يقارب العقد من الزمن فأصبحت النجف بسببه بلدة محصنة يصعب اقتحامها حيث تضمن خندقاً عميقاً ، وأبراجاً ، ومراصد ، ومخافر ، وجعلت في طبقاته منافذ مختلفة لوضع فوهات المدافع والبنادق .

وَقَدْ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

[illegible]



نطق اكثر من في الارض بصلوك عن سبيل الله وفي الحديث ان بعث الجنة من  
 الالف واحد فانت احقر لنفسك والمهدي من هواه الله انتهي اقول يا اخي  
 الوعدة صيته فتركة بيننا فالله على الاثاخذ حجة الابار والابرار  
 الطريقة المانوية في العباد بالنظر بعين البصيرة واخلاص السريرة والها  
 فاني احسن عليك من صبه الانفراد حتى لا تكون كيعضا الاحاد فان الاصل  
 تنزل محدودا الى من ركب جانه غير محدود وقود في نفع خائف من  
 والله احسن عليك من حجة اكثر خال البال بعينه عن هذه الحال انوردت عليك  
 مشبهات لم تستطع ردّها وخالات لم تبفع صدها فان الحال انما قال  
 قبا خاليا فبكرة اما اليوم فليس لك عذمة عندك علمت بالاضار  
 بطريقه الخلق الابار فاجد نظرك واسفل فذكرك والخلق عن فكر  
 التخليد والخلق من ركب التراب والتدين ثم ما ذكرت انما اول على ان  
 مع القليل من الكلفين لامن المستحي فان اكثر اهل الارض كوا من هود  
 ومشر كين وجاحدين وغيرهم حتى ان نسبة اهل المي الى سائر العالم  
 اقل قليل فحقن تقول بان من اطلع اكثر الخلق ضال لان اكثر الناس من اهل الكفر  
 والظلال وان الشكور قليل وان بعث اهل الجنة من الالف واحد ولو استند  
 في هذا الحديث الى الحديث الفرق فوجد العدة لانا في زيادة اعدادها  
 الف مرة والحق انه لا علم له بين القلة والكثرة وبين الحق والباطل فكم من  
 هوى الى الصواب وكثر حلت عليه المداخرة والعقاب وكم قد انكسر الابرار  
 شرا الباب والحوار على طلب العفة والنجاة من رب الارباب والحوار لا قوة  
 الله العلي العظيم عت على به احسن اقل الصاد عملا وانهم في الله  
 فاسم بن شيخ عبد بن حنيفة الربيعي في سنة الزود  
 بين وعشر

وهذه النسخة - كما يظهر - مطابقة للأصل تمام المطابقة ، سليمة العبارة ، صحيحة وهي تتكون من (٥٥) صفحة ، كُلُّ صفحة تحتوي على (٢٣) سطراً عدا الصفحة الأولى ، ويتكون السطر الواحد - غالباً - من (١٢) كلمة .

أما ناسخها العلامة الدلبزي فهو من العلماء المجهولين الذين اختفى تراثهم ، ويبدو أنه من تلامذة المؤلف كاشف الغطاء ، والسيد مهدي بحر العلوم ، كما يظهر من بعض المخطوطات أنه كان حياً سنة ١٢٣١هـ / ١٨١٦م . واستظهر بعضهم أنه مات بالطاعون سنة ١٢٤٧هـ / ١٨٣١م . وولده الشيخ حسين الدلبزي المتوفى بالطاعون أيضاً سنة ١٢٤٧هـ من العلماء المشهود لهم بالفضل ، وغزارة العلم ، والأدباء الكبار الذين احتفظت الجوامع الأدبية بنماذج من قصائدهم البليغة الجزلة .

وعلى هذه النسخة (تملكُ) جملة من الأعلام منهم : الشيخ سليمان العاملي ، والسيد صدر الدين الصدر (صهر المؤلف) ، والعلامة السيد عبد الله بن محمد رضا شبر ، والشيخ محمد رضا بن علي بن محمد جعفر الاستربادي (وهي من مقتنيات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي ، برقم ٣٨٩٢ من تعداد الكتب الخطية) .

## النسخة المطبوعة

أما النسخة الثانية فهي نسخة طُبعت بالمطبعة الحيدرية في النجف في شهر شعبان سنة ١٣٤٢هـ / ١٩٢٤م ، باهتمام العلامة السيد عباس التبتي ، وتقع في (٨٢) صفحة .

وعلى صفحتها الأولى كُتِبَ هذا النص : «كتاب منهج الرشاد لمن أراد السداد من تأليف واحد الدهور ، ونادرة العصور ، أفضل الربانيين ، وأعظم أساطين الدين ، شيخ الطائفة الشيخ الأكبر (الشيخ جعفر النجفي) عطر الله مرقده ، صاحب كتاب كشف الغطاء ، وشرح القواعد ، والحق المبين ، وغيرها من المؤلفات الشهيرة ، المتوفى في رجب سنة ثمانية وعشرين بعد الألف والمائتين هجرية .

كتبه بعنوان جواب مكتوب ، كتبه إليه بعض أمراء (نجد) من أبناء سعود الذين هم الدعاة إلى مذهب الوهابية . وهو كتابٌ جليل لم يُكتب مثله في هذا الباب .

وكان طبعه ونشره باتفاق حضرة حجة الإسلام ، ومرجع الأنام ، وحيد الناس ، سيدنا الأجل الحاج سيد عباس التبتي مدّ ظله العالي . طُبعت بمطبعة (الحيدرية) في النجف الأشرف سنة ١٣٤٣هـ .

وقد ذكر الطهراني أن منهج الرشاد هو أول كتاب كُتِبَ في الردّ على الوهابية ووصفه

بأنه حوى حقائق علمية ، وحججاً دامغة .

أمّا العلامة الأمين فذكر أنّ هذه الرسالة هي أوّل رسالة كتبت في هذا الموضوع (إلا أنّ يكون سبقها كتاب سليمان بن عبد الوهاب أخي محمد بن عبد الوهاب) . وامتدح مؤلفها وقال : «إنّها حوت كثيراً مما لم يحوه بعض ما تأخّر عنها ، فهي من مفاخر ذلك العصر» .

## جواب

### الأمير عبد العزيز بن سعود

عند وصول الرسالة إلى الأمير عبد العزيز بن سعود كتب إلى مؤلفها الشيخ جعفر كاشف الغطاء هذه الرسالة المختصرة ، وهذا نصّها :

يصل الخط إن شاء الله إلى عبد الله جعفر

راعي «المشهد»

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

السلام التام ، والتحيّة والأكرام ، يُهدى إلى سيد الأنام ، محمّد عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ، ثم ينتهي إلى جناب الأجلّ الأكرم عبد الله جعفر سلّمه الله من كلّ شرّ ، وأسكنه يوم القيامة جنّة المستقرّ ، وأعاده من عذاب النار الذي يحذر .

أمّا بعد : فوصل كتابك ، وفهمنا ما تضمّنه من خطابك ، وما ذكرت أنّه بلغك عنّا من حسن الطريقة ، واستقامة السيرة من الصلاة والزكاة ، والصيام ، والحج ، وغير ذلك من شرائط الإسلام ، فالحمد لله الذي هدانا للإسلام ، وجنّبنا من عبادة الأصنام ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، كما يُحبُّ ربُّنا ويرضى ، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزّ جلاله .



# منهج الرشاد لمن أراد السداد



## مقدمة المؤلف

الحمد لله الذي تفرّد بالأزلية والقدم ، واشتقّ نور الوجود من ظلمة العدم ، وأسس قواعد الشرع على وفق المصالح والحكم ، وفضل أمة محمد (ص) على سائر الأمم ، وأنزل القرآن فيه آيات محكمات هنّ أم الكتاب وأخر متشابهات ، وحذر عن اتباع الملاذ والشهوات ، وأمر بالوقوف عند الشبهات ، وأنذر عن متابعة الآباء والأمهات ، والصلاة والسلام على من قدّمه على جميع أنبيائه ، وفضّله على كافة أصفياه ، (محمد) المختار ، صلى الله عليه وعلى آله ، ما أظلم ليل ، وأضاء نهار .

أما بعد : فقد ورد - الى المقصر مع ربه ، التائب اليه من ذنبه ، الطالب من الله السداد ، (جعفر) أقل طلبه أهل (بغداد) - كتاب كريم ، مشتمل على كلمات كالدّر النظيم ، بمن لم يزل بالمعروف آمراً ، وعن المنكر ناهياً زاجراً ، الأمر بعبادة المعبود ، الشيخ عبد العزيز بن سعود<sup>(١)</sup> . فلما نظرته وتدبرته وتأمّلته وتصوّرت ، خلوت في زاوية من الدار ، وتصفّحته تصفّح الأنصاف والأعتبار . وقلت متهماً لنفسي بالميل الى العصبية والعناد ، والركون الى ما عليه الآباء والأجداد : يا نفس إعرفي قدر دنياك ، واحذري شر من أغوى أباك ، لقد تخلّيت عن نعيم الدنيا بحذافيرها ، وقنعت بقليلها ، ولو بقرص شعيرها ، وتجنّبت دار العزّة والوقار ، واخترت العزلة والخمول في هذه الديار .

فلو كنت في كبار البلدان ، من ممالك بني (عثمان) ، أو في بعض بلدان فارس وإيران ، لجاءت إليك الدنيا من كل جانب ومكان ، ونلت من النعيم ما لم ينله إنسان ، فأحذري أن تكوني مع الأعراض عن هذه النعم الفاخرة ، بمن قد خسر الدنيا والآخرة .

فلما شملت منها رائحة التصفية ، ورأيت أن نسبة المذاهب - لولا الله عندها - على التسوية ، وجهتها الى الكشف عن حقيقة الجواب عن الشبه الموردة في ذلك الكتاب ،

(١) عبد العزيز محمد بن سعود (أمير آل سعود في دولتهم الأولى) ، ولد سنة ١١٣٢هـ / ١٧٢٠م ، ووُلّي بعد وفاة أبيه عام ١١٧٩هـ / ١٧٦٥م ، وكانت عاصمة حكمه (الدرعية) بنجد ، واتسعت الفتوحات في أيامه ، وأمتدّ ملكه من شواطئ الفرات الى رأس الخيمة وعمّان ، ومن الخليج الفارسي الى أطراف الحجاز وعسير . اغتاله رجل من أهل العمادية (من ديار الجزيرة) في جامع الدرعية سنة ١٢١٨هـ / ١٨٠٣م . الأعلام للزركلي ، ج ٤ ، ص ٢٧ .

ورأيت أن أشرح في الحال رسالة على وجه الاختصار ، مستمداً من فيض الواحد القهار ، وسميتها «منهج الرشاد لمن أراد السداد» .

فاقسم عليك - بمن جعلك متبوعاً بعد أن كنت تابِعاً ، ومطاعاً بعد أن كنت لغيرك مطيعاً سامعاً ، وأعزك بعدما كنت ذليلاً ، وكثرت جمعك بعدما كان نزرأ قليلاً - أن تنظر ما رسمته سطرّاً سطرّاً ، وتمعن في تحقيق ما رقمته نظراً وفكراً ، متوحشاً من الناس وقت النظر ، متحذراً من النفس الأمارّة كل الحذر ، طالباً من الله كشف الحقيقة ، سالكاً في المناظرة واضح الطريقة ، فلعله يظهر أنه ليس بيننا نزاع ، فنحمد الله على الإتفاق والأجتماع . وقد رتبناها على مقدمة ، ومقاصد ، وخاتمة .

أما المقدمة ، فتشتمل على ثلاثة فصول :

## الفصل الأول

### في أن الأفعال والكلمات تختلف باختلاف المقاصد والنيات

فمن قال : يد الله ، وعين الله ، وجنب الله ، وأراد الجوارح على نحو ما في الأجسام ، أو قال : إن الله على العرش استوى ، أو في جهة الفوق ، وأراد الحلول والاختصاص التام ، أو أسند الرحمة إليه ، أو الغضب ، وأراد رقة القلب ، أو ثوران النفس على نحو ما يعرف بين الأنام ، أو أسند الرزق إلى المخلوق ، أو دعاه ، أو استغاث به على نحو ما يسنده إلى الملك العلام . كان خارجاً عن مقالة أهل الإسلام .

وأما من قصد بها معاني أُنجر ، فليس عليه من بأس ولا ضرر . وليس هذا كصنيع المشركين ، فإن الفرق ظاهر ، كما سنبينه كمال التبیین ، فالمستغيث بالمنسوب مستغيث بالمنسوب إليه ، والمستجير بالمكان مستجيرٌ بمن سلطانه عليه .

فمن أراد الاستجارة والاستغاثة بـ (زيد) فله طريقتان :

أحدهما : أن يهتف بأسمه .

وثانيهما : أن ينادي بصفاته ، أو مكانه ، أو خدمه .

وثانيهما أقربُ إلى الأدب ، وأرغب لطباع أرباب الرُتب ، فلا يكون المستغيث ببيت الله ، أو بصفات الله ، أو برسل الله ، أو المقربين عند الله ، إلا مستغيثاً بالله ؛ فكُلُّما دعا



مخلوقاً مقرباً عند الله ، أو استغاث به قاصداً بحسن التعبير الاستغاث باللطيف الخبير ، فليس عليه بأسٌ في ذلك ، بل هو سالكٌ في الآداب أحسن المسالك .

وكذلك من أسند تلك الأشياء لمجرد الربط الصوري ، لا على قصد التأثير الحقيقي ، كما يقال : «أنبت الربيعُ البقل» ، والمُنْبِتُ هو الله ، و«بنى الأمير القصر» ، والْباني ظاهراً بناه<sup>(١)</sup> .

فإطلاق (السيد) و(المالك) على غير الله ، «وإضافة (العبد) و(المملوك) في الأحرار الى غير الله»<sup>(٢)</sup> ، إن أُريد بها الملكية الحقيقية ، كان خروجاً عن الطريقة الشرعية ، وإلّا لم يكن في ذلك بأسٌ بالكلية .

ولهذا ورد في الأخبار النبوية إطلاق (السيد) على غير الله .

روى أبو هريرة<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري<sup>(٥)</sup> عن النبي (ص) أنه قال : الحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة<sup>(٦)</sup> .

وعن علي (ع) ، عن النبي (ص) أنه قال : أبو بكر وعمر سيدي كهول أهل الجنة<sup>(٧)</sup> .

وعن فاطمة عليها السلام : أن النبي (ص) أخبرني أنني سيدي نساء العالمين ، رواه الترمذي<sup>(٨)</sup> .

وروى أبو نعيم الحافظ ، قال : قال النبي (ص) إدعوا لي سيد العرب عليا .

(١) في المطبوع : سواه .

(٢) لا توجد في المخطوطة .

(٣) أبو هريرة : عبد الرحمن بن صخر الدوسي اليماني ، توفي سنة ٥٧هـ / ٦٧٧م في المدينة .

(٤) سنن الترمذي (كتاب المناقب) حديث ٣٥٤٨ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الفضائل) ، حديث ٤٢٢٣ ؛ ومسنند أحمد (باقي مسند الكثيرين) ، حديث ١٠٥٤٩ ؛ وسنن ابن ماجه ، (كتاب الزهد) ، باب ٣٧ ؛ سنن الدارمي ، المقدمة ، باب ٨ .

(٥) أبو سعيد الخدري : سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري ، توفي في المدينة سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م ، وهو من الصحابة ، ورتبهم أسمى مراتب العدالة والتوثيق .

(٦) سنن الترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٣٧٠١ ، ٣٧١٤ ؛ وابن ماجه (المقدمة) ، حديث ١١٥ ؛ ومسنند أحمد (باقي مسند الكثيرين) ، حديث ١٠٥٧٦ ، ١١١٦٦ ، ١١١٩٢ ، ١١٣٥١ . ورواه أيضاً في (باقي مسند الأنصار) ، حديث ٢٢٢٤٠ ، ٢٢٢٤١ .

(٧) سنن الترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٣٥٩٧ ، ٣٥٩٩ . ومثله حديث ٣٥٩٨ ؛ وسنن ابن ماجه (المقدمة) ، حديث ٩٢ ، ٩٧ ؛ ومسنند أحمد بن حنبل (مسند العشرة المبشرين بالجنة) ، حديث ٥٦٨ .

(٨) سنن الترمذي ، حديث رقم ٣٨٢٨

وفي حلية الأولياء أنه قال النبي (ص) لعليٍّ مرحباً بسيد المؤمنين<sup>(١)</sup> .  
وعن أبي بكر عن النبي (ص) أنه قال للحسن : إني هذا سيد<sup>(٢)</sup> .  
وعن عائشة<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه سار إبنته الزهراء ، فقال لها : أما ترضين أن تكوني  
سيدة نساء العالمين ، أو نساء المؤمنين<sup>(٤)</sup> .  
وروي ذلك عن الصحابة أيضاً ، فعن جابر<sup>(٥)</sup> أن عمر كان يقول : أبو بكر سيدنا ، واعتق  
سيدنا ، (يعني : بلالاً) ، رواه البخاري<sup>(٦)</sup> .  
وعن أبي بكر (رض) أنه ، قال : أتقولون هذا شيخ قريش وسيدهم<sup>(٧)</sup> .  
وعن عائشة عن النبي (ص) أنه قال : أنا سيد ولد آدم ، وعلي سيد العرب .  
وروي عن النبي (ص) : أن سادات النساء أربعة : خديجة ، وفاطمة ، وآسية ، ومريم .  
وعن علي (ع) : أنا سيد البطحاء . إلى غير ذلك مما يزيد على التواتر .  
فالجمع بين ذلك وبين ما روي في الكتب المعتبرة أنه جاء وفد إلى النبي (ص) ،  
فقالوا : أنت سيدنا ، فقال : السيد الله<sup>(٨)</sup> . باختلاف القصد في معنى (السيد) .  
وكذا ما ورد من المنع من قول السيد عبدي وأمتي ، فقول العبد لمولاه ربي ، مع وجود  
ذلك في كلام يوسف<sup>(٩)</sup> .

وكذلك الاستغاثة بغير الله ، إن أريد بها الصورة ، أو من باب إستغاثة العبد بقصد

- 
- (١) حلية الأولياء ، ج ١ ، ص ٦٦ .  
(٢) البخاري (كتاب المناقب) ، حديث ٣٣٥٧ ، ٣٤٦٣ . وكذلك رواه في (كتاب الصلح) ، حديث ٢٥٠٥ ؛  
والترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٣٧٠٦ .  
(٣) عائشة بنت أبي بكر التيمية ، أم المؤمنين ، توفيت في المدينة سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م .  
(٤) صحيح البخاري (كتاب المناقب) ، حديث ٣٣٥٣ ؛ وصحيح مسلم (فضائل الصحابة) ، حديث ٤٤٨٦ ،  
٤٤٨٨ ؛ والترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٣٨٠٧ ؛ وسنن ابن ماجه (ما جاء في الجنائز) ، حديث ١٦١٠ ؛ ومسند  
أحمد (باقي مسند الأنصار) ، حديث ٢٣٣٤٣ ، ٢٤٨٢٩ ، ٢٥٢١٠ .  
(٥) جابر بن عبد الله بن عمرو الأنصاري ، صحابي ، أقام في المدينة ، وتوفي فيها سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م .  
(٦) صحيح البخاري ، (باب مناقب بلال بن رباح) ، ج ٤ ، ص ٢١٧ ، حديث رقم ٣٤٧١ ؛ وسنن الترمذي ،  
(كتاب المناقب) ، حديث ٣٥٨٩ .  
(٧) صحيح مسلم (باب فضائل سلمان ، وصهيب ، وبلال) ، ج ٤ ، ص ١٩٤٧ .  
(٨) سنن أبي داود (كتاب الأدب) ، حديث ٤١٧٢ ؛ ومسند أحمد (مسند المدنيين) ، حديث ١٥٧١٧ ، ١٥٧٢٦ .  
وجاء فيه «أنت سيد قريش» ، فقال النبي (ص) : السيد الله .  
(٩) إشارة إلى قول يوسف (ع) : «قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي» - سورة يوسف ، الآية ٢٣ - وقوله أيضاً :  
«فلما جاءه الرسول قال أرجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة التي قطعن أيديهن» - سورة يوسف ، الآية ٥٠ - .

المعبود ، فلا بأس بها ، وعلى ذلك قوله تعالى «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ»<sup>(١)</sup> وكذا قوله «يَسْتَصْرِخُهُ»<sup>(٢)</sup> .

وكذلك إطلاق الربّ في بعض المعاني على غير الله كفر ، مع أنّ الصديق يوسف (ع) قال «أَذْكُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ»<sup>(٣)</sup> ، وكذلك طلب الرزق من غير الله على وجه الحقيقة كفر ، وقال الله تعالى : «وَأَرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا»<sup>(٤)</sup> وقوله : «يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضُّرَّ»<sup>(٥)</sup> ، ونحوه «إِسْتَطَعْنَا أَهْلَهَا»<sup>(٦)</sup> .

ومن ذلك قول القائل : لولا (فلان) لكان (كذا) . فإن أراد أنه الفاعل المختار ، دخل في أقسام الكفار . وإن أراد العلية الصورية بمجرد رابطة جزئية ، لم يكن عليه بأس بالكلية . ولذلك ورد عن سيد الأنام أنّه قال : لولا قومك حديثو عهد بالأسلام لهدمت الكعبة<sup>(٧)</sup> .

وعن سفيان الثوري أنه قال : لولا هذه الدنيا لكان الملوك صعاليك .  
وعن عمر أنه قال لعلي (ع) لما أشار عليه بعدم أخذ حلي الكعبة : لولاك لا فتضحنا .  
وعن النبي أنه قال لعلي : لولا أن تقول الناس فيك ما قالت النصارى لقلت فيك مقالا .

وورد في صحيح الأثر ، عن الفاروق عمر أنه قال : «لولا عليّ لهلك عُمر» . ولم ينكر عليه أحد من الصحابة ، إلى غير ذلك .  
وكذا الحلف بغير الله إن أُريدَ به الحلف على جهة إثبات الدعوى ، كان خارجاً عن الشريعة ، وإلا لم يكن قسماً على الحقيقة .  
والحديث الذي فيه : «من حلف بغير الله ، فقد أشرك»<sup>(٨)</sup> محمول على حقيقة الحلف ،

(١) القرآن الكريم : ١٥/٢٨ (سورة القصص) .

(٢) القرآن الكريم : ١٨/٢٨ (سورة القصص) .

(٣) القرآن الكريم : ٤٢/١٢ (سورة يوسف) .

(٤) القرآن الكريم : ٥/٤ (سورة النساء) .

(٥) القرآن الكريم : ٨٨/١٢ (سورة يوسف) .

(٦) القرآن الكريم : ٧٧/١٨ (سورة الكهف) .

(٧) عن عائشة ، قالت : قال رسول الله (ص) : «يا عائشة لولا أنّ قومك حديثو عهد بشرك لهدمت الكعبة ، فأزقتها بالأرض» . صحيح مسلم (كتاب الحج) ، حديث ٢٣٧٠ ؛ والبخاري (كتاب العلم) ، حديث ١٢٣ . وكذلك رواه في (كتاب الحج) . - حديث عهدهم بالجاهلية - . حديث ١٤٨٠ ، ١٤٨٣ .  
(٨) سنن الترمذي (كتاب النذور والأيمان) ، حديث ١٤٥٥ .

وسيجيء تفصيله في المقصد الخامس . وكذلك إطلاق اليد ، والرجل ، والقدم ، وغ ذلك بالنسبة الى الله على الحقيقة ، لا يُوافق الطريقة من غير تأويل ، لم يتوهمه سوى قليل .

مع أنه روى أبو هريرة عن النبي (ص) : أن النار لا تمتلئ حتى يضع الله رجله فيها<sup>(١)</sup> وعن أنس عن النبي (ص) أن النار لا تمتلئ حتى يضع الله قدمه فيها<sup>(٢)</sup> .

ومن ذلك نسبة الضحك والعجب الى الله تعالى ، فأنَّ إرادة الحقيقة بعيدة = الطريقة ؛ مع أن أبا هريرة روى عن النبي (ص) أنه قال : لقد عجب الله ، أو ضحك الله عن (فلان) و(فلانة) ، ونقل قصته<sup>(٣)</sup> .

فبأختلاف المعاني إختلفت المباني ، وكذلك في مسألة الأفعال ، فأنها شبيهة الأقوال فأنَّ القيام للتواضع قد ورد النهي عنه .

وروى أبو أسامة عن النبي (ص) أنه خرج مُتَكأً على عصي ، فقمنا له ، فقال : لا تقوا ، كما تقوم الأعاجم بعضهم لبعض ، رواه أبو داود<sup>(٤)</sup> .

وروى ابن عمر عن النبي (ص) أنه قال : لا يقوم الرجل من مجلسه ، ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا<sup>(٥)</sup> .

وعن أنس أنه قال : لم يكن شخصٌ أحب إليهم من النبي (ص) ، وكانوا إذا رأوه يقوموا ، لما يعلمون من كراهيته لذلك ، رواه الترمذي ، وقال : هذا خبرٌ صحيح<sup>(٦)</sup> .

فينبغي أن ينزل المنع على قيام خاص ، كأن يقوم منحنيّاً على نحو ما يصنع الأعاجم وفي الخبر ما يرشدُ إليه اختلاف الأغراض والمقاصد .

كما روي عن معاوية أنَّ النبي (ص) قال : مَنْ سرَّه أنْ يتمثل له الرجال قياماً ، فليتب

(١) صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن) ، حديث ٤٤٧٢ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها) حديث ٥٠٨٢ .

(٢) صحيح البخاري (كتاب التوحيد) ، حديث ٦٨٩٥ ؛ وصحيح الترمذي (كتاب صفة الجنة) ، حديث ٤٨٠٤٨٤ .

(٣) صحيح البخاري (كتاب المناقب) ، حديث ٣٥٢٤ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الأشربة) ، حديث ٨٢٩٣٨٣٠ ؛ وسنن الترمذي (باب تفسير القرآن) ، حديث ٣٢٢٦ .

(٤) سنن أبي داود (كتاب الأدب) - باب قيام الرجل للرجل ، حديث ٥٢٣٠ .

(٥) مسند أحمد ، ج ٢ ، ص ١٧ .

(٦) سنن الترمذي (كتاب الأدب) - باب كراهية قيام الرجل للرجل ، حديث ٢٦٧٨ .

مقعده من النار<sup>(١)</sup>. وحديث «ولا يقوم الرجل»، ظاهره اختصاص الجالس مجلسه، وربما ينزل ما دل على كراهته كذلك على نحو كراهته لملاذ الدنيا، وزهده في القيام كزهده في مباحاتها.

فقد روى أبو سعيد الخدري أن سعداً جاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال النبي (ص) للأَنْصار: قوموا إلى سيدكم<sup>(٢)</sup>.

وعن عائشة قالت: كنت جالسةً متربعة، فجاء النبي (ص) فأردتُ القيام، كما هي عادتي عند دخوله، فمَنعني<sup>(٣)</sup>. فأَنَّ فيه دلالة على أَنَّ ذلك كان معتاداً لها، ولعلَّ هذا المنع كان لسبب خاص، أو كزهده الدنيا، وكسر النفس.

وروي عن النبي (ص) أنه لما قدم جعفر مبشراً بفتح خيبر، قام، فقال: ما أدري بأيُّهما أنا أشد فرحاً، أبُقدوم جعفر أم بفتح خيبر<sup>(٤)</sup>.

وقيام الاحتمال في هذه الأخبار لا يمنع الاستناد إليها كما لا يخفى على أولي الأنظار مع ما ورد في الأخبار الكثيرة، من إستحباب تعظيم المؤمن، ويدخل في تعظيم شعائر الله على نحو ما ورد في التفاسير المعتمدة.

وعن أبي هريرة أَنَّ النبي (ص) كان يجلس معنا في المسجد يحدثنا، فإذا قام قمنا لقيامه، حتى نراه دخل بعض بيوت أزواجه.

وعن واثلة<sup>(٥)</sup> قال: قال رسول الله (ص): إن للمسلم لحقاً إذا رآه أخوه ترحّج له، رواه البيهقي في شعب الإيمان<sup>(٦)</sup>.

(١) سنن أبي داود (كتاب الأدب)، حديث ٤٥٥٢؛ وسنن الترمذي (كتاب الأدب)، حديث ٢٦٧٩.

(٢) سنن أبي داود، حديث ٥٢١٦.

(٣) أيضاً، حديث ٥٢١٧.

(٤) علّق العلامة الشيخ قاسم اللبزي (ناسخ الكتاب) على هذا الموضوع بقوله: «للقائل أن يقول: إنَّ حديث (جعفر) ليس فيه دلالة على المطلوب لأنَّ قول النبي (ص): «ما أدري بأيُّهما أشد فرحاً» لا دلالة فيه لاحتمال أن يكون من جمعة الفرح؛ يعني ما أدري فرحي لقدوم جعفر، أو لفتح خيبر؛ لأنَّ مطلوبنا القيام، وهذا لا دلالة فيه على أنَّ القيام كان من النبي لجعفر من جمعة فرحه بفتح خيبر. وكذلك حديث أبي هريرة، وحديث واثلة لأنَّ قول الأصحاب (قمنا قياماً)، حتى قوله (دخل بيوت بعض أزواجه) لا دلالة فيه على أنَّهم قاثمين - هكذا وردت في الأصل - له (ص)، وكذا قوله في حديث واثلة: (فإذا رآه أخوه ترحّج له) لا احتمال أن يكون الترحّج، والتفّسح بمعنى واحد. والمنكر لا ينكر التفّسح».

(قاسم اللبزي)

(٥) واثلة بن الأسقع بن كعب، توفّي سنة ٨٣هـ / ٧٠٢م بدمشق عن (١٠٥) سنين.

(٦) سنن البيهقي، (كتاب شعب الإيمان).

ولعل هذا مبني على أن التواضع تختلف أقسامه باختلاف الأزمان ، وكيف كان فالذي يظهر بعد التأمل التام إختلاف الأقوال والأفعال باختلاف المقاصد . ومن ذلك إختلاف أحوال الزُّهَّاد ، فبعض ترك المأكَل والملابس الحسان ، واقتصر على الجشَب والخشن ، وبعضهم يأكل من أطيب المأكول ، ويلبس من أنعم الملبوس . وباعتبار إختلاف النيات دخل (العَمَلان) في قسم العبادات .

ثم إنَّ الأفعال تختلف بعضها لا ينسب الى غير الله ، كأيجاد الكائنات ، وصنع المصنوعات . وبعضها لا ينسب الى الله ، كأفعال القبائح والمنفَّرات ، وبعضها تختلف معانيها ومقاصدها ، فتنسب الى الخالق مرة ، والمخلوق أخرى . وهذا الحكم متمشٍ على قول مَنْ لم يُثبِتْ فاعلاً سوى الله ، وعلى قول مَنْ أثبت .

والمعيار أنه متى قام إحتمال إرادة وجه صحيح بني عليه ، لقوله (ص) : «إدروا الحدود بالشبهات» ، «ولا تقل في الناس إلّا خيراً» . وما دلَّ على النهي عن سوء الظن ، فكيف بالشك .

وعن عائشة عن النبي (ص) : إدروا الحدود عن المسلمين ما استطعتم<sup>(١)</sup> .

فالناس إذن في صدور أمثال هذه الأمور عنهم على أنحاء :

بين علماء عاملين ، مقاصدهم صحيحة ، فلا يتعمدون بالأقوال والأفعال ، إلا الوجوه السليمة من القيل والقال .

وبين أعوام جُهِال بنوا على ما بنى عليه علماؤهم على الإجمال ، وليس لهم قابلية التفتيش على حقيقة الحال ، فهم أيضاً معذورون عند ربِّ العزة والجلال .

وبين من بنوا على طريق الضلال ، وعليهم المؤاخذه بضروب النكال .

والتحقيق أنَّ تبدل الأحكام بتبدل الموضوعات ، ليس من باب التشريع والإبداع ، مثلاً يستحب للنساء التزين لرجالهن ، فمنذ كان لبس السواد زينة إستُحب ، فإذا انعكس وصار الميل إلى الأحمر والأصفر إنعكس الخطاب . وألوان اللباس تختلف باختلاف الناس ، ففي كل بلاد يستحب لون ونوع ، فإنه قد يكون في مكان لباس شهرة ، وفي آخر بعكسه ، وفي موضع من لباس النساء ، وفي موضع بعكسه .

وكذا كانت رغبة الناس في طيب الكافور ، فكرهه اليوم .

(١) المستدرك للحاكم ، ج١ ، ص ٣٨٤ .

وكذلك إكرام الضيف بالمأكل ، وكذا المراكب ، فيختلف الحال باختلاف الأحوال .  
وكذا طريق التواضع ، وتعلية البناء ، ولباس الزهد .  
والزهد في المأكل يختلف باختلاف الأزمنة ، والأمكنة ، والأحوال ، والمقاصد ، وعلى ذلك مبنى كثير من إختلاف الأخبار .  
وكذا يستحب التأهب لجهاد الكفار بأحسن السلاح ، وكان أطيبها السيوف والرماح ، وصار الأحسن في هذه الأيام (التفك)<sup>(١)</sup> المعروف بين الأنام .  
وكذا الوصول الى بعض الأرضين لا يستحب ، حتى تجعل مقبرة للمسلمين .  
فاختلاف الأزمنة والأمكنة والجهات ، قد يبعث على اختلاف الأحكام ، لاختلاف الموضوعات ، وربما بني على ذلك إختلاف كثير من الأخبار ، وطريقة المسلمين على اختلاف الأعصار .  
وفقنا الله وإياكم لسلوك الجادة المستقيمة ، والأخذ بالطريقة السليمة ، وردني الله إليك إن كنت أنت على الحق ، وردك إلي إن كان الحق معي ، ومع أكثر الخلق .

## الفصل الثاني

### في بيان اختلاف ظواهر الآيات والروايات

وإن لكل من الحق والباطل مأخذاً ، كما روي : إن لكل حق حقيقة ، ولكل صواب نوراً ، فمن أراد الحق إهتدي إليه ، ومن أراد الباطل كان له ميدان في المجادلة عليه . فمن خرج عن جادة الأنصاف ، وسلك طريق الغي والاعتساف ، ولم يرجع الى سيرة الصحابة والتابعين ، أمكنه أن يستند الى ظاهر القرآن المبين ، فيما يخرج عن شريعة سيد المرسلين .  
فإن (الوعيدية) المنكرين للعفو ، الموجبين للمؤاخضة على المعاصي ، يمكنهم الإستدلال بآية سورة الزلزال «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»<sup>(٢)</sup> ، و(الوعيدية) القائلين برفع المؤاخضة بالكلية ، وإن الله لا يعاقب على معصية ، لهم الإستناد

(١) وفي نسخة (البندق) ، ويقصد بها البنادق .

(٢) القرآن الكريم : ٧/٩٩ - ٨ (سورة الزلزلة) .

الى قوله تعالى : «يا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً»<sup>(١)</sup> ، ووعدته لا خلف فيه .

والمتبوتون للرؤية في الآخرة يستندون الى قوله تعالى : «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»<sup>(٢)</sup> ، والنافون الى قوله تعالى : «لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْبَصَارَ»<sup>(٣)</sup> .

والقائلون بأن الله على العرش بأية «عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»<sup>(٤)</sup> ، والنافون بقوله تعالى : «إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا»<sup>(٥)</sup> و«إِنَّ مَعَ رَبِّي سَيِّدِينَ»<sup>(٦)</sup> «وَمَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٌ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ»<sup>(٧)</sup> .

والقائلون بالتجسيم على الحقيقة يستندون الى مثل قوله : «يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ»<sup>(٨)</sup> ، والنافون الى قوله «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»<sup>(٩)</sup> ونحوها .

والقائلون بجواز المعصية على الأنبياء يستندون الى مثل قوله تعالى : «وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى»<sup>(١٠)</sup> ، والنافون بمثل قوله : «لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ»<sup>(١١)</sup> .

والقائلون باستناد جميع الأفعال إلى الله ، استندوا إلى قوله : «خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ»<sup>(١٢)</sup> وقوله : «كُلُّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ»<sup>(١٣)</sup> .

والآخرون الى قوله «مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ»<sup>(١٤)</sup> .

والقائلون بأن الكفار مخاطبون بالفروع بعموم «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ»<sup>(١٥)</sup> ، والنافون

(١) القرآن الكريم : ٥٣/٣٩ (سورة الزمر) .

(٢) القرآن الكريم : ٢٣/٧٥ (سورة القيامة) .

(٣) القرآن الكريم : ١٠٣/٦ (سورة الأنعام) .

(٤) القرآن الكريم : ٥/٢٠ (سورة طه) .

(٥) القرآن الكريم : ٤٠/٩ (سورة التوبة) .

(٦) القرآن الكريم : ٦٢/٢٦ (سورة الشعراء) .

(٧) القرآن الكريم : ٧/٥٨ (سورة المجادلة) .

(٨) القرآن الكريم : ١٠/٤٨ (سورة الفتح) .

(٩) القرآن الكريم : ١١/٤٢ (سورة الشورى) .

(١٠) القرآن الكريم : ١٢١/٢٠ (سورة طه) .

(١١) القرآن الكريم : ١٢٤/٢ (سورة البقرة) .

(١٢) القرآن الكريم : ١٠٢/٦ (سورة الأنعام) .

(١٣) القرآن الكريم : ٧٨/٤ (سورة النساء) .

(١٤) القرآن الكريم : ٧٩/٤ (سورة النساء) .

(١٥) القرآن الكريم : ٢١/٢ (سورة البقرة) .



لذلك بخطاب «يا أيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا»<sup>(١)</sup> الى غير ذلك .

وكذا في الفروع الفقهية ، فإنَّ كلاً من الفقهاء له مأخذ من الكتاب والسنة ، مغاير لمأخذ صاحبه ، كما لا يخفى على المتتبع ، فلمن أراد أن يُبيحَ جميع الأشياء قوله تعالى : «خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ»<sup>(٢)</sup> ومن قصر التحريم على أربعة استند الى ما دل على تحليل جميع الأشياء ما عدا الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أَهْلَ به لغير الله ، من جميع ما خلق الله .

والحاصل أنَّ كُلَّ مَنْ أراد العناد والعصبية ، فله مَدْرَكٌ يتشبه به من آية قرآنية ، أو سُنَّةٌ مُحمَّدية ، ويكون صاحب مذهب ورأي ، يباحث الفضلاء ، ويُناظر أساطين العلماء ، ما لم يكن له حاجب من تقوى الله .

ولقد أجاد بعض القدماء ، من فحول العلماء حيث يقول : إنَّ المسائل الشرعية عندي بمنزلة الشمع اللين ، أصوره كيف شئتُ لولا تقوى الله .

ونُقلَ أنَّ بعضَ الفضلاء أخذ قطعةً من قرطاس في محفل من الناس ، فأورد عليهم براهين على أنَّها قطعة ذهب ، حتى أقرُّوا بذلك .

ولكنَّ مَنْ أراد رضا الجبار ، ورجا الفوز بالجنة ، وخاف عذاب النار ، ينظر الى المعادلة في الدلالات ، ثم ينظر المرجحات الخارجيات ، وأولاهما التأمل في طريقة الصحابة وسيرتهم ، فأنَّها أعظم شاهد على ما حَكَمَ به الجبار ، وجرت عليه سُنَّةُ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ (ص) فإنَّ لكلِّ مِلَّةٍ طريقةً يرجعون إليها ، ويُعوِّلون عند وقوع الاشتباه عليها .

وقد يحصل العلم بما عليه الأمراء ، من النظر الى عمل أتباعهم ، وأشياءهم ، ورعاياهم ، وخدمهم ، وحشمهم ، لأنَّ الأثر يدل على مؤثره ، والمنتهى يدل على مصدره .

وبُعْدُ العهد بيننا وبين زمان (الصدور) ، رُبَّمَا أخفى علينا كثيراً من الأمور ، فاذا حصل الأجماع والاتفاق ، إرتفع النزاع والشقاق ، وكذلك إذا اشتهر أمر بين السلف وظهر ، فلا وجه للانصراف عنه الى ما شذَّ وندر .

فقد علم أنَّ الميزان الذي لا عيب فيه ، ولا نقص يعتريه ، هو الرجوع الى كلام الصحابة ، والتابعين ، وتابعي التابعين ، لأنه موضح وكاشف لحكم سيد المرسلين .

(١) القرآن الكريم : ١٠٤/٢ (سورة البقرة) .

(٢) القرآن الكريم : ٢٩/٢ (سورة البقرة) .

ولما اختلفت الأخبار في بعض ما أوردناه وشرحناه ، لزم الرجوع إليهم ، والاعتماد في تصحيح الأخبار - بعد الله - عليهم .

على أن الأخبار الدالة على جواز ما منعه المانعون أكثر مورداً ، وأوفر عدداً ، وأقرب إلى ظاهر الكتاب والسنة وكلام الأصحاب .

وفقنا الله وإياكم لأدراك حقائق الأمور ، والتوفيق للسعادة يوم النشور ، وجعلنا من المتمسكين بالعروة الوثقى ، والمتشوقين إلى دار الآخرة التي هي خير وأبقى ، والله ولي التوفيق ، وبالله أمانة التحقيق .

### الفصل الثالث

#### في بيان الميزان التي يُرجع إليها إذا تشابهت الأمور

وهي ما عليه الصحابة والتابعون ، وما أجمع عليه المسلمون . قال الله تعالى : « وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى »<sup>(١)</sup> وقال : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ »<sup>(٢)</sup> .

وعن ابن عمر ، أنه قال : لا تجتمع أمتي - أو قال : (أمة محمد) - على ضلال . ويد الله على الجماعة ، ومن شذَّ شذَّ في النار ، رواه الترمذي<sup>(٣)</sup> .

وعن ابن عمر ، عن النبي (ص) أنه قال : إتبعوا السواد الأعظم ، فإنه من شذَّ شذَّ في النار<sup>(٤)</sup> .

وعن عمر ، عن النبي (ص) انه قال : مَنْ سَرَّهُ بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ فَلْيَلِزِمِ الْجَمَاعَةَ ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْفَرْدِ ، وَهُوَ مِنَ الْاِثْنَيْنِ أَبْعَدُ<sup>(٥)</sup> .

وعن أسامة بن شريك<sup>(٦)</sup> ، عن النبي (ص) : أيما رجل يفرق بين أمتي فاضربوا عنقه ،

(١) القرآن الكريم : ١١٥/٤ (سورة النساء) .

(٢) القرآن الكريم : ٣٣/٣٣ (سورة الأحزاب) .

(٣) سنن الترمذي (كتاب الفتن) - باب ما جاء في لزوم الجماعة - .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ج ٤ ، ص ٣٨٣ .

(٥) سنن الترمذي ، حديث ٢١٦٥ .

(٦) أسامة بن شريك الثعلبي الديباني ، كان من الصحابة ، سكن الكوفة .

رواه النسائي<sup>(١)</sup> .

وعن النبي (ص) إن الله أجاركم من ثلاث خلال ، وعدَّ منها : أن تجتمعوا على الضلال<sup>(٢)</sup> .

وعن النبي (ص) : ما اجتمعت أمتي على الخطأ<sup>(٣)</sup> .

وقال علي (ع) : في بعض خطبه : عليكم بالسواد الأعظم ، وإن الشاذة للذئب<sup>(٤)</sup> .

وعن عمر ، عن النبي (ص) : أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم .

وعن رزين ، عن عمر ، عن النبي (ص) قال : سألتُ ربي عن اختلاف أصحابي ، فأوحى إليَّ : إنَّ أصحابك بمنزلة النجوم . بعضها أقوى من بعض ، ولكلُّ نور ، فمن أخذ بما هم عليه من اختلافهم ، فهو عندي على هدى<sup>(٥)</sup> .

وعن النبي (ص) : إنَّ مثل أهل بيتي كسفينة نوح ، من ركبها نجي ، ومن تخلف عنها هلك<sup>(٦)</sup> .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) : لو سلك الناس وأدياً ، وسلك الأنصار وأدياً أو شعباً ، لسلكتُ وأدي الأنصار<sup>(٧)</sup> .

وعن زيد بن أرقم<sup>(٨)</sup> ، قال : قام النبي (ص) خطيباً ، فقال : أيُّها الناس إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيَنِي رسولُ ربي فأجيب ، وأنا تاركٌ فيكم الثقلين : كتاب الله فيه الهدى ، وأهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، رواه مسلم<sup>(٩)</sup> .

وعن جابر<sup>(١٠)</sup> ، قال : رأيتُ النبيَّ (ص) في حجَّه يخطب ، فسمعتُه يقول : يا أيُّها

(١) سنن النسائي (كتاب تحريم الدم) ، حديث ٣٩٥٧ ؛ صحيح مسلم ، ج٣ ، ص ١٤٧٩ .

(٢) سنن أبي داود ، حديث ٤٢٥٣ .

(٣) سنن ابن ماجه ، حديث ٣٩٥٠ .

(٤) نهج البلاغة ، الخطبة (١٢٧) .

(٥) كنز العمال ، المجلد الأول ، ص ١٨١ ، حديث ٩١٧ .

(٦) مستدرک الحاكم ، ج٣ ، ص ١٥٠ .

(٧) صحيح مسلم ، حديث ١٣٥ .

(٨) زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أقام بالكوفة أيام المختار ، وتوفي فيها سنة ٦٦ هـ ، وقيل سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م .

(٩) صحيح مسلم (فضائل الصحابة) ، حديث ٤٤٢٥ ؛ ومسنَد أحمد بن حنبل ، (مسند الكوفيين) ، حديث

٨٤٦٤ ؛ وسنن الدارمي (فضائل القرآن) ، حديث ٣١٨٢ .

(١٠) جابر بن عبد الله الأنصاري ، توفي سنة ٧٨ هـ / ٦٩٧ م ، عن (٩٤) عاماً .

الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا : كتاب الله ، وعترتي أهل بيتي ، رواه الترمذي <sup>(١)</sup> .

وقريب منه ما رواه زيد بن أرقم <sup>(٢)</sup> .

وعن حذيفة ، عن النبي صلى الله عليه وآله : إقتدوا بالذين من بعدي : أبي بكر ، وعمر <sup>(٣)</sup> .

وعن جبير بن مطعم <sup>(٤)</sup> ، عن النبي (ص) : أن إمرأته قالت للنبي (ص) : إن لم أجذك فإلى من أرجع ، فقال : إئت أبا بكر <sup>(٥)</sup> .

وعن ابن عمر ، عن النبي (ص) : وُضع الحق على لسان عمر يقول به <sup>(٦)</sup> .

وعن أبي داود ، عن أبي ذر ، قال : إن الحق وضع على لسان عمر يقول به <sup>(٧)</sup> .

وعن عقبة بن عامر ، عن النبي (ص) : أنه قال : لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب <sup>(٨)</sup> .

وعن سعد بن أبي وقاص أن النبي (ص) قال لعلي (ع) : أنت مني بمنزلة هارون من موسى <sup>(٩)</sup> .

وعن عبد الله بن عمرو <sup>(١٠)</sup> ، عن النبي (ص) أنه قال : ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء ، من ذي لهجة أصدق من أبي ذر ، رواه الترمذي <sup>(١١)</sup> .

وعن النبي (ص) أنه قال : اللهم أدر الحق مع علي حيث ما دار ، رواه الترمذي <sup>(١٢)</sup> .

(١) سنن الترمذي (باب مناقب أهل بيت النبي - ص -) ، حديث ٣٧٨٦ .

(٢) أيضاً ، حديث ٣٧٨٨ .

(٣) أيضاً ، حديث ٣٦٦٢ .

(٤) جبير بن مطعم بن عدي القرشي النوفلي ، توفي سنة ٥٩هـ / ٢٦٠م .

(٥) سنن الترمذي ، حديث ٣٦٧٦ .

(٦) أيضاً ، حديث ٣٦٨٢ .

(٧) أيضاً ، حديث ٣٦٨٢ .

(٨) سنن الترمذي ، حديث ٣٦٨٦ .

(٩) المصدر السابق ، حديث ٣٧٣١ .

(١٠) هو ابن عمرو بن العاص السهمي القرشي ، صحابي ، أقام في مصر ، وتوفي في الطائف سنة ٦٣هـ / ٦٨٣م .

(١١) سنن الترمذي ، حديث ٣٨٠١ ؛ وسنن ابن ماجه (المقدمة) ، حديث ١٥٢ .

(١٢) سنن الترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٣٦٤٧ .

وعن عمار، أنَّ النبيَّ (ص) قال : إذا سلك الناس طريقاً ، وسلك عليّ غيره ، فأسلك طريق علي (ع) .

وعن ابن مسعود ، عن النبي (ص) قال : مَنْ كان مستنّاً فليستن بمن قد مات ، أولئك أصحاب محمد (ص) كانوا أفضل هذه الأمة ، أبرها قلوباً ، وأعمقها علماً . إلى أن قال : فاعرفوا لهم فضلهم ، واتبعوهم على إثرهم ، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرتهم ، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم ، رواه رزين<sup>(١)</sup> .

وعن عرياض بن سارية<sup>(٢)</sup> ، قال : صَلَّى بنا رسول الله (ص) ، ووعظ ثم قال : إنه من يعيش منكم بعدي فسيروا إختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين ، تمسكوا بها ، وعضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، (رواه أحمد ، وغيره)<sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) أنه : من خرج عن الطاعة ، وفارق الجماعة مات ميتة جاهلية<sup>(٤)</sup> .

وعن الحارث الأشعري<sup>(٥)</sup> ، عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ خَرَجَ عن الجماعة قدر شبر ، فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه .

وعن ابن عباس ، عن النبي (ص) : إِنَّ مَنْ فارق الجماعة قدر شبر مات ميتة جاهلية<sup>(٦)</sup> .

وعن عبد الله بن عمرو ، عن النبي (ص) : إِنَّ أُمَّتَهُ تَفْتَرِقُ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وليس فيها ناج سوى واحدة ، فُسِّلَ عنها ، فقال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي<sup>(٧)</sup> . إلى غير ذلك من الأخبار .

(١) صحيح مسلم ، ج ٤ ، ص ١٩٦٢ .

(٢) عرياض بن سارية السلمى الحمصي ، صحابي ، أقام في الشام ، وتوفي سنة ٧٥هـ / ٦٩٤م .

(٣) مسند أحمد بن حنبل (مسند الشاميين) ، حديث ١٦٦٩٢ ، ١٦٦٩٤ ، ١٦٦٩٥ ؛ وسنن الدارمي ، (المقدمة) ، حديث ٩٥ ؛ والترمذي (كتاب العلم) ، حديث ٢٦٠٠ ؛ وابن ماجه (المقدمة) ، حديث ٤٢ ، ٤٣ .

(٤) وفي النسخة المطبوعة ورد الحديث كالآتي : «مَنْ مات ، ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية» . صحيح مسلم (كتاب الأمانة) ، حديث ٣٤٤١ .

(٥) هو الحارث بن الحارث الأشعري ، صحابي ، أقام في الشام .

(٦) مسند أحمد بن حنبل (مسند الشاميين) ، حديث ١٦٧١٨ (ضمن حديث طويل) ، وحديث ١٧٣٤٤ .

(٧) سنن الترمذي (كتاب الإيمان) ، حديث ٢٥٦٥ .

ومقتضى ذلك أنه من اللازم الرجوع الى سيرة الصحابة وطريقتهم ، وانها الميزان إذا اشتكلت علينا الامور ، وتعارضت علينا الأدلة ، وسيتضح أن جميع ما ينكر من هذه الأفعال الموردة صادرة عن الصحابة ، وطريقتهم مستمرة عليه ، مع أن في السنة ما يدل على جوازه .

وما ورد عنه (ص) أنَّ الأسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً<sup>(١)</sup> ، فلا ينافي ما ذكرناه ، لأن فرقة الأسلام بين طوائف الكفر كنقطة في بحر .

وروى أبو سعيد الخدري عن النبي (ص) : ما أنتم في الناس إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود<sup>(٢)</sup> . وعوده غريباً في أيام الدجال ، ونحوه يكفي في صدق الخبر .

وروى عبد الله بن مسعود<sup>(٣)</sup> عن النبي (ص) أنه قال : لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق ، رواه مسلم<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري<sup>(٥)</sup> عن النبي أنه قال : لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الدنيا الله<sup>(٦)</sup> .

وكل ما صدر في زمان الصحابة من الأعراب بمحضهم ولم ينكروه ، فهو موافق لرضاهم ، وإلا لأنكروه . ولهذا أوردنا في هذه الرسالة كثيراً مما صدر في زمانهم من غيرهم .

وعلى كل حال ، فلا كلام في أنَّ الأدلة فيها عام ، وفيها خاص ، وفيها ناسخ ، وفيها منسوخ ، وفيها مجمل ، وفيها مبين ، وفيها مطلق ، وفيها مقيد ، ومنها قطعي الصدور ظني الدلالة ، ومنها قطعي الدلالة ظني الصدور ، ومنها ظنيهما ، ومنها قطعيهما . ومن جهة إختلاف السند : منها صحيح ، وضعيف ، وحسن ، وموثق ، وقوي إلى غير ذلك .

فإذا تعارضت الأدلة ، فلا بُدَّ من النظر الى المرجحات : من جهة السند ، أو من جهة

(١) صحيح مسلم ، حديث ١٤٥ .

(٢) صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن) ، حديث ٤٤٦٤ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، حديث ٣٢٧ ؛ ومسند أحمد بن حنبل (باقي مسند الكثيرين) ، حديث ١٠٨٩٢ .

(٣) في صحيح مسلم ورد اسم عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٤) صحيح مسلم (كتاب الأمانة) ، حديث ٣٥٥٠ .

(٥) في المصادر «أنس بن مالك» .

(٦) مسلم (كتاب الأيمان) ، حديث ٢١١ ؛ والترمذي (كتاب الفتن) ، حديث ٢١٣٣ ؛ ومسند أحمد (باقي مسند الكثيرين) ، حديث ١١٦٣٢ . وزاد في المصادر كلمة (الله) مرة ثانية في نهاية الحديث .

الدلالة ، أو من جهة سبك العبارة ، أو من جهة كثرة الرواية ، أو من جهة شهرة الفتوى ، أو من جهة موافقة الأصول ومخالفتها ، أو من جهة موافقة العمومات ومخالفتها ، أو من جهة موافقة الكتاب وعدمها ، الى غير ذلك .

فاذا فُقدت المرجحات ، وقامت الحيرة ، فلا يبقى مداراً إلا على سيرة الأصحاب ، وطريقتهم ، والنظر إلى ما هم عليه صاغراً عن كابر ، وما عليه الأول والآخر .

وما نحنُ عليه اليوم من طريقة القوم أكثر الروايات موصلة إليه ، وطريقة الأصحاب والصحابة مستمرة عليه ، وقد ذكرتُ منها قليلاً من كثير ليُعلم حال السلف ، ويرتفع الأنكار على خلفهم .

فيا أخِي فَوَحِّقْ من رفع السماء ، وبسط الأرض على الماء ، إني لما أحببتُكَ لمكارم أخلاقك ، وحسن سيرتك مع الناس ، وإرفاقك ، أخشى عليك من سراية القَدْح إلى المشايخ الكبار ،<sup>(١)</sup> والعلماء الأبرار ، الذين هم للشارع نواب ، ولأبواب الشرع بواب<sup>(٢)</sup> ، عصمنا الله وإياكم ، وكفانا شرَّ الجهل وكفاكم ، والله الموفق .

وأما المقاصد فثمانية :

## المقصد الأول في تحقيق ضروب الكفر

وأقسامه كثيرة :

أولها : كفر الأنكار بإنكار وجود الأله ، أو إثبات أن غير الله هو الله ، أو بأنكار المعاد ، أو نبوة نبينا أشرف العباد .

ثانيها : كفر الشرك بإثبات شريكٍ للواحد القهار ، أو في النبوة للنبي المختار .

ثالثها : كفر الشك ، بالشك في إحدى الثلاثة التي هي أصول الإسلام في غير محل النظر ، ولا عبرة بالأوهام<sup>(٣)</sup> .

(١) في المطبوع : من حمل راية القدح في المشايخ الكبار .

(٢) في نصّ مخطوطة العبقات : «الدائن الشرع أبواب» .

(٣) في المطبوع زيادة عبارة : «التي هي كخيالات المنام» .

رابعها : كفر الهتك لهتك حرمة الدين ، بالبول على المصحف ، أو في الكعبة ، أو سب خاتم النبيين (ص) .

خامسها : كفر الجحود ، بأن يجحد باللسان أصول الإسلام ، ويعتقدها بالجنان ، قال تعالى : «وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ»<sup>(١)</sup> .

سادسها : كفر النفاق ، بأن ينكر في الجنان ، ويقر باللسان ، كما قال تعالى : «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ»<sup>(٢)</sup> .

سابعها : كفر العناد ، بأن يقر بلسانه ، ويعتقد بجنانه ، ولم يدخل نفسه في ربة العبودية ، بل يتجرأ على الحضرة القدسية ، كأبليس (لعنه الله) .

ثامنها : كفر النعمة ، بأن يستحققر نعمة الله ، ويرى نفسه كأنه ليس داخلاً تحت منة<sup>(٣)</sup> الله .

تاسعها : كفر إنكار الضروري<sup>(٤)</sup> .

عاشرها : إسناد الخلق الى غير الله على قصد الحقيقة .

وليست جميع المعاصي العظام مخرجة عن الإسلام ، فأن المعاصي لا تنفك على الدوام ، حتى في مبدأ حدوث الأسلام ، ولذلك وضعت الحدود والتعزيزات ، وأقيمت الأحكام على بمر الأوقات .

نعم قد يُطلق على كثير منها إسم (الكفر) تعظيماً للذنب ، وتحذيراً منه ، وتشبيهاً لمؤاخذته ، لعظمها بمؤاخذة الكفر .

فهو إذن في الشرع قسمان : كفر صغير ، لا يُخرج عن إسم الأسلام . وكبير مخرج عن إسمه بلا كلام .

ولو بنينا على أن كل ما أطلق عليه إسم الكفر يكون مكفراً ، لم تنج إلا شذمة قليلة من الورى . فأطلاق إسم الكفر قد يكون إستعظاماً للذنب - كما مر - ، وقد يراد أنه ربما إنجر بالآخرة الى ذلك . كما ورد في الحديث : إن في قلب المؤمن نكتة بيضاء ، فاذا عصي

(١) القرآن الكريم : ١٤/٢٧ (سورة النمل) .

(٢) القرآن الكريم : ٨/٢ (سورة البقرة) .

(٣) في المطبوع : نعمة .

(٤) في المطبوع : الأنكار للضروري .



الله إسودَّ منها جانب ، وهكذا إلى أن يتم سوادُها ، فذلك الذي طبع الله على قلبه<sup>(١)</sup> .  
وما يدل على أن لفظ (الكفر) يُطلقُ على سائر المعاصي كثيراً في كلام الشارع منها :  
ما رواه أنس ، عن النبي (ص) أنه قال : لا دين لمن لا عهدَ له<sup>(٢)</sup> .  
وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) أنه قال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا  
يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا يقتل  
حين يقتل وهو مؤمن<sup>(٣)</sup> .  
وعن أبي هريرة : عن النبي (ص) : إن علامة النفاق الكذب ، وسوء الخلق ،  
والخيانة<sup>(٤)</sup> .  
وعن عبد الله بن عمرو ، عن النبي (ص) : إنَّ النفاق عبارة عن أربع : الخيانة ،  
والكذب ، والغدر ، والفجور<sup>(٥)</sup> .  
وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) : إن المرء في القرآن كفر<sup>(٦)</sup> .  
وعن النبي (ص) أنه قال : لا يترك<sup>(٧)</sup> حضور الجماعة إلا منافق<sup>(٨)</sup> .  
وعن أبي ذر ، عن النبي (ص) : المسلم من سلّم المسلمون من يده ولسانه<sup>(٩)</sup> .  
وعن عبد الله بن مسعود ، عن النبي (ص) : إنَّ الرُّقى والتمايم من الشرك<sup>(١٠)</sup> .  
وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ قال : مطرنا بكوكب كذا ، فهو  
كافر<sup>(١١)</sup> .

- 
- (١) الموطأ (باب الكلام) ، باب (١٨) .  
(٢) مسند أحمد بن حنبل ، ج ٣ ، باب ١٣٥ ، ١٥٤ ، ٢١٠ ، ٢٥١ .  
(٣) صحيح البخاري (كتاب الأشربة) ، حديث ٥٢٥٦ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، حديث ٨٦ ؛ والنسائي  
(كتاب قطع السارق) ، حديث ٤٧٨٧ .  
(٤) صحيح مسلم ، حديث ١٠٧ .  
(٥) أيضاً ، حديث ١٠٦ .  
(٦) سنن أبي داود (كتاب السنّة) ، حديث ٤ ؛ ومسند أحمد بن حنبل (الباب الثاني) ، حديث ٢ ، ٢٥٨ ،  
٢٨٦ .  
(٧) في المطبوع : يُقَوّت .  
(٨) صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٤٥١ .  
(٩) البيهقي ، ج ١٠ ، ص ١٨٧ .  
(١٠) المستدرک للحاكم ، ج ٤ ، ص ٢١٧ .  
(١١) صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٨٤ .

وعن زيد بن خالد<sup>(١)</sup> ، عن النبي (ص) أنه مَنْ قال : مطرنا بنوء كذا ، فهو كافر<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) : من أتى حائضاً أو امرأته في دبرها ، فقد كفر بما أنزل على مُحَمَّد ، رواه الدارقطني ، وابن ماجه ، والترمذي<sup>(٣)</sup> .

وروى عمر بن لبيد ، عن النبي (ص) : إن الرياء شرك الأصغر<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي سعيد ، عن النبي (ص) : إن الرياء شرك الخفي<sup>(٥)</sup> .

وعن عمر بن الخطاب ، عن النبي (ص) : إن يسير الرياء شرك .

وعن شداد بن أوس<sup>(٦)</sup> ، عن النبي (ص) : من صُلِّيَ برياء<sup>(٧)</sup> ، فقد أشركَ ، ومن صام برياء ، فقد أشرك ، ومن تصدَّقَ برياء ، فقد أشرك .

وروي : إن تارك الصلاة كافر<sup>(٨)</sup> ، إلى غير ذلك .

بل قلَّما يسلم شيء من المعاصي من إطلاق إسم الكفر ، فلا تبقى ثمة حدود ولا تعزيرات ، ولزم الحكم بالارتداد ، وكفر العباد ، ولا ينجو من الكفر إلا قليل من الأحياء والأموات ، ولنادت الخطباء بذلك على رؤوس الأشهاد ، ولشاع ذلك في أقاصي البلاد ، مع أن المعهود من سيرة النبي (ص) والصحابه ، والتابعين ، وتابعي التابعين معاملة الناس على الأكتفاء بأظهار الشهادتين .

وعنه (ص) : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا الشهادتين .

وعن أبي هريرة أن رسول الله (ص) أتى بمخنث قد خضب يديه ورجليه بالحناء ، فقال : ما بال هذا؟ قالوا : يتشبه بالنساء ، فنفاه إلى (البيع) ، ف قيل : يا رسول الله ألا تقتله؟ فقال : نهيت عن قتل المصلِّين .

(١) زيد بن خالد الجهني المدني ، أبو عبد الرحمن ، صحابي ، أقام بالكوفة ، وتوفي في المدينة سنة ٦٨ هـ / ٦٨٧ م .

(٢) صحيح مسلم (باب بيان كفر مَنْ قال مطرنا بنوء) .

(٣) سنن ابن ماجه ، ج١ ، ص٢٠٩ ، حديث ٦٣٩ ، وسنن الترمذي ، ج١ ، ص٢٤٣ .

(٤) مسند أحمد بن حنبل ، ج٥ ، ص٤٢٨ .

(٥) ابن ماجه ، ج٢ ، ص١٤٠٦ ، حديث ٤٢٠٤ .

(٦) شداد بن أوس بن ثابت الخزرجي ، توفي سنة ٥٨ هـ / ٦٧٨ م عن (٧٥) عاماً .

(٧) في المطبوع : «وهو يُرائي» .

(٨) سنن ابن ماجه ، ج١ ، ص٣٤٢ .

وروى عبد الله بن مسعود ، عن النبي (ص) : إنَّ قتال المسلمين كفر<sup>(١)</sup> .

وعن ابن عمر ، عن النبي (ص) : إن نسبة المسلم الى الكفر كفر<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) : إذا قال الرجل هلك الناس فهو أهلكهم<sup>(٣)</sup> .

وعن ابن عمر قال رسول الله (ص) : أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ ، وَيَقِيمُوا الصَّلَاةَ ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ، فَأَنْ فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دَمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ ، وَحَسَابَهُمْ عَلَى اللَّهِ<sup>(٤)</sup> .

وعن أنس أنه قال : قال رسول الله (ص) : مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا ، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ<sup>(٥)</sup> .

الى غير ذلك من الأخبار .

وليس غرضي أنه لا طريق للكفر سوى ذلك ، ولكن يستفاد منها أنه بعد إظهار الشهادتين يبنى على الإسلام ما لم يعلم شيئاً ينافيه ، ولا حاجة الى التجسس ، بل نهى الله تعالى عنه .

وبيان الأمر على التحقيق : هو أنه قد عُلِمَ أَنَّ لسان الشارع جار على نحو لسان العرب ، ففيه حقائق ، ومجازات ، وإستعارات ، وكتابات ، وخطابات ، تُشتمل على المبالغات ، كما أَنَّ لساننا يشتمل على ذلك من غير إنكار ، فَأَنَّ الذنب إذا صدر من شخص وأردنا إستعظامه ، صَحَّ لَنَا أَنْ نُسَمِّيَهُ كُفْرًا ، وَأَنْ نَسْمِيَ فاعله كافرًا . ولا يزال ذلك يقع على مرور الأزمان من أيام النبي (ص) إلى هذا الآن ، مع أنه ليس في ذلك إنكار ، بل قد يُعَدُّ من أفعال الأبرار ، على أَنَّ كُلَّ مَنْ صدر منه ذنبٌ ولو صغير ، لم يفِ بجزاء نِعَمِ اللطيف الخبير .

فأطلاق الكفر لعله من باب الكفر ببعض النعم الذي هو كفر صغير .

على أَنَّ أنظار الأنبياء والأولياء ليس الى المعاصي ، حتى يكون فيها صغيرٌ وكبير ، بل إلى مَنْ عصاه الناس وهو اللطيف الخبير .

(١) صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٨١ . (باب بيان قول النبي - ص - سياب المسلم فسوق وقتاله كفر) .

(٢) صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٧٩ . (باب بيان حال ايمان مَنْ قال لأخيه المسلم يا كافر) .

(٣) مسند أحمد بن حنبل ، ج٢ ، ص ٤٦٥ .

(٤) صحيح مسلم ، ج١ ، ص ٥٣ ، حديث ٣٦ .

(٥) النسائي (باب المناسك) ، حديث ٢١١ .

فإذا لاحظتَ أنَّ المعصية كانت في حق الله ، تجدها - ولو صغرت - أكبر من الجبال الرواسي ، حتى أنه بلسان الورع والتقوى دون الفقه والفتوى ، ربما لا يفرق بين الصغائر والكبائر . بل ربما نقل عن بعض الأولياء أنه لا فرق بين المكروه والحرام ، والمسنونات وفرائض الأحكام ، قال : لأنَّ الكلَّ مطلوب للملك العلام .

وإذا بُنيَ على هذا إستحسن هذا الاطلاق ، وحسن إطلاق إسم المعاصي والمحرمات على فعل المكروهات ، والفرائض والواجبات على فعل المستحبات والمندوبات ، وكبائر الخطيئات على صغائر التبعات ، والكفر والكفار على كل مَنْ عمل ما يوجب دخول النار . ولولا ذلك للزم كفر أكثر من في الأرض ، لأنَّه قلَّما خلت معصية مَنْ هذا الغرض ، ولو عملنا بجميع ظواهر الأخبار ، لاختلف علينا أحكام ملَّة النبي المختار ، وفقنا الله وإياك ، وهدانا الله إلى الحق وهداك<sup>(١)</sup> .

## المقصد الثاني

### في تحقيق معنى العبادة

لا ريب أنه لا يراد بالعبادة التي لا تكون إلا لله ، ومن أتى بها لغير الله ، فقد كفر مطلق الخضوع والخشوع والأنقياد ، كما يظهر من كلام أهل اللغة ، وإلَّا لزم كفر العبيد والأجراء ، وجميع الخدام للأمرء ، بل كفر الأبناء في خضوعهم للآباء ، وجميع مَنْ تواضع للإخوان ، أو لأحد من أصحاب الأحسان .

وإنما الباعث على الكفران ، الأنقياد لبعض العباد مع إعتقاد إستحقاقهم ذلك بالاستقلال من دون توجه الأمر من الكريم المتعال ، وأنَّ لهم تدبيراً واختياراً .

ولفظ (العبد) و(العبادة) قد يُطلق على مطلق المطيع والطاعة ، فقد ورد : أنَّ العاصي عبد الشيطان ، وإنه عبد الهوى . وإنَّ الإنسان عبد الشهوات ، وإنَّ مَنْ أصغى إلى ناطقٍ فقد عبده .

ثم مَنْ إتبع قول قائل لأنه مُخْبِرٌ عن غيره ، فهو عابد للمُخْبِر عنه ، لا للمُخْبِر . ومَنْ خدم شخصاً بأمر آمر ، فالمعبود هو الأمر ، ومن تبرَّك بشيء لأمره ، كان ذلك من عبادة الأمر . فالملائكة في سجودهم لآدم ، ويعقوب في سجوده ليوסף ، والناس في تقبيلهم

(١) في المطبوع : وفقنا الله وإياكم ، وهداك إلى الحق المبين .

للحجر الأسود والأركان ، لم يعبدوا سوى مَنْ أمرهم بذلك .

ثم السجود والخضوع لعروض بعض الأسباب ، لا يُنافي الأخلص لربِّ الأرباب .

روى أبو داود والترمذي ، عن عكرمة ، قال : قيل لأبن عباس : ماتت (فلانة) - بعض أزواج النبي (ص) - ، فخرَّ ساجداً ، فقيل له : تسجد في هذه الساعة؟ فقال : قال رسول الله (ص) : إذا رأيتم آيةً فاسجدوا ، وأي آية أعظم من ذهاب أزواج النبي (ص) <sup>(١)</sup> .

فعلى هذا لو سجدَ مَنْ رأى ميتاً ، أو قبراً ، أو شيئاً عجيباً ، ذاكراً لعظمة الله - كما يصنعه بعضُ العارفين - لم يكن به بأس .

وعبادة الأصنام وبعض الصالحين ، مع نهى الأنبياء والمرسلين الذين دلَّت على صدقهم المعاجز <sup>(٢)</sup> والبراهين ، محض عناد وخلاف على رب العباد ، ولو أنهم أخذوا عن قول الله ورسله ، لم يكن عليهم إيراد .

كما أن (السيد) لو قال لعبده : تبرك بتياب (فلان) ، ونعله ، وترابه ، ففعل ، كان عابداً للمولى . وأمّا لو نهاه المولى ، أو أخذ بمجرد الظن الذي لا يُغني عن الحق شيئاً ، أو الخُرْص <sup>(٣)</sup> ، لكان عاصياً مخالفاً .

ألا ترى أنَّ مَنْ جعل المرضعات أمهات ، ليس كمن جعل المصاهرات ، ومَنْ حرَّم الوصيلة ، والسائبة ، والحام <sup>(٤)</sup> ، ليس كمن حرم الجلالة <sup>(٥)</sup> من الأنعام .

وليس تحريم الأشهر الحرام كتحریم غيرها من باقي أشهر العام ، وليس صيام آخر شهر رمضان كصيام أول شوال . كل ذلك للفرق بين الأمر والأختراع ، والقول بمجرد

(١) سنن أبي داود ، ج١ ، ص٣١١ ، حديث ١١٩٧ ؛ وسنن الترمذي ، ج٥ ، ص٦٦٥ ، حديث ٣٨٩١ .

(٢) في المطبوع : المعجزات .

(٣) الخُرْص : الخدس ، والكذب والافتراء .

(٤) من معتقدات العرب أنَّ الوصيلة من الغنم (وهي الشاة) إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا ولدت ذكراً - أوقفوه لآلهتهم ، فإن ولدت ذكراً وأنثى قالوا وصلت أخاها ، فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم .

أمّا السائبة فقد كان الرجل إذا نذر القدوم من سفر ، أو الشفاء من علة ، فإن ناقته ستكون سائبة (أي لا تستخدم للانتفاع بها ، ولا تخلّى عن ماء ، أو تمنع عن مرعى) .

والحام هو الذكر من الأبل إذا انتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قال العرب قد حمى ظهره ، فلا يُحمل عليه . وقد حرَّم القرآن هذه المعتقدات كما ورد في سورة المائدة ، آية (١٠٣) قوله تعالى : «ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حام ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب ، وأكثرهم لا يعقلون» .

والبحيرة هي الشاة التي تُبحر أذنّها (أي تُشق) علامة على تحريم الانتفاع بها .

(٥) الحيوان الجلال : هو الذي يأكل العذرة ، وقد ورد النهي عن أكل لحمه ، وشرب لبنه .

الأبتداع<sup>(١)</sup> .

ثم (العبادة) تختلف باختلاف النيات ، فمن قصد حقيقة العبادة إختراعاً وابتداعاً ، ومخالفة لأمر الله سبحانه كان كافراً ، سواء قصد القرب إلى الله زلفى أو لا ، بل هذا في الحقيقة عين العناد والشقاق بعد نهى الأنبياء والرسل .

كما قال قوم (شعيب) له : «يا شعيبُ أصلاتك تأمرُك أن تترك ما يعبدُ آبائنا أو أن نفعلَ في أموالنا ما نشاء»<sup>(٢)</sup> .

وقال الصديق : «يا صاحبي السَّجْنُ أَزَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الواحد القهار ، ما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ»<sup>(٣)</sup> .

وحكى الله عن قوم نُوح وعاد وثمود أنهم ردّوا أيديهم في أفواههم ، وقالوا : «إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ»<sup>(٤)</sup> الى غير ذلك من الآيات الدالة على ردّهم على الأنبياء ، وبنائهم على الاختراع والأبتداع .

وفي الاحتجاج : في حديث طويل عن النبي (ص) أنه أقبل في مشركي العرب ، فقال لهم : وأنتم فلم عبدتم الأصنام من دون الله؟ فقالوا : نتقرب بها الى الله زلفى ، فقال : أو هي سامعة مطيعة عابدة لربها حتى تتقربوا بها إلى الله؟ قالوا : لا ، قال : أفأنتم نحتموها بأيديكم؟ فقالوا : نعم ، قال : فلئن تعبدكم هي أخرى من أن تعبدوها ، إذا لم يكن أمركم بتعظيمها من هو العالم بمصالحكم ، وعواقبكم ، والحكيم فيما يكلفكم<sup>(٥)</sup> .

فإذا كان الله قد نهى على لسان أنبيائه عن عبادة الأصنام والصالحين من الأنام ، على نحو عبادة الصلاة والصيام ، ففعلهم بعد ذلك ردّ لكلام العليم العلام .

وكشف الحقيقة : إنّ العبادة إنّ أريد بها مجرد الأمتثال والطاعة ، كانت الزوجة ، والأمة ، والعبد ، والخادم ، والأجير ، ونحوهم ، عابدين لغير الله .

وإن أريد الأمتثال والأنقياد للعظيم في ذاته ، المستوجب للطاعة ، لا بواسطة أمر غيره ،

(١) في المطبوع : للفرق بين الأمر والاتباع ، والقول بمجرد الاختراع والأبتداع .

(٢) القرآن الكريم : ٨٧/١١ (سورة هود) .

(٣) القرآن الكريم : ٣٩/١٢ - ٤٠ (سورة يوسف) .

(٤) القرآن الكريم : ٩/١٤ (سورة إبراهيم) .

(٥) أوردها أحمد بن علي الطبرسي (من علماء القرن الخامس الهجري) في كتاب الاحتجاج ، ج ١ ، (بيروت ،

١٩٨١) ، ص ٢٦ .

فأين ذلك من أفعال المسلمين .

فأقسم عليك بمن سلطك على طائفة من عباده ، ومكنك من كثير من بلاده ، أن تخلي نفسك من حب الأنفراد ، الباعث على الأمتياز بين العباد ، وتحذر من قولهم . «لكل جديد لذة» ، و«خالف تعرف» . كما أنني أحذر نفسي ، وأصحابي من حب اتباع الآباء والأجداد ، وإرادة الدخول في الجماعة ، وكرهه الإنفراد .

وأما ما صدر من أهل الإسلام ، فإنما هو عن أمر زعموه ، فإن كان حقاً أثيبوا ، أو كان خطأ فكذلك .

فأين حال المسلمين من حال من جعل الآلهة ثلاثة ، أو اثنين ، واتخذ الملائكة أرباباً ، واتخذ بعض المخلوقين أنداداً وشركاء ، يُعبدون من دون الله أو مع الله ، إما لأهليتهم ، أو لترتب التقرب الى الله زلفى من دون أمر الله لهم بذلك ، قال تعالى : «ما أنزل الله بها من سلطان»<sup>(١)</sup> .

وروي أن (قريشاً) كانوا يعبدون الأصنام ، ويقولون : ليقربونا الى الله ، ولا طاقة لنا على عبادة الله . وسيجيء في بعض المقامات الآتية ما يكشف عن حقيقة ذلك .

وإن أردت تمام الكلام في هذا المقام ، فأنظر بعين البصيرة إلى ما نحاول في هذا المقام تحريره .

إعلم أن الألفاظ اللغوية والعرفية العامة ، قد تبقى على حالها من المعاني القديمة ، فتلك لا تحتاج إلى بيان ، سواء وردت في السنة أو القرآن .

وأما إذا نقلت عن المعاني الأولية إلى غيرها ، أو استعملت في المعاني الثانوية على وجه المجازية ، فهي من المجمل المحتاج الى البيان ، كلفظ الصلاة والصيام والحج ، فإنه لو لم يبينها الشرع لبقيت على إجمالها ، حيث لا يراد منها مطلق الدعاء والأمسك والقصد ، بل معنى جديد ، تتوقف معرفته على بيان وتحديد .

ومن هذا القبيل ما نحن فيه من لفظ العبادة والدعاء ونحوهما ، فإنه لا يراد بهما في حقوق الشرك بهما المعنى القديم ، وإلا للزم كفر الناس من يوم آدم إلى يومنا هذا . لأن العبادة بمعنى الطاعة ، والدعاء بمعنى النداء والاستغاثة للمخلوق لا يخلو منها أحد .

ومن أطوع من العبد لسيدته ، والزوجة لزوجها ، والرعية لملكها ، ولا زالوا ينادونهم ،

(١) القرآن الكريم : ١٢/٤٠ (سورة يوسف) .

ويطلبون إعانتهم ومساعدتهم ، بل الرؤساء لم يزالوا يستغيثون بجنودهم وأتباعهم ويندبونهم .

فعلم أنه لا يُراد بهذه المذكورات ، المعاني السابقة ، وتعين إرادة المعاني الجديدة ، فصارت بذلك من المجملات والمتشابهات ، فلا يجوز الحكم بمقتضاها ، إلا في الموضع المعلوم دون المشكوك والموهوم .

وإنما هو خطاب الوضيع لمن شأنه رفيع ، على أن يكون مالك التصرف ، أو خدمته الخاصة لرفعته الذاتية ، وشرافته الأصلية ، من دون أمر أمر ، ولا تكليف مكلف ، بل من مجرد الابتداء والاختراع .

وأما ما كان عن أمر أمر ، فالمعبود هو الأمر ، ولا فرق بين أن يقول : ضع جبهتك في الصلاة على الأرض ، أو على بدن إنسان ، أو غير ذلك ، وبين أن يقول : ضعها على (قبر) كذا ، أو (حجر) كذا .

وإنما كُفِّر عبدة الأصنام ، لأنهم فعلوا ما يُعدُّ عبادةً من دون أمر الله ، ولأنهم خالفوا أنبياء الله في نهيمهم عن تلك الأشياء ، فكانت قصد تقربهم فيما نهى الله عنه . إماماً بناءً على أن الأصنام للجبار قاهرون ، فيقربونهم قهراً ، أو كان إستهزاءً بالرسول ، وتكذيباً لهم ، وكل من الكُفَرين أعظم من الآخر ، فأنت المتقربين محصل كلامهم أنا نخالف أمر الله ، وأمر رسوله ونعبد ما نهينا عن عبادته ليقربنا إلى الله .

## المقصد الثالث

### في الذبح لغير الله

لا يشك أحدٌ من المسلمين في أن من ذبح لغير الله ذبح العبادة (كما يذبح أهل الأصنام لأصنامهم حتى يذكروا على الذبائح أسماءهم ، ويهلون بها لغير الله) - خارجٌ عن رتبة المسلمين ، سواءً اعتقدوا ألهيتهم ، أو قصدوا أن يقربوهم زلفى ، لأن ذلك من عبادة غير الله تعالى .

وأما من ذبح عن الأنبياء أو الأوصياء ، أو المؤمنين ليصل الثواب إليهم ، كما يُقرأ القرآن ويُهدى إليهم ، ونصلي لهم وندعو لهم ، ونفعل جميع الخيرات عنهم ، ففي ذلك أجرٌ عظيم ، وليس قصد أحد من الذابحين للأنبياء أو لغيرهم سوى ذلك .



أما العارفون منهم ، فلا كلام . وأما الجهال ، فهم على نحو عرفائهم .  
وقد رُوِيَ عن النبي (ص) أنه ذبح بيده ، وقال : اللَّهُمَّ هذا عَنِّي ، وعن مَنْ لَمْ يُضَحَّ مِنْ أُمَّتِي . رواه أحمد ، وأبو داود ، والترمذي<sup>(١)</sup> . وفي سنن أبي داود أَنَّ عَلِيًّا كَانَ يُضَحِّي عَنْ النَّبِيِّ (ص) بِكَبْشٍ ، وَكَانَ يَقُولُ : أَوْصَانِي أَنْ أُضْحِيَ عَنْهُ دَائِمًا<sup>(٢)</sup> .  
وعن علي (ع) أَنَّ النَّبِيَّ (ص) أَوْصَانِي أَنْ أُضْحِيَ عَنْهُ<sup>(٣)</sup> .  
وعن بُرَيْدَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ (ص) أَنَّ إِمْرَأَةً سَأَلَتْهُ هَلْ تَصُومُ عَنْ أُمِّهَا بَعْدَ مَوْتِهَا؟ وَهَلْ تَحْجُّ عَنْهَا؟ قَالَ : نَعَمْ<sup>(٤)</sup> .  
وعن ابن عباس عن النبي (ص) أَنَّهُ قَالَ : تَقْضِي الْبِنْتُ نَذْرَ أُمِّهَا<sup>(٥)</sup> .  
وَرُوِيَ أَنَّ الْعَاصِمَ بْنَ وَقِيلٍ أَوْصَى بِالْعَتَقِ فَسَأَلَ ابْنَهُ عَمْرُو النَّبِيَّ (ص) عَنِ الْعَتَقِ لَهُ ، فَأَمَرَهُ بِهِ .  
وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ أَنَّ النَّبِيَّ (ص) قَالَ عِنْدَ الذَّبْحِ : اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ ، وَآلِهِ ، وَأُمَّتِهِ .  
والحاصل لا كلام ولا بحث في أَنَّ أفعال الخير تُهْدَى إِلَى الْمَوْتَى ، وَمَنْ أَوْلَى بِالْهَدَايَا مِنْ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ وَأَوْصِيائِهِ ، فَلَيْسَ الذَّبْحُ لَهُمْ وَبِأَسْمِهِمْ ، حَتَّى يَكُونَ الْأَهْلَالُ لَذِكْرِهِمْ ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَمَلٌ يُهْدَى إِلَيْهِمْ ثَوَابُهُ كَسَائِرِ الْأَعْمَالِ ، حَتَّى أَنَّهُ لَوْ ذَكَرَ إِسْمَهُمْ عَلَى الذَّبِيحَةِ ، كَانَ ذَلِكَ عِنْدَ الْمُسْلِمِينَ مَنَكْرًا ، فَهُوَ ذَبْحٌ عَنْهُمْ لَا لَهُمْ .  
وَإِنِّي - وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - مِنْذُ عَرَفْتُ نَفْسِي إِلَى يَوْمِي هَذَا ، مَا رَأَيْتُ ، وَلَا سَمِعْتُ أَحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ذَبَحَ أَوْ نَحَرَ ، ذَاكِرًا لِأَسْمِ نَبِيٍّ ، أَوْ وَصِيِّ ، أَوْ عَبْدٍ صَالِحٍ ، وَإِنَّمَا يَقْصِدُونَ إِهْدَاءَ الثَّوَابِ إِلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ فِي أَطْرَافِكُمْ قَبْلَ تَسَلُّطِكُمْ مِثْلَ ذَلِكَ ، (فَصَاحِبِ الدَّارِ أَدْرِ بِالَّذِي فِيهَا) .  
وَلَا شَكَّ أَنَّ نَجْدًا وَأَعْرَابَهَا قَبْلَ أَنْ تُظْهِرُوا فِيهَا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ، وَتَأْمُرُوهُمْ بِالْمَلَاظِمَةِ

(١) مسند أحمد بن حنبل ، ج٣ ، ص٣٥٦ ؛ وسنن أبي داود ، ج٣ ، ص٩٩ ، حديث ٢٨١٠ ؛ وسنن الترمذي ، ج٤ ، ص٧٧ ، حديث ١٥٠٥ .  
(٢) سنن أبي داود ، ج٣ ، ص٩٤ ، حديث ٢٧٩٠ .  
(٣) مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص١٥٠ .  
(٤) صحيح مسلم ، ج٢ ، ص٨٠٥ ، حديث ١١٤٩ .  
(٥) سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص٩٠٤ .

لعبادة الملك العلام ، كانوا كالأنعام أو أضل سبيلاً ، وقد رفع الله عنهم الشقاق ، وحصل بينهم الاتفاق ، وفرّقوا بين الحلال والحرام ، وتوجهوا لأوامر الملك العلام .

ويؤيد ذلك ما رواه ابن عمرو عن النبي (ص) أنه قال : اللهم بارك لنا في شأنا ، الله بارك لنا في يمننا ، قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ، فقال : اللهم بارك لنا في شأنا ، وفي يمننا ، ثم قالوا : يا رسول الله وفي نجدنا ، فأظنه قال في الثالثة : هناك موضوع الزلازل والفتن ، وبها (مطلع) قرن الشيطان ، رواه البخاري<sup>(١)</sup> . وإلحاق غير أهل (نجد) بهم من قياس الشاهد على الغائب .

وكيف يخفى على فحول العلماء ، وأساطين الفقهاء الذين أقاموا الجمعيات والجماعات ، وأقاموا الأحكام ، وأوضحوا الشبهات ، وأمعنوا نظرهم في فهم الآيات والروايات ، أن الذبح لا يكون إلا لجبار السماوات؟ مع أن ذلك تلقاه عن الأكابر الأصاغر ، وعن الأوائل الأواخر . فلم يزل أهل الأسلام من قديم الأيام يذبّون للأنبياء والأوصياء والعباد الصالحين ، ويهدون الثواب إليهم طلباً لمرضاة رب العالمين .

واختيارهم للأماكن الشريفة ، كحرم النبي (ص) ونحوه ، لما ورد من أن الأعمال يتضاعف أجرها لشرف الزمان والمكان ، كسرف الكوفة .

روى الأصبغ بن نباتة<sup>(٢)</sup> عن أمير المؤمنين (ع) أن الخضر قال له : إنك في مدينة لا يريد لها جبار بسوء إلا قصمه الله .

وروي أن البركة فيها على إثني عشر ميلاً من سائر جوانبها .

وإن المسلمين كافة يتبرؤون ممن يدعو غير الله ، أو يستغيث بغير الله ، أو يذبح وينحر لغير الله ، أو يحلف بغير الله ، على النحو الذي وقع في نظركم أنهم يقصدونه ويتعمدونه ، ومعاذ الله أن يكونوا كذلك .

والذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، لو علمت منهم ذلك ، لكفرتهم ، وهاجرت عنهم ، معتقداً وجوب ذلك عليّ ، لكنّ وحقّ من اشتقّ من ظلمة العدم نور الوجود ، ما وجدت ذلك منهم ، ولا صدر ذلك عنهم ، ولا بأس عليكم فرُبّما إفتري الحاضرون لديكم تقرّباً بذلك إليكم ، فأقتصر على حدودك التي أنت فيها ، فإنّ النفس إذا قنعت ، قليل من الدنيا يكفيها .

(١) صحيح البخاري ، ج ٩ (باب الفتن) ، حديث ١٦ ، وسنن الترمذي (كتاب المناقب) ، حديث ٧٣ .

(٢) الأصبغ بن نباتة الجاشعي التميمي الكوفي ، توفي أوائل القرن الثاني الهجري .

وفي المشكاة : عن رسول الله (ص) : إني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي ، ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتهلكوا ، كما هلك من كان قبلكم <sup>(١)</sup> .

وبعد التأمل الصادق لا نجد - عند من شاهدناه من يدعي الإسلام وينتسب إلى ملة سيد الأنام - ذبحاً ، ولا نحرأً ، ولا نذراً ، ولا عتقاً ، ولا تصدقاً ، ولا وقفاً ، ولا شيئاً من العبادات مما يتعلق بالماليات أو البدنيات ، ولا توسلاً ، ولا تقرباً ، إلا إلى جبار الأرضين والسموات ، ولو أعلم ذلك منهم لما قبلتُ كلمة الإسلام الصادرة عنهم .

فمهلاً يا أخي مهلاً مهلاً ، فإن القوم ليس حالهم كما وصل إليكم ، وورد عليكم ، فأني بهم خبير ، وبأحوالهم بصير ، وليس غرضي تزكيتهم ، ولكن - والله - هذا الذي علمته من سيرتهم ، والله الموفق .

## المقصد الرابع

### في النذر لغير الله

هذا المقام من مزال الأقدام ، وإنما كثرت فيه الأقاويل ، لخفاء الموضوع إلا على القليل ، فإنه لا ينبغي الشك في أن النذر لغير الله على أنه أهلٌ لأن يُنذر له ، لأنه مالك الأشياء وبيده زمامها من الكفر والشرك ، لأن النذر من أعظم العبادات ، وإن أريد أنه ينعقد بذلك وإن لم يُذكر اسمُ الله عليه فهي مسألة فقهية فرعية . واعتقاد ذلك لا عن دليل تشريع حرام ، لا يُخرجُ عن ملة الإسلام .

وليس المعروف في هذه البلدان النذر لغير الله إلا على معنى أنه صدقة يُهدى ثوابها إلى أولياء الله ، فمعنى النذر للنبي (ص) مثلاً أنه صدقةٌ منذورة يُهدى ثوابها له ، وهكذا النذر لسائر الأولياء . فلا يزيد هذا على من نذر لأبيه وأمه ، أو حلف ، أو عاهد أن يتصدق عنهم ، كما روي عنه صلى الله عليه وآله أنه قال للنبت التي نذرت لأُمِّها عملاً : فَبِنْدْرِكِ <sup>(٢)</sup> .

(١) صحيح البخاري (كتاب المغازي) ، حديث ١٧ ؛ و(كتاب الجهاد) ، حديث ٣٨ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الزكاة) ، حديث ١٢١ ؛ وسنن ابن ماجه (كتاب الفتن) ، حديث ١٨ ؛ ومسند أحمد بن حنبل ، الباب الخامس ، حديث ٤٨ .

(٢) صحيح البخاري (كتاب الاعتكاف) ، حديث ١٥٠٥ ، ١٦ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، حديث ٢٧ ؛ سنن أبي داود (كتاب الأيمان) ، حديث ٢٢ ؛ سنن الترمذي (كتاب النذور) ، حديث ١٢ ؛ وابن ماجه (كتاب الطلاق) ، حديث ٣٦ .

فأن كان النذر للآباء والأمهات كفراً ، كان هذا كفراً ، وإلا فلا . فمن حاول بالنذر حصول الثواب والتقرب إلى الله زُلفى من المنذور له ، على أن يكون الفعل له لا على أن يكون الثواب له ، فهو ضالٌ مضلٌ . وأما من قصد خلاف ذلك ، فلا بأس عليه .

واختياز بعض الأمكنة للنذور طلباً لشرف المكان ، حتى يتضاعف ثواب العبادة ، كما يختار بعض الأزمنة لبعض العبادات ، لا بأس به ، بل لا بأس بتخصيص بعض الأمكنة المباركة ، وهو مستفاد من الأخبار ، كما لا يخفى على من حام حول الديار .

روى ثابت بن الضحَّاك<sup>(١)</sup> ، عن النبي (ص) أن رجلاً سأله أنه نذر أن يذبح ببؤانة ، قال : هل كان فيها وثن يعبد؟ قال : لا ، قال : فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟ فقال : لا ، فقال : فبِندرك<sup>(٢)</sup> .

ثم إني أعلم والله أنك لو وضعتَ منادياً ينادي في بلاد الإسلام ، ويُعلن بصوته في كل مقام ، ليجد شخصاً يُعَدُّ من نوع الإنسان يقصد بنذره غير وجه الملك الديان ، لرجع إليك صفر اليدين ، ولم يجد ناذراً للنبي (ص) ، أو الصحابة ، أو الحسنين عليهما السلام .

وكيف يقصدونهم بنذورهم وعباداتهم مع علمهم بمماتهم؟ وإذا دخلوا إلى مواضع قبورهم قرأوا لهم القرآن ، وأهدوا إليهم من صلاتهم بعض ما كان ، ودعوا لهم برفعة الدرجات ، وزيادة الأجر عند رب السماوات ، فأن كانوا معبودين باعتقادهم ، فكيف يهدون إليهم عبادة العبيد؟!

ليت شعري كم من الفرق بين مَنْ يَعْبُدُ لِيُقَرَّبَ إلى الله زلفى ، وبين مَنْ يُعْبَدُ الله عنه لِيُقَرَّبَ الله زلفى .

والله ما نذرتُ نذور ، ولا جُزِرتُ جزور ، ممن يتصف بالآيمان ، ويقرُّ بالشهادتين بالقلب واللسان ، إلا لوجه الملك الديان ، وطلباً لرضى الواحد المتان .

فمن كانت هذه مقاصدهم ، وعلى ذلك بنوا قواعدهم ، كيف ينسبون إلى عبادة غير الله ، ويُشَبِّهُون عبدة الأصنام المُثَبِّتِينَ شريكاً للملك العلام؟!

ليت شعري لو أنَّ الرسل جاءت بالسجود للأحجار ، أو لبعض الكواكب والأشجار ،

(١) ثابت بن الضحَّاك بن خليفة بن ثعلبة بن عدي الأنصاري مات سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م .  
(٢) سنن أبي داود (كتاب الآيمان) ، حديث ٢٢ ؛ سنن أبْنِ ماجه (باب الكفارات) ، حديث ١٨ ؛ مسند أحمد بن حنبل ، الباب الأول ، حديث ٩٠ .

لم يكن ذلك السجود إلا عبادة للملك الجبار ، لأن الطاعة للأمر لا لمن يكن له في ذلك الأظهار .

ولو أن الناظر لصور الكواكب وهيئة الأفلاك ، تدبرها تفكيراً في عظمة الخالق ، وسجد ، كان عابداً لمديرها .

ثم ليس المراد بالعبادة مجرد الخضوع والتذلل ، كما هو المعنى القديم ، بل يُراد معنى جديد ، وهو التذلل الخاص ، على شرط أن يكون في كمال الصفاء والأخلاص .

وعلى فرض أن يصدر من بعض أعمام المسلمين ، لعدم قربهم من محال العلماء العاملين . فلا ينبغي معاملة الجميع بهذه المعاملات ، والبناء على نسبتهم إلى الشرك من دون قيام البينات .

فقف يا أخي في مواضع الشبهات ، لثلاً تقع في الهلكات . وإني - والله - فرح مسروراً بدفعك عن أبناء السبيل كل محذور ، وأمرك بالصلاة والصيام ، وإنفاذ ما شرع النبي (صلى الله عليه) من الأحكام ، إلا أني أخشى عليك أن تأخذ العالم بذنب الجاهل ، والمنصف بورطة المعاند المجادل . وفقنا الله لطريق الصواب ، والفوز برضاء في يوم الحساب ، فإنه أرحم الراحمين .

## المقصد الخامس

### في القسم بغير الله

لا يرتاب مسلم في أن القسم بغير الله ، على وجه إرادة صاحب العظمة والكبرياء والملكوت والقدرة والجبروت ، باعث على الخروج عن ربة المسلمين .

وأما إرادة مجرد التأكيد ، فلا يلزم منه كفر ولا إشراك بديهة ، إذ ليس مدار الكفر على مجرد العبارات . ويدل على ذلك أنه قد ورد القسم بغير الله متواتراً في كلام الصحابة والتابعين ، بل في كلام خاتم النبيين (ص) .

ففي كتاب علي (ع) الى معاوية : لعمرى لأن نظرت بعقلك دون هواك ، لتجدني أبرأ الناس من دم (عثمان)<sup>(١)</sup> .

(١) نهج البلاغة ، ٣٦٧ .

وفي كلام له آخر : وأما تحذيرك إياي أن يحبط عملي وسابقتي في الاسلام ، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذرنى ذلك .

وفي كتاب معاوية : فأنت كنت أبا حسن إنما تحارب عن الأمرة والخلافة ، فلعمري لو صححت خلافتك لكنت قريباً من أن تعذر في حرب المسلمين .

وقد وقع هذا القسم بلفظ (لعمري) في كلام الصحابة والتابعين ، في نشرهم وشعرهم كثيراً ، بحيث يتعذر ضبطه .

وعن بعض أهل البيت أن واحداً من أصحابه حلف عنده : وحق رسول الله (ص) ، وحق علي ما فعلت (كذا) ، وأقره على ذلك .

وفي حديث طلحة : إن رجلاً من أهل (نجد) جاء يسأل عن الإسلام ، فقال : أفلح الرجل - والله - إن صدق<sup>(١)</sup> .

وفي شرح مصابيح الطيبي عنه (ص) : أفلح الرجل وأبيه - والله - .

وحمل على أنها لم يرد بها حقيقة القسم ، وإنما تجري على اللسان مجرد التأكيد .

وروى نصر بن مزاحم<sup>(٢)</sup> ، عن رجاله ، عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله (ص) وهو يقول لعمار : تقتلك الفئة الباغية ، وكان ذكره لأهل الشام قبل وقعة (صفين) بعشرين سنة فسمعه عبد الله ابن عمر العباسي ، وكان أعبد أهل زمانه ، فخرج ليلاً وأصبح في عسكر علي (ع) ، فحدث الناس بقول عمرو ، وقال شعراً :

والراقصات بركب عابدين له      إن الذي جاء من عمرو لمأثور  
ما في مقال رسول الله في رجلٍ      شكٌ ، ولا في مقال الرسل تحبيرٌ

ومن الشعر المنقول عن علي بن الحسين قوله :

«نحن وبیت الله أولى بالنبی»

وكم للصحابة والتابعين من حلف بشيعة رسول الله ، وضريحه وعينييه ، وتربته ، وليس هذا من القسم الحقيقي في شيء ، إذ المراد مجرد التأكيد والتثبت دون حقيقة القسم التي هي مدار القضايا والحكومات ، وتدور عليها ما لزم من الكفارات .

(١) صحيح البخاري (كتاب الإيمان) ، حديث ٣ ؛ وسنن أبي داود (كتاب الصلاة) ، حديث ١ ؛ سنن النسائي (كتاب الصلاة) ، حديث ٤ ؛ سنن الدارمي (كتاب الصلاة) ، حديث ٢٠٨ .  
(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ، ص ٣٤٣ .

فما ورد عن ابن عمر ، عن النبي (ص) : إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم<sup>(١)</sup> .  
وفي الصحيحين : إنَّ الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله ، أو يصمت<sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الرحمن بن سمرة ، عن النبي (ص) : لا تحلفوا بالطواغي ، ولا بآبائكم ، رواه مسلم<sup>(٣)</sup> .

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : لا تحلفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا بالأنداد ، رواه أبو داود ، والنسائي<sup>(٤)</sup> .

وعن بريدة ، قال : قال رسول الله (ص) : من حلف بآبائه فليس منا<sup>(٥)</sup> .

فهذه الأخبار محمولة على من قصد اليمين الحقيقي المثبتة والنافية التي تترتب عليها الكفارة ، فأنها لا تكون إلا بالله ، كما يرشد إليه ذكر الطواغيت ، والأنداد .

ونُقِلَ عن أحمد أنَّ الحلف بالنبي (ص) ينعقد لأنَّه أحد ركني الشهادة ، أو يُحْمَلُ على الكراهة ، كما في شرح (المنهاج) وفيه : الحلف بالخلوق كالنبي ، والكعبة ، وغيرهما مكروه ، لقوله (ص) : لا تحلفوا بآبائكم ، ولا بأمهاتكم ، ولا تحلفوا إلا بالله .

والتحقيق أنَّ الحلف غير المقصود معناه لا بأس به .

روى أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال : اليمين على نية المستحلف .

القسم الثاني : أن يُراد به الأثبات والنفي ، فإن كان مأخوذاً عن دليل ، لم يكن فيه بأس ، وترتب عليه الأثر عند الفقيه المثبت له ، ولم يكن عليه شيء ، وإنَّ قصدَ الحلف بالخلوق أنه ذو الكبرياء والجبروت والملوك والملوكوت ، فهو كفر .

وربما نزل عليه ما رواه ابن عمر ، عن النبي (ص) : إنَّ مَنْ حلف بغير الله فقد أشرك ، رواه الترمذي<sup>(٦)</sup> .

(١) سنن النسائي (كتاب الأيمان والنذور) ، ج٤ ، ص ٤ .  
(٢) صحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، باب النهي عن الحلف بغير الله تعالى ، حديث ٣ .  
(٣) صحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، حديث ٦ . والطواغي هي الأصنام . ومفردتها (طاغية) . وكلٌّ مَنْ طغى وجاوز الحدَّ المعتاد من الشر سُمِّي (طاغية) .  
(٤) سنن أبي داود ، ج٣ ، ص ٢٢٢ ، حديث ٣٢٤٨ ؛ وسنن النسائي (كتاب الأيمان والنذور) ، ج٤ ، ص ٥ .  
(٥) سنن أبي داود ، ج٣ ، ص ٢٢٣ ، حديث ٣٢٥٣ .  
(٦) سنن الترمذي (كتاب النذور) ، باب ٩ ؛ وسنن النسائي (كتاب الأيمان) ، باب ٤ ؛ وابن ماجه (كتاب الكفارات) ، باب ٢ ؛ سنن الدارمي (كتاب النذور) ، باب ٦ .

وروى عن ابن عمر ، عن النبي (ص) : إِنَّ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ فَقَدْ كَفَرَ .  
 أو ينزل هذا على المبالغة ، كما ورد في كثير من فعل المعاصي وترك الواجبات ، وما عدا  
 هذا القسم والذي قبله بناؤه على الكراهة ، إذ لو كان حراماً ما صدر من الصحابة بمحظر  
 من الناس ، ولم ينكر عليهم .  
 مضافاً إلى أنه مما توفر الدواعي على نقله ، ولو كان محرماً للهجت به ألسنة الخطباء  
 والوعاظ ، ولم يخف على الصبيان ، فضلاً عن العلماء الأعيان ، وليس الغرض المهم سوى  
 دفع الكفر عن الناس إذا صدر منهم مثل ذلك .  
 وتفصيل الحال : أَنَّ الْقَسَمَ والعهد بغير الله إن قصد بهما ذو العزة والجلال ، والعلو فوق  
 كل عال ، كما يحلف المربوب بربه ، فذلك كفر وإشراك .  
 وإن قصد ترتب الأحكام عليه من إثبات حقوق الناس ، ولزوم الكفارات ، فذلك  
 تشريع وعصيان ، إلا مَنْ أثبت ذلك بزعم الدليل والبرهان ، وإن رأى وجوب العمل بذلك  
 لمجرد الأكرام ، لأن عدم العمل ينافي الاحترام ، فلا أرى فيه بأساً في المقام .  
 وإن أُريد به مجرد التأكيد من دون ترتب بشيء من الأحكام ، فأولى بالدخول في  
 المباح ، والخروج من الحرام . وإن وقع لغواً ، وهذراً من غير قصد ، فلا يُعدُّ من الأيمان ، ولا  
 مدار عليه في شيء كائناً ما كان ، والله الموفق .

## المقصد السادس

### في الاستغاثة

لا يخفى أنَّ الاستغاثة بال مخلوق على أنه الفاعل المختار مدخل للمستغيث في أقسام  
 الكفار ، وإنَّما المراد منه طلب الشفاعة ، وسؤال الدعاء .  
 وقد روى النسائي ، والترمذي في حديث الأعرابي أنَّ النبي (ص) علَّمَهُ قول : يا  
 مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى اللَّهِ ، ونحوه ما في حديث ابن حنيفة<sup>(١)</sup> .  
 وروى البيهقي في خبر صحيح أنه في أيام عمر (رض) جاء رجل إلى قبر النبي

(١) سنن الترمذي (كتاب الدعوات) ، باب ١١٨ ؛ وسنن ابن ماجه (كتاب اقامة الصلاة والسنة فيها) ، باب  
 ١٨٩ ، حديث ١٣٨٥ . وابن حنيفة هو عثمان بن حنيف الأنصاري ، سكن الكوفة ، ومات في خلافة معاوية .



(ص) ، فقال : يا مُحَمَّد إستسقى لأُمَّتَكَ فسقوا<sup>(١)</sup> .

وروى الطبراني ، وابن المقرئ ، وأبو الشيخ أنهم كانوا جوعاً ، فجاءوا إلى قبر النبي (ص) فقالوا : يا رسول الله الجوع ، فأشبعوا .

وروى البيهقي عن مالك الدار خازن عمر (رض) ، قال : أصاب الناس قحط ، فذهب إلى قبر النبي (ص) فقال : إستسقى لأُمَّتَكَ فقد هلكوا ، فأتاه النبي (ص) في المنام ، وقال له : قُلْ لِعُمَر أَنَّهُمْ سَقُوا .

ومن ذلك قوله تعالى : «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ»<sup>(٢)</sup> .

وعن معاذ أنه لما كان في اليمن جاءه نعي النبي (ص) ، فرجع وهو يقول : يا مُحَمَّداهُ ، يا أبا القاسماهُ ، وبقي على ذلك برهة من الزمان . وفيه ظهور بالاستغاثة .

وعن أبي بكر بن محمد بن الفضل أن (بلاً) لما أخذ في النزع ، قالت إمرأته : وأويلاه وأحزنانه ، فقال لها : لا تقولي وأحزنانه ، فأني قصدت الذهاب إلى مُحَمَّدٍ ، وحزبه .

وروى الكازروني ندبة الزهراء (ع) ، وروى ندبة معاذ النبي (ص) . وعن النعمان بن بشير ، قال : أغمى على عبد الله بن رواحة ، فجعلتُ أختُهُ عمرة تبكي وتقول : وأجبلاه<sup>(٣)</sup> .

وما رُوي عن أبي موسى عن النبي (ص) أنه ما من ميت يموت ، فيقوم بأكيه ويقول : وأجبلاه ، وأسيده إلاً وكلَّ الله به ملكين يلهزانه ويقولان له : أكان هكذا . فمبني على النهي عن العزاء والبكاء .

وفي قصة إدريس أن المطر إنقطع عن قومه عشرين سنةً ، فجاءوا إليه يدعولهم .

وعن رسول الله (ص) أن ملكاً غضب الله عليه ، فأهبط من السماء ، فأتى إدريس ، فاستشفع به ، فدعاه له ، فأذن له في الصعود ، فصعد .

وفي الحقيقة أن المستغيث بالخلق إن أراد طلب الدعاء والشفاعة من المستغاث به ، فلا بأس به ، وإن أراد إسناد الأمور بالاستقلال إليه ، فالمسلمون منه براء .

على أننا بينا فيما سبق أن الاستغاثة بدار (زيد) ، وصفاته ، وغلماؤه ، وخدمته ، رُبما

(١) سنن البيهقي ، ج ٣ ، ص ٣٢٦ .

(٢) القرآن الكريم : ١٥/٢٨ (سورة القصص) .

(٣) سنن البيهقي ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

أُريد بها الاستغاثة به ، فيكون هذا أولى في بيان ذل المستغيث ، وإنه لا يرى لسانه أهلاً لأن يجري عليه إسم المولى ، ولهذا ترى أن طاعة الله تُذكر بعدها طاعة رسول الله (ص) ، ورضاه يذكر بعد رضى الله ورسوله ، وإذا انفردت إحداهما دخلت فيها الأخرى .

روى أبو هريرة عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ أطاعني فقد أطاع الله ، وَمَنْ عصاني فقد عصى الله ، وَمَنْ يُطع الأمير فقد أطاعني ، وَمَنْ يَعصُ الأمير فقد عصاني<sup>(١)</sup> .

وكيف يستغاث حقيقة بمن لا يدفع عن نفسه ضرراً ولا شراً ، ولا يملك رزقاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ولا نشوراً ، المبدئ من تراب ، ثم نطفة مودعة في الأصلاب ، ثم جسم مُعرّض للبلبات ، ثم بعدها يكون من الأموات .

وإنما شرفه بالعبودية والأنقياد للحضرة القدسية ، ولولا أمر الله ما سُمع له كلام ، ولا رُفِعَ له مقام ، وليس بيننا وبينه ربط سوى أمر الملك العلام .

فليس المراد بالاستغاثة إلا طلب الدعاء من المُستغاث به ، لما في الحديث القدسي : يا موسى ادعني بلسانٍ لم تعصني فيه ، فقال : يا رب وأين ذلك؟ فقال : لسان الغير .

فالمستغيث إن طلب أصالةً وإستقلالاً من المستغاث به ، كان معولاً عليه في كل أمر يرجع إليه ، وإلا فالمستغاث به حقيقة هو الذي تنتهي إليه الأمور .

وكذلك الدعاء إن قُصِدَ أن المدعو هو الفاعل المختار الذي تنتهي إليه الأشياء ، فذلك كفر برب السماء ، وإن أُريد المجاز ، فلا يدخل تحت حقيقة الدعاء .

ولا ريب أن كُلَّ مَنْ قال لشخص : أعطني على بناء الدار ، أو قضاء الدين ، أو قال : أعطني ، أو غير ذلك ، بقصد الدعاء ، أعني : طلب المربوب من الرب ، فهو كفر وإشراك . وإن قصد الطلب لا على ذلك النحو ، لم يكن كفراً .

ولو كان المدار على هذه الصورة ، لكُفِّرَت الخلائق من يوم آدم إلى يومنا هذا ، بل صدور هذه العبارات عن الأنبياء والأوصياء أبين من الشمس .

وكذلك (الاستجارة) ، و(الندبة) ، ونحوهما ، فأن كانت على الطور المعهود ، كقوله تعالى : «وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ»<sup>(٢)</sup> «فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى

(١) صحيح البخاري (كتاب الجهاد) ، باب ١٠٩ ؛ صحيح مسلم (كتاب الأمانة) ، باب ٢٣ ؛ سنن النسائي (كتاب البيعة) ، باب ٢٧ ؛ ابن ماجه (المقدمة) ، باب (١) . وقد رويت (الأمم) ، (أميري) .  
(٢) القرآن الكريم : ٦/٩ (سورة التوبة) .

الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ»<sup>(١)</sup> «فَادْعُ لَنَا رَبَّنَا يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ»<sup>(٢)</sup> فلا محيص عن القول بجوازه . فتفاوتت العبارات باختلاف النيات .

فمن كان داعياً دعاء الأصنام وسائر الأرباب ، أو مستغنياً كذلك ، فهو كافر مشرك . وإن أراد المتعارف بين سائر الناس ، فليس به بأس .

فبحق مَنْ شَقَّ سمعك وبصرك ، أَنْ تُمَعِّنَ في هذا المقام نظرك ، وتُصَفِّيَ نفسك عن حب الأنفراد ، كما يلزمنا التخلية عن حب متابعة الآباء والأجداد .

ولا فرق بين الأحياء والأموات ، لأنَّ مَنْ إِسْتِغَاثَ بالخلق أو إِسْتَجَارَ ، على أنه فاعلٌ مختار ، فقد دخل في أقسام الكفار ، فالإِسْتِغَاثَةُ بعيسى أو مريم ، حَيِّنَ أو مَيِّتِينَ ، تقع على القسمين .

واعتقاد أَنَّ الميت يسمع أو لا يسمع ، ليس من عقائد الدين التي تجبُ معرفتها على المسلمين ، فمن إعتقدها : فأما أن يكون مصيباً مأجوراً ، أو مخطئاً معذوراً .

ومن ذلك القبيل الألفاظ التي تفيد الرجاء ، والتوكُّل ، والأعتماد ، والتعويل ، والألتجاء ، والاستعانة بغير الله ، فأن هذه العبارات لو بني على ظاهرها لم يبقَ في الدنيا مسلمٌ ، إذ لا يخلو أحدٌ من الاستعانة على الأعداء ، والأعتماد على الأصدقاء ، والألتجاء إلى الأمراء ، ونحو ذلك .

إلا أنه إن قصد الملتجأ إليه والمعول عليه من المخلوقين له اختيارٌ وتديرٌ في العالم لنفسه لا عن أمر الله ، فذلك كفرٌ بالله ، وإلا فلا بأس .

وبما يناسب نقله في هذا المقام ما نقله القتيبي ، قال : كنتُ جالساً عند قبر رسول الله (ص) فجاء أعرابيٌّ ، فسَلَّمَ على النبي (ص) ، ثم أنشأ يقول :

يا خيرَ مَنْ دُفِنَتْ بالقاعَ أعظمُهُ      فطابَ مِنْ طيبهنَّ القاعُ والأكرمُ  
نَفْسِي الفداءَ لقبرِ أَنْتَ ساكنُهُ      فيه العَفافُ ، وفيه الجودُ والكرمُ

ثم قال : ها أنا ذا يا رسول الله ، فقد ظلمتُ نفسي ، وأنا أَسْتَغْفِرُ الله وأَسْأَلُكَ يا رسول الله أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي . قال القتيبي : ثم نمتُ ، فرأيتُ النبيَّ (ص) في المنام ، فقال : يا قتيبي أدركُ الأعرابي وبشره أنه قد غفر الله له ، قال : فأدركتهُ وبشرتهُ .

(١) القرآن الكريم : ١٥/٢٨ (سورة القصص) .

(٢) القرآن الكريم : ٦١/٢ (سورة البقرة) .

## المقصد السابع في التوسّل

ولا ريب أنه من سنن المرسلين ، وسيرة السلف الصالحين ، ودلت عليه الأخبار والآثار .  
نُقلَ أنَّ آدمَ لما إقترفَ الخطيئة ، قال : يا ربي أسألك بحقَّ مُحَمَّدٍ (ص) لما غفرت لي ،  
فقال : يا آدم كيف عرفت ، قال : لأنَّك لما خلقتني نظرتُ إلى العرش ، فوجدتُ مكتوباً  
فيه : ( لا إله إلاَّ الله ، مُحَمَّدٌ رسول الله ) ، فرأيتُ اسمه مقروناً مع اسمك ، فعرفتهُ أحبُّ  
الخلق إليك . صححه الحاكم<sup>(١)</sup> .

وعن عثمان بن حنيف أن رجلاً ضرب البصر أتى النبي (ص) فقال : إدعُ الله أن  
يعافيني ، فقال النبي (ص) : إن شئت صبرت فهو خيرٌ لك ، وإن شئت دعوتُ ، قال :  
فادعُهُ ، فأمره أن يتوضأ ، ويدعو بهذا الدعاء : ( اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك  
مُحَمَّدَ نبي الرحمة ، يا محمد إني توجَّهْتُ بك إلى ربي في حاجتي ليقضِيها ، اللهم  
شفِّعهُ فيَّ )<sup>(٢)</sup> .

وفيه دلالة على جواز الشفاعة في الدنيا ، وعلى الاستغاثة ، رواه الترمذي ، والنسائي ،  
وصححه البيهقي ، وزاد : فقام وقد أبصر .

ونقل الطبراني عن عثمان بن حنيف أنَّ رجلاً كان يختلف إلى عثمان بن عفَّان في  
حاجته ، فكان لا يلتفت إليه ، فشكا ذلك لابن حنيف ، فقال له : إذهب وتوضأ وقل :  
... (وذكر نحوه ما ذكر الضرير) ، قال : فصنع ذلك ، فجاء البواب ، فأخذه وأدخله على  
عثمان ، فأمسكه على (الطنفسة) وقضى حاجته<sup>(٣)</sup> .

وروي أنه لما دعا النبي (ص) لفاطمة بنت أسد ، قال اللهم إني أسألك بحق نبيك  
والأنبياء الذين من قبلي ... (إلى آخر الدعاء)<sup>(٤)</sup> .

وفي الصحيح عن أنس أن عمر بن الخطاب (رض) كان إذا أقحط الناس إستسقى

(١) مستدرک الحاكم ، ج٢ ، ص ٦١٥ .

(٢) سنن الترمذي (كتاب الدعوات) ، باب ١١٩ ، حديث ٣٥٧٨ ؛ وسنن ابن ماجه (كتاب اقامة الصلاة) ، باب ١٨٩ ، حديث ١٣٨٥ .

(٣) سنن ابن ماجه (كتاب اقامة الصلاة) ، باب ١٨٩ ، حديث ١٣٨٥ .

(٤) كنز العمال ، ج٦ ، ص ١٨٩ .

بالعباس ، فقال : اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا ، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا ، ونستشفع إليك بشيبتة ، فسقوا<sup>(١)</sup> .

وروى الشيخ عبد الحميد (بن أبي الحديد) عن علي (ع) أنه قال : كنت من رسول الله كالعضد من المنكب ، وكالذراع من العضد ، رباني صغيراً ، ووأخاني كبيراً ، سألتُهُ مرةً أن يدعو لي بالمغفرة ، فقام فصللي ، فلما رفع يديه سمعته يقول : اللهم بحق علي عندك أغفر لعلي ، فقلتُ : يا رسول الله ما هذا؟ فقال : أو أحد أكرم منك عليه ، فأستشفعُ به إليه<sup>(٢)</sup> .

وفي هذين الخبرين دلالة على شفاعته الدنيا .

وفي مسند ابن حنبل أن عائشة قال لها مسروق : سألتك بصاحب هذا القبر ما الذي سمعت من رسول الله (يعني : في حق الخوارج) قالت سمعته يقول : إنهم شرُّ الخلق والخليقة ، يقتلهم خير الخلق والخليقة ، وأقربهم عند الله وسيلة<sup>(٣)</sup> .

وعن الأعمش أن امرأةً ضريرةً بقيت ستة ليالٍ تُقسِمُ على الله بعلي ، فعوفيت .

فما رواه جبير بن مطعم عن النبي (ص) أنه أتاه أعرابي ، فقال : جهدت الأنفس ، وجاع العيال ، فأستسق لنا ، فأنا نستشفع بك الى الله ، ونستشفع بالله عليك ، فقال النبي (ص) : «ويحك أنه لا يستشفع بالله على أحد ، شأن الله أعظم» ، فليس بما نحن فيه ، لأنه نهى عن الاستشفاع بالله لا بأحد إلى الله .

وعن علي أنه قال لسعد بن أبي وقاص : أسألك برحم إبنني هذا ، وبرحم حمزة عمي منك ألا تكون مع عبد الرحمن<sup>(٤)</sup> .

وعن عائشة (رض) أن النبي أسرَّ إلى فاطمة سرّاً ، فبكت بكاءً شديداً ، فسألتها ، فقالت : ما كنت لأفشي سرَّ رسول الله (ص) ، فلما قبضَ سألتها وقلت لها : عزمتُ عليك بما لي عليك من الحق ، ( ... الخبر)<sup>(٥)</sup> .

وروى أبو مخنف عن أبي الخليل ، قال : لما نزل طلحة والزبير في موضع (كذا) ، قلت :

(١) صحيح البخاري (كتاب الاستسقاء) ، باب ٣ ؛ و(كتاب فضائل أصحاب النبي) ، باب ١١ .

(٢) شرح نهج البلاغة ، ج٤ ، ص ٥٥٨ .

(٣) سنن الدارمي (كتاب الجهاد) ، باب ٣٩ ؛ مسند أحمد بن حنبل ، ج١ ، ص ١٤٠ ؛ سنن ابن ماجه (المقدمة) ، باب ١٢ ، حديث ١٧٠ .

(٤) الترمذي ، ج٥ ، ص ٦٠٧ .

(٥) صحيح البخاري ، ج٤ ، ص ٢١٠ ؛ صحيح مسلم ، ج٤ ، ص ١٩٠٥ ؛ الترمذي ، ج٥ ، ص ٦٥٨ .

ناشدتكما الله وصُحبة رسول الله (ص) .

وعن علي (ع) أن يهودياً جاء إلى النبي (ص) ، فقام بين يديه ، وجعل يحد النظر إليه ، فقال : يا يهودي ما حاجتُك ، فقال أنت أفضل أم موسى فقال له : إنه يكره للعبد أن يزكي نفسه ، ولكن قال الله تعالى : «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ» إنَّ آدم لما أصابته خطيئته التي تاب منها كانت توبته (اللهم إني أسألك بِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ لما غفرت لي) ، فغُفِرَ له<sup>(١)</sup> .

وعن علي (ع) أنه بعد دفن النبي (ص) قام عند قبره الشريف ، فقال مخاطباً له : طبتَ حياً وطبتَ ميتاً ، إنقطع عنا بموتك ما لم ينقطع بموت أحد سواك من النبوة والأنباء ، وأخبار السماء ، (والحديث طويل) إلى أن قال : بأبي أنت وأمي إذكُرنا عند ربك ، واجعلنا من باللك وهمك .

ونقل الشيخ عبد الحميد أنَّ معاوية سأل عقيلاً عن علي (ع) ، فقال له عقيلاً : يا معاوية جاءته زقاق عسل من اليمن ، فأخذ الحسين منها رطلاً واشترى إداماً لحبزه ، فلما جاء علي ليقسّمها قال : يا (قَنْبَرُ) أظنُّ أنه قد حَدَّثَ بهذا حدثٌ قال : نعم ، وأخبره بقصة الحسين (ع) فَغَضِبَ ، وقال عليّ (بحسين) فرفع الدرة عليه ، وقال : بعمي (جعفر) ، (وكان إذا سئل بحق جعفر سكن) ، فأجابه (الحسين) بما أجاب .

ونقل الشيخ عبد الحميد أنَّ رجلاً وفد من مصر ، فاستعاذ بعُمر .

وكيف كان فقد بَانَ أنَّ مَنْ تَوَسَّلَ إلى الله (بمعظم) من : قرآن ، أو نبيٍّ ، أو عبدٍ صالح ، أو مكانٍ شريف ، أو بغير ذلك ، فلا بأس عليه ، بل كَانَ آتياً بما هو أولى وأفضل .

ولا بأس بالتوسط بحق المخلوقات ، فأن للمولى على عبده حقُّ المالكية ، وللعبد حق المملوكية ، وللخادم حقُّ الخدمة ، وللأرحام حقُّ الرحم ، وللصديق حقُّ الصداقة ، وللجار حقُّ الجوار ، وللصاحب حقُّ الصحبة . فالحق عبارةٌ عن الرابطة بأي نحوٍ إتفقت ، وعلى أي جهةٍ كانت .

وعلى ذلك جرت عادة السلف من أيام النبي (ص) إلى يومنا هذا ، لا ينكره أحدٌ من المسلمين ، والدعوات ، والمواظع مشتملة عليه ، والأجماع منعقدٌ عليه ، فلم يبق في المقام إشكال ، ولا بقي محلٌ للقليل والقال ، والله ولي التوفيق ، وهو أرحم الراحمين .

(١) كنز العمال ، ج ١١ ، ص ٤٥٥ .

## المقصد الثامن

### في الشفاعة

الشفاعة - في الحقيقة - قِسمٌ من الدعاء والرجاء ، وليس من خواص الأنبياء والأوصياء ، وليس لأحد على الله قبول شفاعته ، وإنما ذلك من ألطافه ومنه ، ولا شفاعة إلا بإذنه ورضاه ، والأخبار فيها متواترة .

روى محمد بن عمرو بن العاص ، عن النبي (ص) أنه قال : من سأل الله لي الوسيلة ، حلت عليه الشفاعة ، رواه مسلم<sup>(١)</sup> .

وعن جابر عن النبي (ص) : «من سمع الأذان ودعا بكذا ، حلت له شفاعتي يوم القيامة» ، رواه البخاري<sup>(٢)</sup> .

وعن عبد الله بن عباس ، عن النبي (ص) أنه قال : ما من رجل مسلم يموت ، فيقوم على جنازته أربعون رجلاً ، لا يُشركون بالله شيئاً ، إلا شفعهم الله فيه ، رواه مسلم<sup>(٣)</sup> .

وعن عائشة (رض) ، عن النبي (ص) أنه قال : ما من ميت تصلي عليه أمة من الناس يبلغون مائة ، كلهم يشفعون له إلا شفعوا فيه ، رواه مسلم<sup>(٤)</sup> .

وعن جابر ، عن النبي (ص) أنه قال : أعطيتُ خمساً . . . (وعدَّ منها الشفاعة)<sup>(٥)</sup> .

وعن ابن عباس عن النبي (ص) : أنا أول شافع وأول مشفع في القيامة ولا فخر<sup>(٦)</sup> .

وعن جابر عن النبي (ص) : أنا أول شافع وأول مشفع . ونحوه عن أنس<sup>(٧)</sup> ، وأبي بن كعب<sup>(٨)</sup> .

(١) صحيح مسلم (كتاب الصلاة) ، باب ١١ ؛ أبي داود (كتاب الصلاة) ، باب ٣٦ ؛ سنن الترمذي (كتاب المناقب) ، باب ١ ؛ سنن النسائي (كتاب الأذان) ، باب ٣٧ ؛ مسند أحمد بن حنبل (كتاب الثاني) ، الباب ١٦٨ .  
(٢) البخاري (كتاب الأذان) ، باب ٨ ؛ صحيح مسلم (كتاب الصلاة) ، باب ١١ ؛ وسنن أبي داود (كتاب الصلاة) ، باب ٣٦ .

(٣) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، باب ١٩ (مَنْ صَلَّى عليه أربعون شفَعوا فيه) ، حديث ٥٩ .

(٤) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، باب ١٨ ، حديث ٥٨ .

(٥) صحيح مسلم (كتاب المساجد ومواضع الصلاة) ، باب ٥ ، حديث ٣ .

(٦) صحيح مسلم (كتاب الفضائل) ، (باب ٢ - ، تفضيل نبيِّنا - ص - على جميع الخلق) ، حديث ٢٢٧٨ .

(٧) صحيح مسلم (كتاب الأيمان) ، باب ٣٣٠ .

(٨) سنن الدارمي (المقدمة) ، الباب ٨ .

وعن جبير بن مطعم ، عن عثمان بن عفان ، عن النبي (ص) أنه قال : يُشَفَّعُ يوم القيامة ثلاثة (وعدُّ منهم الأنبياء) .

وعن أبي سعيد ، عن النبي (ص) أن الشفاعة على مراتب الناس في القابلية<sup>(١)</sup> .

وعن عبد الله بن مالك عن أبيه ، عن النبي (ص) أنه أتاني أت من ربي ، فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة ، فاخترت الشفاعة .

وعن عبد الله بن أبي الجذعاء ، عن النبي (ص) : أنه والدارمي يدخل الجنة بشفاعة رجل<sup>(٢)</sup> من أمتي أكثر من بني تميم ، رواه الترمذي والدارمي<sup>(٣)</sup> .

وعن أنس قال : سألت النبي (ص) أن يشفع لي يوم القيامة ، فقال : أنا فاعل ، قلت : فأين أطلبك ، قال : أولاً على الصراط ، قلت : فإن لم ألقك؟ قال : عند الميزان ، قلت : فإن لم ألقك ، قال : عند الحوض ، فأني لا أخطيء هذه المواضع ، رواه الترمذي<sup>(٤)</sup> .

وعن أبي سعيد الخدري ، عن النبي (ص) إن الله يقول بعد فراغ الشافعين من الشفاعة : شُفِّعَتِ الملائكة ، وشُفِّعَ النبيون ، وشُفِّعَ المؤمنون ، ولم يبقَ إلا أرحمُ الراحمين<sup>(٥)</sup> .

وعن أنس عن النبي (ص) أنه يحبس المؤمنون يوم القيامة ، فيقولون لو استشفعنا ، فيأتون (آدم) ، فيعتذر بخطيئته ، ثم (إبراهيم) فيعتذر بثلاث كذبات كذبهن ، ثم (موسى) فيعتذر بقتل النفس ، ثم (عيسى) ، فيقول : لست هناك ، فيقول الله تعالى بعد أن أسجد له : إشفع تشفع . . . (الخبر وهو طويل)<sup>(٦)</sup> .

وعن النبي (ص) أن ملكاً غَضِبَ عليه ، فأهبط من السماء ، فجاء إلى إدريس فقال له : إشفع لي عند ربك ، فدعا له ، فأذن له في الصعود . وفيه دلالة على الشفاعة في الدنيا . وستجيء في باب زيارة القبور أخبار كثيرة عن النبي (ص) أنه قال : «مَنْ زارني كنتُ له شفيعاً»<sup>(٧)</sup> .

(١) سنن ابن ماجه ، ج٢ ، ص ١٤٤٣ .

(٢) في المطبوع : «بشفاعتي رجال» .

(٣) الترمذي ، ج٤ ، ص ٥٤١ .

(٤) الترمذي (باب صفة القيامة) ، ج٤ ، ص ٥٣٧ .

(٥) الترمذي ، ج٤ ، ص ٥٤١ .

(٦) الترمذي ، ج٤ ، ص ٥٣٧ .

(٧) سنن البيهقي ، ج٥ ، ص ٢٤٥ .



وبيان الحال : أن (الشفاعة) إن كانت من قبيل الدعاء ، فيرجع طلبها الى إلتماس الدعاء من الأنبياء والأولياء ، فتكون عبارة عن دعاء مخصوص لنجاة الغير ، أو قضاء حاجته في أمور الدنيا والآخرة ، فلا كلام ولا بحث في جواز طلبها من كل أحد ، فهي كما لو سألت إخوانك الدعاء . ويؤيد ذلك أنه لما سئل إدريس (ع) الشفاعة دعا .

ولا فرق بين الأحياء والأموات ، فأنا سنُبيِّنُ - إن شاء الله - تواتر الأخبار في أنَّ الأموات يسمعون وينطقون ، لكنَّ الناس لا يسمعون كلامهم . فالشفاعة بهذا المعنى لا غضاضة في طلبها ، إذ لسنا في ذلك بمنزلة من قالوا لا طاقة لنا بعبادة الله ، ونحن نعبد الأصنام ، وهم يوصلوننا الى الله .

وإن أُريدَ بالشفاعة منصبٌ أعطاه الله لنبيه (ص) وأوليائه ، فيدفعون بالأذن العام عن الناس ، بمعنى أنَّ الله أذن إذنًا عامًا لنبيه (ص) في إنقاذ بعض أهل العذاب من العذاب يوم يقوم الحساب ، فبهذا المعنى تكون مخصوصةً في الآخرة .

ولا ريب أن المستشفع بالنبي (ص) ، والأولياء في دار الدنيا ، يريد المعنى الأول .

فليت شعري ما الذي يُنكرُ من طلب الشفاعة ، أمن جهة خطاب الموتى فذلك لا يوجب كفراً ولا إشراكاً ، لو كان خطأ ، فكيف لو كان صواباً ، أو من جهة إسناد الأمر الى غير الله سبحانه ، وهذا أعجب من السابق ، فأنَّ الداعي والساعي في حاجة أحد إلى مولاه لا يرتفع عن درجة العبودية ، ولا سيما إذا لم يحدث شيئاً إلا عن إذنه .

ومن البديهة<sup>(١)</sup> أن العبيد والخدام القائمين بشرائط العبودية والخدمة مع الأذن يُشَفَّعُونَ عند مواليهم في قضاء حوائج الناس ، ولا يخرجهم ذلك عن العبودية والخدمة ، بل هذا نوع من العبودية .

وفي أحاديث الشفاعة ما يدل على عموم الشفاعة في دفع المضار الدنيوية والأخروية . وقد نقل عن الصحابة بطرق معتبرة أن الصحابة كانوا يلجأون الى قبر النبي (ص) ، ويندبونه في الاستسقاء ورفع الشدائد والأغراض الدنيوية .

روى البيهقي بطريق صحيح عن مالك الدارخازن عمر (رض) أنه أصاب الناس قحط ، فذهب رجل إلى قبر النبي (ص) ، فقال : يا رسول الله (ص) إستسق لأمتك فقد هلكوا ، فأتاه النبي (ص) في المنام ، فقال له : قل لعمر : قد سُقوا<sup>(٢)</sup> .

(١) في النسخة المطبوعة : «الأمر البديهة» .

(٢) البيهقي ، ج-٣ ، ص ٣٤٤ .

وقد روي أنَّ من رأى النبي (ص) في نومه فكأنما رآه في يقظته ، لأنَّ الشيطان لا يتمثل به <sup>(١)</sup> .

وروى البيهقي بطريق صحيح أنَّ رجلاً في أيام عمر (رض) جاء إلى قبر النبي (ص) ، فقال : يا مُحَمَّدُ إستسقي لأُمَّتِكَ <sup>(٢)</sup> .

وروى الطبراني وابن المقرئ أنهم كانوا جوعاً ، فجاءوا إلى قبر النبي ، فقالوا : يا رسول الله الجوع ، فاشبعوا .

والغرض أن ذلك ظاهر بين الصحابة والسلف ، لا يتناكرونه أبداً ، وحيث كان لا يزيد على سؤال الدعاء ، واتضح في البحث الآتي أنَّ الأنبياء والأولياء أحياء ، لا يبقى كلام أصلاً .

## الخاتمة

وأما الخاتمة ، فتشتمل على أبواب :

### الباب الأول

#### في حياة الأموات بعد موتهم

وفيه فصول :

### الفصل الأول

#### في حياة النبي (ص) بعد موته

وانه يسمع الكلام ويرد الجواب ، كما في حياته غير أن الله حبس سمع الناس إلا قليلاً من الخواص ، ولا بعد في ذلك بعد الأقرار بعموم قدرة الجبار ، فأن من أودع تلك النطقة روح الانسان ، قادر أن يودعها في أي محل كان .

ولا ينافي ذلك إطلاق إسم الموت عليه ، وإنَّ الحياة إنَّما هي وقت البعث ، لأنَّ المراد أنَّ عود تلك الأجسام على الحال السابق والكيفية السابقة ، إنما يكون في ذلك الوقت ، وإن

(١) صحيح مسلم (كتاب الرؤيا) ، باب ١ ، حديث ١١ .

(٢) البيهقي ، ج ٣ ، ص ٣٥٠ .

ظهور ذلك للناظرين ، إنما يكون في ذلك الحين ، ولا بُدَّ أن تتلقَّى ما ورد عن النبي الكريم ، بأشدَّ القبول والتسليم .

روي عن أمِّ سلمة (رض) ، قالت : رأيتُ النبي (ص) والتراب على شيبته ، فسألته ، فقال : شهدتُ قتل الحسين (ع) .

وعن ابن عباس أنه رأى النبي (ص) في المنام ، وفي يده قارورة ، فقلت وما هذه . فقال هذا دم الحسين (ع) <sup>(١)</sup> .

وقال المبارزي : نبينا حيٌّ بعد وفاته .

وقال شيخ الشافعي <sup>(٢)</sup> : نبينا حيٌّ بعد وفاته ، فإنه يستبشر بطاعات أمته ، ويحزن من معاصيهم ، وتبلغه صلاة مَنْ يُصَلِّي عليه .

وعن علي (ع) أنَّ أعرابيا جاء إلى قبر النبي (ص) ، فقال : يا رسول الله إستغفر لي ، فنودي من داخل القبر ثلاث مرات : قد غفر الله لك <sup>(٣)</sup> .

وروى أبو داود في مسنده ، عن أبي هريرة ، مرفوعاً عن النبي (ص) ، قال : ما مِنْ أَحَدٍ يَسْلِمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ .

وذكره ابن قدامة من رواية أحمد أنَّ النبي (ص) قال : ما مِنْ أَحَدٍ يَسْلِمُ عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي إِلَّا رَدَّ اللَّهُ رُوحِي . وذكره بعض أكابر مشايخ البخاري .

وفي خبر النسائي وغيره ، عن النبي (ص) ، قال : إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الْأَرْضِ ، يَبْلُغُونَنِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ .

فعلى هذا لا فرق بين السلام من قرب ، أو بعد .

وعن أبي هريرة عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ <sup>(٤)</sup> .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي ، وَكَلَّ اللَّهُ بِهِ

(١) تاريخ ابن عساكر ، ص ٢٦٣ .

(٢) عبد القاهر بن طاهر البغدادي الأسفراييني ، ولد ونشأ في بغداد ، ورحل إلى خراسان واستقرَّ في نيسابور ، ومات في أسفرائين . له مؤلفات كثيرة .

(٣) كنز العمال ، ج ١ ، ص ٥٠٦ .

(٤) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، ج ١ ، ص ٤٨٨ ، الباب السادس في الصلاة عليه وعلى آله ، حديث ٢١٩٧ .

ملكاً يبلغني<sup>(١)</sup> .

وروى ابن أوس مرفوعاً عن النبي (ص) أنه قال : أكثرُوا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة ، فإن صلاتكم معروضةٌ عليَّ ، قالوا : أو كيف تعرض عليك وأنت رميم؟! فقال : إن الله حَرَّمَ على الأرض لحوم الأنبياء<sup>(٢)</sup> . وهذا يعم الأنبياء (صلى الله عليهم) .

وروى الحافظ عن النبي (ص) أنه قال : علمي بعد مماتي كعلمي في حياتي<sup>(٣)</sup> .

وعن النبي (ص) : إنَّ الله وَكَّلَ مَلَكاً يُسَمِّعُنِي أَقْوَالَ الْخَلَائِقِ ، يقوم على قبري ، فلا يُصَلِّي عليَّ أحدٌ إلَّا قال : يا مُحَمَّدُ (فلان) بن (فلان) يُصَلِّي عليك ، صلُّوا عليَّ حيثما كنتم ، فإن صلاتكم تبلغني .

وعن النبي (ص) : إنَّ أَعْمَالَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ<sup>(٤)</sup> .

والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى ، وفيها دلالة على أنه (ص) يُخاطَبُ في مماته كما يُخاطَبُ في حياته ، بل يظهر من بعض الروايات<sup>(٥)</sup> أنَّ كلامه يسمعه بعض الخواص .

أخرج أبو نعيم في دلائل النبوة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لقد كنتُ في مسجد رسول الله (ص) ، فما يأتي وقت صلاةٍ إلَّا سمعتُ الأذان من القبر .

وأخرج ابن سعد في الطبقات ، عن سعيد بن المسيب أنه كان يلزم المسجد أيام الحرَّة ، فإذا جاء الصبح سمع أذاناً من القبر الشريف<sup>(٦)</sup> .

وأخرج زبير بن بكار<sup>(٧)</sup> في أخبار المدينة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لم أزل أسمع الأذان والأقامة من قبر رسول الله (ص) أيام الحرَّة ، حتى عاد الناس .

وأخرج الدارمي في مسنده ، عن مروان ، عن سعيد بن عبد العزيز أنه كان لا يعرف وقت الصلاة إلَّا بهمهمةٍ تخرج من القبر<sup>(٨)</sup> .

(١) كنز العمال ، حديث ٢١٩٦ .

(٢) كنز العمال ، ج١ ، الباب السادس ، حديث ٢١٤١ .

(٣) كنز العمال ، ج١ ، الباب السادس ، حديث ٢٢٤٢ .

(٤) صحيح مسلم (كتاب المساجد) ، باب ٥٧ ؛ ومسند أحمد بن حنبل ، الكتاب الخامس .

(٥) في النسخة المطبوعة : الأخبار .

(٦) الطبقات الكبرى ، ج٥ ، ص ١٣٢ .

(٧) الزبير بن بكار ، من أهل المدينة ، توفى سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م عن (٨٤) عاماً . له مؤلفات في الأنساب والتاريخ .

(٨) سنن الدارمي ، ج١ ، ص ٥٦ .

## الفصل الثاني

### في حياة سائر الشهداء والأنبياء

قد سبق أن الأرض لا تأكل لحومهم .

قال البيهقي في كتاب الاعتقاد<sup>(١)</sup> : إِنَّ الأنبياء بعدما قُبِضُوا رُذَّتْ إليهم أرواحهم ، فهم أحياء كالشهداء .

وقال القرطبي في التذكرة<sup>(٢)</sup> : الموت ليس عدماً محضاً ، يدل على ذلك أن الشهداء أحياء ، فالأنبياء أولى ، وقد صحَّ أَنَّ الأرض لا تأكل أجساد الأنبياء ، وأنَّ النبي (ص) اجتمع بالأنبياء ليلة الأسراء في بيت المقدس وفي السماء .

وقال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي شيخ الشافعي : إِنَّ الأنبياء لا تبلى أجسادهم ، ولا تأكل الأرض منهم شيئاً ، وقد إلتقى نبينا مُحَمَّد (ص) مع إبراهيم ، وموسى بن عمران .

وعن أنس ، عن النبي (ص) إِنَّه مرَّ بقتلى بدر فكلَّمهم ، فقال له أصحابه : كيف تُكلَّم أجساداً لا أرواح فيها؟ فقال : لستم أسمع منهم لكنهم لا يتكلمون .

وعن قتيبة وأبي الفضل ، عن ابن عباس أَنَّ الحواريين قالوا لعيسى : أحي لنا يحيى بن زكريا ، حتى ننظر إلى وجهه ، فنخرج معهم وأحياء ، وإذا نصف شعر رأسه أبيض ، وقد كان أسوداً فسألوه ، فقال : لما نوديت زعمتُ أنها القيامة ، فقال عيسى : أتريد أن أسأل الله أن يردك إلى الدنيا؟ فقال : إن مرارة الموت لم تخرج من حلقي بعد .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) أنه مرَّ بابراهيم يُصَلِّي ، وبموسى يُصَلِّي . وفي حديث المعراج أنه مرَّ بكثير من الأنبياء يصلون .

وقال الحافظ شيخ السنة أبو بكر البيهقي في الإعتقاد : إن الأنبياء تُردُّ إليهم أرواحهم بعدما يقبضون ، فهم أحياء عند ربهم كالشهداء ، وقد رأى النبي (ص) جماعة منهم ، وصلُّوا خلفه ، وقد أخبر هو عن ذلك ، وخبره صدق ، أَنَّ صلاتنا تُعرضُ عليه ، وأنَّ

(١) الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد للحافظ البيهقي الشافعي ، طبع في بيروت سنة ١٩٨٨ م .

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة لشمس الدين محمد بن أحمد القرطبي المتوفى سنة ٦٧١ هـ ، وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٩٨١ م ضمن جزأين .

الأرض لا تأكل من لحمه .

وعن الشيخ عفيف الدين أنَّ الأولياء من جملة خصائصهم رؤيا الأنبياء .  
وقال الشيخ تقي الدين السبكي : إنَّ حياة الأنبياء والشهداء في القبور كحياتهم في الدنيا ، ويدل عليه صلاة موسى وجماعة من الأنبياء ليلة الأسراء مع النبي (ص) .  
وروى الثقات عن أنس مرفوعاً ، عن النبي (ص) : إنَّ الأنبياء أحياء في قبورهم .  
وعن النبي (ص) أنه قال : مررتُ بقبر موسى بن عمران فرأيتُهُ يُصَلِّي<sup>(١)</sup> .  
وقال الله تعالى في حق مَنْ قُتِلُوا في سبيل الله : «أَحْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»<sup>(٢)</sup> إلى غير ذلك من الأخبار .

## الفصل الثالث

### في حياة سائر الموتى

روى ابن عباس مرفوعاً عن النبي (ص) أنه قال : ما من أحدٍ يمر بقبر أخيه المؤمن فيسلم عليه إلاَّ عرفه ، وردَّ عليه السلام .  
وفي رواية : ما من أحدٍ يمر بقبر رجلٍ يعرفه إلاَّ عرفه وردَّ عليه السلام<sup>(٣)</sup> .  
ونقل أبو عبد الله البخاري أنَّ الشهداء وسائر المؤمنين إذا زارهم المسلم وسلَّم عليهم ، عرفوه وردوا عليه السلام .  
وروى الثعلبي في تفسيره ، وابن المغازلي الواسطي في المناقب : أنَّ النبيَّ (ص) ، وأصحابه لما حملهم البساط ، وصلَّوا إلى موضع أهل (الكهف) ، فقال : سلَّموا عليهم ، فسلَّموا عليهم ، ولم يردوا ، فسلم النبي (ص) عليهم ، فقالوا : وعليك السلام ورحمة الله<sup>(٤)</sup> .

وأخرج الشيخ ابن حيار في كتاب (الوصايا) ، عن قيس ، قال : قال النبي (ص) : من

(١) تُراجع هذه الأحاديث في كنز العمال ، الفصل الثالث في زيارة القبور ، المجلد الخامس .

(٢) القرآن الكريم : ١٦٩/٣ (سورة آل عمران) .

(٣) كنز العمال ، ج ٥ ، ص ٦٤٦ .

(٤) ابن المغازلي ، مناقب علي بن أبي طالب ، ص ٢ .



غافلاً لو علمتَ بما نحن فيه لذاب لحمك وجسمك ، كما يذوب الثلج في النار<sup>(١)</sup> .

وعن الضحاك ، عن ابن عباس ، عن النبي (ص) أنه قال : إن الموتى ينادون في كل يوم ثلاث مرات من قبورهم : يا أهل الديار عجلوا عجلوا ، فأثما نحن محبوسون من أجلكم ، الرحيل الرحيل ، لا تحبسوا إخوانكم ، خربوا ما بنيتم ، وأتركوا ما جمعتم ، نورثم البيوت ، وأظلمتم القبور ، وبنيتم البيوت ، ونسيتم القبور ، وعمرتم البيوت ، وخربت القبور ، ووسعت البيوت ، وضيقتم القبور ، (وذكروا غير ذلك)<sup>(٢)</sup> .

وعن أبي عبد الله محمد بن عمر ، يروي عن عمر ، عن النبي (ص) أنه قال : ما من يوم يمضي إلا ومَلَكٌ يهتف : يا أهل القبور مَنْ تغبطون اليوم ، فيقولون : نغبط أهل المساجد ، يصلُّون في مساجدهم ، ويصومون ويصدِّقون ، ولا نقدر نصلي ونصوم ونتصدق .

وعن محمد بن أبي عبد الله بن الفضل ، عن محمد بن كعب ، قال : مرَّ عيسى على قبر ، فرأى فيه عذاباً شديداً ، فدعا الله حتى أحياه ، فقال له عيسى : فَلِمَ تُعَذِّبُ . قال : كنتُ جالساً في سوق (مصر) ، وقد أكلتُ شيئاً ، فأخذتُ عُودَةً من حزمة شوك لأخلل أسناني بها ، ومثُّ منذ أربعة آلاف سنة وأنا في عذابها ، ثم قال : يا روح الله منذ أربعة آلاف سنة ومرارة الموت باقية في حلقي . فقال عيسى : اللَّهُمَّ يسِّرْ علينا سكرات الموت .

وعن وهب بن منبه أن عيسى (ع) مرَّ على نهر فيه ماء عذب ، وحوله خابية<sup>(٣)</sup> ، كلما يوضع فيها من ذلك الماء يصير مالحاً ، فقال : إِلَهِي ما خبر هذا الماء المالح؟! فأذن الله للخابية بالكلام ، فقالت : إني كنتُ آدمياً ، فبقيتُ في قبوري ثلاثمائة سنة ، ثم جاء لبَّانٌ ، فضرب ترابي لِبَنًا ، وبنيت في قصر ثلاثمائة سنة ، ثم خرب القصر ، فبقيتُ تراباً مائتي سنة ، ثم جاء شخص فجعلني (حباً) ، ووضعني سقاية على شاطئ هذا النهر من مائة سنة وكل ما يجعل فيَّ يكون مالحاً ، لما في من مرارة نزع الروح ، وأنا معذب منذ مِتُّ ، لأنني أخذتُ إبرة من جاري ، وما رددتها حتى مِتُّ . فما أدري أن عذابي أشد أم مرارة الموت ، فقال عيسى : اللَّهُمَّ يسِّرْ عليَّ الموت ، ونجني من عذاب القبر . . . (الحدِيث) . وقد ذكرنا من مضمونه محل الحاجة .

وعن عائشة ، عن النبي (ص) : إنَّ أشدَّ الأحوال على الميت حين يدخل (الغسال) داره ليغسله ، فيخرج خواتم الشبان من أصابعهم ، وينزع قميص العروس من بدنِها ، ويرفع

(١) في النسخة المطبوعة : الملح بالماء .

(٢) كنز العمال ، جـ ١٥ ، ص ٦٢٦ .

(٣) الخابية : الجرة الكبيرة المستعملة لحفظ الماء .



عمائم المشايخ عن رؤوسهم . فعند ذلك يقول بصوت يسمع الخلائق غير الثقلين : يا غسال بالله عليك إنزع ثيابي برفق ، فأني الساعة استرحتُ من مخالب مَلِك الموت ، فأذا صب عليه الماء صاح كذلك . فإذا رُفِعَ عن المغتسل ، وشدَّ مواضع قدميه بالكفن ، يقول : بالله عليك لا تشد رأس كفني ليرى وجهي أهلي وأولادي وعروسي التي كنتُ أحبُّها ، وينظرُ إلى وجهي أقربائي ، وأحبائي وإخواني ، وجيراني ، ورفقائي ، فأن هذه آخر رؤيائي .

فإذا خرج من الدار ، نادى بالله عليكم يا حملة نعشي لا تُعَجِّلُوا بي ، حتى أودَّع داري التي بنيتها ، وزينتها ونقشتها بأنواع النقوش ، وأهلي ومالي وأولادي ، فأن هذا خروجٌ لا مردُّ بعده إلى يوم القيامة .

فإذا رُفِعت الجنازة ، نادى يا حملة نعشي بالله عليكم لا تُعَجِّلُوا بي ، حتى أسمع أصوات أولادي الذين يَعُولُونَ خلف جنازتي ، وعروسي التي تبكي عليّ ، ووالدي الذي تقوَّس ظهره لموتي ، ووالدتي التي شدَّتْ وسطها بالمنديل لمفارقتي ، وقد نشرتْ شعرها ، وضربتْ صدرها ، وتقوَّس ظهرها ، وأبيضَّتْ عيناها لفقدني .

فإذا صُلِّيَ على جنازته ، ورُفِعَ من المصلى ، ورجع بعض أصدقائه ، يقول : يا إخوتاه كنتُ أعلمُ أنَّ الميت ينساه الأحياء ، لكن لا بهذه السرعة ، رجعتُم قبل أن تدفنوني ، ونسيتموني بهذه السرعة ، وجسمي بعد بين أظهركم .

فإذا وُضِعَ في لحده ، ووُضِعَ عليه التراب ، ينادي وأ ورثاه ، تركتُ لكم الكثير ، فلا تنسوني ، تصدَّقوا عني على فقرائكم ، ولو بكسرة خبز محترق ، وعلمتكم القرآن والأدب ، فلا تنسوني من الدعاء ، فأني صرت محتاجاً ، كفقرائكم على أبوابكم ، ومحتاجاً إلى دعائكم ، كصاحب حاجتكم الى ساداتكم<sup>(١)</sup> .

وبما يدل على بقاء حياتهم في قبورهم ، ما دلَّ على أنَّ الميت بعدما يُسأل ، يُفتح له بابٌ إلى الجنة ، إن كان من أهل الخير ، أو إلى النار إن كان من أهل الشر ، وبقاء اللذة والألم ظاهرٌ في بقاء أثر الحياة .

وعن عبد الله بن عمر ، قال : قال رسول الله (ص) : إذا مات أحدكم ، عرض عليه مقعده بالغدوة والعشي ، إن خيراً فخير ، وإن شراً فشر .

وعن أبي هريرة ، عن النبي (ص) : إنَّ الميتَ يُسأل في قبره عن النبي (ص) ، فأن

(١) تُراجع هذه الأحاديث في الجزء الخامس عشر من كنز العمال في الباب الأول (في ذكر الموت وفضائله) ، حديث ٤٢٠٩٤ حتى حديث ٤٣٠١١ (من ص ٥٤٨ حتى ص ٧٥٨) .

أجاب بالحق قيل له : نَمَ نومة العروس ، وإلا فُتِحَ له بابٌ إلى قبره يكون معذباً إلى يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

وعن البراء بن عازب ، عن النبي (ص) ، قال : يأتيه ملكان يجلسانه ، ثم ذكر أنهما يسألانه ، فأن أجاب بحق ، فُتِحَ له بابٌ إلى الجنة ، فيأتيه من روحها وطيبها ، وإلا يُفْتَحُ له بابٌ إلى النار ، فيأتيه من حرّها وسمومها . الى غير ذلك من الأخبار الكثيرة الدالة على أنهم في قبورهم يتلذذون ويتألمون ، وهذا من توابع الحياة ولوازمها .

وكيف كان فقد بلغت هذه الأخبار فوق التواتر ، وبعد عموم قدرة الفاعل المختار ، لا بُدَّ ولا غرابة في مداليلها .

وما دلَّ من الكتاب والسنة على أنَّ الأحياء يكون عند النفخ في (الصُّور) ، فقد بيَّنا أنَّ المراد : إمَّا الحياة على النحو المعهود من تلك الأشخاص الخاصة بعينها ، أو يُرادُّ أنَّه يوم البروز والظهور على عيون الأشهاد .

وإذا تبَيَّنَ بهذه الأخبار المتواترة ، أنهم يسمعون ويعقلون ويعرفون مَنْ يُخاطَبُهُمْ ، صحَّ لنا أنَّ نخاطبهم مخاطبة الأحياء فنلتمس دعاءهم ، ونقسم عليهم بالأقسام في أنَّ يكونوا شفعاء لنا في الدنيا وفي يوم القيام ، لأنَّ الشفاعة أظهر فريدها أنها دعاء خاص ، واختصاص الخواص بها باعتبار قبولها .

فلو قال قائلٌ لنبيٍّ ، أو وصيٍّ ، أو عبدٍ صالح : إشفع لي ، أو إدع لي ، أو أغثنني ، أو أعني (أي بدعائك) ، أو قال : إقض لي حاجتي ، أو إرزقني مالا ، وأدفع الضرر عني ، ونحو ذلك ولا يريد سوى التوسط بالدعاء وسؤال الله ، لم يكن عليه شيء .

وقد وقع كثيرٌ من ذلك في كلام الصحابة والتابعين ، بل ربُّما كان هذا التعبير أولى ، لدلالته على قرب منزلة العبد عند مولاه واحترامه ، فتكون شهادة له بنبوته ، وقرب منزلته .

وليس على مَنْ قال للعبد المقرَّب ، أو إلى الخادم المقرَّب : إقض حاجتي ، (بمعنى إسع لي في قضائها عند مولاك) ، بأسٌ ، بل هو أنسب في التواضع الى المولى .

وأما مَنْ قال مثل ذلك معتقداً أنَّ الأنبياء والأوصياء بأيديهم الأمر أصالةً ، يفعلون ما يشاؤون ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين .

(١) سنن الترمذي (كتاب الجنائز) ، باب ٧٠ - ما جاء في عذاب القبر - حديث ١٠٧١ .

وإني قد طفتُ بشطر من بلاد المسلمين ، وخالطتُ كثيراً منهم منذ سنين ، فلم أرَ أحداً يعتقد أن في الوجود فاعلاً مختاراً سوى الفاعل المختار العزيز الجبار تبارك وتعالى ، وذلك مراد (العوام) في خطاباتهم ، فضلاً عن العلماء الأعلام ، إلا أنهم لا يمكنهم كشف الحال ، وإن كان مقصدهم ذلك على الأجمال . نسأل الله وإياكم طريق السداد والنجاة من أهوال يوم المعاد .

## الباب الثاني في الزيارات

وفيه فصلان :

### الفصل الأول

#### في زيارة قبر النبي (ص)

روى الدارقطني في السنن وغيرها ، والبيهقي ، وغيرهما من طريق موسى بن هلال العبدى ، عن عبد الله العمري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله (ص) : مَنْ زار قبري وجبت له شفاعتي .

وعن نافع ، عن سالم ، عن ابن عمر مرفوعاً ، عن النبي (ص) أنه قال : مَنْ جَاءني زائراً ليس له حاجة إلا زيارتي ، كان حقاً عليّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة .

وعن ليث ، عن مجاهد ، عن ابن عمر مرفوعاً عن النبي (ص) : مَنْ حَجَّ وزار قبري بعد وفاتي ، كان كَمَنْ زارني في حياتي .

وروي عن عائشة أيضاً ، وعن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ، قال : مَنْ زارني كنتُ له شهيداً أو شفيعاً .

وعن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي (ص) ، قال : مَنْ حَجَّ فلم يزرنِي ، فقد جفاني <sup>(١)</sup> .  
وعن أبي هريرة مرفوعاً ، عن النبي (ص) ، قال : مَنْ زارني بعد موتي ، فكأنما زارني حياً <sup>(٢)</sup> .

(١) تُراجع هذه الأحاديث في سنن البيهقي ، جه (كتاب الحج) ، باب زيارة قبر النبي (ص) .  
(٢) كنز العمال (باب زيارة قبر النبي) ، المجلد الخامس ، حديث ١٢٣٨٢ .

وعن أنس مرفوعاً ، عن النبي (ص) ، قال مَنْ زارني في المدينة ، كنتُ له شهيداً أو شفيعاً يوم القيامة<sup>(١)</sup> .

وعن أنس مرفوعاً عن النبي (ص) قال : مَنْ زارني ميتاً كَمَنْ زارني حياً ، وَمَنْ زار قبري وجبتْ له شفاعتي يوم القيامة .

وعن ابن عباس ، عن النبي (ص) قال : مَنْ زارني في مماتي ، كان كمن زارني في حياتي ، وَمَنْ لم يزرنِي فقد جفاني .

وعن علي (ع) مرفوعاً ، عن النبي (ص) : مَنْ زار قبري بعد مماتي ، فكأنما زارني في حياتي ، وَمَنْ لم يزرنِي فقد جفاني .

وعن ابن عباس ، عن النبي (ص) ، قال : مَنْ حجَّ وقصدني في مسجدي ، كانت له حجتان مبرورتان .

وروى ابن عساكر ، عن علي (ع) ، قال مَنْ زار قبر رسول الله (ص) كان في جوار رسول الله (ص) .

وعن بكر بن عبد الله مرفوعاً ، عن النبي (ص) ، قال : مَنْ أتى المدينة زائراً لي ، وجبتْ له الجنة .

وعن كعب الأحبار أَنَّ عمر لما فتحَ بيت المقدس ، قال لي : هل لك أن تسير معي الى المدينة نزور قبر النبي (ص) فذهبتُ معه ، فلما دخل بدأ بالمسجد ، وسلَّمَ على النبي (ص) .

وفي الموطأ عن ابن عمر كان يقف عند قبر النبي (ص) ، فيُسَلِّم عليه ، وعلى أبي بكر ، وعمر .

وسئل نافع هل كان ابن عمر يسَلِّم على قبر النبي (ص)؟! فقال : رأيتهُ مائة مرة أو أكثر يُسَلِّم على النبي (ص) ، وعلى أبي بكر ، وعمر .

وعن ابن عمر : أَنَّ سُنَّةَ السلام من قبل القبلة .

ونقل الدارقطني ، عن علي (ع) أنه دخل المسجد فسلم على القبر . وروى عن آل الخطاب ، وعن بعض الحفاظ زيارة النبي (ص) .

---

(١) كنز العمال (باب زيارة قبر النبي - ص -) ، المجلد ١٥ ، حديث ٤٢٥٨٤ .

وكيف كان ، فالروايات في استحباب زيارته وشفاعته لزواره ، داخلة في قسم المتواتر ، وعمل الصحابة ، والتابعين ، وأهل البيت أجمعين على ذلك .

قال عياض : زيارة قبر رسول الله (ص) سنة ، أجمع عليها المسلمون . وروى غيره إجماع المسلمين قولاً وفعلًا على استحباب زيارته ، وصريح بعضها<sup>(١)</sup> أن شد الرحال إليها لا مانع منه .

وفيما دل على استحباب التعظيم ، وأن حرمة الأموات كحرمة الأحياء ، كفاية .

## الفصل الثاني

### في زيارة باقي القبور

قد مر في الأخبار الماضية زيارة الصحابة قبري الشيخين .

وروى بريدة عن النبي (ص) : إني نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها<sup>(٢)</sup> .

ولعل السر - والله أعلم - أنه في مبدأ الإسلام كانت زيارة القبور وتذكار الموتى والقتلى ، باعثاً على الجبن عن الجهاد ، حتى إذا قوي الإسلام أمرهم بها . ونحو ذلك في خبر آخر .

وعن أبي هريرة ، أن النبي (ص) زار قبر أمه ، ولم يستغفر لها ، قال : أُمِرْتُ بالزيارة ، ونهيتُ عن الاستغفار ، فزوروا القبور ، فأُنْهَى تذكُر الموت<sup>(٣)</sup> .

وعن بريدة أن النبي (ص) كان إذا خرج إلى المقابر ، قال : «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين» ، رواه مسلم<sup>(٤)</sup> .

وعن عائشة أن النبي (ص) كان يخرج إلى البقيع آخر الليل ، فيقول : السلام عليكم . . . (الخبر) ، رواه مسلم<sup>(٥)</sup> .

(١) في النسخة المطبوعة : وصرح بعضهم .

(٢) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، المجلد الثاني ، باب ٣٦ ، حديث ١٠٦ ؛ وسنن ابن ماجه (باب ما جاء في زيارة القبور) ، باب ٤٧ ، حديث ١٥٧١ .

(٣) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، باب استئذان النبي (ص) ربه في زيارة قبر أمه ، حديث ١٠٨ .

(٤) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، باب ما يقال عند دخول القبور ، حديث ١٠٤ .

(٥) صحيح مسلم (كتاب الجنائز) ، باب ما يقال عند دخول القبور ، حديث ١٠٢ .

وكيف كان فالأخبار متظافرة على زيارة القبور ، ولا حاجة لنقل جميعها . وفيما ورد من أنَّ حرمة المسلم ميتاً كحرمة حياً دلالة على ذلك ، وزيارة النبي (ص) ، والصحابة لقبور الشهداء أوضح من الشمس في رابعة النهار .

## الباب الثالث

### في التبرك بالقبور ونحوها

يختلف العلماء من أهل السنة والجماعة في جواز التبرك بالقبور ، فمنهم : من أجازاه على كراهة .

قال النووي : لا يجوز أن يُطافَ بقبر النبي (ص) ، ويكره إلصاق البطن والظهر به . قال : ويكره مسُّه باليد وتقبيله ، بل الأدب أن يبعد عنه ، كما لو حضر في حياته .

وكلامه ظاهرٌ في أنَّ المسَّ أبعد من التعظيم ، وشبهة العبودية .

وذكر ابن عساكر في (تُحْفِهِ) ، عن ابن عمر أنه كان يكره مسَّ قبر النبي (ص) .

ويظهر من بعضهم ندبه وأستحبابه .

نقل عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب العلل والسؤالات ، قال : سألتُ أبي عن الرجل يس منبر رسول الله (ص) ، يتبرك بمسه وتقبيله ، ويفعل بالقبر ذلك رجاء ثواب الله تعالى ، فقال : لا بأس به .

وعن إسماعيل أن ابن المنكر<sup>(١)</sup> يصيبه الصمات ، فكان يقوم ويضع خدَّه على قبر النبي (ص) ، فعُوتِبَ في ذلك ، فقال : يستشفى بقبر النبي (ص) . والأستشفاء أعظم من التبرك .

ونقل عن ابن أبي الضيف ، والحب الطبري ، جواز تقبيل قبور الصالحين ، وظاهره الندب .

وفي رواية عن ابن حنبل أني لا أعرف التمسح بالقبر ، أما المنبر فنعم ، لما روي أن ابن عمر كان يفعله .

ونقل عن مالك التبرك بالمنبر .

(١) محمد بن المنكر القرشي التيمي أحد الأئمة التابعين ، تُوفي سنة ١٣٠هـ / ٧٤٨م .

وروي عن يحيى بن سعيد شيخ مالك أنه حينما أراد الخروج إلى العراق ، جاء إلى المنبر ، وتمسّح به .

وقال السبكي : مَنَعَ التمسح بالقبر ليس مما قام الأجماع عليه . وأستدل بما رواه يحيى بن الحسن ، عن عمر بن خالد ، عن أبي نباته ، عن كثير بن يزيد ، عن المطلب بن عبد الله ، قال : أقبل مروان بن الحكم ، فإذا رجلاً ملتزم القبر ، فأخذ مروان برقبته وقال : ما تصنع ؟ فقال : إني لم آت الحجر ولا اللبن ، إنما جئتُ رسول الله (ص) . وذكر رواية أحمد ، قال : وكان الرجل أبا أيوب الأنصاري .

ونقلَ هذه الرواية أحمد ، وزاد فيها : أنه قال : سمعتُ رسول الله يقول : لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ، ولكن إبكوا عليه إذا وليه غير أهله .

وعن أبي الدرداء أن بلالاً رأى النبي (ص) في المنام ، فقال له : ما هذه الجفوة يا بلال ، أما لك أن تزورني ؟ فانتبه حزناً خائفاً ، فركب راحته ، وقصد المدينة ، فأتى قبر النبي (ص) فجعل يبكي عنده ، ويمرغ وجهه عليه ، إلى أن ذكر حضور الحسين وبكاء أهل المدينة ، وأذأن بلال ، قال : فما رُئي أكثر باكياً ولا باكية بعد رسول الله (ص) من ذلك اليوم .

وذكر ابن حملة أن (بلالاً) وضع خديه على القبر ، وأن ابن عمر كان يضع يده اليمنى عليه .

ونقلَ عن مالك ، والزعفراني تحريمه ، وهو الظاهر من كلام أنس بن مالك ، حيث قال : ما كنا نعرفه .

وكيف كان كيف يدعى المس والتبرك عبادة مع أنه أبعد عن التعظيم ، وقضية الذم على عبادة يعقوق ويغوث ونسر ، ليس من جهة التبرك ، كما نصَّ عليه المفسرون<sup>(١)</sup> ، حيث قالوا : تبركت الآباء فانتهى الأمر إلى عبادة الأبناء ، فوقع الذم على الأبناء .

وتحقيق الحال : أن التقبيل على أنحاء :

منها : تقبيل الحبة ، لأن من أحبَّ شخصاً أحبَّ مكانه ، وثيابه ، وداره ، ومزاره ، فلا يكون تقبيل الأعتاب ، والجدران ، والأبواب إلا كتقبيل بعض ثياب الأحياء ، فهو من قبيل قوله :

(١) في تفسير الآية (٢٣) من سورة نوح .

أَمْرٌ عَلَى الدِّيارِ دِيَارٍ (لَيْلَى) أَقْبَلُ ذَا الْجِدَارَ وَذَا الْجِدَارَا  
وَمَا حُبُّ الدِّيارِ شَغَفَنَ قَلْبِي وَلَكِنْ حُبُّ مَنْ سَكَنَ الدِّيارَا

وَسُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) عَنْ تَقْبِيلِ الْيَدِ ، فَنَهَى عَنْ ذَلِكَ ، إِلَّا فِي تَقْبِيلِ يَدِ الزَّوْجَةِ  
لِلشَّهْوَةِ ، وَيَدِ الْوَلَدِ لِلْمَحَبَّةِ .

وعن علي (ع) انه ، قال : قال رسول الله (ص) بعد فتح خيبر : لولا أن تقول فيك  
طوائف من أمتي ما قالت النصارى في عيسى بن مريم ، لقلتُ اليوم فيك مقالاً ، لا تمر  
على ملام من المسلمين إلا أخذوا من تراب رجلك ، وفضل طهورك يستشفون به ، ولكن  
حسبك أنك مني وأنا منك<sup>(١)</sup> .

وروي عن علي (ع) أنه قال : قدم علينا أعرابي بعد دفن النبي (ص) بثلاثة أيام ،  
فرمى بنفسه على القبر ، وحثاً من ترابه على رأسه .

وعلى كل حال فالذي يظهر بعد تحقيق النظر أن التقبيل للمحبة من قبيل تقبيل الوالد  
لولده<sup>(٢)</sup> ، والأرحام بعضهم لبعض فلو قبل بعضهم جدران بعض ، أو ثياب بعض ، أو  
مكان بعض ، حباً وإرادة ، لا تعظيماً ولا عبادةً ، فليس فيه بأس .

وأما قصد التعظيم والأكرام ، فليس فيه خروج عن ملة الإسلام ، قصارى ما هناك أنه  
عدّه بعض العلماء من الآثام ، فليس على الفاعل عن دليل في الرد عليه من سبيل . وأما  
من فعل مشرعاً فهو عاصٍ لربه ، حتى يتوب عن ذنبه .

ولقد نقل عن بعض أمراء دار السلام بغداد أنه وشى بعض الوشاة على جماعة أنهم  
يَقْبَلُونَ أَعْتَابَ الْأَوْلِيَاءِ ، فقال : سبحان الله في كل يوم تقبلون جلد الميتة «يعني الفروة  
التي هو لا بسها» ، ولا تقبلون أعتاب أبواب الأولياء .

وعلى أي تقدير ، فالغرض إنما هو نفي (التكفير) . ونسبة فعل هؤلاء إلى فعل عبدة  
الأصنام خروج عن الأنصاف في هذا المقام ، لأنّ الذاهبين إلى الجواز منا إنما أخذوا عن  
الدليل ، لا مجرد الاختراع والابتداع ، فأن اشتبهوا غُذِرُوا وأُجِرُوا .

فمن قبل الحجر الأسود ، والركن اليماني ، أو باقي الأركان ، أو مسّها ، أو لزم  
المستجار ، فقد تبرك بتلك الأحجار ، لأنها بأمرٍ من العزيز الجبار ، ولو أخطأ الأمر ، كان

(١) نهج البلاغة ، ج-٢ ، ص ٤٤٩ .  
(٢) في النسخة المطبوعة : «الوالدة لولدها» .



مثاباً .

ومن طاف بين (المروتين) ، عملاً بالكتاب وسنة سيد الثقلين ، لم يكن عليه مؤاخذه في البين .

وطوائف المسلمين بأجمعهم لا يتبرك منهم أحدٌ بقبر أو غيره ، إلا بزعم أنه مأمورٌ من الله ، ومن تبرك قاصداً للعبادة ، فهو خارجٌ عن ربة المسلمين .

ومن البين المعلوم أنه لو أمر (المولى) عبده بالتبرك بثياب عبده المقرب ، أو مكانه ، أو قبره ، فأمثل ، كان مطيعاً لمولاه ، لا للعبد الذي قرّبه وأدناه .

فأقسمتُ عليك بمن جمع بيننا في كلمة الإسلام ، وألف بين قلوبنا في هذه الأيام ، أن تنفرد عن الأصحاب إذا ورد عليك (الكتاب) ، وترى نفسك كأنك الآن خلقت من تراب ، وتبذل الجهد في تمييز الخطأ من الصواب ، فأنت - والله<sup>(١)</sup> - لا حاجة بنا إلا إليه ، ولا اعتماد لنا إلا عليه .

وليس لنا مع الأنبياء والأولياء قرابة نسب ، ولا لهم علينا ما نخاف منه الطلب ، وإنما عظمتناهم لأمر الله ، وأخذنا بأقوالهم عملاً بقول رسول الله ، وما أبرئ نفسي إن النفس لأماراة بالسوء إلا ما رحم ربي .

وكشف الحال على وجه يدفع ما قيل أو يقال : إن التواضع والتبرك والأكرام والاحترام لما هو مُعظم عند الملك العلام من تعظيم الله ، كما أن قرآنه وبيته ، ومساجده لانتسابها إليه ، إحترامٌ له تبارك وتعالى . فمن عظم عيسى ومريم وعزير لعبوديتهم ، وقرب منزلتهم ، فهو معظم لله .

كما أن من عظم بيت السلطان وعبيده وغلماؤه وأتباعه من حيث التبعية ، يكون معظماً للسلطان . وأما من (وجدها) قابلةً للتعظيم ، وأهلاً له من حيث ذاتها لا لأجل العبودية والتابعة ، وإن كان غرضه التقريب زلفى ، إنما يكون معظماً لها ، لا للسلطان .

وإني منذ ثلاثين حجة أنظر في حال طوائف المسلمين ، محقيهم ومبطلهم ، فلم أجد أحداً يعظم كتاباً ، أو نبياً ، أو مكاناً ، أو عبداً صالحاً من غير قصد قرينة من الله ، أو انتسابه إليه ، فقد ظهر أن هذا كله من باب طاعة الله وتعظيمه .

وأما عبدة الأصنام والعباد الصالحين ، فأنما أرادوا عبادتهم حق العبادة ، كأن يُصلّوا

(١) في النسخة المطبوعة : فأنا وأنت .

لهم ، يصوموا ويكون ذلك لأستحقاقهم بربوبيتهم في أنفسهم ، أو للتقريب زلفى ، فهي عبادة حقيقية على الوجهين .

وعلى كل من الاحتمالين على أني ذكرتُ مكرراً أنهم عاندوا الرسل ، وكذبوهم ، واستهزؤا بهم ، وقالوا أيضاً : لا طاقة لنا بعبادة الله ، وإنما نعبد الأصنام لأنَّ عبادتهم مقدورة لنا ، وهم يقربونا إلى الله زلفى ، ولقد نقلتُ روايةً مشتملةً على ذلك المعنى في مقام آخر . فالفرق بين الأمرين أوضح مما يُرى رأي العين .

فبحقَّ مَنْ شقَّ لك السمع والبصر ، وسلَّطَكَ على طوائف من الأعراب والحضر ، أنْ تُوجِّهَ ذهنَكَ الوَقَاد ، وفكرَكَ النقَّاد ، صافياً عن ملاحظة العصبية والعناد ، وتجعل مناظرتنا كأنَّها حين حلولنا في المقابر ، وانصرافنا عن مرارة الدنيا ، طالبين للنعيم الفاخر ، وحضورنا يوم فصل القضاء بين يدي جبار الأرض والسماء ، وكأنَّ الملائكة بيننا شهود ، وقد حضرنا في اليوم الموعود ، وقد فارقتنا الأموال والأولاد ، وانقطعنا إلى ربِّ العباد .  
اللَّهُمَّ إجمع بيننا بالحقِّ ، واعصمنا عن الميل إلى رضا الخلق .

## الباب الرابع

### في بناء قبور الأنبياء والأولياء وتعميرها وتعليق بنائها وتشديد أركانها

لا يخفى على مَنْ أمعن النظر ، وتتبع الآثار والسير ، أنَّ الأزمنة مختلفة الأحوال بالنسبة إلى جميع الأقوال والأفعال ، فربَّ شيءٍ كان في قديم الزمان في أعلى مراتب الاستحسان ، فانعكس وصار أدنى ما يكون أو كان .

وحيث أنَّ الشارع حكيم ، وبالعباد رحيم ، يراعي أحوالهم ، ففي مبدأ الإسلام لما كان المعاش ضيقاً ، والأسعار متصاعدة في المأكول والملابس ، حافظ النبي (ص) ، والصحابة في أيامهم على المأكول الخشبة ، والملابس الخشنة أو الخَلَقَة ، لئلا تنكسر قلوب الفقراء ، ولتطيب نفوسهم ، فإنهم إذا رأوا سيد الجميع لابساً رثَّ اللباس ، وأكلأ أدنى المأكول ، إستقرت نفوسهم ، وأطمئت قلوبهم ، وارتفعت كدورتهم .

ثم لما توسعت أحوال الناس ، وقوي الإسلام ، ورخصت الأسعار ، استعمل الأكثر من الخلفاء أحسن الملبوس ، وأكلوا أطيب المأكول ، وهذا التعليل مستفاد من الأخبار أيضاً .

ولذلك نقول في أمر بناء (المساجد) و(الحَضْرَات) ، فأنهم كانوا لا يرفعون البناء ، ولا يزينون الدور ، لما بهم من القصور ، فإذا كانت بيوت الله ، وبيوت أنبيائه لم يرفع بناؤها طابت نفوس الفقراء ، واطمئنَّت قلوبهم .

وأما في مثل هذه الأيام ونحوها ، حيث ارتفع بناء الدور ، فلا وجه لجعل بيوت الله أخفض منها ، وَمَنْ يرضى بتعلية بيوت الخلق على بيوت الخالق مع أنَّ في تعليتها تعظيماً لشعائر الله ، وهي البيوت التي إذن الله أن ترفع ويُذكر فيها إسمه .

و(القباب) منها ، لأنَّها جُعِلَتْ للعبادة ، وليس في بناء القباب تجديد قبر ، لأنَّ القبر باقٍ على حاله لم يجدد ، وإنَّما وضع أساس القبة بعيداً عنه ، ليكون فيها علامة على (المزار) الذي ندب إلى زيارته العزيز الجبار ، ولتكون ظلالاً للزائرين ، فلا تدخل في باب التجديد أصلاً ، وكذا صندوق الخشب ، فإنه أجنبي عن القبر لا دخل له به .

وعلى كُلِّ حال فأصل وضع البناء لهذه المقاصد الجليلة ليس فيه بأس أصلاً ، ولو تُركت العلامات ما أمكن التوصل إلى زيارة أكثر الأموات لاندراست آثارهم ، فوضِعَ هذا للتمكن من إدراك فضيلة زيارة القبور ، وكلما كان الشاهد أحكم ، كانت دلالتُه على المشعر أدوم .

وأما قضية (الزينة) فقد رُوِيَ عن علي (ع) أنَّ بعض الصحابة أشاروا على عمر أن يأخذ زينة الكعبة ليقوي بها جيوش المسلمين ، فقال له علي (ع) : إنَّ الأموال قسِّمها النبي (ص) على الفقراء ، وكانت في ذلك اليوم الحلي موجودة ولم يقسِّمها ، فلا تخالف وضع رسول الله (ص) ، فقال عمر (رض) : «لولاك إفتضحنا» ، وأبقى الحلي على حالها .

والأصل في بناء (القباب) وتعميرها ، ما رواه البناني (واعظ أهل الحجاز) عن جعفر ابن محمد ، عن أبيه ، عن جده الحسين ، عن أبيه علي أنَّ رسول الله (ص) قال له : والله لتقتلن في أرض العراق ، وتدفن بها . فقلت : يا رسول الله ما لمن زار قبورنا وعمَّرها وتعاهدها . فقال لي : يا أبا الحسن إن الله جعل قبرك وقبر ولديك بقاعاً من بقاع الجنة ، وإن الله جعل قلوب نجباء من خلقه ، وصفوة من عباده تحنُّ إليكم ، ويعمرون قبوركم ، ويكثرُونَ زيارتها ، تقرباً إلى الله تعالى ، ومودةً منهم لرسوله . يا علي مَنْ عمَّرَ قبوركم وتعاهدها ، فكأنما أعان سليمان بن داود على بناء بيت المقدس ، ومن زار قبوركم عدل ذلك ثواب سبعين حجة بعد حجة الإسلام ، وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ونُقِلَ نحو ذلك أيضاً في حديثين معتبرين : نقل أحدهما الوزير السعيد بسند ،

وثانيهما بسندٍ آخر غير ذلك السند ، ورواه أيضاً محمد بن علي بن الفضل .

فبعد دلالة هذه الأخبار على تعمير (القباب) ، واستمرار طريقة الأصحاب ، مع أنها داخلة في المواضع المعدة للطاعات ، كالمساجد ، والمدارس ، والرباطات ، مع أن فيها تعظيماً لشعائر الإسلام ، وإرغاماً لمنكري دين النبي عليه الصلاة والسلام .

وبعد أن بينا أن الحكم والمصالح تختلف باختلاف الأوقات ، وذكرنا إعتضاد ذلك بالروايات ، لم يبقَ بجزءٍ من جميع الجهات .

وعلى تقدير ثبوت الخطأ في هذا الباب ، لا يلزم على الخطئ تكفير ولا عصيان ، بل ربما يثاب ، لأن الخالي من التقصير وإن إتصف بالقصور معذور كل العذر ، بل هو مأجور .

فيا أخى لا تعارض المسلمين فيما هم عليه إن لم تترك إلى ما ركنوا اليه ، وأحملهم على المحامل الحسان ، فأنا هكذا أمرنا بحمل الإخوان ، وفقنا الله وإياكم ، وهدانا وهداكم ، والله ولي التوفيق .

وحيث إنتهى ما أردنا ذكره ، وأحببنا رسمه وسطره ، على غاية من السرعة والاستعجال ، وعدم التمكن لأستيفاء كثير مما يناسب هذا المجال ، والإستقصاء لما في كتب الأخبار والاستدلال ، أحببنا أن نضيف إلى ذلك :

## كشفُ الجواب عما تَضَمَّنَهُ ذلك الكتاب

من الإنكار على أكثر المسلمين في جميع الأقطار<sup>(١)</sup> .

أقول : إن أُريد بدعوة غير الله والاستغاثة إسناد الأمر الى المخلوق على أنه الفاعل المختار الذي تنتهي إليه المنافع والمضار ، فذلك من أقوال الكفار . والمسلمون بجملتهم براء من هذه المقالة ومن قائلها ، وما أظن أن أحداً من في بلاد المسلمين يرى هذا الرأي ، ولا سمعناه من أحد إلى يومنا هذا .

وإن أُريد أنَّ المدعو والمستغاث به له اختيار وتصرف في أمر الله تعالى ، فيحكم على الله ، فهذا أشد كفراً من الأول .

وإن أُريدَ دعاؤه والاستغاثة به للدعاء والشفاعة ، أو من التصرف في العبارة ، كما تقول : يا رحمة الله ، يا بيت الله ، يا عبد الله ، ولا تريد إلا نداء الله ودعائه ، واستغاثته ، فهذا من أعظم الطاعات ، وفيه محافظة على الآداب من كل الجهات .

وكون الدعاء عبادة إنما يجري في قسم منه ، وهو الطلب من الخالق المدبّر الذي جلّ شأنه عن الأشباه والنظائر . ولو جعلت كل دعاء عبادة ، للزم أن دعاء (زيد) لأصلاح بعض الامور ، أو دفع بعض المحذور ، وطلب الأفعال ، كلها من قبيل الكفر .

فالسؤال ، والأزواج ، والعبيد ، والخُدّام في طلب المأكّل والملابس مربيون ، ومقابلوهم أرباب ، فيكون ذلك مكفراً ، وإن أقررت بالتخصيص خصصناه بما ذكرناه .

وبيانه : أنَّ لفظ «الدعاء» لا يُرادُ به المعنى اللغوي ، وإلاّ لكفر جميع الخلق ، فالمراد دعاء العبودية والمربوبية ، كمن دعا الأصنام أو الصالحين ، مع اعتقاد ربوبيتهم ، وقصد عبوديتهم ، مكتفين بها عن عبادة الله ، أو مشركين أولئك مع الله لقصد وصول النفع

---

(١) ورد في النسخة المطبوعة : والله اللهم للسداد والصواب ، فنقول : أما ما ذكرت من الإنكار على كثير من الناس الإستغاثة بغير الله ودعوة غير الله .

ليهم منهم ، وليقربوا إلى الله زُلْفَى .

وأَمَّا ما ذَكَرْتُهُ من (النذر لغير الله تعالى) و(الذبح لغير الله) ، وهذا أيضاً إنْ أُرِيدَ أَنَّهُمْ يَذِبحون مُهْلَيْنَ بِاسْمِ غيرِ الله ، أو يندرون تعبداً لغير الله . فذلك لم يصدر من أحد من المسلمين ، وكل من فعل ذلك ، فهم منه براء ، سواء كان ذلك عبادةً لغير الله ، أو كان لأجل أن يقرب إلى الله .

وأَمَّا لو كان من باب إهداء ثواب المذبح والمنحور والمنذور إلى أولياء الله وعباده الصالحين ، فهو من أعظم الطاعات ، وأفضل القربات ، وقد بيَّنا ذلك في بعض المقامات .

قولك : إن ذلك حقيقة دين المشركين أعداء رسل رب العالمين ، كقوم نوح وعاد وثمود ، وقوم إبراهيم ، فأخبر الله عنهم بذلك في كتابه المبين ، حيث يقول وهو أصدق القائلين «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْضُرُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> فأخبر الله أَنَّهُمْ ما عبدوهم إلا ليقربوهم إلى الله زُلْفَى ، وقال سبحانه وتعالى : «ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى»<sup>(٢)</sup> .

فتأمل كيف أخبر الله سبحانه عنهم أَنَّهُمْ ما قصدوا بعبادتهم غير الله إلا التقرب إلى الله والشفاعة عنده ، وإلاَّ فهم مُقَرَّرُونَ أَنَّ الله هو المُدَبِّرُ لأمر هذا العالم العلوي والسفلي ، كما أخبر الله عنهم أَنَّهُمْ أقروا بذلك ، قال الله تعالى : «قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ»<sup>(٣)</sup> .

أقول : إنَّ لكلِّ حقِّ حقيقة ، وعلى كل صواب نوراً ، إنَّ عبدة غير الله قد اتخذوا آلهة دون الله تعالى أو مع الله وجعلوا لهم أنداداً وأمثالاً لله ، قال الله تعالى : «أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ نَفْعاً وَلَا ضَرّاً»<sup>(٤)</sup> ، وقال : «فلا تجعلوا لله أنداداً»<sup>(٥)</sup> ، وقال : «وجعلوا لله شركاء الجن»<sup>(٦)</sup> ، وقال : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ»<sup>(٧)</sup> ، وقال :

(١) القرآن الكريم : ١٨/١٠ (سورة يونس) .

(٢) القرآن الكريم : ٣/٣٩ (سورة الزمر) .

(٣) القرآن الكريم : ٣١/١٠ (سورة يونس) .

(٤) القرآن الكريم : ٧٦/٥ (سورة المائدة) .

(٥) القرآن الكريم : ٢٢/٢ (سورة البقرة) .

(٦) القرآن الكريم : ١٠٠/٦ (سورة الأنعام) .

(٧) القرآن الكريم : ٧٣/٥ (سورة المائدة) .

«يا عيسى بن مريمَ أأنتَ قُلْتَ للناسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup> ، وقال :  
«أَتُنَكِّمُنَّ لَشَهَدَونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى»<sup>(٢)</sup> ، وقال : «لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ  
بْنُ مَرْيَمَ»<sup>(٣)</sup> .

ثم المذمة لم تكن على اعتقاد الشفاعة ، أو التقرب زلفى ، بل على العبادة بهذا  
القصد ، والمراد بالعبادة أعمال خاصة كما بيّناه .

وقولك «إن ذلك حقيقة دين المشركين ، كقوم نوح وعاد وئمود» كيف ذلك ، وقد أخبر  
الله عنهم بقوله : «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وئمود» ، إلى قوله : «فَرَدُّوا  
أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ»<sup>(٤)</sup> وأخبر عن قوم (عاد) أنهم قالوا لهود :  
«وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ»<sup>(٥)</sup> وعن قوم صالح أنهم قالوا له : «أَتَنهانا أَنْ نَعْبُدَ مَا  
يَعْبُدُ آبَاؤُنَا»<sup>(٦)</sup> وعن قوم شعيب أنهم قالوا له : «أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا»<sup>(٧)</sup> ،  
وعن قوم إبراهيم أنهم كذبوا الرسل .

فهؤلاء الطوائف بصريح القرآن كذبوا الرسل ، وردوا قولهم ، وعاندوهم ، فلو كانوا مقرين  
لكانوا كفاراً لكفر العناد ككفر إبليس .

فيا أخي أقسمتُ عليك بَمَنْ خَلَقْنَا مِنْ تَرَابٍ ، ثم أودعنا الأصلاب أن تترك الجدال ،  
وتتأمل في حقيقة الحال ، كيف تُشَبِّهُ أعمال المسلمين بأعمال عبدة الأصنام وغيرها مع  
أنهم أنكروا نبوة الأنبياء ، وردوا عليهم بعد أن أمروهم ، ولم يسمعوا لهم قولاً ، ولا قبلوا  
لهم فعلاً .

ثم أنهم عبدوا طواغيتهم بالعبادة الحقيقية ، لا اعتقاد أن لهم تصرفاً في الأكوان ، أو في  
إرضاء الملك الديان ، وإلا لم يذمهم الرحمن ، ولا أنكر عليهم كل فعل كان .

ثم تعللوا بأننا لا نقدر على عبادة الله سبحانه ، فنعبدهم ونكتفي بعبادتهم وهم  
يقربونا ، كما أوردنا بذلك بعض الروايات في بعض المقامات .

- 
- (١) القرآن الكريم : ١١٦/٥ (سورة المائدة) .
  - (٢) القرآن الكريم : ١٩/٦ (سورة الأنعام) .
  - (٣) القرآن الكريم : ١٧/٥ (سورة المائدة) .
  - (٤) القرآن الكريم : ٩/١٤ (سورة إبراهيم) .
  - (٥) القرآن الكريم : ٥٣/١١ (سورة هود) .
  - (٦) القرآن الكريم : ٦٢/١١ (سورة هود) .
  - (٧) القرآن الكريم : ٧٨/١١ (سورة هود) .

وعلى كل حال لا يتأمل مسلم في أنَّ العبادة الحقيقية من الصلاة والصيام وغيرها لا تكون لغير الله ، فأن كان التصديق عن الأولياء والذبح لهم والنذر لهم عبادة ، فنحن عبيد آبائنا وأمهاتنا وأمواتنا الذين نتصدق عنهم ، أو ننذر لهم ، ونذبح لهم .

وإن كان طلب الدعاء منهم ونذبتهم على الدعاء والشفاعة كفراً ، فعلى الإسلام السلام ، فانه ليس في الوجود أحدٌ لا يلتمس الدعاء من إخوانه ، أو يستغيث بهم في طلب نجاة ، وإن دعاء المؤمن للمؤمن أسرع للأجابة لأنه دعاء بلسان لم يعص به .

فيا أخي ، المقاصد متفاوتة ، وإنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى<sup>(١)</sup> ، فرب كلمة ظاهرها الإسلام ، تصير بالنية كلمة كفر ، وبالعكس .

وأما قولك : فأن الذي يفعل عندنا في مشهد علي (رض) من دعوة ، واستغاثة ، ورجاء ، وخوف ، وخشية . انه ليس بعبادة ، فأنهم ما قصدوا بدعوتهم (علياً) وغيره إلا ليشفع لهم عند الله .

فأن قلت : أولئك يدعون الأصنام ، ونحن لا ندعو إلا الصالحين .

قلنا : وكذلك المشركون منهم يدعون الصالحين ويعبدونهم مع الله ، كعيسى ومريم والملائكة .

فأن قلت : إن الدعوة لا تُسمى عبادة .

قلنا : بل هي عبادة وأي عبادة ، ففي الحديث عن رسول الله (ص) : الدعاء هو العبادة . ويلي قوله تعالى : «أَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup> .

وأصل دين الإسلام هو إخلاص العبادة بجميع انواعها من الذبح والدعوة ، والنذر ، والتوكل ، والخشية ، والرغبة ، والأنابة ، ولا يقبل الله من الأعمال إلا ما اجتمع فيه شرطان :

الأول : ألا يعبد إلا الله وحده .

الثاني : ألا يعبد إلا بما شرع على لسان رسوله ، كما قال الله تعالى : «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»<sup>(٣)</sup> .

(١) البخاري (بدء الوحي) ، باب ١ ؛ وصحيح مسلم (كتاب الأمانة) ، باب ١٥٥ ؛ والنسائي (كتاب الطهارة) ، باب ٥٩ ؛ وابن ماجه (كتاب الزهد) ، باب ٢٦ .

(٢) القرآن الكريم : ٦٠/٤٠ (سورة غافر) .

(٣) القرآن الكريم : ١١٠/١٨ (سورة الكهف) .



أقول : إن كان المدار على الصور دون الحقائق ، فسجود الملائكة لآدم ، وسجود يعقوب ليوسف ، قاض بأنهما عبداً غير الله .

وإن قلت : بأن تعلق إرادة الشرع دفعت المنع . فقد أوردنا من الأخبار وكلام الصحابة ما يفيد عدم المنع ، من أمثال الصور التي ذكرت .

ثم بالله عليك أنصف<sup>(١)</sup> ، ما الفرق بين قول الصديق لصاحبه في السجن «أذكرني عند ربك»<sup>(٢)</sup> وبين قولنا لرسول الله (ص) : «إذكرني عند ربك» .

ثم كيف باستغاثة ولي موسى<sup>(٣)</sup> ولم يحكم عليه بالكفر؟! ثم كيف باستطعام موسى والخضر أهل القرية<sup>(٤)</sup>؟ ثم كيف يقول أصحاب موسى «لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ»<sup>(٥)</sup> ثم ما معنى قول الأسباط ليعقوب «إِسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا» فقال : «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي»<sup>(٦)</sup>!

وعلى كل حال إن أريدت الحقائق في الاستغاثات والدعوات وغيرها ، ففي ذلك خروج عن طريقة الإسلام ، وإلا فلا بأس ، وإلا للزم ألا يخرج من الكفر أحد من العالم ، ولا يمكنك والله ولا يسعك إلا أن تقول إنما يُراد دعاء خاص ، واستغاثة خاصة ونحو ذلك ، فيرتفع الحذور .

وأما مَنْ قصد حقيقة العبادة مع غير الله ، ليتقرب إلى الله زلفى ، أو لغير ذلك ، فهو خارج عن رتبة الإسلام .

وما ذكرتم من أننا نفرّق بين الصالحين وغيرهم ، فمعاذ الله أن نفرّق بين مَنْ يعبد موسى أو محمداً (ص) ، أو يناديهم ويدعوهم ، أو يستغيث بهم أحياء وأمواتاً ، ويلجأ إليهم على أن لهم الأمر أو ليقربوه زلفى ، وبين مَنْ يعبد فرعون ، وهامان ، وإبليس .

أين النفوس المقرونة بالأبدان التي تتغير من أدنى حوادث الزمان ، ولا زالت مورداً للأمراض ، ومحلاً للأغراض ، لا تدفع شيئاً من حوادث الدهور ، وليس لها في كل الأمور من أمر من رتبة المعبود . ومن لا يصلح لغيره الركوع والسجود ، إنما هم عبيد زادت علينا

(١) القرآن الكريم : ٤٢/١٢ (سورة يوسف) .

(٢) إشارة إلى الآية (١٥) من سورة القصص : «فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه» .

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الكهف ، الآية ٧٧ : «فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فأبوا أن يضيفوهما» .

(٤) القرآن الكريم : ٦١/٢ (سورة البقرة) .

(٥) القرآن الكريم : ٩٧/١٢ (سورة يوسف) .

عبوديتهم ، وخدام سبقت خدمتنا خدمتهم .

فأن أمرنا بتقبيل بنائهم ، أو تعظيم أبنائهم ، أو التماس دعائهم ، فعلنا إمتثالاً لأمر ربنا ، كما صنعنا ذلك في أحجار الكعبة وأركانها . وإن نهانا تركنا ، إذ لا خوف إلا من الله ، ولا رجاء إلا له .

وأما قولك : إنه قد ورد في الحديث عن الصادق الصدوق ، قال : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضواً عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة»<sup>(١)</sup> .

وفي الحديث الثاني ، قال : إفتقرت اليهود والنصارى عن اثنين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة عن ثلاثة وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . وسئل عن الواحدة ، فقال : ما أنا عليه اليوم وأصحابي<sup>(٢)</sup> (انتهى) .

أقول : اللهم إني رضيت بسنة الخلفاء الراشدين حكماً ، وما عليه أصحاب محمد متمسكاً وملتزمأ ، فأحل ما أحلوه ، وأفعل ما فعلوه . وهذه أقوالهم وسيرتهم في هذه الرسالة أوضحها ، فلا أزيغ عنها ، ولا أبعد مسافةً منها ، فتتبع ما رويت من أخبارهم ، وما نقلت من آثارهم ، رزقني الله وإياكم حلاوة الأنصاف ، وجنبنا مرارة الجدل والأعتساف .

وأما قولك : «فلا تغتر بالكثرة وهذا الثابت عن نبيك ، والله يقول : «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورِ»<sup>(٣)</sup> وقال : «إِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(٤)</sup> . وفي الحديث : إن بعث الجنة من الألف واحد ، فأنت اختر لنفسك ، والمهدي من هاده الله » ، إنتهى .

أقول : يا أخي ، الوصية مشتركة بيني وبينك ، فالذي عليّ ألا تأخذني حمية الآباء والأجداد ، وحب الطريقة المأنوسة بين العباد ، بل أنظر بعين البصيرة وإخلاص السريرة .

وأما أنت فأني أخشى عليك من حب الأفراد ، حتى لا تكون كبعض الآحاد ، فأن الأصابع لم تزل ممدودة إلى من ركب جادة غير معهودة ، وقد ورد في المثل : (خالف تُعرف) .

(١) سنن الترمذي ، جـ ٥ ، حديث ٢٦٧٦ ؛ وسنن أبي داود ، جـ ٤ ، حديث ٤٦٠٧ ؛ وسنن ابن ماجه ، جـ ١ ، حديث

٤٢ .

(٢) كنز العمال ، جـ ١ ، ص ١٠٦٠ .

(٣) القرآن الكريم : ١٢/٣٤ (سورة سبأ) .

(٤) القرآن الكريم : ١١٦/٦ (سورة الأنعام) .

ثم إني - والله - أخشى عليك من جهة أنك كنت خالي البال ، بعيد عن هذه المحال  
فوردت عليك شبهات لم تستطع ردها ، وخيالات لم تبلغ حدّها ، فكان الحال كما قال :  
(صادف قلباً خالياً فتمكّنا) <sup>(١)</sup> .

وأما اليوم ، فليس لك عند الله عذرٌ ، فقد علمت بالأخبار ، وسمعت بطريقة الخلفاء  
الأبرار ، فأجدّ نظرك ، واستعمل فكرك ، واخلع عن نفسك ربة التقليد ، وأطلب من ربك  
التأييد والتسديد .

ثم ما ذكرت إنّما يدل على أنّ الحقّ مع القليل من المكلفين لا من المسلمين ، فإن أكثر  
أهل الأرض كفار من يهود ، ونصارى ، ومشركين ، وجاحدين ، وغيرهم ، حتى أنّ نسبة  
أقليم المسلمين إلى سائر الأقاليم أقلّ قليل .

فنحن نقول بأنّ من أطاع أكثر الخلق ضالاً ، لأنّ أكثر الناس من أهل الكفر والضلال ،  
وان الشكور قليل ، وان بعث أهل الجنة من الألف واحد ، ولو استندت في هذا إلى  
حديث الفرق ، فوحدة الفرق لا تنافى زيادة أفرادها على ألف فرقة .

والحق أنّه لا ملازمة بين القلّة والكثرة ، وبين الحق والباطل ، فكم من قليل هُدي إلى  
الصواب ، وكثير حلّ عليه المؤاخذه والعقاب ، وكم قد إنعكس الأمر في هذا الباب ،  
والمدار على طلب العصمة والنجاة من رب الأرباب ، ولا حول ولا قوة إلّا بالله العليّ  
العظيم .

تمت على يد أقل العباد عملاً ، وأكثرهم زللاً محمد قاسم ابن شيخ محمد بن حمزة  
الدلبزي في سنة ألف ومائتين وعشرة .

(١) إشارة إلى قول القائل :

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمكّنا









